T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 45

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو براغب
عفي عنه

٥٥

تفسير ابو السعود باحسن خط عرب جلد واحد قطعه كامله
كاغذ آبادی سطر اوتوز بش جدول التون
من اول القرآن الى اخره
م

٥٥

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ونزل له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق، أنزل عليه أظهر بينات
وأبهر حجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج، مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب
ناطقا بكل أمر رشيد، هاديا إلى صراط العزيز الحميد، آمرا بعبادة الصمد المعبود، كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه الجلود، تكاد الرواسي لهيبته تمور، ويذوب منه الحديد، ويتصدع الصخور، حقيقا بأن تسير
به الجبال، ويتيسر به كل صعب محال، معجزا أفحم كل مصقع من مهرة قحطان، وبكت كل مفلق من سحرة البيان حتى
لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته، لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته، نزله عليه على فترة من الرسل
ليرشد الأمة إلى أقوم السبل، فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين، فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين، فمن
اتبع هداه فقد فاز بمناه، وأما من عانده وعصاه، واتخذ إلهه هواه، فقد هام في مرامي الردى وتردى
في مهاوي الزور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار
ما تناوبت الأنوار، وتعاقبت الظلم والأضواء، وعلى من تبعهم بإحسان، مدى الدهور والأزمان، وبعد
فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي، أبو السعود بن محمد العمادي، إن الغاية القصوى من خلق
العالم وما كان من حرف منها مسطورا، والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا، ليست إلا معرفة
الصانع المجيد، وعبادة البارئ المبدئ المعيد، ولا سبيل إلى ذلك المطلب الجليل، سوى الوقوف على مواقع
التنزيل، فإنه عز سلطانه، وبهر برهانه، وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان، ونصب رايات
وحدته في صفائح الأعراض والأعيان، وجعل كل ذرة من ذرات العالم، وكل قطرة من قطرات العيلم
وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع، وكل حرف رقم في لوح الاختراع، مرآة لمشاهدة جماله، ومطالعة
صفات كماله، وحجة نيرة واضحة المكنون، وآية بينة لقوم يعقلون، برهانا جليا لا ريب فيه، ومنهاجا سويا
لا يضل من ينتحيه، بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع، ومجيبا صادقا فهل له من داع، يكلم الناس
على قدر عقولهم، ويرد جوابهم بحسب مقولهم، يحاور تارة بأوضح عبارة، ويلوح أخرى بألطف إشارة
لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل، والاستشهاد بتلك الأمارات والمخايل، والتنبه لتلك الإشارات
السنية، والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية، وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر
وكنوز آثار التعاجيب والعبر، مما لا تطيق به عقول البشر، إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر، فإذن مرام
المراد ليس إلا كلام رب العباد، إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية، والمفسر لمشكلات الآيات الكونية
والكاشف عن خفايا حظائر القدس، والمطلع على خبايا أسرار الأنس، وبه تكتسب الملكات الفاخرة، وبه
يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، خلا أنه أيضا من علو الشأن، وسمو المكان، ونهاية الغموض والإعضال

وصعوبة

وصعوبة المآخذ وعزة المنال، في غاية الغايات القاصية، ونهاية النهايات النائية، أعز من بيض الأنوق
وأبعد من مناط العيوق، لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة، ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة، كيف لا وانه
مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية، ومنطويا على دقائق الفنون الخفية والجلية، حاويا لتفاصيل
الأحكام الشرعية، ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية والفرعية، منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت، مخبرا بأطوار
الملك والملكوت، عليه يدور فلك الأوامر والنواهي، وإليه تستند معرفة الأشياء كما هي، قد نسج على أغرب منوال
وأبدع طراز، واحتجبت طلعته بسبحات الإعجاز، وطوت حقائقه الآبية عن العقول، وزويت دقائقه الخفية
عن أذهان الفحول، ترتد عيون العقول بسبحاته، ويخطف أبصار البصائر بريقه ولمعانه، ولقد تصدى لتفسير غوامض
مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار، وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين سرير
التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار، فغاصوا في لججه، وخاضوا في ثبجه، فنظموا فرائده في سلك التحرير
وأبرزوا فوائده في معرض التقرير، وصنفوا كتبا جليلة الأقدار، وألفوا زبرا جليلة الآثار، أما المتقدمون
المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني، وتشييد المباني، وتبيين المرام، وترتيب الأحكام، حسبما بلغهم من سيد
الأنام، عليه شرائف التحية والسلام، وأما المتأخرون المدققون، فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة، وإبداء
خفاياه الفائقة، ليعاين الناس دلائل إعجازه، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه، عن سائر الكتب الكريمة
الربانية، والزبر العظيمة السبحانية، فدونوا أسفارا بارعة، جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن
كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة تتشنف بها آذان الأذهان، لا سيما الكشاف وأنوار
التنزيل، المتفردان بالشأن الجليل، والنعت الجميل، فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز، كأنه
مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان، وسطورهما عقود الجمان، وقلائد العقيان
ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما، وممارستهما
وزمان انتصابي لمفاوضتهما، ومدارستهما، يدور في خلدي أناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما
في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر
الحقائق، وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع
على نسق أنيق وأسلوب بديع، حسبما تقتضيه جلالة شأن التنزيل، وتستدعيه جلالة نظمه الجليل
ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية، وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية، من عوارف
معارف تمتد إليها أعناق الهمم، من كل ماهر لبيب، وغرائب رغائب ترنو إليها أحداق الأمم، من كل
نحرير أريب، وتحقيقات رضية، تقيل عثرات الأفهام، في مداحض الأقدام، وتدقيقات متينة
تزيل خطرات الأوهام، من خواطر الأنام، في معارك أفكار تشتبه فيها الشؤون، ومدارك أنظار
تختلط فيها الظنون، وأبرز من وراء أستار الكمون، من دقائق السر المخزون، في خزائن الكتاب المكنون
ما تطمئن إليه النفوس، وتقر به العيون، من خفايا الرموز، وخبايا الكنوز، وأهديها إلى الخزانة
العامرة، القاهرة للبحار الزاخرة، لجناب من خصه الله بخلافة الأرض، واصطفاه لسلطنتها في
الطول والعرض، ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم، والخاقان الأكرم، مالك الإمامة العظمى
والسلطنة الباهرة، ووارث الخلافة الكبرى، كابرا عن كابر، رافع رايات الدين الأزهر، موضح آيات
الشرع الأنور، مرغم أنوف الفراعنة والجبابرة، معفر جباه القياصرة والأكاسرة، فاتح بلاد المشارق
والمغارب، بنصر الله وجنده الغالب، الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى إلى الأقصى الأسنى وغرب
حتى بلغ مغرب الشمس، وأدى في خميس عرمرم متراكم الأفواج، وعسكر خضم متلاطم الأمواج، فأصبح
ما بين أفقي الطلوع والغروب، وما بين نقطتي الشمال والجنوب، منتظما في سلك ولايته الواسعة

وممدد جناحيه ظلال راياته الرايعه ۞ فاصبحت منابر الربع المسكون ۞ مزينة بذكر اسمه الميمون ۞ فياله
من ملك استوعبت مملكته البر البسيط ۞ واستغرق فلكه البحر المحيط ۞ فكانه فضا ضربت فيه خيامه ۞
او نصبت عليه الويته واعلامه ۞ مالك ممالك العالم ۞ ظل الله الظليل على كافة الامم ۞ قاصم القياصرة
وقاهر القروم ۞ سلطان العرب والعجم والروم ۞ سلطان المشرقين ۞ وخاقان الخافقين ۞ الامام المعتضد
بالقدرة الربانية ۞ والخليفة المعتز بالعزة السبحانية ۞ المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين ۞ وحماية
المقامين الجليلين المحترمين ۞ ناشر القوانين السلطانية ۞ عاشر الخواقين العثمانية ۞ السلطان بن السلطان ۞
السلطان ۞ خان ۞ ابن السلطان المظفر المنصور ۞ والخاقان الموقر المشهور ۞ صاحب المغازي المشهورة
في اقطار الامصار ۞ والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار ۞ السلطان سليمان خان بن السلطان السعيد
والخاقان المجيد ۞ السلطان سليم خان لازالت سلسلة سلطنته متصلة متسلسلة الى انتها سلسلة الزمان
وارواح اسلافه العظام متنزهة في روض الرضوان ۞ وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام ۞ لقصور
شاني وعزة المرام ۞ اين الحضيض من الذرى ۞ شتان ما بين الثريا والثرى ۞ وهيهات مطار العنقا بالشباك
واقتياد الجوزا من برج الافلاك ۞ فمضت عليه الدهور والسنون ۞ وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون ۞
فابتليت بتدبير مصالح العباد ۞ برهة في قضا البلاد ۞ واخرى في قضا العساكر والاجناد ۞ فحال بيني وبين ما كنت
اخاله ۞ تراكم المهمات وتزاحم الاشغال ۞ وجموم العوارض والعلايق ۞ وهجوم الصوارف والعوايق ۞ والتردد
الى المغازي والاسفار ۞ والتنقل من دار الى دار ۞ وكنت في تضاعيف تلك الامور ۞ اقدر في نفسي ان انتهز
نهزة من الدهور ۞ ويتيسر لي الفراغ ۞ وتطمئن بي الدار ۞ واظفر بعيد بوقت خال ۞ اتبتل فيه الى جناب ذي
العظمة والجلال ۞ واوجه اليه وجهي ۞ واسلم له سري وعلانيتي ۞ وانظر الى كل شي بعين الشهود ۞ واتعرف سر
الحق في كل موجود ۞ تلافيا لما فات ۞ واستعدادا لما هو آت ۞ وانتهي تفصيل ما عزمت عليه ۞ واتوجه
لتكميل ما توجهت اليه ۞ برفاهية واطمئنان ۞ وحضور قلب وفراغ جنان ۞ فبينما انا في هذا الخيال ۞ اذ بدا لي
ما لا يخطر بالبال ۞ تحولت الاحوال والدهر حول ۞ فوقعت في مراشق من الازل ۞ امرت بحل مشكلات الانام
فيما شجر بينهم من النزاع والخصام ۞ فلقيت معضلة طويلة الذيول ۞ وصرت كالهارب من المطر الى السيول
فبلغ السيل الزبى وغمرني بحر ۞ غوارب ما جرى بين زيد وعمرو ۞ فاضحيت في ضيق المجال ۞ وسعة الاشغال
اشهر ممن يضرب بها الامثال ۞ فجعلت امثل بقول من قال ۞ لقد كنت اشكو الحوادث برهة ۞ واستمرض الايام
وهي صحاح ۞ الى ان تغشتني وقيت حوادث ۞ فحقق ان السالفات سماح ۞ فلما انصرمت عرى الامال
عن الفوز بفراغ البال ۞ ورايت ان الفرصة على جناح الفوات ۞ وحبل الاسباب في شرف الشتات ۞ وقد مسني الكبر
وتضالت القوى والقدر ۞ ودنا الاجل من الحلول ۞ واشرفت شمس الحيوة على الافول عزمت على انشا ما كنت
انويه ۞ وتوجهت الى املا ما كنت ابغيه ۞ ناويا ان اسميه عند تمامه ۞ بتوفيق الله تعالى وانعامه ۞ ارشاد
العقل السليم ۞ الى مزايا الكتاب الكريم ۞ فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي ۞ وتزاحم المشاغل بين يدي
متضرعا الى رب العظمة والجبروت ۞ خلاق عالم الملكوت ۞ في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ۞ ويهديني مصارع الصواب
في القول والعمل ۞ ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه ۞ ويسددني لتكميله على احسن الوجوه ۞ ويجعله ذخر عدة
وعتاد ۞ انتفع به يوم المعاد ۞ فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ۞ ورفعت ايدي الضراعة
والسؤال الى جنابه الرفيع ۞ افض علينا شوارق انوار التوفيق ۞ واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق ۞ وثبت
اقدامنا على مناهج هداك ۞ وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ۞ ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن ۞ وخذ
بناصيتنا الى الخير حيث كان ۞ جباهنا على جباه الاستكانة ضارعين ۞ ولابواب فيضك قارعين ۞ انت الملاذ في
كل امر مهم ۞ وانت المعاذ في كل خطب ملم ۞ لا رب غيرك ۞ ولا خير الا خيرك ۞ بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر

سورة فاتحة الكتاب سبع آيات

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثواب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول
كل شي فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتا للنقل من
الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح
فان تعلقه بالذات وبالباقي بواسطة لكن لا بمعنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم
الشي عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة من اجزائه الاوايل بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول
فتح له اولا وبالذات وبعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشي عرض للآخر
اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان
اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك
بينه وبين اجزائه على ما هو عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد
النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن يكفي
فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السما الدنيا واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما
في جزء الشي لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدا
للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر
المشترك الصادق على ما يقرا في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدائيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم
او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب
النزولي ليسا على ترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشا له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله
عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي
سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعدا ومنازل الاشقيا والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام
الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة
يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدا بقراءتها
في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه الصلوة والسلام انها انزلت
من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد
والشكر والدعا وتعليم المسالة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفا والشافية
لقوله عليه السلام هي الشفا من كل دا والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي انها
نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي بالنص والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلفت الامة في شان التسمية في اوايل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله
عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدما الحنفية وعليه قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة
من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما وقد نسب الى ابن عمر ايضا وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن
ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطا وعبد الله بن المبارك و

قرا بمكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص
من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في سائر السور ايضا من غير
تعرض لكونها جزءا منها او لا ولا لكونها اية تامة او لا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي
انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في سائر السور ايضا وقيل انها
اية تامة من الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض اية في الفاتحة وانها تامة في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل
وقيل انها ايات من القران متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي
الى احد في الكتب وهناك قول اخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها اية تامة في الفاتحة
وليست بقران في سائر السور ولولا اعتبار كونها اية تامة لكان ذلك احد محملي تردد الشافعي رحمه الله فانه قد نقل عنه
انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا او لا وقيل بين ان تكون اية تامة او لا
قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها اية كاملة وفي كونها
من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا والمشهور من
هذه الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا
من القران لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه صلى
الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها
من انه عليه الصلوة والسلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان دل كل
واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها اية
من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد لا على ما هو المطلوب
من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجا الى ان يقال ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون
جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه
مشاركة للثاني في السكوت المذكور والبا فيها متعلقة بمضمر ينبي عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر
عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي باسم الله
اقرا او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقديره ابدا لاقتضائه اقتصار التبرك
على البداة بمخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى
وفي تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم
كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية
التبرك باسمه تعالى وهداية الى مناهج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسالة وانما
كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون وقد ادخلت
عليها همزة الوصل عند الابتداء بها لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقوف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي
وسميت وسمي كهدى لغة فيه قال ° والله اسماك سما مباركا ° اثرك الله به ايثاركا ° والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو
وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم و
من لغاته سم وسم قال ° باسم الذي في كل سورة سمه ° وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما

المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي
افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسم الى ممكنة وميسرة وهي
المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه جل وعلى وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه
ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين
المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة
الاولى ان قيل فلتحمل البا على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد
بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلابد من ذكر الاسم لينقطع احتمال الارادة الحقيقية ويتعين حمل البا على الاستعانة
الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت البا عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت
همزته على غير قياس كما ينبي عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف
ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام
والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما
عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل
اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق
واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى
العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه
يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما
ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم
يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبايّ ذات تقوم ذلك المعنى يصح
اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك يعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات
المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل
اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في معرفته العقول والاوهام واما اله كعبد وزنا ومعنى
مراد بالكبير وكذا تاله واستاله استفعالا ستوني واسنح من التاله وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه
لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره
اذ العابد به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع
وقيل هو اسم علم لذات الباري ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم
الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كونه الاختصاص بطريق الغلبة
بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرد ذلك
اجراء الاوصاف عليه واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبلها سنة وقيل مطلقا
وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله ° الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال ° والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان للمبالغة من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم
كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه وقيل والرحمة
في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها هنا التفضل والاحسان او ارادتهما
بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي
افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع

صرفه الى ما قاله بالاعلال في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلان لانه باعتبار
يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان نقاس الى نظايرها من باب فعل يفعل
فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف فتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فيمتنع من الصرف
وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة وتقديمه مع كون القياس تاخيره
رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل
صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلايل النعم وعظامها احق بالتقديم مما يدل
على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة الحمد لله الحمد هو النعت بالجميل
على الجميل اختياريا كان او مبداه على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية ممتاز عن المدح فانه خال عنها
يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمعمول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني
بمفعوله يرشدك الى ذلك على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني عن معنى
الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما تفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان
تعلق كل منها مبني عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور
في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه
عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة
تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء
منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لايقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم
القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخرين من
قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها
منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك
حدثني الحديث وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على
الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها
مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير واذ قد ارد ان الاختلاف
ليس الا لاختلاف الفعل واختلاف المعمول اذ لا اختلاف في معمول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق
لاختلافهما في المعنى قطعا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده وايا
ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان
معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد
التقوية هذا ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللايق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب
اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة
وفي قول الاطباء عرق محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فمعزول من استحقاق الارادة استقلالا او
استتباعا عما يحمل الحمل على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة
بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال ◦ افادتكم النعماء مني ثلاثة
◦ يدي ولساني والضمير المحجبا ◦ فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد
من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال
الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامره في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر
الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها

المنصوبة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى
اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل
اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام
وتنساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللايقة لا يخطر بباله ان
يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه
بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار لان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل للتوفيق بين المنزل المقرر
بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف
وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال
يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر
العبادة والاستعانة فان بناء جواب السايل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ايصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة
للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان
بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون
تحية الخليل للملايكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه
الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى لتخصيص جميع افرادها به
سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواصلة بمقابلة ما صدر عنهم
من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا
وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله
بكسر الدال اتباعا لها باللام بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما معا منزلة كلمة واحدة مثل المغرم ومنحدر الجبل رب
العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ
منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال
المصدر المحلى باللام ولزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ
الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله
لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور وسمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه عليه الصلاة
والسلام لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه
للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب
متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر
المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات
وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم
من الملايكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث
اشتماله على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حاله ولذلك امر
بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر واشار صيغة الجمع لبيان شمول
ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة
من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف من كل

ملاحظة ٤

العالم وان لم يطلق على احاده لوله منزلة الجمع حتى قيل انه لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان
لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها
كانها احاد مفرد التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد
الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية
عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام
لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد
ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه
كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل
فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر من الظاهر مما عز وهان وحضر
هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وعلا
للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات
والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع اثار التربية عنه انا ولحظة لما استقر له القرار
ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس
في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط
به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء
وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما
ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه
وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها
بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على
ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم مع امكان وجودها
في انفسها تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات
في كل ان من انات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه
العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون
نسالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب
اليك الرحمن الرحيم صفتان لله تعالى فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل
بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد بها ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في
قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه
تعالى متفضل فيها فاعل بما تقتضيه رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته
تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة
رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في الامور
العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح والحال وبالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها
من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء كما

او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
اما الاول فلا اول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم سببه كما سميت
ارادة القيام والقراءة في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلاة وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله هو
السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها مقامها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة
باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة
على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث
كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب
والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك اليه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على
نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الامور
العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال
والاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة
المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه
وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما
هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده انه مضاف الى المفعول
به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء
الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل
لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه
فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحدة منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة
فظاهر لانهما معربتان عن كونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه
تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك
الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى
بالاختصاص اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة
في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة
القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في قوله تعالى الله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار يقتضيها
ومزايا يستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى
ان ما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدلت خفاء الغيبة بجلاء الظهور
فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس
المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية
المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة
ان يترقى من مرتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس
حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب
المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من
استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة
في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنته للتبتل اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب وما يلحقه

من الكاف والياء والهاء وفي بدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتا في انت والكاف في ارايتك وما
ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب مما لا يعول عليه وقيل
هي الضماير وايا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل
ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعله الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول
فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام قال ابن عباس رضي الله
عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة
ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعدته الصفات
الجارية عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله سبحانه تعالى والاستعانة
من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة
على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما
قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللايق بشان التنزيل
والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند
استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من احواله
الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك تخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية
الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او مما يعمها وغيرها كانه قيل واياك
نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب واضح وفيه من الاشعار بعلو
رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها عند العابد اشرف المبا
والمقاصد وبكونها عند المباغي وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من
اعمال نفسه ومن الملايمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك واشار صيغة
المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو
دين الملوك وللاشعار باشتراك ساير الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجية الى ذلك وقرئ
نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم
او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا الصراط والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت
بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل
من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى
مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها
يصدر عن المرء فاعليه الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة
مصالحه المعاشية والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة
في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية
بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال
بتلك الادلة الكونية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون
ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب

يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي
رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في
المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما
ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة واصله السين قلبت صادا
لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سمي به لانه يسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد
تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في
الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق
الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو
في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون
هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه والاطلاق لانعام
لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ولعل الاظهر ان المراد بهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان
من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في
دنيوية واخروية والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى
المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى ~~المدركة فانها مع كونها من قبيل~~
~~الهدايات نعم جليلة في انفسها~~ الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذايل
وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة
الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين
صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة
هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب
عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعه صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون ووصفوا
بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي
هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى
النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين
اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فبقي لفظ غير على ابهامه نكرة موصوفة وان جعل الموصول
عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة كان بدلية ما اضيف اليه صراطا مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة
مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي حققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم
لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين انه لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان البدل ان يفيد متبوعه
مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعريف مصحح
لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوايد فكلا وقرئ بالنصب
على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام
وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة

الانتقام وعلى سببه البعيد اذا اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من سخط
تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم
منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على
منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم
رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير
ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ
وغير الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال ورحم الله عبدا قال آمينا . وقال . امين فزاد الله ما بيننا بعدا . عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبرئيل
آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن سن ختم السورة بها والمشهور عن ابي حنيفة
رحمه الله ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رضي الله عنه مثله وروى
الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله
عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة
في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير
ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها
محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي
رواية الترمذي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف
حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة
وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث
الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين لارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات
القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية
الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله
تعالى سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا
على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك
حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا
بمقابلة اسمائها الملفوظة والفاتها الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة
واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد

بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها باعيانها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد
المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى
الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين
في انفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم
منه اول ذي اثر خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي مقربة اذ لا مناسبة بينهما وبين مسمى الاصل
لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف
مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي
لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فيكون حرفا وتمد اخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه
ما قال لا قط الا في تشهده . لولا التشهد لم تسمع له لاء . هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما
اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة . والاسرار المحجوبة . وروي عن الصديق رضي الله عنه قال في كل كتاب سر
وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله تعالى فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل
كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه
قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب
بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها لانها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة
ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل . ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء
للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية
معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله
الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت
اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد
الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف
صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه
سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه لمخالفة القياس واما كونها مسرودة
على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه
منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت
قوتهم . ولما تساقطت قدرتهم . وهم فرسان حلبة الحوار . وامراء الكلام في نادي الفخار . دون الاتيان بما يدانيه
فضلا عن المعارضة بما يساويه . مع تظاهرهم في المضادة والمضارة . وتهالكهم على المعازة والمعارة . وليكون مطلع
ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام
وان كان على طرف الثمام . يتناوله الخواص والعوام . من الاعراب والاعجام . لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس
وخط . واما ممن لم يحم حول ذلك قط . فاعز من بيض الانوق . وابعد من مناط العيوق . لاسيما اذا كان على نمط عجيب .
واسلوب غريب . منبئ عن سر سري . مبني على نهج عبقري . بحيث يحار في فهمه ارباب العقول . ويعجز عن ادراكه الباب الفحول . كيف لا
وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على انصافها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف
اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يفصح عنه الفحص والتنقير . حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير . فسبحان من دقت
حكمته من ان تطالعها الانظار . وجلت قدرته عن ان تنالها ايدي الافكار . وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية
الى الخماسية جري على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في

التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورة لها تمام الاستيل الى الطالبة توجهه وعد بعضها اية دون بعض
مبني على التوقيف بحت اما الم فاية حيثما وقعت والمر في اول البقرة بثبات اية والمص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية
في شيء من سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص اية وحم
عسق ايتان وص وق ون لم تعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات عندهم في السور
كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا محل لها من
الاعراب ويوقف عليها وقف التام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقران كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او
الخبر واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما تقتضيه
النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الجر والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة
مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظي وايضا قد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرا صاد وقاف ونون
وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه
فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرا بعضهم يس والقران وقاف والقران فجعل اسما اعجميا ثم اذكر
ياسين اسمى ويحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة يس بجواز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار
فعل القسم لان ما بعدها من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول ولا
الرفع بجعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف هنا
للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف
وقرئ ص وق بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل [illegible] ذكره
سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكامها كل منها مشروحة في موقعها
باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقران فمحلها الرفع اما انه خبر لمبتدا محذوف
والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القران بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل
عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبلها الاخبار بها وادعاء
شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هو السورة او كل القران ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار
اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل انه باعتبار التقضي
او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع
للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من
حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية فلا اولية بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير
ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدا على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان قوله عز وجل الكتاب اما خبر له او صفة اما
اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب
وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انه خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول
مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله
الجمع والضم والامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية [illegible]
واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة قبلما ان تنال الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة اما باعتبار تحققه في علم الله
عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى
ان هذه السورة هو الكتاب اي الفرد القصوي منه كانه في احرازه الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره

به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة
والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه
من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال وعليه قول من قال * هم القوم كل القوم يا ام مالك * فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في الجزء ولا مساغ
هنالك لحمل الكتاب على الجنس لما ان يراد المعهود هو مجموع القران المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي
يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولا انحصار الكمال في الصورة مشعر بنقصان سائر السور
وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك اما
على تقدير كون الم خبرا لمبتدا محذوف فما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه
مبتدا اما خبر له او مبتدا ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان
هي السورة او القران ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال
وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد
ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير
اسما للسورة او للقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدا والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما
بعده على نحو ما سلف او بتقدير مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب قوله لا ريب فيه
اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان له ان لم يكن او لذلك على تقدير كون الكتاب
خبرا او للمبتدا المقدر اخرا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحال
من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية
للجنس مفيدة للاستغراق وعاملة عمل ان عملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح
لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل
عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لانه ركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا
ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها [illegible]
[illegible]
[illegible] وقرئ لا ريب فيه [illegible]
والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا
او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك [illegible]
[illegible]
[illegible] وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر [illegible]
[illegible] وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

تعرّف من التبوّق اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال الذي هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما
معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به ليتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه
عن علم ما الى من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه
الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما واما النزاع في ان امكان
الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصل مفهوم الهدى ولا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان
عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم
الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسبما اعتبر عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية
للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما بقي بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات
عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة
واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا شاملا يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو
فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول لما فرضناه فلا يكون ضلالة
وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما
من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة
المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فمبطل اعتبار وجوده اللازم فيه وجوبا وهو
الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما
لم يكن في تحققه في نفسه بل من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية
صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وعروض تلك الآثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام
مقتضية لافرادها باسماء خاصة ممتازة عما عداها من الاضافة العارضة له بالقياس الى سايرها وكانت
تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة التي
له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له بين انكار ذلك
الجسم الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر
مطرد له في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه
اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها
بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد
من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة
المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما غالبا عليهما لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين
للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة لهما بحسبهما داخلة
في مدلول اسميهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول
كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان بانفسهما صادران من المدعو والمامور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة
لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما كذلك الاهتداء الذي هو توجه
ما ذكر من المسلك فعل مستقل صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية
وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبها داخلة في مدلولها
علم انه لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبها داخلة في مدلولها علم انه
لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها اذ قيل ليس الهدى
بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو بعينه

الا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما اذ لا لزوم
بينهما وبين الاولين اصلا خلافا للهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهتدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل
المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه
بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة
بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية
التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهتدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة
لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة
كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى الطريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يكون
من مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار
والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما حققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال
الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا
على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان العلم ليس يستقل في ذلك بغير استناده اليه
من غير تجوز بل لان كلا منهما معتبر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وهو
الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب تقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر
معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية
فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع
الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا
اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا
اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم حيث لم
يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك ولتحمل تسمية ما لم يستتبع الهدى لها على التجوز قلنا
شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الكسر لضعف كذلك واما تخلف الهدى
عن الهداية فليس لنقصان وقصور من جهتها بل هو لفقد شرطه الموجه من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل
الهادي وبهذا التحرير اتضح طرق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية
بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا [illegible] المقارنة لها ولا
لاحدهما والمفارقة [illegible] مع قطع النظر عن المقارنة لها او لاحدهما وعدمها افرادا حقيقية لها وان
ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت [illegible]
واكتفاء [illegible] في الانفس والآفاق والبينات الشرعية الواردة في الكتب السماوية
على الاطلاق والسنة [illegible] سبحانه والحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين بالتقوى [illegible] وتخصيص الهدى بهم لما
انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال الله
هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال
التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه الصلاة والسلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا باس به حذرا من
الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك
عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك

حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله ولا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتوقي عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق جل وعلا ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض متفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترقبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كأنه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل وهذا والذي يستدعيه جزالة النظم الكريم شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى علو شأنه حسبما حققته **الذين يؤمنون بالغيب** اما متصلة بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات

البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني والرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين ح وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموصوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب والرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع وما ذاك الا لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي التفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه [illegible] ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الجزء في الاول لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا احتيج فيه الى تحققه معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف فحقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الجزء في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كان حقيقا بان يجعل خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي لواحد يقال امنته وبالنقل يتعدى الى اثنين يقال آمنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول راي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة **وقرئ** يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن

الوثوق وهو واقع موقع المفعول به ولما مصدر على حاله كالغيبة فالبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد عليه الصلاة والسلام كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلى هذه الاية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالبا حينئذ للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفا بما سيجي فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شي من فرايضها وسننها واداتها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعل في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطا ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف المطلق فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بما روي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغنا من غير فاحشة فقال عليه الصلاة والسلام لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقا للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمنافاة للشرائع كلها الموجبة للاتقا

لاشتماله على الدعا ع

عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب • للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها المقرون بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراجه كالاول في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر كتخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما هم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسيط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها ونزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا بما انزل من قبلك التورية والانجيل وساير الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبنا الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبريا وقد قرئا على البنا للفاعل **وبالاخرة هم يوقنون** الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دايم اولا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجرا للضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيرها في قوله • احب المؤقدان الى موسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تمييز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز وجل **على هدى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال التفخيم كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلا بنا على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعلو الشي ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلا الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للاشعار

بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة هذا على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لقوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه فاستقروا عليه من الهدى حسبما حققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هي واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك ما لكونهم على اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا بالهدى دون الناس عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئنافية وقعت جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما استدعيه من النتيجة اي الذين هذه شئونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول يجري على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك الخ خبره وجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا لغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح **واولئك هم المفلحون** تكرير لاسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم هم المفلحون في الآخرة او الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا و في بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق **ان الذين كفروا** كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال ناشئ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية

والضلال

والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا تؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير هاد للآخرين لان العنوان الاخير ليس من مورثه كلاما حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل له في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فلا بد من اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواضع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وقال لبيد

في ليلة كفر النجوم غمامها

ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثالها اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سواء** هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم قوله تعالى **عليهم** متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **أأنذرتهم ام لم تنذرهم** مرتفع على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر مقدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه اصل من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وتوسطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها او اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من جوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره تعالى وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم

ابا لهم المستمر بل بهوا الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا على ان يكون الموصول عبارة عنهم ليس بمعلوم ما لهم وفايدة
الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه الصلوة والسلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سوا عليهم ولم
يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان
اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما
يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفواد والختم على الشي الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه
صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملو والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد صيانة ما في قلوبهم
بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يوثر فيها الانذار
ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية
للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على القابلية عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة
الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة
من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول
ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها
ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور فلك
الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي يراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب في تلك الالفاظ
وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي
لكن ليس في شي منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية واما التجوز
في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة من معانيها مدلولا
وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له ذهب قدما
المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها
من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبهها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخرى من قبيل
الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث
عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم
من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما
يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة
من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
ومنها ان المراد تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب مقدر ختم الله عليها كما في قولهم سال به
الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق
الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد
لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد
ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على
قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين
للاذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم القلوب

ختم عليها اي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم بنا على انه طريق اليها ضروبا في على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو
الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك
الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منه من حيث البصر
الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث
ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال
العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل والتقدير المضاف اي وعلى حواس
سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما
سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشي كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم
والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا وخبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام
مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا
كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد
طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش يرتفع على الفاعلية مما يتعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير
فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل حذف الجار واوصل الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ
بالضم والرفع والنصب وهما لغتان وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة
والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشي اذا
امسك عنه ومنه الماء العذب فانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره
ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون العظيم فوق الكبير
وهما يستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التوصيف به التاكيد بما يفيده التنكير من التفخيم
والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن
الايات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم
الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان احوال بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا مقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر
والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالهم الهائلة عاجلا وآجلا
واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ۞ ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا ۞ فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس
بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصود به على
المعرف حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبي عنه التبعيض ومحل الظرف
الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي ومنا جمع دون ذلك ومن في قوله تعالى
من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم
الذين يوذون النبي الخ او فريق يقول كقوله تعالى من المومنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم
بما في حيز الصلة والصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو
الشايع في موارد الاستعمال فياباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل بانباه

توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الايمان
نحو من متصف بها ان لا يفهم كونه من الناس فيجزيه ويتحمه منه واستخبر بان الناس عبارة عن المعهودين او على الجنس المقصود
المعرفين واياما كان فالفائدة ظاهرة لان اجزاء الظرف مستدعي ان يكون نصا وهو لا بتلك الصفات القبيحة المفصلة في
ملته غرابة عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد
في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله امنا بالله
وباليوم الاخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم الايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه ولكا
به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم
يكن ايمانهم في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فانما قالوا ما وصدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمومنين رد لما ادعوه و
لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها للتاكيد النفي انما في لغة التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية
ولا تتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة
المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع
عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم
اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم
ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد يجوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ودلالة
الاية الكريمة اذ من اظهر الايمان واعتقاده خلافه لا يكون مومنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمة الشهادة
فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مومن يخادعون الله والذين امنوا بيان ليقولوا وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او
استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مومنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون
وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما
في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث
لا يحتسب او يوهم المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فيتخلص منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا
امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما
صنعوا ان يطلعوا على اسرار المومنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب ساير الكفرة واياما كان فنسبته
الى الله تعالى اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز
العقلي بان نسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما
لمجرد التوطية والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى ان الذين يوذون
الله ورسوله وان صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد ونجة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون
انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمومنين وصنعه تعالى
معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار واستدراجا لهم وامتثال الرسول
صلى الله عليه وسلم والمومنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه
الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع

واما الثاني فلان مقتضى المقام ارادة حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غايتها ايلة اليهم من حيث
لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الاخر مما يخل بتوفية المقام حقه
وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دايرة فعلهم مقصورة عليهم او
يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى
ومن حافظ على الصيغة فيما قيل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة
وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع
الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا
لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هاهنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا
يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما
يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا جعل لحوق
وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على ماوف الحواس يختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض
عبارة عما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال اللايق به ويوجب الخلل في افاعيله ويودي الى الموت استعير هاهنا لما في
قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المودي الى الهلاك الروحاني
والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمومنين
من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يومنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على
قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يوثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها
عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية
لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل في قلوبهم من الضعف والجبن
والخوف عند مشاهدتهم لعزة المومنين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز
الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بعنوان النصرة والتمكين [illegible]
[illegible]
في قلوبهم مرض [illegible] ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب
بالمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع [illegible]
[illegible] بما كانوا يكذبون
الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده
اي بسبب كذبهم او بمقابلته [illegible] امنا بالله وباليوم الاخر وهم غير مومنين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابرهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به
لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعايد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي عليه
السلام او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام
او القرآن او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العايد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين وقلص
قلص او للتكثير كما في موتت البهايم وبركت الابل او ان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراه فان المنافق
متوقف في امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** شروع في تعديد بعض من قبائحهم
المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا تدخل الا في الامر المحقق او المرجح
وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقايم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ
وقيل هو مضمر مفسر بالمذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللايقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج
الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما
يودي الى ذلك من افشا اسرار المومنين الى الكفار واغرايهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال لا تقتل نفسك
بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هي عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا
محل له من الاعراب فلا باس بتخلل البيان والاستيناف بما يتعلق بما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي
وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المومنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قالوا**
ارادة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعا كونه اصلاحا محضا
كما سياتي توضيحه **انما نحن مصلحون** اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شايبة الافساد والفساد مشيرين
بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه وما كلام مستانف سيق لتعديد شناعتهم واما عطفه على يكذبون
معنى ولهم عذاب اليم بكذبهم بقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فياباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون
باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا
كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه
استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من
الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته
قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا
ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين
بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم
على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا الا كيف لا وقوله عز وجل **الا انهم هم المفسدون**
ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف
المودي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية
الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا تكاد تقع ما بعدها من الجملة الا
مصدرة بما تلقى به القسم واختها هي التي لما من طلايع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة
للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض للمومنين ثم استدرك بقوله تعالى
ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين
وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها
لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب **واذا قيل لهم** من قبل المومنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما
للنصح واكمالا للارشاد **امنوا** حذف المومن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان **كما امن الناس** الكاف في محل النصب على انه نعت

لمصدر موكد محذوف اي امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على
الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما حققوا ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون
بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس
كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال . اذ الناس ناس والزمان زمان . او للعهد والمراد الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا
لايمانهم **قالوا** مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان **انومن كما امن السفهاء**
مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون على زعمهم الفاسد فيه
خفة وسخافة راي يورثهما قصور العقل ويقابله الحكم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من
الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا
فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب
وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذي يقتضيه
جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المومنين الناصحين جوابا عن نصحهم
وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده
السياق والسباق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون
هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز
ما صدر عن احد المتحاورين في الخلا في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب
الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من
الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين محتمل للشر
بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه
كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعا الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق
على معنى انومن كما امن السفهاء [illegible]
به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير [illegible] **الا انهم**
هم السفهاء ولكن لا يعلمون [illegible]
[illegible]

نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر طباقا لذكر
السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك
مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون المتصف به مفسدا
فأمر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾
بيان لتباين أحوالهم وتناقض أقوالهم في أثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما صدرت به قصتهم تحرير لمذهبهم
والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا
منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله
عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا أبا الحسن إني أقول هذا والله إن
إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما
فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته أي صادفته واستقبلته وقرئ إذا لاقوا ﴿وإذا خلوا﴾ من خلوت بفلان وإليه
أي انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم أي جاوزك ومضى عنك وقد
جوز كونه من خلوت به إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى في قوله تعالى ﴿إلى شياطينهم﴾ لتضمنه معنى الإنهاء أي إذا أنهوا إليهم
السخرية الخ وأنت خبير بأن تقييد قولهم المحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشياطين
في التمرد والمظهرون لكفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون
الشياطين تارة أصلية ونونه فيعال على أنه من شطن إذا بعد فهو بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى
زائدة فعلان على أنه من شاط أي هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق ﴿قالوا إنا معكم﴾ أي في
الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الأحوال وإنما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم عندهم تحقيق
الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم
مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم إحداث الإيمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه والثبات عليه ﴿إنما نحن﴾ أي في إظهار
الإيمان ﴿مستهزئون﴾ بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل
لهم عند قولهم إنا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في كلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا
معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم أنهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ
بالشيء مصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت
بمعنى وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته أي تسرع به وتخف ﴿الله يستهزئ
بهم﴾ أي يجازيهم على استهزائهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم
أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما
في الآخرة فبما يروى أنه يفتح لهم باب إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيذان بأنهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين إلى غاية
ظهرت شناعتها عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم أن يقولوا أما مصير هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه
أن الله تعالى هو الذي يتولى أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم

عنده من باب الاستهزاء الأبلغ حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وإيثار صيغة
الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز وجل أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين
وما كانوا خالين في أكثر الأوقات من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه
قوله عز وجل يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ﴿ويمدهم﴾
أي يزيدهم تعالى ويقويهم من مدد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالحبر والزيت
وإسناده إلى ضميره تعالى للرمز إلى أن ذلك منوط بسوء اختيارهم لما أنه إنما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة
الداعية إليه كما في الأمثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الإمداد وهو صريح في أن القراءة المشهورة ليست من المد في العمر
على أنه يستعمل باللام كالإملاء قال الله تعالى ويمد له من العذاب مدا وحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير خلاف الأصل
لا يصار إليه إلا بدليل ﴿في طغيانهم﴾ مجاوزة الحد في كل أمر والمراد إفراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء
لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي إضافته إليهم إيذان باختصاصه بهم وتأييد لما أشير إليه من ترتب المد على سوء اختيارهم
﴿يعمهون﴾ حال من الضمير المنصوب أو المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير
والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وإسناد هذا المد إلى الله تعالى مع إسناده في قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي جريا
على قاعدة أهل الحق من أن جميع الأشياء مستندة من حيث الخلق إليه سبحانه وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم
والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء النظم الكريم على مسلكهم ركبوا متن التأويل فقالوا أولا بأنهم لما أصروا
على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في طغيانهم فأسند إليه تعالى
ففي المسند مجاز لغوي وفي الإسناد عقلي لأنه إسناد الفعل إلى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بأنه أريد
بالمد في الطغيان ترك القسر والإلجاء إلى الإيمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا
بأن المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه أسند إليه سبحانه مجازا لأنه بتمكينه تعالى وإقداره ﴿أولئك﴾ إشارة
إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله
تعالى ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جنايتهم فيما حكي عنهم
من الأحوال والأفعال [illegible] وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلا عن العقلاء
والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه إليه وقد استعير الأول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه
والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه [illegible]
[illegible]
[illegible]
الدرداء وبالطويل العمر عمرا حيدرا * كما اشترى المسلم إذ تنصرا * فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لأخذها بدلا منه
أخذا منوطا بالرغبة فيها والإعراض عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] فنقول وبالله التوفيق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأسباب وأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق
الاستعارة كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في أن هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة
لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وما سمعوه من نصائحه

المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا
بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان او حمل الهدى على الفطرة الاصلية لكل احد ياباه ان اضاعتها مختص
ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في
اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة
الى هنا ضائعا وابعد من حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على
استعماله اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة تأباه المرة تخل برونق
الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بجزالة النظم الكريم
واما اذا جعل عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي عليه السلام وحقية
دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته عليه السلام في التورية وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على
المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان
نبي يخرج مصدق بما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا يساعد حمل الهدى على
ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل في
حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل
على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها
وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه
المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادها اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم
من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في
نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة
اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رأيت
اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد
يكون مستعارا من ملائم المستعار منه ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ وكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ
للرأس واللحية وللفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس
واللحية لله معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا
للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم
وما كانوا مهتدين اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما
تدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد
استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى
الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا **مثلهم** زيادة كشف
لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها
وابانة لفظاعتها فان التمثيل ألطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة
الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع صورة الجامح الآبي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوس
الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل و
مثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه
غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها

الحاصلة

للمنكر

شأن

شأن عظيم عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي
الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشأن
كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا
الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة
صلة له دون نفسه ولذلك بولغ فيه بحذف ياءه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه
ليس باسم تام بل كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل
النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد
او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله**
الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة
والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتأنيث
لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزلة منزلة
لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليفه للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم**
النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم
وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه
قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها ونحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال
سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس كانه قيل فلما اضاءت
ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خائفين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن
به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما
اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب
الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح
عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت
متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون
لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار نار لا يرضى بها الله تعالى من المحاربة التي بالفتن
والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها بإضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح
او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق البغي والفساد
فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير
فجرى مجرى افعال القلوب فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون
اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة
التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى
وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي
بالهدى الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا حتى كان ينتفع بها

وما

فالمقاها الله تعالى وتركهم في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار **صم بكم عمي** اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصما وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هوا يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر والاعتبار واعلاخ (؟) لك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل الغريب البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال • ويصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السما • لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة يحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير • لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم • **فهم لا يرجعون** الفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لشعورهم بالسمع والنطق ولاختلال شعور الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة والآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفا نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقا حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم • وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال • ويرخى في حلبته اعنة المقال • ويمد لشرحه اطناب الاطناب • ويعقد لاجله فصول وابواب • لما ان كل كلام له حظ من البلاغة • وقسط من الجزالة والبراعة • لا بد وان يوفى فيه كل حق من مقامي الاطناب والايجاز • فما ظنك بما في ذروة الاعجاز • التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتي من الضماير المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ • عفا آية نسج الجنوب مع الصبا • واسحم دان صادق الرعد صيب • ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب **من السما** متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسما هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه عن الحسن انها موج مكفوف وممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها او كل ما يحيط به كل افق منها سما على حدة قال • ومن بعد ارض بيننا وسما •

كان كل طبقة من طباقها سما قال تعالى واوحى في كل سما امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلاله بما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتهما للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكلاهما وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاعتماد وقيل بالابتدا والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضماير في قوله عز وجل **يجعلون اصابعهم في آذانهم** للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضي الله عنه • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الما المضاف الى بردى لا الى بردى الاجرى واشار الى الداخل للمبالغة في بيان السابح باعتبار الزمان كما ان يراد بالاصابع مثلا بدل الانامل للاشباع في بيان الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايما الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب وهي استيناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم • سقاه من الغيمة • والصاعقة قصفة رعد هائل معها شعلة نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وقرئ من الصواقع وليس بقلب من الصواعق لاستوا كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته **حذر الموت** منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عورا الكريم ادخاره • واعرض عن شتم اللئيم تكرما • ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل نصب على المصدرية اي يحذرون حذر الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط شبه شمول قدرته تعالى اياهم وانطوا ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة ...

الاستعارة والمشبه على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة اعني الاحاطة
والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل فادق ووضع الكافرين
موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب للايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله
تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا
الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى
في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام
لشأن المشبه **يكاد البرق** استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد
يخطف ابصارهم اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ
اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن
كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله . فأبت الى فهم وما كدت آيبا . وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في
قول رؤبة . قد كان من طول البلى ان يمصحا . كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقاربة في اصل المقاربة
وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة
التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء ويخطف بكسر الطاء من صيغة التفعيل
ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضاء لهم** كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف
اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل
في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا
باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف اي كلما لمع لهم على انه
لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء **مشوا فيه** اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان
يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما **واذا اظلم
عليهم** اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام زائدا على الاستتارة اسند اليه مجازا
تحقيقا لما اريد منه من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول
ابي تمام . هما اظلما حالي ثمت اجليا . ظلاميهما عن وجه امرد اشيب . ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول
قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم
الوصول الى المقصد والالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على
المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير
اللب ما لا يوصف **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** كلمة لو لتعليق حصول امر مفروض فيه هو الشرط
لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر
واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او
جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لاستحالة ضرورة استلزام انتفاء
العلة لانتفاء المعلول اما مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني
لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء
وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط
كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد
يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله
سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد

الآلهة

الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء
الملزومين حقيقة في الاولى وادعاء باطلا في الثانية ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم ولكن لا بطريق
السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني
للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك
لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها لوجوده اي ضوء كان يكمن القمر الحاصل بعدم
الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني
الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له اولا فان اعتبر فالدلالة
تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد
الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة بسبب آخر له كأنه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء
بسبب آخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء مستمر عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند
طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم
تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي . انها لابنة اخي من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته
عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثرهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة
وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا
ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه
بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه الصلاة
والسلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فان الاجوبة المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث تجب ثبوتها في نفس
انتفاء اسبابها وتحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة في مثل قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى ولو كانوا مهتدين وقول عمر رضي الله
عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان حمل على ان عدم العصيان في
ضمن عدم الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على نسيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا
القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم
من الشدائد وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت
بمقتضيه امضيا تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما
لانتفاء الآخر بمنزلة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله . فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع . اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولكن لم يشأ لما تقتضيه
من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
والافراد في المشهور لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل
على الاية الاخرى وقوله عز وجل **ان الله على كل شيء قدير** تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته
تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من
حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بما يقتضيه اختصاص القدرة به
لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقد قيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقدرة

هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير
الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاءه عليه
فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى
قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها
يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل
مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كأن قلوب
الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • بان شبه المنافقين في التمثيل الاول بالمستوقدين
وهداهم الفطري بالنار وتاسدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به
باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري اخذا الضلالة بمقابلته ملابستهم الظلمات الكثيفة
وبقاءهم فيها وشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحيوة الابدية
بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال
بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد
والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن
الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه
التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فيشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات
الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع
من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة تحاكيها فيشبه كل واحد من الاولين بما يضاهيها
من الاخرين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا
مع امر زائد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان تلك المفردات مستتبعة لهيئة عجيبة حقيقة بان
تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس
في شأنه الى ثلاث فرق مؤمنة محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة
والشقاق واخرى مذبذبة بالخداع والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم
من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم على الاصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي
لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع
لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب
اليه من حبل الوريد او استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على
غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما بعده امر خطير يعتنى بشأنه واي اسم مبهم جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم
رفعه واحد مع اتصاف موصوفه بمحل اشعارا بانه المقصود بالنداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه
ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف
لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان
تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى
الحال المبالغة والتأكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر

لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شائعا ذائعا واما من عداهم
ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطابات المشافهة وانما دخولهم تحت حكمها لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة
ان مقتضى خطاباته واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم
ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها
الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ
كفارا ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك
الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء
شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر به منتظم للامر بما لا يتم الا به قد علم من الدين ضرورة
اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال
القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القرآن
من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن
لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من
الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورد النص بذلك لكونهم
المعنيين منه واخبارهم كذلك لورود النص بذلك فلا حجر اصلا نعم تخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف
ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لتأكيد موجب الامر للاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر
التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب
الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق
النعل اي قدرها وسواها بالمقدار وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على
الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد
بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين
يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقد قرئ وخلق من قبلكم
وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كاقحام الاخر بين المضافين في لا ابا لك
او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون من قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي
لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى
اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني
وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم
في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر
تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة
له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم بتنزيل
ارادته ذلك المعنى لاستحالة التوقع من علام الغيوب عز وجل مصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه

تعالى من عباده التقوى مع كونهم بمثابة لها لتعاضد اسبابها برجا الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول
في تحقق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية
حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وهو المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى
اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه
ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة
المشبهة بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا
واما حمل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز
تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا
او لا تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما
تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ترتيبه
ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد
خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب
واشار يتقون على يعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في
ايجاب العبادة في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها
الزم والاتيان به اهون وان دعت جهة المخاطب فلعل لترجيها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا
كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد
بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله تعالى عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن
مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي فيها يتنافس المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين ابتدائه وانتهائه
والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد وعن كل ما يؤثم
عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم
من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التأخير من زيادة
طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق الترجي بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول
خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج
ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم
بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجا قطعا واعلم ان
الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم
باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين
فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم
عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم
موضحة او مادحة او على تقدير اخص او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ في المرفوع اجراء للموصولين
على سنن واحد واما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان
بعده مفعولاه او بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول
الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند تأخير ما حقه

التقديم

التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن ولما في
المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل
بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها
والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها
مصحح لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض
لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد
والمتعدد او جمع سماوة او سماءة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على
امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اي انزل
على جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي عنه عليه الصلاة والسلام والمراد بالسماء
جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية
متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اذ كان نعتا له قدم عليه لكونه نكرة واما تقديمه
الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التأخر عن المفعول الصريح فلما ان السماء اصله ومبدؤه واما لما
مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى **فاخرج به** اي بسبب الماء **من الثمرات رزقا**
لكم وذلك بانه اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار وكيفياتها
المتخالفة على المادة الممتزجة منها وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر
على ان يوجد جميع الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة
في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم ظاهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمأنينة الى عظيم قدرته
ولطف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني
ماء ورزقا كأنه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم
ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل الرزق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق
ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا وجوزوا ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا
منه او مصدرا من اخرج لانه في معنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع الكثرة لانه
اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتعاقب بعضها موقع
بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل
رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب
عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا النهي وجه
له شركاء او اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار الحرمة ... وفي ايقاع الاسم الجليل موقع الضمير
لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية
واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او الانتهاء
او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوه بها
والاظهار في موضع الاضمار لما مر انفا او نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك
فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومنشؤها وقيل
هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم

لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تنبيه لعل في بعد المرجو منه
كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة التمني البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي
جعل الى اخره على تقدير رفعه على المدح او هو الذي جعلكم بهذه الايات العظام والدلالات النيرة
فلا تتخذوا له شركا وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما
فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل
الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناد
من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المماثل بالمساوي في المقدر
وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا
انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من
تعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من
خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد
ابن عمرو بن نفيل ۞ ارب واحد ام الف رب ۞ ادين اذا تقسمت الامور ۞ تركت اللات والعزى جميعا ۞ كذا يفعل الرجل البصير
وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب
الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك انه قبيح واجب الاجتناب عنه
والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقايق الامور واصابة الراي ومقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم
تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل
مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين
وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر
المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في
الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى لك النظر نحو قصر
النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف العالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة والتوبيخ
والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى
نفس النهي مع تصيير تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلنا السر في تخصيصه بالكفرة في
الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السياق والسباق اذ لا انه محيد في
التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رفع محل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز
الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر الاية
الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي غب لما انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه
ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع في تحقيق ان الكتاب
الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله
عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكر فيهما من الايات الكونية الدالة على ذلك صادرة
منه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع الاية الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها ابراؤها
عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب
عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من
المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكير ريب وتصديره
بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة

الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الى اخره
لما اشير اليه لما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله
تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم
فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته
وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب
في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه
وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا
من عند الله جل وعلا وايثار التنزيل المنبي عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشا ارتيابهم وبناء التحدي عليه
ارخاء للعنان توسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة يجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل
ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فرد من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم
من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله
عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز
وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء
عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر
في قوله **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية
الارتياب للامر والاتيان بالمامور لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا
وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على
ما يقدر عليه ساير بني نوعكم والسورة الطائفة من القران المعنونة بحوزه على حيالها او محتوية على فنون رائعة
من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ۞ ولرهط حراب وقد سورة ۞
في المجد ليس غرابها بمطار ۞ فان سور القران مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر
فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة
فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه من قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة
والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة
سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا
ببعض [illegible] منه لكون المماثلة من تتمة المعجوز عنه [illegible]
[illegible] على [illegible] حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم
بان ما سبق [illegible] على تسليم ذلك منهم وتسويته ولو بغير جد وقيل هي
ابتدائية على ما هو راي الاخفش ويؤيده قوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله وقيل هي [illegible] والضمير للمنزل عليه
[illegible] الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا [illegible] التحدي على الاتيان [illegible] وقد عرفت ما فيه
خلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية [illegible]
[illegible] التحدي بمجرد [illegible] عليه السلام [illegible] للاتيان بالمامور به [illegible]
على عجزهم [illegible] ذلك في الجملة [illegible]
من انه افضل من [illegible] وجود مثله [illegible]
وجلية المعاوضة [illegible] قوله تعالى **وادعوا شهداءكم من دون الله** [illegible]
على الاتيان [illegible] واحد [illegible] جمع شهيد [illegible]

والقائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شيء يقال هذا دون ذاك اذا كان انحط منه قليلا ثم
استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في تجاوز
حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من
اما متعلقة بادعوا وتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من
حضركم كائنا من كان والحاضرون في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات
وتعولون عليهم في المهمات والقائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امائلكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ
القول عند الولاة والقائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من
ايه واما في سائر الوجوه فالتصريح به [illegible] منه تعالى وكونه في عداد المحاربة والمشاقة
فامر باستظهارهم على ما سواه [illegible] لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا [illegible]
الله شهداكم الذين [illegible] وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله [illegible]
ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وظاهر الاستحالة [illegible]
[illegible]

اوليا

اولياء الاصنام كما انه ذكر الله تعالى في مقابلة ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج
الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء الامثل لهم الى الاحد الحائين كما هو المعتاد واكتفينا بزكائكم
المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشاهدون لكم حذارا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان
كيف وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء
التحدي وعدم تناوله للاولياء لشهداء وابهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا الى اثبات
مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انه من كلامه عليه
السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى اخره واستلزام
المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه
السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم
والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على
الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به **فان لم تفعلوا** اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعدما بذلتم
في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول. وانما لم يصرح
به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره لا كلام على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل المامور به
مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري يستقل به المقام وهو الايذان بان المقصود
بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته
وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول
لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت ومتعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة
فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه
بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم
يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون
مثلا معنى فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع ترشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون بعد قوله ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى
غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف بالشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال بالسعي في تحقيق المامور
به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله
تحقيقا للمطلب. واعراب المعترض. هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة
التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضماير الراجعة اليها احترازا من التكرار وعلى طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم
من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فقد بر واشار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم
مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم **ولن تفعلوا** كلمة لن لنفي المستقبل ولا خلاف في ان فيها
تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى
المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقررة لمضمون مقدمها ومؤكدة لايجاب
العمل بها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه
بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف **فاتقوا النار** جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز
من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا
من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه وتعالى فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية
على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به من قبيل الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار

وجعل مصدر الفعل ح

كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا اتضح صدقه عندكم كان لزومكم العناد وترككم الإيمان سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي وقودها الناس والحجارة** صفة للنار مورثة لها زيادة تهول وفظاعة أعاذنا الله من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب ويابس إلا أحرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقوده من حطب وحشيش وإنما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضيه لكونه انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوما للمخاطب بناء على أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية **أعدت للكافرين** أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن لا من ضميرها ووقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف **وبشر الذين آمنوا** أي بأنه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على المقصود عطف نفي الأمر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ومعرفة ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبيل لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على أعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من أن يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته وعدا معيدا للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على إحداث الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يأتي منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فإنه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل أحد ممن يأتي منه ذلك وفيه رمز إلى أن الأمر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر أثره في البشرة ومنه تباشير الصبح أوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال البدنية الصالحة التي أشير إليها إجمالا في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة مجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء به **أن لهم جنات** منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضمار مثل الله لا بفعل والجنة هي المرة من مصدر جنه إذا ستره يطلق على النخل والشجر المتكاثفة المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير * كأن عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقي جنة سحقا * أي نخلا طوالا ثم على الأرض لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر على الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها مع أن فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لأنها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس * وجنة عدن * وجنة النعيم * وجنة الخلد * وجنة المأوى * ودار السلام * وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الأعمال وأصحابها **تجري من تحتها الأنهار** في حيز النصب على أنه صفة جنات

فإن

فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل عن شهود وأن أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وعوض من المضاف إليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر في قوله عز وجل فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو على المجاز اللغوي والمجاري أنفسها وقد أسند إليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة أخرى لجنات أخرت عن الأولى لأن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا باعتبار أهلها المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه حين وصف الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع أثمارها كثمار جنات الدنيا أو لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على أن الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة إلى ما رزقوا وإن وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك وإن أشرت إلى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك إنما تعني به ذلك النوع المستمر فالمعنى هذا الذي رزقناه من قبل أي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير معروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك أو مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لأن طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فالأول أنسب للمحافظة على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا إلا فيما عدا المرة الأولى يظهر ويدل على التبجح وفرط الاستغراب الناشئين بهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحاد بينهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما أصلا كيف لا وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بأن مستلذات أهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات الحال فيجوز أن يريدوا هذا الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب **وأتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الأول راجع إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني إلى الرزق **ولهم فيها أزواج مطهرة** أي مما في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال * وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت * فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن وما هو إلا الله سبحانه وتعالى

النظم فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما قرن من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقا النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنايهم عن الاولاد كما ان المدار به لبقا الفرد ليست معتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دايمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يعضده من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مولفة من الاجزا المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المودية الى الانحلال والانفكاك مدفوع بانه قياس لذلك العالم الكامل بما نشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شي منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المومنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يودي اليها من العقل والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغا من اهل المدر والوبر ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال عطا عنه رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضة العقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغا واشارات الحكما ومن قضيته وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل فيمثل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفها باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء انقباض النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضا وكان من يعتريه الحيا يعتل قوته الحيوانية وينتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد حذف منه احدى اليائين قوله • الا تستحي منا الملوك وتتقي • محارمنا لا يبوء الدم بالدم • وقوله • اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد • فكانه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما

صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديث ترك الكريم تركه تعذيب ذي الشيبة وخيبة العبد من عطائه بترك من تركهما حيا لذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي منه لا سلب وصف الحيا عنه تعالى راسا كما في قوله ان الله لا يوصف بالحيا لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تفاصيل الدواعي الى ضربه وانتفاء البواعث الى تركه اذ الاستحيا انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشيا المحقرة كما في قول من قال

• من مبلغ افنا يعرب كلها • اني بنيت الجار قبل المنزل • وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه في نفسه والا لكان انشا الامثال السايرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لما تعهد ان الانشا هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في نفسها لكن التعبير بالضرب ليس لهذا الاعتبار بل لاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك ضرب الامثال في مضاربها تطبيقها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تعاد حسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها كحالة الامثال التنزيلية وقبل ذلك كسائر الامثال السايرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلصق به بجامع الالصاق وكان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بالجار عند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضا الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها محلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي شي فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها اسمية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشي فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة او بعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان تكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شي فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل

مما يزيد ونظمه في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها حين
ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها
درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام
ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كامثال ما حكي من
الخرور **فاما الذين امنوا** شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيقة صدوره عنه
تعالى والفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين امنوا
الى اخره وتقديم بيان حال المومن على ما حكي عن الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين
باما من احماد امر المومنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن
من شي ولذلك تجاب بالفا وفايدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر
جميعا وقد تقتصر على واحد كما في قوله عز من قايل فاما الذين في قلوبهم مرض فالجملة لانها الجزا
لكن كرهوا ايلاها حرف الشرط فادخلوها الجزء وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول
فريق المومنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الاتي فريق الكفرة لا من يومن بضرب المثل ومن يكفر به
لاخلال المعنى اي فاما المومنون **فيعلمون انه الحق من ربهم** لساير ما ورد منه تعالى والحق هو
الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره واللام للدلالة على انه مشهود
له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتدا الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن
في الحق او من الضمير العايد الى المثل او الى ضربه اي كاينا او صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى الكمالات
اللايقة بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند
الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفا بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في
قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره
المغني عن الذكر **واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على لا يعلمون
حسبما يقتضيه ظاهر قرينته دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس
بمثابة انكارها والاستهزا بها صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق
ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم
فان منهم من يعلم بها وانما يقول مكابرة وعنادا او حمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد
تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن
لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على
الحق المبين وماذا اما مولفة من كلمة استفهام وقعت مبتدا خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعايد
محذوف فالاحسن ان يجي جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شي فالاحسن في جوابه النصب
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه او القوة التي هي مبدوه والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلاهما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله
كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد
طرفي المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع
تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على الحال او على التمييز كما في قوله

تعالى ناقة الله لكرامتها وليس مرادهم بهذه العظيمة استبهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على
الفايدة مع اعترافهم بصدوره عنه عز وعلا بل غرضهم التنبيه بالدعا انه من الدناة والحقارة بحيث لا
يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده
سبحانه فقوله عز من قايل **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان
انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية في الدلالة على حقيقة
فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتحاشيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه لتساويهما
في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتدا كما ينبي عنه قوله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتذكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سو اختيارهم وايثار صيغة
الاستقبال لما انهما بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلالا كثيرا وهدى به
كثيرا وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم
من الجواب امرا فظيعا يسوهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه في الذكر وقيل هو بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ارادته والانكار لحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى
بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم
الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل ارادة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد
وفي الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ٭ ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا ٭ كما غيرهم
قليل وان كثروا ٭ واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشيا مخلوقة له تعالى
وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح
بالسبب يضل به كثير ويهدي به كثير على البنا للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفا بالاول
لزيادة تقرير السببية وتاكيدها **وما يضل به** اي بالمثل او بضربه **الا الفاسقين** عطف على ما قبله
وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له وتاكيد الدالة
على ان ذلك ليس اضلالا ابتدايا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما
يضل به الا الفاسقون على البنا للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة
من جحرها اي خرجت ٭ قال رؤبة ٭ يذهبن في نجد وغور غايرا ٭ فواسقا عن قصدها جوايرا ٭ وفي
الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث
الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا لها ٭ والثانية الانهماك في تعاطيها ٭ والثالثة المثابرة عليها
مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه
بالتصديق الذي به يدور الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا
الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده ولم يتيسر لهم ادخال
الفاسق في احدهما جعلوه قسما بين قسمي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد
بالفاسقين هاهنا العاتون المادون في الكفر الخارجون عن حدوده حتى حكي عنهم ما حكي من الكلام الشنيع في حقه
تعالى والاستهزا به وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبايح للايذان
بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على
الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير

بما هم عليه من الفسوق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد
من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلا المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان
ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال
عهد اليه كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على
عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا احكامه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة
الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم
السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه**
الميثاق اسم لما يقع به الوثاق والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول
ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من الالتزام والقبول وان رجع الى لفظ الجلالة
يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى
الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام
او من بعد ان وثقه الله تعالى عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى
من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه الله تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض
خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل
والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول
بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شيء وهو مصدر
شاء لما انه اثر للمشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك العالم وصلاحه
اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها
اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم
في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال
الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات الى الخطاب
المذكورين مبني على ايراث ما عدد من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتعجيز
والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
الى آخره بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس
الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى
جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم امواتا** الى آخر الآية
ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان

الداعية

الداعية عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا
وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون
به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا مخلقة وغير مخلقة والاموات
جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى الى
بلد ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب
فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما
اشير اليه آنفا **ثم يميتكم** اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من
النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم
بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ
في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت **ثم
اليه ترجعون** بعد الحشر الى الغير فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم للحساب
وهذه الافعال وان كان بعضها مستقبلا لا يستدعي مقارنة شيء منها لما هو حال لكانه قيل كيف تكفرون بالله
وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما
ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم
لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في
القوة الحساسة او ما يقتضيها وبه سمي الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما
يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل
كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها مراد
صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى يقتضي ذلك
يرجعون ينتج الثاني والاول الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض** تقرير للانكار وتأكيد له
من الحيثيتين المذكورتين فان ما يتعلق بذو القوم من الاحياء والاماتة والحشر داخل في الحث على الايمان والكف
عن الكفر ما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وهي الضمير مبتدا والموصول خبره والدلالة على الجلالة
ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه
كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة
وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها
الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو فانها مما خلق لكم ضرورة
وجود الجزء والكل وجميعا حال من الموصول الثاني وكلمة ما باقية على عمومها فان كل فرد من افراد ما في الارض
بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي يدور عليه انتظام
مصالح الناس اما من جهة المعايش فظاهر واما من جهة الدين فلانه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما
لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين ولم يتعرض له
لعدم **ثم استوى الى السماء** اي قصد اليها بارادته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق
آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هنا
اما لعدم تحققه في خلق السفليات المروي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله

عنه خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق
منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وثم
لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان
بما فيه من المزية والفضل عن خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق الارض المتأخر عن
دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد
بالسماء الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو
فسواهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن
كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول
كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل جمع سماة او سماوة وعلى
الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى **سبع سموات** كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من
الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونها اقوى منه في الدلالة على
كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك
اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي
في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى **وهو بكل شيء عليم** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من
خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة
فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها وما لا يليق بكل
واحد منها مستدع لان يخلق كل ما يخلق على الوجه الرائق وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد **واذ**
قال ربك بيان لامر آخر من جلائل الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه
السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية
عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية
التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى
الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه
الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية
وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني
ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل انه منصوب
على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه وايا ما كان فهو معطوف
على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي
الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك
لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك
فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من تفاصيله
الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات

دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية
المتقدمة وبدء خلقكم اذ قال الى آخره ولا ريب انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم وباحيائكم
مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا
للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام
بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة
كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه
مقلوب من مألك من الألوكة وهي الرسالة مصدر بمعنى المفعول فانهم بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله
عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة
قائمة فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم لديهم
عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة
واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن
الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم
ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثيرهم
في شرح كثير تفسيره انه عليه السلام قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع او ساجد
ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء
كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء الكل عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية
وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من
سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما
فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم له زجل
بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم
ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى
اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو
روي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم
منذ خلقت ولا ارى منهم احدا رأيته قبل ذلك ثم سأل واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله
عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منه منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما
اعظم قدرته وما اعظم ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل انهم ملائكة الارض وروي
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا
سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر
البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك
السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه
العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم انهم كل الملائكة لعموم
اللفظ وعدم المخصص تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وجاعل
اسم فاعل بمعنى المستقبل ولذلك عمل عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك

لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما
هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا
وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم تصير في الارض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي
اني جاعل خليفة من الخلايف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل
في الظرف فهو لا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة
فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثاني والظرف متعلق بجاعل
قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما
المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الداعية عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله
ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف
عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما نفصل كانه قيل اني خالق بشرا
من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض
لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما
عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه
حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث ما جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير
قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى
مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر وحينئذ لا يكون ما سياتي من كلام الملائكة
مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون
ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا
ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم
عليه السلام وبنوه ربما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بابيه التصريح بالنسب
وقرئ بعض يذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلق يخلف فيعمه عليه السلام وغيره
من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه وتعالى في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين
الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم
لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع قالوا
استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول فالظاهر ان الاول كلمة
من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر ههنا قال قائلهم
لا تخلنا على غرائك انا • طالما قد وشى بنا الاعداء • فحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين والمعنى اتجعل
فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد
الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز
كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد
في الارض كيف لا وانما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة
لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من شانه

نحو ما عد من الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه يستتبع
لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على
تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي
جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله
على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان
يظن بهم امثال ذلك قال الله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا
اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص
العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر ويسفك الدماء السفك والسبح والسفح والشن والسكب انواع
من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق
والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك من اسفك
وسفك ويسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء
فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد
في خدمة مولاه وهو يامرها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شان ذريته
الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم
عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة التي رتبها الاقرا
سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتها القوة العقلية ومرنتها على الخير يحصل من ذلك بعلو
الدرجة وما يقصر عن بلوغ رتبته القوة العملية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر
الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا
ذهب فيها وابعد ويقال ابعده اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الضمير اي نتنزهك عن كل ما لا يليق بشانك متلبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم
التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام
في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة
بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى
نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي هو اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء
الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك والاظهار بل بيانا للواقع قال
استيناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا
ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه
عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد
فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه
وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته
وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن
الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان
افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير

فالمين بذلك ويكون تعجبهم مبنيا على موردهم واشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم
عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما وذلك ولكنهم مترددون في انها ماذا اهل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل
او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الابهام والاجمال ان فيه فضايل غايبة
عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم
بالكلية وعلم ادم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا
لابهامه وهو عطف على قال والاسناد لحكاية التعليم بل نظاهره على ان ما هو من المقاولة الحكية انما جرى
بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليهم السلام بان قيل ان نفخ
الروح فيه اي جاعل اياه خليفة بقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة
تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب
ان وزنه فاعل كآلخ وعاذر وعالب وعابر وفالج لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمه والادم
بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم او الادمة بمعنى
الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الا
شتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا
في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على
معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من
حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه
ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما
في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي فيه تشترك
البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل
احوال الجزئيات الجسمانية خبرا والمعنى تعليمه تعالى اياها ان خلق فيه اذ ذاك علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات
واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او القى في روعه تفصيلا ان هذا فرس شانه كيت وكيت وذاك بعير
وحاله كيت وكيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه
قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا واسمائها وخواصها ومعارفها
واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمال الاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل
خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه
ونفخ فيه الروح وعلم الى اخره ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسما كما في قوله
تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او
مسمياتها في الحديث ان الله تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما
يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم
واظهار لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة
بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك
يجري مجرى كل منهما فالمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفع شان الاسماء وعظم خطرها
وان النبا انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احق بالخلافة ممن استخلفته

كما بني عنه مقالكم والتصدي لما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من
الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على تمامها في الارض واما ما قيل من ان المعنى ان زعمكم اني
استخلف في الارض عند من يمكن للدما فليس بما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم اني استخلف
في الارض مفسدا من يسفك الدما فليس بما يقتضيه المقام من غاية نبوه الافساد وسفك الدما من غير ان
يكون له مزيد من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانبا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا
استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا احينئذ هل خرجوا عن عهدته او لا فقيل قالوا سبحانك
قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جا غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والا
والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه سبحانا نعوذ له فقيل من
للضرورة وقيل انه مصدر منكر كغفران اسم مصدر ومعناه على الاول سبحك عما لا يليق بشانك الاقدس
من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشيا عن كمال الطمانينة اليقين
والايقان باشتمال استخلافه ادم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها تاما
تمهيد لذلك واراد وابه انهم قالوا عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه
وانه يقدر على ما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل لا علم لنا الا ما علمتنا
اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا حسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا
ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دايرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما قوله تعالى انا ٣
موصوله حذف من صلتها عايدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم
يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه
من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر
بعد خبر وصفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشاركا لما قبله كما قاله
الفرا ولما بعده كما قال الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدا خبره ما بعده
والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما فهم من ذلك من علم ادم عليه
السلام لما هم بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي تدور
عليها فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل
له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بما في الارض من انواع الاحكام الواردة على ما في الارض
وبنى امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا ادم انبئهم اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملا
عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليه السلام لها ابرز واضح غير محتاج الى
ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره بتقلب الامر وجعلها ايضا و
مكونة فيهما باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انباهم باسمائهم
الفا فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف تقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه
عن الذكر والاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان
بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم
احوال كل منهم وخواصه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام انباهم بها ولم يتلعثم
في شي من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسما والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير

ذلك من القرائن الموجبة لصدقهم قطعاً لأنه عليه السلام فلما أنبأهم بذلك قال عز وجل تقريراً لما مر
من الجواب الإجمالي واستحضاراً له **ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض** لكن لا لتقرير نفسه
كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم
عليه السلام لظهور مصداقه به أي أراد بما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافاً إلى السموات والأرض للمبالغة
في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم من الأمور المتعلقة
بأهل السموات والأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير إليه هناك كأنه قيل ألم
أقل لكم إني أعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه عز وجل **وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول وما في
الموضعين موصولة حذف عائدها أي أعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار
كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم أتجعل إلى آخره وبما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا
يخلق خلقاً أفضل منهم روي أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة قالوا ليكن ما شاء فلن
يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وترك السجود فإسناد الكتمان
حينئذ إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف
الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله
تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل
على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبيناً له معانيها وذلك يستدعي سابقة
وضع وما هو إلا من عند الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لزم التكرار فإن علوم الملائكة
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا
إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لأنه أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء
قبل حدوثها **وإذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الأول منصوب بما نصبه من المضمر أو بناصب مستقل
معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا
وقت قولنا إلى آخره وقد عرفت أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كونه مقتضى الظاهر إيراده على
منهاج ما قبله من الأقوال المحكية المتصلة للإيذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والشكر
على حيالها والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار
الملائكة في موقع الإضمار واللام في الكلام للتبليغ وتعديتها مع مجرورها على المفعول لما مر [بضم تاء الملائكة]
إتباعاً لضم الجيم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله إتباعاً لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة
الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة قيل أمروا بالسجود له عليه السلام
على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله وأداء لحق التعليم واعتذاراً عما وقع منهم في شأنه
وقيل أمروا بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيماً لشأنه وسبباً لوجوبه كأنه تعالى لما برأه أنموذجاً
للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط واحد بديع
أمرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه ۵
● أليس أول من صلى لقبلتكم ● وأعرف الناس بالقرآن والسنن ● أو كما في قوله تعالى أقم الصلاة
لدلوك الشمس والأول هو الأظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى
الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب أن أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم
سائر الملائكة **إلا إبليس** استثناء متصل لما أنه كان جنياً مغموراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم

غلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم
الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أو لأن الجن أيضاً كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة
عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقاً من الإبلاس وهو اليأس قال إنه شبه
بالعجمة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي واعلم أن الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الأعراف
من قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب على الأمر التنجيزي
الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح فيه حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع
الذي به ورد الأمر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين إلى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الأمر التعليقي
من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام
وقد روي عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الأمر
التعليقي بعد تحقق الأمر المعلق به إجمالاً فإنه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الأعراف من كلمة
ثم المنادية بتأخر ورود الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي
على التراخي الرتبي والتراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور به
منزلة العدم جعل كأنه إنما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد التسليم إلى أن ما جرى
بينه وبينهم عليه السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا إنما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة
جلالة منزلته عليه السلام وخروج إبليس من البين باللعن المؤبد لمعاداته وبعد مشاهدتهم لذلك كله عياناً
وهل هو إلا خرق لقضية العقل والنقل والإلجاء في التفصي عنه إلى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم إفاضة
ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الأسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ●
ويستدعيه النظر الأنيق ● بعد التصفح في شتون عالم التكوين ● والتفحص عما فيه من الرموز ● أن سجودهم
له عليه السلام إنما ترتب على الأمر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار
بخلافته المتفرع جميع ذلك في سلك ما نيط به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس مضمونه وجوب
السجود عقيب نفخ الروح فيه فإن الفاء الجزائية ليست نصاً في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود
الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى إذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الآية وعدم وجوب إقامة الصلاة عقيب الاطمئنان في قوله تعالى فإذا اطمأننتم
فأقيموا الصلاة وإنما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية إلى ورود الأمر فيه من
الأمر التعليقي إثر إطلاع الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام لابتنائه على
حكم أنيقة وأسرار خفية ● طوت علم علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الأمر التنجيزي وترك
الأمور المذكورة في السور الكريمة عند الحكاية لا يستلزم عدم توسطها فيه عند وقوع المحكي كما أن عدم ذكر
الأمر التعليقي عند حكاية الأمر التنجيزي في السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فإن
حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ● ويستدعيه حسن الانتظام ● ليس بعزيز
في الكتاب العزيز وتأمل في قوله تعالى وتوجيه قوله تعالى عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام
بذلك بحث صبر الله أنه لم يرد به نقل ما أطلعك عليه وقد تم التفريع في مواضع عديدة فليتأمل في
القول إليهم إنه اتجه ما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالاً إذ لا يبعد أن يكون قيل إذ قلت لكم
إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتحقق شأنه فقعوا له ساجدين فخففه

ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقي إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بأن قيل
إثر نفخ الروح فيه إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهنالك ذكروا في حقه عليه الصلاة والسلام ما ذكروا فأيده
الله عز وجل بتعليم الأسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا وعند ذلك ورد الأمر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به
وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الأمور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن
آخر والذي يحسم مادة الاشتباه أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة إلى آخره بدل من قوله
تعالى إذ قال ربك للملائكة إلى آخره بدل من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون أي بكلامهم
عند اختصامهم والمراد بالملأ الأعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور الأمة وبما
جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء
بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الأمر التعليقي
وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد إبليس
وما تبعه من لعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأقوال والأفعال إذ ليس تمام الاختصام بعد سجود
الملائكة وإباء إبليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الإنباء
بالأسماء حينئذ فهو إذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما بأحد الطريقين والله أعلم بحقيقة الأمر **أبى**
واستكبر استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد والتأمل بل
للإباء والاستكبار والإباء الامتناع بالاختيار والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع أي امتنع عما أمر به
واستكبر من أن يعظمه أو يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الإباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره
ووضوح أثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء حيث قيل أبى أن
يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** أي في علم الله تعالى أو كان أصله من كفرة الجن ولذلك ارتكب ما ارتكبه
على ما أفصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار أو
صار منهم باستقباحه أمره إياه تعالى بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه أنه أفضل منه والأفضل لا يحسن
أن يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله أنا خير منه جوابا لقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت
أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على
انحصار الإباء والاستكبار كفر لا أنهما سبب له كما تفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم
عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وإبليس من الأقوال والأفعال وقد تركت حكاية
توبيخ إبليس وجوابه واستطارة اجترائه بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح
في ذلك اختلاف وقتيهما فإن المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف
على إذ قلنا بإضمار إذ وهذا تذكير لنعمة أخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء
في قوله تعالى **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص أصل
الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والإقامة
والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في
وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه وناس من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان
معه من يستأنس به فألقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ ضلعا من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحما
وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت
قالت لتسكن إلي فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء

اخرجت قالوا أما اسمها قال حوا قالوا لم سميت حوا قال لأنها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحوا على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور
حتى إذا أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة
وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل
الإهباط على النقل منها إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لأن خلقه عليه السلام كان في الأرض
بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم
النعم ولأنها لو كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل إنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الإهباط
الأول كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وقيل الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع **وكلا منها** أي من ثمارها وإنما وجه الخطاب إليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة
في إزالة العلل والأعذار وإيذانا بتساويهما في مباشرة المأمور به فإن حوا أسوة له عليه السلام في الأكل
بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد أي أكلا واسعا رافها **حيث شئتما** أي أي مكان
أردتما منها وهذا كما ترى إطلاق كلي حيث أبيح لهما الأكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم
يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله
تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر إذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم سيبويه
يقرب قربا أي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على أنه بدل من اسم الإشارة أو نعت
له بتأويلها بمشتق أي هذه الحاضرة من الشجرة أي لا تأكلا منها وإنما علق النهي بالقربان مبالغة في تحريم الأكل
ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة أو العنبة أو التينة وقيل هي شجرة من أكل منها أحدث والأولى
عدم تعيينها من غير قاطع هذه بالياء وبكسر الشجرة وما تقربا الشيرة بكسر الشين وفتح
الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على أنه معطوف على تقربا أو منصوب على أنه جواب للنهي فأيا ما كان فالقرب
أي الأكل منها سبب لكونهما من الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا نفوسهم بمباشرة
ما يخل بالكرامة أو النعيم أو تعدوا حدود الله تعالى **فأزلهما الشيطان عنها** أي أصدر زلتهما
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما
وأبعدهما عنها يقال زل عني كذا إذا ذهب عنك ويعضده قراءة أزالهما وهما متقاربان في المعنى فإن الإزلال
يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وإزلاله قوله لهما هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين [illegible]
مشعرة بأنه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف [illegible]
الأرض [illegible] واختلف في كيفية توصله إليهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل إنه
منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم
وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
فدخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه **فأخرجهما مما كانا فيه** أي من الجنة إن كان
ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للإيذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له من المكان العظيم الذي كانا
مستقرين فيه ومن الكرامة والنعيم إن كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله
تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وإبليس على أنه
أخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو أهبط من السماء وفي ضم الهاء لغة **بعضكم
لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير أي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله أو استيفاء الحال

من الاعراب وافراد العدو اما للاظهار للنظر الى لفظ البعض واما لان العدو في زنة المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كالتي قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او مستانفة فتلقى ادم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها نصب ادم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت اليك واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفا للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلية لا لتلقي الكلمات المدلول عليها بتلقيها فتاب عليه اي رجع اليه بالرحمة وقبول التوبة والفا للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان ادم عليه السلام لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النسا في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق البين كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان هبوطهم دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعين ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفا لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقيق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه اقامة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم

يحزنون

يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات الشرعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كذبوا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة

توهمت ايات لها فعرفتها * لستة اعوام وذا العام سابع *

ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بايتهم اي بجماعتهم قال

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا * باياتنا نزجي اللقاح المطافلا *

فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بالوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا خبره قوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبره وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وتجويز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة واللام المقدرة وجعل الرفع على انه خبر لاولئك على ان من تجويز تنوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبني ادم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة وقوله واذ قلنا للملائكة الاية فان الاخير لان المعنى كما اشير اليه لم تذكر اذ هم اذ جعلنا اباكم خليفة في الارض وسجود الملائكة له عليه السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقلنا تو والابن من البنا لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة يا واسرائل بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييدها بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم

يجي تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي

به على آبائهم من النعم التي أجلها إدراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم اذكروا ابن الافتعال ونعمتي باسكان اليا واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها وأوفوا بعهدي بالايمان والطاعة أوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدما والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقا الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين من قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة والتأكيد وإياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما أنزلت افراد للايمان بالقرآن بالامر لما انه العمدة القصوى في شان الوفا بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بحسب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة على الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا أول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره منكم من كونكم اول كافر به ووقوع كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل ولان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر من اهل الكتاب وممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا اي الحظوظ الدنيوية

فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلما امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه وتذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلالة ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عن من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبوه وكتموا كما ذكر غير مرة كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وأنتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي عنه كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اي صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس والمناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي * لا تحقرن الضعيف علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه *

أتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضا الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون أنفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وأنتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول والعمل أفلا تعقلون اي تتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك

ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير منعه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية
والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء
صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع والاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية
النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ   انه كان عالم من العلما
بوتر الكلام قوي التصرف في القلوب فكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تاثير وعظه وكان في
بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضر يوما
على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت

• لتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع •

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن
المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي
هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجا فانها جامعة لانواع
العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على
العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب   انه عليه السلام
كان اذا حزبه امر فزع منه الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعا وانها اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وجملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك
يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم
ولا يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية من الاعتراض واعتراض تذييل الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون الذين يتوقعون لقاء الله تعالى ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين
لا يؤمنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين
والمرائين والتعرض لعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن
مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع • قال

• فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين الشراسيف جائف •

وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة
على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد
ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت آباءكم
على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم به من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم
آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي
نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدرية   لا تجزي اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال

اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال • فما ادري اغيرهم تناء •
وطول العهد ام مال اصابوا • اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل
الفدية وقيل البدل واصل التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجزي مجزاه ولا هم ينصرون اي يمنعون
من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير
لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة هاهنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي
ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا فالاول النصرة والثاني اما ان يكون
مجانا او لا فالاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان
يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر   انها خاصة بالكفار
للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من
اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لنا يا ابائهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل
ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباكم
فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم   انجيتكم واصل آل اهل لانه يصغر اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر
لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا او تمرد وكان فرعون موسى عليه
السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس
فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم
وفي نفسه بطيخة بدرهم فقال لنفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا
بدرهم فتوجه به الى السوق وكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة
فباعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان
قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم
تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر واخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا
عظيما ولم يتعرض له احد الى ان تعرض لاولاد بعض الاكابر فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصب
هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام فقال لم يقمني احد وانما فعلت
ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من
المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة حتى
انتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية فلبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل فلما
مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما
اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم سوء العذاب اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في الطلب
سوء العذاب اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما   يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا
بهم ما فعلوا لان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد جهدهم عن قضاء الله
عز وجل شيئا قيل فقتلوا بسبب تلك الطريقة سبعين الف مولود او تسعين الفا وقد اعطى الله موسى من القوة
على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم

اشارة الى ما ذكر من الذبح والاستحيا او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة
وبلية وكون استحيا نسائهم اي استبقائهم على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال
في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى
الاختبار لعباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر
المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطه عليكم او ببعث موسى عليه الصلاة والسلام وتوفيقه
لتخليصكم منهم او لهما جميعا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد
من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار وعليه الصبر في المضار واذ فرقنا بكم البحر
بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى
هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن اي بسبب انجائكم
وفصلنا بعضه من بعض حتى حصلت مسالك بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد
الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد
التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد به فرعون وقومه وانما
اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل
محمد اي شخصه فاستغنى بذكرهم عن ذكره وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم الذي تقذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا انه تعالى
امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
نخاف الغرق بعض اصحابنا ولا نعلم به ففتح الله تعالى كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه
فرعون فراه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه كانت لموسى معجزة عظيمة تخر لها
صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيا
لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة
وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام
منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لوعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وعدنا ثم اتخذتم
العجل بتسويل السامري لها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف
وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم
عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه ودرسه وقد يجيء لازما قال
عفت المنزل الخالي عفا من بعد احوالي عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك
اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون
لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التورية
الجامعة مع كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل

في الدعوى

في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى
لقومه بيان لكيفية العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا
على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب للخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله
آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية منتهاها
حيث تركوا عبادة العزيز الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي
هو مثل في الغباوة وانه من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع اي بقطع الشهوات اي بقطع وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها واخذوا يقتتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما
السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب
ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية
والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم
الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل
الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحيا لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو
عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك
نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من
كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة
بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا
لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير
المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ
في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم
ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به
اعطاء الله اياه التورية وتكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة
اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف
الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال
من الفاعل او المفعول بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل
لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل وروي انهم لما ندموا على ما فعلوا
وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يختار سبعين رجلا
يحضرهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله
فكلم الله موسى عليه السلام يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع
احد من السبعين النظر اليه وسمعوا الكلام مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام وتعلق به الرؤية

متعلقا بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن الرؤية المنزهة عن الكيفيات
بالكلية وذلك للمومنين في الآخرة وللافراد من الانبيا الذين نعوا من صفا الجوهر الى حيث تراهم كانهم
في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا فجاءت نار من السما
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا
بل لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا
على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعى ربه فكشف الله عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم
ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشيه لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه
او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغما وقد يكون
من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناكم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من باس
الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير
بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا
عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان
صاع ويبعث عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كلوا على ارادة القول قائلين لهم اي قلنا
لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما
ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضا جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد
قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح
به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران
اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى
من جنابه تعالى وكفره اخرى لاسلافهم واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه
القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا
فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه
دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا
هذه القرية وادخلوا الباب سجدا اي باب القرية على ما روي انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام
سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسالتنا او امرك
حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول
قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم
خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعا بالنون والتاء وعلى البناء للمفعول واصل خطايا خطائي
كخطايع عند سيبويه ابدلت اليا الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية يا
ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت يا وعند الخليل قدمت الهمزة على اليا ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسي وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد
ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا
بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه او وضعوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه وروي انهم قالوا
مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا بامر الله عز وجل
غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم

كما يجي في سورة المائدة انهم كانوا [illegible] لم يدخلوا [illegible] في حيوة موسى عليه السلام

وتنصيصا

وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما
وضع الموصول موضع العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما
فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله رجزا من السما اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل
والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل
انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم
وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم على ذلك فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفا
والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى
كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من
الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير ولو روعي الترتيب لتوهم ان الكل امر واحد
امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا
طوريا مربعا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاثة اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عليه السلام من الجنة ووقع
الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه
ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام ان احمله او كان حجرا
من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يومر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى
ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان الحجر رخاما حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من اس الجنة ولها شعبتان
تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة الامتثال
كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفا بمحذوف اي فان ضربت
فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة النظم الكريم كما لا يخفى على احد عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان
قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو
ما رزقهم من المن والسلوى والما وقيل هو الما وحده لانه يوكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويابا ان المامور
به اكل النعمة المقترحة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع اسناد الكل اليه خلقا وملكا للتشريف
واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الى اخره ايذانا بان
الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا في الارض مفسدين
العثي اشد الفساد فانه قد يكون في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام
للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم
وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم
وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم يريدوا بذلك جميع ما
طلبوا مع ما كان لهم من النعمة لا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يابا ذلك التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون
هذا تارة وذاك اخرى انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجمعوا الى ما كانوا فيه من النعمة
لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقا فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه
والفا لسببية عدم الصبر للدعا والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر

شاذ

لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية
والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم   قثاها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى
او موسى انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون
اي اتاخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه
مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان واستعير للخسة كما استعير البعد
للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة   ادنا من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة
من الهمزة بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الزائل الذاهب دون الآتي الحاصل كما في التبدل
والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال
فيما امر من صورة المبادلة به اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرادهم اي انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم
وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم ما سالتموه ولعل التعبير
عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينال كل احد بغير مشقة
وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا
ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود
في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم وباؤا اي رجعوا بغضب عظيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا
بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال ٭ فبؤ بشسع نعل كليب ٭ واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات
الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين
بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان
بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا حقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك
حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار
الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات يؤدي الى تحري كبارها وكررت الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي وتعديهم حدود الله
تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجوز الاشارة الى التعدي بتاويل ما ذكر او تقدم
كما في قول رؤبة بن العجاج ٭ فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كانه في الجلد توليع البهق ٭ اي كان ما ذكر
والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين
امنوا اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان
النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا

والذين

والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك
حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهودا كانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى وندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني
للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين
هم قوم من النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة
الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى اخر   بالياء اما للتخفيف واما لانه من صبا اذا مال
لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اي من احدث من
هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر
فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع
على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية
وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار ما في لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد
الى اسمها محذوف اي من امن منهم الخ واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم
عند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان
بان اجرهم متيقن الثبوت مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم
حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان
دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون بدين
الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ
والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق احداثه او الثبات عليه كما ان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف في
التعميم للمخلصين مزيد ترغيب لاولئك في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك
الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل
ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو
الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا
بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى فيهم
ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى قبل النسخ ليسوا
منافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم
خرجوا عنه فمن مضى من اهله قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير
الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث الجملة لا الى
كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيهم ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه
قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز خبرها [illegible]
واذ اخذنا ميثاقكم تذكير بجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاق آبائكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا
فوقكم الطور عطف على اخذنا اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة   ان موسى عليه السلام
لما جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع

الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا
ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه اي تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
لتنجوا من هلاك الدارين اي رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم
اي اعرضتم عن الوفا بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي
المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضل الله تعالى عليكم
بالامهال او تاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب لما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو
الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع
بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله
حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا
منكم في السبت انهم امروا بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال
لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضت تفرقت فحفروا حياضا
وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى بالله لقد علمتموهم
حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال
من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان عن مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد
عز وجل قردة بفتح القاف وكسر الراء خاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة
تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها اي لما قبلها وما بعدها من الامم
اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما
تباعد او لاهل تلك القرية وما حولها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت
عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه
كان في بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه
على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم
بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال ام لا
فقيل قالوا اتتخذنا هزوا ابهم لما بهم من الغي وقلة الرأي والعقل اي
مكان هزؤ او اهله هزؤا او ناسا هزؤا استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استيناف
كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه وتعالى جهل وسفه نفى
عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا يكره وراءه بالاستعاذة منه
لما علموا ان ذلك عزيمة من الله قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل قالوا
فتوجهوا الى السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز
النصب اي بين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة

ميتة بضرب بعضها ميت فيحيى فانها وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية
لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهموا باي لكنهم لما راوا ما
امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اي موسى عليه السلام
بعدما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض
ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت
آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال النساء اعاق الولد
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصها
بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار
قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال
وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقنعوا به وقوله تعالى قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا
البيان الثاني والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها قال
موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد
البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسئولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود
حالك واحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل
صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه
وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
من السر وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما
هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها عما بيان ركها في الاوصاف
المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان وكذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف
المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تعيين ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا ان البقر
تشابهت اذ مرادهم ان النعوت المعدودة ليست مشخصة للمأمور بها بل صادقة على الجنس ان الباقر وهو
اسم لجماعة البقر والاباقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتأنيث وتشابه
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وفيه
دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بعد زوال الكاينة عنه قولهم وانا ان
شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اي لمهتدون بما سألناه من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم يذلل للكراب
وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا
ذلول مثيرة وساقية لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وهو
تسعى من اسقي مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب واهلها من العمل واخلص لها لونها من سلم له كذا
اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عندما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اي
بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين

مفتاذلول

الاولين فان ما جيئ به فيهما لو كمن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة
لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين
عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة دون غيرها وقرئ الان بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام **فذبحوها** الفا فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** كاد من
افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك
بمعزل منه او اعتراض تذييلي وما اشتغال استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعتهم
ما يكاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل ما كادوا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها   انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير
واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في اجزاء الامر انما وقع
بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المامور به اولا هل هو المعينة
وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التعيين الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في
التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمير في الاجوبة اعني انها بقرة الى اخره للمعينة
قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها
فتكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه
الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا
عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة ولحوقها باول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اي بقرة كانت لحصل
الامتثال بدلالة النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثم رجح الحكم
الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع الحكم المطلق بالكلية وانتقاله
الى المعين بل على تقييده وتخصيصه به شيا فشيا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من
قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى
فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال **واذ قتلتم نفسا** منصوب بمضمر كما مر نظايره والخطاب لليهود
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارء اليهم كما مر من جنايات الاسلاف الى
الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما مر من هنياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغراي
اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة **فادارأتم فيها** اي تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدفع الاخر
وتدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى اخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض
والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او شاو للقتيل
ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل
باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى
البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند
الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم

طريقة

والاتفاق

والاقبال على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم عمالها ولوجب
القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما خص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه
السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان ذبحها كانت بواسطته عليه السلام والاقبال
على نيابه **كذلك يحيي الله الموتى** على ارادة قول معطوف على مقدر يستدعيه الكلام اي فضربوه فحيي
وقلنا كذلك الخ فحذف الفا الفصيحة في فحيي مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في
كذلك حينئذ للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك الحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة
الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء
العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة **ويريكم اياته** ودلايله الدالة على انه تعالى قدير ويجوز ان يراد بالايات
هذا الاحيا والتعبير عنه بالجمع لاعتباره لاشتماله على الامور الخارقة للعادات **لعلكم تعقلون** اي تكمل
عقولكم وتعلموا ان من قدر على احيا نفس قدر على احيا الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة
في اشتراط ما اشترط في الاحيا مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتدا بلا واسطة اصلا لاشتماله على التقرب
الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع
بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر
رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة
رائقة المنظر وغير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى
حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال **ثم قست قلوبكم**
الخطاب للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفا والصلابة كما في الحجر استعير
لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث
القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة
واما الان الاستمرار على شي بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد
القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **من بعد ذلك** اشارة الى
ما ذكر من احيا القتيل والى جميع ما عدد من الايات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع
ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته عليه وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب كما هو المشهور **فهي
كالحجارة** في القساوة **او اشد قسوة** اي هي في هذه القسوة مثل الحجارة او ازيد عليها فيها او انها مثلها او مثل
ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة
وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفا اما للتفريع مثابتها
لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل
كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له واما او فمع ما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة
ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة او للتخيير او للترديد بمعنى
ان من عرف حالها شبهها بالحجارة من القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير وترك ضمير المفضل عليه
للامن من الالتباس **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** الماء العظيمة **وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء** اي العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بمقتضى ما اودعه
الله فيها من الثقل الداعي الى المذكور وهو مجاز من الانقياد بامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو
منقاد لامره عز وعلا آت لما خلق له من غير استعصا وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا

بحاله واللام في لما لام الابتدا دخلت على اسم ان لتقدم الجر ان على انها مخففة من الثقيلة واللام
فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف
او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة
وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى أفتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عدد نعتهم
ونعى عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين فالهمزة لانكار الواقع واستبعاده
كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون بل الى ترتب
الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل
المعنى أبعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق
الذميمة لا تأتي من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا ومحلها
مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل
فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة
لظهور ان المراد به معناه الشرعي ستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم
جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم • وقوله تعالى
يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم
الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء
من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا
يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن سواء
لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما تقتضيه الكبرياء
بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة
ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله يقول
في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وثم للتراخي
زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا ولا
هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة فيما سلف لا ان يحملوا ذلك على تقدمه على زمان نزول الاية بل
على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التوراة وان كانت كلام
الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما رؤساؤهم المباشرون
للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى أفتطمعون
في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون
كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا فلا يستجيبون لكم هيهات ومن ههنا ظهر ما في اسناد
على ما فيه من الفخامة والجزالة عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة
حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه اي على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك
منهم حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستأنفة
سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق
بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على ان لا
لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم قالوا اي اللائمون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت
الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين ولا والعاتبين لما
لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير القائل
اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم اي الساكتون
منهم اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم
غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان
عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند اللقاء لما وجب ان يجعل سماعهم لما من تمام الشرط ولان فيه
زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا أتحدثونهم
يعني المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى
الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد ويجوز ان يكون من
التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم ارادة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ
فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي
اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك
لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم
اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء
لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم
وتبكيتهم بان يقولوا الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخس فجوز ان يكون المحذور
عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير فيه الى التحديث دون المحدث به ولا ريب انه مدفوع بالاخفاء لا تساعده
الاية الكريمة لا تساعده كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون وهذا الخطاب الفاحش او شأن الاشياء التي
من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او الا تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجوا
الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه
وتعالى للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه
قوله تعالى أولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط خطاب المؤمنين
في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي صلى
الله عليه وسلم ايضا كما في تطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو
للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير لجميع اليهود اي ألا يلاحظون ولا يعلمون عن الحدث المذكور ولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين وما يضمرونه في قلوبهم من الكفر
وذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين والاصنام حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى
للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما
في آية الرجم وتحريمهم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب
ما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به او لا
فقط ولهم والموبخين ولا بانهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون

يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار
ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر
والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما
في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز
وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء او لما ذكر من السر
على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة
هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ
ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بالثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة
واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة وانهما ليستا من شؤون
النساء من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة
بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة عن عكرمة
والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا
اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة
لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية وان مضمونها مناف
لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان
الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله تعالى بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين
او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين
على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها
من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم الكريم **الا اماني** بالتشديد
وبالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما في قوله •
• تمنى كتاب الله اول ليلة • فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان
في نفسه ويتمناه او على الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى
من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو
عنهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم
او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني
على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم
الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان
المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقبه ببيان حال الذين اوقعوهم
في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم وتعيين مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو
وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز
اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل
شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح
زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل

ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم
وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب
انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في
جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب**
اي المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم** تأكيد لدفع توهم المجاز كقوله كتبته بيميني **ثم يقولون
هذا** اي جميعا على الاول بخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال
رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة
النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا
مكانها طويل ازرق سبط الشعر واذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته
عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه وتعالى نصا
اشد شناعة من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود **ليشتروا به** اي يأخذوا لانفسهم
بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو
المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود
بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل
عند ما استوجبوه من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت
ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد عنوانه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه
عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة
اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر
عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد او
الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت
ايديهم فهو داخل في المعلل **وقالوا** بيان لبعض اخر من جناياتهم وفضائحهم بما قبله من
التي اختلقوها ولفقوها وكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الاخرة **الا اياما معدودة** قليلة محصورة وعدد
ايام عبادتهم العجل وفيهن يوما عدة ايام غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود انهم عدوا
ايام عبادتهم العجل سبعة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالوا ان مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود
انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون
في كل يوم مسيرة سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم فيكملونها **قل اتخذتم** تبكيت لهم وتوبيخ باسقاط الهمزة
المجتلبة لوقوعها في الدرج وبطلان الذال وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون
ما تدعون لا يكون الا تاما على ذلك ولذلك عده بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء
فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جئنا خراسانا •
اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية والاظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم
الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر ولان المراد به جميع عهوده
لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تحقيق على التصريح بتحقق مضمون كلامهم
وان كان معلقا بامر لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون على الله ما لا**

تعلمون وتوعده وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه وتعالى ما لا يعلمون وتوعدهم ان ما اسندوه اليه
تعالى من قبيل ما يعلمون عدمه وتوعده للمبالغة في التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق
الاولى فقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا با
سناد الله تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير
كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى
بل فيها للاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على
الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى اي تمسكم النار جواب عن قولهم المحكي وابطال
له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد ابطاله اياه اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام
مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب يختص بجواب النفي خبرا او استفهاما
من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كداب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه
ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه
كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم
عن ابن عباس رضي الله عنهما وابي هريرة رضي الله عنه وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع
وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على
ما يقصد به بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطا وقرئ خطيئته وخطاياه
على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار
خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له
من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر
والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر
الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تلك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطاياهم هم
اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم
عليه من التكذيب بآيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم
بان يقال بلى انهم اصحاب النار في الاخرة لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر
من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فاني لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين
كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل
الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه
الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة
اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل في احوالهم الى قطع
الطمع عن ايمانهم او اليهود والموجودين في عهد النبي صلى الله عليه توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا
اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا اي قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في
معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو

ابلغ

ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فخبر به الناهي
ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله
• الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي • ويعضده قراءة ان لا تعبدوا
فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا
الله وقرئ بالياء لانه غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى و
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا احسنا سماه حسنا للمبالغة وقرئ
كذلك حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة هو ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل من باب الالتفات فخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكر كلهم على نهج
الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا
عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعلت خطابا لليهود والمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف
للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من
اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة
تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة
على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بواجب الميثاق الماخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراه
على سبيل الاجمال فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى
اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي عن التفات اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد
عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير بذلك بسفك دماء انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا
ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة
فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين
من حيث انهم مخاطبون كما سيفصح عنه ما سياتي من قوله من ديارهم وانما الخطاب فيها باعتبار تنزيل ديارهم
منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دياركم فيحتمل
الوجهين معا اذ الاول لكون المسفوك دماء اذ غايته للمخاطبين حقيقة ومعاد الثاني كونه دماء حقيقة
للمخاطبين ادعاء ومما اشعار بانفي افادة المبالغة تدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل
انفسكم قصاصا وما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يناسب
سياق النظم الكريم بل لا يلائم سياقه فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه
وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون
اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد
لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة
اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون

والتكرفان التوبيخ

وانما جعلها ... ديارهم لا من ديار المخاطبين (margin note, partly illegible)

حسبما تعرب عنه الجمل الآتية فإن قوله عز وجل **تقتلون أنفسكم** الخ بيان له وتفصيل لأحوالهم المنكرة المندرجة
تحت الإشارة ضمنا كأنهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون أنفسكم أي الجارين مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتلون
بالتشديد للتكثير **وتخرجون فريقا منكم** الضمير إما للمخاطبين والمضاف محذوف أي من أنفسكم وإما للمقتولين
والخطاب باعتبار أنهم جعلوا نفس المخاطبين وإلا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان
الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه
من ديارهم الضمير للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق
للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هو لا توسط
فالجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم **تظاهرون عليهم** بحذف إحدى التاءين وقرئ بإثباتهما وبالإدغام
وتظهرون بطرح إحدى التاءين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهي حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو
منهما جميعا مبينة لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصالة والاستقلال
دون المظاهرة والمعاونة **بالإثم** متعلق بتظاهرون حال من فاعله أي متلبسين بالإثم وهو الفعل الذي
يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب **والعدوان** وهو التجاوز في
الظلم **وإن يأتوكم أسارى** جمع أسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الأسر أي الشد أو جمع أسرى
ومحله النصب على الحالية **تفدوهم** أي تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء وقرئ تفادوهم قال السدي إن
الله تعالى أخذ على بني إسرائيل أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرجوهم من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من
بني إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من
العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم إذا أسر رجل
من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن
نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة **وهو محرم**
عليكم إخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محرم خبر لضمير الشأن وإخراجهم مفعول ما لم يسم فاعله
وقيل الضمير مبهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما يدل عليه يخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان
والجملة حال من الضمير في يخرجون أو من فريقا أو منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص
بيان الحرمة هاهنا بالإخراج مع كونه قرينا للقتل عند أخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في أمره بسبب
قلة خطره بالنسبة إلى القتل ولأن مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض أفعالهم معا وذلك
مختص بصورة الإخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية أو قصاص هو السر في تخصيص التظاهر
به فيما سبق وأما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع أن حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلأن نظمه في سلك
المناقضة في نمط واحد من الذكر أدخل في إظهار بطلان ما **أفتؤمنون ببعض الكتاب** أي التوراة الذي أخذ فيه
الميثاق المذكور والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي أتفعلون ذلك
فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والإخراج مع أن قضية الإيمان
ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض
حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فإن التقديم يستدعي في المقام الخطابي أصالة المقدم وتقدمه بوجه من
الوجوه حتما وإذ ليس ذلك هاهنا باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا إيمانهم ببعض
مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم ولو قيل أفتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض لأفاد مجرد كفرهم بالبعض وإيمانهم
بالبعض كما يفيده أن يقال لا تجمعون بين الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض أو بالعكس **فما جزاء من يفعل ذلك**
نافية ومن إن جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الإعراب وإن جعلت موصوفة فمحله الجر على أنه صفتها

وذلك

وذلك إشارة إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان ببعض أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأسارى
منكم حال من يفعل **إلا خزي** استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم
وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل الجزية **في الحياة الدنيا** في حيز الرفع
على أنه صفة خزي أي خزي كائن في الحياة الدنيا أو في حيز النصب على أنه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق
القصر على ما ذكر لقطع أطماعهم الفارغة من ثمرات إيمانهم ببعض الكتاب وإظهار أنه لا أثر له أصلا مع الكفر
ببعض **ويوم القيامة يردون** وقرئ بالتاء أو بصيغة الجمع نظرا إلى معنى من بعد ما أوثر الإفراد نظرا إلى لفظها
لما أن الرد إنما يكون بالاجتماع **إلى أشد العذاب** لما أن معصيتهم أشد المعاصي وقيل أشد العذاب بالنسبة
إلى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وإنما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا وأشد العذاب يوم
القيامة للإيذان بكمال التنافي بين حالي النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من
أول الأمر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبائح التي من جملتها هذا المنكر بالياء على نهج يردون وهو
تأكيد للوعيد **أولئك** الموصوفون بما ذكر من الأوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين اشتروا**
أي آثروا **الحياة الدنيا** واستبدلوها **بالآخرة** وأعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فإن ما ذكر من الكفر ببعض
أحكام الكتاب إنما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية **فلا يخفف**
عنهم العذاب دنيويا كان أو أخرويا **ولا هم ينصرون** بدفعه عنهم شفاعة أو جبرا والجملة معطوفة على
ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية أو بتقدير مبتدأ محذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها
ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لإظهار كمال
الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التوراة لما نزلت جملة واحدة أمر
الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها
فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها **وقفينا من بعده بالرسل** يقال قفاه به إذا أتبعه إياه أي
أرسلناهم على أثره كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام
وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار
بالمغيبات والإنجيل وعيسى بالسريانية أيشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من
النساء كالزير من الرجال به فسر قول رؤبة • قلت لزير لم تصله مريمه • ضليل أهوى الصبا تندمه •
ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل **وأيدناه** أي قويناه **بروح القدس** بضم الدال وقرئ
بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ووصفها
بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه
السلام وقيل بالإنجيل كما قيل في القرآن روحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى
بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البينات والتأييد بروح
القدس لما أن بعثتهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه
كثيرا من أحكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيته وإظهار كمال قربه
عليه السلام **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم** من الحق الذي لا محيد عنه
أي لا تحبه من هوي كرضي إذا أحب والتعبير عنه بذلك للإيذان بأن مدار الرد والقبول عندهم
هو المخالفة لأهواء أنفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الفعل
السابقة توبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شأنهم ويجوز كونها للعطف على مقدر

المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم على الاتباع له والايمان بما جاء به
من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا
اخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهما السلام وتقديم فريقا في الموضعين
للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته
الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوا من حمته عليه الصلاة والسلام وسحروه
وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطع ابهري وقالوا
بيان لفن اخر من قبائحهم على طريقة الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم
الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها للكل من بعضهم بطلانها او قباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون
في عصر النبي عليه الصلاة والسلام قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية
للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطا وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا
تسمع حديثا الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم
في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض
وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة
والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل اثاره وعلى الثالث
بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا
قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا امنوا بالذي انزل على
الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء
لسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القران وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله
اي كائن من عنده للتشريف مصدق لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف
على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها مصدقا على انه حال من كتاب لتخصيصه بما
وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون على
الذين كفروا ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون
لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين
للمبالغة كما في استعجب اي يسالون انفسهم الفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة
لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسيط الجملة الحالية وقوله
تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به وايراده
دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة
والفاء للدلالة على تعقب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية • وقوله تعالى كفروا به
جواب لما الاولى كما هو راي المبرد وجوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور
عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الى اخره جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا
النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه

وكانوا

وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله
على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما
ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق
لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس
شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروه بها في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه
انه للايذان بكون المذموم ما كان زعما لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما
انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب
للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة
اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا والاسوى
معلل بما سياتي من ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله
والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهل لتحمل اعباء الرسالة وما له تعليل كفرهم بالمنزل لحسدهم
للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكرره حسب تكرره فباءو
بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحق له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم
كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من
فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين
يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء
الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلاة والسلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي
لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ امنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد
به الامر بالايمان بالقران لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما امنوا به فيما
في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس ايمانا بما انزل الله قالوا
نؤمن بما انزل علينا اي نستمر على الايمان بالتورية وما في حكمها مما انزل لتقرير حكمها ومرادهم بضمير المتكلم
اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل وهو الاظهر لاشعاره
بان عدم ايمانهم بالفرقان لما انه لم ينزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه عطف على قالوا او حال من ضميره
اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق اي المعروف بالحقية
الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه
من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل

٤ موضع

علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما امنوا به فلزمهم الكفر بما امنوا به وحاصله انهم ادعوا الايمان
بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله تعالى عز من قائل ببيان التنافي
بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية
تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب حيث كانوا مشاركين في القول والعمل
كان للاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف
اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء
الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم
مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل
تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما
قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد
النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي
هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها
التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد مجيئه بها وقيل
من بعد ذهابه الى الطور فتكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح
ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال
بحقوق ايات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله سبحانه
وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما
فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم لتلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة
الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم
كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما ياكلون في
بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة
او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين
احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون وما يذرون بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية
حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان
تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانها
عاملين بما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة
ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن اخر من اباطيلهم
لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار
الاخرة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار
وعند ظرف من الاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص
لي كذا من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة
اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرار الاكدار لاسيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه

الجنة او نعيم
الدار
الاخرة
عند الله خالصة
ح

لا ابالي

لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وكان يتمنى الموت قيل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله
تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس
الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق اي ان كنتم صادقين
فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما
يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي
الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه الصلاة والسلام والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين
جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار منافعه عبر عنها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع
الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم
بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون من الاحتراز عما يؤدي الى
ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس على
حيوة من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص
والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن
الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم
في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء
لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم
على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد
بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله ومنهم طائفة يود احدهم اي كل واحد منهم يود لو يعمر الف سنة
وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجري على الغيبة لقوله تعالى يود احدهم كما في قولك حلف بالله ليفعلن
ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية
والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه
اي بمبعده ومنجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم
وان يعمر مفسر والجملة حال من احدهم والعامل يود لا على ان يكون حالا من ضميره لفساد المعنى واعترا
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة
اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم
فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بالخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله
عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لامنا بك
وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي ياتيك لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه
انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره

على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم
لحبكم ولا اسأل لكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره
في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة
هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم
اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما فهو عدو الله سبحانه فرجع عمر فوجد
جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله
عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبر العبد وايل الله (من الحجر)
ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول
لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته
لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان الوحي فانه القابل الاول ومدار الفهم والحفظ
وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه
تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا
لما بين يديه اي من الكتب الالهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين
والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته انه يجب عليه محبته فانه نزل عليك
كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله الكتاب مصدقا لكتابهم موافقا له وهم له كارهون ولذلك
حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال
رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو
عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة
او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنه وايذانا بان عداوتهم عداوته تعالى
وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل
وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشملهما عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما
الصلاة والسلام من جنس آخر فخما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة
احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد
والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى
فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد عقاب وايثار الاسمية
للدلالة على التحقق ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر فان ذلك مما لا يحتاج الى الاخبار
به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل
كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحة الدلالة على معانيها وعلى
كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده
فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت واللام للعهد اي
الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا

اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أكفروا
بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل
عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم
مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام ورفضوه وقرئ
نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتوراة وهذا دفع
لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى
الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد
ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه صلى الله
عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه الصلاة بما انزل عليه او من حيث انه عليه الصلاة
والسلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التوراة وهم الذين كانوا
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا
النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه
تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايتاؤهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ
والوقوف على ما فيها والموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين
فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب
الله اي الذين اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن
فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول
من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها
وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل
فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيئه
معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد
بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه
وسلم ففيه ايذان بان علمهم به يقيني لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا
كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا
وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه
كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا
قيل ان جملة اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار
اليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون
بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة
تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال
ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا
قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة

وقيل على ابن يوا على ملك سليمان أي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب
يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام
حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والطير
والريح التي تجري بأمره وقيل إن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه
فلما مضت على ذلك مدة من الزمان توصل إليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك أشياء من فنون السحر تناسب تلك
الأشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموهم أنه من علم سليمان عليه الصلاة
والسلام وأنه ما بلغ هذا المبلغ إلا بسبب هذه الأشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه الصلاة والسلام
عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في إظهار نزاهته عليه الصلاة
والسلام وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة
الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف إنما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا
كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر إغواء وإضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير
كفروا أو من الشياطين فإن ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال أو في محل الرفع على أنه خبر ثان للكن أو
بدل من الخبر الأول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده أو جملة مستأنفة هذا على تقدير
كون الضمير للشياطين وأما على تقدير رجوعه إلى فاعل اتبعوا فهو إما حال منه وإما استئنافية واعلم أن السحر
أنواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب يزعمون أنها المدبرة
لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة مزج القوى السماوية
بالقوى الأرضية وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام لإبطال مقالتهم وهم ثلاث فرق فرقة منها يزعمون
أن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذاتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بإلهية الأفلاك والنجوم واجبة الوجود
ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الأوثان وفرقة أثبتوا للأفلاك والكواكب فاعلا
مختارا حكيما قالوا إنه أعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره إليها ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس
القوية فإنهم يزعمون أن الإنسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الإيجاد والإعدام
والإحياء والإماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالأرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن
ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى بالشعوذة ولا خلاف بين الأمة في أن من اعتقد الأول كفر وكذا من اعتقد الثاني
وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى إلى حيث
يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على أنه كافر لأنه لا
يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق أن ذلك الإنسان إن كان خيرا
متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الأرواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لأحكام الشريعة
الشريفة ولم يكن ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لأحد فليس ذلك من قبيل السحر وإن كان شريرا غير متمسك بالشريعة
الشريفة فظاهر أن من يستعين به من الأرواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون
بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور
العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار وإطلاق
السحر عليها بطريق التجوز لما فيها من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه أو من الصرف عن
الجهة المعتادة لما أنه في أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهري عن الفراء ويونس وما أنزل على الملكين عطف
على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو
على ما تتلوا وما بينهما اعتراض أي واتبعوا ما أنزل الخ وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى

قوم ما ظهر لهم أو ليميزوا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس أو لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت
أنواعا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من
معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد
من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت
فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا
هاروت وماروت وكانا من أصلحهم وأعبدهم فأهبطا إلى الأرض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها
من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا إلى السماء مساء وقد نهيا عن الإشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا
يقضيان بينهم نهارا فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصعدا إلى السماء فاختصمت إليهما ذات يوم امرأة من أجمل
النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من أهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها
افتتنا بها فراوداها عن نفسها فأبت فألحا عليها فقالت لا إلا أن تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألاها فقالت
لا إلا أن تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها فقالت لا إلا أن تعلماني ما
تصعدان به إلى السماء فعلماها فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان ذلك في
عهد إدريس عليه السلام فالتجآ إليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الأول
لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام
الساعة فمما لا تعويل عليه لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ولعله من
مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد اللبيب الأريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما
ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين أو من الضمير
في أنزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة
والعلمية أو للتأنيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا وأما من قرأ الملكين بكسر اللام قال كانا رجلين صالحين فقيل لهما
اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر بالرفع على هما هاروت وماروت وما
يعلمان من أحد من مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الإعلام
حتى يقولا إنما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وإفرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة
للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه أي وما يعلمان
ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له إنما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن
عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان
فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر أن غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام
المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والإرشاد والجملة في محل
النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل أي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما أنزل على الملكين
ويحملونهم على العمل به إغواء وإضلالا والحال أنهما ما يعلمان أحدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه وأما ما قيل من
أن ما في قوله تعالى وما أنزل الخ وما كفر سليمان نافية تكذيبا لليهود في القصة أي لم ينزل على الملكين إباحة السحر
وأن هاروت وماروت بدل من الشياطين على أنهما قبيلتان خصتا بالذكر لأصالتهما وكونهما في الشياطين أتباعا
لهما وأن المعنى ما يعلمان أحدا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلنا فيأباه أن مقام وصف الشياطين بالكفر
وإضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلام فإن الابتداء
في حكم تنحية المبدل فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فإنها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما

انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه
وباستعماله **بين المرء** وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الرا بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله تعالى بينهما
التباغض والعزل والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب
حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس
ويعتقدون انه حق فيكفرون فيبين ازواجهم **وما هم بضارين به** اي بما تعلموه واستعملوه من السحر **من احد**
اي احدا ومن زائدة كما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادة في معمول الفعل المنفي الا انه
حملت الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد **الا باذن الله** لانه وغيره من الاسباب
بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتداء وقد لا يحدث
والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتماده
على النفي والضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة
بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضاف بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل او لان العلم
يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم** صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت
وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه
حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية
وان قال من قال • عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه • **ولقد علموا** اي اليهود
الذين حكيت جناياتهم **لمن اشتراه** اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب
قسم محذوف والثانية لام الابتداء علقت علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه
صلتها • وقوله تعالى **ما له في الاخرة من خلاق** اي من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الاخرة
متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة
في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الى الاخرة مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور
ومذهب سيبويه وقال الفرا وتبعه ابو البقا ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتدا
واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع
الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما **ولبئسما شروا به انفسهم** اي باعوها
واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئسما باعوا انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان
بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا
وتجويز كون الشرا بمعنى الاشترا مما لا سبيل اليه لان المشتري معين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ
لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله **لو كانوا يعلمون** اي
يعملون بعلمهم وجعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم اذ لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي والعلم الاجمالي
بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا **ولو انهم امنوا**
اي بالرسول الموحى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الايات المذكورة في
قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقران والرسول عليه السلام كفر بها **واتقوا**
المعاصي المحكية عنهم **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم

فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة
كائنة من عند الله تعالى خير • وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية
جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف بما لهم واتقائهم
تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله خير نسبوا
الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم **يا ايها الذين امنوا** خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض اخر
من جنايات اليهود **لا تقولوا راعنا** المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه
وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتان بنا حتى نحفظ كلامك ونفهمه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي
راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا
يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته صلى الله عليه وسلم الى الرعن وهو الحمق
والهوج ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها
فنزلت الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل
التلبيس فقيل **وقولوا انظرنا** اي انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ
انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ • وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وعلى صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن
كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعنا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به **واسمعوا** واحسنوا سماع ما يكلمكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم او يلقي عليكم من المسائل باذن واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او اسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا **وللكافرين** اي لليهود الذين
توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا **عذاب**
اليم لما اجترءوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه
ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما وفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه
كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الاية بالخير فكانه اشير الى انه سبب [illegible]
[illegible] من تنزيل الخير فيكان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون
انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى **من اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما
في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والمشركين في حيز الجر عطفا على اهل الكتاب ولا مزيدة لتاكيد النفي **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على انه
مفعول يود وبنا الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل [illegible] وقوله تعالى **من خير** هو القائم مقام فاعله
ومن مزيدة للاستغراق والخير الوحي [illegible] حمله على ما يعمه وغيره من
العلم والنصرة [illegible] اظهار
كمال العناية به لانه الذي اورد الكلام لاجله ومن في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار
بعلية له للتنزيل والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعديه
[illegible] من حيث وقوع التنزيل
على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] عند اليهود وعلى الرياسة عند المشركين

٢ ونهي فيها المؤمنين

[illegible]

والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم
اهل كتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي واسرائيليون واما المشركون فاذ لا انما كان بهم من الجاه والمال
زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كان اليهود بهذا الداء اشهر لاسيما في اثناء ذكر ابتلائهم لم يليهم من بني
ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي **والله يختص برحمته** جملة ابتدائية سيقت لتقرير
ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون
رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه
نبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على
التنزيل المناسب للسابق الموافق لقوله تعالى الذي نزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم
وافناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته **من يشاء** من عباده ويجعلها
مقصورة عليه لا لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل
لازم ومن فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى **والله ذو الفضل العظيم** تذييل
لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان
حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم
الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية مبني على توقفها على الاولى
ما ننسخ من اية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة
الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون
الى محمد عليه الصلاة والسلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل
يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد
منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ
ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسا اي نؤخرها وننسها بالتشديد وننسها
على خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية او ننسكها وقرئ
ما ننسك من اية او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او
حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل **نأت بخير منها** اي نوع اخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة
وقرئ بقلب الهمزة الفا **او مثلها** اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما
فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل
الايات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما تقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف
الاحوال وتتبدل بحسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضيه في
[illegible]

ملك

ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر لان وايثاره على
ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تاكيد للتقرير واما
للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان على ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التاكيد واشعارا
باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته
تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة
على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب
لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**
معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب للنبي عليه السلام
للامة ايضا وانما افرده عليه الصلاة والسلام بما لا ان علومهم مستندة الى علمه عليه الصلاة والسلام
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة
للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من
المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى
مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير
له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر
زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه ومن ولي اسمها ومن في
ما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما تقدم انتصب حالا ومعناه سوى الله
والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم
او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل
الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى **ام تريدون** تجريد للخطاب عن النبي صلى
الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من حملهم على العمل بموجب
علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك
ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الا
رادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره
نفسه والمعنى بل اتريدون **ان تسالوا** وانتم مؤمنون **رسولكم** وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه
ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله حسبما توجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه
عليه الصلاة والسلام تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات
انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى **كما سئل موسى** مصدر
تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا
الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سالوا موسى لان المشبه به هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية
المخاطبين لان المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى تشبه مسؤولية موسى عليه السلام فلعله
اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية وا
كتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى عليه
السلام وقوله تعالى **من قبل** متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين

ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه **بالايمان** بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السوال المذكور او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحيث يقترح غيرها **فقد ضل سواء السبيل** اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب الاضافة اي اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومن تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه **ود كثير من اهل الكتاب** هم نفر من احبار اليهود ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **لو يردونكم** حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف وتقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك **من بعد ايمانكم** متعلق بيردونكم وقوله تعالى **كفارا** مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد ۞ بمقدار سمدن له سمودا ۞
فرد شعورهن السود بيضا ۞ ورد وجوههن البيض سودا ۞
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مومنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المومنين ما لا يخفى **حسدا** علة لود او حال اريد به نعت الجنس اي حاسدين لكم والحسد الاسف على الخير عند الغير **من عند انفسهم** متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلايل وعلموا انهم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل **فاعفوا واصفحوا** العفو ترك المواخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب **حتى ياتي الله بامره** الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ **ان الله على كل شيء قدير** فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** عطف على فاعفوا واصفحوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلوة او صدقة او غير ذلك اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم **تجدوه عند الله** اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم **ان الله**

بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمومنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين **وقالوا** عطف على ودوا لاهل الكتابين جميعا **لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى** اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قايله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم من اقامة اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المومنين وردهم الى الكفر والهود جمع هايد كعود جمع عايد وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه الا من كان يهوديا او نصرانيا **تلك امانيهم** الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله سبحانه وتعالى **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظم الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه معنى الاختصاص فان قوله تعالى **بلى** الخ اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه وان ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى فظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اثباته ثابت واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه **من اسلم وجهه لله** اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذي هو من اخص خصايص الاخلاص او توجه وقصد بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره **وهو محسن** حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **فله اجره** الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل فيه دخولا اوليا واثباته بعنوان كونه اجرا لاعلامه بقوله انه بصورة الاجر لا ارتباطه بالعمل واستحقاقه به وقوله تعالى **عند ربه** حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الاسلام اثباتا لما نفوه عن غيرهم فهم بمعزل من الاختصاص به بالمرة **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** في الدارين لا من لحوق مكروه ولا من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضماير الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار لفظها **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما

خبر اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لما انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب
الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف
بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل
النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا
له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على
انه حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت
به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود
والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين
اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان
المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى
فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف
الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الاي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد
لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد
به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص
روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله
فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ططيوس الرومي ملك النصارى
واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه. وانما اوقع المنع على المساجد
وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق
الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة
القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله
تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك
مفعولا له اي كراهية ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر اولئك اي المانعون
الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية
وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا حال التهيب وارتعاد الفرائص من
جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه
بالاخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد وروي
انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره
لهم اي اولئك المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم
ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم
الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من العذاب لما مر من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس

اليه

اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي الشرق والمغرب لا يختص به من حيث
الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد
الحرام فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان
البعيد خاصة مبني على الفتح ولا ينصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي
هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون اخر او فثم ذاته بمعنى الحضور
العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان
الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن
كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبين خطاؤهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد
ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا
اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى
وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا
من الذين لا يعلمون بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما
بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا
وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانا اي انزهه
تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن
جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة
الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامة المصدر مقام الفعل ما لا يخفى قيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته
تنزها حقيقا به وفيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى
عما لا يليق به لا انشاءها له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموه وتنبيه على بطلانه
وكلمة بل للاضراب عما تقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة
فنائه المحوجة الى ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا ترى ان الاجرام الفلكية
امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان
اي خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما
كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته
ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي
العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب
من جعلوه لله ولدا فانهم كانوا مطيعين عابدين لله تعالى معترفين بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه
فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه
كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته
من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد

منفعل بانفصال مادته عنه • والله سبحانه مبدع الاشيا كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال بالكلية لا يكون والدا
ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الخ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي
من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • واذا قضى امرا اي اراد شيا كقوله
انما امره اذا اراد شيا واصل القضا الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشي لايجابها اياه
البته وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث
فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيته
تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى
الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي
ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من
قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
واختلف في هولا القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم
لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم
اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة
وهلا يكلمنا نصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا
نيل المرتبة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات
الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر
عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله
جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا هل يستطيع ربك الى اخره وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت
قلوبهم اي قلوب هولا وقلوب اولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات
اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في نفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوضة وكبر الفيل لا انا
بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة
وهذا رد لطلبهم الاية وفي تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي
طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين
وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك
بالحق اي متلبسا بالقران كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو • وقوله تعالى
بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقيده بالحال الاولى اي انا ارسلناك ملتبسا بالقران حال كونك بشيرا لمن
امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك
بالعذاب لتختاروا لانفسهم ما احبوا الا قاهرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به لن تسال عما تسال وقرئ لا تسال على صيغة النهي ايذانا
بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع
السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه لا يساعده النظم الكريم
والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والكذب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان
بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا • وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطايفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه

الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من
النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع
ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه
صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم
يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه صلى الله
عليه وسلم لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما
انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بها وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع
ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى
متاح في ان ما وقع في هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى
اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتدا فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا
اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى هو الهدى كله
ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي
ارائهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها
واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبيا وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي
جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا
نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج
والالهاب الا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطاه اللام واكتفى به
من جواب الشرط الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته
بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما
بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين باتيان الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر
ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها
وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورته الايمان به عليه السلام واني فضلتكم
على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة لاناقتها فيما بين فنون النعم واتقوا
يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيا من الاشيا او شيا من الجزا ولا يقبل منها عدل
اي فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح
وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد
واقبح واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من
التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابرهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما
يدعونه من انهم على ملة ابرهيم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابرهيم وابنائه الانبيا عليهم السلام من الاقوال
والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابرهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
الاية واذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي اذكر
وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا

ان لم تومنوا ح

لحق ويتركوا ما هم عليه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما يقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات قد مر وجهه في اثنا تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر
مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجي من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد
ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون اليه من ابرهيم وابنائه
عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلا في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال
المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور
واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من
مباديه العادية لمن يختبر عنده لا يعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابرهيم اسم اعجمي
قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا ترى الى ابرهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل
هو وزوجه سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث
الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة ابرهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول
مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريفا له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلا
تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر حسن قيامه
بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامانة العظمى وتحمل اعبا الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم
الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة والايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك الامور
الرضية وانها بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابرهيم
عليه السلام كما سياتي ● واختلف في الكلمات قال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفا وثم
الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا
خمسة في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان
وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجا بالما وفي الخبر ان ابرهيم عليه السلام اول من
قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل احد
بهذا الدين فاقامه كله الا ابرهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر في سورة براءة التائبون
الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلاتهم
يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشيا بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد
والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجة قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك
الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين
الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلا قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة ● والحق ان مطلق
الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعا فعل المختبر
هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله
تعالى وابرهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر
جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلا تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من
دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما يترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال
اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله اذ ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه بما قال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على

القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير
والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر
عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة
اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته قال استيناف مبني على سؤال مقدر كانه
قيل فماذا قال ابرهيم عليه السلام عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل
اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول ساكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي والذرية نسل
الرجل اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا
يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرو وذرت والاصل ذرووة او ذرويه فاجتمع في
الاولى واوان زائدة واصلية ● فقلبت الاصلية يا فصارت كالثانية فاجتمعت واو ويا وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا فصارت ذريه او فعيلة منهما والاصل في الاولى ذريوة
فقلبت الواو يا لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية فادغمت اليا في
اليا فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها يا كخطيئة
ثم ادغمت اليا الزايدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الرا الاخيرة يا
لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت اليا في اليا كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت
الرا الاخيرة يا فجا الادغام بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة
فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته
عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه سبحانه بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة
حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص
على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التميز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة
ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على ما يقتضي الجامعين المبادي للامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا
وارسال الباقين ليلا ينتظم المعدودين بالامامة من الانبيا في سلك المحرومين في تفصيل كل فرقة من الاطلاب
الاجنبي مع ما في هذه الطريقة من تجنب الكثرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماع الفارغين منهم ليلا
او اثر النيل على الجعل ايما الى ان امامة الانبيا عليهم السلام من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب
ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وجميع نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابرهيم عليه السلام تنال كلا
منهم في وقته وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية
للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبيا عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها كالنجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى
والعامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل
مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني
واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله للناس متعلقة بمحذوف هي صفة لمثابة كائنة للناس اي
جعلناه اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الناس او امنا اي موضع امن كما في قوله تعالى حرما
امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي
اي امنا من حجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له ولو كا

جانباً حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائناً ما كان ويدخل فيه امن الناس
دخولاً اولياً وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل
الصيد الحرم لم يتبعه الكلب **واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى** على ارادة قول هو معطوف على جعلنا او حال
من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم واتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل
مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على
الوجوه الاخيرة له عليه الصلاة والسلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر معطوف على كلام
او معهود مما بين الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام
والموضع الذي كان عليه حين قام ودعى الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه والمراد بالمصلى
اما موضع الصلاة او موضع الدعا انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام
ابرهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر
بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل
هو اثنا الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل اتخذوا
على صيغة الماضي عطفاً على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته
عنده قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل** اي امرناهما امراً موكداً **ان طهرا بيتي** بان طهراه
على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفاً مطرداً والجواز كون صلتها امراً ونهياً كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك
للدين حنيفاً لان مدار جواز كونها فعلاً انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في
صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما
الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشا في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي
صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
او ان طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر
بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل
بنا البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام بمعزل من
مشاهدة الخطاب والظاهر ان هذا قبل بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البنا بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده
اثر حكاية جعله مثابة للناس والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق
به **للطائفين** حوله **والعاكفين** المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلاة كما في قوله تعالى
للطائفين والقائمين **والركع السجود** جمع راكع وساجد اي للطائفين المصلين لان القيام والركوع والسجود
من هيئات المصلي اي لتقارب الاخيرين ذاتاً وزماناً ترك العاطف بين موصوفيهما والاخلاصه لهو لا للاشعار بمر
وفيه ايما الى علة الابقة غيرهم به وان كان مع مقارنته امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه **واذ قال ابرهيم**
عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر **رب اجعل هذا البلد امناً** ذا امن كعيشة
راضية او امناً اهله كليله نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه الصلاة
والسلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجهاً الى الشام تبعته
هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذاً
لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وتعريف
البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابرهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عليه الصلاة والسلام سأل اولاً

عطف

كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة
الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعا والابتهال وكان المسؤول اولاً البلدية ومجرد الامن المصحح
للسكنى كما في ساير البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانياً الامن المعهود وكان هو المسؤول اولاً ايضاً وقد اجيب
اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي
لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر
فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي لك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال
البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سياتي تفصيله هناك باذن الله تعالى **وارزق اهله**
من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الواسعة وقد حصل كلاهما
حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد عن ابن عباس ان الطائف كان
من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم بهذه الدعوة رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقاً للحرم وعن الزهري انه
تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عليه السلام **من امن منهم بالله واليوم الاخر**
بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعا اظهاراً لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماماً بشان اهله ومراعاة
لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم
من اهل الكتاب **قال** استيناف مبني على السؤال كما مر مراراً وقوله تعالى **ومن كفر** عطف على مفعول فعل محذوف
تقديره ارزق من امن ومن كفر وقوله تعالى **فامتعه** معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتدا وقوله
فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفا تشبيهاً له بالشرط والكفر وان لم يكن سبباً للتمتيع المطلق لكنه
يصلح سبباً لتقليله وكونه موصولاً لعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف تلقين كانه قيل
وارزق من كفر فانه ايضاً مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية
شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه **قليلاً** تمتيعاً
قليلاً او زماناً قليلاً **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من
النعم ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلاً ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما
من دعا ابرهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان
بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من امن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم
فيها ما يجاورها بلا عكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها **واذ يرفع ابرهيم**
القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله تعالى واذ قال ابرهيم على احد الطريقين المذكورين واذ جعلنا
وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ور
البنا عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنها لما
التامت صارا شيئاً واحداً فكانها ارتفعت وقيل المراد بها ساقات البنا فان كل ساق قاعدة لما يبنى عليه ورفعها
بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولاً ثم
تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطا يعني جعل هيئة القاعدة
المستوطاة مرتفعة عالية بالبنا روي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي
وغربي قال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشياً وتلقته
الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى

مكة على رجليه وكان عند ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السما الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا
الى زمن ابرهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنايه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث السكينة لتدله عليه فتبعها
ابرهيم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها الى ان وافى مكة
المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور
زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل بالحجر الاسود من السما وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي
فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضا من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفا
الغرام • في تاريخ البلد الحرام • والذي تحصل من جملة ما قيل في عدد بنا الكعبة انها بنيت عشر مرات منها
بنا الملايكة عليهم السلام وذكر النووي في تهذيب الاسما واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل ادم
عليه السلام ذكره البيهقي في دلايل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بعث الله جبريل الى ادم فقال له ولحوا ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا
الما نودي من تحته حسبك ادم فلما بناه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا
ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه • ومنها بنا بني ادم عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله بها ادم
وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم
الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه • ومنها بنا الخليل
عليه السلام وهو منصوص عليه في القران مشهور رفيما بين فاص ودان • ومنها بنا العمالقة • ومنها بنا جرهم ذكره
الازرقي في مسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه • ومنها بنا قصي بن كلاب ذكره الازهر بن بكار في كتاب النسب
ومنها بنا قريش وهو مشهور • ومنها بنا عبد الله بن الزبير • ومنها بنا الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بنا لكلها
بل للجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه
السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع
ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيان من طرفيه ربنا على ارادة
القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة
على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعانه اي وقت رفعهما وقيل اسمعيل مبتدا خبره هو
محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسماعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على
الحالية اي واذ رفع ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن اعطا ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول
تقبل مع ذكره في قوله ربنا وتقبل دعائي لتعم الدعا وغيره من القرب والطاعة التي من جملتها ما هما بصدده
من البنا كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حاليه انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا
العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعا التقبل لا من حيث
ان كونه تعالى سميعا لدعاهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما
واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لعرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر
صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعايهما به تعالى وانقطاع رجايهما عما سواه بالكلية واعلم ان
الظاهر ان اول ما جرى من الامور الحكية هو الابتلا وما تبعه ثم دعا البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع
قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب لتكون كل فيه في الحكاية لتنظيم
الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل من الافعال
والاقوال في سلك اخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضا

فائدة

المقام

المقام واستجابة ما سبق من الكلام بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال
كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك ومستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بارادة
هاجر معهما او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم
بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان
الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل ارادا بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من بيانية تقدمت على المبين
وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية
بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ
وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة
لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعا ومزيد استدعا للاجابة قيل اذا اراد العبد ان
يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا
منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم
هو الذي اجيب بدعوتهما عليهما السلام   اته قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان قال صلى الله
عليه السلام انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه
الاصل في الدعا واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من
البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب اي القران والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة
والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعا
واجابة المسئول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول و
العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكارا واستبعادا لان يكون في
العقلا من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغرا الا من سفه
نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق واهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه
ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله
• ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام • وقوله • وما قومي بثعلبة بن سعد • ولا بفزارة
الشعر الرقابا • وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلا فقد بالغ في اذلال نفسه واهانتها حيث
خالف بها كل نفس عاقلة   ان عبد الله بن سلام دعى ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما
قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة
والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشي كما ان اصل الاجتبا اتخاذ جبوة واللام جواب قسم محذوف
والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الاخرة
لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم
مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد

على الاخلاص والاذعان الكلي
مح

في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار الاسفيه اذل نفسه لما ان استطامه في مرة ما يجي اجل
الاخرة امر مستعر في الدارين لانه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند
المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام
ولیست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها لانه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته
اذا تمعدد دا ه كان جزاي بالعصا ان اجلدا ه او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من
غير لفظه اي اعني في الاخرة نحو ذلك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط
ليس باجنبي لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه
قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة
الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت
لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلايل التوحيد المودية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص
او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة
اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتنا بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين
للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده
كما هو المامور به ووصى بها ابرهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه
تاكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للسلمين من فعل او
قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير
في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه اوصى الاول ابلغ ويعقوب عطف
على ابرهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين
وتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قول روبه ه رجلان من ضبة اخبرانا ه انا راينا رجلا عريانا
هو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرى ان يا بني وبنو ابرهيم
عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وكان بنو
يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخور وزبلون وزوانا ونفتونا وكوذا واوشير
وبنيامين ويوسف عليهم الصلاة والسلام ان الله اصطفى لكم الدين اي دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان ولا دين غيره عند الله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال
الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا
تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وانه حقه ان لا
يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابرهيم عليه السلام
وشهداء جمع شهيد وشاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقدم
يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعدما بين ذلك اجمالا ومعنى

٢ وبشوخود

بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابرهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب
عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيابأه تخصيص
يعقوب عليه السلام بالذكر وما سياتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود
عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره
عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شي تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه
الصلاة والسلام ما تدعون رجما بالغيب عند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى
حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسواله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به كل شي ما لم
يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سيل عن شي بعينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب وقوله
تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن حكاية سوال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا
عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراده عليه السلام
بالسوال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابايه تغليبا للاب والجد
لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه الصلاة والسلام في العباس هذا بقية ابائي وقرى
ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله ه فلما تبين اصواتنا بكين ه وفديننا بالابينا ه وقد سقطت
النون بالاضافة او مفرد وابرهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله
ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من
تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من
مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة
الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون
بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي
لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في
خلت وما موصولة او موصوفة والعايد اليها محذوف وفي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة الحكمة لا يتخطاها
الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرها
على الوجه الاول وجملة مستانفة على الوجه الاخير اذ لا رابطة لها ولا بدية في الصفة ولا مقارنة
في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره
على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولكم دينكم لا ديني والجملة الاولى على القصر على
ان ذلك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فلا ينفعهم انتسابهم الى المقام لا انتوهم متوهم انتفاعهم بكسب من كان
يحتاج اليه ان يتناقصه ومثال الذي يتوهم انتفاعهم هو اكتسابهم في السابقة بان اعمالهم الصالحة مجموعة
بهم لا تخطاهم الى غيرهم وليس لهم الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم
في الاعمال كما قال عليه الصلاة والسلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون
عما كانوا يعملون اي لا يجري السوال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا والمراد
تسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جاء على البقية له واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم
الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية واما اطلاق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن
كلية هذا وقد حمل السوال الصارف على المواخذة والموصول على السيات فقيل اي لا تواخذون بسياتهم كما
لا تثابون باعمالهم الحسنة ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيات

فمن يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان تقاعده وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم
وضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن
باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديدها بايهم عند غيرهم اي قالوا
للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم ولا لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو
موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا
وقالت النصارى كونوا نصارى فعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى اعتمادا على ظهور المراد تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابرهيم اي لا
نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام ويجوز ان يكون المعنى بل
اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته حنيفا
اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رأيت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعويهم اتباعه عليه السلام
مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام بردها
الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم مقابلة لما
قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه امنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية
مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم عليه السلام لكن من بعده عليه السلام حيث كانوا
متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع
سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم
واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما
فصل في التنزيل الجليل واراد الايتاء ما اشير اليه في التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود
والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرة
لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق
بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه
وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث
ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومثل ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم
لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز
النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار محذوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة
• فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا
على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال
اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين
على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به
اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه وتعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان تكون

الباء

الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمروره آنفا او على ان الفعل يجري مجرى اللازم اي فان آمنوا ايمانا
مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم فان تكون الاولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية
اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما انتم ملتبسين به
او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما آمنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين
الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه
بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد
والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة
المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له
طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض
وكفروا ببعض كما هو ديدنهم وديدنهم فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من
الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه خلفه
ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق
وهذا الدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي
على ان المراد شقاقهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى فانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة
على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما نائب مناب فاعلموا انما هم في شقاق وهذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل
الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى
فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وان لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم
ولا ريب في انه مما لا يليق بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك
مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد
النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي
سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة
وسبيهم واجلاء بني النضير وفي تلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل
لما انه الاصل والعمدة في ذلك للايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد
في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو
السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من
اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه
في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى انه يرد تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين
صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما
ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا
في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل
مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلم للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد
بتحصيلها وانه المقصود مؤكد لقوله تعالى آمنا بالله داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما
تقدمه وكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله
وانما وسط بينهما الشرطيتان لما بينهما من اعتبار بيان انه الايمان الحق بدلا لاهتدى وسارعوا الى تحصيله

خ واذ

عليه الصلاة والسلام ومن احسن من الله مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب
على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين
لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى
ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل جار بين الصبغتين على تعميم الحسن الحقيقي والفرضي المبني على زعم
الكفرة لم يلزم ان يكون في صبغة غير الله تعالى حسن في الجملة فالجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من
معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه
وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية
للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون
فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة ح يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظائف الخاصة
به عليه الصلاة والسلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في
دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة عليهما وتقولون تارة لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذا
ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا
اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال
لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس
اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام يقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر
على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل
التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او
نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد كلا الامرين منهما والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة
دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ
ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم
وانكارا عليهم لا من جهته عليه الصلاة والسلام اي على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان
المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا
فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وقوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له
تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه
الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل
فيه سواء واما افاضة على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا
ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملائمته لسباق النظم
الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما
اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني
على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم
على البعثة بمراتب قل انتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار
عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع
لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم

السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون
وقوله عز وعلا قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في
الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني
بالتبعية فالاستتباع كما مر في محله اي كذبتم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين
وفاقا فكيف يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم
شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه الصلاة والسلام بالحنيفية والبراءة
من اليهودية والنصرانية حسبما تلي انفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار
وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جانب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر
عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى
انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية
بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد
اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام الحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب
على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة
الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات
فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط
بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما
لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى اخر الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم
بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب
السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية
اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر
والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم
وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد قالوه
انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنا
فقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم
حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون قالوه كراهة
للتحويل الى الكعبة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن ملة ابائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم
ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول
المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد
وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم
بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة
المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة
من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا

دبره اذ لم يسد الجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد بها ههنا بيت المقدس
واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى **التي كانوا عليها** اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها
واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف
عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون
فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها
واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى الكعبة وتعلق الانكار بما ولاهم عنها لا بما ولاهم
الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل في الايذان بان
المنكرين هم اليهود وبناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة
عندهم لا التوجه الى الحق عندهم فانه بمعزل عن ذلك كيف لا والنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار
بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجأة
المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل **قل لله المشرق والمغرب**
استئناف مبني على سؤال كأنه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات
كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامره سبحانه
ومشيئته **يهدي من يشاء** ان يهديه بمشيئة تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو **الى صراط مستقيم**
موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم ابية ومصالح خفية **وكذلك جعلناكم** توجيه للخطاب الى
المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك
اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكلام بالكاف مع القصد الى
المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع
جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه
كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط
محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي • كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت •
• بها الحوادث حتى اصبحت طرفا • فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة
بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة
المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها
التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من
اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوي فيه بين
المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت
ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه
بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا
اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط

تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين
الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل
لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهم من بعد
وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتولدة
من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية والحكمة
التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين
المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم
القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة
للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك
قوله عز وجل **ويكون الرسول عليكم شهيدا** وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف
للدلالة على اختصاص شهادته عليه الصلاة والسلام بهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عليه الصلاة
والسلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى
اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول
الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام ضايع يساق اليه النظم الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي
الى الحق فان المقصود افادة ان ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة
المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام
كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة
الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلته عليه الصلاة والسلام بمكة كانت بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة
واما الصخرة فمتأتية على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اولا
اعني الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة **الا لنعلم** استثناء
مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي لنعاملهم معاملة من يمتحنهم
ونعلم حينئذ **من يتبع الرسول** في التوجه الى ما امر به من الدين والقبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه
الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الاسلام
او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله
الاول لما ذكر ان ما كان عليه الاسلام الثاني على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف عقيدته
والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول
عليه الصلاة والسلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه واهل الزلفى عنده او لتمييز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول
من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب

الموجودة

اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من الثقيلة
دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم
الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان
كان مزيدة كما في قوله ۞ وجيران لنا كانوا كرام ۞ واصله وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق الا على الذين
هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم
الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام
له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم
اليها لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى
بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها
بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة
ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها
كما يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان
اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة انه لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برءوف وتقديمه
على رحيم مع كونه ابلغ لما مر في تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها
في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم
كقطع العضو المتاكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردده وتصرف نظرك في
جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان
يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف تدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها او لنمكننك من
استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بنزع
الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى
وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار
التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية
من ول او على نزع الخافض وعلى انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور
اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع
من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين
من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى
الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب
وحول الرجال مكان النساء فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله
عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف
اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية
وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا

صدره فكيف اذا وردت بدار قوم

وجهتها

فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه
المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وبما فيهم
لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه الصلاة والسلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم
الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم
بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي
من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين
والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع
الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما
كابروا في قوله بكل اية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما
خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والالزام
بالاية من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة
على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه الصلاة والسلام وطمعا في رجوعه واثار الجملة الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق
ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود
تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل فريق فيما يدعيه ولئن اتبعت اهواءهم
الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية
واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه
لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة اليهود فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه
ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين
اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان رتبتها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة
التي بين الشرط وجوابه المحذوف ولان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من
وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتضائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين اتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في ايتائه ووضع الموصول
موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه
للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات للحكم الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه الصلاة
والسلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها
انه عليه الصلاة والسلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا
تظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه الصلاة والسلام وانه علم
معلوم بغير اعلام وفيه ما فيه وقيل الضمير للعلم او لما سبق من الذي هو الوحي والقران او التحويل ويؤيد الاول
قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه الصلاة والسلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا
يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم ممن يحب
كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا
اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه

صول

رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين
امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه
فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى
من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم والى الحق الذي يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب وعلى انه خبر مبتدا
محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه الصلاة
والسلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك
وليس المراد نهي الرسول عليه الصلوة والسلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه الصلاة والسلام
وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اي قبلة
وقد قرئ كذلك ولكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه
او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة او الله موليها اياه بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد وجبر لضعف العامل وقرئ هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مائل
وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة
وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم
الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف يجمعكم الاجزاء او سفر قما يحشركم الله تعالى الى المحشر
للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض الله ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة
يجعل الله صلاتكم كانها صلاة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع
فهو تعليل الحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر
والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت الى السفر فول وجهك
عند صلاتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه اي هذا الامر
للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد لكم
فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه من اسفارك
ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيث
ما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين
المنتشرين في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيث ما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة
من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من
مظان الشبهة والفتنة فالحري ان يؤكد امرها مرة غب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا
يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك
لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول
الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه
وحبا لبلدهم او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة

مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة
بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم
فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف
يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمام النعمة عليكم لما ان نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط
مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن
الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية به
ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم منهم ولاتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط
قوله تعالى فلا تخشوهم الخ للمسارعة الى التولية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي
الله عنه النعمة على الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول
متعلق بالفعل وقدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا
مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول
كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا كافيها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء
يتلو عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون
به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي
هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم
المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي
ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في
التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان على حدة ولا يقدح
فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرايع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا
لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار
الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون
بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا
لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تاتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة
على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلاة التي هي ام العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما
انه المحتاج الى التعليل واما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة
والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية
الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم
متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان انه لا غاية للمامور به وا

خ منهم

خ تمام النعمة

الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت في المنام سنة تسع وتسعين وتسعماية اني ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران واردد هما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظر الى وجهي فرايته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف رايي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم انصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبرهم قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله تعالى الخوف خوف الله والجوع صوم شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه كقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم اي اولئك واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلاة والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لانه متقدم عليهما فلا بد للجزم عما هو نتيجة لهما من دواع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء

لكل حق وصواب لذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب اي اولئك الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رحمة الله تعالى ورافته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيثما ظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله تعالى انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة اخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف فخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز عن الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول والغالب عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر النبي صلى الله عليه وسلم والهدى اي والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهو المراد بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وياباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتوالي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدا الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام

اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما
افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معاينة فانه عين
الاصطلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت
هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين تستلزم التوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعلية الحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم
اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي
محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من
اختلاف المبدا في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما
وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة
من غير تعرض لعدم التوبة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك
الامور الثلاثة يستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر يستلزم لعدمها جميعا اي ان
الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك
الكلام فيه كما فيما قبله عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين من بعد بعضهم وهذا بيان
لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجديدي وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس
اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل
اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل الفعل مقدر اي وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما استئناف لبيان كثرة
عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم
على طريقة الترادف ولاهم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي
واستمراره اي لا يمهلون ويؤجلون ولا ينظرون ليعتذرون او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة
الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان
للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا
يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان مولى
النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته
تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات
لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما
خلفا للاخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما
قدره الله تعالى فهو الذي جعل الليل والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة
واما بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام
بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء
عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر

والسحاب

والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتاخيرها
لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار
وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يوذن به ايراد الموت في
مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم
الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من
ما وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله
• وان لساني شهدة يشتفى بها • ولكن على من صبه الله علقم • اي علقم عليه وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني
الى الارض ان لم يقدر الخير قادره • على معنى فاحيا بالماء الارض وبث به فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب الى اخر او من حال الى حال اخرى وقرئ على
الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح او اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء
والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره
تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر
عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور
المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لايات اسم
ادخلت عليه اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة
والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها
وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم اية تصدقه
في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك الايات وجد كلا منها ناطقة
بوجوده تعالى ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سايرها
فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فلا بد له حتما من موجد قادر
حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على
ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون
الله بيان لكمال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الايات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف
بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفات
الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الخ ومن
دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة واثاره الا
الجليل لتعيينه تعالى بالذات بعد تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم
فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بالتبري من المتبعين
وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة في شانها
من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصابها ورسخ فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب واحبه فهو محبوب
ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه
بمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب على انها صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير
باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي ونصبه على انه مصدر مؤكد للفعل السابق ومن
قضية كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون

بجمل خ

وحفظ من الوجوه الممكنة دون ما عداه
ليستنبط الاثار المختفية واحكام
مخصوصة منه انتهى
لانه وجود فلا
منه وجوده

بون

إليه فالمعنى يحبونهم حباً كائناً كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب
المذكور هم المؤمنون فالمعنى حباً كائناً كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه
كماً وكيفاً لما ستأتي من التنافي والتباين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أي كما يحب الله تعالى ويعظم وإنما استغني عن ذكر من يحبه
لأنه غير ملتبس وأنت خبير بأن لا مشابهة بين محبتهم لأندادهم وبين محبته تعالى فالمصير حينئذ ما أسلفناه في تفسير قوله
عز وجل كما سئل موسى من قبل وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه
والذين آمنوا أشد حباً لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل
عليه محذوف أي المؤمنون أشد حباً لله تعالى منهم لأندادهم ومآله أن حبهم له تعالى أشد من حبهم هم لأندادهم
وفيه من الدلالة على كون الحب مصدراً من المبني للفاعل ما لا يخفى وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى إذ
المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضاً وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه منوطاً بمبان فاسدة ومبان
موهومة تزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنماً إذا
فإذا وجدوا آخر رفضوه إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خبير بأن مدار ذلك اعتبار
اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الأهوال
كما سيأتي والاعتبار بمحل مما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وإيثار
الإظهار في موضع الإضمار لتفخيم الحب والإشعار بعليته ولو يرى الذين ظلموا أي باتخاذ الأنداد ووضعها
موضع المعبود إذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة أي لو علموا إذ عاينوه وإنما أوثر صيغة المستقبل لجريانها
مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في أخبار علام الغيوب أن القوة لله جميعاً ساد مسد مفعولي يرى وأن الله
شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى
لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما
لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع
عليه أي لو علموا إذ رأوا العذاب حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أندادهم أن القوة لله تعالى جميعاً ولا دخل لها
في شيء أصلاً لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت أمراً لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ يرون
على البناء للمفعول وإن الله شديد العذاب على الاستئناف وإضمار القول إذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من إذ يرون
أي إذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا أي من الأتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم
إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول إبليس إني كفرت بما أشركتمون
من قبل وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة
أو عاطفة على تبرؤوا والضمير في رأوا للموصوفين جميعاً وتقطعت بهم الأسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية
والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر
ونحوه والجملة معطوفة على تبرؤوا وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرؤ ويجوز عطفها على الجملة الحالية
وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو أن لنا كرة
أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك إشارة إلى مصدر الفعل
الذي بعده لا إلى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته
في كمال تبرئه عما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة
من الفخامة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم أي ندامات
شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي ألم القلب وانحساره عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير

أي منقطع القوة وثاني مفاعيل يري إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم
فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والأصل
وما يخرجون والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم كما في
قوله ❊ هم يفرشون اللبد كل طمرة ❊ وأجرد سباق يبذ المغاليا ❊ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض أي
بعض ما فيها من أصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والأنعام قال ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على أنفسهم ما حرموا من
الحرث والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالاً حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالاً أو مفعول لكلوا على أن من
ابتدائية ويجوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلاً حلالاً ويؤيد الأولين قوله تعالى طيباً فإنه صفة له ووصف
الأكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل
ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فإنه صريح في أن الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه تزهداً ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلاً عن كونه تقولاً وافتراء على الله تعالى وإنما الذي
نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقرئ خطوات
بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها على الواو
وبفتحتين على أنها جمع خطوة وهي المرة من الخطو إنه لكم عدو مبين تعليل للنهي أي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي ولياً في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت إنما يأمركم بالسوء والفحشاء
استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل
مصدر ساءه يسوءه سوءاً ومساءة إذا أحزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لاشتراكها
كلها في أنها تسوء صاحبها والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء
أي بأن تفتروا على الله تعالى بأنه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون أي ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليقه
بتقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى مع أنهم ذلك للمبالغة في الزجر فإن التحذير من الأول مع كونه
في القبح والشناعة ... ولا الانذار
يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلاً عن القول عليه بما يعلم عدم وقوعه منه
دليل على المنع من اتباع الظن رأساً وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه المستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي
والظن في طريقه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله التفات إلى الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم وإيذاناً
بإيجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء لتفصيل مساوي أحوالهم على نهج المباثة
أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما ألفينا عليه
آباءنا أي ما وجدناهم عليه
معقول له شاء تقدم على الأول نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج الظاهرة
والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد فالموصول عبارة عما سبق من تحليل الأنداد وتحريم الطيبات وتحليل الخبائث
وإما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولاً أولياً وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الإسلام قوله عز وجل أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون استئناف مسوق من
جهته تعالى رداً لمقالتهم الحمقاء وإظهاراً لبطلان آرائهم والهمزة للإنكار الواقع والتعجب منه
لا لإنكار الوقوع كما في قوله تعالى أولو كنا كارهين وكلمة لو في أمثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في
الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى تحقيق ما
يفيده الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له

على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع
ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا
يذكر معه شي من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع
الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر
الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن
وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفا ناشي من
ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور
قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز
لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه
المذكور وانما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال
مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدايرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل
يقصد للاشعار بانه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا ينسبوا من التفريع بنسبة
ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لابائهم
حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى وانتفاء
شعورهم لذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في
حيز النصب على الحالية من ابائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا كانه قيل ايتبعونهم ابائهم
حال كونهم عاقلين وجاهلين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر
الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضايها للحالة الاولى اقتضا بينا فان
اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين
اولى ان قلنا لا انكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي
معتبرة بالنسبة الى النفي الا ترى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون
ابائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه يتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت
ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطا المستفاد من
الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه هو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام
السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما
لا من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي
كما ستقف على تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف
في ساير اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها
مضاف قد حذف لدلالة ما قبله عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضماير السابقة
لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القايل وحاله الحقيقة
بان يسمى مثلا ويسير في الافاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد
واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعا غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى
عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهايم فانها لا تسمع الا صوت الراعي وهيئة نهاقه من غير
فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة ما عليه فانها عبارة عنه بسيرة

مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من بهائمهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي
اليهم من الايات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع ع
ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم
الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا اغنى عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان
الاصنام بمعزل عن ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما يشابه افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم
صم الخ فهم لا يعقلون شيا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل
باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد
انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي
من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته
تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق
ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة
والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف واستثنا الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه
مع ان ساير اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت
عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي
بالسفر وهو مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله تعالى فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها ان
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما
ذكر انفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في سائر اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون
به اي بالمكتوم ثمنا قليلا عوضا حقيرا قد مر تحقيق ذلك الثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة
وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم
اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث انهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى ما ياكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان
او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون في الحال
ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله ۞ اكلت دما ان لم اروعك بضرة ۞ كانه قوله
۞ بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ۞ او ما ياكلونه في المال يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشا
في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفايدته تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملء بطونهم
كانوا يقولون اكل في بطنه واكل في بعض بطنه وعنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتفات تحليته
بمحذوف وقع حالا مقدمة من المستثنى تقديره ما ياكلون شيا حاصلا في بطونهم الا النار والاستثناء مفرغ
ما ياكلونه الى السمع على النار والمقصود حصرها باكلونه مطلقا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن
غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم
لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك اشارة الى المشار اليه بنظر باعتبار المذكور
خاصة لانه مع ما يلوه من احوال الاليم الفظيعة اذ لا مدخل لها في الحكم الذي يراد به اشارته هنا فان المقصود

تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا لبيان حقيقة ما نبذوه
واظهار كفر ما اخذوه وابداء فظاعة شناعته وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المشترون لكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا
ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليس وراءها ضلالة يمكن ان تشترى قطعا بالهدى
الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلته شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه
يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم
بما يوجب النار ايجابا قطعيا كأنه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند
الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة وما بعدها صلتها
والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب
اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان مرتكبا للجهل والغواية مستحقا لمثل هذا
من انواع العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها
او في التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم
انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير الاولين كما حكي عن المفسرين ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى
الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين فتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة
النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه
مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى
تلك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول
وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول وانما اخر ذلك لان المصدر المؤول
اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا
فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاذب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى
لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله
مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل
لخصال البر بما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشأنه ويجد
في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله
وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما
من اول الامر وعقيبه بنفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ
والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى
وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم
وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من
غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح ونسقه
في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى او الضمير المجرور
للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح

شحيح تؤمل العيش وتخشى الفقر وقول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى
الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على حبه
تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لما اخذ الرشى في اخذهم التغيير التورية وقيل للمصدر اي كائنا
على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الاول
مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاذب الاطراف في الكلام وهو الذي قضى بتقديم الحال
ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم
لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك
به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف
والسائلين اي الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل ولو جاء
على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى
وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما
للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار
برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في للظرفية المنبئة عن تمكنهم لما يوتى واقام الصلوة اي المفروضة منها
وآتى الزكوة اي المفروضة منها على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث
عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على
من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بها لهم ما
لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه
من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير معطوف على ما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو
في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد
خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه
كما مر في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في البأساء والضراء اي المرض والزمانة وحين
البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من البعد لما مر مرارا من التنبيه على
علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال
واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة
الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر
فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير
الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون
لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير
قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام
الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم
اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى
الحكام والقاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب
دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا

اي في الفقر والشدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي
ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه ههنا
وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله تعالى بما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد
وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل
الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب
على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على
البنا للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفى لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو
بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاوليا فهو شيء من العفو
وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في
قول من قال . ديار عفاها جور كل معاند . وقوله . عفاه كل هتان . كثير الوبل هطال . ليكون المعنى
فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما
وفي استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا كما ذكر من قبل وعفى يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له
عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني ادم عليه السلام
لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة
ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان
من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على
اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وعليهم القصاص والدية
وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير
القاتل بعد ورود هذا الحكم فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في
الاخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا ينال غايته حيث جعل
الشي محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف
وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة والظرفان اما
خبران لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة
او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب يا ذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما
خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة
في امره والاهمال من المحافظة عليه والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان
لحكم اخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته او دنى نفسه من الحضور
وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا
لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك
خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعماية
دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثمائة درهم فقالت كم عيالك

قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصا
ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه
بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ
لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله
. من يفعل الحسنات الله يشكرها . ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم
في بدء الاسلام ثم نسخ عندنا باية المواريث بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا
وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته
للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى
كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم
ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى ارائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم
وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي
يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما ينبئ عنه الجملة
المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارضه
بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة اياه بالقبول
لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله
تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان
الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصا
فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى
وصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها
دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان تفويض الامر الى ارا المكلفين على الاطلاق و
الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اراؤهم بالمعروف فتكون اية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل
مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا فمن بدله اي غيره من الاوصيا والشهود بعدما سمعه اي بعدما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه
اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في
موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين غالبا
او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي
توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السما وقرئ من موص جنفا اي ميلا بالخطا في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح
بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق خلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية وتكرير الندا لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام
والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم الاية
وقيل هو الامساك عن الشي مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال
. خيل صيام وخيل غير صائمة . تحت العجاج واخرى تعلك اللجما . وفي الشريعة هو الامساك نهارا
مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب او على انه حال من المصدر المعرف

بهذه الاية

اي كتب عليكم الصيام الكتب مثل ما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشورا واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان له وجاء او تتقون الاخلال باداية لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او على المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتوقفة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطا فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا اتعودوا به فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطيقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويطيقونه ويطيقونه بادغام التاء في الطاء وتطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يتطوقونه ويتطيقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعجز وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا اسنادا في خبره او خبر لمبتدا محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر للمبتدا على الوجه

الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه الحكمة الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضره فليصمه اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا حاضرا فيه مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كنسخه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي لهذه الامور شرع ما امر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه من الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدرية والموصولة اي هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فهو في الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعجمي من تشريفه ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واحوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه لما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء واشارة هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للاهتمام هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه

كل منهما على الآخر باللبس قال • اذا ما الضجيع ثنى عطفها • تثنت وكانت عليه لباسا • ولان كلا منهما يستر
حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف مبين لما ذكر من السبب في الاحلال يعني
من الخيانة كالاكتساب من الكسب معنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره
الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فان الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح
لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
وما امتد معه من غسق الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط
الاسود لدلالته عليه ولذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر
وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم
نزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم
صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح
جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون
فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه
دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعضها وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهي في
العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها
فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم
ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه
كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة
اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم لاموال البعض على خلاف حكم الله عز وجل
بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم اموال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور
واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان
الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ
القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم
الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة
من النار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك فتوضيا
عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا
يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عليه الصلاة والسلام عن الحكمة
في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم
للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك

من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون
من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للناس والحج ذكر عقيبه ما هو من
افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه الصلاة والسلام
مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم عقب بذكر جواب ما سألوا عنه تنبيها
على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها واريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال كمن
من قبل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على
مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله لعلكم
تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتعدية
الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول
ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له
مكة شرفها الله تعالى ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر
الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال
المعاهد والمفاجاة من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم
ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم خيرا وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم
في حل او حرم والثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم
من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وبقاء الم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب في العدول عن صيغة
المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقوله قتلنا بني اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا
بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعدما رأوا اقتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد
مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فانكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر
الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

وقيل تغيير لحكمه فيه جميع امور كرام
بدل القصص تعاطيا لتغيير
من ثبوت حكمين لدلالة الزيادة
لصاحب ثابت النفوس
وتعبد لعوله
تعالى •

بمثل ما اعتدى عليكم وهي فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم بالنصرة والتمكين وانفقوا في سبيل الله
امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده
ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا
واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يودي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل
هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة
والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا
اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا
الحج والعمرة لله بيان لوجوب تمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى
يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه
كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله
وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على
وجوب العمرة مطلقا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج
والعمرة لله فان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا
على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهور ناطقة بوجوب
اتمامهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا شرائطهما واركانهما وسائر افعالهما المعروفة
شرعا لوجه الله من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة
كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية
وايا ما كان فلا تعرض في الاية لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة
لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال
يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه الصلاة والسلام الحج جهاد
والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي
لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل
منع من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة رضي الله عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر
او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر
والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوما امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم
في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة
والسلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان
والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا
يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة
او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك
بشاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن
استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته
باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب
التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله
بعد الاحرام الى ان يحرم بالحج وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح
يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم
الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا
يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر
العرب لا تعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة
مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به
تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مفيدة تفيد كمال بدليتها ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور
عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشا
ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله في
المحافظة على اوامره ونواهيه لاسيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به
عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله
عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من
المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما
سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر
غير العقلاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او سوق الهدي فلا
رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب
والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لا
كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب فيها الى الله عز وجل من موجبات
ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون فان ما كان منكرا مستقبحا
في نفسه ففي تضاعيف الحج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة
الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به وتزودوا فان
خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانها خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون

ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس
واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شي سواه وهو مقتضى العقل والتعري عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا
اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح
بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيموها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته
بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون
وكسر وفيه علمية وتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة مع ذهاب
التنوين لعدم الصرف وهذا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع
الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لانها
كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه الصلاة والسلام فلما
ابصره عرفه او لان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال له عرفت او لان آدم وحوا التقيا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها لقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة
فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعا وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام وهو جبل يقف عليه
الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر
من هدايته اياكم لمن الضالين اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان هي نافية
واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا
من المزدلفة والخطاب لقريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون بذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به آدم عليه السلام
من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير
المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم
عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم اي فاذكروا ذكره تعالى وبالغوا في ذكره
كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا مثل ذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او اذكروه اشد مذكورية من آبائكم
فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث
على الاكثار والارشاد في طلب الآخرة من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا
في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همته على الدنيا فهو بيان لحاله

في الآخرة

في الآخرة او من طلب خلاق وهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر همته على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة هي الثواب والرحمة او الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب
والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب الدنيوية في الدنيا اولئك
اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد للتمييز او من
الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما
كسبوا على الاول للتعظيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله
تعالى مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعا كسبا لما انه من الاعمال
والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة
من هذا شانه قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق
فمن تعجل في النفر او النفير فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله
واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله • قد يدرك المتاني بعض حاجته • وقد يكون من المستعجل الزلل
في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه
بتعجيله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع
من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على
اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومن مؤثم للمتاخر لمن اتقى خبر مبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير
ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او باجله حتى لا يتضرر بترك ما
يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنظموا في سلك المتقين
بالاحكام المذكورة [illegible] واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحيا واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب
للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من
يعجبك قوله بتجريد الخطاب وتوجيه الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس
في شان التقوى الى حزبين [illegible]
[illegible] في الحيوة الدنيا متعلق بقوله
اي ما يقوله في الحيوة الدنيا [illegible] من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه
وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويشهد الله على ما في قلبه
[illegible]
[illegible] فالجملة اعتراضية
ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر [illegible]

البه بمعنى في كقوله لم تثبت العذرا وانه الحضوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب وقيل نزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل
في المنافقين والجملة حال من الضمير في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا
تولى من مجلسك سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث قتل بنيهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما تفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة
وقرئ على البنا للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه
وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما باشرته من الفساد او النفاق واحذر
سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا
من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل
لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفا الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل
ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل
ما يوطا للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر كما مر اي يبيعها في الجهاد ومشاق الطاعات
وتعريضها للمهالك في الحروب ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله
اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك
وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت
معكم لن انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة
فيشري حينئذ بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشرا والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب
والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ
بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما
معا كما في قوله • خرجت بها تمشي تجر وراءنا • على اثرنا اذيال مرط مرحل • وهي في الاصل اسم لجماعة تكف
مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله
عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله • السلم تاخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك من انفاسها جرع •
وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون
احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب لاهل
الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه
كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما
كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وهنالك
ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن
الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج القطعية الدالة على
حقيقته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما
تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المشركين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون
اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم
الله اي امره وباسه او ياتيهم الله بامره وباسه فحذف الماتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة

للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريقة
المباثة وايرادا لانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها
مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال من الغمام اي السحاب الابيض وانما
اتاهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا
يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي وياتيهم الملائكة فانهم
وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الاتون بباسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتي اولا
من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس
بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم
داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي للدلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جي بها انباء
عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث
على البنا للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البنا للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات
كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبيا عليهم الصلاة والسلام واية ناطقة بحقية الاسلام
المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية والرفع بالابتداء على
حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم
وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او بتحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه
وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا
على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما
حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة
الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن
غيرها والمزين من حيث الخلق والايجاد هو الله سبحانه كما ينبئ عنه القراءة على البناء للفاعل
ويؤيده كل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض
ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقرا
المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى كما
جعلوا السخرية منهم سببا لاقبالهم والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان
اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيامة لانهم
في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذلة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة
فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها
والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس
امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان
فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا مبشرين
ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل
منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر
والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول انسب بالنظم الكريم وانزل

معهم الكتاب اي جنس الكتاب ومع كل واحد منهم من له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم
يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العايد اليه بمعونة
المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل
ليحكم اي الكتاب والله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موضع الاضمار
لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق
او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق
والتعبير عن الانزال بالايتا للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال
لا يفيد تلك الفايدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد
ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه
وقيل بالملفوظ بنا على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به
من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه
من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل
المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبيا عليهم السلام وتدرس فيه ما لاختلافهم وما لقي الانبيا
ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدايد ومعاسات الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة
فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبيا
ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهايلة التي
هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل
كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا
اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اي انتهى
امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول والذين امنوا معه وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى
واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون باثاره المستضيئون بانواره متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له
واستطالة لمدة الشدة والعنا وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات
ونهاية النهايات النائية كنهها والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ
من الضجر والضجيج على ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم
ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها
وتصديرها بحرفي التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايته دون حكاية تحقق
النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى
عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جنات القدس لا يتسنى الا
برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العايد
اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز للانفاق من جميع انواع الاموال وتبيان لما في السؤال الا انه جعل
من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان

خ القايلة

خ ومكاره

خ موثقه

الاهم بيان المصارف المعدودة الا ان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ وله مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفا بما ذكر في المواضع
الاخر واما بنا على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان
فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم
القتال بنا الفعل للمفعول ورفع القتال وقرئ ببنايه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ
كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا
على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم
كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه
وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما
نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك
يامركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه اي والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما
فلا تتبعوا في ذلك رايكم وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي انه صلى الله عليه
وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد والقريش فيهم عمرو بن عبد الله
الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب
وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويتذعر فيه الناس الى
معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل
توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن
القتال المعهود ولذلك لم يقل يسالونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها
النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة
له اي قتال كاين عن عطا انه سيل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر
الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع للاسلام الموصل العبد الى الله تعالى وكفر به عطف
على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم
يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل
هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر للاشيا المعدودة اي كباير السالفين
اكبر عند الله مما عنوا بالسوال وهو ما فعلته السرية خطا وبنا على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمونث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتدا وبقا اكبر من القتل اي
افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم
عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تاكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق

تموم

إن استطاعوا إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك ومن يرتدد منكم
عن دينه تحذير من الارتداد أي ومن يفعل ذلك بإضلالهم وإغوائهم فيمت وهو كافر أي بأن لم يرجع إلى الإسلام
وفيه ترغيب في الرجوع إلى الإسلام بعد الارتداد فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر إلى معنى
أولئك المصرون على الارتداد إلى حين الموت حبطت أعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الإسلام حبوطا لا
تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الأحكام الدنيوية والأخروية وأولئك أي الموصوفون
بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح أصحاب النار أي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة
إن الذين آمنوا نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول مع أن المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله أي ثوابه أثبت لهم الرجاء دون
الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لأن في
فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الأجر والثواب والجملة
محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه
ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل
فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم أحدهم
فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعى
عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء
الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن
علي رضي الله تعالى عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
فنبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقا
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي بها من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها
العقل والتمييز كأنه نفس الستر كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد
والمرجع يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب أو من اليسار لأنه سلب
وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح من الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل
والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين
إلا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة
وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويجعلونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل
قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور
مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه
ويسمونه البرم وفي حكمه جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال إياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فإنهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن
ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما إثم كبير أي في تعاطيهما
ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال ومنافع للناس

من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ إثم كثير بالثاء المثلثة وفي
تقديم بيان إثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الأول ما لا
يخفى على ما نطق به قوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما أي المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة
عليه وقرئ أقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على
القصة أي أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح أيضا سأل أولا عن أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين
جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانيا عن أي أصنافها ينفق من خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار
ما ينفقه منه فقيل قل العفو بالنصب أي ينفقون العفو أو أنفقوا العفو وقرئ بالرفع على أن ما استفهامية وذا
موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال
ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض الغنائم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر ذلك مرارا
حتى قال عليه الصلاة والسلام مغضبا هاتها فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك
الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
باعتبار الفريق أو القبيل أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مثل
ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على
الأحكام الشرعية المذكورة لا بيانا أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا
وتبيين الآيات تنزيلها مبينة النحو واضحة المدلول لا أنه تعالى يبينها بعد أن كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في
تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق بما قبله أي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات
وأما تجوز وقع حالا من الآيات أي يبينها لكم كائنة فيهما أي بينة لأحوالكم المتعلقة بهما وأما تقديم علته
لمزيد الاهتمام بشأن التفكر وأما بقوله تعالى تتفكرون أي تتفكرون في الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة
في الأحكام الواردة في أجوبة الأسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص
من المناسب لمقام تعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة ذلك
جيئا لإشارة إلى العام من البيانات كلا وبعضا لا يحصد حصرا بعده فإنه حينئذ يستقل بتيسير عبارة
عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الأجوبة المذكورة يبين الله
لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم
وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة ويسألونك عن اليتامى عطف
على ما قبله من نظيره روي أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية اعتزل الناس عن مخالطة اليتامى
وتعهد أموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل إصلاح لهم خير أي التعرض
لأحوالهم وأموالهم على طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وإن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم
فإخوانكم أي فهم إخوانكم في الدين الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ومواجبها
المخالطة بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح أي يعلم
المعرفة المتعلقة بالإصلاح أو بالإفساد يعني التمييز أي يجازيهم عند المخالطة

بمخالطته الخيانة والافساد يميز الله من يصلح بها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله من وعد ووعيد
وفي تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء ان يعنتكم اي يكلفكم ما يشق
عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور
التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة
الداعية الى بنا التكاليف على اساس الطاقة دليل على ما تفيده كلمة لو من انتفا مقدمتها ولا تنكحوا المشركات اي
لا تتزوجوهن وقرى بضم التا من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يومن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا
بقضية عموم التعليل الاتي لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي
ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان
يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان
تتزوج بي فقال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مومنة تعليل للنهي عن
مواصلتهن وترغيب في مواصلة المومنات صدر بلام الابتدا الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة
في الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذف لامها على غير قياس وعوض عنها تا التانيث ودليل كون لامها واوا
رجوعها في الجمع قال الكلابي • اما الاما فلا تدعونني لدا • اذا تداعى بنو الاموات بالعار • ويقال
هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مسند المبتدا فيها من لام الابتدا والوصف اي ولامة مومنة
مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اي امراة مشركة مع ما لها
من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفا الشي في الماضي
لانتفا غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي
لتحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على
ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق
مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شي من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصا الاحوال
على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المال ولامة مومنة خير
من امة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب من
موجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه
فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية ولو بمعنى ان وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة
مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون
ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المومنات
سواكن حرائر او اما حتى يومنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مومن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك
مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استيناف
مقرر لمضمون التعليلين المذكورين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار
اي الى ما يودي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة
عباده المومنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم
الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتدا باذنه متعلق
بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المومنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقا

بنا

وظهورها في المعقود

المعنى

بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا
ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو اوليا الله يدعون وهم المومنون
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين
الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما
وهذا وان كان يستدعيا لاتحاد مرجع الضمير من الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حينئذ
حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم بما وضحناه اولا واراد التذكر هنا
للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسالونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله
ولعل حكاية هذه الاسولة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السوال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع
كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجي والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون
الحيض ولا يواكلوهن كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم فنزلت قل هو اذى اي شي يستقذر منه ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا
النسا في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال
ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها
هلكت الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون
في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد
عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى فان كان ذلك في اكثر
المدة حل القربان كما انقطع وان كان في اقلها لا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلاة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد
الانقطاع كما يفصح عنه القراة بالتشديد وينبي عنه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن
من حيث امركم الله من الماتي الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض
ما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في
ارحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن
بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا
يزعمون ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم اي ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الجماع واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من
جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتعرضوا لتحصيل ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون
به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه
البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه
مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا
يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا عنه كما يقال فلان عرضة للخير
وعلى المعرض للامر والمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن سمرة
اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا

بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة
بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله برّكم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي
برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض للامور المذكورة ويحجزها بما
ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوّز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الخ بالفعل او بعرضة فتكون
الايمان بمعناها وانت خبير بانه يودي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها
وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون
برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم يعلم نياتكم فحافظوا
على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام من غير قصد عن درجة الاعتبار والمراد
به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله
عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء ظنه على ما حلف عليه
ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم
من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق
فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم
الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسبق اللسان
والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
والجملة اعتراض مقررة لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب
الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى
واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة
اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك
اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها
في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على
العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان
ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا عن اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كالذي
قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان حمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي
بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفير او ما قصد بالايلاء من ضرار المراة وان عزموا الطلاق واجمعوا
عليه فان الله سميع لما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا يخلو عنها الحال
عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر
المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل
وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر بمعنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى
بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن الامر بالتربص فيخبر به موجودا ونحوه وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد
بانفسهن اي يبعثها ويحملها على ما لا تشتهيه بل تشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من
عن الاتصاف ما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به
ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض
بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان

وقوله

وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء
الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن
وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ارادة كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع
وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل
عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء
والعقوبة منافية لذلك قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع
كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه
التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى ملكهم بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان
التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها
لان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة
عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن في غرض
من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه
حكيم تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد
الرجعي لان السابق اقرب حكمه ولما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الثالثة فقال عليه الصلاة
والسلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق فيه الزوج الرد
والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد
مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف
اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي
العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي بالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث
ذلك بدعة عندنا وقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وخبر مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا
علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات
وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا
مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي
نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقدم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على
القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله
اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات
والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائها
اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله لا اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام
ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة
والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم
بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة (خ المواضع)
وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل
له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل
منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه كهدبة الثوب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه الصلاة والسلام لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك فمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد
مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع من المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد
عند الاكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
اي على الزوج الاول والمرأة ان يتراجعا اي يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي
اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان
الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا
حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق وسيبينها
فيما سيأتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في
قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وحال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم
بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان ولان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون
في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ
هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي راجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى تنقضي اجلهن باحسان
من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشأنه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن
ضرارا تأكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة
فنهي عنه بعدما امر بضده وضرارا نصب على العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام
في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي
الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا
اي مهزوءا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم
يجد في الامر انما انت هازئ كأنه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها
وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة
فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ثم يقول انما كنت العب

فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله
عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي فاقبلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء
التأنيث لانه مبني عليها كما في قوله ۞ فلولا رجاء النصر منك ورهبة ۞ عقابك قد كانوا لنا كالموارد ۞ وما
انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة
بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله ۞ الى الملك القرم
وابن الهمام ۞ وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة
المأمور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي بما
انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه
الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد
بيان ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان
ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم
لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله
ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن
العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة
واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة
فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل
سواء كان ذلك من الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان
ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه لصدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن ازواجهن
من ان ينكحن محله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل بدل اشتمال من الضمير
في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن اذا اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار
ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف لان لا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار
تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقوله تعالى
بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء
متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وقيل بتراضوا
اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس
بالعضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع
المكلفين كما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما باعتبار الفريق واما لان الكاف لمجرد
الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر لانه المسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق
بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم اي الانفا

والعمل بمقتضاه أزكى لكم أي أنمى وأنفع وأطهر من أدناس الآثام وأوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاة
والطهر وأنتم لا تعلمون ذلك أو والله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه
ههنا وأنتم لا تعلمونها فدعوا آراءكم وامتثلوا بأمره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون والوالدات
يرضعن أولادهن شروع في بيان الأحكام المتعلقة بأولادهن خصوصاً واشتراكاً وهو أمر أخرج مخرج الخبر
مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما إذا عدم قبول الصبي ثدي الغير أو فقدا
الظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لبعث عطفهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات
وغيرهن وقيل خاص بهن إذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان أن التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني
على المسامحة المعتادة لمن أراد أن يتم الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن
فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة والأم ترضع له كما يقال أرضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له
أي الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه وتغيير العبارة للإشارة إلى المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع ومؤن
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن أجرة لهن واختلف في استئجار الأم وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح
أو العدة جائز عند الشافعي رحمه الله تعالى بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس إلا
وسعها تعليل لإيجاب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف وهو نص على أنه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك
لا ينافي إمكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له أي لا يكلف كل
واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب الولد وقرئ لا تضار بالرفع بدلاً من لا تكلف وأصله على القراءتين
لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الأول يجوز أن يكون بمعنى تضر والباء من صلته أي لا
يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعطافهما إليه وللتنبيه على أنه
جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى
وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته
وقال الشافعي رحمه الله تعالى هو وارث الصبي يعني أن المرضعة من ماله عند موت الأب لا نزاع فيه وإنما الكلام فيما الاب وهو صح
إذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الأبوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وذلك إشارة
إلى ما وجب على الأب من الرزق والكسوة فإن أرادا أي الوالدان فصالاً أي فطاماً عن الرضاع قبل تمام الحولين
والتنكير للإيذان بأنه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف صفة له أي صادراً عن تراض منهما أي
الوالدين لا من أحدهما فقط لاحتمال إقدامه على ما يضر بالولد بأن تمل المرأة الإرضاع ويبخل الأب بإعطاء الأجرة
وتشاور في شأن الولد وتفحص عن أحواله واجتماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من الشورة وهي
استخراج الرأي من شرت العسل إذا استخرجته وتنكيرها للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما أن تراضيهما
إنما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على أن صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وإن أردتم
بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات إلى خطاب الآباء لهزهم إلى الامتثال بما أمروا به أن تسترضعوا
أولادكم بحذف المفعول الأول استغناء عنه أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي
واسترضعتها إياه وقيل إنما يتعدى إلى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أي أن تسترضعوا المراضع
لأولادكم فحذف حرف الجر أيضاً كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم فلا جناح عليكم في الاسترضاع
وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع للولد ويمنع الأم من الإرضاع إذا سلمتم أي إلى المراضع ما آتيتم
أي ما أردتم إيتاءه كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحساناً
إذا فعله وقرئ ما أوتيتم أي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه

من يبعث لهم على التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى فإن المراضع إذا أعطين
ما قدر لهن ناجزاً يداً بيد كان ذلك أدخل في استصلاح شؤون الأطفال واتقوا الله في شأن مراعاة الأحكام المذكورة
واعلموا أن الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وفيه موقع
من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف أي وأزواج الذين يتوفون منكم أي تقبض أرواحهم
بالموت فإن التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه أي أخذته وقبضته والخطاب لكافة
الناس بطريق التلوين ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً أو على حذف العائد إلى المبتدأ
في الخبر أي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم
وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله
أصلاً حتى إنهم يقولون صمت عشراً ومن البين في ذلك قوله تعالى إن لبثتم إلا عشراً إن لبثتم إلا يوماً ولعل الحكمة في
هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكراً يتحرك غالباً لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك لأربعة أشهر فاعتبر أقصى
الأجلين وزيد عليه العشر استظهاراً إذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية
والحرة والأمة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الأمة وقوله عز وجل وأولات الأحمال خص الحامل منه
وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطاً فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم أيها الأئمة الحكام والمسلمون جميعاً فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على
المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه إشارة إلى أنهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم أن يكفوهن عن
عن ذلك وإلا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل
فيما عرضتم به التعريض والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتك لأسلم
عليك وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه أي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب
من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل وقيل هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر لما أنها شأن من الشؤون ونوع بيض
من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض
خطبتهن أن يقول لها إنك جميلة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس
نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح أو أكننتم في أنفسكم أي أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً
علم الله أنكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على
قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سراً استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحاً بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وإشارة على
أنه لا ينبغي أن يصرح به ويحمله على الوطء مما يأباه الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح
وقيل استعارة على الطريقة ... إلا أن
تقولوا قولاً معروفاً استثناء مفرغ أي لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة
شرعاً وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا تواعدوهن بشيء من الأشياء إلا
بأن تقولوا قولاً معروفاً وقيل إنه استثناء منقطع من سراً وهو ضعيف لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا
الصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح
أي لا تعزموا عقدة عقد النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله أي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا

تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى ابعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق ولو ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن فريضة اي العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ باسكان الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص عن خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة قبل ذلك اي وان طلقتموهن من قبل النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما وبعض الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان لم تقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام عند اظهار انه لا شيء له متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتا

وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم تؤثر فيه ان بنابيره فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة وتغليبا لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او يحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل يسوغ لك او يحط يكون له الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى الاستثناء منقطعا الا في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رحمه الله تعالى ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر الماخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الخ فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ باليا ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلاة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه الصلاة والسلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلاة الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلاة العصر وقيل هي صلاة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي النهار والليل ووتر النهار ولا تقصر في السفر وقيل هي صلاة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في الليل وعن عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما يقرآن والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلاة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اي في الصلاة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وجوز الشافعي اداءها حال المسابقة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتي الخوف والا

هذا وفي ايراد الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في
جواب الثانية المبنيين على تنزيل وقوع المأمور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل
منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية
الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية
لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل
وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يتمتعن بعد موتهم حولا بالنفقة والكسوة والسكنى وكان ذلك في
اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فان خرجن
عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع
كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة
مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها
والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن
مدخولا بهن او لا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية
والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد
بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم
اياته الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شأنهم فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية والعلمية
لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع
قصتهم ويعجب منها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لانه شبه حال غير
الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام
معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين
خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين
معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل
سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله
وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما رأى منهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت
فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم
دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان بامر امر مطاع لمأمور مطيع كما في
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا

البديع

ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على ما قال لهم
عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم
ينفع منه المهرب فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم
ليعتبروا ويفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار
والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر ينبئ عنه ما قبله
كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر
لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل اولى لانه عز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة
السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا او شرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا التخاذل
والتساهل من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه
واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس
والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي
اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاؤه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما
من المناسبة بالسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع
ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على
ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض
ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا تبدل احوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء
الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع انه مزيد
ارتباطا بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم
لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملأون العيون مهابة والمجالس ابهة ولانهم مليئون بما
يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملأ اي
كائنين من بعد وفاة موسى عليه السلام [illegible] اذ قالوا
[illegible] لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افراثيم بن
يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بالي بن علقمة
من ولد هارون عليه السلام وقال مجاهد هو شمويل بن هلقابا ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله [illegible]
[illegible]
للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي فقيل
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم الا
تقاتلوا كما اتوقعه منكم [illegible]
[illegible]
[illegible]

ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ح

قالوا استئنافا كما سبق وما لنا ان لا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب
من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو
جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني
اسرائيل واخذوا ديارهم واسروا من اولادهم وسبوا من اولاد ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية
واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا
لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم
اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه
وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك
الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه
السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه
او حي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا
حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا
استئنافا كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت
مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهودا
ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما بل من سبط بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا
وقيل سقا قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك
الامر هو اصطفاء الله عليكم وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة وفور العلم ليتمكن
به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة
الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي في العلم المتعلق بالملك
او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه
حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك
والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط نبيهم من قوليه المحكيين عنه عليه السلام
للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا
منه عليه السلام آية تدل على انه اصطفى طالوت بملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه
مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به
صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما سخطوا واعتدوا
فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه
فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار
ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة
اذرع في ذراعين وكان عند آدم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب

عليه السلام الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت
تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا
اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة
تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط
الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان
يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان
ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة
من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدوا
التابوت في داره فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون
اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل و
السكينة صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر عليهم وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان
وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التورية و
قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني
اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك
حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت
فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى
جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقدير من تأويل
الفريق وغيرهم كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت وعلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه
التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان
شرطية والجواب محذوف [illegible] فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس
والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل
وقيل فصل فصولا [illegible] كوقف وقوفا ووقفا وصد
صدودا وصدا ورجع رجوعا ورجعا [illegible]
ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ [illegible] ولا متزوج
بامرأة لم يبن عليها [illegible] وكان الوقت قيظا
وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا [illegible]
صلى الله عليه وسلم او بطريق الوحي [illegible] قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها
فمن شرب منه اي ابتدأ شربه من النهر بان كرع [illegible] فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين
وقيل ليس بمتصل بي [illegible] ومن لم يطعمه اي لم يذقه [illegible]
الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا [illegible]
اي بيده فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه [illegible] الجملة الثانية
لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والغرفة ما غرف [illegible]
[illegible]
[illegible] فشربوا منه [illegible] مطلق

ثم بقي في ايدي بني اسرائيل

من

من ابن

يعدم

على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم الثابتون على ما سلف بالاستثناء من التولي
وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن مراعاة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال لم يطيعوه
نحو ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق • وعض زمان يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحتا او مجلف •
فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل
المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول
كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل
من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم
فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل ان الخلص منهم
الذين يتيقنون لقاء الله بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات الخلق
في التيقن والتوقع متفاوتة وقيل هم الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن
المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة
من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت
فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من
الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل
من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثرت اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل
اطاقت فئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال
ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما
يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى لا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد في
الموصول فلا بد من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما
[illegible]

وانما هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة
كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في
طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته فلما انتهى الى ابيه خرج جالوت
في المصاف وسأل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد
يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء ناحية اخرى
ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
فقال له طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فرماه
في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمته الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة
فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان
قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في
مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان
النبوة في سبط والملك في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما شاء الله تعالى تعليمه
اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية
بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ
دفاع على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او
لو لم يدفع منهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا
يقادر قدره على العالمين كافة وهنا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه
قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك
الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه
تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة
الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار
اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام
اما حال من آيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على
انه حال من فاعل نتلوها اي متلبسين باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها
موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك متلبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي متلبسا
بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا
عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر
بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام المجاحدين بها تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه
وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين
من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم
على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل

للتفضيل المذكور اجمالا اي منهم من فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه الله تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه كلمه ولذلك قيل كليم الله تعالى بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت **ورفع بعضهم درجات** اي ومنهم من رفعه على غيرهم من الرسل المتقدمة وبين تفاوت الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه الصلاة والسلام منهم فانه خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالغيوب والانجيل **وايدناه** اي قويناه **بروح القدس** بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى عليه السلام وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل جبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بالذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم** اي الذين جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك **من بعد ما جاءتهم** من جهة اولئك الرسل **البينات** المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل **ولكن اختلفوا** استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا **فمنهم من آمن** اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به **ومنهم من كفر** بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم **ولو شاء الله** عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة **ما اقتتلوا** وما نبض منهم عرق التطاول لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يتوهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل **ولكن الله يفعل ما يريد** اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا **يا ايها الذين آمنوا انفقوا** في سبيل الله **مما رزقناكم** اي شيئا مما رزقناكموه على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب لدلالة ما بعده من الوعيد **من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا

على القاعدة المعروفة

مشيئته تعالى لعدم

بدبر

بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل **والكافرون** اي والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة **هم الظالمون** اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه **الله لا اله الا هو** مبتدأ وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف **الحي** الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت **القيوم** فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره **لا تأخذه سنة ولا نوم** السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخر النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** بيان لكبرياء شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده بطريق الشفاعة والضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او العكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء عليهم السلام **ولا يحيطون بشيء من علمه** اي من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما ان مجموعهما يدل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته تعالى **وسع كرسيه السموات والارض** الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قعود ولا قاعد وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه اخذا من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج **ولا يؤوده** اي لا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض **وهو العلي**

المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه والحاري من انطوا هذه الاية الكريمة على امهات المسايل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود منفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرء عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشيا جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا تحدقه الافهام تفردت بفضايل رايقة وخواص فايقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله تعالى له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلاة والسلام سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في اثنا تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه الصلاة والسلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستانفة جي بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حين حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم ابن عوف ابنان قد تنصرا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شي منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي الموصل الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بنا المبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب فكان عينه لامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهة وهو راي سيبويه وقيل جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر بعد ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى الحاضر له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفا الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة بالمفردات ويجوز ان تكون

العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقايد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين امنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفا بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغوا من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبايح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة ولايته تعالى للمؤمنين وتقريرها وانما بدا بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى لابرهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من اثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت رؤيتك وتعرفت ما هو عليه من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف وايذان بتاييده في المحاجة ان اتاه الله الملك اي لان اتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتا الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابرهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابرهيم لهذه المرتبة من الحماقة وماذا الحجة فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب اذ كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالته اللعين ايذانا بان بطلانها من

الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وان اشتغال
اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله
اي فغلب ابرهيم الذي كفر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة
كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة
او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار
او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره
قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر قيل كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زائدة
كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى فاخرجه من ظلمة الاشتباه
الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا ولما جعل
البرهم لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي
الثاني او ارايت مثل الذي مر الخ ابدا نابا نزحاله وما جرى عليه في الغرابة عجيبة لا يرى له مثل كما استقر عليه
راي الجمهور غير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل قيل هو المار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة
وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب
وعبد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت
المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابراباد وقال السدي هي
دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو
والطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب
بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام
ناعم وغرائبهم فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه
الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على
عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوي البيت اذا سقط او من خوت الارض اذا
تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من القرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها
مع استشعار اليأس عنها اني يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل
للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل واني نصب على الظرفية اذا كانت بمعنى متى وعلى
الحالية من هذه اذا كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبنا والسكان من بقايا
اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحيا الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة
تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير
معربا عن استبعاد الاحيا بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراد الله عز وجل ان يريه ابعد الامرين في نفسه
ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احيا اهلها فيأباه
التعرض لحال القرية دون حال اهلها والاقتصار على ذكر موتهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة منافاته
للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم تتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها
كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره في ظلها وطاف بها ولم ير
احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه
وهو شاب وامات حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد

خ الكافر

ومنع كونها صفة لقرية مقارنة الواو

فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوسك الى بيت المقدس ليعمره ومعه
الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه
ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم من الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا
وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله عز وجل ثم بعثه وايثاره
على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم
موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد
بعثه قيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد
مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو
ابقا الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية
مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السما يا عزير
كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما
يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فرأى منها
بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فمعزل عن التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بنا على حسبان الغروب
لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر
بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في
هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية
حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء
واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء
سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كما
في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه لا حقيقة بل تشبيها اي هو على حاله
كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسن بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وتفرقت
وتقطعت وصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية
للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك
بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحيا بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك
وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا عنك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سيأتي او متعلق بفعل
مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث
المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وكرر الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد
عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر
اليها من حيث تعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار او غيرك لتعاين ما استبعدته في نفسك كيف
ننشزها بالزاي المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي
نلينها ونعظمها ولعل من فسر ننشزها بنحييها اراد بالاحيا هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها
لا معناها الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح
النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر
اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام وكيفية انشارها وبسط اللحم عليها ولعل عدم
التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك

ان تحيى فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهبت بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعه ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحيا بمباديه والفا للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشرها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشيا التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الاثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بنا على الاستبعاد العادي وا للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكر الناس وانكرته الناس وانكر المنازل فانطلق على حماره وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير وقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانا عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله تعالى صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانية عشر سنة وبنو ابنه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سودا بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرا التورية اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ يوجد نسخة من التورية فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرمه فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا به الى الكرم فحفروه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابرهيم دليل اخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب الخ لجريان ذكره عليه السلام في اثنا المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كذات عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته واذ منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا اي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع فيه من تعاجيب صنع الله تعالى للوقوف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها بتفاصيلها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعا مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا اخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة فانها تعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال تحيي او على اي حال تحيي قال القرطبي

الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام هنا عن هيئة الاحيا المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ان احيا الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استئناف كامر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحيا كيف اشاء حتى تسألني اراءته قاله عز وجل وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وامنت بانك قادر على الاحيا على اي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته قال فخذ الفا جواب شرط محذوف اي اذا اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم جمع طائر كركب وقيل جمع كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الا وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الرا من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحيا ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح الهمزة وتخفيفها ثم تشديدها عند الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب قدرته تعالى كما روي انه عليه السلام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل وعلى التضرع في الدعا وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعدما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بنا افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق اخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء لمن يضاعفه له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار

انفاقه وكيفيه تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتداة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتدي على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكن يخطر ببالهما شيء من المن والاذى لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب او جل اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب لا تنكره يرد به السايل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السايل من الالحاف في المسألة وغيرها مما يثقل على المسؤول او صفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كاينة من المسؤول خير اي للسايل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السايل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خيرية في الجملة مع بطلانها بالمن والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السايل قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالريا وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من شبهوا بهم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الاخير للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضماير الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه

جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن ابن عوف [illegible]

تعريض بان كلا من الريا والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكوة كمثل بستان كاين بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في ساير الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقاتهم زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة القليلة والكثيرة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زايدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الريا ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضربا ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان متعلق الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات [illegible] الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات [illegible] والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب لقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا الامر في جعل اسناد الاحتراق اليها [illegible] والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة [illegible] له فيها من كل الثمرات [illegible] واصابه الكبر [illegible] فاصابها اعصار [illegible] فاحترقت [illegible] كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون [illegible] يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم [illegible]

من نخيل واعناب

تنفقوا انما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب والثمار والمعادن فحذف
لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد
اي لا تقصدوا الخبيث اي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة التي لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون
الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا
الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه
من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصوف
على طريقة قوله * كانه في الجلد توليع البهق * او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون
حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله
تعالى ولستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقونه والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم
في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو
عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول
بمعنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها
وقيل تم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون
والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ
واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ
لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون
عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل
حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على
شيء من زمان او غيره ويستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في
الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجيء
الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب
ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم
بالفحشاء اي بالخصلة الفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي
البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد * ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد * وقيل
بالمعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع
صفة لمغفرة اي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي وفضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا او
تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما
تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم ويعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا
احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه
وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابرهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وقيل هي الاقدام
على الافعال الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من
عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف
الآيات الكريمة من احد الوجهين الاول ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ويوفق للعلم والعمل

لها

لها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة
التي يدور عليها فلك دينكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول لـيؤتي قدم عليه الثاني
للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على بناء الفاعل اي
ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي
خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي ما يتعظ بما اوتي من الحكمة او ما يتفكر فيها الا اولوا
الالباب اي العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام
الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل
لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها
من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر
النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير
شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب
وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك
زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا اصير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل
يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى
الموخر رعاية للقرب كما في هذه الآية ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور او
على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله * وقوله * نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض فالرأي مختلف * ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف
مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان للتاكيد مضمونها افادة
افادة تحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب ووعد ووعيد وما
للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي وبمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء
والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع
فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا بشفاعة ولا بمدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة
الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبله من الوعيد
معيد لغطاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين بتحصيل الاعوان رعاية الاجلال ان تبدوا الصدقات
فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات
فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون
العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين هذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء
افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها
الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم
على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع
ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في
التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما ستر موها
وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا
على محل ما بعد الفاء وعلى انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتداة من فعل وفاعل وقرئ

بجزو وما عطفا على محل الفا وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب
في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا
عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك
من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي من يشاء هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك
ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جي بها على تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار
بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل
لما كثر فقرا المسلمين نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول
في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في
الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقرا المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول
التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة اي اي شي تنفقوا كاينا من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث وفيه الدني لكم لا لغيركم من الفقرا حتى تمنعوه ممن لا
ينتفع به من جملة الذين من فقرا المشركين وما تنفقون الا ابتغا وجه الله استثنا من اعم العلل واعم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشي من الاشيا الا لابتغا وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى
وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل
فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم
ما يخلفه وهو من نتايج دعايه عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسما
بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقرابتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المشركين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما ناسا
اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم
لا تظلمون لا تنقصون شيا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقرا متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام
كما في قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون اي اعمدوا للفقرا الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقرا المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيا من التعفف اي من اجل
تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم مما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسالون
الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السايل المسول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما
عنده والمعنى لا يسالونهم شيا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله
• على لاحب لا يهتدى بمناره • اي لا منار ولا اهتدا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك
احسن جزا فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون
الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله تعالى عنه حيث تصدق باربعين
الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة الاف بالنهار وعشرة بالسر وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه

حين

حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار
والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفا على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند
ربهم خبر للموصول والفا للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك
جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اي ياخذونه وانما عبر
عنه بالاكل لما انه اعظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في
المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استوا كخبط العشوا من المس
اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي
اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع
في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته
درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين
في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه في المناط والجملة ابتدائية
لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف
وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجي الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه
اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم من اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت
من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على
انتهايه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل
الربا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون اي ماكثون
ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات
يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكوة من مال قط والله
لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله
ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات
لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملايكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة
من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم
فيه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك يستلزم الامتثال لما امرتم به البتة وهو شرط حذف
جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند

وفي الاتقان للسيوطي رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
بين لاصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
تفسير جميع القران او غالبه ويؤيده ما اخرجه
احمد وابن ماجه عن عمر رضي الله تعالى عنه
انه قال من آخر ما نزل آية الربوا وان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها دل
فحوى الكلام على انه عليه السلام كان يفسر لهم
كلما نزل وانه انما لم يفسر هذه الآية الكريمة لسرعة
استعالة عليه السلام بعد نزولها والا لم يكن التخصيص بها وجه انتهى

المحل بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف
بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني
فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو
مؤيد للقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم
لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعدما سمعتموه من الوعيد فلكم رءوس اموالكم تاخذونها كملا لا
تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما
تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة
تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في
حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم
ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رءوسهم فكيف برءوس
اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره
فهم محبوسون الى ان تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا ما لم يتوبوا فان لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم
لورثتهم وان كان ذو عسرة اي وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة
وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره
امر من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله. واخلفوك عد الامر الذي وعدوا. وان تصدقوا بحذف احدى
التاءين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او
خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه وهو ندب الى ان يتصدقوا برءوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين
كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل
مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه
واتقوا يوما هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد
والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ
بالياء على طريقة الالتفات وقرئ تردون وتذكرا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم
للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس يفيد ان
المعاقبين ان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بالحال
كائنا لافراد او فوق حال الكل عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها
في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا
وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال
المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا اي اذا داين
بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه
الى تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث الى الكتبة وتعيين المرجع الى الضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل
متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام والاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا
بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين بأجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم وليكتب بينكم

اي فعليكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة
صح

كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعميم او للقصد الى
ايقاع نفس الفعل اي فعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب
كلاميهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالحق اي مرضي
للتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين بتخير
كاتب فقيه دين حتى تجيء كتابة موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق
بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة
ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل اي لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم
الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا
لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه
الحق اي الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه
جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه
اي من الحق الذي عليه يملي الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما
يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث
جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه
وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان
لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو
اي غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه
من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف تعيين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه
الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة
وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة
لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع
لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز
استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشاهدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما
او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود
والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون
مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل
وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء
متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم
وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل
لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما
عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم
اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن
عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من

المتشاكس منزلة الواقع وما مر بك وعن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحوا العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
احد فنزلت ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوه اي الدين والحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل
الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او
مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة
اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط
وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره
واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي ولكن وقت
كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا
تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها
وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
نهي عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما ولا يعطي الكاتب جعله
وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج
عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ
الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى
حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين
اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينات وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي تستوثقون به او فعليكم
او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد
والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل
لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد
لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه
به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي امنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب
بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا
للاعلام وحمله على الادا امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة
ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق
الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى
القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم
الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ
اثم قلبه اي جعله اثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض
من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه
للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه
البشر من الوساوس وحديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم
القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به
واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه
بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء
في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة
الاخفا متقدمة على مرتبة الابدا اذ ما من شيء يبدو الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه
تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء
ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على
غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انه بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال
ونظير الجزم على البدلية من الشرط في قوله • متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا •
وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع
الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول
لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب لعظم الشان هدى للمتقين
ما فصل احوالهم من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون
لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم خصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر من الحكم
حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام
والمواعظ والحكم واخبار الامم السالفة وغير ذلك مما يقتضيه الحكمة شرع عين في خاتمتها في تعيين المتصفين بها وحكم
باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم
بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حال الشهادة اللائقة على مر الدهور دون الخطاب المختص
المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية اذنا بانها
امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه الصلاة والسلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل
اليه وتنويه بشانه ولعل مراده في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام ما جميع ما انزل اليه كله كلي وجزئي
من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوان الرسل عليه الصلاة والسلام كل
ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل
والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع
الايمان من الحيثية المذكورة وهذا الاجمال الجلالة عليه الصلاة والسلام واشعار بان تعلق ايمانه بما انزل اليه
والاحاطة بجميع ما انطوى من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض بعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريفا له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب مناب التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه الصلاة والسلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما نطق به الآية الكريمة وعلى ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيامة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي الزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه الصلاة والسلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشار اليها في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال الجلالة لشأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال الاسناد الى غيره عليه الصلوة والسلام وان حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة

الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان الكائن من جهته عليه الصلوة والسلام اللائق بحال كل منهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف من ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى بن مريم عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام ايضا لا اظهار موافقتهم له فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا افرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم بين الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء لاسناد الفعل الى الكل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير وقيل خبر ان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وبين من عداه كائنا من كان اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع رعاية لجانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجابة دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصوم والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فبين لهم الغفران المتعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود تفضلا منه تعالى ورحمة بهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة

على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها بيانا لان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن
مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص
منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب
ما كسبت من الخير لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها
باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال
ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا** شروع في حكاية بقية دعواتهم
اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة
ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا
فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطا مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالته وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه
الرفع في قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت
لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز
مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر
الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد **كما حملته على الذين
من قبلنا** في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا
اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة
وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال في الزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون
من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به** عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها
من التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف
ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو
تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء من التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية
حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان
واعف عنا اي امح آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل
علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية **انت مولانا** سيدنا ونحن
عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** لان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره
على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله تعالى والجهاد في سبيله تعالى حسبما
امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له
عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام
من قرا الآيتين من سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام

السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال عليه الصلاة والسلام السحرة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المآب

سورة آل عمران مائتان آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد ثبت انها لا يكون من هذه الفواتح مفردة كص وق
ون ولا موازنة لمفرد كحم وطاسين ويا سين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدار ابجرد حسبما
ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء مسرودة
على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها
ثم يبدا بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة
الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت
المبتدا به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في
الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان
سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع
لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وصفا واستعمالا
فتسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها
من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب
على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او
الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل
مبتدا وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو المستحق للعبودية لا غير وقوله عز وجل **الحي القيوم** خبر آخر له
او لمبتدا محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدا او بدل منه او من الخبر الاول وهو الخبر وما
قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص
استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر مرارا من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق
المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله
الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم (وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم صح)
وروي ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام
كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي
القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم امير
وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم
وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم مولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه
واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا
بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة
بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز وما يمنعك عنه وانت تعلم

هذا قال ان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا اشياءنا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره
الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فا يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد
حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم اولئك
الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر
بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه
ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال عليه الصلاة والسلام كذبتم منعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا
ان لم يكن ولد الله فمن يكون ابوه فقال عليه الصلوة والسلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا
بلى قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه الصلاة
والسلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فهل يملك
عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في
السماء قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام الستم
تعلمون ان الله صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام
الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم
الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا
الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه الصلاة والسلام
عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم
الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب
دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم
الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر عن الاسم
الجليل او هي الخبر وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل
كائن وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها
خبرا عنه والعائد [illegible] اي نزل الله الكتاب من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول اي محقا في تنزيله او ملتبسا
عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده
ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة مصدقا حالا من الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
موجب للايمان بما صدقه [illegible] لما بين يديه [illegible]
مصدقا لما قبله من الكتب السالفة [illegible]
الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء
الانبياء والامم الخالية وكذا في [illegible] وكذا في الشرائع التي تختلف باختلاف الامم
والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة

حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بهم
وانزل التوراة والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك
يترقى شأن ما يصدقه قدر رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة
واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكرا
لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني ويعضده قراءة فتح همزة
الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف من قبل متعلق بانزل
اي انزلهما قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان هدى للناس في حيز النصب على انه
علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر
جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم اريد بهدايتهما جميع ما فيهما من حيث هو جميع
فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد بهدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام
فالناس على عمومه لما ان هدايتهما ما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها
البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة وانزل الفرقان في الاصل مصدر كالغفران
اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على طريق التتميم
بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة
واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال
تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا
معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل
الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة
مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه
ذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى
الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج
وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل ان الذين كفروا بآيات الله
وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا
لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط
فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم
او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لاسيما بتوحيده
تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا
بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة
ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن وبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وغيروها لهم بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة
خبر ان والتنوين للتفخيم اي عذاب عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد
الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن
الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن افراد جنسه
وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي
مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء استئناف كلام سيق لبيان سعة

الصفات

علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشيا التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا
وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته ترشيحا لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما
كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الالهية وعبر عن علمه عز وجل بما ذكر لعدم خفائه عليه
كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان
كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفا بوجه من الوجوه
كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلا والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم
وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشي مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه
ما كائن في الارض ولا في السما اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى
وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السما لاظهار الاعتنا بشان احوال اهلها وتوسيط
حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة
الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيومته
تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة
بيان لتعلقه بالاشيا قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير
المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم
وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشا والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم كائنا على مشيئته
تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من
كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن
والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم ربوبيته عليه السلام وهو من جملة ابنا النوع
المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة البارى عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة
الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه ولعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشي مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة
بالالوهية احد لتتوهم الوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط
البديع هو الذي انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القران في نعت عيسى عليه
السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل
من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم
يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب
مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال
القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف لما اشير اليه فيما قبل من
الاعتنا بشانه عليه السلام بتشريفه بالانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم
لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به
تقسيمه الى قسميه منه ايات الظرف خبر وايات مبتدا او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من
يقول الاية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب
الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي
هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وايات مرتفع
به على الفاعلية محكمات صفة ايات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال
والاشتباه هن ام الكتاب اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في لا بمعنى

اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد
الام مع تعدد الايات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة اية واحدة كما في قوله تعالى
وجعلناها وابنها اية للعالمين وقيل اكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها
فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على ايات اي وايات اخر وهي جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الاخر او من اخر متشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي
محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق
والتامل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الايات على طريقة وصف الدال بوصف
المدلول عليه وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي العقل اليه
متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه
ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل كذلك ليظهر فضل العلما ويزداد حرصهم
على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين
المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من
اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم
البالغة ودقائقها الفائقة وقوله تعالى كتابا متشابها معناه متشابه الاجزا اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى
وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهوا الباطلة قال الراغب
الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد
واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه
من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغا الفتنة اي طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغا تاويله اي وطلب ان
يؤولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم
تاويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه
لابتغا تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه
ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغا تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن
الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شي وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل
غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه كمدة بقا الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل
على ما هو المراد منه يقولون امنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة
على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى
كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه
ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او امنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولو
الالباب اي العقول الخالصة من الركون الى الاهوا الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتدا الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس
وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجي الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه

من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين أي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن
شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا أي إلى
الحق والتأويل الصحيح أو إلى الإيمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ أو على الظرفية وإذ في محل الجر بإضافته إليه
خارج من الظرفية أي بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن وهب لنا من لدنك رحمة كلا الجارين متعلق
بهب وتقديم الأول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كائنة من لدنك ومن لا
بتداء الغاية المجازية ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمانا أو مكانا أو غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست
مرادفة لعند إذ قد تكون فضلة وكذلك الذي بعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف إلى صريح الزمان
كما في قوله • تنتفض الرعدة في ظهيري • من لدن الظهر إلى العصير • ولا تقطع عن الإضافة بحال وأكثر
ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها كما في قوله • وليت فلم يقطع لدن أن وليتنا • قرابة ذي رحم
ولا حق مسلم • أي من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية كما في قوله • تذكر نعماه لدن أنت يافع
وإلى الجملة الفعلية أيضا كما في قوله • لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم • فلا يك منكم للخلاف جنوح •
وقلما تخلو عن من كما في البيتين الأخيرين رحمة واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على
الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم
إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع باللام فإذا أورده تمكن عندها فضل
تمكن إنك أنت الوهاب تعليل للسؤال أو لإعطاء المسؤول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وإطلاق الوهاب
ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من
غير أن يجب عليه شيء ربنا إنك جامع الناس ليوم أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم مقامه المضاف
إليه تهويلا وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم
بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال
الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة إن الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب
والتأكيد لما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب
الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فإنه مقام طلب الإنعام كما سيأتي وللإشعار بعلة الحكم فإن الإلهية
منافية للإخلاف وقد جوز أن تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات
واستدل به الوعيدية وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل مفصلة كما هو مشروط بعدم
التوبة وفاقا إن الذين كفروا إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة وشرح شأن
القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل
لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة والنضير أو مشركو العرب لن تغني عنهم أي لن تنفعهم وقرئ
بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين أموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار
ولا أولادهم الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الأولاد عن الأموال
مع توسيط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب
من الله من عذابه تعالى شيئا أي شيئا من الإغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته
كما في قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق شيئا أو بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه
جده بذلك أي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى واستخير
بأن احتمال سد أموالهم وأولادهم مسد رحمة الله تعالى وطاعته مما لا يخطر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه

والأول هو الأليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل أمرهم والانسب بما بعده من قوله تعالى وأولئك هم وقود النار
ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها التي تسعر به فإن أريد بيان حالهم
عند التسعير فإيثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر وتقرره وإلا فهو للإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك
وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال
ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم الإغناء
أو معطوفة على خبر إن وأيا ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيئا
وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل إذا
كدح فيه فنقل إلى معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل
النصب بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم وأنت خبير بأن
المذكور في تفسير الدأب إنما هو التكذيب والأخذ من غير تعرض لعدم الإغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى
البدل كما هو رأي المجوز ولا لإيقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على أنه يلزم الفصل بين العامل
والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بلن وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار إلا أن يجعل استئنافا لا عطفا
على خبر إن فالوجه هو الرفع على الخبرية أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل
فرعون والذين من قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله
تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال المقدر كأنه قيل كيف
كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم أي فأخذهم الله وعاقبهم
ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة أيضا كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين
من قبلهم على إضمار قد أي دأب هؤلاء كدأب أولئك وقد كذبوا الخ وأما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يذهب
برونق النظم الكريم والالتفات إلى التكلم أولا للجري على سنن الكبرياء وإلى الغيبة ثانيا بإظهار الجلالة لتربية
المهابة وإدخال الروعة بذنوبهم إن أريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما تفيده الفاء
من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على أن لهم ذنوبا أخر
أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون والذنب في الأصل متلبسين
التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لأنها تتلو أي يتلو عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون
ما قبله من الأخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود المدينة
لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله إنه النبي الأمي الذي
بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم
أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف
في ستين راكبا إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير
وعكرمة وعن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب قريشا ببدر ورجع إلى المدينة جمع
اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم
بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت أي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا
وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من أوضح شواهد النبوة وأما ما روي عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركي مكة
وأن ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم فهو مع كونه مؤديا إلى انقطاع
الآية الكريمة عما قبلها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون أي في الآخرة إلى جهنم وقرئ الفعلان

بالبا على انه عليه الصلاة والسلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة والتوسطه بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله . ان امرءا غره منكن واحدة . بعدي وبعدك في الدنيا المغرور . على ان التانيث هنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبها ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على انه خبر كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة كما في قوله . اذا مت كان الناس صنفان شامت . وآخر مثن بالذي كنت اصنع . اي احدهما شامت والآخر مثن . وقوله . حتى اذا ما استقل النجم في غلس . وغودر البقل ملوي ومحصود . والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة لكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الاية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدا المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وجوز ان يكون كل منهما مبتدا وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدا محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة . وكنت كذي رجلين رجل صحيحة . ورجل رمى فيها الزمان فشلت . وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي ترى الفئة الاخيرة الفئة الاولى واسناد صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الاية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الالف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المؤمنين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين وماتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابي مرثد وستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل اياهم كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملا

اي من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد ع

عليهم الصلاة والسلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا منهم اول الامر حين يحيهم الرب وقيل ترى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فرايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله في اعيننا حتى رايناهم عددا يسيرا اقل من انفسنا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا ولو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بارائهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال ولذا تعلق بفعلها الفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا لا سوا جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل لما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما مر جوابه فظاهر لا سترة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني للمشركين لكنه ليس بنص فيه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق ٥ واسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا للعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد بنصره من يشاء اي يقوي من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المامور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد مع قربه للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير واسترذالا لها فان الشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانهماكهم مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلو

اي يقوي ع

الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبنى للمفعول الجري على سنن الكبرياء وقرى على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لان مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات فاسند تزيينها الى الله تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان **من النساء والبنين** في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في انه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض اي المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة **من الذهب والفضة** بيان للقناطير او حال منه **والخيل** عطف على القناطير او حال منه قيل هي جمع لا واحد له من لفظه وهو مشتق من الخيلاء **المسومة** اي المعلمة من السومة وهي العلامة اي المرعية من سام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي والمطهمة التامة الخلق **والانعام** اي الابل والبقر والغنم **والحرث** اي الزرع مصدر بمعنى المفعول **ذلك** اي ما ذكر من الاشياء المعهودة **متاع الحيوة الدنيا** اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلائل فيفنى سريعا **والله عنده حسن المآب** حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدده عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عنده عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم** اثر ما بين شان مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك اللذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى **للذين اتقوا عند ربهم جنات** استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار مع المجرور خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك الاعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار ففيه بعد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقاتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والانباء بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خيرا اخر لاخرين **تجري** في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين **من تحتها الانهار** متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الجنات كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا **خالدين فيها** حال مقدرة من المستكن للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار **وازواج مطهرة** عطف على جنات اي مبراة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية **ورضوان** التنوين للتفخيم وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء **والله بصير بالعباد** وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد **الذين يقولون ربنا اننا امنا** في محل الرفع على خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب

على المدح

على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد جملة معترضة وتاكيد والجملة لاظهار ان ايمانهم ناشي من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم **فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار **الصابرين** هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كون الموصول في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس **والصادقين** في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم **والقانتين** المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات **والمنفقين** اموالهم في سبيل الله **والمستغفرين بالاسحار** قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم المصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة

اذا العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها **شهد الله انه** بفتح الهمزة اي بانه او على انه **لا اله الا هو** اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سياتي وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ومآله الرفع على المدح اي هم شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر **والملائكة** عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك **واولوا العلم** اي امنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على الفاعلية عطفا على الاسم الجليل وفي ذلك لوقوع الفصل بينهما تشريف لهم وتنبيه على ان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولوا العلم وليس فيه كبير فائدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا العلم شهداء بذلك ولذلك احتمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا حسن العطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل وقوله تعالى **قائما بالقسط** اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في ذاته اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده بها مع عدم جواز جاءني زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وجعل حالا من هو على انه حال مؤكدة فيه وعطف على انه على قراءة الكسر كما مر او على المدح او صفة للمنفي اي لا اله قائما بالقسط الا هو والفصل بينهما بقيل للايذان بانه حال من المشهود به وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو وقرئ قيما بالقسط **لا اله الا هو** تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى **العزيز الحكيم** فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته تعالى على العلم بحكمته ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد ودل على ذلك قوله وروي في فضلها انه

عليه الصلاة والسلام قال لصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان فوق البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له عليه الصلاة والسلام انت محمد قال عليه الصلاة والسلام نعم قالا وانت احمد قال عليه الصلاة والسلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال عليه الصلاة والسلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله عز وجل هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ انا الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تتبيع لتشنيع ومن يكفر بايات الله اي باياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية اية كانت من اياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بايات الله تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة في ترتيب العقاب على مطلق الكفر بايات الله تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابه فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام اي جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله اي لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم الصلوة والسلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم متبعين لي كما فعل المومنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم بعد على كفركم كما يقول من يلخص لصاحبه المسالة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء اخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك

البلاغ قائم مقام الجواب اي فلم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة والسلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله تعالى وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله اي باية اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما يتغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار لكل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته الم تر اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا

اي وهم قوم ديدنهم الاعراض

بيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بنا المجهول فيكون الاختلاف
بينهم ما ان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد
علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون
بقلوبهم او اعتراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم
اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي الا اياما معدودات وهي
مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم ٥
باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم
لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم
الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا
كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على
ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي
بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او نقص ثواب بل يصيب كلا منهم
مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل لدخوله عليه
مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم
عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها
به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن
بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام
ومملوكية حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران
بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء ان تعزه في الدنيا او في الآخرة او
فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير
تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا
حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي
الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض
او لرعاية الادب فلان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع
لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة والسلام واخذ منه المعول فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كانه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح
لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق ٥

خ الخلوص

وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار
في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن
من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال
ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب بمعنى
العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب بمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل
العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون
كل هين عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي
والآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله
تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال
الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرؤكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة
القدس ونظرت له بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو
وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام كما تكونوا يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم
لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن
الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم
استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك
اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء
يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال • تود عدوي ثم تزعم انني •
• صديقك ليس النوك عنك بعازب • والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من
الاحوال الا في حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول
فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في
الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت
الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات
عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد
به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من
الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم
الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون
وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ذكر
العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب فهو تذييل لما قبله مبين لقوله

خ ولاية

ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم
الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج عن ملكوته شيء
يوم تجد كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا
وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير
مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد
صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي
اسناد الودادة سواء كان لها عمل شر او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه
ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على مفعوله باضمار اذكروا وتود لما حال من كل
نفس او استئنافا مبنيا على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا
بعيدا وكان سائلا قال حين اخبروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها وبينه الخ او تجد مقصور
على ما عملت من خير وما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فيجوز كونها شرطية لكن الحمل
على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق
واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى
من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا
على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعو(ني)
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها منه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي
ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا
لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي
يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة والمشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته
ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع
الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت
اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام
زعموا على عهده عليه الصلاة والسلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد
الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها
حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى
وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم
قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه
الصلاة والسلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الطاعة
والاشعار بعليتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها

ع تبيح

وتوضيح ع

ع الاطاعة

فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما
كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في
قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه
تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة
والاشعار بعلته فان سخطه تعالى بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل
مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين لما بين عز وجل ان
الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز بمحبته
ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من
اهل بيت النبوة القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدا امر
عيسى وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين من
الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته
العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة
الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان
اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان بمن جاءهم من رسول
مصدق لما معهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل تحتم الطاعة
حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام
فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم
واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام
عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في ذكر آل ابرهيم فلاظهار مزيد
الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب
ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ
ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية
والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه
وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد
الملائكة اياه واسكانه الجنة واصطفى نوحا عليه الصلاة والسلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل
ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله
على متن الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل واسحاق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما
اصطفاء نفسه عليه الصلاة والسلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه
لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء آله بدعوته
وبقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي ابرهيم وبآل عمران
عيسى وامه مريم بنت عمران بن ابي هود بن العاذار بن ماثان بن رب بابل بن سالبان بن يوحيا بن اوشا بن ابوزر بن ميشك بن
حازقا بن احاز بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجيعم بن سليمان بن داود عليه السلام بن ايشا بن عوبد
ابن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حضروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون
عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة
فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام باندراجه في آل ابرهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة

مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابرهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين
اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على
الحالية وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة
لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم
ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برهانية والله سميع
لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يعلم استقامته قولا وفعلا
على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران
في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم
وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو
منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها الحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه
باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات
ليلا يلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر
بنتا اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن انها زوجته وليس كذلك فان قصة كفالة زكريا قاضية بانها
زوجة عمران بن ماثان لانه عليه الصلاة والسلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه الصلاة
والسلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تأويله ان الاخت
كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام
واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت
مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي
ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل
وحينئذ فقولها اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه من صورة التعليق الى
هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك
سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد
الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به والتعبير عن الولد بما لابهام
امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة
ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب الى الله تعالى لا تقييد ما لا دخل لها
فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء
للولد الذكر اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات
التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول
لا من حيث ان كونه تعالى سميعا للدعاء عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة
نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع
والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة
والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد عليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره
في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كما قيل

توجيه

فلما

فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى ولانه مؤول بالجبلة
او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار تحقق ما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى
انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل
بالجبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان
تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته
تعالى للموضوع وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور
وجعلها وابنها آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وعلو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم
مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت
بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى جعل فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من
تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه
ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور
وهذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة
بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة
والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل عن ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف
على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في
لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى
وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح يا المتكلم في المواضع التي بعدها همزة
مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز
كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول
حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها تقبلا حسنا وانما عدل عن
الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب الاصل
بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل
وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد به وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها
مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان
حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانوا
رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه
السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول

وجعلها وابنها

اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقصى بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور
بحذف الزوائد وقيل بل بفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام
كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام
في كفالتها وظهور قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ كفلها
وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفا بفتحها وكسرها ورفع زكريا ممدودا او وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعا اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها
فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل
لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف
او نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل
وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد
عندها في الصيف فاكهة الشتا وفي الشتا فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استينافا مبني على
السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الاية فقيل قال يا مريم انى لك هذا
اي من اين يجي لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء
ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فياباه
اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما شاهده من علو مرتبتها
من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استينافا كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها
على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشا ان يرزقه
بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها
فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روي ان فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها اهدت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع
اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة
سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له
حكايتها من بيان اصطفا آل عمران فان فضائل الاقربا ادلة على فضائل الاخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة
على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار
هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع
ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه
في غير اوانها انتبه لولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعا من غير تاخير كما ينبي عنه تقديم الظرف على
الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعا فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها
كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعا وبيان لكيفيته
لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن

لابتدا الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق
بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كاينة من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد
هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ٭ ابوك خليفة ولدته اخرى
٭ وانت خليفة ذاك الكمال ٭ وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو
طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعا اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك
لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما ينبي عنه قراءة من قرا فناداه
جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من
هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبرائيل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له
وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو
قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افادته الفاء من حصول البشارة عقيب الدعا وقوله تعالى يصلي اما صفة
لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه
على القول بتعددها بلا عطف لا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة
مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال شي واحد فلا يلزم
الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او
اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي وايا ما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام
الخ محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله الاية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد
التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبريا كما في قول الخلفا امير المومنين يرسم
لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق
الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان
جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سمي يحيى لان الله تعالى
احيى به عقر امه وقيل لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان قال القرطبي كان اول من آمن بعيسى ولا بد من تقدير مضاف
فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة
لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع
صفة لكلمة اي بكلمة كاينة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت
ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليه السلام ستة اشهر
وقيل بثلاث سنين وقيل قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام بمدة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة
بها زمان مديد لان مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله
سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي سيدا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس
قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي
مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة وروي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما
للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب عليه معدودا من الصالحين من الصالحين اي ناشيا منهم
لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الاخرة
لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه

سني عاسليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال زكريا عليه السلام حين نودي بالبشارة فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له مع انه المباشر للخطاب وانكان ذلك بطريق
الحكاية عنه تعالى بل اجري على نهج دعايه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا
عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما
يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها اني يكون لي غلام فيه دلالة على انه
قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى واني بمعنى كيف او من اين كان تامة واني
واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث
لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما
اني واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما اني واللام
كما مر او هو الخبر واني منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من المتكلم اي ادركني كبر السن واثر فيّ كقولهم ادركته السن اي كبر
السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلايع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون
سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون
وقيل خمس وثمانون ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من يا المتكلم من عجوز تعدد
الحال او من يا بلغني اي كيف يكون لي غلام والحال اني وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام
مع سبق دعايه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد الناطقة
استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل
بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعا والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاه وهو بعيد وقيل كان ذلك
استفهاما عن كيفية حدوثه قال استيناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل ما يشا
اي ما يشا ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدا ويفعل خبره والكاف في محل النصب على
انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشا ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي
هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وقدم على الفاعل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبر
الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كاينا مثل ذلك او في محل الرفع على انها
خبر والجلالة مبتدا اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشا بيان لذلك الشان المبهم وكذلك
خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشا بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على
تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى
تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة
بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر او ثلاث سنين لان
ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الاية اللهم
الا ان يكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل
ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من
آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف والتقديم لانه لا مسوغ لكونها مبتدا
لا على الجملة الى مبتدا وخبر هو نعت مقدر الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس
اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع
القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضا لحق النعمة كانه
قيل آيته حصول المطلوب وصول النعمة ان يحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثنا منقطع
لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك
القبيل وقرئ رمزا بضمتين جمع رموز كرسل ورسل وبفتحتين على انه جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
معا بمعنى مترامزين كقوله. متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا. واذكر ربك اي في ايام
الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا وسبح
اي سبحه تعالى او افعل التسبيح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل
والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح
الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية احكام اصطفا آل عمران اثر الاشارة
الى نبذ من فضائل بعض اقاربها اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعا المقام اياها حسبما اشير اليه وقوله
الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق
عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امراة عمران منصوب بما
نصبه واذكر ايضا من شواهد اصطفايهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير الاصطفا
لمزيد الاعتنا بما يحكى من احكام الاصطفا والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها
من احكام التربية الجسمانية اللايقة بحال صغرها وهذه من باب التربية الروحانية والتكاليف
الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لكن الاجماع
انه تعالى لم يستنبئ امراة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ولم يقبل قبلك
انثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي
من الاقذار والادناس وما قذفتك به اليهود وبانطاق الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب
لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النسا وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون
تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال
بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيا واحدا وقيل المراد بالاصطفايين واحد والتكرير للتاكيد
وتبيين من اصطفاها عليهن فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل الاصطفا على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقالة
قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت به
مجتهدة فيها متبتلة على الله تعالى متسلخة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشر مستعدة لفيضان الروح عليها
يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره
وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في الصلاة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان
ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت
بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم
السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى
مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل للايذان بالترقي من الادنى الى الاعلى
واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو
لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد
تقييد الامر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة

كما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لما مر انه افضل اركانها والركوع
الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة
الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب لما متعلق
بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال
للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير
وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في
اهل مدين الاية فان طريق امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم
فبقي احتمال المعاينة المستحيلة مرددة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم
واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق
بمحذوف دل عليه يلقون اي يلقونها ينظرون او يعلمون ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا
في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله
عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله
عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما
اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤيد له اذ قالت الملائكة منصوب بما
وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حاله من شواهد النبوة
وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب في الخطابين وتقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر
وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان الممتد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف
اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها الى اخرها والقائل
جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها
عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقيل خبر اخر وقيل خبر مبتدأ محذوف
وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عن سواه فا
ح مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع واشتقاقهما من المسح والعيس
وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم
يقم في موضع او كان عليه السلام ممسوح العاهة ذا العاهة نيرا وبانه كان في لونه عيس اي بياض تعلوه حمرة من قبيل الرقم على
الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء
العالمين وجيها في الدنيا والاخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان
كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على
الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السما
وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وكذا عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم
حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه
رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين

حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت
مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد
على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه
بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتنا بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها
ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر واني نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني
بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو
الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد
يخلق هاهنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ
فان فكان الخلق المنبي عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا
قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضا الاحكام اطلق على الارادة
الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجادها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول
له كن لا غير فيكون من غير ريب وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه
مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى
كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب
والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية
والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة
عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق وهو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللوم
لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف
على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم
قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه السلام واخرهم عيسى
عليه السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب
بمضمر معمول للقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال
السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال
كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف
وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ
بايات وبجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال لما ساتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
بدل من قوله تعالى قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي
او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم
وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان
الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا اي حيا طيارا
كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل

لايجابها

لابتدا الغاية

لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره
ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط
ميتا ليتميز خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا
واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوانات وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار
ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير
وابرئ الاكمه والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين
الداءين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس
روي انه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عليه السلام وما يداويهم
الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام
يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له تعاشره ولدله ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن
سريره حيا ورجع الى اهله وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من
الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا
الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب فقال يا روح الله
لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع
قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه
فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا و
قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تدخرون
بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة
رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانسياق المعنى اليه او دلالة المذكور عليه
اي انتفعتم بها وان كنتم ممن يأتي منهم الايمان او لكم على صحة رسالتي ان الايمان بها ومصدقا لما بين يدي من
التوراة عطف على المضمر الذي يتعلق به قوله تعالى بآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين الخ او على
رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي وجعله مصدقا ناطقا باني اصدق
الخ او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا باني اصدق الخ او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل فيها
واما من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام
الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته
معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في
السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التوراة
ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان لتخصيص في الازمان وتأخير المفعول عن الجار
والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة
على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم
به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه
الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله

اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين

بالفتح

بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد آية كما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء
بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى
الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة
فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله
تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة
الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله
عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل من الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة
عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت واما لم يذكر اكتفاء بحكاية
الملائكة وايذانا بانه بعد الخلق وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك
النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها المقام المباشر لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته
للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم مع العزم
على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما
في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس
من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر وقال الخاص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى
فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم
من انصاري الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها
الى الله ملتجئا اليه او بانصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني
كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي
صفوته وخاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى
عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال
ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه
وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض
فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عليه السلام فقال لهم انتم تصطادون السمك فان اتبعتموني
صرتم بحيث تصطادون الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة
وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل
فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤوا السفينتين فعند ذلك آمنوا
بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا اتبعوه عليه السلام وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا
يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض

فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه
فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل
ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان
فغاب فجعل عليه السلام كلها في حب واحد فقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فساله فاخبره بما صنع فقال
افسدت على الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون
حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض
هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا
بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار
دينه ورسوله امنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن
اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد بنا من نصرتك
طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى
غرضهم السعادة الاخروية ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها
على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما ياتي ويذر في امر الدين فيدخل فيه الاتباع
في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين
يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه الصلاة والسلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول
اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله
بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها
غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك
بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه
السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله
عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين
ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه
فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى
الله عز وجل عليه شبه عيسى ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم
قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع
بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امراة ابراها الله تعالى من الجنون بدعائه
عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال على من تبكيان قالتا عليك فقال
ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى
عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل
ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت
بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل
المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزى بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم
ثم جاء بعده ملك اخر يقال له طيطوس وغزى بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى
ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت
مريم بعيسى عليه السلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة

الاسكندر وملك ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر
رمضان وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم
كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك
الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل
مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا
نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا
على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع
اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال
واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقى عليه شبه عيسى عليه السلام
فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة
ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة
اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة منهم كان فينا عبد الله ورسوله
ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام
منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من
الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع
والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين
كذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل
الاسلام ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان تحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في
الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك
الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل
او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذل بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله
بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد
والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات
فانه ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه
متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم
الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداءة ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم
عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والاخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا
وفي الاخرة متعلق باعذبهم واحدهما يوم القيمة بل بمعنى ايقاع مجموعهما يومئذ وقيل المرجع اعم من الدنيوي والاخروي
وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود ولا عن الفوقية المحدودة
على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك خلعة لزمن تاخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد
فاما الذين امنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها
كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال

يخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وله الحمد عليه السلام ٤

والتعذيب

والجماله وتري نفوسهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع
اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود وواضعون الكفر
مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عليه السلام وما فيه
من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان
بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب او خبر
بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة
الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او
المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح
المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره
وحكمه كمثل آدم اي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم
في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه
السلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له
كن اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي
الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم
صاحبنا قال وما اقول قال تقول انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا
هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى فقال عليه الصلاة
والسلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك ان يكون ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى
عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه
والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل هما مبتدا وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة
الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي صلى الله
عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه
من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف ممن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى
اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك
من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم
تعالوا اي هلموا بالراي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء
فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم
بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع
ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه
بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه الصلاة والسلام على جانب المخاطبين في
كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على
الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم

عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى ح

والاقامة

والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نثبت على ديننا فقال
صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك
كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي
نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا
ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا ان
هذا اي ما قص من نبا عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته
او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في
القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك
الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان
الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا
يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا
منهم بعضنا بشر مثلنا روي انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام
هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا
مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة
حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد
والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما
اتفق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه امر بان يقال لهم اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى
لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التوراة على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام
الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليه السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف
يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون
بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم
هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس

لكم به علم أصلاً وذلك إذ لا ذكر لدين إبراهيم في أحد الكتابين قطعاً وقيل هو لا بمعنى الذي وحاججتم صلته
وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه أو كل شيء فيدخل فيه
ذلك دخولاً أولياً وأنتم لا تعلمون أي في محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها ذلك ما كان إبراهيم يهودياً
ولا نصرانياً تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفاً أي مائلاً عن العقائد الزائغة كلها مسلماً منقاداً لله
وما كان من المشركين تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين أنهم على ملته عليه
السلام إن أولى الناس بإبراهيم أي أقربهم إليه وأخصهم به للذين اتبعوه أي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا
لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفاً على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفاً على إبراهيم والله
ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بإيمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه الصلاة والسلام
بدلالة النص ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعماراً إلى اليهودية
ولو بمعنى أن وما يضلون إلا أنفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم عما هم عليه
من الدين القويم أي وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم لما أنه يضاعف به عذابهم وقيل ما يضلون
إلا أمثالهم ويأباه قوله وما يشعرون أي باختصاص وباله وضرره بهم يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
أي بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تشهدون أي والحال أنكم
تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين وتعلمون بالمعجزات أنه حق يا أهل الكتاب لم
تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وإظهار الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح
الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق أي نبوة
محمد عليه الصلاة والسلام ونعته وأنتم تعلمون أي حقيته وقالت طائفة من أهل الكتاب يعني رؤساءهم
ومقتديهم لأعقابهم آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أي أظهروا الإيمان بالقرآن المنزل عليهم وجه
النهار أي أوله واكفروا أي أظهروا ما أنتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم أنكم آمنتم به بادي الرأي
من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الأول فرجعتم عنه لعلهم أي المؤمنين يرجعون عما هم عليه
من الإيمان والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما
أنزل عليهم من الصلوات إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلاً من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار
ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً
صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا أي ولا تقروا بتصديق
قلبي إلا لمن تبع دينكم أي لأهل دينكم أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم من قبل فإن رجوعهم
أرجى وأهم قل إن الهدى هدى الله يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم متعلق بمحذوف
أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو بلا تؤمنوا أي فلا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله قل إن الهدى
هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرئ أأن يؤتى على
الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الأول أي ألأن يؤتى أحد الخ وقرئ على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة أي
ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى على
الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لأنه في معنى
الجمع إذ المراد به غير أتباعهم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وإبطال لما زعموه بالحجة
الباهرة يختص برحمته أي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما

وتنزه

بالتقصير

قبله

قبله مقرر لمضمونه ومن أهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء
حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى من إن تأمنه بقنطار يؤده
إليك على أن المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لكونهم ذوات المذكورين كأنه قيل بعض أهل
الكتاب بحيث إن تأمنه بقنطار أي بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية
ذهباً فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً
فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب فيهم
الخيانة إلا ما دمت عليه قائماً استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال
أو في وقت من الأوقات إلا في حال دوام قيامك أو في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغاً في مطالبته بالتقاضي
وإقامة البينة ذلك إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للإيذان
بكمال غلوهم في الشر والفساد بأنهم أي بسبب أنهم قالوا ليس علينا في الأميين أي في شأن من ليس من أهل الكتاب
سبيل أي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون
على الله تعالى وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالاً
من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة
إلى البر والفاجر بلى إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين
مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء إلى من ومشعر
بأن التقوى ملاك الأمر عام للوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي إن الذين يشترون أي يستبدلون
ويأخذون بعهد الله أي بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالأمانات وأيمانهم
وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمناً قليلاً من حطام الدنيا أولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة
لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله أي بما يسرهم أو بشيء أصلاً وإنما يقع ما يقع من السؤال
والتوبيخ في أثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام أو لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر أنه كناية عن
شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة فإنه مجاز عن الاستهانة بهم
والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم
كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم أي لا يثني عليهم
ولا يطهرهم من أوضار الأوزار ولهم عذاب أليم على ما فعلوه من المعاصي قيل إنها نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي
الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك أو يمينه فقال
الأشعث إذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه
غضبان وقيل في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وإن منهم أي من اليهود المحرفين
لفريقاً ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يفتلونها بقراءته فيميلونها
من المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم
تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه أي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ
وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب أي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب أي
والحال أنه ليس منه في نفس الأمر وفي اعتقادهم أيضاً ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح
بالتورية والتعريض هو أي المحرف من عند الله أي منزل من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر أي والحال أنه ليس

وما هو من عند الله

من عند الله تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراتهم ما لا يخفى واظهار
الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء
عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال
له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية
منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك
والحكم اي الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريف
وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين
لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له وتحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف
اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه الصلاة والسلام
معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل
من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه الصلاة والسلام لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين
اي منسوبين الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك
بطاعة الله عز وجل ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم
الكتاب ودراسته اي قراءته فان خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان
باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة
لزيادة شرفه عليها ولان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون
من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على
ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة
نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق وبيان
ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة
والمعنى ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عن ذلك وهو ادنى من العبادة فيقتضي عنه
ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة اندماجهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى
ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة
الرفع على الاستئناف وتجوز الحالية بتقدير المبتدا اي وهو يامركم الخ بين الفساد لما عرفته انفا وقوله تعالى
بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله
ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم
وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة المعمول الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء

على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم النبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما
بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه
او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذفت احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم
بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما
لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه
للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع المخاطبين
لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض بعد ذلك الميثاق
والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من مراعاة الجمع باعتبار المعنى
كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر
والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة
فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي ايتولون فيبغون غير دين الله
وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على
على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اي طائعين
بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على
الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه
يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحال
واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه
المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط
تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وادخال الاتباع والجمع
لاظهار جلالة قدره عليه الصلاة والسلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون
الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه الصلاة
والسلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق
بان علة كون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك
الخ وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر
الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد
بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى
وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب
وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وما اوتي
النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا
ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق

من الكتب لاستلزام المذكور وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية
فهو اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل
المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار
معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما •
• ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا
لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل عن ذلك ومن يبتغ غير الاسلام دينا
اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل
اليه وهو منصوب على انه مفعول يبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا
او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه
وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين
في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة التي فطر الناس
عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح
واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود
قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد
عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار
انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان امنوا
او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم
الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه
من البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهو يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل
الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس
المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة
والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا
الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور
رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على رده
فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا حيث
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم
على الهلاك فكني به عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون

موضوع ٤

الثابتون

الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ
بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى
بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى
به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات
الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم هو لما مر من اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب
اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة
الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو
كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا
حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى
وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى
مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون
من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال
والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي
الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك
مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال
هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على
ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان
يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية
بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها
اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك
ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال
العامل واحضرهم وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت
حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس
عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار
والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع
موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عالم بكل شيء تحيز ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير من انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم
او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان
اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل

والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي
باشارة الاطبا واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتدا
من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسط الاستثنا بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان
تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فايدة ان كان ما عدا المستثنى حلالا لهم من قبل ان
تنزل التورية ليس فيه مزيد فايدة ان كان ما عدا المستثنى حلالا لهم من قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراة عما نعي عليهم قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على
نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم ومنع النسخ والطعن في
دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابرهيم عليهم السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا
بالتورية امر عليه الصلاة والسلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على
ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه
وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم والظهار اسم التورية يكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله
وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان
كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية
فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه
ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما
ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها
وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
في خبر الصلة والجمع باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك
هم المصرون على الافترا بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون
في الظلم والعدوان المتعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل
هي في محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه تعالى
فيما انزل في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الخ او صدق في كل شان من الشؤون و
داخل فيه ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابرهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل
ملة ابرهيم عليه السلام فانكم ان كنتم متبعين لملته كما تزعمون فاتبعوا هذه الملة حتى تخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم عليه السلام
ومن تبعه والفا للدلالة على ظهور صدقه تعالى الموجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة
كلها وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس
بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم عليه السلام في الاصول لانه لا
يدعو الا الى التوحيد والبراة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع
في بيان كفرهم ببعض اخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم ببعض اخر بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام
روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبيا وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويويده
القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصيصها بما بعدها من

ابرهيم

الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في
مكة فان العرب تعاقب بين البا والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنبيط والنميط في اسم موضع بالدهنا وقولهم
امر راتب وراتم وسبد راسه وسمده واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس
فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله
عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله ويويده ان التباك
والازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي
انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عليه الصلاة والسلام وقيل ادم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه
من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره
واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة
هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم لان فيه ايات
عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه ايات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة
البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار
قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم اي اثر قدمه عليه الصلاة والسلام
في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبنا الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على
ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته على شقه الايسر
حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدا حذف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل
البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة
الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عليه السلام لقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله او باعتبار اشتماله على ايات
كثيرة فان كلا واحد من اثر قدمه في صخرة صما وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون
سائر ايات الانبيا عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعدا الوف سنة اية مستقلة ويويده القراءة على التوحيد واما قوله
عز وجل ومن دخله كان امنا فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله
فكونه حسا لمعنى والمعطوف على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكفي في ذلك
الايات ايضا ثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا
انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان
الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه
ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا
يووى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام
ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدا هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر
من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس

هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن على الناس لاستلزامه
تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او حرف جر
وعاملها كذلك بخلاف الجر وحرف الجر فانهما تقدمان على عاملهما المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه
ابن مالك واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم
للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير
العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة
الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة
من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه
حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل
قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال
كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من الزاد وغيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد
والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه الصلاة والسلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله عنه
اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه
الصلاة والسلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمعتبر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع
الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته
لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة
له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا
لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج
على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن
العالمين وعن عبادته وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين
الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه
ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات
والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته
وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير
وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه
فقط فانه مما ينبئ عنه منبئا باسقاطه عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين من فعل وترك
يدل على نهاية شدة الغضب هذا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه
ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم
الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه
فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في
الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية

شجرة

شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود
والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بهما
وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب
عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل
من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيد لتشديد
التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد
وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل
والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه
بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على
تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن
قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة
والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي
الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض
الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وقرئ تصدون من اصده
عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول تصدون
قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول
فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه الصلاة والسلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل
اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا
فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله ۞ فتولى غلامهم ثم نادى ۞ اظليما
اصيدكم ام حمارا ۞ بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس
وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال
من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من
فاعل تبغونها والحال انكم تشهدون انها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها
اضلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي تشهدون ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام
وانتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم وتستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل
عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الحيلة ختم الآية
بما يحسم مادة حيلهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت
الآية الشاهدة بشهادته تعالى على ما يعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب
والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ورد عليهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة
في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما
يفهم التوبيخ ما فيه للمبالغة في الزجر والمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا
جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم
من تآلف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان
معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما اقتتلت فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس

لان يكون

وبينهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل مفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع
من القبيلين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا
يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوا
على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله • رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا •
• فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا • او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين
عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع الحاجة اليه ضرورة
لسبق الخطاب بعنوان المومنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار
كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له
كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المومنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع
بمعنى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال
اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده انتفى وجوده
بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم ايات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في
تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الرادعة عن الكفر وقوله
تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة ايات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه الصلاة
والسلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم
اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي من
يتمسك بدينه الحق الذي بينه باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه
فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقق لان الهدى قد حصل فهو مخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل
الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغونها عوجا وهذا وان كان هو
دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير
مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز يا ايها الذين امنوا تكرير للخطاب بعنوان الايمان تشريفا اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال
من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب
والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا
يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله
لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع
المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد واصلها وقية
قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون
نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله

وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه
الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان
كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت
المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمومنين كان المراد الثبات على الاسلام
الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد
لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا
يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ويفيد كون
الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت قوله عز وجل
واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة
الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق
مامون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة الحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام
ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين على الاعتصام
ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر
مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او
للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية
بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما
العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام
فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار شفا الحفرة حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في
تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما
انث لاضافته الى الحفرة كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها
جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل
الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به
عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم اياته اي دلائله
لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر من الله
تكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على
مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة
ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن كان التامة
تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وامة فاعله ويدعون صفتها اي لتوجد منكم جماعة
داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة

اسمها و يدعون خبرها اي و لتكن منكم امة داعين الى الخير و ايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى
البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية و انها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين
و لو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها كما ينبئ عنه قوله تعالى و ما كان المؤمنون لينفروا كافة
الاية و لانها من عظائم الامور و عزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى و مراتب الاحتساب و كيفية
اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر و ينهى عن معروف و يغلظ في مقام اللين و يلين في مقام الغلظة و ينكر
على من لا يزيده الانكار الا التمادي و الاصرار و قيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا و عملوا الصالحات
منهم الاية و الامر من كان الناقصة و المعنى كونوا امة تدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس و لا يقتضي
ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد فرض كفاية مع ثبوته بالخطابات العامة و الدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى
ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف و النهي عن المنكر عليه بقوله تعالى و يامرون بالمعروف و ينهون
عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما و انافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل
و ميكائيل على الملائكة عليهم السلام و حذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون
الناس و يامرونهم و ينهونهم و اما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي و يمنع اي يفعلون الدعاء الى
الخير و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و اولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة
و كمال تميزهم بذلك عمن عداهم و انتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة و ما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو طبقتهم و بعد منزلتهم في الفضل و الافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب و اما لان التعيين
غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال الفلاح و هم ضمير
فصل يفصل بين الخبر و الصفة و يؤكد النسبة و يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون و الجملة
خبر لاولئك و تعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله
عليه و سلم انه سئل عن خير الناس فقال امرهم بالمعروف و انهاهم عن المنكر و اتقاهم لله و اوصلهم للرحم و عنه
عليه الصلاة و السلام و الذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا
من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم و عنه عليه الصلاة و السلام من امر بالمعروف و نهى عن المنكر فهو خليفة الله
في ارضه و خليفة رسوله و خليفة كتابه و عن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف و النهي عن المنكر
و من شنئ الفاسقين و غضب لله غضب الله له و الامر بالمعروف في الوجوب و الندب تابع للمامور به و اما النهي
عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام و العاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه و انكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر منهما و التوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر و تنسون انفسكم انما هو على نسيان
انفسهم لا على امرهم بالبر و عن السلف مروا بالخير و ان لم تفعلوا و لا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث
تفرقت اليهود فرقا و النصارى فرقا و اختلفوا باستخراج التاويلات الزائغة و كتم الايات الناطقة و تحريفها
بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه و اتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة و الى اعقابهم تبعا و يجوز تعميم الموصول للمختلفين
من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز و جل و ما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات و قيل
هم المبتدعة من هذه الامة و قيل هم الحرورية و على كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع
الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او للاجماع لقوله عليه الصلاة و السلام اختلاف امتي رحمة و قوله عليه الصلاة
و السلام من اجتهد فاصاب فله اجران و من اخطا فله اجر واحد و اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما
في حيز الصلة و هو مبتدا و قوله تعالى لهم خبره و قوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او مبتدا و الظرف خبره و الجملة خبر للمبتدا الاول و فيه من التاكيد و المبالغة في وعيد المتفرقين و التشديد

في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة و قرئ تبياض و تسود وجوه كثيرة و قرئ
تسواد و عن عطا تبيض وجوه المهاجرين و الانصار و تسود وجوه بني قريظة و النضير و يوم منصوب على انه ظرف
للاستقرار في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة
التفرق بعد مجيء البينات و ترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ و بياض الوجه و سواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور و كآبة الخوف و قيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه و الصحيفة و سعي النور بين يديه
و بيمينه و اهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة
اليها اجمالا و تقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال و التفصيل
و الافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول
اي فيقال لهم ذلك و الهمزة للتوبيخ و التعجيب من حالهم و الظاهر انهم اهل الكتابين و كفرهم بعد ايمانهم كفرهم
برسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه الصلاة و السلام
او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح
و الدلائل الواضحة و الايات البينة و قيل المرتدون و قيل اهل البدع و الاهواء و الفاء في قوله عز و علا فذوقوا
العذاب اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب
على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك و الجمع بين صيغتي
الماضي و المستقبل للدلالة على استمرار كفرهم و على مضيه في الدنيا و اما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله يعني الجنة و النعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن و ان استغرق عمره في طاعة الله
تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى و قرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها و لا
يموتون و تقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الاي تلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار و تعذيب
الكفار و معنى البعد للايذان بعلو شانها و سمو مكانها في الشرف و هو مبتدا و قوله تعالى ايات الله خبره
و قوله تعالى نتلوها جملة حالية من الايات و العامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر و ايات الله بدل من اسم الاشارة
و الالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة
و قرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى و قوله تعالى عليك متعلق بنتلوها و قوله تعالى بالحق
حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق و العدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص
ثواب المحسن او زيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم موجب للوعد
و الوعيد و قوله تعالى و ما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه و اكده فان تنكير
الظلم و توجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه و تعليق الحكم باحاد الجمع المعرف و الالتفات الى
الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز و جل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد
الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات
يفيد في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت و عند دخول حرف النفي
تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام و في سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا و لكن الناس انفسهم يظلمون و لله ما في
السموات و ما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفانية بحذافيرها ملكا
و خلقا احياء و اماتة و اثابة و تعذيبا و ايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء و اما لتنزيلهم منزلة
غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى و الى الله اي الى حكمه و قضائه لا الى غيره شركة او استقلالا

ترجع الأمور أي أمورهم فيجازي كلاً منهم بما وعد له وأوعد من غير دخل في ذلك لأحد قط فالجملة مقررة
لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه
ومرزوقه يستدعي إرادة الخير بهم كنتم خير أمة كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق
على الحق والدعوة إلى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصيغة في الزمان الماضي من غير دلالة
على عدم سابق ولا لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى أو في اللوح أو فيما
بين الأمم السالفة وقيل معناه أنتم خير أمة أخرجت للناس صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أي أظهرت لهم
وقيل بخير أمة أي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع وإن فهم ذلك من الإخراج لهم أيضاً أي أخرجت
لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الإسلام وقال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم
في الإسلام فهم خير أمة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير أمة كما يقال زيد اخرجت صح
كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم أو خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
وخطاب المشافهة وإن كان خاصاً بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما
يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يعم سائر أمته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى وظاهره أن
المراد بكل أمة أوائلهم وأواخرهم لا أوائلهم فقط فلا بد أن يكون أعقاب هذه الأمة أيضاً داخلة في الحكم وكذا
الحال فيما روي أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وأبي
بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا
إليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير أمة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة وروي عن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله
المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله أي إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وإنما
لم يصرح به تفصيلاً لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون وللإيذان بأنه الإيمان بالله تعالى حقيقة وإن ما خلا
عن شيء من ذلك كإيمان أهل الكتاب ليس من الإيمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وإنما أخر ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهم للناس أظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى
ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم أي لو آمنوا كإيمانكم لكان خيراً لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين وقيل مما
هم فيه من الكفر فالخيرية إنما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وإنما لم يتعرض للمؤمن به أصلاً للإشعار
بظهوره الذي يطلق عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا أو فيما قبل لربما فهم
أن لأهل الكتاب أيضاً إيماناً في الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستأنفة
سيقت جواباً عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم
على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم إلا أذى استثناء مفرغ من المصدر العام
أي لن يضروكم أبداً ضرراً ما إلا ضرراً أذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا أثر له وإن يقاتلوكم
يولوكم الأدبار أي ينهزموا من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية

وثم للتراخي في الرتبة أي لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلاً وأخذاً وفيه تثبيت لمن آمن منهم
فإنهم كانوا يؤذون بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا
الأذى بالقول إلى ضرر يعبأ به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل
وإنما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لأن المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقاً ولو عطف عليه لكان مقيداً
بمقاتلتهم كتولية الأدبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذي أخبركم عنه وأبشركم به أنهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعده بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم أمر وكان
كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة أي هدر النفس والمال
والأهل وذل التمسك بالباطل أينما ثقفوا أي وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من أعم
الأحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة عليهم في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله
أو كتابه الذي آتاهم أو ذمة المسلمين أو بذمة الإسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله أي رجعوا
به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنكير
من الفخامة والهول أي كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود
كذلك في غالب الحال مساكين تحت أيدي المسلمين والنصارى ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
عليهم والبوء بالغضب العظيم بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله
الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية ويقتلون الأنبياء بغير حق
أي في اعتقادهم أيضاً وإسناد القتل إليهم مع أنه فعل أسلافهم لرضاهم به كما أن التحريف مع كونه من أفعال
بعضهم ينسب إلى الكل من يسير بسيرتهم ذلك إشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
أي كان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى
الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في
الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع حتى
المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيداً لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى
منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لأهل الكتاب جميعاً لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وإنما
أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة
في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف بها أي ليس جميع أهل الكتاب مشتركين في الاتصاف
بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة استئناف مبين
لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الإبهام كما أن ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين
لقوله تعالى كنتم خير أمة الخ ووضع أهل الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين
الفريقين والإيذان بأن تلك الأمة ممن أوتي نصيباً وافراً من الكتاب لا من أرذالهم والقائمة المستقيمة العادلة
من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد
وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلاً من أهل نجران واثنان وثلاثون من أهل الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين
عيسى وصدقوا محمداً صلى الله عليهما وسلم وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله
تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل في محل النصب على أنه حال منها لتخصصها
بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار أو من ضميرها في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوعه خبراً

لامة والمراد بايات الله القران وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصى او انا بزنة معا او انى
بزنة ظبى او انى بزنة نحى او انو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم
الا انى نهيت ان اقرا راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال التضرع
والتصريح بتلاوتهم ايات الله في الصلاة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة
بينهم وبين الذين وصفوا انفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد
اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلاة
على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات
المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه صلى
الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم
وتاكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستانفة والمعنى انهم
يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما
في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد
ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الاخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى
اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق
عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب
والرسل ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي
عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان
مباينتهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال
الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون
المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام
به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطي اليهود
فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون
في اصل الخيرات متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة
باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره
على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين
اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير كائنا ما كان مما
ذكر او لم يذكر فلن تكفروه اي لن تعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا
لكمال التنزيه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته
الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة
الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم
لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق
العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم
مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو

قريظة

قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان
واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث
قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها
على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء
اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية
حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي
تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح
الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع
فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير
ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من
التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه
الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها
لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول
اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى
وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه
تعمير للمعرض له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف
للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما
في قوله. ولكن من يبصر جفونك يعشق. يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار
والرضاع فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده
قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهي صفة المنافقين والاظهر ان المراد بهم الكفرة
كافة من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة
لكم لا يألونكم خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا في الامر يألو
اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع او النقص والخبال
الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم
مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استئناف اخر مفيد لمزيد
الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لانهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم
عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه
هاء وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا
لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب

لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة
خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال اذ العامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده
وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم
والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا
لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان
يهلكوا به وباشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق
وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون
خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة
قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم
الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار
لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم وعلى مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه
لا يضركم كيدهم اي مكرهم وحيلهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط
من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا
يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر
يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء اي
بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من
استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة غير مضرة كيد الاعداء واذ نصب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين
لاختصاص مضمون الكلام به عليه الصلاة والسلام اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال
الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها
كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد خروجه عليه الصلاة والسلام الى احد وكان
ذلك من منزل عائشة رضي الله تعالى عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي
تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على
انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج
والتبوئة وما ترتب عليهما اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه
الصلاة والسلام بعد صلاة الجمعة اذ حينئذ وقعت التبوئة اذ هي العمدة في الباب اذ المقصود تذكير الوقت تذكير
مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتزلزلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين
خلل رأي من احتج به على جواز اداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اي
لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد
والمقاعد بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك

روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعى عبد الله بن ابي بن
سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا
رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه الصلاة
والسلام اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت اني
ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري
يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا
افر من الزحف فلم يزالوا به عليه الصلاة والسلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما
صنعنا نشير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف
من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا
قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن الزبير على الرماة وقال لهم
انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم
عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم
اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع
الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء
في قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما سلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت
والباء محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين ووعدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخزل عبد الله
ابن ابي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وقيل لما تطاول الضمير عنه عند الشدائد والله وليهما اي
عاصمهما من اتباع تلك الخطوات والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة
لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون
في جميع امورهم فانه حسبهم والاظهار في موقع الاضمار للتبرك والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه
تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي
التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما
من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم
بئر بين مكة والمدينة كانت لرجل اسمه بدر فسميت باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم
الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال

من مفعول نصركم واذلة جمع قلة للايذان باتصافهم بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان
ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل
فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس مع شكة وشوكة
فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر
من باديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم
المذكور كان بسبب تقويهم اذ كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين
ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقويكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل
ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى
الله عليه وسلم للتنويه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه الصلاة والسلام واذ ظرف لنصركم
قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما
طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ۝
لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين
ان كرز بن جابر يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزلت ح ثم حكى ههنا الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال
قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة
يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم
في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناهم باموال وبنين والتعرض
لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد
والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة بيان او
صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ
مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة
بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله
تعالى ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في
الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة
بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبع له وجودا وعدما اعني الصبر
والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤوا والتحقيق بسرعة الامداد لا لتحقق اصله او لبيان تحققه
على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه في سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء
واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن
يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك
بايد شداد وسيوف حداد لم تؤثر فيها قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم
الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان
بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم
عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا

بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما
جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى وقيل ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير
وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على
فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية
الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتبيين وقته فيما مضى يقتضي
بوقوعه حتما قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتأخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى
عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقب قوله تعالى يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد
الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول
عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الكلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة
الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدر
المذكور غير معتبر من حيث الوجود والوقوع كفعل المصدر المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجوده بل الاول
معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف
وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم
المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني
عنه بما له من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة
غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي
الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة عليهم السلام
القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف رحمهم الله
وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى لكم على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى
شيئا من الاشياء الا بشارة لكم واللام في قوله تعالى ولتطمئن قلوبكم متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به
فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي
الا كائن من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جري
سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عند الله تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصاراهم
ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز الذي لا يغالب في حكمه واقضيته واجراءها
على ما تقتضيه الحكمة الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
واجراء الوصفين عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى
من مقتضيات الحكم الثلاثة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية
وقوعه والمقصود من التعليل بما ذكر من الحكم الاطناب بان الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا
يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله تعالى وما النصر
الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان الجعل بالبشارة والاطمئنان انما هو
الامداد الصوري لا في ضمنه من الامداد المعنوي الذي هو ملاك الامر واما اذا تعلقت بنفس النصر فالمعنى

بانكم تنصرون نح

ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص
المعلل على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك
والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا كائنا من عند الله ليقطع اى
يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم
سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته
بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء
غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مغانمهم بشيء كما في قوله تعالى
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بما
المعطوف المتعلق بالاجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصورين اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله
عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان
ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل
الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل
نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد
مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق
التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر
وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقد قيل
ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن
وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو
يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء لانه كان نوع معاتبة على انكاره عليه الصلاة والسلام لفلاحهم
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم ح معطوف على الامر
او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى
الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتفرح بهم او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستانف
سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا
منهما مبني على اختصاص الامر كله به تعالى ومبني عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله
تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد
الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا
فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلاثة الاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك
واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسبب هاتيك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع
عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا تكاد تسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير
في قوله تعالى وما جعله الله الخ عائدا الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف بين علته الغائية ولا الى الوعد
على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم واطمئنانا لقلوبكم ثم لم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى لم
يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود
لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فلم يبرز ذلك الا من عنده تعالى وجعله استينافا
مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى
اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق ح بما تعلق به قوله تعا

من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى لقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من
التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام
المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لا يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد
عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وانما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما
بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون
ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل
الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر
وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله
الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعدله
مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب
للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه ولانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا
صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون
قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة
ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدا مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في
باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في
تضاعيف القصة مسارعة في ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه
من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد
عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه الصلاة
والسلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء
الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى
طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بالاكل الاخذ وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد
بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد
النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني
في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله
النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون
راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه وكان ابو حنيفة
رحمه الله تعالى يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين
لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة
منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحاق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا او اتقوا وقرئ بحذف الواو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا
وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى
الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء الواجبات وقيل الى جميع الطاعات وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ما مر من الامور
المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين

لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضها صفة لجنة وتخصيص العرض
بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في محل الجر على
صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصيصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة
مخلوقة الان وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه
او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح او مفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك
بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها
اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين
الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان
امرا متجددا اعبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تاويله
انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقا اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع
القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيامة اين الذين
كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم
الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الموضعين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه الصلاة والسلام
عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه الصلاة والسلام وندب له عليه الصلاة والسلام
الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين
مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين
ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتدا وقيل مجرور معطوف على ما
قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان
درجة الاولين من التقوى على مرد رحمة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر
واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون
يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره
افعل كذا فانزل الله هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امراة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد
وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامراة رجل ثقفي كان
بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ منتظم لما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله
تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحيا او وعيده او حكمه او عقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة
والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة
صدور مغفرتها منها من غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب

احد الا الله خلا ان رد لانه الاستفهام في الانتفا اقوى وابلغ لايذانه بان كل واحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك
الانتفا فيسارع الى الجواب والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين
المتعاطفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا
عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتنا بشان الا
ستغفار
واستحقاقه للمسارعة اليه عقب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا
اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم
يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه
والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لم يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة
الى المذكورين اخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم
مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه
الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزا اذ على الوجهين الاخيرين يكون
قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر
من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزا الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين
مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها
ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول
به في المعنى لانه في قوة ما يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها
في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك
اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل
لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختتم لما قبلها
وناهيك مضمونه دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت والتوبة والسابق يتبين شان من المحسنين العافين بمجيئه
وعلو من العاملين الحائز لاجرهم وهو الله قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة
بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخطاب للمؤمنين والسنن الوقائع وقيل
الامم وانظروا لما نسعلو بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم وكائنة من قبلكم
سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا وقوله تعالى فسيروا الخ الفاء
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او
للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة
على سببية خلوها للسير والنظر لا للامر بهما وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد
نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ بيان للناس اي تبيين
لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له والتعريف للناس للعهد
وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا
بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم

من اهل التكذيب ويعتبرون عما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اى
وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو
تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اى هذا بيان لمآل امر الناس
وسوء عاقبته وهداية لمن اتقى منهم وزجرهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل
ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق
له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق اولا لما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم
ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى واصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين
ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان
لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين
منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية
اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا
لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان
كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا تشجيع للمؤمنين
وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد
المطلب رضي الله تعالى عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله تعالى عنهم اجمعين ومن الانصار
سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على
من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم
فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار
به فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة
وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة
المتعلق به عليه اى ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى
وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم
مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح
الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد
نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا
عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام
المعدودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها المعهودة
بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه وعاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدأ والايام

صفة لذا او بدل منه او عطف بيان له فنداولها خبر او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى الاشارة او
خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما
بين الامم قاطبة سابقها ولاحقها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا اما من
باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن
التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم
من حيث انه موجود بالفعل واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان
لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار
بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير للمنشأ
الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى بين الناس من المداولة المعهودة
الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين
الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة
اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم
ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم وتعلق
العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتأمل واما على العموم والابهام للتنبيه
على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوؤه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان الله تعالى
جعل له في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم
الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصير ما لا يخفى وتخصيص هذا البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة
دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولذلك
جعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه
كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى
متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بافراد المعهود وقيل هي متعلقة
بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم
بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اى
ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق
ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي
لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد
بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتعرض من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المستعدين للشهادة
من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتعرض من حيث ان ذلك ليس من طريق النصرة لهم فانها غير مختصة باوليائه
تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اى ليصفيهم ويطهرهم
من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار
كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا
يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الا

وازالة الاوضار كان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قليلا قليلا المنتهي بالكلية حتى لا يبقى منه شي
ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا اي يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم
الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام
حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم
واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب
عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار
والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند
العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة
استحالة تحقق شي بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها ابلغ لعدم جهادهم
بالبرهان للايذان بان بناء ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين
جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله
جهادكم كما انه عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفا الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان
بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذفت النون وعلى طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لا لالتقاء الساكنين اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم
الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك
وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر للمحافظة على الفواصل وقيل
مجزوم معطوف على المجزوم قبله وقد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو
الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا محذوف اي وهو يعلم الصابرين
كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او
الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك
من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ
تلاقوه فقد رايتموه اي ما تمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال
من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة
كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم
وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة
بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شي غير ذلك فلا يستحق
العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدا وخبر ولا عمل لما بالاتفاق قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه الصلاة والسلام
لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا
انه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم
فرد عليهم بانه ليس الا رسول كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل
هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم
يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة

لا يتجاوزها

لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد من حمل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدا مسوقا لتقرير عدم براءته
عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه اسوة بمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فالكلام
يخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين
بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به والفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع
العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد
فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار
حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقديم القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم
فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان
الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو
دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قتالا
شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص
فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة الى هزيمتهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم
يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا
بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة
ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي
لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل
انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك
كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم
ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم
فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل ونحو زعمهم لقتله عليه
الصلاة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل اية لا يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها
يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته
عليه الصلاة والسلام وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي
وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله
ليرجعن ولا يقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى
ان قام ابو بكر رضي الله تعالى عنهما فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال
الراوي والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر

عنه وقال عمر رضي الله عنه والله ما ماتوا الا ان سمعنا ابا بكر رضي الله عنه يتلو فعرفت ما يحملني جلالي عز
ان رسول الله مات صلى الله عليه وسلم ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين
فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله
الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان
لحقه وفيه ايما الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بهم الطايعون لله تعالى
من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احبا الله تعالى واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتنا بشان جزائهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستانف سيق للتنبيه
على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط
بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل امر مخوف وقد اشير
بذلك الى انها لم يكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لا لاحجامهم عن مباشرة
القتال بكلية كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثنا
مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئة الله تعالى على ان
الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير
النفوس بالنسبة الى الموت بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون
اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان
موتها حين استحالة وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك
اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا مؤجلا
موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق
ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات
الاعمال الدايرة على ارادتهم لينبههم على ان الاعراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا
نؤته بنون العظمة على طريقة الالتفات منها اي من ثوابها ما نشا ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنايم يومئذ وقد مر تفصيله ومن يرد
بعمله ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشا من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة
الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما اتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز
وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهدا وغيرهم واما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيهم دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين
وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزا وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال
الثلاثة بالياء وكاين كلام مبتدا ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في
سبيل الله تعالى مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظه مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب
معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احداهن والثانية
كاين مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كين بيا ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة
كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتدا وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جا تمييزها
منصوبا كما في قوله • اطرد اليأس بالرجا فكاين املا حم يسره بعد عسر • وقوله تعالى قاتل معه ربيون
كثير خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني

للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وفتحها
ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبيا قاتل معه لاعلا كلمة الله واعزاز دينه
علما اتقيا او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراتين
الاخريين اذ لا اجمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كاينين معه في القتال لا في القتل قال سعيد
ابن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العلما لم يقتل نبي في
حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط
هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراة المشهورة بلا خلاف اي كاين من نبي قاتل كاينا معه في
القتال ربيون كثير واما على القراتين فغير ظاهر لا سيما على قراة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان
مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كاينا معه في القتل او في
القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما
في قولك وعظته فلم يتعظ وصحته فلم ينزجر فان الاتيان بالشي بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان
كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفا المرتبة له على ما قبله اي فما
فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثنا القتال وهو علة للمنفي دون النفي وقوله تعالى
في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة
فان جعل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وساير المكاره المعترية للكل وان جعلا
للبعض الباقين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهدا فهي عبارة
عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراة المشهورة واما على القراة
الاخرى فان اسند الفعل الى الربيين فالضميران للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين
مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين
وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند استيلا الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين
واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين على مقاساة
الشدايد ومعاناة المكاره في سبيل الله تعالى فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار
في موضع الاضمار للثنا عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة
تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية
وقولهم بالنصب خبر كان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا استثنا مفرغ من اعم الاشيا اي ما
كان قولا لهم عند لقا العدو واقتحام مضايق الحروب واصابة ما اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شيئا
من الاشيا الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغايرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر
الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآ من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهمم
واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعا بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعا بقولهم وثبت
اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين
تقريبا الى حيز القبول فان الدعا المقرون بالخضوع الصادر عن زكا وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا
مواظبين على هذا الدعا من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخوف والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد

الذين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرا ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم
والخبر ان وما في حيزها اي ما كان هو لهم شيا من الاشيا الا هذا القول المنبئ عن اخاس المحاسن وهذا كما ترى تعديد
المعنى اوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية لهم المحكي عنهم مفصلا كما بعده قرائتهما اكثر افادة
للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالا
بالخبر ما هو اكثر فايدة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع
ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحسبك
سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان يلاحظ ملاحظة اجمالية ويجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب
البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا
ريب في اعرفية ان فالواو لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به
وقولهم مضافا الى مضمر فهو بمنزلة العلم فاتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر
والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الاخرة اي وثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص
الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدا لكل سعادة واللام اما للعهد وانما
وضع المظهر موضع ضمير المعهودين اما للاشعار بان ما حكي عنهم من الاقوال والافعال من باب الاحسان واما
للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة
يا ايها الذين امنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها الخسران في الدنيا والاخرة اثر ترغيبهم
في الاقتدا بانصار الانبيا عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالندا والتنبيه
لاظهار الاعتنا بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكيرهم حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لاحوال اعدائهم كما ان الوصف
المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن
طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا والاخرة غير فائزين بشيء منهما
واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انعكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم
اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب
ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان
واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم
في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان بل الله
مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره
فاطيعوه واستعينوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله ومولاكم نصب على انه
صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا
على سنن الكبريا لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقا في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين
وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حين تركوا القتال ورجعوا من غير سبب
ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيا قتلنا منهم ثم تركناهم
ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون
نزول الاية في تضاعيف الجواب وعقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما
اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم

فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان يطيعوهم في قولهم ادخلوا الى اخوانكم في دينهم ع

وتضرع المؤمنين عليهم وكلاهما منزو والقى الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به
لوضوحها وانارتها او لقوتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون
الآرا والاهوا الباطلة ومأواهم النار بيان لاحوالهم في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما
ياوون اليه في الاخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر
المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى
مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله
وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين
عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم من النصر قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى
لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثرهم يقتلونهم قتلا [illegible]
وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم
وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم
بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود ثمة ذكر امداده عز وجل
بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر
المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القا الرعب
كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان
فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من
ضعف العقل وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم
قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى
الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من
بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب
وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتدا غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو
انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم
من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة على هذا التقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى
صدقكم باعتبار تضمينه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا قوله
تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان اللتان اعترضتا
بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي
يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم
على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل
والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم

او اذ بل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موضع الاضمار
للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي
وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالياء ولا تلوون على احد اي لا
تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها
تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله انا
رسول الله من يكر فله الجنة وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه الصلاة
والسلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في توبيخ المنهزمين في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم
الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة
غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر
والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي فآساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اي الغم المذكور والتصريح
بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظيم النعمة كما في قوله تعالى
ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية امنة اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف
بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير
مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرف على
المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة
لانه الاهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين
للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم
بعد خوف وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد
الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان
لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت رأسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا
وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه وفيه
دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون
وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء
على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف
بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم في
الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همي وقصدي وفي القصر تشنيعا
بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله
• سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا • محياك اخفى ضوؤه كل شارق • او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله • اذا ما بكى من
خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول • واما صفتها فالخبر محذوف اي ومنكم طائفة وفيه انه

يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة
لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما استئنافية
مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة
او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اي يظنون به
تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله
تعالى ظن الجاهلية في الاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما
ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد
هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من الظفر من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء
وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع
على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون
لك استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون
مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا
من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا
من التدبير والرأي شيء ما قتلنا ههنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس
القتل لا الى وقوعه فيها فقط ولما برحنا من منازلنا كما رآه ابن ابي وغيره وفيه تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل
لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في
اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم التي قدر الله قتلهم فيها
وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب
وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون وروي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما
قام قال الرجل من هذا فقال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رأيت منه
حالا هائلا فامر الريح عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه
السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى
يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضي امر الله عز وجل في زمانه ومكانه
من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد
على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل
فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ او بحيلها علل لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع
يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض وليفعل بعد وبعدها اي الابتلاء المذكور فعل ما فعل الابتلاء
الغائبة بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما غافلا عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور
ويكشفها ويخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور
بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء

لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق لفعل اي فعل ما فعل للابتلا والتمحيص والحال انه تعالى
غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا
يوم احد حسبما مرت حكايتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على
الغنيمة او الحياة فحرموا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان
المعاصي يجر بعضها الى بعض وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من
المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب
والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة
كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم ابتداء وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم
تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوانهم اتفاقهم نسبا ومذهبا
اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ
المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار
الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار
ظرفيتها لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع
عاف قال ● ومغبرة الافاق خاشعة الصوى ● لها قلب عفى الحياض اجون ● وقد قرئ بحذف الزاي على حذف التا
من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لان المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب
في الارض توطئة له وتعديته لكثرة وقوعه على انه يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد لما
لم يقل او غزا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى
لو كانوا عندنا مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا
ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد
بمضمونه والحكم بموجبه كانه المنكر على قائليه الا ترى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال
لم يقتلوا او تعلقه بقالوا لكن باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة
كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور
بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى ذلك
حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون
اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول
والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غايته اي هو المؤثر في الحياة والممات
وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما
لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين
على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشائه
الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التشديد والتهديد في الوعيد
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل

والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون لترتب ما لا يترتب عليهما واللام هي
الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد حذف صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط
والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة
ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمرا وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار
على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة تخلفه
تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف اخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ يكون اخراج المقدر مخرج الصفة
دون الخبر نحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنا عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا
المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته
في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد
بمضمون القول والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم
حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشان
الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاكم والكلام في لام
الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه و
والفا لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية
او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والبا متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة
ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لهم
كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق واللطف
بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا
غليظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق
غليظ القلب اي قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى والفا في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله
اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم فيما يتعلق بحقوقه
تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي
امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله
في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله وقرئ فاذا عزمت على صيغة
التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة ان
التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به
الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه
تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا
للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على ما يقتضيه وتحذيرهم عما ينافيه اي ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا
احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد يدل على
نفي الصفة فقط والمفهوم منها ظاهرا هو نفي المساواة واما نفي الغالبية فمن المخاطبين فاذا قيل لا اكرم من فلان

او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواضع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم من بعده استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او من بعده تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان تشريكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة الرسول صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا الى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه الصلاة والسلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها من الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويترك اخرين بل عليه ان يعم من الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما نفوه بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال المنافقون لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذي غله بعينه يات على عنقه كما روي في الحديث الشريف وروي انه عليه الصلاة والسلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت خيرا او شرا يسيرا او كثيرا وضع المكتوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من التناسب كما وكيفا فانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكتوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال لما لا يخفى فانه حيث وفي كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس لا يظلمون بزيادة عقاب او نقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حسبما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب تعاطيه للمعاصي ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل السافلين واظهار الاسم الجليل في موضع

اي يعطى وافيا جزاء ما كسبت صح

الاجمال الا لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل لها من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اي متفاوتون في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه عليه الصلاة والسلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث او على ان اذ في محل الرفع على معنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى يتلو عليهم آياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وصفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه الصلاة والسلام وتزكيته لفي ضلال مبين ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والظرف [illegible] او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مسوق لابطال بعض ما نشأ عنهم من الظنون الفاسدة [illegible] والهمزة للتقريع والتقرير [illegible]

الابتداء

عاملته قلتم انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا
لما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز
وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده
بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج
من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الاية وان
عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه
كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وانى يتهم من النفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفدا يوم بدر قبل
ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين
المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه الصلاة والسلام فان توبيخ الفاعل عن الفعل اذا كان ممن نهاه
عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم
عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم
رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه الصلاة والسلام لما يقتضيه من ارشادهم الى حقيقة الحق مما سألوا
عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى قل هو من عند انفسكم من استقلالهم
في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى
الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لكونها من لوازمه
وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما
بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم
عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم حسب تعلقه بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين
على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة
عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتون
على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك
قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة
له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه
الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
اي لو نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به
لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن
ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال
الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل
الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان التمييز مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان
متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف وبدلية
وانما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادة
جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر

يومئذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة
مؤذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر
الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما
نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا
واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه ابانة لما
بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما
حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير
العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال
عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان
اشتغال قلوبهم بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل
لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون
على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو
يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم
او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده
لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم
فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا
اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم
كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة
عن قبول رأيه والعمل به [illegible]
[illegible]
ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم
الموت جواب الشرط قد حذف ثقة بدلالة ما قبله عليه اعني قوله تعالى ان كنتم صادقين [illegible]
[illegible]
عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم [illegible] فان اسباب الموت
وامكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم
والمعنى [illegible]
عليكم [illegible] روي انه مات
يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا [illegible]
[illegible]
[illegible]
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه [illegible]
[illegible]
[illegible] شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب

عونا

ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه
الصلاة والسلام او الى ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف
عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على
انهم احقاء بان يسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم
بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم
وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان
الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله • حسبت التقى والجود خير تجارة • رباحا اذا ما المرء اصبح ثاويا • او على انه
وارد على طريق المشاكلة عند ربهم يرزقون في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او في
محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى
وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون
اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طيور خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة وتأكل
من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح
الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس
البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيورا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك
والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة
الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون اي يسرون بالبشارة بالذين لم
يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعد
وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا
الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان
هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال
اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات
مطلوب اي لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا
يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه لا يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان انتفاء الخوف والحزن
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما
يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا
بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي
زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف
على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان
بان سمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت
توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه
استئناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه

وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر

من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح
او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود
من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا واهتموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا
الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى
فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام
ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه
الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين
وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين
القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم
يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا
النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه
اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا كما في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل
ونعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه الصلاة والسلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم
تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا
والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي
العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا
للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل منعمين حال كونهم
سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله
ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب

في الدين واظهار الجرأة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هولاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم **انما ذلكم** اشارة الى المثبط او الى من حمله الى التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدا وقوله تعالى **الشيطان** اما خبر وقوله تعالى **يخوف اولياءه** جملة مستانفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ويؤيده قوله تعالى **فلا تخافوهم** اي اولياءه **وخافون** في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في لا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفا لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من الشيطان واوليائه **ولا يحزنك** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعرض لتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه **الذين يسارعون في الكفر** اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدا المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقين من المتخلفين فطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه واعتراته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك مسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى حسبتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التاثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن كسر الراي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن **انهم لن يضروا الله** تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به سبحانه وتعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى **شيئا** في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والنكر لبيان كدما فيه من العلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روي ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله شيئا ولو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل **يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة** استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم

حيث تعلقت بهما الارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر **ولهم** مع ذلك الحرمان الكلي **عذاب عظيم** لا يقادر قدره قيل لما دل المسارعة في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتداة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من الضمير لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان** اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى **لن يضروا الله شيئا** تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشترائهم الكفر بالايمان اشارة اليه اما باخذه بدلا عن الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتاتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الراي ورصانة التدبير من مضارة جند الله تعالى وهي اعز من الابلق الفرد واسنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا عما نزل منزلة الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الافاق والانفس كما هو داب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه من النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شان التنزيل لما ان صدر الكلام مسوق للنهي عن التاثر من المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما نهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه الصلاة والسلام مما لا وجه له وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتالمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك **ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم** عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الاية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها ساد مسد مفعولين عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدا والخبر وسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عايدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة وما له نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان الحال المعطوف عليه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه الصلاة والسلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فاسناد الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم

هو حصن حصين لشمول ان قاديانا ياناه ابوه وقيل بناه سليمان عليه السلام منه

دهراً طويلاً فان المقارن له دائماً انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشترا المذكور فانهما من الاحوال
المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو لا ينافي مقام التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان قصداً الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول
وانما نملي لهم انما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او هو مفعول ثان بتقدير مضاف
اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملا خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملا خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف مبين لحكمة الاملا
وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه
وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتنا بابطال الحسبان ورده على معنى ولا
تحسبن الكافرون ان املانا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول
في الايمان ولهم في الاخرة عذاب مهين لما تضمن الاملا التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي
على التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم وفاقاً والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الاخرة
اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معداً لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة
ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المومنين ووعيد المنافقين بالعقوبة
الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمومنين المخلصون واما الخطاب فقد
قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفاوت في ضمن التلوين والمراد بما انتم عليه
اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجرا احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل
انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبي رضي الله عنهم واكثر المفسرين
ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا مشاركة بين المومنين والمنافقين في امر الا
والمراد بما انتم عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معاً يجوز نسبته الى كل منهما الكفر
والنفاق كما قيل فان المومنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمومنين خاصة
وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعريض لما انهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم
والمراد بما انتم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه مصححاً في كون
المراد بما انتم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما
بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المومنون هو الايمان والاخلاص
لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما
معاً واليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي
البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريداً او متصدياً لان يذر المومنين الخ ففي توجيه
النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها
كما هو راي الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز
الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور
ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المومن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما
بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما تعدد ذكر ما
اريد باحدهما اعني المومنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفهما
لا خصوصية ذاتهما وتعدد احادهما كما في قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل

مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلا
او غيرهم وتعلق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المومنين على الاختلاط
تعلقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم
من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقا المومنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم
لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقا المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد
تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر
بالاعتنا بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملايمة كما يشهد به الذوق السليم
وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق
تجريد الخطاب للمخلصين تشريفاً لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشا اشارة الى كيفية وقوعه
على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط
بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر
والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه الصلاة والسلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال
والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من وخامة الشركة وسوء جوارهم
والتعرض للاجتبا للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب
جليل تقاصرت عنه الهمم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتبا لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة
على ان شانه عليه الصلاة والسلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة
فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الامر في قوله تعالى فامنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم
للايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم
للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهدا بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام والمامور
به الايمان بكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما اخبر به من
احوال المنافقين دخولاً اولياً وهو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويجوز ان يكون المعنى لا يترككم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله
قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً
بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا بطريق الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما
استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدلال [illegible] الرسل عليهم السلام [illegible] مزيد مزيتهم وفضل [illegible]
على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا
بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفا واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على كون سوقه
لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابداً كما
تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل يفرز منهم المنافقين ولذلك فعله يوم احد حيث خلى الكفرة وشانهم
فابرزوا لهم صورة الغلبة فظهر من في قلوبهم مرض من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد وقالوا [illegible]
ان كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تومنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا [illegible]
حقيقته او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله شروع في بيان حال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب
بيان حال الاملا وايراد ما يبخلون به بعنوان ايتا الله تعالى اياهم من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان
ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول

والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق هو خيرا لهم من انفاقه وقيل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول له انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات والارض فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضا الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لا يفوتنا ابدا تدوينه لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزا بالقران العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبيا ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترا على قتل الانبيا لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبيا رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البنا للفاعل وسيكتب على البنا للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذاقوا المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ يقول بالياء ويقال على البنا للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبيا والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة

لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفا ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي في كون تعذيب هؤلا الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعي ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار كما كان عليه امر انبيا بني اسرائيل حيث كان يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السما فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سوا ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون برسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا بهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحي اليه ما يحزنه صلى الله عليه وسلم من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اي التورية والانجيل والزبور وفي عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جا الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواضع وقرئ وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم تصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويؤتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للمطلوب مما يهون الخطوب واصل الابتلا الاختبار اي

بطلب الجزم بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقته ممن لا
وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا عن تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين
او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف تقديره والله لتبلون
اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق
معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد
في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الافات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه
في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتائكم القران وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار
بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا
الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم
الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الخ وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن
وتخطئة من امن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتلقوها
بحسن التحمل وتتقوا اي تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوي عندكم وصول
المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما
وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه
من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين واما لان المراد من الخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية
احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد
لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله
تعالى لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم
او فاز فعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم
فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ايراد الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا
يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف مسوق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته عليه
الصلاة والسلام وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين
الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه
الصلاة والسلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات
للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اي واذكر وقت
اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة
في تقبيح حالهم لتبيننه للناس حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق
كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته عليه الصلاة
والسلام وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون
سعيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لكونه تاكيدا له وقرئ بالياء حملا على ضمير الغيبة
اشاعا على اضمار مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي

وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب
المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام
وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وروي بالياء كما قبله فنبذوه
الى الميثاق الابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوه وراء ظهورهم ولم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان
جعله نصب العين علم في كمال العناية وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما يحتاج
اليه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية
الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس
انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه
لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت
على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة
واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ونحوها
لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلاة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما
سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء استعارة لاستبدال
متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها
وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن للرغبة في الماخوذ والاعراض عن الاعراض
عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الالات والوسائل من نهاية
الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم
المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة
منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه بذلك الثمن لا
تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي
فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ يفرحون بما اتوا بمعنى
اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا بذلك
واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما
في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان
النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابرهيم عليه السلام
فالموصول عبارة عن المذكورين وعن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه
اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شناعاتهم وهو اصرارهم على ما هم
عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة
التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب
بقوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم
مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف معزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم

في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فإن أكثر المنافقين كانوا
من اليهود ولعل الأولى إجراء الموصول على عمومه شاملاً لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح إعجاباً ويود أن يحمده الناس
بما هو عار عنه من الفضائل منتظماً للمعهودين انتظاماً أولياً وأياً ما كان فهو مفعول أول لتحسبن في قوله تعالى فلا تحسبنهم
تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفازة مصدر
ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما أنها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة
عقابك قد كانوا لنا بالموارد ولا سبيل إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة
كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف
الأصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الموضعين على أن الخطاب شامل للمؤمنين أيضاً وقرئ بياء الغيبة
وفتح الباء فيهما على أن الفعل له عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في
الثاني فقط على أن الفعل للموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة أي لا يحسبن الذين يفرحون
أنفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للأول والفاء زائدة كما مر ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين
معاً اختصاراً لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً علي وتحسب
حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الثاني عليه والفعل الثاني مسند إلى ضمير الموصول وعلى أن الفعل الأول
للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه
والفعل الثاني مسند إلى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه الصلاة والسلام و
مفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان
آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من
المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم وأما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال
وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب أليم بعدما أشير إلى عدم نجاتهم من مطلق العذاب
حقق أن لهم فرداً منه لا غاية له في المدة والشدة كما تلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله
أي خاصة ملك السموات والأرض أي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد إيجاداً وإعداماً
إحياء وإماتة تعذيباً وإثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها
وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى
فإن كونه تعالى قادراً على الكل بحيث لا يشذ عن ملكوته شيء من الأشياء يستدعي كون ما سواه كائناً ما كان مقدوراً له
ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة أن يشاركه شيء من الأشياء في القدرة على شيء من الأشياء فضلاً عن
المشاركة في ملك السموات والأرض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الأليم لهم وعدم نجاتهم منه وتقرير وإظهار الاسم
الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية
مع ما فيه من الإشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير إن في خلق السموات والأرض جملة مستأنفة سيقت لتقرير
ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها
أي في إنشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الأمور التي تحار في فهمها أجلاء العقول والأرض على ما
هي عليه ذاتاً وصفة واختلاف الليل والنهار أي في تعاقبهما في وجه الأرض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب
طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب
الأمكنة إما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر
من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وإما في أنفسهما فإن كرية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي

مقابله نهاراً أو في بعضها صباحاً وفي بعضها ظهراً أو عصراً أو غير ذلك والليل قيل إنه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده
وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح أنه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم
جمعوا ليلاة كما في كيكة وكياكي كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال
ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار إما لأنه الأصل فإن غرر الشهور تظهر في الليالي وإما لتقدمه
في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم
إن دخلته اللام لتأخره والتنكير للتفخيم كماً وكيفاً أي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على
تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض
لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لأن المقصود هاهنا بيان استبداده تعالى
بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه
تعالى بالألوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد
فإن ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما أنه من آيات ألوهيته ووحدته لأولي الألباب خبر ثان أي لذوي
العقول المجلوة الخالصة من شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المخلصين من العوائق الظلمانية
المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت الراقين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع
الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود
المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من
حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فإن كل ما ظهر من مظاهر الإبداع وحضر محاضر التكوين
والاختراع سبيل سوي إلى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع
واع ومخبر بسابغ علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم حسب معقولهم
يجاوز تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بألطف إشارة مراعياً في الجواب إبهامهم وتصريحهم وإن من شيء إلا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤون والأسرار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار عن عائشة
رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ائذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت
يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب
الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم جعل
يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال يا رسول الله أتبكي وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل
الله تعالى علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل
لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض الخ الذين يذكرون الله موصول بأولي الألباب مجرور
على أنه نعت له [illegible] أو منصوب أو مرفوع على المدح
لمبتدأ محذوف وقيل مرفوع على الابتداء والخبر القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وما بعده [illegible]
لما لا يخفى وأياً ما كان فالمراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم [illegible]
قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه تعالى وعائد إليه [illegible]
حالاً من الأحوال التي أشير إليها بقوله عز وجل قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ولا في الأوقات [illegible]
[illegible]
اللذات ومن حيث الصفات والأفعال [illegible]

وجماعة رضي الله تعالى عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الاية وتحقيق ما على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها وانما حمل الذكر على الصلاة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله تعالى اثر بيان تذكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجة التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسب ما نطقت به السنة الرسل وايات الكتب فكما ان الايات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها فان من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل شامل للعمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني ويكون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك للتفكر في امر الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا ترى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه وتعالى موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوط بالكتاب والسنة مع تصادق الايات التكوينية وتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى بعض

آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا محكية هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثا عاريا من الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في يتفكرون كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه المرتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على خبر المبتدأ المحذوف لانتفاء ان قولهم ذلك من مبادي هذا القول في مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار معرفة سر العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع المجيد تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة الاسمية للمبالغة في التضرع والجؤار وتاكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة الحال الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر

الى جمع الظالمين اي ما للظالمين من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء اخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصوير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيل واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بانه ينادي بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة والدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مصممين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب في ارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التحلية على التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه الصلاة والسلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل واشارة الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن يرجو الانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تذييل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم ان لا يكونوا من جملة الموعودين لتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فرجعها الى الدعاء بالتثبيت والمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الاية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على

الاستيناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الاية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل ههنا للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي هناك للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف في قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كونه حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاجرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فان الاستجابة المتاخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رضي الله تعالى عنه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاجابة وتشريفا للداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فلا التفات ح وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو سبيل الكل من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب ولا المراد قتل بعضهم وقتال الآخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف الموصولات من الصلات كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان ذلك قد اضيع من اتصف بالبعض وقرئ وقتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تشريح لوعد ما سأله الداعون مخصوصة بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون بما سألوا بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله

فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة
لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او ثوابا كائنا من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة تعالى بالغا الى المرتبة القا
من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا
خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا وهو مبتدا ثان والظرف خبره
والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث
لا يقدر عليه غيره بحال فهي تكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا
مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي
لا يقادر قدره من لطف المسلك عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان
لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون
من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين
او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم والمراد افرادهم او لكل واحد ممن
يصلح للخطاب والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب تنبيها اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا
تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء و
عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة
متاع قليل خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه الصلاة
والسلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وانه لا يجديه جدوه لو احد
ولا اعتداد به لفنائه ثم ماويهم اي مصيرهم الذي ياوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى
وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما
مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن
حال المؤمنين غب بيان ذكر له اثر تقرر مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد بهجتهم ويتكامل
به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد بها الاتقاء
من الشرك والمعاصي والموصول مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر مقدم
لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل
ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما
كما قال ابو الشعر الضبي . وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا . جعلنا القنا والمرهفات له نزلا . وانتصابه على
الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل
رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله خير مبتدا وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير
اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الكفار من المتاع القليل
الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة
تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن
حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل
المراد به النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا
فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر
له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء

بر المؤمنين

على انه ان الفصل الظرفي بينهما كما في قوله تعالى ان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم
من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن
عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر
بتبعية ايمانهم من حيث ثبوته بالقرآن ويتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو
ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء بل من
ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من
صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا
وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر
لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب
لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل بيان لسرعة وصول الاجر
الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب
المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا
اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر
بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو
مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا
الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون
كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل الكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المآب

سورة النساء مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين
والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول
القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم
حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة
والسلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة وقد فصل في موضعه
واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال
واما ادراجهم في خطاب ما عدا الامر مما له دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس
ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة
التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل
الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به

اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة من نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في خلقكم وربكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من موكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حوى من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيدا لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة في ترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها

وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه الله تعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات يريد المجازاة بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها لتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه للاولياء من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة توجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ من اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء الاعطاء بالفعل ويابى كلا الوجهين ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ وليه مامورا بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموال اليتيم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ يبدل الله سيئاتهم حسنات واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه

نعمه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب اذ كان هو الحرام والحلال فالنهي عن
استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قال الفرا والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا
الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق والمقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وايا ما
كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن
العاقل وقيل ان كان هو الردي بالجيد فورود النهي لما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطا الردي من مال
انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج الغالب
لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او بتبدل الطيب بالخبيث فللايذان
بان الاوليا حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مثمنا
كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها
مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون
الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وهو
ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة
لا من افنائها وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اي ان لا تعدلوا وقرئ بفتح التاء وقيل هو من قسط اي جار
ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد
بالخوف العلم كقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه
الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور لا الخوف منه وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه
بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه
بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى اللاتي يلون
نكاحهن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول
الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان
ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النسا وهذا قول الزهري رواية عن
عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا
كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ
فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى
اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها
او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بنا على ان الاناث
من العقلا يجرين مجرى غير العقلا لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرئ ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النسا
بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات
وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك
فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النسا بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة
في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتنا بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني
الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب
واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق
مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحلال اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا يخص
بمن عداهن ففيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص

يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله
تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بنا على ادعا تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل
للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم تكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن
النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع
دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون
على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شا من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض اخر كما في
قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين
تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الاية
الكريمة لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاوليا يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق
الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النسا حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن
فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النسا فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج عن ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من ولاية اليتامى
الاوليا يتحرجون من
فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النسا ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعده
جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها
من قوله تعالى ولا تؤتوا السفها الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل
الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد فواحدة اي
فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت
ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار
فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب
اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سياتي من قوله تعالى فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات
فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوي في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة
وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم
وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلا ذلك اشارة الى اختيار الواحدة او التسري ادنى
ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اذا جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل
للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا
بانتفا محله في الاول وانتفا خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في الحرائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر
ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤونة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل
اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير
رضاهن ولا كذلك الحرائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل واتوا النسا اي اللاتي امر بنكاحهن
صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة
من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات
اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن

ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها
ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا
والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر
وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن
مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير اتوا اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او
من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان
طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في
قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن روبة انه حين قيل له
في قوله . فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق . ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت
السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذاك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل
واتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن
واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
اي كائنا من الصدقات وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي وهبن
لكم شيئا من الصدقات متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء
معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس
وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تمليكا وتخصيص الاكل
بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص
فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الاكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم
الى فم المعدة سمي بذلك لمرور الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على
انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى
انهما صفتان اقيما مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة
روي ان ناسا كانوا ياثمون ان يقبل احدهم من زوجه شيئا مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
رجوع الى بقية بيان الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرائط ايتائها ووقته وكيفيته
اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفس النساء اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بانفسهن بغيرهن من الاجنبيات
من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة
ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها
بالوصف الاتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما
بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي لا يقتل بعضكم حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد
ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما
اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة
حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في نفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس
ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش
وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل

من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف والواحدة الجنسية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء
بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما
بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها
وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح
لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه
واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك بمعزل عن حال النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما
لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا اصلحتم ورشدتم
سلمنا اليكم اموالكم وكلما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا
او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها
على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم
في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة
فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما
يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا
النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان انستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم كما في قول
من قال . خلا ان العتاق من المطايا . احسن به وهن اليه شوس . منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات
من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاهتمام
عند ابيه له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى
كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله . فما زالت القتلى
تمج دماءها . بدجلة حتى ماء دجلة اشكل . وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا
وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه
اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة فاذا
زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه الصلاة والسلام مروهم
بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل
ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان
غنيا فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه عن اكلها وليقنع بما اتاه الله تعالى من
الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على
ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري
يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي
اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب
غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه
وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة وعن مجاهد يستسلف

ناذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز
وجل بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف
ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت
عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد للتهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن
ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى
وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين
المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيبا اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون اريد بحكمهن على الاستقلال دون الدرجة في تضاعيف احكامهم بان يقال
للرجال والنساء الخ مثلا للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت
ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث
من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطه او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا
من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز
تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار والضمير يعود الى المجرور
وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال
ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم
نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا
واجبا وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما ذكرت
مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب لفات تجاذب اطراف الكلام اولوا
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه
بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم
وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا
من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا
الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من
العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر
بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في
الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا
خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد
غيره ما يحب لنفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفا وضعافى فليتقوا الله في ذلك والقا لتر

ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة
للمبدأ والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولوا لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب وللمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة
عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي انما ياكلون في بطونهم
اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما
من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه الصلاة والسلام الم تر ان الله تبارك وتعالى يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة
الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان
يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم وروي انه لما نزلت هذه الاية
ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان
تخالطوهم الاية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ
واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الاباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي
يامركم ويعهد اليكم في اولادكم او لاولاد كل واحد منكم اي في شان ميراثهم وبدئ بهم لانهم اقرب الورثة
الى الميت واكثرهم بقاء بعد الموت للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها
وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا اقرب بما راه الفراء
يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في
قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة
لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته كانه
المناط في تضعيف حظه وايثار اسم الذكر والانثى على ما ذكر من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار
من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا
يورثون الاطفال كما لا يورثون النساء فان كن اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء خلصا ليس معهن
ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه
بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وتقديم الفرض
لطلوع ما سبق فلها النصف وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم
الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ
الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع
اخيها الذي هو اقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى ولان البنتين امس رحما
من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي
الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل
بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى السدس والخبر الذي هو لابويه ونقل الخبرية
منهما السدس والتاكيد بالتفصيل بعد الاجمال وتقرير لتكون السدس وكذلك الثلث والربع

والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفي ان كان له ولد
او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي
الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم
يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر
واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر ولان
استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد
فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث
بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان
له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا
او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس لهم على كل حال الا ان هذا الحجب عنده لا
يتحقق بما دون الثلاث وبالاخوات الخلص وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدأ محذوف
والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت
مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية
الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة والاقرار في الصحة وايثار او المفيدة
للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين ومفردين وتقديم الوصية
على الدين ذكرا مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها
بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف
عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم
نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم
الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لم يوص
بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول
والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر
لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التأكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية
الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر
عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير
الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون
نظرا الى ظاهر الحال بقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه
ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد
وانقضى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا
في شأنهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر
القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع من انه العلاقة النسبية فريضة من الله
نصب نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يأمركم
ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا

اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث
الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان
او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات
وغيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي
لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية سواء
كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم
الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل
المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر
اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون
بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر
ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام
والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث
من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث
لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت
للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد
وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة
والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انه مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير الفعل
والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل يورث
ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير
الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على
مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها
عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل فقط تأكيدا للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان
ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي
التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له
ومساقها لتصوير المسألة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما
جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ
والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر
من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم
شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون
يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة
او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس
فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليهم شيء
فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هو الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من
اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسألة وانما المعتبر

وفائدتها امرين ترغيب الميت في الوصية ونشاط الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية ح

بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب غيره
مما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام تمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف
ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة
المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن
الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن
الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على حكم انحصار الورثة فيهم واما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت
من كان لام خاصة وانتشر ان ذلك في قوة الاجماع على ان مورثهم من ورث لامن اورث فقد بروا اما ثانيا فلانه يقتضي
ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق
على تقدير الاخوة من الجنسين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت بقي حينئذ غير مبين وليس من ضرورة
كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا ترى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع
والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره مشاركا له فيه مع تحقق الكل
في الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين
ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار
عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصي به غير مضار
حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة البناء للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء
اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية بقصد
الاضرار بهم دون القربة بان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة
لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع
صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله
تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله للاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع
وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت بحسب تفاوت الفريضة والوصية وان كان كل منهما واجبة المراعاة
او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح
ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم
بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله
جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية
لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة كما في قوله
يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية
عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك
يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تحسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار
بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم
الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في صورة اليتامى
والمواريث وغير ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم لما ذكر يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى
المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة

من مفعول

من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك
اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو
درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظيم اما باعتبار متعلقه او باعتبار
ذاته فان الفوز العظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال الكلبي
فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم من لم يرض بقسم الله وتعدى ما قال الله وقال الكلبي
يعني من يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر
وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله
وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد
ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصيغة الاجتماع
اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصيغة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع عذاب
الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي
ياتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث
واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة
قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها
وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ياتين اي اللاتي يفعلن
الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية
ما في حيز الصلة للحكم فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن
بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن اي الى ان يستوفي
ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها او يتوفاهن ملائكة الموت
او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا
فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان ياتيانها منكم الزاني والزانية
قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وقيل
حكم الزاني المحصن بما اختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين
المخالطة فاذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والضرب بالنعال وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت
لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر انفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارعها
التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي عملهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما
يمنع استحقاق الذم والعقاب ويجوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما
بالذم الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع الى الحكام وكانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل
الاسلام على ما ذكر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل
الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الاية سابقة على الاية الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة
مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم ويجوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب
والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض
للرجال ولا يخفى انه لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه
في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني تمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية

صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى باباءة الامر باستشهاد الاربعة
غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر
بالاعراض انما التوبة على الله استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه
تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما ينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون
السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي
عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت ولما ما كان تعني كون التوبة عليه
سبحانه مذور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقيق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من لوا
عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى
وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على
الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على
الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله تعالى وقوله للذين متعلق بما تعلق به
الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي
الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي
بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا ترى الى قوله عز وجل
وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع
حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء متلبسين بها اي جاهلين سفهاء او يعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة
لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله
الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان
او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني قوله بجهالة اختيارهم
اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ
عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل
الموت فهو قريب وعن ابرهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس لعنه الله
قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا فارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق
عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية
وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين
من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم باعتبار ذكرهم في حكم البعيد والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ وقوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من
تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول
وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه
تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من
قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان
المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان

قوله

فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف

او محذوف وقع حالا من ضمير المبتدا المستكن فيما تعلق به الخبر منه

حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم
وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الان لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار
والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة
لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان
وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى
اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم
في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين
جميعا فالتسمية للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة
الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ
خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر مرارا من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي
يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على
خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير
الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت
من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن
بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى
يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقية على ان ترثوا
بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته
حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بما لها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على
ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها
فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن من الصداق بان يدفعن اليكم
بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا
وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب مبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما شنيع
الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا له الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من
ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة
ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي لا
يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في
وقت اتيانهن لها او الا لاتيانهن لها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن
بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة
في المبيت والنفقة والاجمال في القول ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون
من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل
فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة
لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره
ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح

دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه واقتصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله
ليفيد ان ترتب الخير الكثير من الله ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسبما تقتضيه
الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى و
يجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل
تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية
والمراد به هاهنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة **وان اردتم استبدال زوج** اي تزوج امراة ترغبون فيها
مكان زوج ترغبون عنها بان تطلقوها **وآتيتم احداهن** اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة
حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها **قنطارا** اي مالا كثيرا **فلا تأخذوا**
منه اي من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** استيناف مسوق لتقرير
النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم
فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج
الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل
ولذلك فسر هاهنا بالظلم وقوله تعالى **وكيف تأخذونه** انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ
فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود
لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ في الوجود قطعا وقوله عز وجل
وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال
او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن
لكم وغير ذلك **وأخذن منكم ميثاقا غليظا** عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو
حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن في قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما**
نكح اباؤكم من النساء شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم
ينظم في سلك المحرمات الاتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنه وجمهور
المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فهو اعم من النواسخ الاباء منتظم للاجداد مجازا فتثبت
حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستدل في اثبات هذه الحرمة بنفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا
فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى
لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم ثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا
التي نكحها اباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر اي
النساء اي المنكوح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثناء من ما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج
التعليق بالمحال على طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • والمعنى لا
تنكحوا حلائل ابائكم الا من مات منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج
الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن
ما قد سلف لا تؤاخذون به لانه مغفور ويأباه قوله تعالى **انه كان فاحشة ومقتا** فانه تعليل للنهي وبيان لكون
المنهي عنه في غاية القبح ممقوتا اشد المقت وانه لم يزل في علم الله تعالى وحكمه موصوفا بذلك ما رخص
فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه **وساء سبيلا**

في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص
بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها
كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب
او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان
السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي
والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة
قبحه العقلي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وما اجتمع فيه
هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم**
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم نكاحهن فقط بل وما يقصد به من التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور
فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقرير من قال به بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو علية ابضاعهن
للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك
اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع
ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح فانه حيث مورد ذلك فات بعوا
محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في
المواد التي يحرم فيها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع المقصود
منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات
وان علون والبنات بنات الابن وان سفلن والاخوات ينتظم الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة
كل انثى ولدها من ولد ذكرك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت
تتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تعالى الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابا للرضيع والمرضعة
اختا ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته
لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه
ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من
النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب
فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى
ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة
موطوءة جده الفاسد **وامهات نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من
جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه
جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا
باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد
وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن
علي وابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان
وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل
بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوآت
بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات

حسبما ذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله تعالى عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا خلافا فيما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات وما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا مع ما ذكر ولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم يستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان وجعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه يتعين في اشكالات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة فمحمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول يستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا تحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا تحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكان جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه معربا عن الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اختها ولا على ابنة اخيها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى

الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام عن عبد الله عن محمد بن الحسن رضي الله عنهم انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى ان الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل من التزوج كما في هذه الآية الكريمة وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي الا اللاتي ملكتموهن واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المراد ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها والاستثناء ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن لسن من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لكم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا ترى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق بعد حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وقد انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله

للدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على راي من يجوز تقديم المنصوب في باب الاغرا كما في قوله ، يا ايها المايح دلوي دونكا ، اني رايت الناس يحمدونكا ، وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما في المبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المذكورة التي احل لكم نكاح ما سواهن افرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكيرها بكل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا ترى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه واستخبر بان الحل يجب ان يتعلق هاهنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل هاهنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول المحذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم والمفعول المحذوف بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهي مبتدا خبرها على كونها شرطية اما فعل الشرط وجوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فاتوهن اجورهن والفا لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعايد الى المبتدا هو الضمير المنصوب في فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب الضمير فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فافرد ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدا محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة او لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اثر قوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون

وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة وما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطيع وقوله تعالى ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شايع ذايع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصولا اليه او كائنا او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة وفي القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفرا وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطيع وطولا مصدر موكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هي الطول او تمييز اي من لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب الشرط او خبر للموصول والفا لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر وقع صفة حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امراة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع حالا صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امراة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكته الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكته ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر وما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حال من العايد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راي اهل الحجاز وقد جوزه ابو حنيفة رحمه الله تعالى متمسكا بالعمومات محملا الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيها لا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم عن رتبة الاستنكاف عنه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز وعلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به تنتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى

او بتاويل نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي من لم يستطع منكم
مح

بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك
وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما
كما في الخطاب الذي يعقبه فروعي فيما سبق جانب اللفظ وهاهنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب
والتانيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واما ما كان فاعادة الامر
بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر
لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما
قبله اي واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي
دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوا
اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللزوم حسبما يقتضيه الشرع والعادة
ومن ضرورة ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل
اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن
اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف
على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب اي لا مسرات به والاخدان الاصدقاء على الفاحشة
والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون
لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن
اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا
فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه
خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن باحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في
فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان
لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه
غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله
ولا ضرر اكثر من مواقعة الاثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول
هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين
كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق
قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب و
لان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد في السفر والحضر
وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة
ولاجة وذلك كله ذلة ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر
على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية
للمؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما
سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله
ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق
والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال
والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا

مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول
للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك
لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وقال الله تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم
وفي اخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام
هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي
قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به وعزي
هذا الراي الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتم به وكلفتموه من الشرائع فان المكلف
قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم ويرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة
او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم
بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام
حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال منفعة
ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير
ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين
يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بينه وبين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى
الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع
من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من
الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع
ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع
الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وبالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات
ميلا عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر
من الرخص في نكاح الاماء وغيره والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان
ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا
يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله تعالى ان المراد ضعف الخلقة ويساعده المقام فان
الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل
في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر
عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى
علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ
خلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثماني ايات في
سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات
المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان الاحكام المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه
لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والنهب والقمار وعقود الربا

وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
استثنا منقطع عن متعلقه بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله
اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال التجارة وقرئ تجارة
بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي في نوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه
وتخصيصها بالذكر من بين ساير اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد
بالتراضي مراضاة المتبايعين عما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي
رحمه الله تعالى حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من المومنين فانهم
كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله تعالى لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر
عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او ولا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه
فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا
بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يودي الى القتل من الجنايات وقيل بالقايها في التهلكة ويؤيده
ما روي عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا
بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها
وتحصيل كمالاتها واستيفا فضايلها وتقديم النهي عن التعرض لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل
للنهي بطريق الاستيناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان ذلك رحمة عظيمة
بالزجر لكم عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة
محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف
الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او وما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز في الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي
على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي متعديا
وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد
من صلى وبفتح النون من صلاه ومنه شاة مصلية ويصليه والضمير له تعالى او لذلك من حيث انه سبب
للصلي نارا اي نارا مخصوصة هايلة شديدة العذاب وكان ذلك اي صليه النار على الله يسيرا لتحقق
الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض
التذييلي ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه اي كباير الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ
كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سياتكم صغايركم ونمحها عنكم قال المعتبرون الصلاة
الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغاير اذا اجتنبت الكباير واختلف في
الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشرع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل
مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان
عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رجلا قال له
الكباير سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا

فاكبر

فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير حديث النفس وما بينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منهما
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب
وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة
وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم
فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف •
اي لم تدع ولم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه
للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس
عقبه بالنهي عما يودي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن
التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى
بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة
عن تدبير لايق مترتب على الاحاطة بجلايل شئونهم ودقايقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى
حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا
لو كان بخلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتي من الامر بالسوال فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب
الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا وقد قيل لما جعل تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النسا نحن احوج
ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفا وهم اقويا واقدر على طلب المعاش فنزلت وهذا هو الانسب
بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني في
نصيبي الرجال والنسا ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنه بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب
معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على
تشبيه اقتضا حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا للاستحقاق وكل منهما النصيب وتقوية لاختصاصه به بحيث لا
يتعداه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسالوا الله من فضله عطف على النهي
وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم
من نصيبه المكتسب له واسالوا الله تعالى من خزاين نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسالوا
تعالى ما يليق بحكمه او لكونه معلوما من السياق اي واسالوه مثله وقيل
من زايدة والتقدير واسالوه فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنى احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم
اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله
فانه يحب ان يسال وان افضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي والاكتساب على
حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه
على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على
عمله فللرجال اجر بما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنسا اجر بما يليق بهن من الاعمال
كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النسا خصوصية اجر الرجال وليسالن من خزاين رحمته تعالى ما يليق
بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضايل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما
ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفايضة
عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة
مبتداة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل
بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة

في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل
قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته
بالعامل فيما اضيف اليه اعني غيرا او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وارث نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدا وخبر على طريقة
قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وارثا
منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عايد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون
استيناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت
الايهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج
الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عاقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان
الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله
اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد
الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه
ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما تضمنه هو مبتدا متضمن لمعنى الشرط ولذلك
صدر الخبر اعني قوله تعالى فاتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف
على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فاتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله
كان على كل شيء من الاشيا التي من جملتها الاعطا والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النسا
كلام مستانف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا
وايراد الجملة الاسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي
شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم
على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين
تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضمير للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم
الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل
وحسن التدبير ورزانة العقل ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعاير والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء
متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عايدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية
متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العايد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم وبسبب ما انفقوه
من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي
الله عنه نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراده الله خير فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق
الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج
والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت
عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلى الاية لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف
في حكم ما لها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم الاية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى
اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظ الله لهن

عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي
بالامر الذي حفظ الله حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب
عند حصول امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك
ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية
عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم
من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت
ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم
عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك
ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعدما كان من الزواجر هو الطاعة
ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المودي الى المخاصمة
والمرافعة الى الحكام والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب
غير شق الاخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث
الحكمين لانه لرجا ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل
كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي
الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما
اهل الدار
آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب
ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما يليان الجمع والتفريق او لا فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي
رضي الله تعالى عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الاصلاح فيه
ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق
الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى في قلوبهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح
لما ذكر من الايذان بان ذلك مما لا ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يتوقع صدوره عنهما هو ارادة
الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان
الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين
للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح
ما بينهما من الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا كلام مبتدا مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة
بحقوق الازواج وصدر بما يتعلق بحقوق الله تعالى التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة حقوق الوالدين بنظمها
في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك صنما او غيره او على انه مصدر

اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى
اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار
وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة و
فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس وغير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه
وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب
من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل
من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون
ويصنعون ما يحقون به كل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم
التي بينها لهم في التورية وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه
الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان
يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم
او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان
وانما حذف للايذان بظهوره واستغنا به عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على ذلك العمل
وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن
بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله وانما
لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق
لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم اي واي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق
في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب
الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا
ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه
ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر
من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم
وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم
لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل

كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشي
في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب
منابه اي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام
المبالغة فان كان في التقليل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه ادخل يده في التراب
ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر او
لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع
على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما
كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن
عثمان انه قال لابي هريرة بلغني انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطي بالحسنة
الف الف حسنة قال ابو هريرة بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية
الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعد
في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راي سيبويه او على التشبيه
بالظرف كما هو راي الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا
جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال
وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول
الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول
عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع عقائدهم وقيل الى المكذبين
المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
استئناف لبيان حالهم التي اشير اليها اجمالا ونظائرها بقوله تعالى فكيف فالذين كفروا به هم المكذبون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء وللذم بما في حيز الصلة والاشعار
بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم الكفرة فهم داخلون
في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا واما كان
هول الامر وتفظيع الحال لا باعتبار ما قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد
بعصيانهم المغايرة لكفرهم فيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير
كفروا وقد مضمرة وقيل صلة لموصول اخر اي يود في ذلك اليوم الذي يجمع بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا و
عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض مفعول يود على ان لو مصدرية وقيل
يودون لو تسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وقيل
على بابها والمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا
بغاية فظاعة ما دهمهم اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه
لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض ولا يكتمون الله حديثا ولا
يكذبون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية على ان اصله تتسوى

فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الإشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي إليه من حيث لا يحتسبون فإنه روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقوموا إليها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولونه على ما في الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم فيها بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن إيثار ما تقولون على ما تقرؤون حيث يكونها ربما عن الدواعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأيا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا لحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله لأن الصلاة كانت على المؤمنين كالمأمور كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا في أوقات الصلاة وروي أنهم كانوا بعدما نزلت الآية لا يشربون الخمر في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من أصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر إلا عابري سبيل استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه معنى النهي أي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين على معنى أن في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفع على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فإن الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة بل يشير إلى مخالفة ما بعده لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن ملاك الأمر في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على أن إلا بمعنى غير أي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء أو الطريق فيه وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيذان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويقا إلى البيان وروما لزيادة تقرره في الأذهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها وإن كنتم مرضى شروع في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المبني على الضرورة التي يدور عليها أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنبا إلا مضطرين وإليه يرجع ما قيل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع عن استعمال الماء مطلقا سواء كان بتعذر الوصول إليه أو بتعذر استعماله أو على سفر عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإيراده صريحا مع سبقه بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فإن الاستثناء كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض للإيذان بأصالته واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال

ونحوه أو جاء أحد منكم من الغائط هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه من أعين الناس وإسناد المجيء منه إلى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيى منه أو يستهجن التصريح به وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل أو لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار أنفسهما بل باعتبار قيد مما استفيد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء فقيل هو السبب في الحقيقة وإنما ذكر تمهيدا له وتنبيها على أنه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة السفر والمرض أيضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره أما لأن الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمهما حكم الحدث الأصغر بدلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك أو كنتم مرضى الخ وأما ما قيل من أن عموم إعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعماله القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل وأن قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل فلا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وأيديكم أي إلى المرفقين لما روي أنه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه إلى المرفقين ولأنه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره إن الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فإن الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه إليه ههنا مع توجيهه فيما بعد إلى الكل معا للإيذان بكمال شهرة شناعة حالهم وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أي ألم تنظر إليهم فإنهم بحيث يشاهدهم ويتعجب من أحوالهم ويجوز كونها قلبية على أن إلى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه رضي الله عنه أنها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتب المنتظم لها انتظاما أوليا تطويل للمسافة وبالذي أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والإشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة إما بأوتوا أو بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة هو حال مقدرة من واو أوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الإيتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول أي ألم تنظر إليهم حال اشترائهم

الخ وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشترا المذكور وما عطف عليه والذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على
وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون
الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لاسيما بعد الاشعار
المذكور والتعبير عن ذلك بالاشترا الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا
ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض
واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية
ركاكة ارائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد
بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحمل على معنى الاشترا الذي عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم
وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي العربي
المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة
ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على
الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا
يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا ايها
المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم
بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومال امرهم والجملة معترضة
لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به
واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره ولا تبالوا بهم وبما يسومونكم به من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم
وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير
الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لاسيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض
وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتها لا محالة
من الذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من
اعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق واستلزام ما هو المقصود في المقام استلزاما او
كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه
من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء الا ان ما في حيز الصلة يبين نوع
ملايم للنصر وقيل هو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا قوم
او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق الساتر بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشتراكهم في الحقيقة
فالذي يليق بشان التنزيل الجليل انه بيان للموصول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد
الاعتنا ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم
على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور
وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما
لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة ككلم وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية
مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد
به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثنا
المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله

تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستعرف على ان فان اريد به الاول كما هو راي
الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم
اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه ادم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى
الذي انزل الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتاويلات الزائغة الملايمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني
فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين
العقل والدين كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا واطعنا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان
او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم
ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على
مثل هذه الجناية والا فحمله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص
حكم الشرطية الاتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التورية مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا
انكشف لك السر الموعود فتامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه
وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي يقولون ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله
عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى واسمع حال كونك غير مسمع بصمم او موت اي
مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به ومظهرين له عليه
السلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع
اي ويقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يوردون بكلام العظائم الثلاث في مواقعها
وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا او انظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق
او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه
عليه الصلاة والسلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك
النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه
بالكفر والعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا لا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل
كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به
ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه
من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون
باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين
ولو انهم عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال بدل قولهم
سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان
عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم
ان عصيانهم للامر سماعه والوقوف عليه فلا بد من الغائه واقامة سماع القبول مقامه واسمع
لو قالوه عند مخاطبته النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي لو قالوا ذلك
بدل قولهم راعنا وهم يريدون سواء كلامهم شره وفساده اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوه من الاقوال
لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوه واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار
اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل واياما كان في الفاعل
حالة بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لانهم مقصورون على ما يسمعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي

لم يفعلوا ذلك واصروا على كفرهم لعنهم الله تعالى وابعدهم من الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون الا
قليلا بعد ذلك قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زمانا قليلا وهو زمان
الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس
بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهو في المعنى تعليق بالمحال والاستشهاد بان الكل يا باه ما يعقبه من الامر
بالايمان بالقران الناطق بهذا لاقتضائه ح الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعد ايمانهم المستمر اما على الوجه
الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم
ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل
المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله وخذله مع ما فيه من نسبة القلا
الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا لانه تعالى لم يلعنهم
فلم يسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سياتي يا ايها
الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات
ووصفهم تارة بايتا الكتاب اي التورية واخرى بايتا نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود
فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالتهم ما اوتوه معا بلهما بالتحريف وليس ما ازالوه بعد ذلك كلها حتى يوصفوا
بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما هنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير
عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا
ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا
لكلها وان كان مناط التصديق هو بعضها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما الى اليهود
والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا
عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة
فقيل امنوا بما نزلنا من القران عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل
مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية
لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المودي الى العلم بكون القران
مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة
الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما ترائي من مخالفته لها في جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق
بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق
المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الا
عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة
ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه
نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعا لهم الى الايمان
واصل الطمس محو الاثار وازالة الاعلام اي من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل اثارها قال ابن عباس رضي
الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل
نجعل منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة

فهم يحدثون شيئا من الايمان خ م

مثلها فالفا للتسبيب او نكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفا والاقفا الى موضعها وقد اكتفي بذكر اشدهما
فالفا للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجها على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال الوجها
فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد
بذلك اجلا بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التشديد للجميع فالوجه ما سبق من كون
وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الاخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي
ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الاية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله
فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه قرا هذه الاية على كعب
الاحبار فقال كعب يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد له
من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوايلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله
وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها
واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد ما مضى من السنين
من اعقابهم التابعين بامثالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل
ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد امن من احبارهم المذكوران واضرابهما ولم يقع وفيه ان اسلام
بعضهم ان لم يكن سببا لتاكيد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا
وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد
الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني
كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة واشتهار ان المتبادر من اللعن
المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة
المسخ منه ضرورة انه تفسير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد ومحذورا
عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بعد هذا الوعيد وانما الواقع عليهم ما ذاق
الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد
وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الاخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين وكلاهما على سبيل التو
واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فبني على الاحتياط اللايق بشانهما والحق ان النظم
الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما ذكر
من الخبرين لكن لما لم يقع وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه
العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم
الخبير وكان امر الله اي ما امر به كاينا ما كان او امره بايقاع شي من الاشيا مفعولا نافذا كاينا لا محالة فيدخل
فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام
مستانف سيق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة
بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم
لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار
ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم

بل يكفي ان يدر واحد فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاستحالة جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا
تغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي
الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون
ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه
في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا منه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل لمن يشاء ان يغفر له ممن يتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن يتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت
المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر و
علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب تعد عن سبيل الصواب كيف لا
وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز
مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود
من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يتقادر قدره
ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا ألم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية
لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا
باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه الصلاة والسلام لا قالوا والله ما نحن
الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم
انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء
من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها
من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم
متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت
تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في
ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل
التقدير يثاب المزكون ولا ينقصون من ثوابهم شيئا اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله
الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه
يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها
والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن
لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه
فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكون
هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه
لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح
بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء
عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما
والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر وجعل الضمير
لزعمهم مما لا يساعده النظم لاخلاله بتهويل امر الافتراء ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال

اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من اتيان النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت
والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم
فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدلت السين
تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل على ما يطغى الانسان وروي ان حيي بن
اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة النبي صلى الله عليه
وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد فلا
نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للطاغوت
واطاعوا ابليس فقال ابو سفيان لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال
ماذا يقول محمد قال يأمرنا بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج
ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين
كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم
بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله عز وجل تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم
المتصفين باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد
منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة
مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا ينفع
عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة
لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتأتى له الخطاب وتوجيه النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان
المنبي عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب
من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم
انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وتحتم والهمزة لانكار ان
يكون لهم ما يدعونه وابطال لما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب ما لهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك
[illegible]
وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك [illegible]
ويجوز ان يكون الهمزة لانكار الوقوع [illegible]
[illegible] ام يحسدون الناس
[illegible]
[illegible] واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
[illegible]
فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم [illegible]

على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للإنكار
والاستقباح وإلزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود
لما أوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار
كمال العناية بالأمر والمعنى أن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فإنا قد آتينا من قبل هذا آل إبراهيم الذين هم أسلاف
محمد عليه الصلاة والسلام وأبناء عمه الكتاب والحكمة أي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره
فكيف يستبعدون نبوته عليه الصلاة والسلام على إيتائها وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الإشعار بما بين
النبوة والملك من المغايرة فإن أريد به الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام خاصة والضمير
المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام لما أن الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وإن أريد به ما يعمه وغيره من الإيتاء بالواسطة
وهو اللائق بالمقام والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس فالمراد بآل إبراهيم كلهم فإن تشريف البعض بما ذكر
من إيتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من أنواره وفي تفصيل ما أوتوه وتكرير الفعل
ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم
الكريم وإليه جنح جمهور أئمة التفسير لكن الظاهر حينئذ أن يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية
لما صدر عن أسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير أن يكون له دخل في الإلزام الذي سيق له الكلام أي فمن جنس هؤلاء
الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوتي آل إبراهيم ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضمير لما ذكر من حديث آل إبراهيم فمستدع
تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيغة الماضي يأباه
بعد وقوع الإيمان وإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على
ما قبلها ولا يبعد كل البعد أن يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا
له بدلالته على إعراضهم عما أوتي آل إبراهيم وإن لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل أيحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فإنا قد آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم أي من جنسهم
من آمن بما آتيناهم ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها إن الذين كفروا بآياتنا إن أريد بهم الذين
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات إما القرآن أو ما يعم كله وبعضه أو ما يعم سائر معجزاته أيضا
وإن أريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي أوتيها الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها
السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد أي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم أي احترقت
وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه أمنا لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم
حسنات أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وإن كان عينه مادة
بأن يزال عنه الاحتراق وإن كان غيره مادة بأن يزال عنه الاحتراق ليعود إحساسه للعذاب والجملة في محل النصب
على أنها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد أي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله
تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب
للنفس العاصية لا لآلة إدراكها قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس روي
أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ
ابن جبل عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه قال ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق
ليس لبيان قلته بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان
بدوام الملابسة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد
الحواس تأثرا أو على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك العذاب وذوقه
بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم
زوال الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق
إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما
قبلها من الإصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان
الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال
المؤمنين تكميلا لمساءة الأولين ومسرة الآخرين أي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين
فيها أبدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها أزواج مطهرة أي مما في نساء الدنيا من
الأحوال المستقذرة البدنية والأدناس الطبيعية في محل النصب على أنه حال من جنات أو حال ثانية من الضمير المنصوب
أو على أنه صفة لجنات بعد صفة أو في محل الرفع على أنه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا أي فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد
كما في ليل أليل ويوم أيوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سندخلهم لا على أنه غير الإدخال الأول بالذات بل بالعنوان
كما في قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة
وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما أن
الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية
وإن ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه
فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي رضي
الله عنه أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا و
الأمانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو أمر للولاة بأداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها إلى مستحقيها
كما أن قوله تعالى وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير إلى أصحابها
وحيث كان المأمور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به أولا فإنه لما لم يتعلق بوقت دون وقت
أطلق إطلاقا فقوله تعالى أن تحكموا عطف على أن تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند
الكوفيين وللمقدر يدل هو عليه عند البصريين لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها عندهم أي وأن تحكموا إذا حكمتم
وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا أو بمحذوف وقع حالا من فاعله أي متلبسين بالعدل والإنصاف إن الله نعما يعظكم
به أو منصوبة موصوفة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيء يعظكم به أو نعم

الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من
اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف
بالمخاطبين وحسن استدعائهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا بما يقولون
بصيرا بما يفعلون وفيه وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس
بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين
واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام في وجوب الطاعة لهم
وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله
تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق
الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها
لطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم
في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة
دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده
الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب
وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في
محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه
اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فان الايمان بالله تعالى يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان
باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تاويلا اي
عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما ان تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في
نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن
كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما امر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله
ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وما انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ
والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعويهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون
فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق
فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه
فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فهبط جبريل عليه السلام
وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سمي به
لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل
اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة
اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل

بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي
بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه
مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب
بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم
ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من
قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون
بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله
تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقباح
كالوصف السابق وقوله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم
التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد
للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله
المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله
تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم
الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية
وكما قالوا في آية اصلها آيية كعافية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل
مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الهمداني * ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا * تعالي اقاسمك الهموم
تعالي رأيت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة
الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول
ثان لها والاول انسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي
اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال
صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه اي منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم
المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم
بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض
عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما
دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل
جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى
فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله تعالى عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره
الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم
جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق
والكيد وقل لهم في انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم
ليس معهم غيرهم سارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنهه المراد مطابقا لما سيق له

من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في مكنونات الشرك والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا من اشخاصهم نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله** كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** عرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك **جاؤك** من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة **فاستغفروا الله** بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل **واستغفر لهم الرسول** على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول **لوجدوا الله توابا رحيما** لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا اخرى من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك ومزيد تحسير لاولئك المنافقين على ما صنعوا لظهور تباشير التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارهما بجمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما **فلا وربك** اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظايره **حتى يحكموك** اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه الصلاة والسلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان يجعلوه عليه الصلاة والسلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق **فيما شجر بينهم** اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا** عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا **في انفسهم حرجا** ضيقا **مما قضيت** اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره **ويسلموا تسليما** اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا في حياة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله يعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ونزلت في شان هؤلاء **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم** اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا **ما فعلوه** اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او مصدري الفعلين **الا قليل منهم** اي الا اناس قليل وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا لها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء اي الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد **لكان** اي فعلهم ذلك **خيرا لهم** عاجلا واجلا **واشد تثبيتا** على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم **واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب سؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم فان اذا جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما** يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول** كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما تنتهي اليه همم الامم وارفع ما تمتد اليه اعناق عزائمهم من مجالس من هو اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فاولئك** اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره **مع الذين انعم الله عليهم** والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه **من النبيين** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله اذا صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وموتك فعرفت انك ترفع مع النبيين واني اذا دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان انسانا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب **والصديقين** اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق **والشهداء** الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته **والصالحين** الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة **وحسن اولئك رفيقا** الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة

في المعاشرة قولا وفعلا فإن جعل أولئك إشارة إلى النبيين ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاءهم وإفراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد أو لأنه أريد حسن كل واحد منهم رفيقا وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على أنهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الأول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك إشارة إما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية وموافقة هؤلاء المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبر أي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره أو الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الإشارة أي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا أن أعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالأثر والإثر والشبه والشبه أي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم أي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها أي اخرجوا إلى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الأصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التأنيث وهل هي واو أو ياء فيه قولان قيل إنها مشتقة من ثبا يثبو كخلا يخلو أي اجتمع وقيل من تثبيت على الرجل إذا أثنيت عليه كأنك جمعت محاسنه وتجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحال أي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وإن منكم لمن ليبطئن أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيرهم ويثبطه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد والأول أنسب بما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال أي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه قد أنعم الله علي أي بالقعود إذ لم أكن معهم شهيدا أي حاضرا في المعركة فيصيبني ما أصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن أصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق بأصابكم أو بمحذوف وقع صفة لفضل أي فضل كائن من الله تعالى ونسبة إصابة الفضل إلى جناب الله تعالى دون إصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما أن مضمونها لمقصدهم أوفق وأثر نفاقهم فيها أظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه أن تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس إثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن متشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وهي داخلة في المقول أي ليقولن المثبط لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه إلقاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتأكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمها

الرفيق من النبيين ومن بعدهم مع

ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فأنا أفوز في ذلك الوقت أو على أنه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة أي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر أي إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب أي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا أجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه بإحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلا وتقديم القتل للإيذان بتقدمه في استتباع الأجر روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة وما لكم خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للإنكار والنفي أي أي شيء لكم غير مقاتلين أي لا عذر لكم في ترك القتال والمستضعفين عطف على اسم الله أي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو أو على السبيل بحذف المضاف أي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من أيدي الكفرة أعظمها وأخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وحال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين أو لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وإنما ذكر الولدان تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان إرغاما لآبائهم وأمهاتهم وإيذانا بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع إلى الله تعالى كل ذلك في الحث على المبالغة على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والإماء إذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الإناث فأطلق الولدان على الولائد أيضا الذين محله الجر على أنه صفة للمستضعفين أو لما في حيز البيان أو النصب على الاختصاص يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل والمفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة إلى إبراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز أن يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما أي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على أعدائنا وقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم أي تولاهم ونصرهم أي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة أي كن أنت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم إلى الله عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت أي فيما يوصلهم إلى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا

أولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على أن ذلك نتيجة لقتالهم
في سبيل الشيطان والإشعار بأن المؤمنين أولياء الله تعالى لما أن قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين
في القتال وتقوية عزائمهم عليه فإن ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما أن ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف
كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فقاتلوا يا أولياء الله تعالى أولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل إن كيد الشيطان
كان ضعيفا أي في حد ذاته فكيف بالقياس إلى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى إيذانا بظهورها
قالوا فائدة إدخال كان في أمثال هذه المواضع للتأكيد ببيان أنه منذ كان كان كذلك فالمعنى أن كيد الشيطان منذ كان
كان موصوفا بالضعف ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من إحجامهم
عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين حراصا عليه بحيث كانوا يباشرونه كما ينبئ عنه الأمر بكف الأيدي
فإن ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها إلى العدو بحيث كانوا يسطون بهم قال الكلبي إن جماعة من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي
وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم أجمعين كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذى شديدا فيشكون ذلك إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم وأقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فإني لم أومر بقتالهم وتوجيه التعجيب إلى القول المعبر عنه بالفعل المبني للمفعول مع أن القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للإيذان
بكون ذلك بأمر الله سبحانه ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب إنما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث
احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حيز الصلة الأمر بكف الأيدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق
ببيان خصوصية الآمر غرض وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين
ورغبة عنه بل نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما
كتب عليهم القتال الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ هو المحقق للتباين بين
المعطوفين وعليه يدور التعجيب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم القتال كرهه بعضهم
وقوله تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون
خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعتهم إلى الخشية أثر ذي أثير من غير تلعثم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا
الكفار أن يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي
أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب
على أنه حال من فاعل يخشون مشبهين لأهل الله تعالى وقوله تعالى أو أشد خشية عطف عليه بمعنى أو أشد خشية
من أهل خشية الله تعالى أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده أي يخشونهم
خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأيا ما كان فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية الله
وخشية بعضهم أشد منها وإما للإبهام على السامع كما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون
وقالوا عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذرا عن الموت
وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا قل أي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود
من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل
سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل والآخرة أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال
خير أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل لمن اتقى حثا لهم
على اتقاء العصيان والإخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون

بعضهم كخشية ح

والإنكار لإيجابه بل على طريقة التمني للتخفيف لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة ح

فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في
شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى الظاهر من أينما
تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى المخاطبين اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه
الصلاة والسلام فلا محل له من الإعراب أو في محل النصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر
والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعما منكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم
أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها أو على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما تكونوا في ملاحم الحروب
ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة أو قصور محصنة وقال السدي وقتادة
بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها مجازا كما
في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما
قبله عليه أي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في
بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود
المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وإن الوصلية من التأكيد كما
مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وإن تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على إسناد ما يكره
إلى بعض الأمور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا ما زلنا
نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك أي وإن تصبهم نعمة ورخاء نسبوها إلى الله عز وجل وإن تصبهم بلية من جدب وغلاء أضافوها
إليك كما حكي عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم
بأن يرد زعمهم الفاسد ويرشدهم إلى الحق ويلقمهم الحجر ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذ لا يجترئون على
معارضة أمر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله أي كل واحدة من النعمة والبلية من جهته تعالى خلقا وإيجادا
من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا
ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على
أسلافهم من قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله أي إنما سبب خيرهم وشرهم أو سبب إصابة السيئة التي هي
ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم الخ كلام
معترض بين المبين والبيان مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى
الاستقرار أي وحيث كان الأمر كذلك فأي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثا أو استئناف
مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا
يكادون حديثا من الأحاديث أصلا فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في
معناه وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه
تعالى بطريق التفضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم
في صحف موسى وإبرهيم الذي وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولم يسندوا إصابة السيئة إلى غيرهم وقوله

ما أصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المأمور به وإجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان
من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى كل أحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد
مقالتهم الباطلة والإيذان بأن مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بأن يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب
إلى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال
سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أي ما أصابك من نعمة من النعم فمن الله أي فهي منه تعالى بالذات تفضلا
وإحسانا من غير استحقاق لها من قبلك كيف لا وإن كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجو كونها ذريعة إلى
إصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لأدائها ولا نعمة إقداره تعالى إياه على أدائها فضلا عن
استيجابها لنعمة أخرى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما أحد يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله
قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وما أصابك من سيئة أي بلية من البلايا فمن نفسك أي فهي منها
بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله
تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها حتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله عليه الصلاة والسلام بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير
ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب
لا سيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة وأرسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله
تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلاة والسلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس
للاستغراق والجار إما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص بالنظر إلى قيد العموم أي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم
فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس وإما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز أن يكون مصدرا
مؤكدا كما في قوله • لقد كذب الواشون ما فهت عندهم • بسر ولا أرسلتهم برسول • أي بإرسال بمعنى رسالة
وكفى بالله شهيدا أي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات
لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد أطاع الله بيان لأحكام رسالته
صلى الله عليه وسلم إثر بيان تحققها وثبوتها وإنما كان كذلك لأن الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى
وإنما هو عليه الصلاة والسلام مبلغ لأمره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي أنه عليه الصلاة
والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون ما يقول هذا الرجل
لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت
والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالرسول دون الخطاب للإيذان بأن مناط كون طاعته عليه الصلاة والسلام
طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه الصلاة والسلام بل من حيثية رسالته وإظهار الجلالة لتربية المهابة
وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الألوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه الصلاة والسلام انتظاما
أوليا يأباه تخصيص الخطاب به في قوله تعالى ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف
والمذكور تعليل له أي ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه إنما أرسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم
أعمالهم وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار
معنى من كما أن الإفراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم
بعد ما بين وجوب طاعته أي يقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة أي أمرنا وشأننا طاعة والأصل النصب على المصدر
والرفع للدلالة على الثبات كسلام فإذا برزوا من عندك أي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم أي من القائلين
المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول أي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان

الطاعة لأنهم مصرون على الرد والعصيان وإنما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق أو خلاف ما قلت لها والتبييت
إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره
ويسويه وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بإدغام التاء في الطاء لقرب المخرج وإسناده إلى طائفة
منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات والباقون أتباع لهم في ذلك لا لأن الباقين ثابتون على الطاعة والله
يكتب ما يبيتون أي يثبته في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليك
فيجدون بذلك إلى الإضرار بكم سبيلا أو يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه وأيا ما كان فالجملة اعتراضية
فأعرض عنهم أي لا تبال بهم وبما صنعوا أو تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها
لما بعدها وتوكل على الله أي في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم وإظهار الجلالة في مقام الإضمار
للإشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والإظهار ههنا أيضا للتنبيه على استقلال
الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه أفلا يتدبرون القرآن إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن
وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته
ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر أي أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرون فيه ليعلموا كونه
من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم
المحكي على ما هو عليه ولو كان أي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بأن يكون
بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان
كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عند الله تعالى قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الإخبار
بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وقال
أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من الكيد وكان الله تعالى يطلع الرسول
عليه الصلاة والسلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فيقال لهم إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرد
الصدق ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة
النظم الكريم وأما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند
علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح إليه الجمهور فمما لا يساعده السياق والسباق ومن ادعى التعرض وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على أن
اختلاف ما سبق من الأحكام ليس للتناقض في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد تباعد عن الحق بمراحل وإذا
جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به يقال أذاع السر وأذاع به أي أشاعه وأفشاه وقيل معنى أذاعوا به
فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف
بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك أن ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بما أوحي إليه
من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه
عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمور تفوت بالإذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون
منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه أي ذلك الأمر الذي جاءهم إلى الرسول أي عرضوه على رأيه
عليه الصلاة والسلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد
والمراجعة إلى رأيه صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الأمور رضي الله عنهم
لعلمه أي لعلم الرادون معناه وتدبروه وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم
للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه أي لعلمه أولئك الراد

الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واولي
الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فلما فعلوا في حقهم ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشباه وتوهم
الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من
منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف او
خلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر
لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها
وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء
او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه
اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذي يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه
وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المومنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما
يذاع او لا يذاع لعلم صحته هولاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من اولي الامر اي يتلقونه منهم
ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم صريح في بيان جناية تلك الطائفة وهو تدبيرهم اثر بيان جناية
المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** للطائفة المذكورة على طريق
الالتفات اي لولا فضله عليكم ورحمته بارشادكم الى الطريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول
صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم باراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا
الى سنن الصواب **الا قليلا** وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء
منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على
الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه من
متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وامثالهم فالخطاب للكل
والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي لولا حصول النصرة والظفر على التتابع
لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم
الماضية من افاضل المومنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة اثار
حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا ما قليلا **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر
كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الاخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير
مكترث بما فعلوا وقوله تعالى **لا تكلف الا نفسك** اي الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص
تكليفه عليه الصلاة والسلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوه
من التثبط لا يضره عليه الصلاة والسلام ولا يواخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا
نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل هو على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك
لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك **وحرض المومنين** عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال
الطاغين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في
الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية
ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف باس الذين كفروا** عدة منه سبحانه وتعالى بمحققة الانجاز بكف شدة
الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته تعالى وقد كان كذلك حيث روي ان رسول

وتحريض للمومنين

صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان يوم حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا
الناس الى الخروج وكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى
الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه
بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران **والله اشد باسا**
اي من قريش **واشد تنكيلا** اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يودي اليها والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد
وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة **يكن له نصيب منها** اي من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه
الصلاة والسلام فيما امر به من تحريض المومنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص
الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع لان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق المسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن
غرضا من الاعراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمومنين بتحريضه عليه الصلاة والسلام على الجهاد
من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط ويندرج فيه الدعاء للمسلم
فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الاتية روي انه عليه الصلاة والسلام قال من دعا لاخيه
المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود **ومن يشفع
شفاعة سيئة** وهي ما كانت بخلاف الحسنة **يكن له كفل منها** اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير
ان ينقص منه شي **وكان الله على كل شي مقيتا** اي مقتدرا من اقات على الشي اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا عليه
واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم
بتحية** ترغيب في فرد شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة
السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه قال عليه الصلاة والسلام تحية الاسلام من المسلم
شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيي اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث
يا آت فحذفت الاخيرة وعوض عنها هاء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحا قال الراغب
اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا تقول حياك الله
ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام وقوله تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن
الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى
فالبداءة بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المومنين **فحيوا باحسن منها** اي بتحية احسن
منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي
النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اي
اجيبوه بمثلها روي ان رجلا قال لاحدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال عليه السلام وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال
عليه الصلاة والسلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة
وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من احد يرد على قوم مسلمين
فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة
القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة الفقه والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد

والشطرنج والمغني والقاعد لحاجة ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيرهم ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية
والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على
الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم
اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدؤوا اليهودي بالسلام
وان بداك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون
المسلم مسلما وردها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها
ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم
الى يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر
ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا
لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان
لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه وتعالى دون غيره فما لكم مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب
لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم في المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم
فيهم اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى
الافتراق اي ما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين في المنافقين لانه في
الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين
عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل في لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين
وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شبهة في اخلالهم
في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق
باعتبار وصفهم السابق وروي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم
قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى البلد وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وياباه ما سياتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل
هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سياتي من الايات
الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يتعلق في امرهم
اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي
بعد بيان الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب
اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق
بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم
وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا
مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم
على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضل الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم
وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد
الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون
ابلغ للمبالغة في الانكار ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم

بما ياباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له
سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن
يضلل الله فما له من هاد ونظايره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بضلاله يحل عقد الشرط والجزاء وتوجيه
الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل
تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فيما يجوز ان
يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق لبيان
غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية
غنية عن الجواب ومع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على
انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راي سيبويه وقوله تعالى
فتكونون مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا
كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة
جمع المخاطبين فان المراد ان لا يتخذوا من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم
فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه
الصلاة والسلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى
قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة
قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار
مثل ما لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاءوكم عطف على الصلة او الذين جاءوكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثناء من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربة ولحق
بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتي من قوله تعالى
فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاءوكم بغير
عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل
ان قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاءوا اي جاءوكم
حصرة صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي من ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم الخ ولو شاء
الله لسلطهم عليكم جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل
ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بمن عاهدونا كالطائفة الاولى
اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك
ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان
اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى والقوا
اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر
والقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية

عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونون سواء صح

في سعة أقليهم لعدم تعرضهم لكم **ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم** هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المؤمنين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر **كلما ردوا إلى الفتنة** أي دعوا إلى الكفر وقتال المسلمين **أركسوا فيها** قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو وشرير **فإن لم يعتزلوكم** بالكف عن التعرض لكم بوجه ما **ويلقوا إليكم السلم** أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم **ويكفوا أيديهم** أي لم يكفوها عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم** أي تمكنتم منهم **وأولئكم** الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في أخذهم وقتلهم **وما كان لمؤمن** أي وما صح له ولا لاق بحاله **أن يقتل مؤمنا** بغير حق فإن الإيمان زاجر عن ذلك **إلا خطأ** فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه إما على أنه حال أي ما كان له أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ أو على أنه مفعول له أي ما كان له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ أو على أنه صفة للمصدر أي إلا قتلا خطأ وقيل إلا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصد به محظور كرمي المسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفا من أهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد إليه فأتياه وهو في أطم ففتل أبو جهل منه في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا تحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة** أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة أي إعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس **مؤمنة** محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة **ودية مسلمة إلى أهله** مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها **إلا أن يصدقوا** أي يتصدق أهله عليه سمي العفو عنها صدقة وقرئ إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو إلا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القاتل فإن كان المقتول **من قوم عدو لكم** كفار محاربين **وهو مؤمن** ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات **فتحرير رقبة مؤمنة** أي فعلى قاتله الكفارة دون الدية إذ لا وراثة بينه وبين أهله لأنهم محاربون **وإن كان** أي المقتول المؤمن **من قوم** كفرة **بينكم وبينهم ميثاق** أي عهد مؤقت أو مؤبد **فدية** أي فعلى قاتله دية **مسلمة إلى أهله** من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق **وتحرير رقبة مؤمنة** كما هو حكم سائر المسلمين ولعل إفراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي والمعاهد فلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما **فمن لم يجد** أي رقبة لتحريرها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها من الثمن **فصيام** أي فعليه صيام

شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من أيامهما إفطار **توبة** نصب على أنه مفعول له أي شرع لكم ذلك توبة أي قبولا لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد بفعل محذوف أي تاب عليكم توبة وقيل على أنه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أي كائنة منه تعالى **وكان الله عليما** بجميع الأشياء التي من جملتها حاله **حكيما** في كل ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** لما بين حكم القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا أن حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الأخروي روي أن مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل عليه الصلاة والسلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكن نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال أتقبل دية أخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فتكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الإبل وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا وهو يقول

قتلت به فهرا وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع
وأدركت ثأري واضطجعت موسدا ... وكنت إلى الأوثان أول [راجع]

فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ومتعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي بسكون التاء كأنه فر من توالي الحركات **فجزاؤه** الذي يستحقه بجنايته **جهنم** وقوله تعالى **خالدا فيها** حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وأيا ما كان فإنه أنسب بما يعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو للعطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر أن كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر جزاها أو جزاه بطريق الإخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى **وغضب الله عليه** فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب الله عليه أي انتقم منه **ولعنه** أي أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره أي فجزاؤه جهنم وأن غضب الله عليه الخ **وأعد له** في جهنم **عذابا عظيما** لا يقادر قدره ولما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإرعاد والإبراق وقد تأيدت بما روي من الأخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه الصلاة والسلام لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وقال عليه الصلاة والسلام من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها لا لما قيل من أنها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس من أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس أن رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة فقال

لا وسالة لم القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذاك كذا وهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد
فقلت ما قلت كي لا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة
ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وابو صالح قالوا وقد يقول الانسان
لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي
والاصل في ذلك ان الله تعالى يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد وبهذا وردت السنة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس انه عليه الصلاة والسلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن
اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا امر وراءه على تفريع ما خرج فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه
تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا
بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه
وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور
اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم في الغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا
بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير روية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله تعالى ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين
وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام ولمن القى اليكم
مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه
بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية
الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمة الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر
والتنبيه على كمال الخطأ ثم ببيان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف و
هي مقرونة بها وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك
التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي
لا تقولوا ذلك والحال انكم تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل
للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم
عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور
ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة
بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت الخ وتقديم
خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير
ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم
ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر
البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ
الظاهر للباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وتستدعيه فخامة شانه الجليل ومن حسب ان المعنى
اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه الى ان صرتم اعلاما
فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا

في تحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر
حتى يظهر عندهم وجوب تحصين
دمه وماله ايضا بحكم المشاركة
فيما يوجبه وحيث
لم يفعل الا
م

فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم
من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم تقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم وتخطيئا
لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم
حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل
قرر ما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول
فحصنت دماءكم واموالكم حتى يأتي البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على
وانه كيف لا وانما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس
حكما اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا تأثير له دخل في وجوب
اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل
الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم ان تفعلوا
الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغكم
هذه الرتبة العالية منه فلا تستحقروا حاله نظرا الى حالكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالكم
السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستحقار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فانه لا اية الخ
نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله
اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما
معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه الصلاة والسلام
هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرأ الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي
فقال كيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال عليه الصلاة والسلام يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا
يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كان طلبنا القوم وقد هزمهم الله فقصد
رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا
فقال عليه الصلاة والسلام افلا شققت عن قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية خبيرا
فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف
وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين
بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه
عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم
الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافق التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى
من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم
اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون
لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر
على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن
الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين

والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون وايرادهم بهذا العنوان دون الخروج
المقابل للوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما لتقييد المجاهدين بكونها في سبيل الله باموالهم
وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود
وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة
مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته
ملكة لصلة المفضول وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف
سيق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على
سؤال نشأ من السياق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل
الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء اسوة لا اثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات
انما هو بيان تفاضل الفريقين واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين
للعهد فيقبل كون الجهاد في سبيل الله معتبرا في الاول كما ان قيد الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية
لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على
الحال من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما بعده قدم عليه لافادة
القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة
لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به
تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين
على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لما عن ذكر القيود التي ذكرت على سبيل
التدرج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله
للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل
مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات
كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجة عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال
السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها
الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية
كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض
الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون
ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما
باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة
وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه
حسن النظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي
تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين

درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا
وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل الخ
در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله
تعالى عاجلا من الغنيمة في الدنيا والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به
في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة
بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه
اعلم هذا ما بين المجاهدين وغير اولي الضرر واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة
وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم
الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما منعهم من المسير من ضرر او غيره وفي عبارة
اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة
قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا وهذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر ذكرت في
قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء
والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى فان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون
المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين
توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا
ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية
والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت على معنى ان الله تعالى يوفي
الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه
وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما
في قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وثاني عطفه
كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها
نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة للمتوفين تقريعا لهم
بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي
شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب
فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في
الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر منهم
الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم وذلك
وردا عليهم وان سبب العجز عنها لا ينحصر في هذا اذ الهجرة قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر
وعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم
ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس
بن الوليد بن المغيرة وامثالهما فقتلوا بها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم
تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت
ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة

فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأويهم اي في الآخرة جهنم كما ان مأويهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأويهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابرهيم ابيه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون فظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة والايذان بانها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه لكونه وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمرض وفيه تأكيد لعزيمة المهاجرة وترغيب فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي سفر كان ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلاة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش

واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلاة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلاة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى واحد وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله ومما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن ابن عمر خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان عن اتمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه اجمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان الطواف بينهما واجب عندنا وركن عند الشافعي رحمه الله وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على شرعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كالعفو عن القصاص ولا يخالفه ما تقرر في الاصول من ان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عند عدمه [illegible] القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب [illegible] الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار [illegible] القصر فكما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف [illegible]

في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله
فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل
عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على ايقاع
الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام
من كون فتنتهم متوقعة فان كمال العداوة من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما
قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء بهذه فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها الى البيان لما فيها من كثرة التغيير من
الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده ولا يخفى ان الائمة بعده
نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص اراد ان يصلي بطبرستان صلاة الخوف فقال من شهد منكم صلاة
الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك
بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن
ابن سمرة بابل فصلى بهم صلاة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم
معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره
وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان
بالاعتناء باستصحابها كانهم ياخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من
ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة
تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لانها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية بكل من الطائفتين
وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف
صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة
العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار
لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة
لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما
يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن
غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا
منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب
لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها
اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم
العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون
من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع
الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث

ابن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو قائم على رأسه عليه السلام وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه
ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع
غورث الى اصحابه فقص عليهم القصة فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الايهام
بان الله ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلاة صلاة الخوف اي اديتموها على الوجه
المبين وفرغتم عنها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته
ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا
الصلاة اي الصلاة التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال
الثلاثة الصلاة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند الرماء
وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج
وهو رأي الشافعي رضي الله عنه وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي
فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حال الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل
مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا
اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحرب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم
بل هو مشترك بينهم وبينكم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من
الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا
تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة
ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
اليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل
مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فقد
لجأ اليكم فتركوه واخرجوه من مكة فلحق بتجار من نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه
بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذوه فالقوه في البحر لتحكم بين الناس
بما اراك الله اي بما عرفك الله واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه

قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه
النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا
رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله
تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع
ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرائته من قومه فانهم شركاء له في الاثم
والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي
هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغة في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون
من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وتعالى وهو
احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما
يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون اي يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب
وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت
ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم
بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع
اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة اشد المخاصمة
والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة اي فمن يخاصم عنهم يومئذ
عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا
قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون
الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه
كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب
لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره
ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا
للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب
وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسند
وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ
بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته
العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريمته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما
يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا
وهو صفة لاثما قد اكتفي في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على
ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه او عبر
عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما
خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى
من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا
وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة
ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم ولا لمجرد
اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم مع تبرئته واجراء عقوبتها عليه

نسخة كذلك التي في النظم لا الاحتمال له
محل قصد تحميل جنايته على
محل البريء
ع

كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر
وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء تزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف
للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة
والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون
الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك
على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فردهم عليه الصلاة والسلام ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق
مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفي اثره مبالغة وقيل المراد هو الهم المؤثر
ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة
الخ وما يضلون الا انفسهم لانعكاس وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله
تعالى وما يضرونك من شيء والجملة اعتراض عطف عليه وقيل محل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي
وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال
القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع
بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين
او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل
اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر
بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما
كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل
ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف
وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة
والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع ومن اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم
او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله فقال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا
وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى
الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله
تعالى الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير
اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف
والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة
شأنها وترتب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان
خيرية الامر لدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما انه لا بد من حسن الامر وقبحه من حسن المأمور به وقبحه
فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تعريض للآمر بها على فعلها او اشارة
الى الآمر بها كأنه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع
الامر للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحرى ابتغاء مرضات الله علة
للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف
نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول
المتعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم

الا في ذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لمن تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء تقدم تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتأكيد الشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها من الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه ان يدعون اي ما يدعون من دونه عز وجل الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتأنيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد انثا على انه جمع انيث كغليظ وغلظ وجمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة الشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة اللفظ عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعته تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية

على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها من باب الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وقوله تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر ثان والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل باماينكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا لو احسنوا الظن به تعالى لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اي كائنا من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف له ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود

اخلص عمله لله تعالى وقيل فوض امره له تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك
او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد
والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا
والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه
تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية **وهو محسن** اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال
الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم **واتبع ملة ابراهيم** الموافقة
لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها **حنيفا** مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم
واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله والاظهار عليه
السلام والتنصيص على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس
وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه
السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته من اهم ما يمتد اليه
اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس
من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابراهيم
عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم عليه السلام بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا
سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحواري
فاختبزت واطعمت الناس وفي رواية فاطعمت الناس فانتبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم
فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله تعالى خليلا **ولله ما في السموات
وما في الارض** جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع
ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج عن ملكوته شيء فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل
لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان
مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان ان الخلة لا
تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئة الله تعالى اي له تعالى
ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى وكان الله **بكل شيء محيطا** تذييل مقرر لمضمون ما قبله
من الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم
مما يقرر ذلك اكمل تقرير **ويستفتونك في النساء** اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في
حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف و
احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين هنالك وذلك قوله تعالى **قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب** باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما يتلى من الكتاب
فيما سبق باعتبار تبين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه وعطفه اما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل
بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق
بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره
على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة

ووضع الاظهار موضع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام ح

يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس ح

فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى ح متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون
مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في
الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى
قوله تعالى **في يتامى النساء** على الوجه الاول وهو الظاهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخيرين
بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء **اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن** اي ما فرض لهن من الميراث وغيره **وترغبون** عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل
حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا
اريد بما كتب لهن صداقهن **ان تنكحوهن** اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل ما لهن او في ان تنكحوهن
بغير اكمال الصداق وذلك لما روي عن عائشة رضي الله عنها من ان اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق
او عن ان تنكحوهن وذلك لما روي عنها ان اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها
وفي رواية عنها هو الرجل تكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان
ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه
الاول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحو
من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى النساء وما يتلى في
حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون
الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
صلى الله عليه وسلم بذلك امرت **وان تقوموا لليتامى بالقسط** بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم
قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر
هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا فالوجه نصبه عطفا
على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للولاة او للاولياء
وما تفعلوا في حقوق المذكورين **من خير** او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه
ما يتعلق بهم اندراجا اوليا **فان الله كان به عليما** فيجازيكم بحسبه **وان امرأة خافت** شروع في بيان
ما لم يتبين مما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة من بعلها **نشوزا** اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومؤانستها لما يقتضي بعض الدواعي والاسباب
فلا جناح عليهما ان يصالحا اي في ان يصالحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت
زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبت يومها لعائشة او
بان تهب له شيئا تستميله به وقرئ يصالحا من يصالح بمعنى يصطلحا ويصالحا من المفاعلة صلحا
اما منصوب بالفعل المذكور على انه مصدر منه بحذف الزوائد وتقدير بعينه باسم المصدر كما
قيل اصلاحا او يصالحا او اصلاحا حسبما في الفعل ويجعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا
وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع ان الذي يأخذ هو المرأة
للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ **والصلح خير** اي من الفرقة او من سوء
العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا

صلحا اي في ان يصالحا بينهما ح

قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبدا فلا المرأة تسمح
بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فالرغبة في تحقيق الصلح وتقريره بحمل كل واحد
منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر إلى حال صاحبه
فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية غير استمالته مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالته
وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح
وإن تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على
ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن فإن الله كان بما تعملون أي من الإحسان
والتقوى أو بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة أن
يضيع أجر المحسنين وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى
المنبئ عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب
في حسن المعاملة ما لا يخفى وروي أنها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن أبي الربيع تزوجها وهي
شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت
إليه ذلك وقيل نزلت في ابن السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها
فقالت لا تطلقني ودعني على أولادي فاقسم لي من كل شهرين إن أردت وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان يصح
ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين
النساء أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشؤون البتة ولذا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك (تؤاخذني)
ولا أملك وفي رواية وأنت أعلم بما لا أملك يعني بفرط محبته لعائشة ولو حرصتم أي على إقامة العدل وبالغتم
في ذلك فلا تميلوا كل الميل أي فلا تجوروا على المرغوب عنها واعدلوا ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل
إنما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها أي التي ملتم عنها كالمعلقة
التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة
وأحد شقيه مائل وإن تصلحوا ما كنتم تفسدون من أمورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فإن الله كان غفورا
يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وإن يتفرقا وقرئ يتفارقا أي وإن يفارق كل منهما
صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما أي يجعله مستغنيا عن صاحبه ويكفه
مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا
متقنا في أفعاله وأحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض أي من الموجودات كائنا ما كان من
الخلائق وأرزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم أي أمرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم واللام في الكتاب للجنس ومن
متعلقة بوصينا أو بأوتوا وإياكم عطف على الموصول أن اتقوا الله أي وصينا كلا منكم ومنهم بأن اتقوا الله
على أن أن مصدرية حذف عنها الجار ويجوز أن تكون مفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله تعالى وإن تكفروا
فإن لله ما في السموات وما في الأرض حينئذ من تتمة القول المحكي أي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وإن تكفروا
إلى آخر الآية وعلى تقدير كون أن مصدرية مبنى الكلام إرادة القول أي أمرناهم وإياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم
إن تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها هذه الأمة وأياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون
قوله تعالى فإن لله الآية بل هو علمهم بالأمر كأنه قيل فإن تكفروا فاعلموا أن لله ما في السموات وما في الأرض
من الخلائق قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين

فحقه أن يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا أي عن الخلق
وعباداتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم
وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الأرض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين
توطئة لما بعده من الشرطية داخل تحت القول المحكي أي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم
كيفما يشاء إيجادا وإعداما إحياء وإماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد أن يتوكل عليه لا على أحد
سواه إن يشأ يذهبكم أيها الناس أي يفنكم ويستأصلكم بالموت ويأت بآخرين أي ويوجد دفعة مكانكم
قوما آخرين من البشر أو خلقا آخرين مكان الإنس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أي إن يشأ إفناءكم وإيجاد
آخرين يذهبكم الخ يعني أن إبقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غنائه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته
المبنية على الحكم البالغة بإفنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك أي على إفنائكم
بالمرة وإيجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة فيه لا سيما في توسط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد
التهويل ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أي إن يشأ يمتكم ويأت
بأناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ويروى أنها
لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أي فعنده تعالى ثوابهما له إن أراده
فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب أشرفهما فإن من جاهد
خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أي فعند الله ثواب الدارين فيعطي
كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات
والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المتعلقة بإرادتهم اندراجا أوليا يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد
شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم أي ولو كانت الشهادة
على أنفسكم بأن تقروا عليها على أن الشهادة عبارة عن الإخبار بحق الغير سواء كان عليه أو على ثالث ولا أن الشهادة
مستتبعة لضرر لكن من جهة المشهود عليه أو الوالدين والأقربين أي ولو كانت على الوالدين والأقارب إن
يكن المشهود عليه غنيا يبتغى في الشهادة رضاه ويتقى سخطه أو فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ إن يكن غني
أو فقير على أن كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله أولى بهما عليه أي فلا تمتنعوا عن إقامتها عليهما
لرضا الغني أو ترحما على الفقير فإن الله تعالى أولى بجنسي الغني والفقير بالنظر لهما ولولا أن الشهادة
عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ فالله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي مخافة أن تعدلوا عن الحق
فإن اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه أن يخاف ويحذر أو كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن
تعدلوا عن الحق وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل وقرئ وإن تلوا من الولاية والتصدي
وإن تلووا من الولاية والتصدي أي وإن وليتم إقامة الشهادة أو تعرضوا عن إقامتها رأسا فإن الله
كان بما تعملون خبيرا أي من لي الألسنة والإعراض بالكلية أو من جميع الأعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا
فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الأخيرة متضمن للوعيد يا أيها
الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا أو
آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على أن إيمان بعضهم إجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية
لقوله تعالى وكتبه ورسله والإيمان بالإيمان بالكل

إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن مدار الإيمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب
ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها يعتبر بالإضافة إليها بل على أن
الإيمان بالكل مندرج تحت الإيمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود ما نسخها
وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ
والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني أهل الكتاب لما أن
عبد الله بن سلام وابن أخته سلاما وابن أخيه سلمة وأسدا وأسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين
أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل
كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فأمرهم بالكتاب المنزل للتوراة مع أنهم مؤمنون بها من قبيل لا
يكون المراد بالإيمان بها ما يعم إنشاءه والثبات عليه ولا لأن الأمر حقيقة هو الإيمان بما عداها كأنه قيل آمنوا بالكل ولا
تخصوه بالبعض بل لأن المأمور به إنما هو الإيمان بها في ضمن الإيمان بالقرآن على الوجه الذي أشير إليه آنفا لا إيمانهم
السابق ولأن فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من
عند الله تعالى وقيل خطاب لأهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وأمر كل طائفة بالإيمان في ضمن الأمر
بالإيمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط **ومن يكفر بالله وملائ
كته ورسله واليوم الآخر** أي بشيء من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه
وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أن الكفر بأحدهما لا يتحقق معه الإيمان أصلا وجمع الكتب والرسل
لما أن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم
الملائكة والكتب على الرسل لأنهم وسائط بين الله تعالى وبين الرسل في إنزال الكتب **إن الذين آمنوا** قال
قتادة هم اليهود آمنوا بموسى **ثم كفروا** بعبادتهم العجل **ثم آمنوا** عند عوده إليهم **ثم كفروا** بعيسى والإنجيل
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد وأصروا على الكفر وازدادوا
تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** لما أنه يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على
الإيمان فإن قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الإيمان عندهم أهون شيء وأدونه لا أنهم لو أخلصوا الإيمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف أي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما** يدل
على أن المذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر
موضع أنذر تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى
أريد بهم الذين أو هم الذين وقيل إنه نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل
يتخذون أي يتخذون الكفرة أنصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم
أمر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود **أيبتغون عندهم العزة** إنكار لرأيهم وإبطال له وبيان لخيبة
رجائهم وقطع لأطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها أي أيطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة
قال الواحدي أصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى **فإن العزة لله
جميعا** تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فإن انحصار جميع أفراد العزة
في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كأنه قيل إن
يبتغوا عندهم عزة فإن العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ **وقد نزل عليكم**
خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ نزل

مبنيا للمفعول من التنزيل ومن الإنزال ونزل أيضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون أيضا مفيدة لكمال قباحة
حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم
عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على أبلغ وجه وآكده إثر بيان انتفاء
ما يدعوهم إليه بالجملة المعترضة كأنه قيل تتخذونهم أولياء والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب
أي القرآن الكريم **أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره** وذلك قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن
مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وأن هي المخففة من أن وضمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله ويستهزأ بها
عطف عليه داخل في حكم الحالية وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها وتهويل أمر
الكفرة أي نزل عليكم في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على أن المنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم وإن خوطب به خاصة منزل على الأمة وأن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم في
الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية وأخرى بالسماع وأن المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن
مجالستهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها
ويستهزأ بها **إنكم إذا مثلهم** جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل وإذن ملغاة
عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم في
الكفر واستتباع العذاب وإفراد المثل لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ شاذا مثلهم
بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل
حالهم وقوله تعالى **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** تعليل لكونهم مثلهم في الكفر
ببيان ما يستلزمه من شركتهم في العذاب والمراد بالمنافقين والكافرين في جهنم جميعا إما المخاطبون وقد
وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق وإما الجنس وهم داخلون تحته
دخولا أوليا وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا على ما قبله **الذين
يتربصون بكم** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو إما بدل
من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين فقط إذ هم المتربصون دون الكافرين أو مرفوع أو منصوب على الذم أي
ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من ظفر أو إخفاق والفاء في قوله تعالى **فإن كان لكم فتح من الله** لترتيب مضمونه
على ما قبلها فإن حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما أن نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه
قالوا أي لكم **ألم نكن معكم** أي مظاهرين لكم فأسهموا لنا في الغنيمة **وإن كان للكافرين نصيب** من
الحرب فإنها سجال **قالوا** أي للكفرة **ألم نستحوذ عليكم** أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانوا في قتالكم وتوانينا
في مظاهرتكم وإلا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما كان للكافرين
نصيبا لتعظيم شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين ونصب نمنعكم بإضمار أن **فالله يحكم بينكم يوم القيامة** حكما
يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد أجرى على من تفوه بكلمة الإسلام حكمه ولم يضع
السيف على من تكلم بها نفاقا **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق
الابتلاء والاستدراج أو في الدنيا على أن المراد بالسبيل الحجة **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**
كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح أعمالهم أي يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان
نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومين الدماء والأموال

واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة يعطون على الصراط نورا
كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراءون
الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه
استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل
يراءون الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا وهو ذكرهم عطف على يراءون اي لا يذكرونه
سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة
الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراءون او منصوب على الذم وذلك اشارة الى
الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب
ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال المذبذبين قلوبهم او دينهم او رايهم او هو بمعنى
متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال الغير
المعجمة فكان المعنى احدهم تارة في دابة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى
المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين ولا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير
مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد
له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان يهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال
المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي
اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا
مبينا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في
انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى ام تريدون
ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم وقوله عليه الصلاة والسلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه
من باب التشديد والتهديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة
متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتحها وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم
نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم
في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين
المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية
من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما
انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه
وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه وتعالى بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا
او يستدفع به ضرا كما هو شان الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا

وقيل

او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا مرائي من الناس وذلك قليل ع

ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر
يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله تعالى هو الرضى باليسير من طاعة
عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل
ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء
متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من
ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه
وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن
الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيه
كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر
لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع
ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان
وانما ذكرا ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبب كما ينبئ عنه قوله تعالى فان الله كان عفوا قديرا
فان مراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال
قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا به
سنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عصى
قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم
لانهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا
بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بالتوراة وموسى وعزير
ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم
بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك
اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا
حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا
كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا
لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا
بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا
بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة
البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم
وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء

جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل
او كتابا الينا باعياننا انك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر من ذلك وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا
موسى عليه السلام اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت من اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون
وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا
ارنا الله جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت
من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي
كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات
التي اظهرها لفرعون من العصى واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا
عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به كانه قيل اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا
حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة
عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على انهم امتنعوا عن قبول شريعة
التورية فرفع الله عليهم الطور بميثاقهم فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع
الله عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا قال قتادة كنا نحدث انه
باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم
لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعدّوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله
تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه
ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذه الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا
بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة
تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن
والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه
السلام فمسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله فبما وما عطف عليه فيكون التحريم
معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم عليها السلام بهتانا متأخر عن التحريم ولا مساغ
لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى
وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء
بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد
يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او هو تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية العلوم فنحن مستغنون
بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطا وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو
كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد
مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر
بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام وهو

معطوف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف
عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم
حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليه الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره
حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم هذا
في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي عليه السلام والاستهزاء
به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل
عليه الذكر الخ ولاساءتهم عن ذكرهم له عليه السلام بالوصف القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من
جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله
واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم وافتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه
حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله
تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم
يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه
السلام فرفع عيسى والقي شبهه على المنافق فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس
اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عليه السلام فاخذ وقيل
وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله الى
السماء وخاف رؤساء اليهود لما هموا بقتله من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه
ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام
لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او لضمير المقتول للدلالة انا قتلنا على ان ثمة
مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض
اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال
قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق
على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد
الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموه بقولهم
انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه وما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم
في الجملة وقد نفي عنهم ذلك بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله
عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام
اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية
صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله قبل ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت
التكليف ويعضده انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس انه فسر كذلك

فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه فقال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت
او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوي ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج انه
ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع
منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا احضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى
نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيؤمن انه عبد الله
ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية
فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على
المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى
وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام
ينزل من السماء اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك
الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب
الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع
الى الله تعالى وقيل الى محمد عليه الصلاة والسلام ويوم القيمة يكون اي عيسى عليه السلام عليهم اي على اهل
الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا اي
تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي
اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم
لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات
التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون
لسنا باول من حرمت عليه الطيبات وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم
الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه
عليه السلام لما كلفهم الى اخراج التورية لم يجترئ احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا
وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال
الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي المصرين على الكفر لا لمن تاب وامن
من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الاخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم
منهم استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا اي لكن
الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد بهم عبد الله بن
سلام واصحابه والمؤمنون منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف
المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى (في الهامش: من المؤمنين)
والمقيمين الصلاة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلاة على ان الجملة معترضة بين المبتدا
والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام او الملائكة قال مكي اي ويؤمنون
بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلاة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على

الكاف في اولئك والى المقيمين الصلاة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم
ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير
الذاتي كذا الحال فيما سبق من المعطوف فان قوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا
وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الاخر فان المراد بالكل مؤمنو اهل الكتاب قد وصفوا اولا
بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم
فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع
والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية
ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم
من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الاخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والتنكير لتاكيد
الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الاخرون
بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما
جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبر المبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين
وقرئ سيؤتيهم مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الاخر انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبيا
الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على
انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن
بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله على لسانه الشرائع والاحكام واول من
عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا
الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم
اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك
النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
وتصريحا بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة
بنوع مخصوص من الوحي واتينا داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام
وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وقرئ بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة
عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما اتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى
داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في امر لازم لهما
لزوما كليا وهو الارسال وهو قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه
في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي قصصناهم
كما قالوا وفرعوا عليه قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه
الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا
اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه

وقيل كلاهما منصوبان بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما
بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبيا
عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك
وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده
وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الار
سال فما للكفرة يسالونك شيئا لم يعطه احد من هولاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن
نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور
فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء يكون اعتباره في ضمن قوله تعالى
انا اوحينا اليك ثم تعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقديره فيه
في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب
وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما
باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة للكلام والجملة اما معطوفة على قوله
تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ
عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي الذي خص به موسى من
بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبيا عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التورية عليه عليه السلام
جملة قادحا في صحة نبوة من انزل اليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها
ان بني اسرائيل كانوا في شدة العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا
بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا
الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة
يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة
البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون
لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول
عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل
الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها
وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله تعالى وهو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز
ان يتعلق كل واحد منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه
وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع
صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب
في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال
الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام

انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى براهم على انحاء شتى
واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشانهم وتقتضيه احوالهم المتخالفة
واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل
وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فمن التنزيل الكتاب جملة
اقتراح فاسد اذ ح تتظافر التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج من عهدتها واما التنزيل المنجم
الوارد حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بما انزل اليك بتخفيف النون
ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانهم لما تعنتوا عليه بما
سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون لكن الله يشهد
على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وما موصولة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوتك
وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه
الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده
لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين
حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة
يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون
بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك او بكل ما يجب الايمان به ومن جملته ذلك دخولا اوليا ولو
لم يشهد غيره

حيث نصب له معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزل الله سبحانه وتعالى وشهد به صح

بهم حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في
كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم
جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما
ذكر آنفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم
عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية
المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم
واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل
وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيه ما دل
عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية
رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحا
لة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى لرسوله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل
واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام في امر الوحي والارسال كغيره
من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام واكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملائكة
امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد
منبها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله تعالى قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده صلى الله عليه
وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القران الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية
او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق وهي ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق
اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى

للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى الكمال اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله
تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب
على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر
او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر
محذوف اما او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط المقدر كما هو رأي الكسائي وابي عبيدة
اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض
من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما
مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا
لا يخرج عن ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو
غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون
اليه وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا
حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص
له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في شان عيسى عليه السلام
وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميه بانه ولد لغير رشده فقد نعي عليهم ذلك فيما
سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة
والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت
على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة
لبطلان ما وصفوه به عليه السلام من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستأنفة
مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها
وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة ولا نطفة القاها الى مريم
اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك
قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن
فيما دل عليه وكلمته من المعنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ فيه
جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن لابتداء الغاية
مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات
يوم فقال ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فتلا الواقدي وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى عما
يقولون علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة
بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ
بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا
وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف
بالروح وتقديم كونه عليه السلام في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول
الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين ما يؤول اليه ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية
ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية

ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم
روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ
واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه
تسبيحا من ذلك فانما انما يتصور ويمكن مماثلة شيء وتطرق الفناء اليه والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون
اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل
التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته شيء من الاشياء التي من
جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم
وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم
ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت
الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى
مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على
ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه
اقواله او لا يرى انه قال لما قال له الناس قولك اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب
لما قاله الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت و
السر في جعل المستنكف عنه عليه السلام عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله تعالى ونحو ذلك
مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة
مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته
تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها
بها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف
على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله تعالى وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم
لم يحتج الى التقدير واحتج بالملائكة من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ساقه لرد
النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم
استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام
عن مقام العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم
بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى بالمغيبات وبالرفع عدم استنكاف
من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من الغيب
ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة
الثواب على الطاعات وبان الاية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا
وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار
التكبير والتفصيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان سلم ارادة التفصيل فغايته الامر
الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن هو اعلى منهم رتبة من الملائكة على
المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وما النشاجر الا فيه

حتى يكونهم

ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف
عنه هنا عبادته تعالى لان ما سيق لتعلق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى
مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك
منهم كان بطريق كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا استنكاف عن طاعة الله تعالى اذ لا امر له عليه السلام سوى امره
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يونف عنه واصله طلب الكبر
لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عده نفسه كبيرا واعتقاده
كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك
بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل
الله تعالى مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن
ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم
لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم
استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل
عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحاشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل
عند قوله تعالى فاما الذين امنوا بالله مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب
الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم
وغيرهم وقيل المعنى فيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر
الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال وقدم على حال ما يقابله ابانة
لفضله ومسارعة الى بيان كون حشرهم ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف
عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم
من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم
واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم
ولا نصيرا ينصرهم من الله تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان
بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة
شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر
قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب
والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير
اليه مما اثبتته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تظهرها وقيل هو الدين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق
بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين
ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه اليهم لتربيتهم
وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى

بالنور المبين تعبيرا عن النور المعنوي بالامور المذكورة واشعارا بهدايته الخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية واما عن غير
ملاحظة المخاطبين تارة بالمجيء المسند الى البرهان كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير
ان يجيء به احد وتبين عليه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له
كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير
كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين الحق والامر هو
تعالى الكريم فمعطوف بانزاله الى الناس بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم بواسطته
عليه الصلاة والسلام واما القرآن فحاله بالواسطة وبالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار
وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة فاما الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا
به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس
رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن
افاضة الفضل بالادخال على طريق قوله علفتها تبنا وماء باردا او تبوئ رحمة وفضل يختص به ومنه متعلق
بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله تعالى وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا
مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة
على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصود
قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك
اي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها
في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما روي انه اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه انه قال عادني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة وقوله تعالى ان امرؤ هلك استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله
تعالى ليس له ولد صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام
اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في
الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله ليس له ولد
او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها
نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها
اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع
مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها بالجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما
يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم ولا على عدم سقوطهم مع الاب وانما دلت على سقوطهم
مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان
مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة
ألف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما

وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا
اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا
آخر ما انزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال في خطبته ان الاية التي
انزلها الله تعالى في سورة النسا في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من
الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في
اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة
ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفرا وغيرهما الى تقدير اللام ولا في طرفي
ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا
وقال ابو عبيدة رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي
لئلا يوافق فاستحسنه وليس مما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما
عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين
لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما
يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطا والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب
وليس كذلك والله بكل شيء من الاشيا التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم
فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النسا فكانما تصدق
على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبري من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفا القيام بموجب العقد
وكذا الايفا والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود جميع ما الزمه الله تعالى
عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفا به او يحسن دينا لان يحمل على معنى يعم الوجوب والندب مريدا لذلك ولا على وجه الاجمال ثم شرع
في تفصيل الاحكام التي امر بالايفا بها وبدي بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام
البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من
الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظبا وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المراد
بالبهيمة ههنا لتقدير بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب
وفايدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام
التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لما مر مرارا
من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فانما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى
عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد
في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا
وهو شايع في الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفايدة تقييد
احلال الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظبا ونظايرها ظاهرة

لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول
ففايدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حال الاحرام من
مظان حاجتهم الى احلال غيره كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها
في بعض وقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال
غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان
تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى الاحلال لما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم عملا واعتقادا مع ما في ذلك
من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم
البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفا بهما الجريان على موجبهما عقدا
وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها التي سياتي بيانها يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعاير الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعاير الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال
ساير الشعاير واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها هي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي
جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي من علامات الحج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين
المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله تعالى لقوله تعالى ومن
يعظم شعاير الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول
انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسي والاول هو الاظهر بحال المومنين والمراد
به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع
من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية ولا القلايد هي جمع قلادة وهي
ما يقلد به الهدي من نعل او لحا شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لها وانما القلايد من
الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كانها عطف
جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلايد
مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلايدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله
تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين
زيارته باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي لا تحلوا قتال قوم او اذى قوم آمين وقرئ ولا آمي البيت الحرام
بالاضافة وقوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان
اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم
وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف
ما عطف عليه بمثلها اي فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا
تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الغائبين
للاشعار بان المقصود تشريفهم عليهم وحرمان المخاطبين عنه
في استنكار المنهي عنه والمراد بالآمين المسلمين خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية
محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
وعن الحسن رضي الله عنه ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم
المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم بطريق

الاوقات

النصر ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده وعده ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه الصلاة والسلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فقال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم ان نخلي بينهم وبينه فأباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين عن ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآيتين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ يتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين بان يقال ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمسلمين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء والقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره هاهنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى المعنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله كما قيل او الى فاعله وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم الآمين للمشركين وقرئ ان يصدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم قد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي هذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب كما في قوله لا ارينك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع

علائقهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان تعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فيدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود بالذات من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى والميتة ما فارقته الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله تعالى عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي ماتت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو الى سفل فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق اي تمرد وخروج عن الحد ودخوله في علم الغيب ضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان المعنى حرم عليكم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واما ما كانت فهو منصوب على الظرفية تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى

الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى **واتممت عليكم نعمتي** متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم فيهما وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذ اكمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه الصلاة والسلام صدقت يا عمر فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات **في مخمصة** اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه **غير متجانف لاثم** اي غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يؤاخذه بذلك **يسألونك ماذا احل لهم** شروع في تفاصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول اوقع في الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألونك بلفظ الغيبة فانه كما يعبر عنه بحال المحكي عنه يقال اقسم زيد لافعلن يعبر بحال الحاكي يقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤول ما احل لهم من المطاعم **قل احل لكم الطيبات** اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا **مكلبين** اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام وغاظ النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد **تعلمونهن** حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التعليم والتاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه **فكلوا مما امسكن عليكم** قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فانها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته **واتقوا الله** في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقدير انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم **اليوم احل لكم الطيبات** قيل المراد بالايام وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر **وطعام الذين اوتوا الكتاب** اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها **حل لكم** اي حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك **والمحصنات من المؤمنات** رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما نكاح الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي رحمه الله تعالى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تحل الحربيات **اذا آتيتموهن اجورهن** اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها واذا ظرفية عاملها احل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم ٥ **محصنين** حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى **غير مسافحين** وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا **ولا متخذي اخدان** اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلاثة **ومن يكفر بالايمان** اي بشرائع الاسلام التي من جملتها ما بين هنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها **فقد حبط عمله** الصالح الذي عمله قبل ذلك **وهو في الآخرة من الخاسرين** هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان اللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ٥ ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا ٥ **يا ايها الذين آمنوا** شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم **اذا قمتم الى الصلاة** اي اذا اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلاة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها وقيل اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان

الأمر للوجوب قطعاً والإجماع على خلافه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عليه الصلاة والسلام عمداً فعلته يا عمر يعني بياناً للجواز وحمل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه أن الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب أصلاً كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في أن ذلك منهم كان بطريق الندب وما قيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ يرده قوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** أي أمروا عليها الماء ولا حاجة إلى الدلك خلافاً لمالك **وأيديكم إلى المرافق** الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل إلى إنما تفيد معنى الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى فنظرة إلى ميسرة فإن الدليل في الأول والخروج في الثاني متعين بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة لها في المرافق حكم بدخولها فيها احتياطاً وقيل إلى من حيث إفادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطاً **وامسحوا برؤوسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت بالمنديل ومسحته وتحقيقه أنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل فألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما يطلق عليه الاسم أخذاً باليقين وأبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل أخذاً بالاحتياط **وأرجلكم إلى الكعبين** بالنصب عطفاً على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يعهد محدوداً وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم أليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلاً قريباً من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء إلى تفضيله للترتيب وقرئ بالرفع أي وأرجلكم مغسولة **وإن كنتم جنباً فاطهروا** أي فاغتسلوا وقرئ فاطّهروا أي فطهّروا أبدانكم وفي تعليق الأمر بالطهارة الكبرى بالحدث الأكبر إشارة إلى اشتراط الأمر بالطهارة الصغرى بالحدث الأصغر **وإن كنتم مرضى** مرضاً يخاف به الهلاك أو ازدياده باستعمال الماء **أو على سفر** أي مستمرين عليه **أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فأموا صعيداً وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعاً في سورة النساء فليرجع إليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في أنواع الطهارة **ما يريد الله** أي ما يريد بالأمر بالطهارة للصلاة أو بالأمر بالتيمم **ليجعل عليكم من حرج** من ضيق في الامتثال به **ولكن يريد** ما يريد بذلك **ليطهركم** أي لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء مكفر لها أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم ولكن يريد أن يطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء **وليتم** بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم **نعمته عليكم** في الدين أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته ومن لطائف الآية الكريمة أنها مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وإن آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث أكبر وأصغر وأن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالإسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به** أي عهده المؤكد الذي أخذه عليكم وقوله تعالى **إذ قلتم سمعنا وأطعنا** ظرف لواثقكم وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة أو في بيعة الرضوان وإضافته إليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع إليه تعالى كما نطق به قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام **واتقوا الله** أي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه أو في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً **إن الله عليم بذات الصدور** أي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لإطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الأعمال والجملة اعتراض تذييلي للأمر بالاتقاء وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **يا أيها الذين آمنوا** شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم **كونوا قوامين لله** مقيمين لأوامره ممتثلين لها معظمين لها مراعين لحقوقها **شهداء بالقسط** أي بالعدل **ولا يجرمنكم** أي لا يحملنكم **شنآن قوم** أي شدة بغضكم لهم **على أن لا تعدلوا** فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل أو فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً وغير ذلك **اعدلوا هو** أي العدل **أقرب للتقوى** الذي أمرتم بها صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين **واتقوا الله** أمر بالتقوى إثر ما بين أن العدل أقرب له اعتناء بشأنه وتنبيهاً على أنه ملاك الأمر **إن الله خبير بما تعملون** من الأعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ والجملة [illegible] وإظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان [illegible] والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ عليهما فقال تعالى **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** التي من جملتها العدل والتقوى **لهم مغفرة وأجر عظيم** جملة مستأنفة مبينة لثاني مفعولي وعد وقيل الجملة في موضع المفعول فإن الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** التي من جملتها ما تلي من النصوص الناطقة بالأمر بالعدل والتقوى **أولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب **أصحاب الجحيم** ملابسوها ملابسة مؤبدة وهذه الآية من السنة الفرقانية تشفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب وفاء بحق الدعوة بالبشارة والإنذار **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الإنجاء من الشر إثر تذكير نعمة إيصال الخير الذي هو نعمة الإسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله أو بمحذوف وقع حالاً منها وقوله تعالى **إذ هم قوم** ظرف لنفس النعمة أو لما تعلق به عليكم ولا سبيل إلى كونه ظرفاً لاذكروا لتنافي زمانيهما أي اذكروا إنعامه تعالى عليكم أو اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت همهم **أن يبسطوا إليكم أيديهم** أي بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حملاً لهم من أول الأمر على الاعتداد بنعمة دفعه كما أن تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً

بيان كون المحلوف من نعمائهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفا للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موضع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعدما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه الصلاة والسلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون ان لا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان نزل صلاة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالته فاجلسوه في صفة وهموا بقتله وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه الصلاة والسلام وقيل هو ما روي انه عليه الصلاة والسلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه فسله وقال من يمنعك مني فقال عليه الصلاة والسلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتقريره وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية بيانا ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الجري على سنن الكبرياء ولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب بمعنى التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتنقيبه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا بارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء اليهم يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عليه السلام عن ذلك

فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة فانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطرحهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل وكانوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض اذا اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام ليكونا يأمران برأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راوا الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى عليه السلام فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل ثم قور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانثقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا واقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى في كل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يتفقدون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلاة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم تكذيب بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام ومراعاة للمقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير والتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى قرضا حسنا اما مصدر مؤكد واقع على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط فالفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل كفر وفيه تغيير حال السلك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد ابدال الكفر بعد الايمان لما ان المعتبر عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك فقد ضل فلا اثبتها فقد دل على الحدث ترتيبهم وترتيب الكفر فان الاتصاف به بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وشيء حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا

بينا واخطأها خطأ فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يكون له شبهة وتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم
المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير
او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض
بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هيئته البسيطة على هيئته المركبة للايذان بان
تحققها امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية
بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وقيل امهلناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي
اذا كان مغشوشا لانه يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان
مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا
مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن
على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية
اي على خائنة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة
عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم
استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية
كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو
على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى
وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا
نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في
ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة
وقع خبر المبتدا محذوف قامت صفته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف
المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصولة وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك
مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم
دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن نصارى بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا
من نصرة الله تعالى في شيء واظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم
لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا
وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق بالله تعالى حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان
يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصارا للشياطين فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق
به واغراه ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله

اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله
تعالى الى يوم القيامة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيامة
حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلاث فضمير بينهم
لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن سوء عمله ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما
عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى
ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم
في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملون به من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب
فيكون ترتيب العذاب عليها واجارة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب
الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح
ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء
الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل
بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم
رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار
الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج
حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التوراة والانجيل كبعثه عليه
الصلاة والسلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد عليه الصلاة والسلام في الانجيل وتأخير
كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان
ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن
عندها اذا ورد فضل تمكن ولان المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم فان مما تعلق
بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق
بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم
والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون
به ويعفو عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم من زيادة الافتضاح
كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة
على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذكم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة
مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن
الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وما كان نعتا فقدم
اضافة الرسول من جهته عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى البيان كون المجيء من
جنابه العالي والتشويق الى الجائي ولان فيه طولا يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى
وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين
القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشبهات وابانة ما خفي على الناس من الحق والاعجاز البين والعطف
لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد
او يعد بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية

ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على انها حال منه لتخصيصه بالصفة من اتبع رضوانه
اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب
او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق انتصابه بنزع الخافض
على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان
هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر
والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الطرق الى الله تعالى
ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية غير الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة
التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غيره كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية
القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه
بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود لزمهم القول بانه المسيح لا غيره وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والفاء في قوله تعالى قل فمن يملك من الله شيئا
فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف
مضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يملك شيئا
منهما ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به
ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها
بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام
مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام
الانكاري عن احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني
فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية مع ظهوره بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده يفيد
استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال
فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته
لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة بسائر المخلوقات في
كونه عرضة للاهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر
مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق
هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال من فرض اهلاكهم
كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن في الارض جميعا وقد اهلك امه فهل
مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما
اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة
وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون
البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما
واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها

عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه
يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية
كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ
من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها
كخلق عيسى عليه الصلاة والسلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات
وقد يخلق بتوسط مخلوق اخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه لا الى من اجري ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء
الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما
وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي
خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف
تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم و
ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان
لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل الزاما
لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم
بان الله سيعذبكم في الاخرة بالنار اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر
ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر
ممن خلق اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء اي يغفر له من اولئك المخلوقين
وهم الذين امنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله مثلكم
الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة
وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير اي الرجوع في الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا
منهما بما يستدعيه علمه من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق
الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا اي محمد صلى الله عليه وسلم واضافته الى نون العظمة
يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الايات السابقة
تعويلا على ظهور ان المبين
على فترة من الرسل متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم
على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية
من ضمير يبين او من ضمير لكم
من الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل ان تقولوا
تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين

من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وقد انقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل
للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر والمنوي فيما سبق هو الشرائع
والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير
متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين له معللا به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على
الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والفترة على الارسال بعد الفترة
كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة
وستة واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب لما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام
الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليشتهوا
اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم
من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق
منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه
وسلم ببيانها او من اشتماله على انقسام الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات
اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما
وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس
النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته
تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي خطر وشان خطير
لم يبعث في امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم اي ومنكم ملوكا
كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام
الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما
لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال بحيث لا ينبغي ان تنسب اليه ولو مجازا من لم يصطفه
اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن
واسع فيه ماء جار وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى
من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي بيت
المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح ان تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم
لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
فان ترتب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا
اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا او يجوز ان يتعلق
بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا

الى مصر

الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا
على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف
مبني على سؤال نشا من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا مقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير
ممتثلين لذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتاتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي
الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريد كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم
منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها
مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها
ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء باعمال الاسمية المصدرة بحرف التحقيق لا له على تقرر الدخول وثباته عند لعله لمكانهم
تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل
هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو
ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى
بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا
من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو لبني اسرائيل والموصول عبارة
عن الجبابرة والعائد اليهم العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرا يخافون على صيغة
المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخافون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان و
صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين
ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول
الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب
مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم
وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم
لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب
الله لكم اي لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه تعالى خاصة ع
والاول انسب بتعلق الغلبة بالدخول وعلى الله فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل
من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده
فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما او بمقالتهما مخاطبين
لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن
ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي الجبابرة
وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك
فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما
حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب
يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله
تعالى فقاتلا ولم يذكروا اخاه هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا
هاهنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر قال عليه السلام لما راى

بيهم ما رأى منهم ما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى
مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة قال رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي
وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل
فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن
طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا
من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم
منع لا تحريم تعبد ولا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم
حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون
مخالفا لظاهر قوله كتب الله لكم والمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها
بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون
على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا
وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما
جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة الموجبة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البر
استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم
مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة في ثلثين
فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وروي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم حيث
ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول
شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون
لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لابرهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع
اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل
وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك
وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة
ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم
الفاسقين روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل له لا تندم ولا تحزن فانهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي
من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت من البينات نبأ ابني ادم هما قابيل وهابيل
ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة اوحى الله عز وجل الى ادم ان يزوج كلا
منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله
تعالى بل من جهة ادم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما يتقبل تزوجها ففعلا فنزلت نار
على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق
بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا
انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرفا له اي نبأهما
ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه
بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة

ولم يكن كذلك

كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما فتقبل من
احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل
قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف مبني على سؤال
نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال الذي لم يتقبل قربانه لاخيه لتضاعف حسده
وسخطه لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالخفيفة
قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربانه
نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من
التقوى وعدمها اي انما اوتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك
التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم
الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق
التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة
للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ابدانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم
يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية
المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط
كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة
المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار
الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت
قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني
اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قيل
اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك
بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف وقيل كان هابيل اقوى
ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا
حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
التعليل بخوفه تعالى
وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه من المعارضة على انه غرض متوخى كما ان الاول
باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك
وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى
الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب
صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما
نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا
ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن
المعصية اصلا وباباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين
على ابدية عقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب على العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء
الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
ولقد سلك مع ما نواه كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك

قربانا

الا الاصرار على البغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة احداث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ ولان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعى نفسه الى الاقدام فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر فتعلم منه فوضع راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتي هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من يا المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالعطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك وقيل لما قتل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبا من بيان بعض اخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدا الكتب ومنه نشا لا من شيء اخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما استفاد

كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو حكمه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلاته مشروطا بتحقق احدهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم مشروط بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فاقتضى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعليه ما يرد وربما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا النافية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلاته حيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا فمن قال في نفس او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا ووجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان

الاحيا وجودا وذكرا وكان بعواقب الامرين وانطعهما اكتفى بذكره في مكان التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظايره وتعيين موجبه له والاجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل اي يحاربون اولياء الله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه الصلاة والسلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل اخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون في الارض** عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى **فسادا** اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر روي ان الاية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي كان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا** اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفى الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بالة جارحة او لا **او يصلبوا** اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف** اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه **او ينفوا من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك** اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله تعالى **لهم خزي** جملة من خبر مقدم و المبتدا **في الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة **ولهم في الاخرة** غير هذا **عذاب عظيم** لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كاينا في الاخرة **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى **فاعلموا ان الله غفور رحيم** اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا

وان

وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه عن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرا عنه العقوبة **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** لما ذكر عظم شان القتل بالفساد وبين حكمها واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنون بان يتقوه تعالى في كل ما ياتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار **وابتغوا** اي اطلبوا لانفسكم **اليه** اي الى ثوابه والزلفى منه **الوسيلة** هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يتقدم معمولها عليها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا في سبيله** بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة **لعلكم تفلحون** بنيل مرضاته والفوز بكراماته **ان الذين كفروا** كلام مستانف سيق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة الكفار يوم القيمة باقوى الوسايل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب **لو ان لهم** اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال **ما في الارض** من اصناف اموالها وذخايرها وسائر منافعها قاطبة و اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه الى الخبر لاشتمالها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى **جميعا** توكيد للموصول او حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله تعالى **معه** ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيدا لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم او بالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن يحاكيه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم وان كان مثل ما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله ● كانه في الجلد توليع البهق ● اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعايد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار كما في قوله ● واني وقيار بها لغريب ● اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب مثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لا المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى **من عذاب يوم القيمة** متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ **ما تقبل منهم** ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم بدون

غير ذكر الافتداء بان يقال لو افتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الغرض تقديم ما ذكر للمبالغة في تحقيق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتاه به فرآه فقال الخ وما في قوله تعالى فقال اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه الصلاة والسلام عليهن وتوحيد لد والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الدنيا ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف سيق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد مر في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وشدة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على البناء للمفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة في الكتاب والسنة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في مواضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما ينبئ عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع من المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا او نصب على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والمعلل معلل بالنكال قيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما في ادبته اي ضربته تأديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة

للنفي

والنفي م

للنفي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب اي من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة لان فيه حق المسروق منه وتسقطه عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتأييد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي وما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوي الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على البر يسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه الصلاة والسلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل الا ان يساق ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم سماعون

عندنا م

بعموم الوعيد مع

في سماع الكذب وفي قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتعالى وتحريف كتابه او سماعون
اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم
الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه مضرتهم واياما كان
فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة واستنادا لذلك
الى امور بنوا على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون
وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي
والعذاب كما سياتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان
للمبتدا المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثلها في سمع الله لمن حمده
في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى
سماعون منه عليه الصلاة والسلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه الصلاة
والسلام وكونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين
فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم ياتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة
اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الراي والتدبير ثم بعدم حضور
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بمنتهى كمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم
في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله تعالى وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه
عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله وتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر لمبتدا محذوف
راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة وتجوز ان تكون حالا من ضمير يحرفون
واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان يقول القول انما هو
قاله بمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطبين من يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه
الصلاة والسلام لمن لا يحضر حوله عليه الصلاة والسلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين
تعسف ظاهر يخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون
لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم هذا من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي
فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى
روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل
بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه الصلاة والسلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال
له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا
اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه الصلاة والسلام
وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضونه حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام
وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم

الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لكن
كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه الصلاة والسلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل
الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية هكذا انزل الله في التورية على موسى
فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر
المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي
ضلالته وفضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار
بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة
لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن
صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالهم
آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة
منه تعالى ابتداء وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي اما للمنافقين فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم
فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم
وهو مبتدا الخبر قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وهو مبتدا ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به
الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم وهو
الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد
المرجع لزيادة التاكيد والتقرير والجملتان استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة
للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدا المقدر كرر
تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم او
بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الآكلين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل
كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشا التي كان
ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور واما ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم
من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المتناول لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ السحت بضم السين والحاء
وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان
جاؤك لما بين تفاصيلهم وامورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافعالهم حسبما
امر به عليه السلام خوطب عليه الصلاة والسلام ببعض ما بني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي
اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم
غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم وهذا كما ترى تخيير له عليه الصلاة والسلام بين الامرين قيل هو في زنا
هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا
بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين
وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض
بيننا فجعل عليه الصلاة والسلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا في انه ثابت او منسوخ

يروى عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقيل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله
تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم
بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه الصلاة والسلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث
كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه الصلاة والسلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض
عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه الصلاة والسلام فامنه الله عز
وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله تعالى عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل محذور ويكرمهم
وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص
عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو
اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها
حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو
حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظير المؤنث في عندهم
كلامهم كموماة ودوماة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد
ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد
ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل يقرر مضمون ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد
الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك حتى انتظموا في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين
بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا
التورية كلام مستأنف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم يزل مرعية فيما بين الانبياء
ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون
من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام
من حيث ارشادها الناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق
بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء
جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التورية فتكون حالا مقدرة اي يحكمون
باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما
يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص
والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم بها
تنزيلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف
لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم الصلاة والسلام ولذلك قيل اوصاف
الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين
الانبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي
يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا
واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم

له كانه امر نافع لكلا الفريقين وفيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة
ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع
صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون
الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم
ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر وهو اولى الفراء مأخوذ من التحبير والتحسين
فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين
المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم
ان يحفظوها من التبديل والتغيير على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم الصلاة والسلام استخلاف لهم في
اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها ثانيا بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها
ذاتا واضافة وتأكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها من جهة الكتابة
والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي
المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما
وصاهم به على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون
عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير
وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من
المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا
للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله عز وجل ان يحفظوه
ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات فيما له
المسلمين فيما وهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى
بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب
عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على
ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا
تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون في
الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن
اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا
بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطي ونبذ كما فصل في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والمعنى
لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بان تخرجوها عنه او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة
والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فاتهم بترك
العمل بها وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
لتحصيله وابرزت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء
التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا
ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك
مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل

او مبتدا ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد
انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا **وكتبنا** عطف على انزلنا التورية **عليهم** اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل **فيها** اي في
التورية **ان النفس بالنفس** اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق **والعين** تفقأ **بالعين** اذا فقئت بغير حق **والانف** يجدع
بالانف المقطوع بغير حق **والاذن** تصلم **بالاذن** المقطوعة ظلما **والسن** تقلع **بالسن** المقلوعة بغير حق **والجروح**
قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة
فنزلت وان الجروح قصاص وقرئ العين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا
مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله
وقرأت سورة انزلناها **فمن تصدق** اي من المستحقين **به** اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة
في الترغيب فيه **فهو** اي التصدق **كفارة له** اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل الجاني اذا تجاوز عنه
صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص
منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله **ومن لم يحكم** كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة
من اليهود تناولا اوليا **بما انزل الله** من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا **فاولئك**
هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب
العمل بالاحكام المذكورة **وقفينا على آثارهم** شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا
التورية اي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي اتبعناهم
بعيسى ابن مريم اي ارسلناه عقيبهم **مصدقا لما بين يديه من التورية** حال من عيسى عليه السلام **وآتيناه الانجيل**
عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة **فيه هدى ونور** كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي
كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله
عليه وسلم **ومصدقا لما بين يديه من التورية** عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية
لزيادة التقرير **وهدى وموعظة للمتقين** عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل
مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل
رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما الاحكام المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته
بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في
قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ
وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ في قولك امرته صح
على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه
وقيل عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله
فيه **ومن لم يحكم بما انزل الله** منكرا له ومستهينا به **فاولئك هم الفاسقون** المتمردون الخارجون عن الايمان
والجملة تذييل مقرر للجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان عيسى عليه الصلاة والسلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية
خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر **وانزلنا اليك الكتاب**

اي

اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه
على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى
بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا لاجل انه نازل حسبما نعت فيه او لانه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة
الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما نرى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام
المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق
بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة
حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها
لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** بيانا لما واللام للجنس
اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب
وعلى هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى الخصوصية الفردية بل الى الخصوصية النوعية التي هي اخص من
مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن **ومهيمنا عليه** اي رقيبا على
سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد له بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها
ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تميز
احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تميز احكامها
الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها وقت مشروعيته من احكام كونه مهيمنا
عليها وقرئ مهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هومن عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما هو من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون او الحافظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى **فاحكم بينهم** لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان كون القرآن العظيم حاكما مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور
به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك **بما انزل الله** اي بما انزله اليك فانه
مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع
الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
والاشعار بعلة الحكم **ولا تتبع اهواءهم** الزائغة **عما جاءك من الحق** متعلق بمحذوف وقع حالا
من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول
موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتاب من معاصريه عليه الصلاة والسلام
على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل الله اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره مما في كتابيهم وانما الذين
كلفوا العمل بما فيهما من الامم السالفة قبل نسخهما والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين
خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد واخبار بجعل ماض لا انشاء
وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة
والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية
والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة
التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما
الصلاة والسلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه
والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة

والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين
بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم
في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم
امة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه
النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم
معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم
ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح
ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم
معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين
من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل
والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف
مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل
فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر
لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب
اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلنا
بالحق وبان احكم وحكاية الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الامر
الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب ان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان
واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا
اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها
وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان
التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية
اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم
اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي واما اهل الجاهلية
وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خصومة قتل وقعت بينهم ما كانوا عليه اهل الجاهلية من التفاضل قال عليه الصلاة والسلام القتلى سواء

فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه
في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات
لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الجاهلية الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحكام حكام الجاهلية يبغون
ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض
لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون
اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا
ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم
وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه
بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكر اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر
عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا
بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق من
ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور
المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد
ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته
اجماع الكل على مضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى
ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستتبع منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة
ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون
من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى
ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون
في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد
ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول
اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع
موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق
ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية
قلبية والاول اوفق بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها
وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها
الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى
الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل
هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان
يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد
بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين
بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير
يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي تدور علينا دائرة من دوائر الدهر
ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب

والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين فان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على ياتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين امنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون ح وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ياتي باعتبار المعنى كانه قيل عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط ويقول الذين امنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا لكم انهم لمعكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونه حالا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا البعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا على ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك بعلامة ظاهرة الدلا

على كفرهم

على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ذلك بسبب ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهي فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القران قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري

امست سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الاشعث ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وهو عز وجل فسوف ياتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف ياتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خير الدنيا والاخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويحترزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي انه لما نزلت اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله تعالى عنهم وقيل هم الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه (خ: وذووه) ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين لهم واستعمال على لما انه ضمن معنى العطف والحنو والتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وكما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وصاحبها لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالها بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تقديم الصفة الغير الصريحة على الصريحة كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوز ذلك من جعل الجملة حالا من ضمير انزلناه ومن ربهم ومن الرحمن لا لامتناع ذلك صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها بالنسبة الى الخالية بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله

ومن التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون
يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين
واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال اياه واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجميلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء
ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين
وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان
بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى
الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين
بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا الخ بانه جرى مجرى
الاسم او بدل او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة
الصلاة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكاة والركوع ركوع
الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله
سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلاة
ولفظ الجمع ح لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول
الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى
في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا
من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم
واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصفهما دون غيرهما تعميما للحكم وتنبيها
على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان
للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء
بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على
الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا
اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله
ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم
او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية
الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها اي الصلاة او المناداة ففيه دلالة على
شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة
كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله
نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا

يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة
قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين
ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك
الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا
اي ما تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي ايضا لغة
وما تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التورية
والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان
الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول تنقمون لكن لا على ان المفعول الذي هو
الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره
والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث
جعلوه موجبا للنقمة مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا دينا
لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بوا
بما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم
على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول تنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من
المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد
ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل الواو بمعنى
مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون
ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم ثابت والجملة حالية او معترضة
وقرئ بان المكسورة والجملة مستانفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك امر له
صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما ارتضاه عندهم ايضا
وكفرهم بما هو مسلم لهم وامر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه
من الدين المحرف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مثوبة عند الله [illegible]
[illegible]
[illegible] من لعنه الله وغضب عليه [illegible]
[illegible]

الروعة وتهويل امر اللعين وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود لان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة وبالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا وقد مر ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت لما هو المقصود من تبرئة المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حيثما شرع فاذا جعل الموصول مع ما في حيز صلته في تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من توافقهما في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخره عن ذكر العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات فلما كان ذما لما ذكر بصدد التبكيت بما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لا لدينهم ولا لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم بالشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الوصفين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلالة واذا

وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف منه

جاؤكم

جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الخ لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير ومجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض الذين عنتهم في اقتداهم اعتبارهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي سفلتهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة ابلغ من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ولم ينهه الآخرون ورضوا بقوله فنسبت المقالة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك انه تعالى ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا تصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد هذا للشمال اليد حيث قال وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وانما اراد بذلك اثبات المقدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيف ما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك في سورة الاسراء وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل بل يداه مبسوطتان عطف

على مقدار يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان
اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي
الدنيا والاخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة
لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة
الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية
على الحكم التي يدور عليها امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شوم المعاصي ان يضيق عليهم
كما يشير اليه ما سياتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية وكيف ظرف ليشاء والجملة في
محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر
ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القران المشتمل
على هذه الايات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك
متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبتدا ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام للاهتمام
بشان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه الصلاة والسلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة
اي ليزيدنهم طغيانا الى طغيانهم وكفرا الى كفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا
والقينا بينهم العداوة والبغضاء فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة
لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة
اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم للمسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول
صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا
حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس
الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او
متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون في الكيد للاسلام
واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في
موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفا نائرة
افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل
وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم
للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم
له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى
امنوا محذوف ثقة بظهوره فيما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا الاية
وما الحق به من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم مع ما صدر منهم من فنون
الجنايات قولا وفعلا امنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
واما ارادة ايمانهم به عليه الصلاة والسلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم
به عليه الصلاة والسلام خاصة بمعزل من التجاذب باطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من
جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم
نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم
ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو

انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام لا انتساخ بعضها بنزول القران فليست مراعاة
الكل من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القران المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان
بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم والتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وقيل
كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار
وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط
منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول
اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية
وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال
بها ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شوم جناياتهم لا لقصور في
فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة مبنية على سؤال نشا من مضمون الجملتين الصدريتين
عن الامتناع الدال على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك
مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة بناء على ان منهم مبتدا باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما
بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اي طائفة معتدلة منهم
وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم من عدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدا لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي يقولون في
حقهم هذا القول اي بئس ما يعملون والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه
والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الامر
بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما
كان وفي قوله تعالى من ربك اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه
الصلاة والسلام وكلائته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما
امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا تعلق به الاحكام
اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته [illegible]
من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد
ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها
كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما
قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك
قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق [illegible]
[illegible] عليه الصلاة والسلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله
من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته عليه الصلاة والسلام اي لانه تعالى
لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب [illegible]
[illegible] على الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]

عليهم كمال الضلال لهم اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان
يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا
التورية والانجيل اي تراعوهما وتحفظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى
الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من
اقامتهما في شيء بل هو تعطيل لهما ورد لشهادتهما فانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما
بصحة ما ينسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر
في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما ببيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه
قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اي القران المجيد فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة
الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده
بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون باختصاصه بالعرب
وفي اضافة الرب الى ضميرهم كما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل
كامر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان جماعة من اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تقر ان
التورية حق من عند الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام بلى فقالوا انا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم (في تبكيتهم)
في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد
بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم
للايذان بانسلاخهم من تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان
والكفر بما تبلغه اليهم وان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم
ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف لترغيب من
عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان تواطئها
قلوبهم اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله • واني وقيار بها لغريب • وقوله
• والا فاعلموا انا وانتم • بغاة ما بقينا في شقاق • خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين
مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى
اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله • نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والراي مختلف
وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة
بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لادى الى تنازع الخبرين الا
معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير
في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيفا للهمزة
وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم • وقرئ والصابئين وقرئ
يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما
في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضميرين
الاخيرين باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف

اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف الخ كما في قوله
عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين الى قوله فلهم عذاب جهنم الاية والمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المؤمنين
وهو الاظهر فمن احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب
فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف
الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المنتسبين الى دين الاسلام المخلصين
منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك
بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عدا المخلصين من
المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في
الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل من ان المعنى من كان منهم في دينه قبل
ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لما مر تفصيله في سورة البقرة
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جنايات اسلافهم المنادية باستبعاد الايمان
منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا
اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير يقررونهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعونهم على ما ياتون
وما يذرون في دينهم ويتعهدونهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه
قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد
من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن
استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل
فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم
ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها
وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام
وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر هنا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده
المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف
له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا
ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما
هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا على
وجه اكمل لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة و
حسبوا الا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وابتلاء بالداهية الدهياء والخطية الشنعاء
بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة
وتعلق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف
على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد
وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق
الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي فساد بني اسرائيل حين خالفوا

احكام التورية وارتكبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها
وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم
مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه
من الفساد بعد ما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل
والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ورد من بقي من بني اسرائيل في اسر بخت نصر
بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا
عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل
فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا
عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله
تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي فسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم
قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام لا الى طلبهم الرؤية كما عرفت مرة فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد
تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم هاهنا في المرتين مرتبة على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم الصلاة والسلام
لا الى طلبهم الرؤية كما عرفت مرة فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم هاهنا
في المرتين مرتبة على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم الصلاة والسلام يقتضي ان المراد ما ذكرناه والله عنده علم
الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا
ضربته بالنزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ
محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل مقرر اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب
من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا
ان لا يصيبهم عذاب بما فعلوا من الجنايات العظيمة الموجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها
فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم هذا الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله عليهم
بخت نصر عامل لهراسب ملك بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى في الاولى والانسب فاستولى
على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى
ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله تعالى الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا
الى المرة الاخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل
جودرز وقيل حردوس فقتل منهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم
لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى عليه الصلاة والسلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا
ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى
حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيد لمزيد
تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح
مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي
الشان من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن

يدخلها

يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين وفي اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار تهويل الامر
وتربية المهابة وماويه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب
وما للظالمين من انصار اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة
والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة
باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه الصلاة
والسلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالة عيسى عليه الصلاة والسلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل
انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم
يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره وقول عيسى عليه
السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن العقول وانت خبير بان
التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة
ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة
الضعيف وتهويل للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من
توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم
وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم
الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير ولا
سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى
منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة
ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه
بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى
وكل واحد منهم اله ويؤيده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى
ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه
ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال
عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن
واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى
وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر
الشنيع ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسن
واما وضع الموصول موضع ضميرهم للوصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا
منهم على ما كانوا عليه من الكفر او تبعيضية واما تخصيصه بالمقيمين على الكفر بعد ما مر
ووجه ما يجب عنه بالقلع من بين عيسى عليه الصلاة والسلام وغيرهم كفروا بعده وعلموا بعد على ما كانوا عليه من
اهل الكفر عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب وكلمة الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى
الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر
على تقدير يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله
الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول بعد هذا الانكار والتهديد عدم الا
وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك

عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية
من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال
ان الله تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول
استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه الصلاة والسلام وحال امه بالاشارة
اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين
جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا
لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله
الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه
الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى
وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من
جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء
اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر
صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استيناف مبين
لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل
انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة
حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لما نظر اي انظر كيف
نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون
اي يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار
ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح
واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم
بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر والموصول عن عيسى عليه السلام وايثار ما
على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا
قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه الصلاة والسلام وان ملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا
مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع ولانه ادنى درجات
التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ
ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال
ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم
ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوا من المسلك الباطل وارشادهم
الى الامم للبيان لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة
الى ما تقولوا في حقه من العظمة ولليهود عن وضعهم له عليه الصلاة والسلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا
عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم ان
الانجيل ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا

غير الحق

غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا متجاوزين الحق او من دينكم ولا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا
وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين
قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي
قوما كثيرا ممن تابعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى
ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل
للمجهول للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود
وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في
السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما
كفروا قال عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت
اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره
على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا
يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك
اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل ومعنى
قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل اي كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مبينة لعادته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا
باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي انه ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور
لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهما ناهيا ومنهيا معا كما
في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه والجملة ح مفسرة
لما قبلها من المعصية والاعتداء [illegible] وعلى الاول [illegible] لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر
بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير
فالمعنى تنكير المنكر الواقع نوعه لا شخصه فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق
الفعل انما هو فرد من افراده [illegible] باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده
على ان المعنى المعتبر في الصيغة [illegible]
حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر الذي
فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين [illegible] وفي ذلك
ما لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء فعلهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى
ما شرح من اللعن الكبير وليس في تشبيه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته
فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول يشعر بعلية ما في حيز الصلة له [illegible]
[illegible] على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب [illegible] كعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى
المشركين بمكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية يتولون الذين كفروا [illegible]
[illegible]
[illegible] لبئس ما قدمت لهم انفسهم [illegible]
[illegible] ان سخط الله عليهم [illegible]

عيسى

بعبارة

مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شي واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى في محل رفع على
الابتدا والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم ولا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر
لمبتدا محذوف ينبي عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو واي شي هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم
محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص
بالذم قايمة مقامه والتقدير لبيس الشي شي قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شي المحذوف
وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون الكفار
من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه من الكتاب ولو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا
ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اوليا فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون
من الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود
والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبايح اليهود وعراقتهم في الكفر وساير احوالهم الشنيعة التي
من جملتها ما لهم للمشركين لكذب بالتوكيد القسمي اعتنا ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس في الوجدان يتعدى الى اثنين احدهما اشد الناس
والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الفايدة هو الخبر لا المبتدا ولا ضير
في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطايفتين اشد الناس
عداوة للمومنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطايفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا
والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها من تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى ان تصديت لان تعرف اشد
الناس عداوة للمومنين وتتبعت احوال الطوايف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة
والباطنة وسعيت في تطلع ما عندهم من الامور الكامنة والبارزة لتجدن اشدهم تينك الطايفتين لا غير فتامل
واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مونثة بالتا لانها مبنية كما في قوله
ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كاينة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على التمرد والاستعصا على الانبيا والاجترا على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن
واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته لزيادة
التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله
واود الى اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله
تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعول لتجدن في تعلق اللام كالذي سبق وفي العدول
عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان
يقال اجرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى
مراتب احد النقيضين والاخرى في اقرب مراتب النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمومنين بان منهم اي بسبب
ان منهم قسيسين وهم علما النصارى وعبادهم ورؤساوهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشي اذا
تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشي ومنه سمي
عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة
الروم وقيل ضيع النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل
له قسيس ورهبانا جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه

قول من قال ٥ لو عاينت رهبان دير في قلل لانحدر الرهبان يعدو ونزل فالمترهب المتعبد في الصومعة
قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين
ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمومنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس بخصلة مظنة لاتصاف
الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة
قايمة يتلون ايات الله انا الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم
الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون من قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يستكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمومنين واضحة وفيه
دليل ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران
ويؤمنون لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع
اي تمتلئ بالدمع واستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلا مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكا كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتدا الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتدا الفيض ونشاوه من معرفة
الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما
ظنك بهم لو عرفوا كله وقروا القران واحاطوا بالسنة وقري ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا
امنا بهذا اي بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين
هم شهدا على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما
جانا من الحق كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفايه ونفيه بالكلية على ان قوله
لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شي حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظايره لا الى السبب فقط مع
تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب
اباك واخرى لانكار الوقوع كما في قوله افنضرب اي كذلك ما الاستفهامية كما تكون لانكار سبب الواقع ونفيه
فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان عدم
الايمان وعدم الرجا امر محقق قد انكر ونفي سببه فقط تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيرجع الى المسبب ايضا
كما في الاية الكريمة الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما
وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل
فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شي حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير
في نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على
نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
هذا القول بلا ان اي مخلصين وقري فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها
نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب
والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا
بالقران والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه

فهي منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بينهما جمعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف مدح
النصارى على الترهب وترغيب المومنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك اي
لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم
وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم
والودك ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم آمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا
اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم
الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا
تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما احل لكم وطاب
مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية
او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف وفي كلا الاحوال لا دلالة وعلى الوجوه كلها
لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مومنون توكيد للوصية
بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتها عما نهى عنه لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شي يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول
مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي
رحمه الله تعالى ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها و
ايمانكم صلة يواخذكم لانه مصدر او حال منه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها
عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم وتكيث ما عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه
وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا
يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير له ثم ليكفر عن يمينه اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل
مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط
ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون اليا على لغة
من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كاراضي جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة
او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل
ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وبحال الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما
تطعمون اهليكم اسرافا وتقتيرا تساوون بينهم اذا لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي اعتاقها انسان كيف
ما كان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام و
شرط عندنا بقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا
حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى وقيل بان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها

تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا
كائنا مثل ذلك البيان فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر
لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي مثل ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته
اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته
فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة
للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل
الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه بسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم
تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون
ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام
وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى
منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما
الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما بالاعادة ولم
وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما
مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلاة بالافراد مع
دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده اعيد الحث على الانتها
بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر
والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا
الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما
في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما واعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج
عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعده الا
العقاب وفيه من عظم المهابة وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم
الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه
فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء الضرر بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا
يضرونه عليه الصلاة والسلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم
وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا وشربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه
فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم
الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين
ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد
اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها

دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم
عن الامتثال بما امرتم به
من الاجتناب عن
الخمر والميسر
صح

موصولة كانت او موصوفة وانما خصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه
من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا ما اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما
طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة
بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال
الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرطية اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع
كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتحريم الاتقاء عليه اما للاعتناء به ولانه الذي يدل على التحريم الحادث
الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان به ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط
بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه
قبله لانتساخ اباحة بعضه ح واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال
القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغا ما
بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله
ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في
كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات
المذكورة الجميلة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم
بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل
مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال
المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا ما لكنه اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم
في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها
فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الجميلة بحيث كلما امر
بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم
لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الله عز وجل وبينه وبين الناس بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان
اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او
باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات
حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا
ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف
احوالكم بشيء من الصيد اي بصيد غير مأكول او غير مأكول لما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين
من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت
وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق
ما وقع من عدم توحش الصيد منهم ليس الا للابتلاء لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء
وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس

واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل
هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي
اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور
ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض
للصيد ومن لا يخافه لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء
ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى
بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء
انما يكون عند تحقق الخوف وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام
على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى
لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قال بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية
بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم
كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة محضة
وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض
للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصي
فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى
في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين
قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع
في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا
تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لا محالة من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة
وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم والكائن في الحرم
حكمه من الحرم وان كان حلالا كرحم جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون
ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما
يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لان الآية نزلت في المتعمد كما
مر ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت
السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الآية
وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا
وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل من النعم
اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة
المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما اي فليجز جزاء مثل ما قتل والمراد به
عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت
قيمته ثمن هدي تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان
فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا ... صوم ما دونه

من الصيد ح

فيكون قوله تعالى من النعم بيان للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه
انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة
والهيأة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة
رضي الله تعالى عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل
المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل صورة بلا معنى
واما المثل معنى ولا اعتبار له اصلا في الشرع واذا لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا
في الشرع كما في حقوق العباد الا ترى ان المماثلة بين الافراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة لم يعتبرها الشرع
ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد اخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان
المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة
القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة
الخفية مع صعوبة ماخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى لان القيمة قد اريدت مما لا نظير له اجماعا فلم
يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار
العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته باعتبار ان يعد الجاني لها فيصرفها الى
المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى
مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فهو وصف له معتبر في ثاني الحال
بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما تعدد من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف الثاني
لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصول كما سياتي باذن الله تعالى فهذا يرشدك الى ان المراد بالمثل
هو القيمة وقوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم
هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة الذي يستوي في معرفتها كل احد من الناس
فان ذلك ناشئ من الغفلة عما ارادوا وانما به المماثلة بل لان ما جعله مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب
مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه الا
ايمة الاجتهاد وصناديد اهل البداية والارشاد المؤيدون بالقوة القدسية الا ترى ان الامام الشافعي اوجب
في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات
كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة هذه الدقائق الغويصة الى راي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا
المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم
الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى الحكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل
دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة الجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة او بدل من مثل في نصبه
او في محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان
الاضافة غير حقيقية او كفارة طعام مساكين عطفا على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف والجملة
صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء
مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر
به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا
منهما بدلا من الاخر هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقدر به
الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى ساير القراءات

وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة منه

فقوله

فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة
لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين
والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عدله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني
عند ابي يوسف وابي حنيفة وللحكمين عند محمد رحمهم الله تعالى ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار
والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي
سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه
قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا تستمريه المعدة عفى الله عما سلف من قتل
الصيد محرما قبل ان تسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين
بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه
خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفا كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا
رهقا اي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الاخرة
واما الكفارة فعن عطا وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على
المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو
ما لا يعيش الا في الماء ماكولا كان او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى
احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع
ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقيل ما صيد فيه وطعامه
ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة حال مختص بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا
وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقد نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا
وقيل موكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر
وقرئ على بنا الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم
وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد
ابن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب
ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه صيد غيرهم وعند مالك والشافعي
واحمد رحمهم الله تعالى لا يباح ما صيد منه له واتقوا الله فيما نهاكم عنه ومن جميع المعاصي التي من جملتها ذلك
الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد
سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البنا وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى
قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل
الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو
سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه
الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شيع على عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يودي

فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي جعل والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج فيها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء من الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من ذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منهما والتحذير عن رديها وكان سبب النزول شريح بن ضبعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله تعالى الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفعول ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور على ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف قلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيئ كهين مخفف من هين والاصل اشياء كاصدقاء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث اذ لا كالامر فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياآن ولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت لام اشياء البتة المقلبة

من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع بوزنها افعا وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة اشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقونها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب في اجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما لا يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث عنه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقال رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل سراقة بن مالك في كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثله ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يديه امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي فقال عليه الصلاة والسلام ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين ابي فقال عليه الصلاة والسلام في النار ثم قام عمر رضي الله تعالى عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لمجرد صونهم عن المساءة لا لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفي عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير المسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء لمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية لسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة انه حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى انما كان من حيث وجودها لا من حيث عدها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها المسرة فلم يعبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة تلك لتحقق المنهي عنه كما يستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار

لا جنية ايجابها بالجزم ولا جنية ترددها بين الايجاب بل نقول ان الشرطية الناطقة بان السؤال عن تلك الاشيا الموجبة
للمساءة موجب مستلزم لابدائها البتة كامر فلم يتخلف الابدا عن السؤال في مسالة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا الوقوع
بالسؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا
تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتمشى لان ما يتعلق به الابدا
هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سوا كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في شان
عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابدا الى غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان
المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشيا الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين
ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة ان مدلول النظم
الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشيا التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشيا
بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشا عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة
واما بان تكون واقعة في نفس الامر كالسؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشا
توهم عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بنا على عدم امتياز ما هو موجود بعرضية الوجود من تلك الاشيا في نفس
الامر وما ليس كذلك عند المكلفين واحتمال الكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتها عن السؤال
من تلك الاشيا على الاطلاق حذارا ان تبدى المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة
الذنوب والاغضا عن المعاصي ولذلك عفى عنكم ولم يواخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سالها قوم اي سالوا هذه
المسالة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم
متعلق بسالها ثم اصبحوا بها اي بسببها وموجبها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشيا فاذا امروا بها
تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية
حيث كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ما
ولا عن مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا يقول هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا نتجت من
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ما ولا من مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع
ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجي تارة متعديا
الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجي مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الاية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون
ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان
روسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به
سياق النظم لا يعقلون انه افترا باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا
بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتدا بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم
على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل
هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحلال من الحرام قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم
واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم الى الداعي الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون
قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على
شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون

شيا من الدين ولا يهتدون للصواب او لو كانوا لا يعلمون الخ وكلمة ما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه
اباهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
كيف لا وان الشي اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اسا اليك اي احسن
اليه ان لم يسئ اليك وان اسا اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة
اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يومر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين
من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون حسبهم
ذلك او يقولونه وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة
في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان ركون اباهم جملة ضالين في حيز الاحتمال البعيد
فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مال الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال وكذا ما عطف عليها واسع
بان الحال على الوجهين الاخيرين مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى
او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم
واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتدا اي واجب عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما
مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الرا اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الرا المدغمة اذ الاصل
لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الرا وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام
مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرا لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن
ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتدا ان ينكر على المنكر
حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرون
هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه اعمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم
فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم
منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم وقيل
نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة كانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون
عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباءك وضللتهم اي نسبتهم الى الضلال
والسفاهة فنزلت تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم
يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال
الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يواخذ بعمل غيره يا ايها الذين امنوا
استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي
النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا
اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدا وقوله تعالى اذا حضر احدكم
الموت اي شارفه وظهرت علاماته ظرف لها وتقديم المفعول للاهتمام به كما ان الفاعل عند النفس وقت وروده
عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية اثنان بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما
قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله
تعالى اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف الى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم

على ان خبرها محذوف اي فيما انزل عليكم ان تشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق
وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانكم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين
وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي وشهادة آخرين او
يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة
وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا
ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا
رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز
وقوعه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا
ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى
الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران اي فاستشهدوا آخرين او فالشاهد آخران فالاول انسب
قيل والانسب ان يقدر غير ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين اي فان تشهد آخران على الوجوه
المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع
ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلاة وقيل هو صفة
لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب واهل الاسلام واما
اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شمول الاولين
ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس بالآخرين مع شمول الاولين
قطعا والتحليف فان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلاة
صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتنادم ملائكة الليل
وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم وقد حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي صلاة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية
عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى
ان ارتبتم عطف على تحبسونهما شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من
جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث
منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا
من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما هو
عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب
في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال
السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء هو
الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في اخذه لا
عنه عند الوسائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والضمير في به لله تعالى والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله تعالى اي من حرمته عرضا من الدنيا
بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله تعالى كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من
تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ بدلا منها عوضا من الدنيا بان نزيل عنه

وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكروا لا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق
او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه
عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك
واما ان اريد به الصادق فانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه
واما التوسل اليه من اللوازم ترك استعمال الصادق فمن ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعمالهم
ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف
مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام
ذا قربى اي قريبا منا تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة
اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم
من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله
عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في
حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه
وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما
انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما يوجب اثما بتحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له
بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اي رجلان وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما
ولا محذور في الفصل بالخبر او من وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام الذين عثر على
خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه
المذكور لاظهار الحق وابراز كونهما كاذبين فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل
على قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله تعالى عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي
الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي اليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم
ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين
على وضع المظهر موضع المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم
اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل هما الاوليان او هو بدل من
الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم
للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب
في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف
على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا
على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما
اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة
فصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما
لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال
حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله اي انا اذا اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم

الكبير ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران
من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع
بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الورثة حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا الداري خرجا الى الشام
للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات
ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا
الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء
من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الاية فاستحلفهما بعد صلاة العصر
عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم
سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فطلبوه منهما فقالا
كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء
الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ
ذلك كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي
تقدم تفصيله ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان تؤدي الشهود الشهادة على وجهها
الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف
بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة
معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الاخرة
بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن
الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا
الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم
واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق
والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها
الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع
كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتاتى ذلك في شهود لم يتعين اجابتهم على ان اصابة الامتناع عن
الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما
يقتضي الاخر لا محالة تحكم بحت فتامل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا
ما تؤمرون كائنا ما كان سماع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم
تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم
يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا الماخوذ منهما من الاحكام فان مدار البدلية ليس الا
الظرفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصحح الاشتمال الذي هو من البدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما
نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة ومالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله
تعالى يبادر منه الى الذهن ان المعنى اي شان من شؤونه او اي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف وقد تحقق

الاشتمال اتقوا عذاب الله الخ وجوز انتصابه بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا
يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل
هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بفعل
مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيان لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والبلية
العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم
دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم بل لانافة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم
او لاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم الصلاة والسلام
يحشرون على وجه الاجلال واولئك يحشرون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة
كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا وايجابا والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي
وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من
جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب
اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهو مشهود الى الرسل عليهم الصلاة والسلام كسؤال عليهم الصلاة والسلام ٤
المؤودة ما يحصى من الفوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الابانة عن كمال تحقير شانهم وشدة
الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل
هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظايرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما
عانوه من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال عرضا لتحزنهم عن بيانه لكثرته وفظاعته
انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه
اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام
منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف
يخفى وانت خبير بان مرادهم ح ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي
انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا
يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على الندا او الا خصاص
بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا
عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل
احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون ساير الرسل عليهم السلام مع دلالته
على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من
اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم
وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر
من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في
قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما
او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر
النعم المعدودة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروج

عليه السلام عن عهدة الشكر في وانه اي خروج بل اظهار رايه عليه السلام تعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه
اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبا عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة
للكفرة المختلفين في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك بروح القدس
ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ ايدتك
والمعنى واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته
الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق
فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكانت روحه
عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما عليهما السلام تكلم الناس في المهد
وكهلا استيناف مبين لتاييده عليه الصلاة والسلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة
لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي
والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السما لانه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك
الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اجمالها
لترفيهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه
هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على
ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى
فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى
للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكوينا من جهة الهيئة وتكرير قوله
باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر عظيم بديع لا يتسنى ولا يترتب
عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على اذ تخلق واذ تخرج الموتى باذني اعيد فيه
اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما كان رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا
قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية وكرر قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق
ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصه بها
وانما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل
عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات
الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا
باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قد قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا
ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا
اشارة الى ما جاء به او الى التذكير لا ان اشارتهم الى ما وراءه من نفس الشيء من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث
هو مجيء بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى
الحواريين عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين
ما تفيده الجملة التي اضيفت اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر
الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة
في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف

على انه

ساحر

موضوع

يا ايها الذين امنوا

موضوع لزمان نسبتين ماضيتين فاعتبر فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد
افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم
قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك وقت سعيك لي المعصية تريد تنبيهه على
كون سعيه فيها احسانا اليه لا على احسان اخر واندرج في هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر
ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه الصلاة والسلام وقيل الهامه تعالى
اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان امنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول
وقيل مصدرية وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام
كانه قيل امنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله
تعالى قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا
امنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قوله تعالى واشهد باننا مسلمون اي
مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كساير النعم
الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر تلك
النعم العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستانف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه
منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق
تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بمخاطب وانما هي حكاية خطاب بل لان الخطاب
لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الاية فتامل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن
الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم
الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم للايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده
النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم كانوا مؤمنين
او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام في دعوى الايمان
والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون
القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع
ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ
رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير في اخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه و
كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقالوا مائدة بمعنى فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية
قال استيناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال
اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان
صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات
وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف
كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ليس مرادنا بالسؤال ازالة شبهتنا في
قدرته تعالى سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل

منها اي كل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام
علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله
شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي
انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها
كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان
لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فانما يتعلق بالصلة لا تعدي
على الموصول او حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عليه السلام
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها
روي انه عليه الصلاة والسلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وغض بصره وقال اللهم ربنا نادى
سبحانه مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية
التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا مائدة من السماء تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة
من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها
اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك اليها
لان شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب
الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وهنا من الشواذ لاولنا واخرنا
بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا واخرنا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا
منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة
والشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا
عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لا يخطر
ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان
لتحصيل الطمانينة كما في قول ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى الآية لا عن اعتذار بما ذكروه ولما
اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئناف كما سبق اني منزلها عليكم وورود الاجابة
منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع ان الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال
اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه
الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما
تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعارا بالا
اي بتنزيل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد
اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة
هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقدير المذكور
ويجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير
له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا
قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال

يجوز اعمالها في الحال واما لنا عيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير يكون عند من جوزه ح

مجاهد

مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه الصلاة والسلام
لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس
منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها
عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين
يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا بريء ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام
ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا
خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه
السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام
وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم لا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة
ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا
الله ما شئتم يعطيكم فصاموا فلما فرغوا قالوا لو انا عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى
المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها
آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا
اللحم وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة
ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا
ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا
بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا
عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر
مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره
عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على
التحقق والوقوع ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاتخاذ انما يتعدى الى مفعولين فالهين
ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام الى القول متيقن والاستفهام لتعيين انه
عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله
تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة
لالهين اي كائنين من دون الله تعالى اياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتاتى التوبيخ ويتسنى مع التقريع والتبكيت
ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على

بدعيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقهما الله تعالى بل هما خلقاهما فمن حيث انهم اتخذوهما في خلق بعض الاشيا الا(من)
مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في خلق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق مراحل واما من زعم ان عبادته تعالى مع
عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما عري به واشتغل
بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل
والظاهر ان الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام
فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا قال سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية
ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في
الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها
لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا
يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استيناف مقرر للتنزيه
ومبين للمنزه عنه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار
ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفا الحقية وافادة التاكيد بما في خبرها من البا فاسمه ضمير
العايد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته
فقد علمته استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره
عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم
مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه
في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا
اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة
المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن لنسبتها الى الحقيقة وقوله
تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا
ما امرتني به استيناف مسوق لبيان ما صدر عنه تدارج فيه عدم صدور القول المذكور عنه
على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفا صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفا صدور المذكور دخولا
اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في
الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل
بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقا الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعول
مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة
ارشادا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان مدة
صلتها اي كنت عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السما كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك
الي فان التوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقري الرقيب بالرفع على انه خبر انت
والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن
المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الايات وخذلت من خذلت من
الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شي شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى
كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفواصل

ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي
القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة
فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا
امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى الفريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم
اي من امن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى
نتيجته وماله ويقول الله يوميذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين
هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظايره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره
ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين صدقهم بالرفع
والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبي عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها
التوحيد الذي نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين
الى ذلك وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه
يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شي
كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يوميذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر
من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع يوميذ للنفع واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت
ولا دخل له في استتباع النفع والجزا انما لا وجه له وهذه القراة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي الاليق بسياق
النظم الكريم وسياقه وقد قري يوم بالنصب اما انه ظرف لقال فهذا حينيذ اشارة الى قوله تعالى انت قلت الخ
واما انه خبر لهذا فهو حينيذ اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع
الخ او الى السوال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف
الى متمكن وقري يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دايم وثواب خالد
وقوله تعالى رضي الله عنهم استيناف اخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها
عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراه كما ينبي عنه قوله تعالى رضي الله عنهم استيناف اخر لبيان انه عز وجل
افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ورضوا عنه اذ لا شي اعز منه حتى تمتد اليه اعناق هممهم ذلك اشارة الى
نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب
الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب ورا ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض
وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي لله تعالى خاصة
ملك السموات والارض وما فيهما من العقلا وغيرهم يتصرف فيها كيف يشا ايجادا واعداما واحيا واماتة
وامرا ونهيا من غير ان يكون لشي من الاشيا مدخل في ذلك وايثار ما على من المختصة بالعقلا على تقدير تناولها
للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلا تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة لهم بتغليب غيرهم
وهو على كل شي من الاشيا قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المايدة
اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سييات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا والله اعلم

سورة الانعام مايه وسبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعليق الحمد بلام الحقيقة اولا بالاسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجد من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افراده عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله به باعتبار افعاله العظام وآلائه الجسام وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جلائل الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشاهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع مما تحار فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مرتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشئهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا عظيما خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون في الحقيقة قيدا باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول فان المفعول الثاني هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمنوا به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم

ايذانا بان المراد في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل واللائق بفخامة شانه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشيئين عمدة في الكلام مقصودا للافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون له ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث تكون الصلة واجرى كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر واستخبر بانما ينتظم في سلك الصلة المبنية عن حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف يساعده النظام وتعكير يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما تفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتامل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ظهر في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما ان منشا آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد البشر انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السائر الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا النمط ورد قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض واياما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة ابدا فهو على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل احد منكم اجلا خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وتقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشق وشق عنده لا يحول ۞ وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده
مع ان الشايع المستفيض هو التاخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في
علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا فاما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور
اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار
كونه مبدا المدة الباقية كما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه اخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لان الاجل
في اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ
فان الاجل كما يطلق على اخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله قضى لكل احد
اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى بعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى
عدم تغير الاجل ح عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى
وبتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء
كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تاخير الاجل الاول
وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الدالة
عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان
من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وساير الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة
لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل
من الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت وان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين وان الاول مقدار
ما انقضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت في سياق النظم الكريم استبعاد امترائهم
في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة فعلى اي شيء يترتب وصفهم بالامتراء
الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظايره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار
وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الالهية تعالى لجميع
المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف
بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه
الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه
اسم اشتهر فيما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف
الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل
وهو المالك المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد مما ذكر ان
الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المذكورة
في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي ما اشتهر به من وصف الجراة التي اشتهر بها مسماه حتى جرى مجرى
جري علي وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو
المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر
مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا اشتهاره به الا يرى ان
كلمة علي في المثال المذكور لا تتعلق بالجراة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري
من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى

خاصة

خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق في اعتبار معنى
التوحد والقول في تحوي الكلام بطريق الاستتباع على حمل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية او على
تقدير القول لا يجوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى بالغا في العلم
بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضوريا بمنزلة كونه تعالى فيهما وتعبيرا
به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان
عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه
وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتم به وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه
وتحقيقا للمعنى المراد به وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة
لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية
الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون بيانا وتقريرا
له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء
السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في ان ما
لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بداهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص
بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه الثاني ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه
العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر
بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل
هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو
فيه وان كنت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان
كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه
لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على
القول الثاني في السر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تاتيهم
من اية من ايات ربهم كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الاية الاولى
اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفي الاية الثانية امتراؤهم في البعث وتخصيصهما بالذكر مع
واعراضهم عن بعض ايات التوحيد الانفسية للاشعار بان ذلك ديدنهم وقد افضى الى ان يعرض عنهم الخطاب محاولا بتعديد
جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى
اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية
فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة
ببدايع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الالوهية على كافة الكاينات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم
الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما سيفصح عنه
واما الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما
يظهر لهم اية من الايات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها واشارة على ان الاعراض عنها كما في
مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار الايات
وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او من

فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيه دلالة بينة على كمال اصرارهم على الاعراض
وانقطاعهم له فان الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن
القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا
يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او
حاصل بسببه على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى
كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه
قوم آخرون فان ما جاءوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه
حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم
الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك
بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثر له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة
والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فان ما عبارة
عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما
سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لان النبا
لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته ياباه
الآيات الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي
كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء
كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء
على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا
ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا
واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما يجب تنزيه القرآن عن امثاله الم
يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيحيق بها الوعيد وتقريرا لها
بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي قلبية مستدعية لمفعولين وكم استفهامية كانت او خبرية
معلقة للفعل عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعوليها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة
عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر
كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان فالمضاف
محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف
ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل
اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود وامثالهم
وقوله تعالى مكناهم في الارض استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر
الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لان النكرة مفتقرة الى المخصص فاذا ولي ما
يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان نوعية التمييز مغنية عن استدعاء الصفة على انه لا مجال
ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا منه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى
اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاك

اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال
بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله
تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكناهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة
بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات
لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا
السماء اي المطر او السحاب المظلة لان مبدا المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا
الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا وان انشأنا فهو حال من مفعوله ومن تحتهم
متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال
واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم
جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بعد بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي
الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام
والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار
ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم
من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به
الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشانا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاكهم كل قرن قرنا آخرين
بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه
شيئا بل كلما اهلك امة انشا بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان
شكيمتهم في المكابرة وما يتعلق بها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك
لنزول العذاب في نسبة التنزيل ههنا اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار
بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل اليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث
وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند
الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله كتابا اي مكتوبا
في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة لكتابا اي كائنا في صحيفة او متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون الا
بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم
بعد ما راوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال
الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي
لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا الا سحر مبين
اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج المكابر وقالوا لولا انزل
عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف
على جواب لو وليس بذاك لان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور
بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل و
قوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا [illegible] انزال الملك [illegible] معه عليه
السلام نذيرا [illegible]

في الوجود لما أن إنزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً يستدعي عدم إنزاله على صورته لا محالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ أي لو أنزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا ترى أن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخصم داود عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي أمر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لإخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من إرسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وفيه كما ترى إيذان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وأن عدم الإجابة إليه للإبقاء عليهم وبناء الفعل الأول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتهويل الأمر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلاً عن أن ينذروا به كما هو المقصود بالإنذار للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار فإن مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق وقيل في سبب إهلاكهم بأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم وقيل إنهم إذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب إهلاكهم وإلى الثاني بقوله تعالى ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ على أن الضمير الأول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلنا نذيراً لجعلناه رجلاً مع فهم المراد منه أيضاً لتحقق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه الثاني إنما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لأن الجعل بكون مفعوله الأول مبتدأ والثاني خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في أن مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت استحالة استتباعه أريد هنا بيان الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب أن يجعل مدار الاستلزام في الأول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني أي مفعولاً ثانياً كذلك إبانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكاً لمثلنا ذلك الملك رجلاً لما مر من عدم استطاعة الآحاد معاينة الملك على هيكله وفي إيثار رجلاً على بشراً إيذان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى ﴿وللبسنا عليهم﴾ عطف على جواب لو مبني على الجواب الأول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ لبّسنا بالتشديد للمبالغة أي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً ﴿ما يلبسون﴾ على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس إما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سبباً للبسهم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكاً كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون المعنى للبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وتصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق للاعتناء بها لما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق﴾ عقيبه أي أحاط أو نزل أو حل أو

خ: من شأنهم ذلك

خ: مثلنا

نحو ذلك إلا أن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى ﴿بالذين سخروا منهم﴾ أي استهزأوا بهم من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ للمسارعة إلى بيان أن ما فعلوا بالأمم الخالية وما فعل بهم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيراً لهم عما هم عليه من العناد وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين وقد أنجز ذلك يوم بدر أي إنجاز ﴿قل سيروا في الأرض﴾ لتعرف أحوال أولئك الأمم ﴿ثم انظروا﴾ أي تفكروا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ وكلمة ثم إما لأن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء السير إلى أماكنهم وإما لإبانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الأظهر فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن الأمر الأول للإباحة السير في التجارة ونحوها والثاني لإيجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الأمر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق أن مدار إصابة ما أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله على توهم أنه المدار وفي ذلك ﴿قل﴾ لهم بطريق الإلجاء والتبكيت ﴿لمن ما في السماوات والأرض﴾ من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعاً خلقاً وملكاً وتصرفاً وقوله تعالى ﴿قل لله﴾ تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وقوله تعالى ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ جملة مستقلة داخلة تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان أنه تعالى رؤوف بهم لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة وأن ما سبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الأنفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه وتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلاً وأعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزأوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضاً مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاها وأوجبها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلاً وقيل هو ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال لكعب ما أول شيء ابتدأ الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت فيه أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة عليها وغلبتها أنها أقدم تعلقاً بالخلق وأكثر وصولاً إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة هاهنا بنوعيها وقوله تعالى ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل إلى بمعنى اللام أي ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل بمعنى في أي ليجمعنكم في يوم القيامة ﴿لا ريب فيه﴾ أي في اليوم أو في الجمع وقوله تعالى ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب

او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير
داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء
الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون
مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع
العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما بكتهم بما سبق
من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلط الهمزة على المفعول لا
لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا
وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة
للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في
عامل الموصوف وبدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة
اليه ولانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب
اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبالسكون وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير
لغير الله والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما على الفاعل على ان
الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعدما بين ان اتخاذ
غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم
وجهه لله مخلصا له لان النبي صلى الله عليه وسلم امام في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله
تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن من المشركين اي في امر
من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على الامر وهو قل اني اخاف ان عصيت
ربي اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق
وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف
عنه اي على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول
محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء
للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله
تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه
لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر
كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر
ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة
ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه
او دفعه احد لقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء بذكره روي عن ابن عباس رضي الله

عنه

عنه انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه
ثم سار بي ميلا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده
امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فاذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله
فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا
ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان
لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع
العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما
يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر
شهادة روي ان قريشا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان
ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فأي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصبت
على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم
قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد بهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا
في هذا الشأن وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه الصلاة والسلام
وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من
الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي
لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجود
ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى
يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي
غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع الانكار
واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر انما هو اله واحد بل
اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام او من شرككم الذين آتيناهم الكتاب
جواب عما سبق من قولهم سألنا عنك اليهود والنصارى الخ عن نعتك الشهيد مسارعة الى الزامهم بالحجاج
عن حكمهم بقولهم فانهم شهدوا لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل
وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك
اصلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام انزل
الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابني ولانا
اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتاب والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان
بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة
بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول
الاول وقيل النصب على الذم وقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخير عطف على جملة الذين آتيناهم
الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتاب بخلاف ما هو عليه السلام
فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك ومن

انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة
ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد
به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
بعد قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما
في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة **او كذب باياته**
كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم والمعجزات
وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان
بان كلا من الافترا والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله
تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون **انه** الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية
عن ذكره وفائدة تصدير الجملة الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه
قيل الشان الخطير هذا وهو **لا يفلح الظالمون** اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين
هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايما الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه
من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول** لهم ما نقول من الاهوال والاحوال
ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقيق يحسن موقع عطفه تعالى ثم لم تكن الخ
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ ليتقوا ويحذروا
يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما **للذين اشركوا** اي نقول لهم
خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد **اين شركاؤكم** اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وانما
اضيفت اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى **الذين كنتم تزعمون** اي تزعمونها
شركا فحذف المفعولين معا وهذا السؤال المنبي عن غيبة الشركا مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينهم
وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم
الخ ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل
عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركا كما يعرب عنه الوصف
بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف موجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركا غائبة
لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينهم وبينها في وقت
التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم
بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت
عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلا بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل
يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة او على المحاورة **ثم لم تكن فتنتهم** تأنيث الفعل ورفع
فتنتهم على انها اسمه والخبر **الا ان قالوا** وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث
للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة
عطف على ما انذر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه مما سلف والاستثنا مفرغ من اعم الاشيا وفتنتهم اما كفرهم
مرادا به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشيا الا جحوده

بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها صح

والتبري عنه بان يقولوا **والله ربنا ما كنا مشركين** واما جوابهم عنه عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه
تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبري من الاشراك وقرئ ربنا على النداء هو لاظهار الضراعة والاجتهاد في
استدعا قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله
على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطا في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه
مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه تدفعه
بطلانه وقوله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم
في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه معتبر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا
فمخل بجلالة ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم
التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على
انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من
الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل هي عبارة عن الشركا وايقاع الافترا
عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها
نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب **ومنهم من يستمع** كلام مستانف مسوق لحكاية ما صدر
في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ببيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه
والضمير للذين اشركوا وعلى الظرف الرفع على الابتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى وما منا
الا له مقام الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع
اليك على مناط الافادة لاتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا لكونهم ذواتا اولئك المذكورين وتقدم تفسير
قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد
فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون
الماضية [illegible] **وجعلنا على قلوبهم اكنة** [illegible]
[illegible] **ان يفقهوه** [illegible] **وفي اذانهم وقرا** [illegible]
[illegible] **وان يروا كل اية** [illegible] **لا يؤمنوا بها** [illegible] **حتى اذا جاؤك يجادلونك**

إليك

او فريق يستمع اليك م

اذا جاؤك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا واذا ما وضع الموصول موضع الضمير وما لهم
مما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي تجاوزا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك يجادلونك ولا
يكتفون بمجرد عدم الايمان بل لما سمعوا من الايات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
فانه عدا احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة
من الكفر لا غاية ورآها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله
تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر
بالتحريك واصل الكل السطر واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين
والمجرور للقران اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيب وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا
على حقيقته فيؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه فانا كيد النهيهم
عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير تحقق تاخيرا لتا ... عن النهي
وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم والمرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه
كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه واراد
برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال ۝ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۝ حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ۝ وابشر بذاك وقر منه عيونا ۝ ودعوتني وزعمت انك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم امينا ۝ وعرضت دينا لا محالة انه ۝ من خير اديان البرية دينا ۝ لولا الملامة
او حذار مسبة ۝ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ۝ فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا
انفسهم بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما
يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون لا باهلاكهم
انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا من القران والرسول عليه الصلاة والسلام وانما
وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر دغاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القران
الكريم الممانعة في تمشي احكامه وظهور اثر الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم
لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ترى اذ وقفوا
على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية
مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا
الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة
الامور البديعة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا
بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار
حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحين يطلعون عليها اطلاعا هي
تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا عرفته وفهمته وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقفوا عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص
ولا نكذب بآيات ربنا اي باياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هي التي تخطر ببالهم
ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع اياته المنتظمة لتلك الايات انتظاما اوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين
بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب نصب الفعلين على
جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن اسحق
فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر

خ اوحذاري تهتم

ويقدر

ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما
على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود تركتني او لم تتركني وعطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم
التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وحكم التكذيب كما في التمني في
ما لا فا كامك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق ما الاول لم يكن في صاحبه يكون كذبا لا محالة وقرئ
برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد
بتصديق الايات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف
به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهيا واظنوا انهم مواقعوها فلحوقها
ومول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من
فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء لا محالة واشارة على
صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم
بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدء وهذا
هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون من كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم
وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وشهادة جوارحهم عليهم وما اخفاه رؤساء الكفرة
عن اتباعهم من امر البعث والنشور وما كتمه علماء اهل الكتاب من صحة النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته الشريفة عن
عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين
والمرفوع للمنافقين فبمعزل عن الاعتبار لما في كل منهما من الاعتساف والاختلال فلا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من
ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعترام عند ذلك
الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما
قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسناد ما دها
الى شيء من الامور المذكورة التي ... من الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما
ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل ولو ردوا اي من
موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي
من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم
لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب
وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولو
لا يوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحياة
الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحياة كان لم يروا ما راوا من الاحوال
التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن
الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم
وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس
هذا بالحق مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم
عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استيناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين
اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا
العذاب الذي عاينتموه والفاء للترتيب التعذيب باعترافهم بذلك لكن لا على ان يكون كفرهم السابق لما اعترفوا بحقيته الا ان كما
نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا

او شركهم الذي يجحدونه في وصف
بعض مواقف القيمة والله ربنا
ما كنا مشركين ثم يظهر ما كتموا
من شهادة الجوارح
فليجهم
مح

١١

أولياء ولعل هذا التوبيخ والتقريع إنما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا
الأمر إلا العذاب **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان
بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة أو ما يترتب عليه من البعث وأحكامه
المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى **حتى إذا جاءتهم الساعة** غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم
فإنه أبدي لا حد له **بغتة** البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا أي فجأه ونصبها
إما على أنه مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة أو من مفعوله أي مبغوتين وإما على أنه مصدر مؤكد
على غير الصدر فإن جاءتهم في معنى بغتتهم كقوله أتيته ركضا أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل
جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة **قالوا** جواب إذا **يا حسرتنا** تعالى فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا
التحسر وإن كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته **على ما فرطنا فيها** أي
تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة على
ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء
مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أي السابق ومعنى فرط خلى السبق
لغيره والتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم** حال
من فاعل قالوا وفائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون
على ذلك تحمل الأوزار الثقال والإيماء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون
العقوبات والتنبيه في ذلك أن العذاب الروحاني لا يزول ولا ينسى أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما
والوزر في الأصل الحمل الثقيل سمي به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله
تعالى فبما كسبت أيديكم فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم
يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات **ألا ساء ما يزرون**
تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي بئس شيئا يزرونه وزرهم **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو** لما حقق
فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في أنفسهما
واللعب ما يشغل النفس ويغيرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد إلى الهزل والمعنى إما على حذف المضاف أو على
جعل الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء • فإنما هي إقبال وإدبار • أي وما أعمال الدنيا
إلا الأعمال المتعلقة بها من حيث هي أو ما هي من حيث إنها محل لكسب تلك الأعمال إلا لعب
تشغل الناس وتلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم من منفعة
جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الإيمان والعمل الصالح **وللدار الآخرة** التي هي محل الحياة الأخرى
خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة
على الدوام **أفلا تعقلون** ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر
أي أتغفلون فلا تعقلون أو لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة **قد نعلم إنه ليحزنك
الذي يقولون** استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن
الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وأن ما يفعلونه في حقه
فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد
لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين وإخراجهما بإخراجها إلى
معنى التكثير حسبما يخرج إليه ربما في مثل قوله • فإن تمس مهجور الفناء فربما • أقام به بعد الوفود وفود •

على سنن العرب عند قصد الإفراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي
وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل
كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فهذه
طريقة إنما تسلك عند كون الأمر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة
المذكورة أو ادعاء كما في البيت وقوله • قد أترك القرن مصفرا أنامله • وقوله • ولكنه قد يهلك المال نائله •
والمراد بعلمه جل وعلا كثرة تعلقه وهو متعد إلى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم إن ضمير الشأن و
الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **فإنهم لا يكذبونك**
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم المبالاة به
والإقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فإنه مع كونه بمعزل من
التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي عما يعتريه
من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل إلى حيث لا غاية وراءه حيث لم
يقتصر على جعل تكذيبه عليه الصلاة والسلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى إن الذين
يبايعونك إنما يبايعون الله إيذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شأن الله عز وجل بل
في استعظام جناياتهم مبني على عظم عقوبتهم كأنه قيل لا يعتد به وكله إلى الله عز وجل فإنهم في تكذيبهم
ذلك لا يكذبونك في الحقيقة **ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** أي ولكنهم بآياته تعالى يكذبونك
فوضع المظهر موضع الضمير تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات
إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى وإيراد الجحود في مورد
التكذيب للإيذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فإنما
ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم وهو المعنى بقول من قال إنه نفي ما في القلب ثباته وإثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون
يقال جحده حقه وبحقه إذا أنكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمين الجحود معنى التكذيب وأيا ما كان فتقديم
الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم ويعضده ما روي
عن الأخنس بن شريق أنه قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد
غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم
الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما روي أن أبا جهل كان يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وإنك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئتنا به
عند الحيثية مطابقة خبره لاعتقاده والأول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك
من الإكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كأكثر وكثر وأنزل ونزل وهو الأظهر وقيل معنى أكذبه وجده كاذبا
ونقل عن الكسائي أن العرب تقول كذبت الرجل إذا نسبت الكذب إليه وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به
لا إليه وقوله تعالى **ولقد كذبت رسل من قبلك** تسلية أخرى له عليه السلام فإن عموم البلية
مما يهون أمرها بعض تهوين وفيه إرشاد له عليه السلام إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في
الصبر على ما أصابهم من أممهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير
الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت لا بمحذوف وقع

صفة لرسول اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شان خطير وعدد كثير او كذب رسل كانوا
من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على ما كذبوا داخل
في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم لما عن تكذيبهم واما ما
يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به بناء على استلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية
وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه
ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقدر لا مرد له وانه متوقع لهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون
العظمة لابراز الاعتنا بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض لما قبله من اتيان نصره
اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبي عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام
الدالة على نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفس الايات المذكورة ونظايرها فان الاخبار بعدم
تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد
السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة
ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من
الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين جملة قسمية جي بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد
ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه
من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبا المرسلين او بتقدير
الموصوف اي بعض من نبا المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية وايا ما
كان فالمراد بنبائهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى
بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبي عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد
الى ما فهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبا المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام
مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق
اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين
وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في محضر من قريش فقالوا يا محمد ايتنا باية من عند الله كما كانت الانبيا تفعل وانا نصدقك فابى الله تعالى ان
ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام
كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزل قوله
تعالى فاعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد
وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع
لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى آخره شرطية اخرى محذوفة
الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم
عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا
ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السما تعرج به فيها فتاتيهم منها باية مما

اقترحوه

اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاء او مما يتعلق بالاتيان بالآية فالفا في فتاتيهم تفسيرية وتنوين آية
للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم والظرفان متعلقان بمحذوف وقع حالا من فاعل
تبتغي اي تبتغي نفقا كائنا في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه
الى حيث لو قدر ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السما لفعل رجا لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغا على
الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شا الله
لجمعهم على الهدى اي لو شا الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا
معكم ولكن لم يشا لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية
اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شا الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة
اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان فيه من الحرص الشديد على ايمانهم والميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى
التي من جملتها ما ذكر من تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه
عن الحكمة المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويجوز بالنهي
منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط
النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان
على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل
الموتى لا يتصور منهم الفقه والاستجابة المقارنة بالقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى
اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله
تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم
اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه حالهم بموتهم وهؤلا الكفرة يبعثهم الله
من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فيجيبون وانما قالوا ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البنا
للفاعل من رجع رجعا والمشهور اوفق بالمقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان
ما يتعلق به والقائلون رؤسا قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه وقد بلغت بهم الضلالة والطغيان
الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوه من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤا على انها ليست من قبيل الآيات وانما هي
ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض لتهكم من جهتهم والاطلاق في الآية
في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات
لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه
على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة
الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان
بان عدم تنزيله تعالى مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك
بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا
على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية وأي آية ولكن
اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته لما ان في تنزيلها قلعا للاساس بالكلية كما ينبئ

قاعدة الاختيار واستيضاء الامر بالكلية بتقريرها جهلا او تضمون عدم نزولها ذريعة الى التكذيب وتخصيص
عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى
وما من دابة في الارض الخ كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لم ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتاكيد الاستغراق
وفي متعلقه محذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من
اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير
اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع
على محل الجار والمجرور كانه قيل وما من دابة ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى
كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم في احوالها محفوظة واموالها
مقدرة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات
الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط في الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية مع سقاء لا
يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى
في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي
ما تركنا في القران شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على
ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما اهملنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من
التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لابد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل
الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على
هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم في الاخرة بعد
بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى
مالك امورهم يحشرون يوم القيمة لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ
للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا
متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا في القران جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار
والذين كذبوا باياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سماع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها
من الايات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون لدعوتك بها وقوله عز
وجل في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن
العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في
الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم
الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة
وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية
وقوله تعالى من يشا الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى
منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشا الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله
اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله
وقس عليه قوله تعالى ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه

على الرواية علمية كانت او بصرية لكن المراد الاستخبار

قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلجئهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف
جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومعنى التركيب وان كان على الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان
اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها
البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارايتكم
مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم
الهة كما هو دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان
صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى
اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم
انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما ياتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون
عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل
اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم
وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبوله دعاءهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية
قد استاثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله
كما في بعض اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملتها الساعة وقوله تعالى
وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف
بينهما مع تقارنهما وتاخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة
وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستانف مسوق لبيان انهم من الذين لا يدعون الله تعالى عند اتيان العذاب
ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير
الجملة بالقسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى الكلام المقام بيان
حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم من قبلك اي كائنة من زمان قبل
زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالباساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر
والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل
ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما
يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع
تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة
او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
اي من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من الباساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع
سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف
على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال
عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية ونظائرها وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل عليه كانه
قيل فعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمانوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاة
لتكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة ايسون من كل خير واجمون

وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت به رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتغيير زيها ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وعليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلبكم الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجأة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيانا بالجهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاككم ظلمكم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن بدأ الهلاك بهلاك التعذيب فرقيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واستعمل ما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين

ومنذرين

ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فيها على معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقوبة على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينيا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والا لزم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون خبر الجملة الثانية مضارعا كما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا ترى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها النفي تفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت يفيد اختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ما نطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وبلغوه الى الامم آياته تعالى في انكار من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا لاجل ان يخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا استقلالا لان عندا نفسهم واستدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا وآجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبرئه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني هذا تبرؤ عن دعوى الالوهية بما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فانه لدعاء ممكن قطعا باعتبار النفي فيما تضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند

المصنوع الى معنى مطلق الفعل والاتيان وهو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر بشدة
الى ذلك هو اهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي
الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي وفي
الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلاً قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار
بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد
الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او لا تسمعونه فلا تتفكرون فيه او لا تسمعونه فلا
تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معاً وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوماً لا يتعظون
بتصريف الآيات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة شاعرهم بالكلية واتخذوا اباه
وورد لذلك ما ذكر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي القام فابوا الاباء والنكير وما نجع فيهم
عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار
الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا كاهل الكتاب وبعض
المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين وفي شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين
فيهما معاً كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا حديث البعث يخافون ان يكون حقاً واما المنكرون للحشر
راساً والقائلون القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون
في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه
والضمير المجرور لما يوحى او لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما
في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة
والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب
على الحالية من ضمير يحشروا او من متعلقه محذوف وقع حالاً من اسم ليس لانه في الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب
حالاً ولا بد من اعتبارها لان المراد هو الخشية من الحشر الذي لم يعهد بها عن حيز الخوف وتحقيق انه ما نيط به الخوف هو الحشر على
تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين في عدم الخوف الذي
عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الذي لم يعهد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى الذي لا
ثبوت ولاية تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لتحقق مدار خوفهم وهو فقدان ما علق
بها رجاؤهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس
لهم من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا تبين
ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي
يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي
او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجياً تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجواً منهم التقوى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام
عن كونه بحيث يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد
وارواح جبابهم يعنون فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه
السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال عليه السلام

طمعاً في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون وقيل ان عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من
اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان
اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر
رضي الله تعالى عنه لو فعلت حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء
الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه
السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم جالسناك وحادثناك
واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب
فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا
فاقعد معهم ان شئت فقال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب
ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده
وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه
حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليه النهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً
لما عسى يتوهم كونه مسوغاً لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني
على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الكلام على
موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله
تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم
عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلاً وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة
قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية
معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة
الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام
لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى
ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب للنفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب للنهي وقد جوز
عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ
منه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء
المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه من امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في
الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتوناً كائناً مثل ذلك الفتون ثم
قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له
والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتوناً غيره حيث قدمنا الآخر

في امر الدين على الاولين المحكي عنهم تحكمهم في امر الدنيا تعدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول
البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محتقرين لهم الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط
التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا
ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى أليس الله
بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة
والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس هو تعالى اعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا انعامه
تعالى عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك المستضعفين عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان
شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى
بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار
الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى
فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه مع انذار بعد ابلاغهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم
وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة
بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر
تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله بالتوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار
للطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا
عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على تفسير
الرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار
والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده
اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم
اي فامره انه غفور رحيم اي فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة
خبرا لمن على انها موصولة او جوابا بالفاء على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات تذييل نظير ما فيه من الكلام
اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو
عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها
ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب وتستوضح
انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين
على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة
عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب
من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله
كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية
لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما
قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون للاهواء الباطلة وليسوا على شيء مما
ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استئناف مؤكد

وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار ودوام النفي واستمراره لا نفي الدوام واستمراره كما مر مرارا اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى

٤

لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
قل اني على بينة من ربي تحقيق للحق الذي عليه والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق
بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستأنفة
او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من
وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمراد اني على بينة عظيمة كائنة من ربي
وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به
استئناف مبين لخطائهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب
الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره
بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا اي في ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه
تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فتثبت حقية التأخير
وقرئ يقضي بانتصاب الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من
قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن
معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير
الى ان قضاء الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل
ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم
به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم
مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى
لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء
الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا
يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه
وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب
مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم
مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض
الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى
من حيث العلم اثر بيان اختصاص الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح والمفاتح
جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء
على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها
الا هو تأكيد لمضمون ما قبلها وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى
ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما
يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم

ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة
الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله
تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال
السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها
خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى
ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه
تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان
في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه
تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل
رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد
نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة
للاماتة لما بين النوم والموت من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين
فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المرتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه بجروح قبل الجرح كما يلوح
به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة كما يلوح به تقديم ذكره على التحقق
وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي
يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم
بالتنبيه على ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة
ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع
علمه بما تجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم
اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام
وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على
اعمالكم يبعثكم في القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي
سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث معللا
بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم
الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل
متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنة ما كانت وفي ذلك حكمة
جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي
المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين
على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها
من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة
احدكم كائنا ما كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه
وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا ومضارعا بطرح احدى التائين وهم اي الرسل لا يفرطون

اي بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا
وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول
عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد
والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي
يلي امورهم على الاطلاق لا باعتبارهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب
جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب
الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل لهم تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن
رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة
لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب ومن الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من
الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال
كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال
من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا او مسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ
خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجينا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا
من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه
لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى
ثم انتم تشركون عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب
ثم انتم بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك
اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى افامنتم
ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث
على مفعوله الصريح للاهتمام به والمسارعة الى بيان كونه من مضارهم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى
من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من
قوم لوط واصحاب الفيل والطوفان ونحوها او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل
من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع
لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى
كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ نذيق بنون العظمة على طريقة
الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد وعن جابر بن عبد
الله رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من
تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه
السلام انه قال سالت الله تعالى ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته
ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا
على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق

بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف واياما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم مشيرا الى ما يؤول اليه امرهم وعلى انه قد اداه ما عليه من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت من العهدة حيث اخبرتكم لكل نبا اي لكل شيء ينبا به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار ووقوع لمدلوله وسوف تعلمون اي حال نبئكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غيرها وتذكير الضمير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او للحجازية على راي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم اي الذي كلفوه وامروا باقامته لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وهل هو تهديد لهم لقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له فالابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله ٭ على جوده لضن بالماء حاتم ٭ بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى بالابسال

وجبنها وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كائنا في تفسير قوله تعالى وانذر به الذين الآية وقيل هو خبر لليس ولها متعلق بمحذوف هو حال من ولي كائنا في تفسير قوله على البيان وان تعدل اي تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المعدي بمعنى المصدر كما عرفته اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا فالجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل في ابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام وتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها بشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهور وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كأنه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي نرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك وعلى انه نعت لمصدر محذوف اي نرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجوزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون

ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعي الى اتيانه وانما يدرك سمت الزائغ
ومورد الضيق فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما
سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهي توطئة لما بعده وان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب
الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم
لرب العالمين تعليل للامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة قوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه
بان نسلم على الوجوه الثلاثة قوله تعالى على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة
الفعلية عن معنى المضي والاستقبال والمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله
لاجل ان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى وعلى الاخير امرنا بان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه وعلى الاخر
امرنا بان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد
وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر به
من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك
لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من
مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما بالحق او متلبسا بالحق او خلقا متلبسا به مما يتوقف على مادة او مدة
قوله تعالى ويوم كن فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف يقول
على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد
المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه ومتضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو
بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية
ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور في المعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشيا
في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد احيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله
مبتدا والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار
المعنى وقوله الحق كائن حين يقول للشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات
على الضمير ونحوه واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي
لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشيا ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها
فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص
لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة
كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما
يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابرهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم معطوف على قل ادعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة
ما لا يقدر على نفع ولا ضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابرهيم
الذين يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب
ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالح وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية
من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم
صنم لقب هو به للزومه عبادته وهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم

وقال

وقال الزجاج المخطئ وقال الفرا وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر
او اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ
لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام أتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة
على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ
ازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد
ازرا ثم قيل اتتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك
وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية
اما علمية والظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ
وكذلك نري ابرهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه
وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة
اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحلها النصب لا اصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابرهيم
اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار
المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات
والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى
لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان
القاهر ثم هو مختص بملك الله عز سلطانه ولا نقد قيل وقيل في الاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما
عجائبهما وبدائعهما روي انه عليه السلام كشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل
اياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال
لا تقتضي ان الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها
ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في
ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة والتبصير
المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ تري بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل
الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون
من جملة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع
المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كما يترتب على التبصير المذكور وليس القصر لبيان
انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل
الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على جملة اخرى محذوفة وقعت
علة له اي ليستدل وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة
نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض بينهما
وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته تعالى للسموات
والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات
وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة
الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان

ملكوتهم

بكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان وقوله تعالى فلما جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى
رأى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع
بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان
ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية لما
المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى
الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة
ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع
بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل
قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على
تفسير الملكوت بآياتها وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن
تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجزالة النظم الجليل
وجلالة منصب الخليل فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من
حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في
الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي
الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية
وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه
الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافق الشرقي
مكشوف والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس
بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على المنهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان
المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي
فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا
اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين
اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذين تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى
المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره على الافول دون البزوغ والظهور من ضرورة سياق
الاحتجاج على هذا السباق الحكيم فان كلا منهما وان كانت في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه الربوبية
قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها
الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافية
للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم
توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي الاجرام
التي تعبدونها ومن اجرامها والارض التي تعبدون ما فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة
كلها وما انا من المشركين في شيء من الاقوال والافعال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل
قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه السلام حين حاجوه مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب
وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان

حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما
يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد
ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما
تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه
السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل
وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي
لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة
مكروه من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف
بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط
بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار
في موضع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التأمل
في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي
ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر
وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق
الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما
في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية كالانكار الواقع استبعاده مع وقوعه كما في قوله
تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه
بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى
جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون
انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد
الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا
في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو من
مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان
الامور الدينية لا يعول عليها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة
ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل
في حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار
بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار
على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على الاستبعاد مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فأي الفريقين احق بالامن
ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن وعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما
جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق
الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف وايثار ما
عليه النظم الكريم على ان يقال فأينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم
على ان يقال فانا احق بالامن والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم
تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك

من احق بذلك او قصدا الى التعميم
اي ان كنتم تعلمون
صح

اي ان كنتم تعلمون من اولى بالعلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استيناف من جهته تعالى مبين للجواب
الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله
الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تمام ايمانهم واحكامه لكونها لاجل
التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول
من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان
وقوله لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول تعالى
او عطف بيان لهم خبر للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن
مبتدأ والجملة خبر للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا والجملة خبر للموصول اي
اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم
في ضلال مبين روي انه لما نزلت الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم
نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء
الاصل مع الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد
الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن الى قوله
تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو
منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله
تعالى آتيناها ابرهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها
معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او
بيان للمبتدأ وابرهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان
جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ
بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عالية عظيمة من العلم والحكمة وانتصابها على
المصدرية او على الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتأخيره
على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اي من نشاء
رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة
جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابرهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين
ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة
تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف
بيان احوال ابرهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق ويعقوب
عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في
جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف عليه
هذا لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه
عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما لا
احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابرهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب

بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار
الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة
ورفع الدرجات وهبة الاولاد والاحفاد وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي
الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم
عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الاية الثالثة
فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان
كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى
عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب وداود
وسليمان منصوبان بمضمر كما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح
للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيرها بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته
داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع
حالا من المذكورين اي وهدينا هؤلاء حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من
جزاء ابرهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين
جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم لجزائه عليه
السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية لا المماثلة من كل وجه
ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل
لافادة القصر فاعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان
الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض
مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد
البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى عليه السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو
عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما اشتهر منقولين
له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع واللام كما في يزيد في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم عليه السلام
وكلا اي وكل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي
عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به
من ذريته او من ذريته والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة
واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم
وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما دانوا به من النظم

الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما كانوا به وما في ذلك من معنى البعد مر مرارا ذلك هدى الله
الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه
تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون
من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وما اعمالهم عمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبيا الثمانية
عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم
وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا
خبره قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد من افراد الكتب السماوية
والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون
ذلك بالانزال ابتدا او بالايراث بقا فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة
او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او
بالنبوة الجامعة للباقيين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل
عليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا
بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام
الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل
مؤمن من بني ادم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبيا وبالكتب المنزلة عليهم
عاملون بما فيها من اصول الشرايع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف
دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة
وقيل هم الانبيا المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجرا احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن
اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق ساير الكتب التي من جملتها القران الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل
هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين
قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم صلته وكلنا على مفعوله الصريح
فلما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال
بتجاوب النظم الكريم او الى الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر
هؤلا فلا اعتداد به اصلا لانا قد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان
بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احد
الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه واما الانبيا والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس
من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبيا المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والمنهج المستقيم والالتفات الى الاسم
الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتدا ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم
طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرايع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى
هدى والها في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجرا له مجرى الوقف
بالاسكان وقري باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القران او على التبليغ فان
مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من الانبيا عليهم السلام وهذا

جملة ما امر عليه السلام بالاقتدا بهم فيه ان هو اي ما القران الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكيرا
لهم كافة من جهته سبحانه وتعالى فلا يختص بقوم دون اخرين وما قدروا الله لما بين شان القران العظيم وانه
نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب
ذلك ببيان حطهم اياها وكفرهم لها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر
يقال قدر الشيء ويقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره واستعمل في معرفة الشيء في مقداره
واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهي في الاصل صفة للمصدر اي قدره
الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته
في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين
لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره
سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا
يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل
مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك
وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما
نطق به القران اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعا فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود
وقد قالوا مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم
الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت
والالزام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك
الله الذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال ما انزل الله على بشر من شي فنزعوه وجعلوا مكانه
كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت
وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما
على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى
او بمحذوف موصوفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد به ابدا الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل
بانزال القران ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به
وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة
وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى
تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها
وقيل كلام مستانف ومن جملة ما اخفوه نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التورية
وقري الافعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
قيل حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف القولين ينبغي ان يجعل ما عبارة عما تلقوه من
الكتاب من العلوم والشرائع لكونه التقييد بالحال لتقييد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب
من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابدا والاخفا شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ العلوم ومعادنها
اشنع واعظم لانه المقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم
وعلى ابائهم من مشكلاته حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون

كما قالوا الان تقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوه بالتورية اما ما ورد بطريق البيان
فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن
ذلك بايضاحه وبيانه فتكون الجملة حالية عن تأكيد التوبيخ فلا ينبغي ان يقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان يكون
استئنافا معترضا ما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن الذي سيذكر
المجمل بما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب فاظهروه وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع
الحال فان ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى قل الله امر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على
التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون
حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول وهذا
كتاب انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر
تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجميم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها
او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفيه اصول الشرايع
التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذار اهل مكة وانما ذكرت باسمها
المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل
الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب
والذين يؤمنون بالآخرة ويخافونها من اصناف العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال
الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص لمحافظتهم على الصلاة بالذكر
من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين منها ايذانا بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات
بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على انكار من هو اظلم منه وانكار
من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد ولا اكرم منه على انه افضل
من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال
انه لم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
فقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه
في المطالبة من غير امهال وتنفيس اي باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من
اجسادكم او خلصوها من العذاب اليوم اي وقت الاماتة والوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون
عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة باضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم

وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة
بدل من فرادى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم في الدنيا حفاة عراة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا كما خلقناكم وتركتم ما
خولناكم تفضلنا عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ولم تحملوا نقيرا مما قدمتم به
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة
لقد تقطع بينكم كما يقال من السببين اي وقع التقطع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف
كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل
عنكم اي ضاع او غاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال قدرته ولطف صنعه وحكمه اثر تقرير ادلة التوحيد
والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما
لذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قاله الواحدي ذهبوا بفالق
مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان وقوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف
على فالق لا على يخرج على الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان
هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق
الاصباح خبر آخر لان والمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح
اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يلي الصبح وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا
اطمأن اليه استئناسا به ويسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل كانتصاب سكنا بفعل
دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي
فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى
الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخرى
قيل معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف
اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان
حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي وذلك التسيير البديع تقدير العزيز
الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع
المعلومات التي من جملتها ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي
جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى
واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل
اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على
ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد
جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم
المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر واضافتهما اليهما للملابسة فان الحاجة

الى الاهتداء لها انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد
فصلنا الايات اي بينا الايات المتلوة المذكورة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الايات التكوينية الدالة على
شؤونه تعالى بفصله لقوم يعلمون اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الايات
التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة تذكير بنعمة اخرى من نعمه تعالى الدالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم مع
كثرتكم من نفس ادم عليه الصلاة والسلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب وفوق الارض
واستيداع في الارحام او تحت الارض او مع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب وفوق
الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض لما ان كلا منهما ليس
بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقد قرئ مستقر بكسر القاف اي فمنكم
مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار هنا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات المبينة لتفاصيل
خلق البشر من هذه الاية ونظايرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر
فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني ادم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على
يعلمون كما ورد في شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير بنعمة اخرى من نعمه تعالى مبنية عن كمال
قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من جهة السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل لاجله اي
فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشيا التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر
وانواعهما المختلفة حسبما ينفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في
الاكل فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من
النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال له اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما كون خضرته
خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج لاستحضار الصورة بما فيها من الغرابة اي نخرج منه من ذلك
الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ نخرج
منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل
خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله انه هو الطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود
وقوله تعالى قنوان مبتدا وحاصله من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على
حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود
النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية
الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد بانيها بالثمر لا تنتظر الطول او
سغاوية والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع
على الابتداء اي وثمة جنات ويجوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصله اي مخرجة من النخل قنوان وجنات
من اعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم من ان الانتفاع بهذا
الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبا على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون
اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق

ان يرضوه

ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان
لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون
والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشيها ومبدعها انظروا الى ثمره
اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا ينتفع به وقرئ الى ثمره
وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل
مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في
ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
لايات لقوم يؤمنون اي لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس
المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكون
الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن فعله ند
او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم
لله الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الايات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله
وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله
تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر
وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ
لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن
بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق ومنصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشا من قوله تعالى وجعلوا
لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع
على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم
حال من فاعل جعلوا بتقدير قد وبدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان
باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا ان الله تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن
فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا
له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا يقال خلق الافك واختلقه وخرقه
واخترقه بمعنى وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم
اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة
ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا
متلبسين بغير علم او نعت لمصدر مؤكد اي خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان
علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه
اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة
الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم
الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام
والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به

وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المقدر لا محالة والمراد بالسبحان والتعالي من معنى
التباعد قيل عما يصفون او متباعدا عما يصفونه من ان له شركا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما
ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة
اللغة كالصريع بمعنى المصرع وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره
السميع بمعنى المسمع كما في قوله. امن ريحانة الداعي السميع. يؤرقني واصحابي هجوع. وقيل من اضافة الصفة
المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه
من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق والى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم
النظير فيهما والاول هو الاوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على
الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانفصال مادته عنه فكيف
يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في
سبحانه على راي من يجوزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى واظهاره
في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله تعالى
انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى
وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء
ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده
بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين وكيف يكون له ولد كما زعموا والحال
انه ليس له على زعمهم صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل ولان الاسم ضميره تعالى والخبر
هو الظرف وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدا والظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر
والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة لان تكون مفسرة
لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرحة وقوله تعالى
وخلق كل شيء اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي
انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له
تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير
مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة
الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه
تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل
القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترءوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين
بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو اخبار اربعة مترادفة تحقق ذلك الموصوف بتلك
الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون
فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول
والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل بعد الكل من الاخبار الثلاثة مبتدا
وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه
الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة
اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا

بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين
من حيث انها محله وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه او الاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به
كما قال سعيد بن المسيب وقال عطا كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على
الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل رحمه الله لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في
الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك
ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه
اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي تستبصر به النفس كما ان البصر نور تبصر به العين والمراد بها الآيات الواردة
هاهنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو
صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد
جاءكم من جهة مالك امركم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر
للقلوب وقد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه
ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا
بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها اي وباله عماه وما انا
عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اي
مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا
ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية
وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا
الخ وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون
فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم
ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست اهل الكتاب ودرست اي قدمت هذه
الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على
البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسرها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز
الاضمار لاشتهارهم بالمدارسة ويجوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات
وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل وقوله تعالى لقوم يعلمون
متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد
ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما
حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه الصلاة والسلام بالثبات على ما هو عليه
وعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام
التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من اظهار
اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين مؤكد لايجاب الاتباع لاسيما
في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا بالالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل
بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على

ما يتم الكف عنهم ﴿ولو شاء الله﴾ أي عدم إشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ﴿ما أشركوا﴾ وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لا بمعنى أنه تعالى
يمنعه عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الإيمان وإصراره على الكفر
والجملة اعتراض مؤكد للإعراض وكذا قوله تعالى ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ أي رقيبا مهيمنا من قبلنا
تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم
وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل ﴿ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله﴾ أي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا ﴿فيسبوا
الله عدوا﴾ تجاوزا عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم ﴿بغير علم﴾ أي بجهالة بالله تعالى وبما يجب
أن يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا وروي أنهم قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا
أو لنهجون إلهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه تعالى وفيه دليل أن
الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك التزيين
القوي ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا أو تخذيلا ويجوز أن يراد
بكل أمة أمم الكفرة إذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ﴿ثم إلى ربهم﴾ مالك
أمرهم ﴿مرجعهم﴾ أي رجوعهم بالبعث بعد الموت ﴿فينبئهم﴾ من غير تأخير ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الإصرار على
السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة شريفة
مبنية على حكمة أنيقة وهي أن كل ما يظهر من هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة
مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور
تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن المحاسن
قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة
الأخرى بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها
الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر وقوله تعالى ﴿وأقسموا بالله﴾
روي أن قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني
فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها
طمعا في إيمانهم فهم عليه الصلاة والسلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى ﴿جهد أيمانهم﴾ مصدر في موضع الحال
أي أقسموا به تعالى جاهدين في أيمانهم ﴿لئن جاءتهم آية﴾ من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في
المكابرة والعناد وترامي أمورهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من
جنس الآيات ﴿ليؤمنن بها﴾ وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة
وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال ﴿قل إنما الآيات﴾
أي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا أوليا ﴿عند الله﴾ أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته
المبنية على الحكم البالغة لا تعلق لها ولا لشأن من شؤونها بقدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه
من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه
وبيان لعلو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها عن أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح وأما ما قيل من أن المعنى
إنما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها أو هو القادر عليها لا أنا حتى آتيكم بها

فلا مناسبة له بالمقام كيف لا ولم يقترحوا مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله
تعالى ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهته تعالى
لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون إما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في إسلامهم وإما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من
الهم بالدعاء وقد بين فيه أن أيمانهم فاجرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه وما استفهامية
إنكارية لكن لا على أن مرجع الإنكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الإشعار مع تحقق المشعر به في نفسه أي وأي شيء
يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها
طمعا في إيمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الإنكار إلى الإشعار
والمشعر به جميعا أي أي شيء يعلمكم إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في إيمانهم فيكون تخطئة لرأي المؤمنين
وقيل إن بمعنى لعل يقال ادخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك في لعلك كلها بمعنى لعل ويؤيده أنه قرئ لعلها
إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعر محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله
يزكى والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريره أي أي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت
لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ
إنها بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب
في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الإنكار إقدام المشركين على الأقسام
المذكورة مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾
عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق
فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها
عنه وإعراضها بالكلية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر وحسما لتوهم أن عدم
إيمانهم ناشئ عن تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ أي بما جاء من الآيات ﴿أول مرة﴾ أي
عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون
أي لا يؤمنون ولكن كفرا كائنا ككفرهم أول مرة وتوسيط تقليب الأفئدة والأبصار بينهما لأنه من تتمة عدم إيمانهم
﴿ونذرهم﴾ عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب
الأفئدة والأبصار معرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلبها الله سبحانه عن مقتضاها عن التوجه
نحوهم إليه واستعدادهم له بطريق الإجبار بل بأن يخليهم وشأنهم ويتركهم على ما هم فيه لفساد استعدادهم وتوجه
نفوسهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما أشير إليه
تعالى ﴿في طغيانهم﴾ متعلق بنذرهم وقوله تعالى ﴿يعمهون﴾ حال من ضمير المنصوب في نذرهم أي نتركهم في طغيانهم متحيرين
لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ يقلب ويذر بالياء على إسنادهما
إلى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾
تصريح بما أشعر به قوله تعالى وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة
إلى ما اقترحوه من الآيات
بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وآكده أي ولو أنا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه
ها هنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة
وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة ﴿وكلمهم الموتى﴾ وشهدوا بحقية الإيمان بعدما أحييناهم حسبما اقترحوه
بقولهم فأتوا بآبائنا ﴿وحشرنا عليهم كل شيء قبلا﴾ بضمتين وقرئ بسكون الباء أي كفلاء

بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو المناسب لقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء تتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان القبيل بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق فانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى له وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على ان مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته بناء على استحالة وقوعها كانه قيل وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الاية وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا من الاستثناء نفسه ولا ريب في ان ذلك يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون لان عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمنشأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له صلى الله عليه وسلم وما بنوا عليها من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل نبي سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك المكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بخلقه الله تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هو اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض اخر زخرف القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول

ليوحي

ليوحي لغرورهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم كافرون بها اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الاخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره والامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك المكاره اللذات ودون هذه الشهوات الالام وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الراي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود ومن اساقفة النصارى ليخبرونا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القران الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك

الى البعض

اي الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القران الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان
يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية
وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل انفا من علماء اليهود
والنصارى عالمون بحقيته وبنزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء
الى ما بينهما وبين القران من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من
الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما
نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول مما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى
الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون
فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر من التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا
الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه
عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما تشاهد منهم اثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي
على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القران او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله
تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب
لكل واحد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه
لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القران وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر
بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر
عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الاثار من الحكم وقرئ كلمات ربك
صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته
اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن
عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام
لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل
ما يتعلق به العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا
اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ
كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون اذ لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض
لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام
صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع
المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقايض تلك الكمالات من النقائص التي هي
الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه لكمال مباينة حالهم لما
يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بارائهم والمراد بمن في الارض الناس اي باكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض
ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها
لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم واراءهم
الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من الشرطية كانه قيل كيف يضلون
فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضلال

المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك يقتفيه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون
عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان
ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك ومناط الظنون
وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون
الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل عليه
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من
فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا
للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة
اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا
بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم
الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم
انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة عند ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى
او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استحلال ما
احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم
الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب
ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الخ جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا الخ اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض يحملكم على ان لا
تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ
فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التاخير في التلاوة فلا يوجب
التاخير في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم
اليه مما حرم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون اي من الكفرة بتحليل الحرام وتحريم
الحلال باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة مستند الى الوحي
ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من
اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهره تحريم متروك التسمية عمدا
كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام
ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما
ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي
عليه لا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم ابليس
وجنوده وايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس وايحاؤهم الى اوليائهم من قريش كتابهم الى
واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما تقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس
الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس او هو تمويههم بالتاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام او

او ساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد
اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير
المؤمنين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون
خائضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف فاعطيناه
الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه
والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما
بينهم من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد
بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر
لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي خارج منها وهذا كما ترى
مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام
وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على انه يدل لكل واحد من هذه المعاني ما يليق به
من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها
الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة على حدة فشبه
بها الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قد يتمشى برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة
وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر
المشبه كما في المثلين ونظايرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله • وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع • كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين من جهة الله عز وجل بطريق
الخلق عند اخذ الشياطين او من جهة الشياطين من جهة الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين لوساوس
الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون مما اشتروا واعلى عمله من فنون الكفر
والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق
وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل
معناه وكما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا
فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني في الظرف لغوا وهما الظرف واكابر على ان مجرميها
بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر
مجرميها مفعولاه الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق
عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم ويوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره
باخراجه مخرج المصدر التشبيهي والظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون لان المراد بهم اهل مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال
اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين
باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتأويل الفريق المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني
لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو
اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر المجرمين اي جعلناهم
متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر
فيها وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على

سبيل

سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون
حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك
اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين
بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل كما ذكر بان العظيمة المنقولة انما ذكرت عنهم لا عن
ساير المجرمين اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما
قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في انهم ما علقوا بايتاء ما اوتي الرسل
عليهم الصلاة والسلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر
منه على الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه الصلاة
والسلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته عن ظاهرها و يحمل
على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها
هو النبي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون الاية نازلة
من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبريل عليه السلام بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى
الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك
التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال تزاحمنا بني عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه
وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد
كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور
لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم
في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الخ غاية لعدم الرضى
لا لعدم الاتباع فانه مقدر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي
والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت
فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا صادقا
لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بكونها
من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا
الخ او كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فليست بحق وماله تعلق الايمان
بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى
ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية
توسعا لا باعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها
فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل
نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خواص عباده وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا استئناف
اخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم جرمانهم مما املوه والسين للتأكيد ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم
البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة

صدرت

تعد لهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الآخرة اذ في الدنيا بما كانوا يمكرون
اي بسبب تكريم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مرادهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه
اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور
يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى
دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه
الضلال لسوء اختياره اياه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان
وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما
يصعد ما هذه مهيئة لدخول كان على الجمل الفعلية في السماء شبه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا
يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه
كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ
به وقرئ يصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله
الرجس اي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون
اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان
واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك
اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم
ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى
وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون
ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه
وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل
الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او
ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
الصالحة او متوليهم بجزائها متولي ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية
وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم نحشر الثقلين
قائلا يا معشر الجن والانس اي ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او يوم نحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد معشر الشياطين قد استكثرتم من الانس
اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا
بطريق التقريع والتوبيخ وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما للبيان حيث
اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر
والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا
يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث
واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان
بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية كلامهم كانه قيل

فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين
فيها حال من مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما
استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان
الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم
يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح
لهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء
تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم
في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء
الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس في اضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم
اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في
الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر
والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق
بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم ياتكم رسل
اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي كل رسول كل واحد من الامم بل على ان ياتي كل امة رسول خاص بها
اي الم ياتكل كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم
لا على انه من جنس واحد للفريقين بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان
بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد
بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة
اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد صرح بذلك بالنسبة الى الثقلين في قوله تعالى وينذرونكم
بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا اي يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات
الهائلة قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد
فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم ومقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب واستحقاقهم
بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا الآية وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكاب القبائح
التي ارتكبوها والجاهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب اي اغتروا في الدنيا
بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واقدموا على جميع
ما اخبرتهم الى ان اداهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام
لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل الآية وفيه من تحذير
السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى اتيان الرسل على الكفر واستيجاب
العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ان لم يكن ربك مهلك القرى
بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم
متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم

ملابسة القرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضمير في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذ من معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبته جنايتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء العذاب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقرير في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكمل حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي والاخروي معا من غير انذار عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واحرى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي كذلك ايضا فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانذارهم وخبر المبتدا محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة متعينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فلا يخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب وعقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدا وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موضع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفته اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ اذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير المصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك

ذلك وانذركم في الحرب من كل مرصعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان فالمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم امر لما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يودي اليه وتسجيل بان المهدد لا يتاتى منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الا التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح مترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح اعمالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكى ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بان الله تعالى غني وما ذاك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها وقوله تعالى لله متعلق بجعلوا فانه كان في قوله تعالى مما ذرأ متعلقا به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه من الحرث والانعام نصيبا مفعول به الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعله لله تعالى فقط بدلا على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهي لغة فيه وفيما قدمه الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا بما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل لانه لم يقل به الثاني ولا يجوز ان يكون ذلك تنبيها على ان اتوا لهم هذا الذي مجرد زعم منهم لا يعلمون مقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه للشركاء لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى اذا وجدوه ازكى يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى وقرئ لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما محلها الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك اي ومثل ذلك التزيين

وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين
لكثير من المشركين قتل أولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم أي أولياؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين
أخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو قتل ونصب أولادهم ورفع شركائهم بإضمار
فعل دل عليه زين كأنه قيل زين لهم قتل أولادهم قيل ومن زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم أي ليهلكوهم
بالإغواء وليلبسوا عليهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن
يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة ولو شاء الله أي عدم
فعلهم ذلك ما فعلوه أي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو الشركاء التزيين أو الإرداء أو اللبس
أو الفريقان جميع ذلك على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة أي إذا كان
بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم أي وما يفترونه من الإفك فإن فيما شاء الله تعالى حكما بالغة إنما نملي لهم
ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم
هذه إشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر أنعام وحرث حجر أي حرام فعل بمعنى مفعول يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث وقرئ حجر
بالضم وبضمتين وحرج أي ضيق وأصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان
من الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أي
قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وأنعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه
أنعام الخ أي قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر
والسوائب والحوامي وأنعام أي وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لأنعام
لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره
كما في قوله تعالى وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على أحد التفاسير كأنه قيل وأنعام ذبحت
على الأصنام فإنها التي لا يذكر عليها اسم الله وإنما يذكر عليها اسم الأصنام وقيل لا يحجون عليها فإن الحج
لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء
من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن نتجوا ولا إن باعوا ولا إن حملوا افتراء عليه نصب على المصدر
إما على أن ما قالوه تقول على الله تعالى وإما على تقدير عامل من لفظه أي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا
أو بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا أي مفترين أو على
العلة أي للافتراء والجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون أي بسببه أو بدله وفي إبهام الجزاء من
التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الأنعام يعنون به أجنة البحائر
والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل إلى الاسمية أو للمبالغة أو لأن الخالصة مصدر
كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف المضاف أي ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة
والتذكير في قوله تعالى ومحرم على أزواجنا أي جنس أزواجنا وهن الإناث باعتبار اللفظ وفيه حمل النظم
الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ أولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك
وجعلنا على قلوبهم أكنة الخ ونظائره وأما العكس فقد قالوا إنه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك
حيا وهو الظاهر المعتاد وإن يكن ميتة أي إن ولدت ميتة فهم أي الذكور والإناث فيه أي فيما في بطون
الأنعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الأول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة
بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا

من الذكور لأنه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والإضافة إلى
الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر التحليل
والتحريم من قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب إنه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فإن الحكيم العليم
بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا أولادهم جواب قسم
محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر
أي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على أنه علة له أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله
هو الرازق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ سفهاء أو مصدر وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله منتصب على أحد الوجوه المذكورة وإظهار الاسم الجليل في موضع
الإضمار لإظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين إليه وإن
هدوا بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم والجملة اعتراض وعلى الأول
عطف على ضلوا وهو الذي أنشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل أنواع الأنعام أي هو
الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه
وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات أي أنشأهما مختلفا
أكله وقرئ أكله بسكون الكاف أي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزرع
داخل في حكمه أو للزرع والباقي مقيس عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة
إذ ليس كذلك وقت الإنشاء والزيتون والرمان أي أنشأهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب
على الحالية أي يتشابه بعض أفرادهما في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره أي من ثمر كل
واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله
تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار
لأنها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به
حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة
فيه ولا تسرفوا أي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه
شيئا إلى منزله لقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي إسرافهم ومن الأنعام
حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل
وهو عطف على مفعول أنشأ أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش
المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها كلوا
مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية أي كلوا بعضها مما رزقكم الله تعالى أي حلاله
وهذه تصريح بأن إنشاءها لأجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم المجازفين
في ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فإن ذلك منهم بإغوائه واستتباعه إياهم إنه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل
والمراد بها الأنواع الأربعة وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم
كل واحد من الذكر والأنثى وما في بطونها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا
قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما أو حال بمعنى مختلفة أو متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور
أنه مسوق لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولا إلى حمولة وفرش ثم تفصيلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل

الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكور والاناث كل ذلك
لتحرير المواد التي يقولونها عليه سبحانه وتعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو
العامل في من اي انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي وانشا من
المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ من المعزى وهذه
الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تاخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين
عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما
رزقكم الله حلالاً من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيل انواع الانعام التي انشاها اي قل تبكيتاً لهم
واظهاراً لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما
تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين بحرم وهو حرم عنهما بحسب المعنى وان
توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام ما حملت اناث النوعين من
ذكر كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم الخ تكرير للالزام وتنبيه للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم
من جهة الله تعالى من الكتاب واخبار الانبياء عليهم السلام يدل على انه حرم شيئاً مما ذكر او نبئوني ببينة مدة
بعلم صادر عنه ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف
على قوله تعالى من الضان اثنين اي وانشا من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكراً وانثى قل افحاماً
لهم في امر هذين النوعين ايضاً آلذكرين منهما حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك
النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه وتعالى حرم عليهم شيئاً من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل
ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله
سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول
التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال الذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام
الاناث لما في تكرير التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للانكار
كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بوجه الى آخر اي بل
كنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم
حينما يعود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا بالمشاهدة والسماع وفيه من توكيد عقولهم والتهكم بهم
ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن
لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم ممن
افتروا الخ ولا يقدح في الظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من
تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحاً الاظلمية دون المساواة كما مر غير
مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل افترى اي افترى عليه تعالى جاهلاً
بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذاناً
بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه
اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالاً من فاعل
يضل اي يضلهم ملتبساً بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كافة الى ما فيه صلاحهم

والغايات

عاجلاً وآجلاً واذ كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فماذا لدى من هو اقصى غاية فيه قل امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعاً بان يبين لهم ما حرم عليهم
في قوله لا اجد فيما اوحي الي اي لا اجد ايذاناً بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه
وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل فيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرماً صفة لمحذوف اي لا اجد
فيما تصفحت ما اوحي الي طعاماً محرماً من المطاعم التي حرموها على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى رد على قولهم ومحرم
على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء
لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دماً مسفوحاً عطف على ان مع ما في حيزه
اي الا وجود ميتة او دماً مسفوحاً اي مصبوباً كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه
اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقاً عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقاً لتوغله في الفسق
ويجوز ان يكون فسقاً مفعولاً له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون
فمن اضطر اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على
مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك
وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذ
حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار
كونه حقاً للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعاً فان التجاوز عن القدر الذي
يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية
لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره
ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا
على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين
والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ماله اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر
ظفراً مجازاً ولعل المسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهو
تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم كانوا
يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف
على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما
اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطه بالعظم عجب الذنب وقيل هو كل شحم
متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد
لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء
بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها
لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها
هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا

ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون أوضح بيان فإن كذبوك قيل الضمير لليهود
لأنهم أقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الأول إن كذبتك اليهود
في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم
بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين ما وقع منه تعالى
من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من أحكام
التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه
إمهال لا إهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه وقوله تعالى ولا يرد
بأسه الخ لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم
أصلا سيقول الذين أشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم وإخبار به قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما أخبر به كما يحكيه
قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله تعالى
لو شاء الله ما أشركنا أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا من الإشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من شيء أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب القبائح بإرادة الله تعالى إياها
منهم حتى ينتهض ذريعة لهم به دليلا للمعتزلة ألا يرى إلى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل ما
كذبك هؤلاء في أنه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف
آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا أي فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن أي ما تتبعون
في ذلك إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه
دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة أي البينة الواضحة
التي بلغت غاية المتانة أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد
كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
لم يشأ هداية الكل بل هداية الصادقين منهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى
خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم أي أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على
لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في صيغته وليس بشيء وأصله
عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة
بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم إلينا
الذين يشهدون أن الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يقتضي أنهم
شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فإن شهدوا بعدما حضروا بأن الله حرم هذا فلا تشهد
معهم أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله
تعالى وعدله بغيره فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة
كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله: إلى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم. فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم
يعدلون أي يجعلون له عدلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر
بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهي المذكور ذلك الجمع بل على أن أولئك جامعون لها متصفون

بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله تعالى ومشيئته
بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعدما
كلفوه مرة بعد أخرى عجزا بينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما تقتضي الحال بيانه على
الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا
أجد الآية وتعال أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم
كأن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز
بكل مطلب من غير مشقة أتل جواب الأمر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على أن ما موصولة والعائد
محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية
أي الآيات المشتملة على تحريمه أي حرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول
كأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء
بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير
كونه تعالى ربا لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في
قوله تعالى ألا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر
والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات
أيضا كذلك حتى يمنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك باعتبار لوازمها التي هي النواهي
المتعلقة بأضداد ما تعلقت به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو نهي عنه عند البعض كأن
الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع
بأن المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على أن التحريم راجع إلى أضدادها على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل
ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما من النهي المستتبع
له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب
به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر هاهنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها
النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف وعلى أن لا زائدة
وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل الذي عليه
التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا
نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك أو شيئا من الأشياء وبالوالدين أي وأحسنوا
بهما إحسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا أولادكم تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف
المتعلق بحقوق الوالدين أي ولا تقتلوا أولادكم بالوأد من إملاق أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق
وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم استئناف لتعليل النهي وإبطال
سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا
أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى
ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء هاهنا بصيغة الجمع قصدا إلى النهي عن أنواعها ولذلك
أبدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم
وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها
لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد
والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم الأولا

فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق العزل ذاك الوأد الخفي ومن ههنا تبين أن
حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها
الحربي وقوله تعالى إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم
بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم
الأسباب أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلا ما إلا
قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة ذلكم إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة وهو مبتدأ وقوله تعالى
وصاكم به أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة
على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم
تعقلون أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال
اليتيم توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله وإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء
أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو
ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ أشده فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه
قيل احفظوه حتى يكون بالغا رشيدا فحينئذ سلموه إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم
والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد كآنك وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط أي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو
اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه
معفو عنكم وإذا قلتم قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان أي المقول له أو عليه ذا
قربى أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله أوفوا
أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه
من الأيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم
به أمركم به أمرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال
أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع
الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار
والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل الآيات وأن هذا صراطي
إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه السلام مستمر على العمل بما دعا إليها
وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل أن مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي
مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه
السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث إن سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق إلى
الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن هذا
مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك
ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة وطرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف إحدى التاءين والباء
للتعدية أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة
على الاستصحاب أبلغ من أذهبه عن سبيله أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي

ذكر فيه بعض أحكامه واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه الصلاة والسلام عين سبيل الله تعالى
ذلكم إشارة إلى ما مر من اتباع سائر الرسل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة
ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر
إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه
فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أو لم يهد الخ كأنه قيل
يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم الخ وأما عطفه على وصاكم به ونظمه معه في سلك مقول الكلام الملقن كما
أجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فثم للتراخي في الأخبار كما في قولك بلغني ما صنعت
اليوم ثم ما صنعت بالأمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا
آتينا موسى التوراة فإن إيتاءها مشتمل على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من الوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة
أي تماما لها على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد على الذي أحسن أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه
قرئ على الذين أحسنوا وتماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام وتماما على ما أحسنه
موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي
على الذي هو أحسن دين وأرضاه وآتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية
كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل المدلول عليهم
بذكر موسى وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالعذاب والثواب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه
أي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى أنزلناه مبارك أي كثير المنافع دينا ودنيا
صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران لاسم الإشارة
أي أنزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى
فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا
للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي اعملوا بما فيه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
والعمل بموجبه أن تقولوا علة لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول
بأجنبي هو مبارك وصفا كان أو خبرا أي أنزلناه كراهة أن تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله إنما أنزل الكتاب
الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى وتخصيص
الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة
وإن كنا إن هي المخففة من أن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم
من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم لم تعملوا بأحكامه العامة أي وأنه كنا عن دراستهم لغافلين
لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلا علينا
وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة
الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط
أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من الخطاب في فاتبعوا واتقوا لو أنا أنزل
علينا الكتاب كما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه
من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص

القام

والاخبار والخطوة والاشعار ظرفا صالحا ونحن اميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبي عنه الفصيحة اما معللا به اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرطا له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم واي بينة اي حجة واضحة متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه من الدلالة على فضلها الاضافي الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن مرتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آياته تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب لغاية كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تاتيهم ملائكة العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي او ياتي بعض آيات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث المشهور حيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعلق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهر هذا اجمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها واستخبر لان النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم

نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل آيات القيامة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمالها على كل مؤمن وكافر مما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة ثم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلى يوم ياتي بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي يدور عليه فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول ليتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعدها لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان كونه بالغيب لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضمير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمراد بالترديد على النفي المفيد لكفاية احدى النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا او من ضرورته اشتراط النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ بتحقق الامرين الا الايمان المقدم والخير المكسوب منه معا معنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا انه النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم عن المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال الذي ليس بناهض لان صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المقيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث كما قيل ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين تحديد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكيتهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه لما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الايمان مستقل في ايجاب الخلود في النار فلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لانه قياس مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا تصور فيه بعد العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتبة على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما تقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واما ما للكفرة مما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم فبيان ان كل ذلك لغو بحت لبنائها على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى مثل الذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من

في ايجابها عنده وليس كذلك والا تكفي في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث صح

النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة
وذلك أن تعول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدم بين التعريض بحال الكفرة في تردهم وتفريطهم في كل
واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطا بالآخر كما في قوله عز وعلا فلا صدق ولا صلى
تسجيلا لكمال طغيانهم وإيذانا بتضاعيف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة
كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة
أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفسا
إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه خيرا وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون
المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وقد يترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه
كما في تفسير قوله عز وعلا ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فإنه قد طوى في المفصل
ذكر حشر المؤمنين ثقة بإنباء التفصيل عنه أعني قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدر ههنا
ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس مما وعدوه وعلقوه
بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعض
ما أصابهم من الدواهي مما أصابهم بقاء على السلامة وزمانا يأتي منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال
بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه أخر فصار ذلك أثرها إسقاط الآية
الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية والمتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل
في الإنجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من أن الظني بمعزل عن معارضة القطعي قل بعد بيان
حقيقة الحال على وجه التهديد لهم انتظروا ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لنرى
أي شيء تنتظرون إنا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأكيد لكون المراد بما ينتظرونه
إتيان الملائكة للعذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله
سبحانه أعلم إن الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين أي بددوه
وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا أي باينوا فإن ترك بعضه وإن كان بعض آخر
بأخذ منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا أي فرقا تشيع كل فرقة إماما لها قال عليه الصلاة
والسلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث

وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة صح

وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من فرق
أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب
دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من [illegible] البحث عن تفرقهم والتعرض لما يعاصرك منهم
بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة وإظهار شرائع الدين الحق الذي أمرت
بالدعوة إليه فيكون منسوخا بآية السيف قوله تعالى إنما أمرهم إلى الله تعليل للمذكور أي هو يتولى
وحده أمر أولهم وآخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر
بقتالهم إذا أراد وقيل المفرقون أهل البدع والأهواء الزائغة من هذه الأمة ويرده أنه عليه السلام ما أمر
بمؤاخذتهم والاعتذار بأن معنى لست منهم في شيء حينئذ أنت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل
المذكور ثم ينبئهم أي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن إظهاره بالتنبيه لما بينهما من الملابسة في أنهما
سببان للعلم تنبيها على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أي يظهر لهم على رؤوس الأشهاد
ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها استئناف مبين لمقادير أجزية العاملين وقد صدر ببيان أجزية المحسنين
المدلول عليهم بذكر أضدادهم قال عطاء وابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر
حسنات أي من جاء يوم القيمة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ لا حسنة بغير إيمان فله عشر حسنات أمثالها فضلا
من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين أمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص
ومن جاء بالسيئة أي بالأعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق
لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لمزيد
تشريفه أي قل لأولئك المفرقين أرشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية إلى صراط
مستقيم موصل إلى الحق وقوله تعالى دينا بدل من إلى صراط فإن محله النصب كما في قوله تعالى ويهديكم صراطا
مستقيما أو مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فأعل
لإعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة وإن
كان هو أبلغ منه باعتبار الصيغة ملة إبراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من إبراهيم أي مائلا عن الأديان
الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون
لدينهم من عقد وعمل أي ما كان منهم في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون أنهم
على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم
المسيح ابن الله قل إن صلاتي ونسكي أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها أي
عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي
ومماتي أي وما أنا عليه في حياتي وأكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة أو طاعات الحيوة والخيرات
المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين
لا شريك له خالصة لله لا أشرك فيها غيره وبذلك إشارة إلى الإخلاص وما فيه من معنى البعد للإشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل أي بذلك الإخلاص أمرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وأنا أول المسلمين
لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وإن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمور به لبين
يقتدي به عليه السلام من أسلم منهم قل أغير الله أبغي ربا إلخ فأشركه في العبادة وهو رب كل شيء
جملة حالية مؤكدة للإنكار أي والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور أن يكون شريكا له في المعبودية
ولا تكسب كل نفس إلا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم
من الخطايا لا عليكم وإما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أي لا تكون
جناية نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى رد له بالمعنى الثاني أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم ثم إلى
ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أي إلى مالك أمركم رجوعكم
يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف
الأرض من حيث خلفتم الأمم السالفة أو يخلف بعضكم بعضا أو جعلكم خلفاء الله تعالى في أرضه تتصرفون فيها
على أن الخطاب عام ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم
من المال والجاه أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده إن ربك تجريد الخطا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام
سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل ات قريب او سريع
التمام عند ارادته تعالى لتعاليه عن استعمال المبادي والالات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل
خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية
على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها مما لا
يخفى [illegible] الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف
ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد
كل اية من سورة الانعام يوما وليلة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الاعراف مائتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة
فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به
والتقدير وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة
اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما
باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف
هو ما ينبي عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به
اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني بانه لجلالة محله بينا
كونه فردا من افراد الكتب الالهية حايز الكمال لاقتحمته هاوقد جوز كونه خبرا والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب
وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد
بالتسمية قبل حقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا
للاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في قوله جل ذكره بعد ما انزل
اليك من ربك ونظايره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل عليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان
انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه
مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل
اعتراؤها اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة
في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن
يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره او
بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا تكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى
فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول
اليقين به قطعا واما على الثاني فهو لترتب ما ذكر على الاخبار لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج
مع ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهي
عن الشك مما يوهم امكان صدور المنهي عنه واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام
سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن المسبب نهي عن السبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة

كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب
مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته
اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك وان تتعرض في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف
تكذيب قومه واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة
بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال
الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل
وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان يورد الشك مع الانزال
للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا
انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير
الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام
مشعر بان المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا بل من الانذار فان ذلك معظم
غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتاتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه
شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار فعله معطوفا
على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا والجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب
او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر
المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة
المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار و
التذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه الصلاة والسلام اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لوجوب اتباعه
وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره
في الصلة والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لمزيد اللطف بهم وترغيبهم في الامتثال لما
امروا به وتاكيد لوجوبه [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تتبعوا من دونه اولياء [illegible]
[illegible]
[illegible] اولياء [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تتبعوا [illegible]
وقوله تعالى قليلا ما تذكرون [illegible]
[illegible]

المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى القيد والمقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد
تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم مما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم
عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتدا كما في
قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة اي اردنا اهلاكها فجاءها
اي فجا اهلها باسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم
قائلون عطف عليه اي قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة
على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف استعيرت للوصل لا اكتفا بالضمير
كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة
والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واروع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصف
البيات والقيلولة مع ان المهلكين بعض منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم
اي دعاؤهم واستغاثتهم بهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا
امارته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا
عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي
اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه داخلا في التهويل والفا لترتيب
الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين
ولنسألن الذين ارسل اليهم المرسلين عما اجيبوا قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد
بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام
او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم بعلم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا
انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلوماتهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من احوالهم واعمالهم والجملة حال او
مقررة لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتدا
وقوله تعالى الحق صفته اي الوزن الحق ثابت يومئذ اي يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل
ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحايف الاعمال
هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم
فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبيا والملائكة والاشهاد وكانت في صحائفهم فيقروها
في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة
وقيل الوزن عبارة عن القضا السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
بنا على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل
الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها
لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصورة عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور عرضية
تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور
بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى

ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات
الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على
صورة قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه
تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال لبعض لخصوصيات راجعة الى ذوات
تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال
يومئذ ويظهر جميع الاشيا بحقايقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع
عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا
بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف
ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او
جمع موزون على ان المراد به ماله وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخر اي فمن رجحت
موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي لها قدر حسنة وعن الحسن البصري حق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل
وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية
باعتبار معناه كما ان جمع الموازين كذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة او
اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اي من توزن اعماله او اعماله
التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة
القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة
السليمة التي فطروا عليها واهلكوها بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا
وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه عليه للقصر والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين
الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الارض تذكير لاهل
مكة بما لاتباع اليه ونظائرهم على اتباع غيره وخاتمة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد
في الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب
جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش
جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوسل به الى ذلك والوجه في قراءته اخلاص
الياء وعن نافع انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشانا وابدعنا لمصالحكم
ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو
تاخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق
الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم مما ينبئ عن منفعة للسامع تبقى مترقبة
لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الوروده فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما ان المنبئ عما ذكر من المنفعة
بشانه اهم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه
مستقر قدم على الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل واما محذوف وقع حالا من المفعول الاول كما مر

قانت خبر انه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم في الارض وقوله تعالى قليلا ما
تشكرون اي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله
تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام
سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها فائضة على المخاطبين
بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية
الترتيب الوقوعي ربما يؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم
وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد خلق آدم
عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم
حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود
الملائكة له بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته
فكانهم الذي تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير
واحسن تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام
وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة
البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم هاهنا تقتضي تراخيه عن
التصوير من غير تعرض لما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك بعد ظهور فضل آدم عليه السلام
بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية
ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق
عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام
ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر
المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا والقي
اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك
ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما
شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في
بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة
ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله
تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى
اذ يختصمون اي بكلامهم عند الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم
ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن
قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من
الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملا
وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من
البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود

باحدي

باحدى الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم فسجدوا اي الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا
ابليس استثناء واحد منهم لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في
فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة
وقوله تعالى لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من
الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون
متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم
سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه
المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك
الا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك ظرف لا تسجد وفيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا
تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل
على ان اللعين قد وبخ في معصية واحدة بثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
في سلك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر
عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في
التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة
الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال
اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق
الاستئناف شيئا من الاستلزام منعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شأنه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه
فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وهو
اول من استن بنيان الكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة
الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة
الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وانه له خواص ليست لغيره وفيه
دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الشياطين الى النار باعتبار
الجزء الغالب قال استئناف كما سبق والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة
الامر وتعليله بالاباطيل اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها فانه
ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم
هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم
عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا وتكون وسوسته على الوجه الاول
بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ان تتكبر فيها ولا
يليق بشأنك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر
فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه دليل على ان
التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر

بالخروج بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر رضي الله تعالى عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدى طوره وهصه الله الى الارض قال استيناف كامر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعدما سمع هذا الطرد المؤبد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية اراد ليجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استيناف كما سلف انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به تحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول وقد ترك التوقيت للاجمال ثقة بما وقع في سورة الحجر وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك لسقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عنه الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية بمجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سبقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال الناشئ من الغفلة عما يجب توفير مقتضاه موافقا لمقتضى الحكاية فهو في كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو مع تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع اقتضائها

الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا التي يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما سلف فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى قال الامام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو طريق الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استيناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذءوما اي مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسئول وكمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما سبق في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان المراد كما حقيقا بين الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له ولتعلق النهي بهما معا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما

من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل عن الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اقسم بالله انك لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فانزلهما عن الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهم العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في اي شجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما واي اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول القول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب في مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فانزل وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما على ما هو عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئناف كما مر اي ذا اهبطوا خطابا لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في ساير المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف للايذان ببعد ما بعده عما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وفي قوله تعالى قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله ءاسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى يواري سوآتكم التي قصد ابليس

ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك قد روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عريا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا لباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير او خير وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم كرر النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع للتسبب لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استئناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جمع قبيله من جملته اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ان سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اي تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فح يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة له فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلتموها فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قوله تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه تعالى مع انهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لا يعلم صدوره عنه اليه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فا اسناد اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوا امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم اي وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها واقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين

لدى الذين اي الطاقة فان مصيركم اليه بالاجزه كما بدأكم اي انشأكم ابتداء تعودون اي باعادته فيجازيكم على
اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه وتحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم والفارق
وان تحمله على التقصير في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد اي لطواف
او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا
واشربوا مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم وهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
قال علي بن الحسين وقد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ
بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم
يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما
يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم
بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي
مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم
الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون يعم غيره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب
لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى
المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى
الجمعية كانه قيل اذا جاء اجلهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر
فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاء اجلها الخاص بها
لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون
اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون
عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء
التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات الى قوله ولا
الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك
من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن
التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس كذلك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لان المقصود
بالذات عدم خلاصهم من العذاب واما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في

الذكر فلا ان المراد هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون والامم هناك بيانا لانتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له
الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم
الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل
اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية
وقعت جوابا للشرط فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكذا قوله تعالى
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم
بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء ولا
عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او كذب بآياته او تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر
تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه
من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم
من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن لابتداء الغاية
متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب في سواد الوجه
وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم
اي حال كونهم متوفين لارواحهم ويؤيد الاول فانه حتى وان كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها
فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين فانهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة العذاب
ناد لكن لهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت
موصولة بأين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا ندري مكانهم وشهدوا
على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة
اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي كل ذلك الزمان بقاء وانكار حدوثه
في اوله تقطا وقصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه
السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى
بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيامة بالذات او بواسطة
الملائكة ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني
كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السالفة والخالفة
فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت
اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف
اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم ولكل فريق
من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم لاخراهم اي مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم
علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب

فذوقوا العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها
واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يقبل ادعيتهم واعمالهم
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالياء وقرئ على البناء للفاعل
ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقب الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج
في سم الابرة في الاستبعاد وقرئ الجمل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط
وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس
المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تحتهم
ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على البناء
المحذوفة كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم
بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين
وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين
آمنوا بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال
الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط
بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم
بيان سهولة مناله وتيسير تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر
للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة
لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبرا لاولئك على راي من جوزه وفيها متعلق
بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم
الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم
والعامل فيها معنى الاضافة واما العامل في المضاف اي حال من فاعل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن
صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب
الاعلى ولمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا الله واللام لتاكيد النفي وجواب لولا
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول لنهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم
كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي بغير واو على انها مبينة ومقررة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام
والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل
اي والله لقد جاؤوا بالحق او لقد جاؤوا متلبسين بالحق ونودوا اي ناداهم الملائكة ان تلكم الجنة اي مفسرة لما في
النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند
رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها الجنة التي وعدوها
في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم
والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم او شماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم

او للاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف في الخطاب عند الوعد
وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم
قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة
فيه فاذن مؤذن بينهم قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة
وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء الاذن مجرى قال الذين يصدون عن
سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عنه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان
يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا
وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين
الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى
الاعراف رجال اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس
وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين
الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء
من المؤمنين او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي
اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام
عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها وهم يطمعون حال
كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم
باصحاب النار بالصرف اشعارا بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل الثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى
من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب
وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه
من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار
حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا
بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم
او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول
الحق او على الحق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا
ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون انهم صراحا لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف
عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اي قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا
وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المعهودين
لان هذه المقالات وما يتفرع هي عليه من المعرفة لا تليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار
اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فوق النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة فيراد بالافاضة عبارة

عن الاعطاء بكرمه قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل لهم اليهما قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة و
التصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم
الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننسيهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم
وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على
انه نعت لمصدر محذوف اي ننسيهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا
له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله
تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ و[illegible]
للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس والضمائر منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلناه اي
بوجه تفصيله حين كان حكما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه على سائر الكتب عالمين بفضله
هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون
الا تاويله اي ما ينتظرون بعدم ايمانهم الا الكفرة بعد ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه بظهور ما
اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك الناسي
من قبل اتيانه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى
الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم
شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع
اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر
والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله
تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في
بيان مبدا الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية
في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار
للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير
تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع
النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه
حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او
حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن
حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد
للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد
في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو
الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك
ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام

السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال
واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما هو من جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك
عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امر ان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الخفية دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في
الدعاء دخولا اوليا وقد نبه على ان الداعي يجب عليه ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى
السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمعا نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين
في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم
او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيق
والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان
المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ
الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين
يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه
لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه
او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
بتاويل المذكور وكذا قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد
فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من
غير شبهة والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث كالحرة والسبخة
لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا
وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف نصرف
الايات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كالتمثيل

مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرايع التي هي ما حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم
آثارها وتدعيم لذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى
قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة
للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لامك بن متوشلخ بن
اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين سنة
من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعوهم تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم
اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك
فليست من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة
المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتدا او الفاعلية وقرئ بالجر
باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثنا وحكمه حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك
ما في الدار احد الا زيدا او غير زيد ومن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي
ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرتكم به عذاب يوم عظيم
هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي
اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه استيناف مبني
على سؤال نشا من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له في مقابلة نصحه فقيل قال الروسا
من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم وهيبتهم والابصار بجمالهم واتباعهم انا لنراك
في ضلال مبين اي ذهاب عن الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا
قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من
الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له
عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له
لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية فان رسالة رب العالمين
العائدة ومن لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف
مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي
حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها وتنوع معانيها او لان المراد بها
ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم الصلاة والسلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه الصلاة والسلام
بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له
عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين
لكيفية ادا الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم
ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه
السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته
القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه فان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم

حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر
اي وحي او موعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا
على رسلك فانهم لاجل ذلك ما قالوا من ان الله تعالى لو شاء الله لانزل ملائكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم
عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة
الثانية مترتبة عليها ولعلكم اي ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة
المطلب وان التقوى عنه غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه
ولا يامن عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه
اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك في هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه السلام عليهم الدعوة
مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا والمراد بالتكذيب
هو الذي بعده الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا
اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق
بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك او صحبوه او بفعل الانجاء اي انجيناهم ويجوز ان يتعلق بمحذوف
وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس
المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على
الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي
يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما
عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على القرار والثبات والى
عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه الصلاة والسلام وهو الناصب لقوله
تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وقيل
العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والى عاد على الى قومه والاول هو الاولى وايا ما كان فلعل
تقديم المجرور هاهنا على المفعول الصريح للحذر عن الاضمار قبل الذكر كما في قوله
تعالى ولوطا الخ كان قومه لما لم يكن لهم اسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما في
قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله
تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عليهم الصلاة والسلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام ابن عم ابي عاد
وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف مبني على
سؤال نشا من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
وحده كما يعرب عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها
والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع
صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب
الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او
اتغفلون فلا تتقون والتوبيخ على المعطوفين معا وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم
بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر هاهنا ما ذكر من قوله فا

ان انتم الا مفترون وبنى على ذلك الحال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظرائهم في سائر القصص
لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملأ الذين كفروا من قومه استئناف
كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان
يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به بمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا
حيث فارقت دين آبائك الا انهم من السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من
الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم
مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي
شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه
مع كونه في الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين
موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم
يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك من الاستدلال الغاية الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى
ابلغكم رسالات ربي استئناف كما سبق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول
والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالة كالذي
في قصة نوح عليه السلام ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور
بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم
حوله شائبة السفاهة والكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه
السلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى
تنسبوني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من نسبهم الى ما لا خير
فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة
والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء
شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية
دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات لما
في ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة
بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم
واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد
ابن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس
بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم
مائة ذراع وقامة القصير ستون ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها
وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى
النجاة من المكروه والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه
بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض
عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام
من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني
من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى الا تتقون ان
كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجوابه محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال

قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل بامراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله
من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة
الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى
المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني
في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه
السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسماء سميتموها آلهة
ليس تحتها مسمى اصلا من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من
اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله
تعالى ما نزل الله بها من سلطان اذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقيق لبطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب
على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا الخ اني معكم من المنتظرين
لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين
معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم
الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك
قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر
والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم
حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل
بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد
ابن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم
واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلما رأى طول
مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه
وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم
به لا يدرون من قاله فقال معاوية
ألا يا قيل ويحك قم فهينم ° لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ° قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم
فاستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء
وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما

ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا مواخوله في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادي القرى اخاهم صالحا عليه السلام اي من جهة
النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله
عليه السلام اليهم مظنة بان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظايره قد جاتكم بينة اية ومعجزة ظاهرة هذه شاهدة
بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغنا عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع
كالصالحة افرادا وجمعا ولذلك كانت الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء
والشدة والبلاء اولتا العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا
والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله
بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله تعالى
هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم
في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخا من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث
الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم
لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح
نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة
منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفا وبرا والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن
فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفا وبرا كما وصفوا لا يعلم
ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع
من اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فاذا كان يومها وضعت راسها في البير فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تملؤوا اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتو ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا
لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قاره فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون
غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما راوا الايات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع
الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السما ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم
فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم
الجليل لتعظيمها او لمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت اية واي
اية ولكم بيان لمن هي اية له وانتصاب اية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان تكون ناقة الله

بدلا

بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا ولكم خبرا عاملا في اية فذروها تفريع على كونها اية من ايات الله
تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تاكل في ارض الله جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله
فاتركوها تاكل ما تاكل في ارضه فليس لكم ان تحولوا بينه وبينها وقرئ تاكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة
فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفا عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر
ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة للنهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها
ولا تريبوها اكراما لاية الله تعالى فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على
هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي
اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال قال قاتلك واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبواكم في الارض اي جعل لكم فيها مباءة
ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون
في سهولها قصورا رفيعة وتبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وتنحتون الجبال
بيوتا اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت
نجر الشي الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول
خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية
ويجوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتا فاذكروا الاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر وجميع الايات التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان حق الاية تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد
قال الملا الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استينافا كما سلف وقرئ بالواو عطفا
على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى
لمن امن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه او بدل البعض
ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه
الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين
اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه
بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم
او نعلم انه مرسل من ربه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي
تنبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسال عنه وانما الحقيق
بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا
بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي امنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما
ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند الفعل
الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله كلهم وفيه من تهويل
الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق
التعجيز والالزام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم قطعا

تذكر

ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلثة حسبما مر
تفصيله فاصبحوا في دارهم جاثمين هامدين لا حراك بهم واصل الجثوم القعود ولا ينبسون بنبسة قال ابو
عبيد الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم
انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به بالذات وكونهم جاثمين فيها
تابع له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة
كانت من السما فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى
عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا
تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اي شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام
بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه
السلام لعلاماته تولي ذاهبا عنهم منكرا لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا
ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا
فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب
بفعل مضمر معطوف على ما سبق واما تقدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المبعوث حسبما وقع فيما سبق وفيما
تقدم ويجي قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابرهيم عليهما السلام
كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابرهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين فانزل لوطا الاردن وهي كورة
بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو موضع بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي
ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله اليهم
لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوط بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله
عليه السلام لقومه اتاتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتنا
هية في القبح المتمادية في الشر والسوء ما سبقكم بها اي ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله
عليه الصلاة والسلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى
من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق ومن في قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستا
نفة سوقت لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى
عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من
غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او سوقت جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا ناتيها فقيل سائلا للعلة
واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر
على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم
فعرض ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلما
نا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلونه لذلك الا بالغربا وقال الكلبي اول من عمل
بهم ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم
لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد

ايضا

ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتوبيخ تشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام زيادة تقبيح وتقريع كان
ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما
مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية
الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقا النوع لا قضا الشهوة ويجوز ان
يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبي عنه قوله تعالى
من دون النسا اي متجاوزين النسا اللاتي هن محال الاشتها كما ينبي عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكابها وارتكاب امثالها وهي اعتيا
د الاسراف في كل شي او عن الانكار اليها الى الذم على جميع معاصيهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم
عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر منهم والنبي المتصدين للعقد
والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثنا مفرغ من اعم الاشيا اي ما كانوا جوابا من جهة قومه شيا من
الاشيا الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا
ومن معه من اهله المومنين من قريتكم اي لا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام
وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو الاظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان
الاعراف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم في المرة بصدد الجواب عن مقالات لوط
عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في
المرة الاخيرة من مرات المحاورة الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر
عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة
بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزا
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار
والدعار فانجيناه واهله المومنين منهم الا امراته استثنا من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت
من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون
للفاحشة والجملة استينافية وقعت جوابا عن سؤال نشا من استثنائها من حكم الانجا كانه قيل فماذا كان حالها
فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب
والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف
بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين خطاب لمن يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا
عطف على قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي هنا ما روعي فيما عطف عليه من تقديم المجرور
على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل
شعيب بن ثويب بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا عليهم السلام لحسن مراجعته لقومه وكانوا اهل بخس
للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم
فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة من ربكم
متعلق بجاتكم او بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الاضافية

اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم وهما للامور كم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر
اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه
ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرة
السبع كان كل ذلك قبل ان ينبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم
ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل
اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا
كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على
اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه
ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي يشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير
افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرتم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا
او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في
معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل
طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
لا يفتننك عن دينك ويتوعدون من آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي
قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او
الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال
الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا
اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من الاعوجاج
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به ولم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا
معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال
كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال الاشراف من قومه المستكبرين
متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة بل بالغين من العتو
والاستكبار الى ان تصدوا لاستتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤوا على اكراههم عليه بتوعد
النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا نسبة الاخراج
اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه
كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين
لزيادة التقرير بالتهديد الناشئ عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا
لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم

ما لكم والحيف ٤

والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاخراج لمحض العتو والاعنات كما يفصح
عنه قوم بعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخاله عليه
السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الواحد على الجماعة
وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج
باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استئناف كما سبق اي قال عليه السلام
رادا لمقالتهم الباطلة ومكذبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار
الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله والواو
قد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب
قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال
مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته وانتفائه
معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق
مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة
الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل
الاجمال وهذا الاجمال ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل
لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره و
فيما نحن فيه نوع خفاء لتغيره بورود الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس
انكاره لقوله وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي فان المقصود الاصلي انكاره لقوله من
حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقرير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وانما في خبر لو لا يقصد استبعاد
في نفسه لقصد الاشعار بانه امر مقرر لانه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود
ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم
لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء حتى يقال انها
معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا
للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية فانهم كانوا يستبعدون وهم يظنون انهم
يختارون العود خشية الاخراج اذ ليس مكروه يختارونه بجانب حلول الاخراج الذي هو ادهى منه واقطع والتقدير العود
فيها لو لم نكن كارهين غير سائلين بالاكراه والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما
اشير اليه اذ المراد العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة [illegible]
من العود على حالة كانت غيرها اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود وكرها
لها دليلا تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر [illegible] ذكر الاول اغنى لان العود الذي
تعلق به الانكار حيث تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى قلت ان النفي
المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هو الحكم الذي
بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما
نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من النفي المقدر الذي يقتضيه الكلام السابق واعني قولهم واما الاستفهام
خارج عنه وارد عليه لابطال ما يستفاد منه ونفي ما يقتضيه لانه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين
النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى

وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انه لو
قيل مكان نعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا لان مدلوله الاول نفي العود المقيد بحال
الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفي الفعل وينفيه وما ذكر بعده يرجع
اليه من حيث هو منفي واما الاستفهام فانما يباشر الفعل بما بعده لما انه داخل عليه لا على الانكار والنفي ليس بمدلوله
وضعيه لانه حرف النفي حين يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي
بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من توابعه ودواعي انكاره و نفيه
حتما لكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع
الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكان حال
الكراهة عند كونها قيدا لنفي العود لذلك هي مغنيا عن سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة
مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيد النفيه في حال الكراهة استفهام الاول لافادته نفي
العود في الحالين مع الاقتصار على ما ذكر هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على
الوجه الاول المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوف فان معناه حينئذ يصح ان يقال لا نعود
فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في
نفسه لان معنى احدهما غير معنى الاخر ومتلازمان يستقيمان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول نفي العود في
الحالين ومدلول الثاني ان العود في الحالين منتف وكلا المعنيين صحيح لنفي العود في الحالين مع الاقتصار على
ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي
هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا
على الله كذبا عظيما حيث نزعم ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل
وان ما انتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام والله لقد افترينا الخ
وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء
الله اي الا حال مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض
لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا
الله منها فان تنجيته لا يلائم عدم مشيئته تعالى ايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع
بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما
كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال العباد وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم
فمحال من لطفه تعالى ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى
على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال
على الله بالدعاء بفصل ما بينهم وبينه بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ
ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم
حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر

كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر بعدما شاهدوا صلابة شعيب
عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا
لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي اي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين اباءكم انكم
اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف
واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة
اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى
البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين
لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق
لنخرجنك والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ وخبره قوله تعالى كان لم يغنوا
فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين
من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف اخر
لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخر واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر
في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا
هم الخاسرين للدين والدنيا لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام
كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا
قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا
اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين
وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا
ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ
من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين
اما بتقدير قد كما في هذه الاية او بمقارنته كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية
من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا اخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه
بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يتضرعون اي كي
يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فاخذناهم بالبأساء والضراء ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية
المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وبطرتهم النعمة وقالوا
غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس اباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما
هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة
ترتب عليهما ولعل تاخير السراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة ترتب عليهما ولعل تاخير
للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيهما فاخذناهم بالبأساء اثر ذلك بغتة فجأة اشد الاخذ وافظعه

وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطر ببالهم شيء من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس
المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه بمعنى من الاخذ واتمام الاخذ
اهلاك كدأب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله في قرية وقيل هي مكة وما
حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا امنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين
بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي واتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء
ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله
عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب مكان ما اصابهم مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها
من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم
يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي
التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن القحط
والجدب كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة
على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اصابهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة
منهم اصابهم باس خاص لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه
كما قال ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما
اعتراض توسط للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم
باسنا بياتا اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى انكار بعد
انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل او امن اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى
وهم يلعبون وقرئ بسكون الواو وعلى الترديد ان يأتيهم باسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا
ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون افامنوا مكر الله
تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد
به اتيان باسه تعالى في الوقتين المذكورين واما الثاني فرتبة الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في
الآيات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم
والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعديه فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم
تفعل الهداية لهم واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو جملة الشرطية اي
اولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة والجملة مفعول ونطبع على قلوبهم عطف على ما نفهم من قوله تعالى اولم
يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل ونقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون
اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاعتبار بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة
مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبهة على غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما
اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى
نقص عليك من انبائها خبر وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها

التي

التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة
كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها
والمقصود شان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية اهلاكهم
بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول
وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا
من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة
له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي بين الرسل وضمير الامم والجملة
مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص
بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان
حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار
ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود
ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك
الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم
وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي ومما اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم
من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما يحصل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعله صلة للموصول
وانما جعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعله صلة ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان
عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو
كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع
الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر ولا
كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ كما اشير اليه بتكذيبهم قبل مجيئهم فلابد من جعل الموصول المذكور عبارة عن
اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثرا ذي اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها
مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث
لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل امة من تلك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها
ثم كانت حالهم بعد مجيء رسلهم كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان
ذكرا من الاصول لظهور حال الباقي في دلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا
يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب انما
هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر
ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع
وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذبت به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف
وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل
بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء
وهو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب

الكافرين اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسامعين وفي اظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس الباساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عاهد الله تعالى عليه من الايمان بالايمان والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ وقيل الاول كذلك ايضا وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه عليه السلام متلبسا باياتنا او بعثناه بعثا متلبسا بها وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما ياتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها وبهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الاتري الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مستانف مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اي اليك من رب العالمين على الوجه الذي بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالتباس كما في قول من قال • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر • او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وقع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق

ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه الصلاة والسلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعدما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى الايات وقوله تعالى وما رب العالمين الايات وقد طوي ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بالافعال وفيه المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل فيه مصر واليوم الذي دخل فيه موسى عليه السلام اربعمائة سنة والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت باية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهارها لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار تعجبا من امرها وذلك ما روي انه اري فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظر لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون هم الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا تامرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تامرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخر واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الايات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجاه وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكانوا رؤسا السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا وقد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام ياتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا

استئناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين
بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا
لا بد لنا من اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد
تعيين شرط ثبوت الاجر لا في ترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين
لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم
الاجر وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي واخر من
يخرج منه قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى
عليه السلام يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء
اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة فانه لا يختلف حالهم بالتقدم والتأخر
ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد ضمير
المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا
اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا
هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الخ وانما حذفت للايذان بمسارعة
موسى عليه السلام للالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة
المضارع لاستحضار صورة التلقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة
والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهو بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملء
الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام
العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي ثبت
لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه
هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو
الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كأنما القاهم ملق
لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا
الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى
من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة اما على
الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين
معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير اذن لكم كما في قوله تعالى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه بمعنى لما صنعتموه ليس مما
اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني
مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه الصلاة والسلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارأيتك
ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي
نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهما تمويهان القاهما الى
اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم ما
من ان يؤمنوا ايمانهم بها على الايمان بنبوة موسى عليه السلام بازاء ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين
موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة

والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه
السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا
وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من
كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ
من الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين
فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا
فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون اذ فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا الى لقاء الله
تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وما تعيب منا الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا
عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوساخ الاوزار
وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين
من الوعيد قيل فعل بهم ما وعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على
يفسدوا وجواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة * الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا او حالا وقرئ
بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى والهتك
اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على
ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا
كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا
بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة يعنون به
قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم
به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب
واما ما كانوا يستعبدونه ويمتهنونه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما لحقهم بواسطته عليه السلام
فليس لذكره كثير ملابسة للمقام قال اي موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم
بالتصريح بما لوح به في قوله تعالى ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل
وتوعدكم باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام
قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر ولعل الاتيان بفعل الطمع
لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود

ويذرك م

عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان
المتبادر استخلافهم نفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جي بفعل الطمع الجري على سنن الكبريا ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك
ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير
الجملة بالقسم لاظهار الاعتنا بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤه
مجرى المذكر السالم جمع فيرفع بالواو وينصب ويجر باليا ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجرا الاعراب
على النون ولكن مع اليا خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر
وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جا قول الشاعر
وعاني من نجد فان سنينه • لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • وفي الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين
يوسف بالغين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال
ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم
يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد
وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى
الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم
تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا
جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة
اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشومهم وهذا كما ترى
شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعنادهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرايك لا سيما بعد ما
مشاهدة الايات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شي منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها
باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك
للاشعار بندرتها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف
مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية
بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم
لا ما عداها وقرئ الا انما طيرهم وهو اسم جمع طاير وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون
مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون انه ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله
تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصايب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا
واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض اخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها ايات بينات
وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شان العصى والسنين
ونقص الثمرات مهما تاتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزا واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد
كما ضمت الى اين في اينما تكونوا وام الى ما تذهبن بك الا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو
الراي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتدا او النصب بفعل
يفسره ما بعده اي اي شي تظهره لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على زعم
موسى عليه السلام واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها
الخ لاظهار كمال الطغيان والغلو فيه وتسمية الارشاد الى الحق بالسحر وتذكير الابصار والضميران المجروران
راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى

لتبينه

لتبينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم
هذا الطوفان اي الما الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل وقيل هو الجدري وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القراد وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الما بيوتهم حتى قاموا
الى تراقيهم ولم يدخل الى بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الما على ارضهم وركد
فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعي فكشف عنهم فنبت من العشب والكلا ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم
الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج
الى الصحرا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها ولم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقت الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا
يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي
والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعي فكشف الله تعالى
فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على
اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ما على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط
الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورات مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل انها
ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان
امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الايات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما
قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة
اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع
او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم
مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه ومعذبون بعده اي مهلكون اذا هم ينكثون جواب
لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تامل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما
اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفا بينهما
ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفا تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم
في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي
كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين
عنها بالكلية والفا وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار
جميع ذلك تكذيب ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

اي بالاستعباد وذبح الابنا والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده
وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض
المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكهما بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف يشاؤا وقوله تعالى التي باركنا فيها
اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة
والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده تعالى
اياهم بالنصر والتمكين كما ينبي عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا
اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم
كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعايد محذوف تقديره ودمرنا الذي كان يصنعه
فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكرنا وما موصولة اسمية والعايد محذوف تقديره ودمرنا الذي كان
تصنعه فرعون الى اخره اي يصنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة
وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الرا
والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة
بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان نجاهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من
النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وايقاظا للمومنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا
بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالبا اي قطعنا بهم البحر وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشورا بعد
ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة
الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها
ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عند ما شاهدوا
احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما
موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كاينا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم
تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعد ما شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم
بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل
متبر اي مهدم مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبره الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم
اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جي بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما
كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في
الجاهلية فانها في نفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر
وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار
وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم
الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما
لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام

والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى الها لا انه اختصاص
الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره واستصابه غيره على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم غير الله
تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير
الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى
فضلكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من العاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم
من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شي من مخلوقاته فجعلوه شريكا له سبحانه وتعالى تبا
لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الانجا من ملكة فرعون وقري نجيناكم من التنجية
وقري انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي اذكروا وقت انجائه تعالى اياكم من ال فرعون من ملكتهم
لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى
يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه وكلفه اياه وهو اما استيناف لبيان ما انجاهم منه
او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجا او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من
ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى
ثلثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان
ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة
فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فامره الله تعالى
بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك ولذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي
لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه الى الله تعالى ثم انزلت
عليه التورية في العشر الاواخر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصله ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقري
كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا
بحذف المضاف اي تمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه
هرون حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني في قومي اي كن خليفتي فيهم وراقبهم بما ياتون وما يذرون
واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع سبيل من يسلك
الافساد ولا تطع من دعاك اليه فلما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي
اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه
السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رويته
تعالى جايزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبيا لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده
بقوله لن تراني دون لن اري او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد
فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب
ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع
سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار بعدم رويته اياه على
انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة
الروية قال استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى ما قال فقيل قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار

الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من امن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة فاثرتك على الناس اي المعاصرين لك التورية وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما اتيتك اي اعطيتك شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلايل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطا التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام من صخرة صما لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السما فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منها في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشيا او للرسالة او للتورية وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى ياخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب ساريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كي لا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها مما كتب لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة الاية ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم من اوريت الزند اي سابينها لكم وقوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض استيناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الايات التي هي ما كتب في الواح التورية من المواعظ والاحكام وما يعمها وغيرها من الايات التكوينية التي من جملتها ما وعدوا من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور

على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا يتفكرون باياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم اثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الايات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض فبارائتها للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة الاية ويكون قوله تعالى ساصرف عن اياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالايات ما تلي انفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها واثارها على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالايمان واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون متلبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل اية من الايات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد ثلاث لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الايات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام على سبيل الغي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا باياتنا على بطلان ما به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباء ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله ذلك بما عصوا الاية لجواز ان يكون اشارة الى الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي ساصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم الدار الاخرة بما فيها من الجزاء ومحله الرفع على الابتدا وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتدا والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تاخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لانهم ملكوها حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بمالية بني اسرائيل غنائم القبط مستامنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحا وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحا بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول

اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر لما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل وقد كان اخذه عند فلق البحر عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاسناد في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف سيق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شئ من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشيا في غير موضعها فلم يكن اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ على البنا للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا ضلالهم تبينا كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية قبل التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان الرحمة مطلق ارادة الخير لهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعدما رجع موسى عليه السلام كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركا عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري فيجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي فيها تفصيل كل شئ وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ منه عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هارون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام تحذف

حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدايد وقرئ بكسر الميم باسقاط اليا تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا وقرئ بالفتح لزيادة التخفيف ولتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلك بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي اي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة فاستغفر عليه السلام ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به وللانذار بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تموا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن المجرمين سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جرمهم اعظم الجرائم وافظع الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلا بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك اذا مس احدهم احد غيرهم جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب امرهم بقتل انفسهم واعتذارهم عن السين بانه للحكاية كما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره تعالى بالافتتان واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سباق النظم الكريم وسياقه يابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافترا وايضا ليس يجزي الله تعالى كل المفترين هذا الجزا الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابنا بافاعيل الآبا مشهور معروف ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلا وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذ حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلا في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى ما لكل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجئ موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر منه من الفعل والقول منزلة

الامر بعد تذلل المعزى عليه بالتحكم والتشديد بدوا التعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت
واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها
وكتب فعل بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق
بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة
اي كائنة او هي لام الاجل وهدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم
للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار
موسى قومه شروع في كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار
من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله * اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم ٥
* واعتل من كان يرجى عنده السول * اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول اول للاختيار اخر عن الثاني لما
مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعدما وقع من قومه ما وقع لا للميقات
الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تعالى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه
من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم
ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسالوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام
ستة من كل سبط فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام لمن قعد مثل اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يامره وينهاه
حسبما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه
لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي
اي الصاعقة ورجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك
في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسنا هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه
قياسا فاسدا لجبن شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي
حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت
منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب
العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا
مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا مشيتك اياه بحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا
عزو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك فلا يثبتون في المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة
بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري والاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك
استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا
بسببها ما قالوا او ان العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حينما اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم
يثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك بعين القياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما
استيناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونك مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله
فلا يهتدي للتثبت وتهدي من تشاء هدايته فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي القائم بامورنا
الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على
ما قبله من الولاية كانه قيل من شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقول ان هي الا

فتنتك

فتنتك الى جراة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانهما والتجاوز عنهما وارحمنا بافاضة اثار الرحمة الدنيوية
والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها
الاهم بالمقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او
خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وزدنا بالمغفرة والرحمة وفي الاخرة اي واكتب
لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه وامال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا
واملنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد
المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة والتوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا
من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك
ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى
حتى احياهم وقيل رجعوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى ودعا
الله تعالى فكشفها عنهم قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند
دعاء موسى عليه السلام فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم
انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة
حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شانه ان اصيب
به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن شئنا ولذلك يستتبع لذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي
ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشية من
المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع
ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشية
معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فساكتبها اي اثبتها
واعينها فانه متفرع على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي
لكل من اشاء فساكتبها كتبة خاصة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اي ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب
الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك
لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر بهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه
ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء
عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها وايراد ايتاء الزكوة لما
مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم
وبكفرهم بالايات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وما سيجيء بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان
يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور
اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به
النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي
بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولدته عليها امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام
انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع

مع ذلك العلوم الأولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول بدل الكل أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه
أي أعني الذين أو هم الذين وأما جعله مبتدأ على أن خبره يأمرون فبعيد جدا **الذي يجدونه مكتوبا**
باسمه ونعوته بحيث لا يشكون أنه هو ولذلك عدل عن أن يقال يجدون نعته أو وصفه مكتوبا **عندهم** زيد لزيادة
التقرير وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلا **في التوراة والإنجيل** اللذين تعبد بهما
بنو إسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه أو بمكتوبا وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر
النبي عليه السلام والقرآن المجيد قبل مجيئهما **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** كلام مستأنف لا محل
له من الإعراب قاله الزجاج متضمنا لتفصيل أحكام الرحمة التي وعد بها سبق كتبها إجمالا فإن ما بين فيه من
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وإسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار
الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على أنه حال مقدرة من مفعول يجدونه أو من النبي أو من المستكن في
مكتوبا أو مفسر لمكتوبا أو لما كتب **ويحل لهم الطيبات** التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم **ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من قطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق
الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل إذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى
أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة
وقرئ ويضع عنهم آصارهم وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك **فالذين آمنوا به** تعليم لكيفية
اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين إثر بيان نعوته
الجليلة والإشارة إلى إرشاده عليه السلام إياهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات
وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا به بنبوته وأطاعوه في أوامره ونواهيه **وعزروه** أي عظموه ووقروه
وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير **ونصروه** على أعدائه في الدين
واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه
ومظهرا لغيره أو مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز أن يكون المراد منه متعلقا باتبعوا
أي فاتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه الصلاة والسلام بالعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو اتبعوا
القرآن مصاحبين له في اتباعه **أولئك** إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات
الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل
والشرف أي أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة **هم المفلحون** أي هم الفائزون بالمطلوب الناجون
من الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا أوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم
من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين
الجواب لا بمجرد ما قيل من أنه لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم
الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك بقوله
تعالى في الذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح **قل
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم** لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف
من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه السلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم
بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم
السلام بأقوامهم وإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة

رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فئته الباغية وبإرسال
بني إسرائيل من الأسر والقسر والعمل بأحكام التوراة مختص ببني إسرائيل **جميعا** حال من الضمير في إليكم **الذي له
ملك السموات والأرض** منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما
هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى **لا إله إلا هو** بيان لما قبله فإن من ملك العالم
كافة كان هو الإله لا غيره وقوله تعالى **يحيي ويميت** لزيادة تقرير ألوهيته والفاء في قوله تعالى **فآمنوا بالله
ورسوله** لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وإيراد نفسه عليه السلام بعنوان
الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسالة بقوله **النبي
الأمي** لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى
الذي يؤمن بالله وكلماته أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل أهل
الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك
عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن تنبيها على أن المأمور به هو
الإيمان به عليه السلام من حيث أنزل عليه القرآن لا من حيثية أخرى وعلى أن المراد بها عيسى بن مريم عليه السلام
تعريضا باليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه **واتبعوه** أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين
لعلكم تهتدون علة للفعلين أو حال من فاعليهما أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب وفي تعليقه بهما
إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة **ومن قوم
موسى** كلام مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم
أمة يهدون أي الناس **بالحق** أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة الحق **وبه** أي بالحق **يعدلون** أي في الأحكام الجارية
فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ويأباه أنه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤوا على قتل الأنبياء
عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله تعالى
لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم
أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما الصلاة والسلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم
أن يجمعوا ويتركوا السبت هذا وأنت خبير بأن تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع أن منهم من آمن
بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد **وقطعناهم** أي قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى
اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة والقطعة أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة
أو قطعة متميزا بعضها من بعض أو حال من مفعوله أي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى **أسباطا**
بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين
وقوله تعالى **أمما** على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطا **وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه** حين
استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم إياه عليه السلام
بل باستسقائه عليه السلام لقوله تعالى وإذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى **أن اضرب بعصاك الحجر**
مفسر لفعل الإيحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة **فانبجست** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام

وقد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية سرعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست ففيه تحقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى لما بني عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وعلى الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبابرة وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو ومقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اي مسألتنا وامرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو هنا للاجل ذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال ناشئ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة

على

على الذين ظلموا او المعنى واحد من الارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم هنا مترتب على المضمر دون الموصوف بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقدم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان لك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس لك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون والحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون اي يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقرئ لا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت لا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل لا تاتيهم يوم لا يسبتون كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العظيم والفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم لنظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية مطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا ومعذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا معذبون في الآخرة وايثار

صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما
واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه
ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم
الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس كذلك كما
ستقف عليه قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب
بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ اي موعظتنا
معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض
بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ
ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي
للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء
وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع
لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كأنه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون انجينا
الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر
مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا
ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس بحذف ونقل حركتها الى الفاء
ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلبها ياء وادغام الياء فيها وبيس على التخفيف كهين
في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلا(ف)
معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان
ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة
هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كونه خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان
ولا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد بدون الاستئصال فلم يقلعوا
عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم الله بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا
وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الخير والمراد بالامر
هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحيتان بل
العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية
تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني
بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكا(نت)
الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك
برهة من الدهر فجاءهم ابليس فقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة
الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد
واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب
لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية
اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا
الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب

محذوف صح

على التخفيف صح

ولعنهم

ولعنهم داود فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار
فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان
قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا
واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل
موعدا والساعة ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن
بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم
الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيامة اي فاذكر لهم وقت ايجابه تعالى
على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب
وقد بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن
منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة في قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم
تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون
صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير سيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الذين
منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون
عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم اي من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك
يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض
هذا الادنى استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادنى
اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل
حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنا والجملة تحتمل العطف والحال
والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي
يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين منه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق اي الميثاق الوارد في الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى
فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا
ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وبالالتفات تشديد للتوبيخ والذين
يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال
عطاء امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى
واقاموا الصلاة ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة
بخلاف الصلاة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول
اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر
قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اما بتقدير الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير المصلحين
منهم واما بالالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى

اي بما ويتهم وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه
ورفعناه عليهم كأنه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان
الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به والاول الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان
يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما
آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا
ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا
في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير
الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان
المقصود تذكر ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولد
لهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا
وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في
اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام
للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه
على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ
اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشأيته ولما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم لذلك وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد
بيانه من بديع صنع الله تعالى شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة الترتيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد
كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما
تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول
اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم
استحقاق العبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا
ح فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل
لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية
الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه
الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر
ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا
بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا
من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين ان تقولوا اي لئلا تقولوا على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام
او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من
الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا
ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا
عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ

التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد
الى انكار ما ذكر من جبلتهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا اولمنع
الخلود دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل زماننا وكنا ذرية من بعدهم لا نهتدي الى
السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم
المجرمون ونحن العاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأي وتؤاخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم
الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها
مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما من انه لما خلق الله تعالى آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست
بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل
عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه اخرج
الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما
كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير
ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج
على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى
آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه
السلام قطعا وعدم بيان الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين معلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمرد ود
لكن لا على قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان
معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق
بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى
يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما
من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك
الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول
لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة
بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على
تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا عليكم بهذا لئلا
تقولوا يوم القيمة الخ لانا نذكركم وننكر بكم الخ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم
على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل
الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء
نفعل التفصيل المذكور فالواو ابتدائية وقد يجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب عليه على التفصيل
اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على
المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الاستشهاد عن الجور بعد الورود والضلالة بعد الهدى اي واتل على
اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل بلعم بن باعورا

او بلعام بن باعور من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل امية بن ابي الصلت وكان قد قرا الكتب وعلم ان
الله مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر
به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود وبهتانهم فانسلخ منها اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم
يخطرها بباله اصلا او خرج منها بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان ففي التعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن
عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما
كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه
من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة
الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى فقال
كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام
روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة
ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية
ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا
رفعه لرفعناه الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا
من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال
الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله
تعالى بها اي بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع
عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى
ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد
اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه لمباشرته بسبب
تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأ لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر
في الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل
محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان
انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد بالارادة الذاتية له تعالى كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الخلق
كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد
بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفال
على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين
والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها
حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حالة
دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار
الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة
وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعل الشرط لكل احد ممن له حظ في الخطاب فانه ادخل في اشاعة
فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال المكروب ودائم اللهث سواء هيجته
وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا يقدر على نقض الهواء المسخن وجلب الهواء

البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد
ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل
وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على
الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين
المتنافيين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان
فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعام على موسى خرج لسانه
فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة
الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام
للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه
عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال
ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير
المخاطب او على انها حال او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا
القوم استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب المنسلخ وساء بمعنى بئس
وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق
بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او
التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم واذا القوم موصوفا بالموصول الخ كما انه كناية الضمير بان يقال ساء مثلا
مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة لربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه معطوف
على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى انهم جمعوا بين تكذيب آيات الله بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها
واياما كان ففي تقديم المفعول تخصيص للظلم بانفسهم الى ان يظلموا الا ... في الاستقبال
تقدير المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم باقتصاص قصص المنسلخ على
الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق
عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط
العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما
نيط خلق الله تعالى اياه بها كسائر افعال العباد والمراد بالهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان
حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية لانها الدلالة الى ما يوصل الى البغية التي هي الهداية التي هي الدلالة الى ما
يوصل الى البغية اي اهتدائه بالنسبة الى البغية كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين بل لان
المراد التي هي الدلالة لا لانها يوصل الى البغية بمجرد الاختيار امر هداه الله تعالى بحيث يتوهم عدم الاختيار
حسب الظاهر لظهوره واستلزامه هدايته تعالى للاهتداء وحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء
والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه
الله تعالى حينئذ بمعنى في تحري الجزء المغني ... فهو المهتدي على الوجه المذكور

المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة بصرف اختياره نحوها
فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير والافراد
في المهتدي نظرا الى اللفظ والجمع في الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد
ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذب بها وتقديمه
على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتاخيره
عنهما الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر
الافراد عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر
من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على
الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما في
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى
لكثيرا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على
صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس
فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب اباءهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لهم بكمال
الايغال في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال
في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان
يفقه فيدخل ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك يخل بالافصاح عن كنه حالهم
ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما
يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة
الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا
اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة
الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها من الشهادة
بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام
اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور اي في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل
فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها
بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم
المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم
ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام وما
منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم
لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به ولا يتركه شيء فهو السميع العليم
اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى
وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان
غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها
عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه
الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون

في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا
ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه
عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون
فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان
اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة والمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى
واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا
من بعضها اسماء اصنامهم كما سموا اشتقاقا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة
كما في الوجه الثاني والاظهار في موضع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس
الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك ح الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد
عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب
كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون كانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر
بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل
بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم
ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان
اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع
على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن
الناس الخ اي وبعض من خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق
ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى الآية
وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان
ياتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله
وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان
بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا بآياتنا شروع في تفصيل تحقيق
الحق الذي يهدي به الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل
الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها
واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل
سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى
مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك
ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة
للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراتب منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه
واستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى
فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدريجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك
بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقرب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم وأملي لهم عطف على سنستدرجهم
غير داخل في السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج

الحاصل في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المبني على تجدد الاعتنا بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض القدر الالهي والاستدراج بتوسيط الملائكة فمناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والاحتراز عن ايرادها في قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية وانما ايرادها في مثل هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبريا ان كيدي متين تاكيد للوعيد وتقرير له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ على غرة فتسميته كيداً لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفا من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة واستدعائه لاعتبار القيد المذكور حتماً اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدا مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتدا والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي كذبوا بها ولم يتفكروا في اي شي من جنون ما كان بصاحبهم شيئاً من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى ولم يتفكروا اي كذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شي بصاحبهم من جنة ما على طريقة الانكار والتعجب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شي منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم بخارق لقضية العقول لا تصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام صعد على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح نزلت فالتصريح بنفي الجنون للرد على عظيمتهم الشنعا والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على مشاكلة كلامهم مع ما فيه من النكت والتعبير المذكور وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشراً اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازاً لكمال الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي كذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق الله فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك

الكل

الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي وقوله تعالى من شي بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشي ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضاً ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكماً واياً ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية وقد جوز ان يكون المراد بالاجل الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم راساً ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والبا متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قراناً او لتاويلها بالمذكور او اجرا الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى كذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه الصلاة والسلام واحوال المصنوعات فباي حديث بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتوبيخ وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباي حديث بعد انقضا اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد قرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي مترددين ومتحيرين حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظراً الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظراً الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيمة وهي من الاسما الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة من عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوماً من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبياً فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشي لان البعض اوى الى الكل مسنداً اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشي الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولاً وبوقت وقوعها ثانياً تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار كونه محلاً لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب

الملفق ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصها به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احدا من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها في وقتها الا هو الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حتى يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منها ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها استيناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه او ان العلم التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة للاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك تكرهه لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر له عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من موجبات الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء من الواقفين على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود فبطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه

وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضرر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المانعة والدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه والتوقي عن موجباته و بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار و البشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقتراب وقتها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار بل هو مما يقدح فيه وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استيناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفيفا خفي عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما يقابل

مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل آه دون بعض اصلا وقرئ ثقلت على البنا للمفعول اي اثقلها حملها
دعوا الله اي آدم وحوا عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل
وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعا اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا
ظلمنا انفسنا الاية ومتعلق الدعا محذوف تعويلا على الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن
آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر
على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما
انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لهما ذاتا وصفة ووجوده مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا الوجود فهما
وصلاحه مستلزم لصلاحها والدعا في حقه متضمن للدعا في حقها ايضا لنا ولكل من يتناسل من ذريتهما والامر
ظاهر وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعا اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتنا بشان ما هما بصدده
وانما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتبار المذكور بل مؤكد له
وايا ما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد
ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة
بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من السياق من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي
فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام
التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم
بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة
او ذوي شركة اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل
ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في قوله
تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الاية فان الانجا منهم مع ان تعلقه حقيقة او حكما بالاسلاف اليهود وقد
نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبيا
الله الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم وقد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام
التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه
اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما
شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا
مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم
ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية
على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفا لترتيب
على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما
اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحوا عليهما السلام عن ذلك وما في عما مصدرية اي عن اشراكهم او
موصولة او موصوفة اي عما يشركون به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم
انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتا الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد عقبهما
فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولا
المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد

فقال اني من الله تعالى فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه الصلاة
كان علما في علم الاسما والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه هذا الشان الخطير قريب من المحال والله
اعلم بحقيقة الحال ايشركون استيناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق
وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في
حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشيا اصلا ومن حق المعبود
ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على ما لا يخلق وايراد الضمير من جمع العقلا
مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلا وتسميتهم
لها آلهة وكذا حال سائر الضماير الاتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة
حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شي ما بخالقه وخالق جميع الاشيا
مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغنا عن ذكره ولا يستطيعون
لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر وحطبهم خطب نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون
اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن
ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وهنا لم
يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى
من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله الطالب
والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتنا بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون
الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم
الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالهم في الحالين كما لا يتغير
حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة
ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعا ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان
الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم
الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم
فان استوا الدعا وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم مامورون بفضل الدعوة ان الذين
تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم
آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة
عن النفع والضر تشبيها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم
وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم
فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين
في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت مؤكد لما
يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان الآلات الجسمانية انما تتصور اذا كان لها جرم وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شي من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات الاربع على حدة تكرير التبكيت و
للتقريع واشعارا بان انتفا كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل
بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم

لتحقيق الهاء حتى لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة أم في قوله تعالى أم لهم أيد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والإنكار وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشي حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش أظهر والتبكيت بذلك أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرئ إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دون الله تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم الخ تقريرا للنفي المحالة بإثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم لما بين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم التبكيت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون أي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي بكم أصلا إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق فإنها لا محالة ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي الله الذي نزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون أي تعبدونهم من دونه تعالى أو تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما أمرتكم به لا يستطيعون نصركم أي في أمر من الأمور أو في خصوص من الأمر المذكور ولا أنفسهم ينصرون إذا نابتهم نائبة وإن تدعوهم إلى الهدى أي إن تدعوهم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأي العين يشبهون الناظر إليك ويخيل إليك أنهم ينظرون إليك لما أنهم صنعوا لها أعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا أي وترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله وإن تدعوا للمؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يتبعوكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيها على أن ما فيه من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله أمر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أي خذ العفو من الذنب أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول

الناس من غير نكير وأعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافأة قيل إنه لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها جبريل عليه السلام فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه بمكارم الأخلاق وروي أنه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده وأما بجعله من جنسه وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه فاستعذ بالله إنه سميع عليم فالتجئ إليه من شره وقد جوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها إن الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها إذا مسهم طائف من الشيطان أدنى لمة منه على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرئ طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيف من الواوي أو اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي تذكروا أي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فإذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه وإخوانهم أي إخوان الشياطين وهم المنهمكون يمدونهم في الغي أي يكون الشيطان مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون أي لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه أي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك سائر الآيات أي هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي من غير أن يكون لي دخل ما في ذلك أصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى ما يقابله الذي كلفوه إياه عليه السلام لا تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد روعي حسبه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض لعنوان الربوبية ما لا يخفى هذا إشارة إلى القرآن الكريم الذي أول عليه ما يوحى إلي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون للإيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم المقتبسون من أنواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن الذي ذكر شئونه فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة

غ يريدون

وغيرها وقيل معناه اذا تلي عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه
في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله تعالى عنهم خلفه فنزلت واما خارج
الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المامور به او الاستيناف من جهته تعالى واذكر
ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام
في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون
الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر اي
وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل وهو موافق للغدو ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه
وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته اي يؤدونها حسبما امروا
به ويسبحونه اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل
لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذا شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى
زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة عن السهم
من المغنم وقرئ عن لنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين
اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها المهاجرين ام
للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا
نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة
في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من الاسر والقتل
فسألوه عليه السلام ما شرطه لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم
حرمت اصحابك فالاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها
كما ينطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي
وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال غير متين
مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله تعالى قل الانفال لله والرسول اي
مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه راي احد ولو كان السؤال استعطاء
لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه
لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو
ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان لما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء
ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتأخر الخبر عن المبتدا لتكرار النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب
اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد فيها نصيب
الآية فنسخت بقوله عز وجل فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حسبما
نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم لان في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله من غير بيان لمصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على
الانفال المشروطة يوم بدر وجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام
بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موضع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه عليه
السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر
فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان الله
قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي
عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة
المبتداة وحمل ذلك من سعد على طريق الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام اولا وتعليقه
على اجازته واعطاءه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له
عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من اعطاء المسؤول مما هو نص في الباب
عز وجل فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ولرسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة
فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا
اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل
الحكم واصلحوا ذات بينكم اي ما بينكم من الحال الملابسة التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة
في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل
به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا
فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح
بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا
الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة
لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين
متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور واياما
كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به تنشيطا للمخاطبين وحثا لهم على المسارعة الى الامتثال
والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملين في الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر
واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من
اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال
بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد
ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل

هو الوجل بهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وقرئ فرقت اي خافت وإذا تليت عليهم آياته اي آية كانت زادتهم إيمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فإنه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عددا وأما نفس التصديق فلا يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق والتمييز بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الأمة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه أدلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر أمورهم خاصة يتوكلون يفوضون أمورهم إليه لا إلى أحد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على أنه نعت للموصول الأول أو بدل منه أو بيان له أو منصوب على القطع المبني على المدح ذكر أولا من أعمالهم الحسنة أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ثم عقب بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة أولئك إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث إنهم متصفون بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عمن عداهم أكمل تمييز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه ما فصل من الأعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون حقا أو مصدر مؤكد للجملة أي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو إما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى عند ربهم إما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة عنده تعالى وإما بما تعلق به الخبر أعني لهم من الاستقرار وفي إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف بهم وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضي أمده ولا ينتهي عدده وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق أو في محل النصب على أنه صفة مصدر مقدر في قوله تعالى الأنفال لله أي الأنفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا كثبات إخراج ربك إياك من بيتك في المدينة إخراجا متلبسا بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون أي والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة معها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم وأموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء وأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها أبو العباس فقال أبو جهل ما ترضى رجالهم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقيل له إن العير أخذ طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر كانت تجمع العرب فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما

العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال لهم ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير فقالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله تعالى فأنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا يكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير استئناف أو حال ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية أي بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون إلى الموت الكاف في محل النصب على الحالية في محل النصب من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة وروي أنه لم يكن فيهم إلا فارسان وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم أي اذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع أن المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى أنها لكم بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أن غير ذات الشوكة تكون لكم من

الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة العير اذ لم يكن فيها
الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وعن
كراهتهم وتفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباهها
ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم
وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعد الله تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادة الله
تعالى لاعلاهما وقوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي باياته المنزلة في هذا الشان او
باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع
دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله عز وجل يريد
معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل
الباطل جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم
لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه
تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق
الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي
المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله
فالمراد تذكير استمدادهم منه تعالى والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل واسرار
تعالى اح وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب
بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية
له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانهما
باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال
جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى
سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت
انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب
محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول
بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم والمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون
لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين
بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال بمعنى متبعين
انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ
بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على
وقوعها وما جعله الله كلام مستانف لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص

به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد
هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل
فامدكم به وما جعل امدادكم بهم الا بشرى وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال
الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما
كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك وكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني
على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما
كان امدادهم لتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد
الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة
لكم واللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما
النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اي الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه
شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا
يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة
اذ يغشاكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب
بإضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس
بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ
يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على
العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا اي كائنا من الله تعالى
لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا
حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة
منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون وعلى انه مصدر لفعل مترتب عليه كما
مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء بتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن وروده
عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف
من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاكبر والاصغر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم
الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان
فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا
قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله عز وجل
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي
كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت
القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد

بمشاهدة طلائعه ويثبت به الأقدام ولا تسوخ في الرمل كالأول ويجوز أن يكون للربط فإن القلب إذا
قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا يكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة
منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما أن المأمور به مما لا
يستطيعه غيره عليه الصلاة والسلام فإن الوحي قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام
ليس من النعم التي تقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكرها بطريق الشكر وقيل
منصوب بقوله تعالى ويثبت به الأقدام فلا بد من عود الضمير المجرور في به إلى الربط على القلوب
ليكون المعنى ويثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمره بتثبيتهم
إياكم وهو وقت القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما
انتصابه على أنه بدل ثالث من إذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت
من أن المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر أخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى للملائكة أني
معكم أي بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء
الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة إنما هي من حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة
فلهم الأصالة من تلك الحيثية كما في أمثال قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت
جماعة إنما أمروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد
جدهم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد في
مقاسات شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول سمعت
المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين ويقول أبشروا فإن الله ناصركم وقال آخرون
أمروا بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرًا لقوله تعالى أني
معكم فاضربوا الخ تفسيرًا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني رضي الله تعالى
عنه وكان ممن شهد بدرًا أنه قال اتبعت رجلًا من المشركين يوم بدر لأضربه فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل
إليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك
فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف واستُبعد بأن قتلهم الكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى التثبيت لا يتوقف
على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألقي الخ
ليس نصًا فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك أثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل
قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ والضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أنه
خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيأباه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة
الكريمة إنما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الأعناق أي أعاليها التي هي المذابح والهامات
واضربوا منهم كل بنان قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين
وقال أبو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الأطراف
أي اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي
والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به
أو بمحذوف وقع حالًا مما ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العذاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته
في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع

المذكور

على

على الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومخالفتهم
لمن لا سبيل إلى مغالبته واشتقاق المشاقة من الشقة لما أن كلا من المشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق
المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة
الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة
ما اجترؤوا عليه والإشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه
العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب
وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب
الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ولرسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب
شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في
الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كون
المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا فإنه سواء جعل ذلكم إشارة إلى
نفس العقاب أو إلى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر
يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين عذاب النار بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم
العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم
بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
وأن للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب عاجلا وثبوت عذاب النار
آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه وعلى الثاني
لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم
عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار
فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة
عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا إذا دب على استه قليلا قليلا
سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الجرم يرى حجمه وا
متصل يحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كان في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم
وأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج
ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم
أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وإما كونه حالا
من فاعله أو منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي
عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار عادة
والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من
الزحف اثنا عشر ألفًا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا
عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم ومن يولهم يومئذ
أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى
أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل لعدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده
أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب أو متحيزا إلى فئة أي منحازا إلى جماعة أخرى من المؤمنين
لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سرية فروا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة
استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون

الذهم

العكار الكرار العطاف واعتكر اختلط ... العرب انتهى
م

وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزنه تفيعل لا تفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية واما على انهما لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره وقوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم اي بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير وفي ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان تتمة احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك اي اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقدرتكم وقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل تلوين للخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشئ للغير المرمي به في نفسه وتكرم الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها له تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متاخر فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجدي لهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي المؤمنين الخ وقوله تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي والمبتدا الامر اي الامر ذلكم فيكون قوله تعالى وان الله الخ من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين ان تستنصروا الاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم

الاعلى

بطل توهم

الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحرب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحرب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتية لان تانيث الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا اي من الاغناء او من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر التحقيق وان الله مع المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك والامر ان الله مع المؤمنين ويقربه منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لانه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التاءين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه ان طاعته تعالى في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا فاقدين الجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال فبذلك يظهر كونهم شر البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قلوبهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوا وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل هم بنو عبد الدار

ابن قصي لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج أنهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله أنهم أهل الكتاب يا أيها الذين آمنوا تكرير للنداء مع وصف تعينا الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم أي الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقي أو هي ما لحياة القلوب كما أن الجهل موجب موته وقيل المجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة روي أنه عليه السلام مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من إجابتي قال كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقيل لأن إجابته لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه تعالى مطلع على مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة على إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تغيير وتخيير لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده وما أشبه ذلك ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف وأنه أي الله عز وجل أو الشأن إليه تحشرون لا إلى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي لا يختص إصابتها بمن باشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم والتكاسل في الجهاد على أن قوله تعالى لا تصيبن الخ وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وأما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم أو للنهي على إرادة القول كقول من قال

حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

وأما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلف المعنى فيهما وقد جوز أن يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الأمر باتقاء الذنب فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الأول للتبعيض وعلى الآخرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح منه من غيركم واعلموا أن الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا إذ أنتم قليل أي وقت كونكم قليلا في العدد وإيثار الجملة الاسمية للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان أو صفة لقليل في الأرض أي في أرض مكة تحت أيدي قريش والخطاب للمهاجرين أو تحت أيدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون أن يتخطفكم الناس خبر ثالث أو صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد أو حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الأول وهو الأظهر إما كفار قريش أو كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم أي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم إلى المدينة أي جعل لكم مأوى تتحصنون به من أعدائكم وأيدكم بنصره على الكفار أو بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول أصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه

أي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو في الغلول في الغنائم روي أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله كان في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وتخونوا أماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو وأنتم تعلمون أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيها فلا يحملكم حبها على الخيانة كأبي لبابة وأن الله عنده أجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه يا أيها الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالإيمان للإيذان بإظهار كمال العناية بما بعده والإيذان بأنه مما يقتضي الإيمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطاب إن تتقوا الله أي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات ونجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم أي يسترها ويغفر لكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على أن ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه وإحسان لا أنه مما يوجبه التقوى كما إذا وعد السيد عبده إنعاما على عمله وإذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا إذ أنتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل أي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك أو الإثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات أو يقتلوك بسيوفهم أو يخرجوك أي من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره عليه السلام فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع أبي بكر إلى الغار ويمكرون ويمكر الله أي يرد مكرهم عليهم فقتلوا يوم بدر والله خير الماكرين إذ لا يعبأ بمكرهم عند مكره وإسناد أمثال هذا إليه سبحانه وتعالى مما يحسن للمشاكلة ولا يسوغ له ابتداء لما فيه من إيهام ما لا يليق به سبحانه وإذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها أن تخر لها صم الجبال قالوا

قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن حارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يثقون
بقوله ويأخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة
ونهاية العناد كيف لو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشية وقد تحدوا عشر سنة وقرعوا
على العجز ثم قارعوا بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا
سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما يسطرونه في القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين
روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك
والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا حجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد
منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدأ لا فصل
وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا
الحق المطلق لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب
لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان
تعذيبهم عذاب الاستيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم
من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم ان لا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان المانع لما
بين من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام
اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما
كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع استحقاقهم
لولايته امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه
الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه
وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم
عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو
اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف
بالياء وقرئ بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا
العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم
بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين
سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عما يستقبل وهو انفاق
يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم
يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها

مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا
عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد
من الصلاح واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه
ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى
المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي
صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لهم ويغفر لهم على
البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم
السلام فالتذكير بما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة
ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة
اي لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او
برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة
على انهم يثابون للسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم
ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا
انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي غنمتموه من الكفار
عنوة واصل الغنيمة اصابة المغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى
من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول يقصد به الاعتناء بشان الغنيمة فانه لا يشذ
منها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام
وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لانما الخ وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى للايجاب لما
فيه من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون
الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس
على المعطوفين عليه قوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين واعادة اللام في ذي القربى
دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه
السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى
عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه
السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه
وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام
وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلاثة وتؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه
انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن
السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين

وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فيقسم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه الصلاة والسلام من مصالح المسلمين كعدة
الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ
الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين
هؤلاء وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة
فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى مصالح الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة
فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول
عليه السلام هذا شأن الخمس واما الاقسام الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك
على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم بالله
فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة
وليس المراد مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل
اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم
فان بعض ما نزل نازل بهم والملائكة والفتح عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم
بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح
على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال الفتح من موجبات
العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من
جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على
كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما وهم
بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها
اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال
من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها
وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم وبعد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم
يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا
ان ما اتفق لكم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم
بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل
من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن
وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة وقرئ ليهلك ويهلك وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل
وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه وقيل الجمع بين الوصفين لاشتماله

على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق
بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال
وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع
انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم
معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني والتعميم معطوف على المضمر السابق
وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة
تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور
قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم تلك الواقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على
هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة
الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور
كلها يصرفها كيف ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر
الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة
من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال
فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به
مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزوا بمرامكم وتظفروا بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل
اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله
في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف
الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على
جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها
في تمشي امرها ونفاذه شبيهة في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها
الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين
بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم المتبوعون من تلك الحيثية
ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا بما امروا
به من محاسن الاعمال وهو اعما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان ان
ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنين
ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون
عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله
بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم بطريق التلوين اي اذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا

غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم
وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل
الدينين ولكم خبر لا غالب وصفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان
اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجير لهم سببا لهلاكهم وقال
اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد
الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل
ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجير لكم فلما راى الملائكة نكص وكان يده
في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق
فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما
اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاولى ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا من جهة الله تعالى اذ يقول المنافقون منصوب
بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة
وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من
يتوكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه الباب الفحول وجواب
الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي
مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام
به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل يضربون وجوههم حال من الموصول وقد استغني
فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم
اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على
يضربون او حال من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرأيت امرا
فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما في
الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب
ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده من غير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير
ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على سببيته مقيد
بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه
تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار
عدمه معه نعم لو كان المدعي كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل فرعون

في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من
جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك
سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون
المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا
من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العذاب ما لقوا كقوم نوح عليه الصلاة والسلام وعاد واضرابهم من اهل الكفر
والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوا والقا بيانا لكونه من لوازم خطاياهم
وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم لتأكيد ما افادته الفاء من السببية الى ان لهم
مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم
فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم جميع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوا
فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه
وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما
يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملازمة
التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الى آخره
استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب المنوط باعمالهم السيئة غير واقع بلا
سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب في الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا باعمالهم
من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته عن قوم قبل تغييرهم لحالهم
وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى
على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط
هائل وابعاد عن الحق بمراحل وهو من لابس الكفر بآيات الله واسقاطه عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله
والتحذير منه والمعنى على ذلك ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يفعل ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك
بان الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون
بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال
والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية
صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كحال هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام
مستمرين على حالة مصححة للافاضة بنعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالبينات الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم
الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون
تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه
تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها
ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا
كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى كذبوا بآيات
ربهم تفسير له بتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقاب عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسيط
قوله تعالى بينهما وان الله سميع عليم كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما
من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا

فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كما قبله فالجملة ح استينافا آخر مسوق لتقرير ما
سيق له الاستيناف الاول بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الداب في
الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا بما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا
نعمة الاية اي داب هولاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغيير كداب المذكورين وكذلك حيث غيروا حالهم فغير الله
نعمته عنهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدابهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم
تفسير لدابهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما داب قريش فيستفاد منه بحكم التشبيه فلله
در شان التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة
تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب وكذا
وفي قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف عليه قوله تعالى واغرقنا آل فرعون عطف على اهلكنا مع اندراجه
تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل من الفرق المذكورين
او كل من هولاء واوليك او كل من غرقة القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين لانفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها
للهلاك او واضعين الكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند
الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعل شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم
بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله تعالى ان هم الا
كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يومنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل
عليهم وكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جي به على وجه الاعتراض لا انه عطف
على كفروا وداخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول
الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء
العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعي عليهم
من النقض لا اعطاوه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات
للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع
فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى
يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا يتحقق
له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم
ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة يعرى الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة
بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربتهم الاعداء مع كونه في غاية البعد
والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال
انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان
احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب
والاضطراب ونكل عنها بان تفعل من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة
وفيه ايماء الى انه يصدر الحرب قريش من هولاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ
من خلفهم اي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من في وراءهم
لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض او عن الكفر وقوله

تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعمل
بالعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سياتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم
اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء اي على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك
قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة
خيانة اصلا والجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم
بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى
الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون تحذيرا
له عليه الصلوة والسلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم
قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت من حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار
وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان لتحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع
اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا اسم مع مقاومة المومنين بل الغلبة عليهم
ايضا مما يتعللون به امانيهم الباطلة وللتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يكاد ان
يدور في خلدهم حسبان النجاة فقط وقيل الفعل مسند الى واحد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول والثاني
لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن
الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الاية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة
الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين
اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم
من الهرب والخلاص من ايدي المومنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير
اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون وقرئ لا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم
توجيه الخطاب الى كافة المومنين لما ان المامور به من وظايف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهو
لقتالهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما
ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي
قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه لانافته على نظايره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم
للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط
مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل
وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون
به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين
به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار
مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين
من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم

باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهم الانس بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غير فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد القتال قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع الآية وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال ٭ السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٭ وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولوا في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسخها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطال الحرب فان حسبك الله تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تأييده تعالى فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سيأتي هو الذي ايدك بنصره اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله تعالى او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار وألف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتأليف ما بينهم ما ألفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله ألف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانساهم الله عز وجل جميع ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحرب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال ٭ فحسبك والضحاك سيف مهند ٭ وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي بعدما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امره عليه الصلاة والسلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو

ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوضح ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال انك في هذا حرض الا مراي ممرضا فيه ليتهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم على طريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل مائة منها عدة عشرات لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمئنان على انه قد جرى بين الجمعين القليلين والكثيرين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين من التفاوت فما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد والسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه من السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتسهيله وتيسيره وهذا القيد معتبر فيما سبق بالآية الفوقانية من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبهم ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفدا

وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله ○ اكل امرئ تحسبين امرأ ○ ونار توقد بالليل نارا ○ والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة فان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما ما لم يصرح لهم بالنهي اما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصح ان يعد من موانع المساس فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للترتيب على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب في اكلها وقوله تعالى واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم يغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء و اخذ الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عليه الصلاة والسلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله

من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووهم وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة فيه ورزقهم ولا منة فيه ولا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا اي بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الآية الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة التوبة مائة وثلاثون آية مدنية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من الكفار

والبحث والتنقير عن حال المنافقين وآثارها والحفر عنها وما يخزيهم وما يشرحهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسما
الاسما يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعا اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها
خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية نزولها في رفع الامان الذي يابى مقامه التصدير بما يشعر بقائه من ذكر اسمه
تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن
رضي الله عنهما وفيما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى
القول بان البسملة ليست من القران وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في
المصاحف وتركها انما هو راي من تصدى لجمع القران دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها اية
فذة من القران نزلت للفصل والتبرك وان لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف
ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه واختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او
لما ذكرنا ولا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال
من كثرة الايات وطول المدة فيما بين نزولهما بحيث لم يبينه عليه الصلاة والسلام تعين الثاني لان عدم البيان من
الشارع في موضع البيان بيان للعدم **براءة** خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة
ومن في قوله عز وجل **من الله ورسوله** ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم وتهويل
اي هذه براءة مبتداة من جهة الله ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما تعلق
به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا
واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا لتخصصها بالصفة وخبرها الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة
النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد الى المخاطبين ذاتها ولا عنوان استنادها الى الله تعالى
ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا
اخر وهو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها
اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما
ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه
هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد
كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم
فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت
البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين
خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على راي المخاطبين
لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب
الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير
توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر على ان
يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية
ما تحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم
يتصور صدورها عنه تعالى وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون
ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسب كل واحد منهما الى من هو اصل فيه على ان في ذلك تفخيما
لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخذلان وتنزيها لساحة
السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى

واخراجه عن الثانية لتنزيه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة
الاسمية على الفعلية كان يقال برئ الله ورسوله من الذين ونحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل
الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه **فسيحوا** السياحة والسيح الذهاب **في الارض** والسير فيها بسهولة
على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا
ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك
لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب وتحصين الاهل والمال وتحصيل المهرب وغير ذلك لا تكليفهم بالسياحة
فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة
في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشائبة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة
الامر مع تسني افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كما يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال
القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر
بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحرب على ان الاول مترتب على نفسها والثاني بكلا
متعلقيه على عنوان كونها من الله العزيز الحكيم لا لترتب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب
وبالغوا في اعداد العتاد من كل باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول
وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزي الله** اي لا تفوتونه بالهرب **وان الله** وضع الاسم الجليل
موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار **مخزي الكافرين** اي مخزيكم وقد
في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم
بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هو كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا
اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان الحج في تلك السنة كان
في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وروي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع
ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر
فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة
الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده **واذان من الله**
ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة
على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون اخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا **يوم الحج الاكبر** هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله
ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر وقيل يوم عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك
اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون **ان الله** اي بان الله

... ووصف الحج بالاكبر اذا كان ... يوم الجمعة ... يوم الجمعة افضل الايام ...

وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على
المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء
معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم اي من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة
تهديد وتشديد والفا لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن بلين
عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف
له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف
على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال
اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم
مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى
واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها
وقيل هو استثنا متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله
استثنا من الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثنا من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك
وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم
ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا
عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم
يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرهم
قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوا اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي
الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من بني كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق
العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ
اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر
الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما
وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه تعالى اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه
الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله
كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتملا عليه اشتمال الجلد على الجسم
وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه
من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها
اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ
عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتنا بشانها او هي مع ما فهم من قوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا
المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من
العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل
طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم لما انه يستدعي بقاء
حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى

لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد
بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة
ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد به ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح فكيف
ينسخ به ما نزل بعده بل الاولى انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون مستنده منقولا
الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
اي اسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس
رضي الله عنهما حولوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في
اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني
دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان حسبما اضطروا اليه بما ذكر من القتل والاسر
والحصر واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات
لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر
ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية
السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى
والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر
لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا على الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك
تامينه ويكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه
والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء اخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت
للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد
يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن ابي يزيد كذا قيل الا ان
تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه
من امور الدين وما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي
محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد
من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا بما يعمها وغيرها من
الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عليه السلام انما يأتيه للامور المتعلقة بالدين
ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مأمنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك اي الامر
بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا
بد من اعطائهم الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق
ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية اليها [illegible]
بمعنى انكار الوقوع [illegible] من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون
الناقص وكيف خبر مقدم [illegible] عهد اسمه [illegible] متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو
مؤخرا لكان صفة له [illegible] ويجوز ان يكون الخبر للمشركين [illegible] الاستقرار الذي تعلق به
ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون [illegible] الاستقرار الذي يتعلق به
الظرف [illegible] الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين [illegible] على التشبيه
بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى [illegible] ما ليس في توجيه
الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على طريق من الطرق اي على حال او في [illegible] عهد

يعتد به **عند الله وعند رسوله** يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم
بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب الآخرة فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا مدخل للعهد فيهم في
ذلك الامر قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم
الاعتداد به عند كل منهما على حدة **الا الذين** استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع
المعاهدين اي لكن الذين **عاهدتم عند المسجد الحرام** وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة
عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفا لتضمن معنى الشرط وما اما مصدرية واما شرطية منصوبة
المحل على الظرفية الزمانية اي فاي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثنا متصل ومحله
النصب على الاصل والجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود واياما كان فحكم الامر بالاستقامة
ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد
وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم خلا انه قد صرح هاهنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به
ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفا **ان الله يحب المتقين** تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب
العهد من احكام التقوى كما مر **كيف** تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله
تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان استبعاد
بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شي يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والا
تاكيدا لها وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لها لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل
المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما
في قوله ۞ وخبرتماني ان الموت بالقرى فكيف وها تا هضبة وقليب ۞ فانه علة مصححة لا مرجحة اي كيف يكون
لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله **وان يظهروا عليكم** اي والحال انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في
مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها **الا ولا ذمة** اي حلفا و
قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق
العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاما اذا لم يراعها المشركون فكيف يراعونها على سوا
قول من قال ۞ علام تقبل منهم فدية وهم ۞ لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ۞ وقيل الال من اسماء الله عز
وجل اي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم
لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الخبيثة
والجملة بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفا في شي وانما يظهرون مداهنة لاتها
فقيل **يرضونكم بافواههم** حيث الوفا بالمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان
الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضا الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد
الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم **وتأبى قلوبهم** ما يفيده كلامهم **واكثرهم**
فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروة رادعة
ولا عقيدة وازعة لا يتشاورون عما يتعاطاه بعضهم مما يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء
اشتروا بآيات الله باياته الآمرة بالايفا بالعهود والاستقامة في كل امر وجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا
اوليا اي تركوها واخذوا بدلها **ثمنا قليلا** اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي

اتبعوها

اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب **فصدوا** اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا
وصدوا غيرهم من صد صدا والفا للدلالة على سببية الاشترا لذلك **عن سبيله** اي الدين الحق الذي لا يحيد
عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار **انهم ساء ما كانوا يعملو**
اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة سا على اصلها من التصرف
لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا **لا يرقبو**
في مؤمن الا ولا ذمة ناع عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا
في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن حذا حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او
دليل على ما هو مخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره **واولئك** الموصوفون
بما عدد من الصفات السيئة **هم المعتدون** المجاوزون الغاية القصوى في الظلم والشرارة **فان تابوا**
اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفا للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم
مزجرة عنها ومظنة للتوبة **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة** اي التزموهما وعزموا على اقامتهما ۞
فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم
ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد
عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت
اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها حكما مخالفا له وهذه **ونفصل الآيات** اي نبينها والمراد
بها الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكام حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات
فيندرج فيها هذه الآيات اندراجا اوليا **لقوم يعلمون** اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث
على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها **وان نكثوا** عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم
يفعلوا ذلك بل نقضوا **ايمانهم من بعد عهدهم** الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القول
الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الآية او ثبتوا على ما هم عليه من
النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل **وطعنوا في دينكم** قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقا**
تلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة
وتقدم في الكفر احقا بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر
لا لانه قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين
بين اما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القرا **انهم لا ايمان لهم** اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون
نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها لا بالنكث فيما سبق لا بالعهد المؤكد بها لانها
العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن مع انه لا حاجة
اليه بانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا ايمانهم وطعنوا اذ لا
ايمان لهم حقيقة حتى ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم
الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان
اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم
معنى على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فهي كونه تعليلا للامر
بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام فهي كونه تعليلا للامر بالقتال او للامر كما
قيل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجي فالوجه
ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام

لهم حتى يرتدعوا عن نقض عهدهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم
إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا إيصال
الأذية لهم كما هو ديدن المؤذين ألا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدل على
تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها كأنه أمر لا يمكن أن يعترفوا به طائعين لكمال شناعته
فيلجؤن إلى ذلك ولا يعذرون به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا
يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر
في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم القديمة وهم بدءوكم أول مرة وقيل هم اليهود
نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بالكتاب المبين وبهذا هم به تعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى القتال
أو بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن إعانة بني بكر عليهم قتال معهم أتخشونهم أي أتخشون
أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم أولا بترك مقاتلتهم ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق
أن من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بأن لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله أحق أن
تخشوه بمخالفة أمره وترك قتال أعدائه إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان تخصيص الخشية به تعالى
وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للأمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد
بنصرهم وتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم قتلا وأسرا وينصركم عليهم
أي يجعلكم جميعا غالبين عليهم أجمعين ولذلك أخر عن التعذيب والإخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم
يشاهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا
من أهلها أذى كثيرا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال عليه السلام أبشروا فإن الفرج (فقال عليه الصلاة والسلام صح)
قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد أنجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به
على أجمل ما يكون فكان إخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام
مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة حسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة
فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به
للتدبر في أمورهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي لا اختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى أعلم والله
إيثار إظهار الجلالة على الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا
يأمر إلا بما فيه حكمة ومصلحة أم حسبتم أم منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق إلى
وما فيها من همزة الاستفهام للإنكار توبيخ لهم على الحسبان المذكور أي بل أحسبتم أن تتركوا على ما أنتم عليه ولا
تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو للمنافقين ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني إذ لو شم
رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلص من المجاهدين
منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم
علم الله تعالى أن المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال
المقصرين لما أن ذلك بمعزل من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل لكونهم
متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك
من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن بقي على حاله أو مفعول ثان له إن
جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم
من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الخ أو حال من فاعله أو مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا

منكم والحال أنه تعالى يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين أي ما صح وما استقام لهم على
معنى نفي الوجود والتحقيق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما
وقع وما تحقق لهم أن يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد إذ
ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن
المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يقصدون بتعمير المساجد ولا يفتخرون بل يدل على أنه مبني على كون
النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على أنفسهم بالكفر أي بإظهار آثار الشرك
من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن كل ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا
نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكونوا ما سموه عمارة مع ملابستهم
ما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم
أن يجمعوا بين أمرين متنافيين إنما يستدعي انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي أن
المهاجرين والأنصار أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ بقتال النبي صلى
الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقال أولكم محاسن قالوا نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك
الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهيها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت أعمالهم التي يفتخرون
بها لما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وإيراد الجملة الاسمية
للمبالغة في الدلالة على الخلود وفي النار متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا
الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الأولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع
العذاب إنما يعمر مساجد الله الكلام في إيراد صيغة الجمع كما مر فيما خلا أن إرادة جميع المساجد وإدراج
المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فإن الأحكام كما تدرى بالإفراد أيضا والمراد هاهنا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها أي إنما يصح ويستقيم أن يعمرها عمارة يعتد
بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي وأقام الصلاة
وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مندرج تحت الإيمان
بالله خاصة فإن أحد جزئي الشهادة علم للكل وإنما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد
بعمارتها ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة
والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى
إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام إذا رأيتم الرجل يعتاد
المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة
العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في أمور الدين إلا الله فعمل بموجب أمره ونهيه غير
آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك وأما الخوف الجبلي
من الأمور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها
فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة أن يكونوا من المهتدين إلى مباغيهم من
الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وإبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع
الكفرة عن الوصول إلى مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التي يحسبون أنهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم

تقطعهم الهمم لمهتدون فان المومنين مع ما لهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال
الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمومنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض
الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ واياما كان فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المبادر من
تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المومنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة
والجهاد ونظائرهما وهو الانسب بالاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله تعالى الفريق الثاني
وببيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل
بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على
الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما
هم عليه من الشرك بالمومنين من حيث اتصافهم بالايمان وعلى انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع
الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما باعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين
آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد
ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم على اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو
اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بنفي التساوي اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود
فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما
في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان
خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد
وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته
عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى
الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى
المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمومنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد
عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف مقرر للانكار المذكور وتأكيد له او
حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله
لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ظالمون في
هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة
تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي
الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم
بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان
حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم
او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة
من المومنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا

تلحقون

تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد
الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه الصلاة والسلام اقيموا على سقايتكم فان لكم
فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل
عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل
الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المومنين
في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او جعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم
يذكر الجهاد في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه
هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب
الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى
على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به
عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية
مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني والى الفوز
المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات
عالية لهم فيها اي في تلك الجنات نعيم مقيم نعيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للبشارة وتربية
له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله
عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا اي للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد
من المشركين بمقتضى مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار
لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة
قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه وابوه واخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه
ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله اي حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس
اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق
النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم
اي واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول او للايذان باستقلال كل واحد
منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي
اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل لو
للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المومنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة
الآباء والاخوان ويزهدهم فيه وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا
وزينتها على وجه الترهيب والتوبيخ ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج
فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
اي الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها
اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها

للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتنافي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل من ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم التفارق لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشأنه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته واجبة راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى يأتي الله بأمره قال ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها وقعات بدر وقريظة والنضير وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدها اي وموطن حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب لما ان قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف ومنصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري واكب المسلمون على الغنائم فنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي فلم يعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه السلام كان يحمل على المشركين فيفرون ثم يحملون عليه فيقف فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله

ومن بسط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال الآن حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة فقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين فقال لما كشفنا المسلمين فجعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان اناسا منهم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة او هم ذو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد وقيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله تعالى بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال الا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيده بذلك لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولانه لا غنى ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا

الذين لا يؤمنون بالله أمرهم بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين وبمنعهم من أن يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم وبيّنهم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الإغناء الموعود على الوجه الكلي وأرشدهم إلى سلوكه ابتغاء لفضله وإنجاز الوعد والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلية ما في حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فإن اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه **ولا باليوم الآخر** فإن علمهم بأحوال الآخرة كلا علم فإيمانهم المبني عليه ليس بإيمان به **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** أي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا أو غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه أي يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ لسائر الأديان وهو دين الإسلام وقيل دين الله **من الذين أوتوا الكتاب** من التوراة والإنجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت **حتى يعطوا** أي يقبلوا أن يعطوا **الجزية** أي ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه أي قضاه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل **عن يد** حال من الضمير في يعطوا أي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين أو من يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن يد قاهرة عليهم أي بسبب يد عاجزين أذلاء أو عن إنعام عليهم فإن إبقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم أو من الجزية أي نقدا مسلمة عن يد إلى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الإعطاء بل هو كما أشير إليه **وهم صاغرون** أي أذلاء وذلك أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدّ الجزية وإن كان يؤديها وهي تؤخذ عند أبي حنيفة من أهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند أبي يوسف رحمه الله تؤخذ من أهل الكتاب عربيا أو عجميا ولا تؤخذ من أهل الأوثان مطلقا وذهب مالك والأوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار وأما المجوس فقد اتفق الصحابة على أخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسري على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه الصلاة والسلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ووقت الأخذ عند أبي حنيفة أول السنة وتسقط بالموت والإسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال أربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية وأربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان أو زمن أو صبي أو امرأة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان أو فقيرا كان له كسب أو لم يكن **وقالت اليهود** جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على أنه اسم أعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف وأما تعليله بالتقاء الساكنين أو بجعل الابن وصفا على أن الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه وقيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله عنهم ذلك ولا عبرة بإنكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس وهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء عليهم السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له إلى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه قال الإمام الكلبي لما قتل بختنصر علماءهم وكان عزير إذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعدما أماته مائة سنة يقال إنه أتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما أتاهم فقال إني عزير كذبوه فقالوا إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة ففعل فقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا لأنه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير

الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه به ثم إن التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بغير أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها **ذلك** إشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار إليه في الشناعة والفظاعة **قولهم بأفواههم** إما تأكيد لنسبة القول المذكور إليهم ونفي التجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الأفواه من غير أن يكون له مصداق في الخارج **يضاهئون** أي يضاهي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز **قول الذين كفروا** أي يضاهي قولهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا **من قبل** أي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله أو اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل إذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله من قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وهو أيضا كما ترى فإنه يستدعي اختصاص الرد والإبطال بقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم بقول النصارى **قاتلهم الله** دعاء عليهم جميعا بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون من الحق إلى الباطل والحال أنه لا سبيل إليه أصلا **اتخذوا** زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى **أحبارهم** وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الأصمعي لا أدري أهو حبر أم حبر قال أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر ذميا كان أو مسلما بعد أن كان من أهل الكتاب **ورهبانهم** وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع أي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا كلا الكل **أربابا من دون الله** بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان إذ ذاك على دين الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى إلى قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الأحبار وكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله **والمسيح ابن مريم** عطف على رهبانهم أي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا إنه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير إلى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع أن اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا أقوى من مجرد الإطاعة في أمر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا لأنه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام إلى أمه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للإيذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة **وما أمروا** أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابهم **إلا ليعبدوا إلها واحدا** عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فإن ذلك مخل بعبادته تعالى فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح ابن مريم عليه السلام إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما إطاعة الرسول عليه السلام وسائر من أمر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة إطاعة لله وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أربابا من المسيح والأحبار والرهبان إلا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الأحبار والرهبان بطريق الإطاعة فإن تخصيص الإطاعة به تعالى لم يخصوا العبادة به تعالى لا تحقق إلا بتخصيص الطاعة أيضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة

به تعالى لا إله إلا هو صفة ثانية لإلهاً أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون من الإشراك به في
العبادة والطاعة يريدون أن يطفئوا نور الله إطفاء النار عبارة عن إذهابها الموجب لزوال نورها لا عن إزالة
نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من إطفائها رد الإنارة بها إلا النور كالمصباح إزالة نورها جعل إطفاؤها عبارة
عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق إزالة النور وإن كان لغير النار والسر في ذلك انحصار إمكان الإزالة
في نورها والمراد بنور الله سبحانه إما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد
والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحل والحرمة بأفواههم بأقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير
أن يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه
وسلم هذا وقد قيل مثل حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله أي لا يريد
إلا أن يتم نوره بإعلاء كلمة التوحيد وإعزاز دين الإسلام وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي
كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة
أي لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الإطفاء وفي
إظهار النور في مقام الإضمار مضافاً إلى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف وإشعار
بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف مضافاً إلى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه لدلالة ما قبله
عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موضع الحال أي لا يريد الله إلا إتمام نوره لو لم
يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه أي على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور ما في
إن ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مراراً هو الذي أرسل رسوله ملتبساً بالهدى
أي بالقرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الإسلام ليظهره أي رسوله على الدين كله أي
أهل الأديان كلهم أو ليظهر الدين الحق على سائر الأديان بنسخه إياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير
لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا أن وصفهم بالشرك بعد
وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الكفر بالله يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان حال
الأحبار والرهبان في إغوائهم لأراذلهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً يطيعونهم في الأوامر
والنواهي واتباعهم لهم في كل ما يأتون وما يذرون إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وإنما عبر عن ذلك بالأكل بناء على أنه
معظم الغرض منه وتقبيحاً لحالهم وتنفيراً للسامعين عنهم ويصدون عن سبيل الله عن دين الإسلام أو عن المسلك المقرر في التوراة
والإنجيل إلى ما افتروه وحرفوه بأخذ الرشا أو يصدون فيه بأنفسهم بأكلهم الأموال بالباطل والذين يكنزون الذهب
والفضة أي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر والموصول إما عبارة عن الكثير من الأحبار
والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من أخذ الرشى والبراطيل وإما عن الكانزين غير
المنفقين وهو الأنسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً
ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم فالمراد بالإنفاق في سبيل الله الزكاة لما روي
أنه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها
ما بقي من أموالكم ولقوله عليه السلام ما أدي زكاته فليس بكنز أي وعد عليه فإن الوعيد عليه مع عدم الإنفاق
فيما أمر الله بالإنفاق فيه وأما قوله عليه السلام من ترك صفراً أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له
صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره فبشرهم بعذاب أليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى

الشرط ويجوز أن يكون الموصول منصوباً بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب أليم أو بمضمر يدل عليه ذلك أي
يعذبون أو باذكر يحمى عليها في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها وأصله يحمى بالنار فجعل الإحماء للنار
مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار تنبيهاً على أنه المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى التذكير كما
تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن طرحت القصة قلت رفع إلى الأمير وإنما قيل عليها والمذكور شيئان لأن
المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للأموال والكنوز فإن الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لأنهما قانون التمول وللفضة وتخصيصها لقربها ودلالة على أن الذهب كذلك بل أولى فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم لها وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء
الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع
التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على إرادة القول لأنفسكم لمنفعتها فكان
عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ بضم النون إن عدة
الشهور أي عددها عند الله أي في حكمه وهو معمول لها لأنها مصدر اثنا عشر خبر لإن شهراً تمييز مؤكد كما في قولك
عندي من الدنانير عشرون ديناراً والمراد الشهور القمرية إذ عليها يدور فلك الأحكام الشرعية في كتاب الله في
اللوح المحفوظ أو فيما أثبته وأوجبه وهو صفة اثني عشر تمييز مؤكد سببنا في كتاب الله وقوله عز وجل يوم
خلق السموات والأرض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار أو بالكتاب على أنه مصدر منها أي من تلك
الشهور الاثني عشر أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته
في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة
حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجع أمر الأشهر
إلى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج إلى ذي الحجة بعدما كانوا أزالوه من محله بالنسيء الذي أحدثوه في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه في ذي القعدة ذلك أي تحريم الأربعة الأشهر
المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار إليه هو الدين القيم المستقيم دين إبراهيم عليه السلام
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى إنه لو لقي الرجل
قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجباً الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم
بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم ارتكاب المعاصي فيهن
فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وفي الأشهر الحرم وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم
إلا أن يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الأول أنه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أي جميعاً وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال واعلموا أن الله مع المتقين أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع
المظهر موضع المضمر مدحاً لهم بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان
لهم بالنصر بسبب تقواهم إنما النسيء مصدر نسأه إذا أخره نساء ونساءة ونسيئاً كمس مساً ومساساً ومسيساً وقرئ
بهن جميعاً وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الأولى فيهما كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه
آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن جعلوها ثلاثة عشر أو أربعة
عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حرماً ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة
أي إنما هو تأخير حرمة شهر إلى آخر زيادة في الكفر لأنه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم

يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البنا للفاعل من الافعال اي يضل الله تعالى بخلق فيهم
الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراة الاولى وقيل يضلون به روساوهم والموصول عبارة
عن اتباعهم وقرئ بفتح اليا والضاد من ضل يضل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرم
مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار
احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى الهتهم كما سيجي عاما اخر اذا الموسع تغيير غرض من اغراضهم قال
الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان الناس اذا هم بالصدور من الموسم يقوم فيخطب
ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول المشركون لبيك فيسالونه ان يحرم شهرا يغيرون
صفر العام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة
واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته
ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسي الشهر القلمس
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال والحال من الموصول
والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني
او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على
البنا للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح
اعمالهم حسنا واستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما
يهديهم الى ما يوصل اليه واستمروا عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها
الذين امنوا رجوع الى حث المومنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم
استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وتقاعستم واصله تثاقلتم
وقرئ كذلك اي اي شي حصل او حصل لكم وما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى
الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون والعامل في الظرف الاستقرار
المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اما لكم حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم
على الاستفهام الانكاري التوبيخي والعامل في الظرف حينئذ اثاقلتم وهو الظرف الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى
الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة
الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في
سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها
الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم القصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا
وغرورها من الاخرة اي بدل الاخرة والنعيم الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة
التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الاخرة اي في جنب الاخرة الا قليل اي مستحقر لا قدر له وفي توشيح
الحيوة الدنيا بما يوذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا
ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز
وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل ويستبدل بعد اهلاككم قوما غيركم ووصفهم
بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة
للاستيصال اي قوما مطيعين موثرين الاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس
وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني

عن كل شي في كل شي وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله وعده بالنصرة والعصمة وكان وعده
مفعولا لا محالة والله على كل شي قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين الا تنصروه فقد
نصره الله اي ان لم تنصروه فينصره الله الذي نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزا واقيم
سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه
الذين كفروا اي تسببوا في خروجه حيث اذن له عليه السلام حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره
عليه السلام وقرئ بسكون اليا على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار
كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لكون الصديق مقدمه ودخوله
في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط في نفسه كما ذكر في الاخبار بمعزل عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا
اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي للصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شي من الحزن وما هو المشهور من اختصاصه بالمتبوع فالمراد
ما فيه من المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم
عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه فانزل الله
سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة
الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها
عطف على قوله تعالى فقد نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل
هم الملائكة انزلوا ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله تعالى وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجا بل بالقتل والاسر
ونحو ذلك وكلمة الله هي العليا اي التوحيد او دعوة الاسلام لا يدانيها شي وتغيير الاسلوب للدلالة على
انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ
بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور
بعد التوبيخ على تركه والانكار على التساهل فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين
اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض والغنى والفقر وقلة العيال
وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما
من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا
وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي
وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى
حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفا الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما حسبما يقتضيه الحال والحاجة من ساعده النفس والمال يجاهد
بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلما وقيل هو ايجاب

للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى تركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه هو عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع في كلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاطة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا عن لهم من الكذب والتعلل وعلى الثاني بقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله تعالى فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جئ به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية او في ادعاء نفي الاستطاعة مع تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفي عنه ما وقع عند استيذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم محلوفها عن ترك الاولى والافضل الذي هو التاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله تعالى لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استاذنوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امره عليه السلام منوطة باسباب من جهته وموجبة لها وصحة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار شفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اسروا عند عدم الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى والافضل وتخصيصه عليه السلام عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبيين والعلم وان يكون توجيه الانكار او استيعابه له من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين فان ما صدر من الآخرين

القرب والبعد

وان كان

وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبيين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستانفا واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبيين الى الاولين لما ان المقصود هنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبيين الى الاولين وتعلق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصفا الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصود هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما لذاتهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب بشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها من التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبيح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين ومنفعة للمسلمين لكان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا فيكم الخ وقد كرهه سبحانه وقد يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وارضوه بالاكاذيب على انهم لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم من يبادر من غير توقف على الاذن فضلا ان يستاذنوك في التخلف وحيث استاذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتاني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل هو المستاذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا باموالهم ثم قيل هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فوجه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو انه كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن غاية احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستاذنك في ... لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة لان يجاهدوا وانا على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته لا تخفى ولا يخفى ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل مما لا يفعل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لقلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لقلة الرغبة ولو سلم فالذي ينفى عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لا يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او كراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يسعى المؤمنون استبدال الحيوة الابدية

الخطاء

والنعيم المقيم بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة
على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم توشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد
ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم
قال عند الاعتذار كنا نريد الخروج ولكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكن الاستعداد فقيل تكذيبا لهم
لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد
منه في السفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
اي عدته وقرئ عده بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو
استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله
انبعاثهم تستلزم تثبيطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع
بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون
استدراكا على نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن
ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا
عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم
والوسوسة للشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في القعود والامر في القعود اما المعذورون وغيرهم وايا ما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم
بيان لسر كره الله تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا
اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس كذلك ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم
بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع
والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولارقصوا
من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم وبالقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم
سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم
والجملة حال من مفعول يبغونكم او من الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم
معادلا لمنفعته ولذلك لو لم تقتض الحكمة عدم خروجهم لخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين
مستتبعا للخلل كره الله انبعاثهم ولم يتقدر اجتماعهم فاندفع فسادهم وتوجه العتاب على الاذن في قعودهم
مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما
بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش
الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم فيجازيهم
وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه
على الظلم ولعله شامل للفريقين الساعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك
عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما
خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ثنية الوداع وثنية العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه الصلاة والسلام
فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليبا لامر تصريفه من امر الى امر وترديده لاجل التدبير والاجتهاد
في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا

الآرا في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلى
شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآيات لتسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب
ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي ولا توقعني في الفتنة والمعصية والاثم بان لا تاذن لي فان تخلفت
لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت هلك
مالي وعيالي لعدم من يقوم بهم ومصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني
ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني ولا تفتني بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها
واكمل افرادها المغني عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص اسم الجنس بها سقطوا لا في شئ مغاير لها فضلا عن ان يكون
مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن
الاذن بالقعود المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي
تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان
الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة
عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على
ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع عن قريب منزلة الواقع وضعا لاسباب الشئ موضعه
فان مبادي احاطة النار لهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب من جملتها ما وقعوا فيه وما
سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا
يظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين
اما المنافقين وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة
واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم
تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا
متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين
والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل
اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما روج عند الكفرة بوقوعها حال
قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا من مقام التحدث بذلك والاجتماع الى اهاليهم اي يعرضوا عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير
في يقولوا ويتولوا لا من الاخير فقط لمقارنة الفرح بهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور
واسناد المساءة الى الحسنة والسرور الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان بان
مدارهم حالتي عروض المساءة والسرور بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا
عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من
النصر عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده
فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضى بما وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي
العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة

العصر ثم ادخل اللام على الله لانه على استحقاقه تعالى للتوكل كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت
من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة
من قبله تعالى امرا للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله
تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين لانقطاع حكم الامر الاول في الثاني وان كان امر الغائب وليا
على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشان المامور به وللاشعار بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق
والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى الحسنيين مفعوله اي ما تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم
في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة
من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب
من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل
على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوؤكم قل انفقوا
اموالكم في سبيل الله تعالى طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر
في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم
الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على
الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل
يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة وهو قوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين
اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم وقرئ بالتحتانية الا انهم كفروا بالله
وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقولهم وقرئ يقبل على
البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا
اي من غير الزام من جهته عليه الصلاة والسلام لا رغبة له وهو فرضي الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم
كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة
ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان
يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤكدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف ويؤكدونه
مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا واختيارا انهم لو
وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجؤون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في
الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة عدم استمرار الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا
في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى
قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان
فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا
يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار اذا دخل الغور
يغيرون فيها اشخاصهم واهاليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغاير او مدخلا

اي

اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم
وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اي الى اليه وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح
وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة
ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في
شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا
منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم
يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت هذه الاية الكريمة في ابي الجواظ المنافق حيث قال
الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه
حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم خيبر فاستعطف قلوب اهل
مكة المشرفة بتوفير الغنائم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ويلك اذا لم اعدل فمن
يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم
الرسول عليه الصلاة والسلام من الصدقات طيبي النفوس وان قل وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على ان ما
فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بامره سبحانه وتعالى وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه
بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان
يخولنا فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات
شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول عليه الصلاة والسلام ببيان المتعارف ورد لمقالة الضالة في
ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان المصارف ورد لمقالة العامة انهم بمعزل من الا
اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية
والاية الكريمة لا يتجاوزهم الى غيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سو
ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه
وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة
قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم ليسلموا فيرضخ لهم
ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فتؤلف قلوبهم باجزال العطا كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظائرهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه
وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة
وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله تعالى واعلى كلمته استغني
عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل ان يفدى
الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للملك
والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين وبعدم ثبوته رأسا
كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في الظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم
محلا ومركزها والغارمين اي الذين تداينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم
وكذلك عند الشافعي رضي الله عنه من تحمل لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء
وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف
في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق وما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص

بتحقاق

لهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان الامر لبيان
انهم مصارف فلا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحذيفة وعند الشا
فعي لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاث من تلك الاصناف المذكورة فريضة من الله مصدر موكد لما دل عليه صدر الاية ذلك صح
الكريمة اي فرض لهم من الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعل مقدر اي فرض من الله فريضة او
حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم
باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق
الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يوذون النبي نزلت هذه الاية في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه
الصلاة والسلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد
نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قول الله تعالى
ويقولون هو اذن يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق
وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عليه الصلاة والسلام كان لا يواجههم بسوء ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه
على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجود
والصلاح كانه قيل نعم هو اذن لكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه
وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه او خبر ثان لانه قوله عز وجل يومن بالله تفسير لكونه اذن خير لكم
للمومنين اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكونه ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعا
مما لا يخفى ويومن للمومنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان
بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى نومن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى ورحمة عطف على اذن خير وقرئ
بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم
لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسنا
د الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المومنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان
بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة
والذين يوذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال على ما انهم عليه يترتب
اشعار هم كما يفصح عنه قوله تعالى كما سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترون عليه من اذية الرسول عليه
الصلاة والسلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله تعالى على نهج
الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا
يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه
على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمومنين خاصة
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم معتذرين اليهم ويوكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا يعتذرون
عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس
بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول
عليه السلام وقد قبل عليه الصلاة والسلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك منهم بمعزل من ان يكون وسيلة
الى ارضائه عليه الصلاة والسلام وانه عليه الصلاة والسلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن
رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة
والمتابعة وايفاء حقوقه عليه الصلاة والسلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به

من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحال
من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجدي
ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان ارضاءه عليه الصلاة والسلام مندرج تحت
رضى الله تعالى وارضاؤه عليه الصلاة والسلام ارضاء له تبارك وتعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله الاية واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور لانا نقول
لولا الاستعارة لم يتيسر لنا ذلك لان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه
التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها من اوصاف اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان
حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال • نحن بما عندنا وانت بما •
• عندك راض والراي مختلف • او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي
المبرد ان كانوا مومنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مومنين فليرضوا الله ورسوله
بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من
العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله
المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال
المذكورة في حد غير حد صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على انه خبر محذوف اي فحق ان له
نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا
وقيل المعنى فله وان تكرير الاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول
الفاء كما في قول من قال • لقد علم الحي اليمانون انني • اذا قلت اما بعد اني خطيبها • وقد جوز ان يكون فان له
معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له الخ ورد ذلك بان
ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان
اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشارة الى ما ذكر من
العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن
للفضيحة والندامة وهي من ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهوره ولحوق العذاب الخالد
بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل فيهم نازل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى
تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المومنين على اسرارهم لا اطلاع
انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه فينتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم
والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها
وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمومنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك
عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المومنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك
استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل شيء ويذكر كل شيء بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن به فلذلك قيل قل استهزؤا اي افعلوا الاستهزاء
وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل ومن الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال
السورة ومن مخازيكم وقبائحكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على رؤس الاشهاد والتاكيد لرد انكارهم لا لدفع
ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس ترددهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب

روي انه عليه الصلاة والسلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا اياهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على خطائهم موقع الاستهزاء ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقبت حرف التقرير بالمستهزأ به فلا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وتعالى وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وتانيثه اسنادها الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب طائفة بنون العظمة وقرئ بالتاء على البناء للمفعول وبالياء على اسناده الى الله تعالى مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين ومباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه هو رجل واحد يحيى بن عمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يأمرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ويفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع عذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او ولهم عذاب مقيم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا اي تمتعوا وفي صيغة الاستفعال لما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي

خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غايتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون عليها اجورا حسنة لو قارنت الايمان ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون وليس ترتبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل على طريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه لما انه قد ذهب رؤس اموالهم التي هي اعمالهم مما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم الله بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكن ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بالاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق الدينية المبنية على المعاني المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظم لكل خير وشر ويقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله تعالى فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكاة في مقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للرحمة اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شأن المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن

لوعد المنافقين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار
رحمة الله تعالى الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية
وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغيره لك للايذان
بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا
وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم حائز لها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد
بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله
لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب
على كل باب خمسة الاف حورا لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود انها بطنان الجنة وسرتها فعدن
على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه
وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصف بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو منها اماكن
الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء
ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوان الله اكبر اذ عليه
يدور كل خير وسعادة وبه يناط كل شرف وزيادة سيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه
متحقق ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا
لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك
احل عليكم رضاي فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته
في العظمة والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها
وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال

• تالله لو كانت الدنيا باجمعها • تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا • ما كان من حق حر ان يذل لها •
فكيف وهي متاع يضمحل غدا • يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة
الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية الكريمة كل شيء من العفو والصفح
ومأواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل مقرر لما قبله
والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من
الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمعه من كان منهم معه عليه الصلاة والسلام فقال الجلاس بن
سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال
عامر بن قيس الانصاري اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلف ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل
وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرير الحلف وصيغة الجمع
في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم لرضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا
كلمة الكفر هي ما حكي في الجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما

في قلوبهم

قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك انه توافق خمسة عشر على ان يدفعوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل
فكان عمار بن ياسر آخذا بخطام ناقته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل
هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا او ما عابوا او ما وجدوا به ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة وقيل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما
انكروا شيئا من الاشياء الا ان اغنى الله تعالى اياهم او وما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله
تعالى اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت
توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن الدين من بعد هذا العرض
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بفنون العذاب
بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان
ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن بنون التأكيد للزكاة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي حقه
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق بشيرا ونذيرا لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها ارض المدينة المشرفة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انه كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فذلك قوله
الله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه
وتعالى فلما رجعا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله تعالى منعني من ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه الصلاة والسلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني
فقبض عليه الصلاة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله
عنه وقيل نزلت فيه وفي ابن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة
وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون فاعقبهم اي جعل الله تعالى عاقبة
فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون
فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما اخلفوا
الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي بكونهم
مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيصه به يؤدي الى خلو الجمع عن صيغة
الماضي والمستقبل عن المزية فان نسبة الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده الى الله تعالى اذ لا

وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها خ

معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل والنفاق والتحقيق انه لما كانت الفا الدالة على الترتب والتفريع مبنية عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على فعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الايهام بتغيير ما هو المدار وذلك والله اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء الفوقانية خطاب للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم اي ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى سيظهر في قوله تعالى ستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموضعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي اسناد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من ضميرهم في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من الذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله تعالى له حتى صولحت رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير صاعين فتركت صاعا لعيالي فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل لكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الاية والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاة الله تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتفخيم والتهويل وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلاة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت الاية فقال عليه الصلاة والسلام ساستغفر له اكثر من السبعين وقيل قال عليه الصلاة والسلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة تخالف حكم كل منها حكم ما فوقها انا لله تعالى قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيه ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة

ثم السبعون غاية الكمال

غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق بقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن الحدود اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي يدور عليها ذلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوا فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه عذر للنبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء وانتصابه على انه مفعول له والعامل فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام والعامل احد المذكورين اي فرحوا لمخالفتهم له عليه الصلاة والسلام بالقعود او فرحوا بالقعود لمخالفتهم له عليه الصلاة والسلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والحرص على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المبني على امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاقبة امرهم واجله عما ذكر من الضحك القليل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفا للسببية ما سبق للاخبار عما ذكر من الضحك والبكاء لا انفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم

وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بن صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول الفعل الثاني اي يكون جزاء او في
مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفا التفر
الامر الاتي على ما سرد من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى
طايفة منهم اي المنافقين من المخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض عن
قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه
فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود
اي القعود عن الغزوة وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفا لتفريع الامر بالقعود بطريق
العقوبة على ما صدر عنهم من الرضا بالقعود اي رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين
الذين ديدنهم القعود والتخلف دايما وقرئ الخلفين على القصر وكان محو اسمايهم وقرئ المجاهرين وادمهم في فرق الخالفين
عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم المضاف الى المونث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قايلا
هو احدى كبرى مرة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق
الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن
ولا للزيارة والدعا روي انه عليه الصلاة والسلام كان يقف على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس
النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فقال عليه الصلاة والسلام اهلكك
حب اليهود فقال بعثت اليك لتستغفر لي لا لتانيبي وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات
دعاه ابنه وكان مسلما صالحا فاجابه عليه الصلاة والسلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه
فكفنه فيه فلما هم بالصلاة عليه او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما مات عبد الله بن ابي دعي
ليصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القايل يوم كذا كذا وكذا والقايل
يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه الصلاة والسلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على
حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى انزل الله ولا تصل الى اخر الاية فما صلى صلى الله عليه وسلم بعده
على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه صلى الله عليه وسلم لان بالقميص كانت مظنة
الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا
بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل
في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر
خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه للاعتنا
بتوعده ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم
اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الا
باء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد
فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في
الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم
من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدايد في شانها
وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر
في العواقب واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا ان مفسرة لما في الانزال من معنى

القول او الوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك
اولوا الطول منهم اي ذوي الفضل بالسعة والقدرة على الجهاد بدنا وما لا وقالوا عطف تفسيري لاستاذنك
مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا
استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم استيلائهم بكلا الامرين فان لم يرد الاول فرحا بان يكونوا مع الخوالف جمع
النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب
ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد
من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم امنوا بالله وبما جاء من عنده تبارك وتعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان في بالله
شي وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالاوصاف الجميلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اي منافع
الدارين من النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور كقوله تعالى فيهن خيرات حسان الاية
وهي جمع خيرة مخفف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفايزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية
عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه بشانهم وربط بكونهم مفلحين اي هيا لهم
في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى
ما فهم من اعداد الله تعالى لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون
من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويؤيده قراءة يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر
في العين لادغامها في الطاء والفاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون والمعذرون
اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا
ولم يعتذروا وظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من
الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار
في الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اي اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة
لهما في السر والعلن وتواليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ما على المحسنين
من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس
المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون ما ذكر مشير الى انهم حاجة الى المغفرة
وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يوذن به قوله عز وجل فيما سياتي
انما السبيل الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا
وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنم وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله قد ندبتنا الى الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى
الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سالوه عليه
الصلاة والسلام يطلب ما سالوه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل شدة

مجرور من البيانيه
في حيز النصب
على التميز

من الدمع اي دمعا فان من البيانية مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادته ان العين
نفسها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله تعالى حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية بفعل دل
عليه ما قبله اي تحزن الحزن لان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا حزنين او يحزنون فتكون هذه الجملة
حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف اللام متعلقة بحزنا او بتفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في تحصيل ما
يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون
لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان
يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضيقة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا اخساسة شانه
عاجلا يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون له عند العود اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين
رجلا فلما رجع عليه الصلاة والسلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه عليه الصلاة والسلام بالباطل والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقط اي يعتذرون اليكم اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار
هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم ما سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب وظيفته صلى الله عليه وسلم وانما
اعتذارهم فكان شاملا للسامعين شمول الرجوع لهم الكل لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى
قال اخسؤا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعريض بعنوان الكذب فلا يساعده قوله
تعالى لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استيناف تعليل للنهي مبني على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء
الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فكانهم قالوا لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه
غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبانا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم
المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وخبأتموه للابراز في معرض الاعتذار
من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين في خيبة اطماعهم من التصديق راسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام
بواسطة المصدقين للايذان بافتضاحهم بين المسلمين كافة وسيرى الله فيما سياتي اتنيبون اليه تبارك
وتعالى عما انتم عليه من النفاق ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف
على فاعله من قوله تبارك وتعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما للاشعار بان مدار الوعيد
هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما صدر منكم من الاعمال ووضع المظهر
موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم
البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون
اي بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال على الاستمرار السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد
اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة واثارها عليها لرعاية ما سبق
من قوله تعالى قد نبانا الله من اخباركم فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم كانوا عاملين
في الدنيا حقيقة اعمالهم كما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها
والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بيان
لما يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اليهم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف
مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي عليه الصلاة

عملكم

خ
ظهر

والسلام به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر مستدام لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفحا فلا توبخوهم
ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما توهموا بل اعراض
اجتناب ومقت كما ينبئ عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اجتنابهم لما فيهم من الرجس
الروحاني وان ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا
تقبل التطهير فلا يتعرض لهم وقوله تعالى وماواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب
عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا
تتكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء بما
كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر
المحلوف به لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم لان الله تعالى ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه تعالى ووضع الفاسقين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة الموجبة لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم
في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضا
عمن لا يرضى الله تبارك وتعالى عنه مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قال ذلك لئلا يتوهم متوهم
ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله تعالى عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال
الرسول عليه الصلاة والسلام للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي
يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست بجمع العرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من
الواحد فان العرب هو الجيل الخاص سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي
ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة وجمعه العرب كما يقال المجوسي في رجل يهودي
ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم
وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشاتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض
افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر الا يعلموا
اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم عن
مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس
الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما ترى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض هو اشارة الا
المتفرعة على الكفر والنفاق بعد تماديهم وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته منها وحمل الاعراب على الفريق
المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد النفاق من اهل النفاق دون فقرائهم واعراب
اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله الآية فان اولئك
ليسوا ممن هو لا قطعا وانما هم من الجنس او من جنس الاعراب الذي نعت بعضه فراده من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد
ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء
لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار
والانتفاع بما يتخذ انما هو من اعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص
بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر
اي نوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين
على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر وقيل

اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه ذام لها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء الاية وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله عليم بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه حكيم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع اليها والاذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله تعالى عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصفي الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا وما لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة الاسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والتصدي لبيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تبارك وتعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله تعالى والله واسع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقيق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقيق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة الانصار واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب اثر بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد

على مفرد

على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اي تمرنوا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر والتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهل المدينة واهلها والله تعالى اعلم وقوله تعالى لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعلمهم انت باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا في المهارة في النفاق والتمرن في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب في سمو الطبقة وكمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا تعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه الصلاة والسلام بهم على انه يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله تعالى نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المذكورة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطال الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله تعالى سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه الصلاة والسلام قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما محضا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيه من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيامة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابيهم السابقين الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى نفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لجميع الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني ممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر منهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ليس فيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت الآية خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه الغزوة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصها بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا به وترك قرينة الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين وذلك يؤيد ما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي

الواو بمعنى او

التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى او كما في قولك بعتك الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله عليك الصلاة والسلام هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه الصلاة والسلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت الاية الكريمة وليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها ولما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ منهم الثلث وترك الثلثين لان ذلك ليس الا في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله تبارك وتعالى تطهرهم اي مما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة وعلى الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوحيد دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلاتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه وتعالى قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والاستغفار والدعاء او سميع عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع دعائك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة تذييل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الايتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله تعالى وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه الصلاة والسلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة هو والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي عليه الصلاة والسلام على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المستاثر المختص ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك صفة مستمرة له واستبداد بامره والجملتان في حيز النصب بيعلموا تسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما على التائبين واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا ما هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الاية اي الم يعلموا اما التائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي من القبول والتحالي هو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل والتاخير عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان

الصلوة بمعنى العطف

ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل لان المغيبات عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالغيب علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تبارك وتعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما الانسان فان مرتبة السر متقدمة منه على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة وممن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحالة وقيل ان اصروا على النفاق وليس كذلك لان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعل عليه الصلاة والسلام حسدتهم فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن تولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه صلى الله عليه وسلم اتيان المسجد فنزلت الاية الكريمة فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر

تفاله

الفاسق بالشام وكفرا تقوية الى الكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في
مسجد قبا مجتمعين معهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم وارصادا اعدادا واستظهارا وترقبا لمن حارب الله
ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء ويصلي فيه ويظهر على رسوله صلى الله عليه وسلم من قبل اي
بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببنا
هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين او الا الارادة
الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلاة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه ابدا
لمسجد اسس اي بنيت اصله على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايام مقامه
بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وعن ابي سعيد انه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا
فضرب بها على الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتدا او القسم المحذوف اي والله لمسجد
وعلى التقديرين مسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اي من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله
تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلاة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستانفة مبينة
لاحقية قيامه عليه الصلاة والسلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل وصفة اخرى للمسجد
او حال من الضمير في فيه وعلى كلاهما ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق كونه حقيقا
به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه والافضلية
في الاستحقاق والتناول لما يكون باعتبار زعم الباقي ومن تابعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي يحبون
ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين
اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنا المحب حبيبه قيل لما نزلت هذه الاية مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر
يا رسول الله عليك الصلاة والسلام انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضاء
قالوا نعم فقال عليه الصلاة والسلام اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم فقال
عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تبارك وتعالى قد اثنى عليكم فما
الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي
صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات
كلها وكانوا يتبعون الما اثر البول وعن الحسن رحمه الله هو التطهير من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى
المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم افمن اسس بنيانه على بنا الفعل للفاعل وقرئ على البنا للمفعول وقرئ اسس بنيانه على
الاضافة جمع اساس وقرئ اساس بنيانه جمع اس وقرئ اس بنيانه جمع اس ايضا وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين
من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغا مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها
الثانية التي هي التوقي من كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من
اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا باختلافهما وضعا واضافة على شفا جرف هار الشفا
الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا بصدد الانهدام والهار الهاير المتصدع
المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار وهار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذف عينه اعتباطا
اي لغير موجب يجري وجود الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار

ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم مصيرهم اليها لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليها انا ستهزوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم
الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسهم
على اوهى قاعدة واوهي اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم
اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم
في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في
ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه
رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت اثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى
اعتقادهم بخفا امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البنا اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وتم
اختلاطهم بالمؤمنين وثبات ظنونهم بانفسهم فلما هدم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي يعني ريبة
حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنائهم حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
من الفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها اثر قابلية ادراك واضمار
قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات واعم الاحوال في محله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات
او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فان الريبة باقية
فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور
او في النار وقرئ تقطع على بنا المجهول من التفعيل وعلى البنا للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البنا للمجهول من الثلاثي مذكرا او مؤنثا وقرئ الا ان يقطع قلوبهم
والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم
على الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل احد ممن يصح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشيا التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع
افعاله واحواله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب
للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن
قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم الجنة بالشرا على
طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن
الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله تعالى باع الجنة من المؤمنين بانفسهم
واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها
ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن
اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم
بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك
اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرا حقيقة لانها صالحة للعوضية خلافا للوعد بها فليس بشي لان مناط دلالة
النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرية فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو
الجنة الموعود لها لا الوعد يقاتلون في سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرا ولا لبيان نفس
الاشترا لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشترا الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك
بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشترا المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل

يقاتلون في سبيل الله تعالى وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله تعالى بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله تعالى باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر من احد منهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين ولم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكونه بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول لان الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم • لا يفرحون اذا نالت رماحهم • قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا • لا يقع الطعن الا في نحورهم • وما لهم عن حياض الموت تهليل • وقيل يقاتلون الخ في معنى الامر كما في قوله تبارك وتعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه تبارك وتعالى اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره منهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى منه تعالى بالعهد من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار والامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار اداوه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله تعالى لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع الفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رحمه الله انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال عليه الصلوة والسلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال واذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا لمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به وجعل ذلك نفس العقد العظيم وجعل فوزا في نفسه فالجملة الاولى تذييل للاية الكريمة وعلى الثاني لقوله تبارك وتعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز

باعتبار اداوه صح

ان يكن

ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه ولما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على المتعاطفين واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي المؤمنين الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وتخصيص الخطاب بالنبي والاظهار زيادة اعتناء به بما لهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين في قوله سبحانه وتعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي صلى الله عليه وسلم اي النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه الى الايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وما يستغفر ابرهيم لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله تبارك وتعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابرهيم عليه الصلاة والسلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك لقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابرهيم انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تبارك وتعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وجانبه كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عليه الصلاة والسلام الى ما صدر منه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم عليه الصلاة والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بدع ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرأ واما ان الاستغفار على التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الاسوة في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليه احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به فكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستقل بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تبارك وتعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها

حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض
من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان
كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبري منهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه و
لا يتاتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تبارك وتعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه
لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين
والانصار قيل هو في حق ما لاحت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من
مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر منه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه
ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة في الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا كرشها وفي شدة زمان من حرارة القيظ ومن الجدب
والقحط والضيقة الشديدة وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل
هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فانه لذلك لم يغنهم عنها فكيلا يستغني عنها غيرهم
اولى واحرى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى حيث لا غاية وراءها وهو اشراف
بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع
اليه الضمير في منهم وقرئ بتاء الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين
كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة
والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم استئناف تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي
التوبة والعفو ويجوز ان يكون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما
للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا اخر امرهم عن امر
ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم
وقرئ خالفوا وقرئ على المخالفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخلف
ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض
الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل للشدة في الحيرة كانه قيل لا يستقر بهم قرار ولا تطمئن لهم اذن
وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة
والحيرة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجا من سخطه تبارك وتعالى الا الى استغفاره ثم
تاب عليهم اي وفقهم الى التوبة ليتوبوا وانزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت
الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من
المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه الصلاة والسلام
عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك
وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن
بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه الصلاة
والسلام قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل

متاعه على ظهره واتبع اثر الرسول عليه الصلاة والسلام ماشيا فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله
ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه وكانت له امراة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه الصلاة والسلام
كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه الصلاة
والسلام منهم الثلاثة قال كعب بن مالك لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد على كالمغضب بعد ما ذكرني
فقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه الصلاة
والسلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب
ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس
في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة
رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم طلع عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الاية الكريمة وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يندرج
فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تاتون
وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع
الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله تعالى نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل ما ذكر من توبتهم
وانابتهم فيكون المراد بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن امن من اهل
الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين
ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار
واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عليه الصلاة والسلام الى الغزو ولا يرغبوا نصب او جزم
بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه
بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى
ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما اي عطش يسير ولا نصب اي ولا تعب
ولا مخمصة اي مجاعة مما لا يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظما والنصب اليسير من حيث يخلوان عن اللوا
فلان يخلو ذلك من مرتبته اولى فلا حاجة الى التاكيد النفي بتكرير كلمة لا لا لاستقلال كل واحد منهما بالفضيلة والاعتداد
به في سبيله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب اي شيئا ما
من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم
الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخو
لها فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سبق من الكتب
والمراد بالمحسنين اما المحدث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين
وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب
باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسطه لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا للتأكيد
كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجتازون في سيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والآكام
يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي
فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة
اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا
الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا قومهم غاية سعيهم ومعظم غرضهم
من ذلك ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في
البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل
به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو انه
لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من
كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة جمعوا
للطوائف اي ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين
آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه الصلاة والسلام
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير
وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة
اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه
المذكور من باب التقوى والشهادة لكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد
بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول المتبوع في قوله تبارك وتعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة
من القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين لتضعيفهم ليصدهم
عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت هذه الآية
وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت الآية فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما
الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على
ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها الى ايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية
واما الذين في قلوبهم مرض اي شك وكفر بعقائد فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر
وعقائد باطلة واخلاق ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون
انهم يفتنون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام
من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من

المرض والشدة مما يكفر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تبارك وتعالى او بالجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم
ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تبارك
وتعالى ولا هم يذكرون والمعنى ولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم فلا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون
بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي لا ينظرون ولا يبصرون احوالهم
العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تبارك وتعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف
على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محل تبليغ الوحي كان الاول بيانا لمقالاتهم وهم
غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من
احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها او يغلب عليهم الضحك فيفتضحوا
او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير
الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد
من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي عن
الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم
او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم
وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم
بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة
على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان
بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك لا اله الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا
ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم الذي منه تنزل الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي بن كعب رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعنه عليه الصلاة
والسلام ما انزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما
سبعون صفا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من
الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة
البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه
السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها
عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها
على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق
بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور
مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة
الآية واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها

أو بقرائتها وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ خبره
قوله تبارك وتعالى آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمعنى على أنها بعض
منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات
الكاملة والمراد بالكتاب إما جميع القرآن العظيم وإن لم ينزل الكل حينئذ إما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله تعالى
أو في اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا كما هو المشهور فإن فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم
وبأم القرآن في عهد النبوة ولما تحصل المجموع الشخصي إذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن بأحد
الاعتبارات المذكورة وإما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس إذ ذاك فإنه كما يطلق على المجموع الشخصي
يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر ألا ترى إلى ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذا للقرآن فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد فإن
ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في أخذه إنما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة
لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه وتعالى أو في اللوح ولا لنزوله جملة إلى السماء الدنيا الحكيم ذو الحكمة
وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها أو هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه أو من باب
الاستعارة المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة
وكلمة تلك إشارة إلى ما في ضمنها من الآي فإنها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها
والأمر بذكرها أو بقرائتها وينبغي أن يكون المشار إليه حينئذ كل واحد منها لا جميعها من حيث هو جميع لأنه عين السورة
فلا يكون للإضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف إليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف
إليه من صفات الكمال إذ ليس في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك المستلزم
من الكتاب عند الإطلاق وإن كان كل واحد من الوجهين المذكورين لكن صحة إطلاقه على بعضه أيضا مما لا ريب فيه وأما
المشهور وإن كان اتصاف الكل بأحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال إلا أن شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف
به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم إذ لولا أن بعضه منعوت بنعت
كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف أكان للناس عجبا الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجيب
السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وإنما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم كما
تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون لأنه لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين
مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم وإظهار بطلان زعمهم بإيراد الإنكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع
حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر إذا كان بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول جاز
تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث أن أوحينا اسم كان قدم
عليه خبرها اهتماما بشأنه لأنه مدار للإنكار والتعجب وتشويقا إلى المؤخر ولأن في الاسم ضرب تفصيل
مراعاة الأصل نوع إخلال بتجاوب أطراف الكلام وقرئ برفع عجب على أنه الاسم وهو نكرة والخبر أن أوحينا وهو
معرفة لأن أن مع الفعل في تأويل المصدر المضاف إلى المعرفة والمختار أن يجعل كان تامة وأن أوحينا
متعلقا بعجبا على حذف حرف التعليل أي أحدث للناس عجب لأن أوحينا أو من أن أوحينا أو بدلا من عجبا لكن لا على
الإنكار والتعجب لحدوثه بل لكونه عجبا فإن كون الإبدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه إهداره بالمرة و
قيل للناس لا عند الناس للدلالة على أنهم اتخذوه أعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى إلى رجل منهم
أي إلى بشر من جنسهم كقولهم أبعث الله بشرا رسولا أو من أفنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم
بشرا رسولا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه
أما الأول فلأن بعث الملك إنما يكون عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الأرض

ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة
الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتجانس والتناسب فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب وأما الثاني فلما أن مناط
الاصطفاء والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في إحراز الفضائل
العلية والحركات وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لأحد منهم في أنه عليه الصلاة والسلام في ذلك
الشأن في غاية الدرجات القاصية ونهاية النهايات النامية وأما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل
الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له إخلال به غالبا قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء أن أنذر الناس أن مصدرية لجواز كون صلتها أمرا كما في قوله تعالى أن أقم
وجهك وذلك أن الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معناه الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة
الفعلية في الموصول الاسمي خبرية إنما هو للتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الإنشاء
على المصدر أو مفسرة إذ الإيحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من الثقيلة على حذف ضمير الشأن
من الخبر والمعنى أن الشأن قولنا أنذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما أريد بالأول وهو النكتة في إيثار
الإظهار على الإضمار وكونه عين الأول عند إعادة المعرفة ليس على الإطلاق وبشر الذين آمنوا بما أوحيناه
أن لهم أي بأن لهم قدم صدق أي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وإنما عبر عنها بالقدم إذ بها يحصل
السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لأنها بها تعطى وقيل مقام صدق والوجه أن
الوصول إلى المقام إنما يحصل بالقدم وإضافتها إلى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على
أن مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فإن التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون
هم المتعجبون وإيرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة إلى ذكر صفتهم وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي
دخلت عليها همزة الإنكار أو لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كأنه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد
والاستبعاد أو قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد إن هذا يعنون به ما أوحي إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الإنذار والتبشير لسحر مبين أي ظاهر وقرئ
لساحر على أن الإشارة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقرئ ما هذا إلا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث
لا يشعرون بأن ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جانب خلاق القوى والقدر ولكن يسمونه بما
قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر المحجوج إن ربكم كلام مستأنف سيق لإظهار بطلان تعجبهم المذكور
وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الإشارة إليه بالإنكار والتعجب وحقق فيه حقية ما تعجبوا منه و
ما أنكروه بالتنبيه الإجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير وأحوال التكوين والتدبير ويرشدهم
إلى معرفتها بأدنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير كقوله تبارك وتعالى قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله قل فأنى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض إلى قوله ومن يدبر
الأمر فسيقولون الله أي إن ربكم ومالك أمركم الذي تعجبون من أن يرسل إليكم رجلا منكم بالإنذار والتبشير
وتعدون ما أوحي إليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من
الكائنات في ستة أيام أي في ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام معهودة فإن نفس اليوم الذي هو عبارة عن
زمان كون الشمس فوق الأرض مما لا يتصور تحققه حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على إبداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الأحوال والأطوار وأما تخصيص ذلك

بالعدد المعين بامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه وتعالى بلا كيف والمعنى انه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته وكمال علمه بخلق هاتيك الاجرام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد هاهنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى واحكام لا تكاد تحصى من المناسبات والمتباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات التي تقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تجوانه من امر البعث والرحمة فرد من جملته وشعبة من دوحته وهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة وترتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبي عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله جل وعلا ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه وتعالى في التقدير والتدبير ونفي الشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تبارك وتعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تبارك وتعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه وتعالى ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربكم الذي خلق السموات والارض الآية لكن لزيادة التدبر والمبالغة في التذكير لتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تبارك وتعالى فاعبدوه وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا بما انزل اليكم افلا تذكرون اي تعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه ترجعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله تبارك وتعالى اليه مرجعكم وعد منه سبحانه وتعالى بالبعث او بفعل مقدر اي يعد وعد الله واياما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لانه بالموت معزول من الوعد كما انه معزول من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر اخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البداءة والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته او مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي يجزيهم بقسطه ويوفيهم

اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم اي بعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فانه في معنى ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بان استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلأن يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول عليه الصلاة والسلام وانزال الكتاب وتبيين طريق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا مبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر في كل ليلة واحدا منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزل منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرفة الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت لتعلموا اما بحال الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص من غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسامي خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني على ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من

عدة اشهر قد يحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها من طائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شي غير ذلك وتقديم العدد على الجامع
ان الترتيب بين متعلقيهما وجوداً او عدماً على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب
تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه حصل امر آخر حسبما حقق نازل من الحساب
الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي
من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والحساب ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا
يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نوراً انما هو جعله بحيث يتصف
بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول
اي ما خلق ذلك ملتبسا بشي من الاشيا الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك
وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم
نفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات (فيه ذلك)
التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك
على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم
لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما
خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما
بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا
بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من
القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الشتوية اقصر من ايام البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما (البلاد)
فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في
السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضيا لها ما انكروه من ارسال الرسول عليه افضل الصلاة
والسلام وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو
تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الذين يتقون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض
عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تبارك وتعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم وهو الي
الجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه بالبعث
او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة
من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان
عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي
الى حسن الثواب والى سوء العذاب فلا يؤملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا
فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون
الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من اعتراء المزعجات
غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون
حسن لقائنا بالبعث والاحيا بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة
الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها

من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار البا على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتها للايذان بتمام
الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجا على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحياة الدنيا فانها
منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق
والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجا والذين هم عن آياتنا المفصلة
في صحايف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة
على حقية ما لا يرجونه من اللقا المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون
لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال
المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها
وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاولى واستقلاله
باستتباع العذاب بهذا وأما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع
بين الذهول عن الآيات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب الاجل عن التامل في الآجل (لعله العاجل)
فكلام ناء عن السداد فتامل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي
لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا به من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال السيئة
المعدودة وما يستتبعه من انواع المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار التجددي والبا متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهي
مع خبرها خبر لان في قوله تعالى ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما تشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون
او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة
بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسما يهديهم ربهم وايثار الالتفات تشريفا لهم باضافة
الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما
لم تذكر تعويلا على ظهورها واشتهارها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اداهم
اليه من الاعمال السيئة ومشاهدة ما لحق من التوبيخ والتفريع وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان
والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي
كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع
بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منها الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما عليه
اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار
فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها
يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون ولو حمل
لم يخلطوا ايمانهم بشرك وان حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتدا من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم
بفعل حرام او ترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي من بين ايديهم كقوله وهذه الانهار تجري من تحتي
وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير
كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق الذي نعته القوة العملية كما قال عليه
الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او
متعلق بتجري او بيهديهم والمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم

وهو مبتدأ وقوله عز وجل **فيها** متعلق به وقوله تعالى **سبحانك اللهم** خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول
المقدر ولا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولون عند ما عاينوا فيها من تعاجيب آثار
قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى
عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف **وتحيتهم فيها** التحية التكرمة بالحالة
الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تبارك وتعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او تحية الله لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم **سلام**
اي سلامة من كل مكروه **وآخر دعواهم** اي خاتمة دعائهم **ان الحمد لله رب العالمين** اي يقولوا ذلك نعتا له
تعالى بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم محصور فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه
في سلك الدعاء وان هي المخففة من المثقلة اصله انه الحمد لله بحذف ضمير الشأن كما في قوله [illegible] وقرئ
ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية
بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق وترتيب الوقوع ايضا كذلك فانهم كانوا حين دخلوا الجنة
وعاينوا عظمة الله تبارك وتعالى وكبرياءه سبحوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
من الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بما هو اهله مضافة
الآخر الى دعوتهم وقد يجوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما قال تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله فيكون تلذذا
به تلذذا او لا يباعد تعين الخاتمة **ولو يعجل الله للناس** هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما
عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب
تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق
الاستدراج اي لو يعجل الله لهم **الشر** الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك الآية ونحو ذلك وقوله تعالى **استعجالهم بالخير** نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه
دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كما اعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته
تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا
مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا لدلالة الباقي عليه **لقضي اليهم اجلهم**
لأدي اليهم الاجل الذي عين لهلاكهم واستوفوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول
للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى
على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لعدم استمرار التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس
بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه وثم
ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله
عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في الشدة والهلاك امر مغاير لطاعته
عليه الصلاة والسلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بما
[illegible] كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون [illegible] ونظائرها
[illegible] او نحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة اذ قد [illegible] الجواب بالاستئصال التام وذلك فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بالامر بيد عليه
في الدلالة على الشدة والفظاعة [illegible] المطلقة واما ما نحن فيه من قوله
فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه [illegible] ولا هو فرد كامل [illegible] من غير مزية له على
البقية اذ لم يعتبر في مفهومه تعجيل الشر [illegible] في ترتبه عليه وجودا وعدما مزيد

فائدة

فائدة صحيحة لجعله تاليا له بل الحق ان المقدم ليس نفي التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا
وعدما كما في قوله تبارك وتعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب
لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد
فائدة فانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في
ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة لارادته تعالى
المبنية على الحكم البالغة **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا** بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو
عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا
في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على اعمالهم السيئة ومقالاتهم
الشنيعة **يعمهون** اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز
الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج **واذا مس الانسان الضر** اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر
وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة **دعانا** لكشفه وازالته **لجنبه** حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه
من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا **او قاعدا**
او قائما اي في جميع الاحوال ما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان
عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على ان المراد بالضر المرض خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير
قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك **فلما كشفنا عنه ضره** الذي مسه كما دعانا حسبما تنبئ عنه الفاء
مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينحوها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف
الضراعة والابتهال ونأى بجانبه **كأن لم يدعنا** اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في
قوله • كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا • والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر
مشبها بمن لم يدعنا **الى ضر** اي الى كشف ضر **مسه** وهذا وصف للجنس باعتبار حال افراده ممن هو متصف بهذه
الصفات **كذلك** نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم
والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك
قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب **زين للمسرفين** اي الموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة
واسرافهم لما ان الله تبارك وتعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما
خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي مما ذكر ما هو عدة لقواها فقد اسرفوا
اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله تبارك وتعالى على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة
والتسويل **ما كانوا يعملون** من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما
قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى
ومن الضر المقدر في الاخرى **ولقد اهلكنا القرون** اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد وامثالهم ومن
في قوله تبارك وتعالى **من قبلكم** متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة
الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي **لما ظلموا** ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين
فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وقوله عز وجل **وجاءتهم رسلهم** حال من
ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى **بالبينات** متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم
دالة على افراطهم على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه رحمه الله تعالى وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو
مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب

كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تبارك وتعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الاية الكريمة او يحمل على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تبارك وتعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي ما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاجلاء الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تبارك وتعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة ويجوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة المشرفة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله تبارك وتعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وانما فيه انه مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امورهم وخطابهم ثبت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا لا نفيه اشعارا بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لاسيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار بعضها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون خيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راي القائل بل تكون مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كداب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب على تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا الى المفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وزمانهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقران غير هذا اشاروا بهذا الى القران الكريم المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به قل ما يكون

لي اي ما يصح وما يستقيم ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب بيان امتناع ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه مما لا يليق بما بعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما اتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه الصلاة والسلام بهذا السؤال من ان القران كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما واقتصار امره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي اي اني اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظمة لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقران اخر من جهة الوحي بعينه قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي فانه لا يستلزم ان تبديله بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الايات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لاسيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية للاقتراح انما المقصود بما ذكر التعليل الاتي الى ما بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله بطريق الافتراء فان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القران الكريم وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا واستحالته عادة ودلالة وانما صدر بالامر المستقبل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء وان يكون تعلقها به بمرتبة كما في قوله ... ولو شئت ان ابكي دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاول ولان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام عليهم انما هو مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القران والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بان لم ينزله علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي هو عدم التلاوة والادراء فينبغي ان يكون المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه الصلاة والسلام للقران الكريم بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادراء بكونه بواسطته عليه الصلاة والسلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز في سلك الجزاء وفي اسناد عدم الادراء اليه تبارك وتعالى المنبئ عن اسناد الادراء اليه تعالى ايذان بانه لا دخل له عليه الصلاة والسلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادريكم ولا ادراكم بالهمز فيهما على لغة من يقول اعطاته وارضاته

على اقتراحهم الثاني للايذان باستحالة ما اقترحوه صح

فاعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤنني بالجدال وقرئ
ولا انذرتكم به وقرئ ولا ادرؤكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى
انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء بمحض
هذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى وامره
حسبما بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى اياه بل بطريق
الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على
استحالة كون التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا وحي عمرا انتصب على التشبيه بظرف الزمان اي
تداومت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا
من قبله اي من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظم المعجز ولا من حيث معناه الكاشف
عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي
وكونه منزلا من عند الله العزيز وانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى
مسكة من العقل اذا تامل في امره عليه الصلاة والسلام وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة
العلماء في شان من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا
خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته بلاغة كل
بليغ رائق وعلا بنظمه كل منثور ومنظوم وحوى بفحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن الغيب من اسرار الكون
ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمنا عليها في احكامها المجملة والمفصلة
لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله سبحانه وتعالى هذا هو الذي نطقت عليه كلمة الجمهور
ولكن الانسب بنا الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عليه الصلاة والسلام لكونه معصية
موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي وامتناع استبداده بالرأي من
غير تعرض هنا لكون القران الكريم في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه الصلاة والسلام
غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد هنا على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة الطويلة من
كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما
ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط
بتحكيم ولا جدال ولا احوم حول مقام فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب وافتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون
ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر
والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي ولا احد اظلم منه من كل ظالم وان كان
سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من
فلان واعلم منه يفهم حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا
يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه الصلاة والسلام عليه صريحا مع كونه افتراء على
الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه
عليه الصلاة والسلام في التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه وتعالى او كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم
للمشركين بتكذيبهم القران وحملهم على انه من جهته عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان
كون القران الكريم بمشيئة الله تعالى وامره فلا محل لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر
كذلك فمن افترى عليه تبارك وتعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته تعالى كما جوزوا

ذلك في شانه وكذلك من كذب باياته تعالى كما يفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان وانه اسم ان والخبر
ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها الايذان بفخامة
مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي لا يفهم منه من اول الا
الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي لا يفلح
المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا
اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى عنهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا
تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون الله متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين
الله سبحانه وتعالى لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام
كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي
هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم
الذي هو مظنة الضر بحيث لم تقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا
عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها فان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا
ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة تشفع لي اللات قيل انهم
كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم برج معين من ابراج الافلاك فعينوا لذلك البرج صنما معينا من
الاصنام ويشتغلوا بعبادته ومقصودهم ان ذلك البرج يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بمودتهم وقيل
انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل
انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها ثم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم
وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى قل اتنبئون
الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه
علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان
وقرئ اتنبئونه بالتخفيف في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد
فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم
الذين يعتقدون انهم شفعاؤهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى
الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام
ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا
للجمهور وشقا لعصا الجماعة ولعل حمل اتحادهم على الاتفاق على الاضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان
منهم من الاتباع والاصرار مما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد
من غير اختلاف وذلك من عهد ادم عليه الصلاة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل
الى زمن نوح وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن
ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة
وهو الاظهر بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا
بان كفر بعضهم وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة
من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى
بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والغاية التفصيلية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الا

لانه ادني في احكام العبادة
بمنع الضرر
صح

عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير
العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق من الباطل
بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية
اخرى لجناية لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء
والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي
اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ولغاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة
عليه من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطر
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله الامر للاختصاص العلمي
دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم
النبوة وعلقتم ايمانكم به نزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم
من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب
عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة ياباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تبارك وتعالى
واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى
الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل
سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا حتى كادوا يطعنون في اياته
تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تبارك وتعالى اذا لهم مكر في اياتنا
اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الامر قل الله اسرع مكرا اي اعجل
عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم
وجودا وذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو
تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه وتعالى عند ذا
في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف
اثره عنهم بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للتشديد
والتوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستانف سيق لبيان
جناية اخرى لهم مبنية على ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من
السير تمكينا مستمرا عند الملابسة وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله تعالى بشر
تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية
التسيير ليست استدراكهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب
المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب
الى الاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس
فيه التفات بل معنى قوله تبارك وتعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم
المسيرون في البر والضمير عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تبارك وتعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه
اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح الطيبة
لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة سكنتها اذا استولت عليها من طرف مخالف لها

فان الهبوب على وفقها لا يسمى هبوب ريح اخرى عادة بل استدارة للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزام
الثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة اللينة بعد مجيئها للنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا ان
يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا بها وعلقوا بها
حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى التاويل وقد يذكر الا
وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه
من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق
وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سد عليهم
مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبني على سؤال ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا
مخلصين بالدعاء له تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين
لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة
بعد ذلك للابد من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤلة وقيل الجملة مفعول دعوا لان
الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لان مدعاهم الثاني لا مقصد دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين
من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه
ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون
في الارض اي فاجؤا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبيد
بغير الحق
قولهم بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار وقوله تبارك وتعالى يا ايها الناس تاكيد لما يفيده البغي ومعناه انه بغير الحق عندهم
ايضا اذ يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تبارك وتعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما صدر
من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم
الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين
انما بغيكم توجيه الخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد على انفسكم الذي
يتعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك
وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال
وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا بطريق الاستيناف اي تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر والاخبار
عن الموصول قبل تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم في الحياة الدنيا
معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه
مفعول لفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل
المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان ما حكي عنهم من البغي المفرط الا فسا
المفرط اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اي لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه
ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل
متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف ليس
متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة

الدنيا محذورًا او ظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه ما مر من ابنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب ثم لو جعل نصبه على العلة اي انما بغيكم على اناس جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اخبار به بعضهم بكون الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه خبر والجملة والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع الاية كما في قوله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هنا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا يحمل الحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه مبادي ثبوته للمبتدا كما هو المتبادر من النبوة واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلا على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي والضمير العايد عليه من حيث هو لا من حيث كونه وبالا عليهم فصورة كون الظرف صلة الى المصدر فتدبره وقرئ متاع الحيوة الدنيا اما نصب متاعا على انه بدل اشتمال او قيل على انه مفعول به اذ لم يكن استنباعا على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا ولا تساوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تبارك وتعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي **ثم الينا مرجعكم** عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر **فننبئكم بما كنتم تعملون** في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزا والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر من هذه النشاة من الاعيان والاعراض انما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة تمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعدا ونحو ذلك لكن ذلك ليس بمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لم يحتسبوا وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك الصورة وهو المراد بالنبية المذكورة والله سبحانه اعلم **انما مثل الحيوة الدنيا** وتقرر مدة التمتع لها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوالها ونفادها فجاة ذهابها حطاما لم يبق لها اثر بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض زينة الارض بالوانها وتفوقت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل **كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض** بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب **مما يأكل الناس والانعام** من البقول والزروع والحشيش **حتى اذا اخذت الارض زخرفها** جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة اخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الالوان الثياب والزينة فتزينت لها **وازينت** اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت فاعل من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت **وظن اهلها انهم قادرون**

عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها **اتاها امرنا** جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الافات والعاهات **ليلا او نهارا فجعلناها** اي زرعها وسائر ما فيها و قرئ بتذكير الفعل **حصيدا** اي شبيها بما حصد من اصله **كان لم تغن** كانه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل **بالامس** اي فيما قبله بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن انفا **كذلك** اي مثل ذلك التفصيل البديع **نفصل الايات** اي الايات القرانية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الدنيا اي نوضحها ونبينها **لقوم يتفكرون** فيها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثنا التمثيل من الكاينات والفاسدات وتفصيلها تصريفها على الترتيب الحكمي ايجادا واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من حيث يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا **والله يدعو الى دار السلام** تنبيه للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم من الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل افة ومكروه وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للافات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار تسليم الله تعالى والملايكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض **ويهدي من يشا** هدايته منهم **الى صراط مستقيم** موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان من امر على الضلالة لم يرد الله رشده **للذين احسنوا** اي اعمالهم التي عملوها على الوجه اللايق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **الحسنى** اي المثوبة الحسنى **وزيادة** اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقا **ولا يرهق وجوههم** اي لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا بما تقدم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بيان ان المصون من الرهق اشرف اعضايهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق الاية **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة الفايزون بالمثوبات الناجون من المكاره **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** بلا زوال دايمون بلا انقطاع **والذين كسبوا السيئات** اي الشرك من المعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى **جزاء سيئة بمثلها** اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لزيادة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم والموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل **وترهقهم ذلة** واي ذلة كما ينبي عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية **ما لهم من الله من عاصم** اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى

يسلم الله

والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور وقرئ قطعا بسكون الطا وهو طائفة من الليل قال. افتحي الباب وانظري في النجوم. كم علينا من قطع ليل بهيم. فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة فيها كما قبلها مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم أولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذ أصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الاية الكريمة في حق الكفار فبشهادة السباق والسياق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم المحكية سابقا للا باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في سورة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم وذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين أشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين ما اكتسبوه من السيئات لابتنا التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر انفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بنا كما هو رأي الفارسي اي الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشي عن مكانه ازيله اي ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفا للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركا للشياطين كما سيجيء فخابت امالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلا لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله سبحانه وتعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا والواو في قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيرهم لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعائها المحاورة المغياة بالمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة لبقاء الاجل غايتها في التفسير الاول الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قران قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل بعد من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة انتهاؤها كما اشير اليه ولا اعتداد بما في تقديمه من التفسير لاستماع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه عن المحاورة فرعاية تلك النكتة كافية في استدعا تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا فالمراد بالشركا قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الامرة لهم بالاشراك دونهم كقوله

سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شي فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير إن كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضا والاعتداد شهود الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركا الشياطين كما قيل فان ارتضاهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام المدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما أسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لما كان من نفع او ضر وخير او شر وما علمت من حالها من حين الموت والابتلا بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ونتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو اعتراض في اثنا الحكاية مقرر لمضمونها إلى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ضياعه وضلاله لانه كان ذلك عرضا لا وصلا في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فان قوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون نص لا احتمال فيه للتذكير للتدارك قطعا فان ما فيه من الضماير الثلاثة للمشركين فلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما تؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والأرض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من للبيان على حذف المضاف اي من اهل السما والارض أمن يملك السمع والأبصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال والهمزة لتكرير الاستفهام اي اخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شي يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الأمر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخر الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه وهو محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم أفلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقا بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في أأضرب ابي والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم ما لا يشاركه في شي مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه

الله خبر وقوله تعالى

م

او بيان له كقوله تعالى الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لاريب فيه فماذا اجوز
ان يكون لكل اسما واحدا تدخل فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي
بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال
الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجليلة حق ظهر ان ما عداها من
عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار
ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والراي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه
عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا
الضلال اي الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده
والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال
من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها
اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة
الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الاخرة
وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما
يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق
الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك حكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر
وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل
من شركائكم احتجاج اخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق
الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا
باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت علية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها
ووضوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما
وجودا وعدما يستلزم الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه
وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غيره كائنا ما كان لا
بان ينوب عليه الصلاة والسلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول المامور به غير ما اريد منهم من الجواب وان
كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله قل من رب السموات والارض قل الله
حتى يكون القول المامور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه الصلاة والسلام نائبا عنهم في ذلك
انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم
بان يبين ما يقاله ابتداء بتعيينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترءون على نص التصريح به مخافة التبكيت والقام
الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما انه في الجواب السابق لمزيد
التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون لافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الراي فهو الانسب بالمقام
اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج اخر على ما ذكر
جيء به الزاما لهم غب الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى
الحق اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم وانما
تعيين طريق الهداية وتخصيصه بالحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمحل ما يقتضيه

المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية
وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما
لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي
للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق
للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق
وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء اتباعا لها وقرئ بفتح الهاء لنقل حركة التاء اليها اي يهتدي بنفسه فضلا عن هدايته غيره وفيه
من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها يستتبع نفيه غالبا
فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراها فيسلك مسلكه
من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم
المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الا
الى الترتيب كما يقع في بعض المواضع فان ذلك مختص بالانكار كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه وهمزة
متوجهة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور حتى لو كان السؤال
بكلمة اي لاخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اثر تعديد ما يلجئ المشركين الى الجواب من حاله
وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل
اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من
لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او
الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا
يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم
من الملائكة والمسيح وعزير عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من
التفعيل للمبالغة فما لكم كيف تحكمون اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والا ستفهام
منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق اي بعدما ثبت
التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من
يهدي وهم ليسوا الحاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانب الله
تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم
منهم بعدم استحقاقه تعالى له بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى
من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم
فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان
حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم
ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة
الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن
القبول والانقياد ولما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثناء ذلك اتباع لفرد من افراد العلم
والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على

حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم الناشئ من البرهان المزبور
وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كونه ابلغ
اثرها لا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث سلبهم الادراك لا من حيث الكفر والعذاب **وما يتبع اكثرهم** مدة عمره
الا ظنا اي لا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع مجرد
الاذعان والانقياد والغرض باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاند
لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سياتي تحقيقه وتذييل المعنى وما يتبع اكثرهم
في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها
آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتامل وتذييل الضمير في ... الى التكلف **ان الظن لا
يغني من الحق** من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع **شيئا** من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به و
الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شان الظن وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفا
بالتقليد **ان الله عليم بما يفعلون** وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن
البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد
الوعيد **وما كان هذا القرآن** شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة القطعية المنبع
في تضاعيفه اي ما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع
التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك **ان يفترى من دون الله** اي افترا
من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية المشهود
على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصب بانه خبر لكان مقدرا
وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اي ولكن هو
تصديق الخ **وتفصيل الكتاب** عطف عليه رفعا ونصبا اي تفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع **لا ريب
فيه** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول
في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل وبالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب
او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه **ام يقولون افتراه**
اي بل يقولون افتراه محمد عليه الصلاة والسلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده **قل** تبكيتا لهم واظهارا
لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما يقولون **فأتوا بسورة مثله** اي في البلاغة وحسن الصياغة
وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة
مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة **من استطعتم** دعاءه والاستعانة به
من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجئون الى آرائهم في كل ما تاتون
وما تذرون **من دون الله** متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا
شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه و
من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى
بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم **ان كنتم صادقين** اي في اني افتريته فان
ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى
اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف

دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه
ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير
يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه ونحو ذلك
للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به
لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له **ولما ياتهم تأويله** عطف على الصلة
او حال من الموصول اي لم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه
والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد
تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم
والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجئوا بتكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتدبروا في معناه وينظروا
وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه
بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم
ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا واعتدوا ذلك ايضا
على ما هم عليه او لا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب
بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فمتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي
الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى
ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ والمجازفة من غير تدبر وتامل **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي فعلوا التكذيب
او كذبوا اما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم **فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين** وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما او بعليته
لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وليدخل هؤلاء الظالمين في ظلمهم حرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله
عز وجل **ومنهم** الخ وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة
امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه **من يؤمن به** عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما سعوا في
المعارضة ورازوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به الاعتقاد
بحقيته فقط او يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على
اكثرهم الى انهم يعلمون الحق وعلى التفسير الثاني يستعون الحق كامر **ومنهم من لا يؤمن به** اي لا يصدق به في نفسه كما
لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي او لكان فوق مرتبة عدم الاحاطة التي الها
يبقى على ما كان عليه من الشك هذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة
بالمرة وهؤلاء هم الذين ارتدوا فيما سلف لقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول ولا يؤمن به
فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير
اذعان للحق وانقياد له **وربك اعلم بالمفسدين** اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل
لاشتراكهما في اصل الافساد والمستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من
المعاندين والشاكين **وان كذبوك** اي تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي
فقل لي عملي ولكم عملكم كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء الخ والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او
باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة **انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون** تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا

او اخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون
اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل لهم الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب
المعنى كما افرد فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الا
على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن
وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهم لترتيب انكار الا
على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر
في موضعه بل لانكار ترتبه عليه كما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال
المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانظار اليه
من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون
اليك فانت تسمعهم لا انكارا لاستماعهم فانه امر محقق بل انكارا لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه
حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل
بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا
وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين
دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي ترتيبة لانكار هدايتهم وابرازا
لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة
فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة فان المقصود من الابصار الا
والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق
فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى افانت
تسمع الصم او تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في النحوي كلتاهما في موضع الحال
من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا لا يبصرون ولو
على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا
تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى
وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره
مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من
الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم هو في المشاعر ونحو ذلك بل هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما
به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم
في المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال
بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اي
لعدم استعمالهم لمشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي
ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذريعة اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر
الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة
لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون قدم عليه كما وقع في سائر المواضع وتقديمه
عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفا

ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان
بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان قبح الامر عند اتحاد الفاعل والمفعول اشد منهما انكارا عند العقل
وصرح لذي الطبع واوجبها حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى يستلزم لما تقتضيه
ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه
غيره يلزم من ذلك الغير ان يكون ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول على الثاني
مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد
بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى ان قولك ما زيد ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص
وسياق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار
والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فانهم مباشرون
للسيئات الموجبة للتعذيب عن ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب
بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم وانذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا اي كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار
اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة
في موقع الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولا تقلب في نعيمها
الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من
رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى
ولو بعد دهر طويل لاظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونحو ذلك
او بيان تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون
قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا
اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة
المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال
المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب
منه لديهم عما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء
او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجارتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان
والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها
وان كان سوء اللقاء فالخسارة الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة
واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك بعض
الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك لتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار بعد انذار
وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم
اي كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة
وقيل المذكور جواب الشرط الثاني كانه قيل او نتوفينك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي
فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها
ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال
الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اي هنالك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم
بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه

فقضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط اي بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمومنين به وهلاك المكذبين كقوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضا المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم
او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهدا وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب
على طريقة الاستهزا به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة
الملك ان كنتم صادقين اي في انه ياتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين الذين يتلون عليهم الايات
المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدمه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فلياتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الدلالة على
كون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شي منهما بوجه من الوجوه
وتقديم الضر لما ان مساق النظم الكريم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدايرة تكملة للعجز وما وقع في
سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيا من شوني ردا وايرادا مع ان ذلك
اقرب حصولا فكيف املك شونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شا الله استثنا منقطع اي ولكن ما
شا الله كاين وحمله على الاتصال على معنى الا ما شا الله يا باه مقام التبري عن ان يكون له عليه الصلاة والسلام دخل في اتيان
الوعد فان ذلك يستدعي بان يكون المتنازع فيه مما لا يشا الله ان يملكه له عليه الصلاة والسلام وحمله على عبارة
عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيا
من الضر والنفع الا ما شا الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف
ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثنا وتقييد لما في القضا السابق من الاطلاق المشعر بكون
المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شي غير مجي الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم
اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جا اجلهم ان جعل الاجل
عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضا
الامهال تحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليهم لافادة المعنى
المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموما لهيئة معنى الجمعية كانه قيل اذا جا اجالهم بان يجي كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جا
اجلها الخاص بها لا يستاخرون عنه ساعة اي شيا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي
لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو
عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفا التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفا التاخر بنظمه
في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الان الاية فان من مات وهو كافر مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك
من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد
بمجي الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجي اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وحينئذ ليس في تقييد
عدم الاستيخار بدنوه مزيد فايدة وتعقيبه ببيان انتفا الاستيخار مع بيان انتفا الاستقدام لان المقصود الاهم
بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما
يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبي عنه
قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفا السبق كما ذكر

هنالك قل لهم حسبما سبقت كيفية جريان سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق وبينهم على ان عذابهم امر مقرر
محتوم لا يتوقف الا على مجي اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه تنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اي اخبروني ان اتيكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما
عين لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عين لساير الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه
المجرمون جواب الشرط بحذف الفا كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون وضع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان
مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية
متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شي تستعجلونه منه تعالى التي لا يمكن استعجاله بعد
مجيئه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استحالته عند
اتيانه بنا على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة من قال لغريمه
الذي يتقاضاه حقه ارايتك ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك
التقاضي بعد الاعطا بنا على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع امنتم به انكار لايمانهم
بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المامور
به اي ابعد ما وقع من العذاب وحل بكم حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتاخير الى هذا الحد وايذانا
باستتباعه الندم والحسرة وليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت وتقديم الظرف
للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه
والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى
اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جي بكلمة التراخي دلالة
على استبعاده ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد على ان الاول كالتمهيد له وجي باذا موكدا بما
ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يومنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى الان استيناف
من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم بعد ايمانهم
عند وقوع العذاب الان امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن كذلك لعدم سبق الانذار به لا
للتامل والتدبر في شانه ولا لشي اخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على
وجه الاستهزا وقري الان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا
واستهزا جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار
والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب
والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الان للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق
او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون
في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون
على طريقة الاستهزا او الانكار احق هو احق خبر مقدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام ويويده قوله
تعالى انه لحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع الرفع بيستنبئونك قل لهم غير ملتفت
الى استهزايهم معرضا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم
خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسبما في
انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز شانه وما انتم بمعجزين اي بفايتين العذاب بالهرب وهو
لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير

اتيانه

المذكور ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيد
كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة مما كثرت لافتدت به اي جعلته
فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع
مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع واما الافراد
ذلك فيما سبق لتحقق ما يتوقف عليه من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ
النفس على الشخص او لتغليب ذكورهم على اناثهم الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا
للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة
الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشي فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف
شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن
الامر اشد من ان يعتريهم هناك شي غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها
او لان سر الشي خالصه حيث تخصصوا بها تهكما بهم وقيل اظهروا والندامة من قولهم اسر الشي واشره
اذا اظهره حين عيل صبرهم وفني جلدهم وقضي بينهم اي وقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف
اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به
بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير
ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او
عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه
الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
داخلا في حقيقتهما وكلمة ما عبارة لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الا
وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشا ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد
الله حق اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود او جميع ما وعد
به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثنائه اندراجا اوليا او بمعنى المصدر
اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير
الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه
على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم
بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت
في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع
الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع
الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة اي الوعظ
والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من
ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من
مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب
في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل
والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي تجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال

الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجي القرآن العظيم من الفضل والرحمة
بفضل الله وبرحمته اما ما في مجي القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء
متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في برحمته للايذان باستقلالها
في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية
فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة
الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة
للدلالة على بعد درجة فضل الله ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز
ان تتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فافرحوا وعن
ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله
الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ
تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم اي اخبروني ما
انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم
وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل بها وما يتوقف عليه وجودا وبقاء باسباب سماوية من المطر والكواكب
في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي وجعلتم
بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله رزقا وذلك قوله هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ
عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره
تعالى ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل
لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه وتعالى فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا
للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها للاضراب
والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما هو افظع منه من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتعالى وتكرير
وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر اي على الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب كلام مسوق من جهته تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير
عنهم بالموصول في موضع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة
الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة
ما استفهامية وقعت مبتدأ وظنهم خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن اي
اي شي ظنهم في ذلك يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه
وتهويل ما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال بكمال وضوح امره
في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شي ظنهم لما سيقع يوم القيامة ايحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم
او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم
اشد المعاصي ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز
بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول
في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا
يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك

الآية وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه ويقعون فيما يقعون فهو تذييل لما
سبق مقرر لمضمونه **وما تكون في شأن** اي في امر من شأنت شأنه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول **وما
تتلوا منه من قرآن** الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه
عليه الصلاة والسلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية على الوجه الاول وبيانية
او تبعيضية على الثاني والثالث **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتضى الكل وقد روعي في كل
من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير **الا
كنا عليكم شهودا** استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسونه بشيء منها في حال من
الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له **اذ تفيضون فيه** اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة
الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي **وما يعزب
عن ربك** اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ
بكسر الزاي **من مثقال ذرة** كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او
هباء **في الارض ولا في السماء** اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او
متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها
وقوله تعالى **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف
او على محله مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا كأنه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب
عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو
في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ **الا ان اولياء الله** بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة
لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه الصلاة والسلام وامته في كل ما يأتون
وما يذرون واحاطة علمه سبحانه وتعالى بجميع ما في الارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة
حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد
وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله تعالى
خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم **لا خوف عليهم** في الدارين من لحوق
مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف والحزن استعظاما
لجلال الله سبحانه وتعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص
والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا
من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس
الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته
بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهو
بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله
عز وجل **الذين آمنوا** اي بكل ما جاء من عند الله تعالى **وكانوا يتقون** اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من
الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل تفسير لهم واشارة الى ما به نالوا
ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك
وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين من كل شر

وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى
المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا
كان حال من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
على ان لهم في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة بحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي
النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق
عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو التقوى
المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام
بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل
من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا
ليسوا بانبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا ما هم وما
اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت
والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه وتعالى من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى
والآثار الخاصة بهم الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس فلما اورد رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين وغيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر
هناك من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك
والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينه من جهة النسب والقرابة
وتأكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويمحوا من
بواطنهم في الدين من ذوي ارحامهم واما ما ذكر من انه تغبطهم الانبياء فمسوق لحسن حالهم على طريقة التمثيل والكلام
وهذا مبالغة لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه وقوله عز وجل **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة**
تفسيرا لتوليه اياهم تعالى ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها
والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم
وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا ان
الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار
بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه النظم الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح
والثاني بيان لما اولاهم بما لهم من الولاية تفضلا وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما
والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما
ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال
المسرة بتبشير الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتبشير الاولياء مع الايذان بان انتفاء
الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر

والفتح والغنيمة وغير ذلك من الآجلة الغيبة عن البيان اشار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان
في موضع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة
اي عاجلة وآجلة او حال من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل
ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام عاجل
بشرى المؤمن هذا وقد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي الاشارات الواقعة للمؤمنين
المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه
عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال
الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم
مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك
من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى
ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات
الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا
دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم
تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها او
وقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في
الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتان الجملتان والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض
ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم
الموحشة وتبشير له عليه الصلاة والسلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من
كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن الحزن كأنه
قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به
في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه الصلاة والسلام عن الحزن لما ان النهي عن
التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قوله لا
اريتك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النهي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه الصلاة
والسلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم نوع حزن فسلي عن ذلك قوله تعالى ان
العزة تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي ان الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد
شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة المبشرات
العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم
ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وا
وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا
له سبحانه مقهورين تحت ملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من
اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد
لما يلحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية
عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول

يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون
ظنهم الباطل وما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة ودلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من
ظنهم شركاء وهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه وتعالى واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون
ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء الآية وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام استفهام
للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له
وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون اليه سبحانه وتعالى او يحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم
على توحده سبحانه وتعالى باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح
عن اختصاص العزة به سبحانه وتعالى والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فبمنزلة والا فلكم مفعوله الثاني
او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية
كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير الآية فحذف من كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار
مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف وفيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي
هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون
بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها وقالوا شروع في ذكر ضرب
آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة
وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل
ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اي حجة
اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره
او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف
وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب
لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع
على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي
وان التقليد بمعزل من الاعتداد قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم
ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد
والشريك اليه سبحانه وتعالى دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا والتعميم
عدم النجاة والفوز عما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في
الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل
المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه

قل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم بفضل متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة من المكروه ايضا بقوله عز وجل ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فانى لهم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه ويتمتع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه تعالى افحش القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده لذلك باعتبار حكمه ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا ولتر بعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه وتعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على انه صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبا نوح اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر وتنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه وتعالى واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول للنبا او بدل منه بدل اشتمال والمراد بعض نبئه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لاجله ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وانما قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما تدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف وفي مصحف ابي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واجتهدوا فيه باي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرون به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لم يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته وكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موضع الاضمار لزيادة تقرير بعضها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والامر وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكرب والكربة وثم للتراخي الزماني في المعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من

اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق والمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها ادعوني اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من الشر غير مبال بكم وبما ياتي منكم واحجامكم من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سالتكم بمقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى تتولوا لذلك توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان والاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه الصلاة والسلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالجزاء بسببية الشرط للاعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس له مصحح ولا انا متاثر منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره والمستسلمين لكل ما يصيبني في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمتهم الحجة وبين ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان وتاخير ذكر الاغراق عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الاية وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم وممن لم يقص فجاءوهم اي جاء كل رسول قومه المخصوصين بالبينات اي بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاءوا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي بين ضميري جاءوهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله تعالى بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثرا بعد اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا لـ

ذ من الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط لما كان كل قوم من ذلك الا قوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فكذبوا بها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذبت به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى المخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مذكورا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك لخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلالة وفي امثال هذه دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم اوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهام ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم الى الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع من قبول الايات لا يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة كما صرح به في مواضع اخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه الاية ونزع يده فاذا هي الاية فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال نشأ وانساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى ع فقيل قال على طريقة الاستئناف الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي تقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق

التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المؤدية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره ظاهر واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهي جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثل المؤيد من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب الناجي من كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكدت الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبون به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلانه لو كان هذا الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن حمل امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين بأذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة ما يأتون به من السحر واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بالكلام الذي له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنهم وتكون لكما الكبرياء اي الملك فان التكبر على الناس استتباعهم وقرئ يكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء حيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاؤوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعدما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ما تريدون القاءه كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون

وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر يريد ان حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يعبأ به وترك
السحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد فلا يتصدى له عاقل وقرئ
ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه
بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح
عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا اوليا وعملكم فيكون من باب وضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فساده
صلاحا وعدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل
لما سبق من قوله تعالى ان الله سيبطله فالكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق
الله الحق عطف على قوله سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء الروعة وتربية
المهابة بكلماته وامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من
السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في موضع آخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون
الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا و
وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبل لما ان قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم
يتعظ وصحبته فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه
لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن لموسى عليه الصلاة والسلام بمشاهدة تلك الآيات الباهرة
الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجبه خوفا من فرعون واجابته طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية
وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملئهم الضمير لفرعون
والجمع لما هو المعتاد في ضمائر الطغاة والايذان بان علوه في الفساد وعلوه في الشر والتسلط على العباد او لان
المراد به آله كما يقال ربيعة او مضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون واشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال المصدر المنكر
كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون
خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد
بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي
مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وباياته
فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعلق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام
وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه
الصلاة والسلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا
تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او
يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء مصاحبتهم بعد الانجاء ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم
وترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوآ ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان

فلم يجيبوه

عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلاة اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وثنى اولا ثم جمع لان جعل
البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا اي انواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما
جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود
عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها
واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب
للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه
ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان
يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواضع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل
الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين وبتخفيف
تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية والباء للتعدية
اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة
لا ما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وكذا النظم
الكريم عن الانباء بانفصالهم عن البحر ومفارقة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهود في الفرق بين
اذهبه وذهب به يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم ووصل الى الساحل وهم خارجون
من البحر ومسلكهم باق فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا اي طلبا واعتداء اي
باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون
فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وقد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين
فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجأه قال آمنت انه
اي بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
لم يقل كما قال السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به
تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة
وانا من المسلمين اي الذين اسلموا انفسهم لله تعالى اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل
خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار
وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد ثلاث
عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات وانى له ما هو آت وقوله عز وجل آلآن مقول
لقول مقدر معطوف على قال اي قيل له الآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى فيه سبحانه من الغضب على المخذول وما
ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على ما اجترم وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور
وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ان جبريل عليه

فاتبعهم

السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافي تعليله بمخافة
ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليه الصلاة والسلام لو رايتني يا محمد وانا اخذ من حال البحر وادسه في فيه مخافة
ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية او النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما
في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة الباس واليأس فيحمل دسه عليه
السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وهو العامل في الظرف انما يقدر موخرا
ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الان تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالموت
وقوله عز وجل {وقد عصيت قبل} حال من فاعل الفعل المقدر جي به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان
الى هذا الان ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في اياته ودلائله ولا لشيء اخر مما
عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى {وكنت من المفسدين}
عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الاية فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم
والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به {فاليوم ننجيك} اي نخرجك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم
اي نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء ونحيك بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية البر
{ببدنك} في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له
وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي
باجزاء بدنك كلها كقولك هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها {لتكون لمن خلفك اية} لمن وراءك
علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عليه
السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن ياتي بعدك من الامم اذا سمعوا مال
امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم
الشان وعلو الكبرياء وعلو السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا
اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك اية كسائر الايات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء
الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزوير امرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته
وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه
او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن تقتل
ثم يجر جسده في الاسواق ويدار براسه في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا
من اية اي كائنة لمن خلفك {وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون} لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو
اعتراض تذييلي جي به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي {ولقد بوانا بني اسرائيل} كلام مستانف
سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم
وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم {مبوا صدق} اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوهما
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيهما حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض الاية {ورزقناهم من الطيبات} اي اللذائذ {فما اختلفوا} في امور دينهم {حتى جاءهم العلم} اي
الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او في امر محمد عليه الصلاة والسلام الا من بعد ما علموا
صدق نبوته وتظاهر معجزاته والمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم

{ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون} فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب {فان كنت
في شك} اي شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان
شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد الاية وقوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية ونظائرهما {مما انزلنا اليك} من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار
بني اسرائيل {فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك} فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك
والمراد اظهار نبوته عليه الصلاة والسلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا
او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وتهييجه عليه الصلاة والسلام
وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه الصلاة والسلام ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها
السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسل الذين يقرؤن الكتب {لقد جاءك الحق} الذي لا محيد عنه
ولا ريب في حقيته {من ربك} ظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من التشريف ما لا يخفى {فلا تكونن من الممترين} بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل {ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله} من باب
التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور
امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة {فتكون} بذلك {من الخاسرين} انفسا
واعمالا {ان الذين حقت عليهم} شروع في بيان اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت
ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة {كلمت ربك} حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر
ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية {لا يؤمنون} ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا
انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون
وباقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون {ولو جاءتهم كل اية} واضحة المدلول مقبولة لذوي العقول {حتى يروا العذاب
الاليم} لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه وتعالى مع استحقاقهم
له بل لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الايجابي لكون قوم يونس عليه السلام ممن حقت
عليهم الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته {فلولا} بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا {كانت قرية} من القرى
المهلكة {امنت} قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه {فنفعها ايمانها} بان يقبله
الله منها ويكشف بسببه العذاب عنها {الا قوم يونس} استثناء منقطع اي لكن قوم يونس {لما امنوا} اول ما راوا
امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله {كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا} بعد ما اظلهم وكاد يحل
بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها
كانه قيل ما امنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس فيكون قوله تعالى لما امنوا استئنافا
لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية {ومتعناهم} بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم {الى حين} مقدر
لهم في علم الله سبحانه وتعالى روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون
ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم

وردوا المظالم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب كما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ولو شاء ربك لآمن من في الارض** تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن **كلهم** بحيث لا يشذ منهم احد **جميعا** مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي بني عليها اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة **افانت تكره الناس** على ما لم يشأ الله تعالى منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم **حتى يكونوا مؤمنين** فيكون الانكار متوجها الى ترتب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متوجهة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور واياما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة في انكار الترتب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان دوران الكل عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن **ان تؤمن الا باذن الله** اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفوس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم العلل اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد ان يكون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه ولا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى الحال عن غيرها **ويجعل الرجس** اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه **على الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات ولا يتفكرون في آياته واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ **قل** مخاطبا لاهل مكة بعدما بين لهم [illegible] ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة **انظروا** اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام **ماذا في السموات والارض** اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا ان جعل اسما [illegible] مبتدأ والظرف خبره [illegible] الذي [illegible] معلق الاستفهام **وما تغني الآيات والنذر** جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او مصدر اي لا تنفع الآيات والنذر او

الانذارات **عن قوم لا يؤمنون** في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الخ فالجملة ح اعتراضية **فهل ينتظرون** اي مشركو مكة واضرابهم **الا مثل ايام الذين خلوا** اي لا ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا **من قبلهم** من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها **قل** تهديدا لهم **فانتظروا** ما هو عاقبتكم **اني معكم من المنتظرين** لذلك **ثم ننجي رسلنا** بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله تعالى مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم **والذين آمنوا** وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في مواضع عديدة ليتصل به قوله عز وجل **كذلك** اي مثل ذلك الانجاء **حقا علينا** اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى **ننج المؤمنين** اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان **قل** لجمهور المشركين **يا ايها الناس** اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم **ان كنتم في شك من ديني** الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته **فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله** في وقت من الاوقات **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب فاعلموا ان تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا **وأمرت ان اكون من المؤمنين** بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به **وان اقم وجهك للدين** عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الموصول الحرفي كذلك اي وأمرت بالاستقامة بالدين والاستبداد فيه باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال **حنيفا** حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة **ولا تكونن من المشركين** عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا **ولا تدع** عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها من بعض ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع **من دون الله** استقلالا ولا اشتراكا **ما لا ينفعك ولا يضرك** اذا دعوته بدفع مكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب **فان فعلت** اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية **فانك اذا من الظالمين** جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه **وان يمسسك الله بضر** تقرير لما اورد في حيز الصلة من

لآمنوا

وما كان لنفس

سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فثبت
عدم كشفها للاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما
ظاهرا فان رفع المكروه اول مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضرر الوارد
في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير وهو دليل على جواب الشرط
لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد
يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم
لعدم ضرها بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان
بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه لا بوجه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاول واريد معنى الفعلين
في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر
الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا
لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل
الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المضمر موضع الظاهر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من
عباده فان ذلك مناد بعموم الفضل وقوله عز قائلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ
والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر انفا من اصول
الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر والاعراض عنه فانما يضل عليها اي
فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع
او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول
الى امركم واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما
وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء اليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التباين واصبر على ما يعتريك
من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه
على السرائر واطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة هود عليه السلام مائة وعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما
اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ وعلى تقدير كونه اسما
للسورة على ما عليه الاطباق والاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله
تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه
خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير
مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل وعلى ثبوت مدلولاتها فالمراد بالايات
جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع
من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما على تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمنا الدابة اذا وضعت

عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ابهام لا يكاد يليق بشأن الايات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفيه
اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى ايات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل اية اية منه من
حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل
والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها اية اية
لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان
الاولان فيهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الايات محكمة مفصلة لا نسبة بعضها الى بعض على وجه
يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخيهما عنه رتبة عن
الاحكام وان حمل جعلها اية اية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في شأنه
ما يستتبعه من الاحكام والاثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي
زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك
وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف لها بعد ما وصف
باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد
خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة
والاحاطة بجلائلها ودقائقها مسندا بالتنكير التفخيمي وربطهما به على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها
مع رعاية حسن الطباق بين الجزالة والجلالة على فخامتها وكونها على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا
الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع تحقق الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد
في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة
غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد
وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول [illegible] الا تعبدوا الا الله
انني لكم منه اي من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غيره وبشير
ابشركم بثوابه ان امنتم به وتمحضتم في عبادته [illegible] الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكونه من لدن
الله تعالى [illegible] والامر بالتوحيد وترك الاشراك [illegible]
الاستغفار والتوبة [illegible] من عند الله تعالى بتبليغ احكامه [illegible]
من الوعد والوعيد [illegible] بالذكر [illegible] بالخطاب [illegible]
تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم ورسالته عليه السلام كذلك في الذكر [illegible]
[illegible] النذير [illegible] على
[illegible] الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا
على لسانه عليه السلام [illegible] ترك عبادة غير الله
[illegible] من جهة الله نذير وبشير [illegible]
على تقدير [illegible]
والكد [illegible] الانذار والتبشير [illegible]
تفصيل [illegible] وان استغفروا ربكم وهو معطوف على الا تعبدوا
من الوجهين [illegible]
لانه [illegible]

انما هو المتوسل الى وصف المعارف بالجمل وهو لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما
كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند
ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال **ثم توبوا اليه** عطف على استغفروا
والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه
ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او استغفروا
من الشرك وتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان يعتبر اذ قيل في اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم
توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه
من التمتيع واتيان الفضل بقوله تعالى **يمتعكم متاعا حسنا** اي يمتعكم تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف منه الزوائد
كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين
وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات **الى
اجل مسمى** مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع
اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستئصال **ويؤت كل ذي فضل فضله** جزاء فضله اما في الدنيا
او في الآخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت
الحال بين العاملين بموت انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما يمتع آخرون دونه في الفضل وربما يكون المفضول
اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له
وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل **وان تولوا** اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد
والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق
بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي **فاني اخاف
عليكم** بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع **عذاب يوم كبير** هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله
تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف
بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان
ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له **الى الله مرجعكم** رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى
غيره **جميعا** لا يتخلف منكم احد **وهو على كل شيء قدير** فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم
فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما
سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال
فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه **الا انهم يثنون صدورهم**
يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي ان يكون سببا
للاستخفاء في قوله عز وجل **ليستخفوا منه** التجأ الى اضمار الارادة حيث قال يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا
يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعلهم جعله في ورود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسط
الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن
الحق وعداوة النبي عليه السلام بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة
وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من

في الطاعة والعمل صح

الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكره من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء
ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث
يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان
اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة
معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنون في صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل
من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما تثنوني دون بن تثنون واصله تثنون تفعوعل من الثن
وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **الا حين يستغشون
ثيابهم** اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع
حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم
الله ما في قلبي **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم **وما يعلنون** اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم
فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما
وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه
اولى منها بما يبدونه بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما
يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في
نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء
التأكيد في المبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن ثم سلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه
بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه وتعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة
الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يوصف كأنه
قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها
اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها **وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها** غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او
ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها
البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه **ويعلم مستقرها** محل قرارها في
الاصلاب **ومستودعها** موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص
به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها في مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية
المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله حيث كانت من اماكنها

صفون

سوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة في الاطوار المتباينة ومقارها
المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقدر المستودع
بالاماكن في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين
اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه من مبدا فطرتها للناظرين
الى منتهاها ولما اشتمل الامر الى ان الله سبحانه وتعالى يحيط باحوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى
من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها
من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها
وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات
كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس
فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه
قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلم ما
يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما
مختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان قبل خلقهما
موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط
ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض
للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما
جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من اعاجيب الصنايع والعبر ما
تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب
ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة
على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلايل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص
بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل
بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع صنايع الملك الخلاق
والتدبر في اياته البينات المصونة في الانفس والافاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر
والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى
فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان
احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام
لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار
عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان
الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان
المراد بالذات والمقصد الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان
المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد
عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما
حسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج

تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقايضها والله اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء
ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا اذ وجه الخطاب في قوله تعالى انكم
الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا
سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار عن كونهم
مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لانبائه عنه
في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا
عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود
ظاهر الا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث
ان البعث كما اشير اليه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات
ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون
فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل او الى القران على اسلوب
شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون
على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في
الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم بت القول خلاف ما الفوا
والفوا عليه اباهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر وما قالوه قاتلهم الله انى يؤفكون
ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على تكذيبهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل المستهزئين والظاهر ان المراد
به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضا منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة
الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده و
مانع وانما كانوا يقولونه بطريقة الاستعجال استهزاء لقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار
المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم
على معنى انه لا يدفعه دافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به
عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع
للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف لا يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه
قد تقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر فان
اليتيم والسايل مع كونهما منصوبين للفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدمها عليها قال ابو حيان
وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية
الكريمة وقول الشاعر ۞ فيابى فما يزداد الا لجاجة ۞ وكنت ابيا في الخنا لست اقدم ۞ وحاق بهم اي احاط بهم
ما كانوا به يستهزئون اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار
بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي وارد على عادة الله تعالى في
اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر بها
ووقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها
اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها

الله ليؤوس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره
وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم
بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصفا بيهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل
الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن
ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها
في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة
والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون فانه انما يريد بعباده اليسر دون
العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تأثير واما نزع الرحمة فانما صدر
عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم لها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن
ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوءني ولن تعتريني بعد امثالها كما هو شأن اولئك الاغرار فان الترقب لورود
امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم
مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا
الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا على آلائه السالفة واللاحقة واللام في الانسان اما للاستغراق او الجنس فالاستثناء متصل او للعهد
فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم
وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء
ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
والمعنى ان كلا من اذاقة النعمى ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب
بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين ومن حيث ان
انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان
مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند
الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك ضيق صدر لتلاوته عليهم وتبليغه اليهم
اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا اي لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى
بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير يخزونه يدل على صدقه او جاء معه ملك
يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال
مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدون على نبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه
صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم
الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة
بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة
تلك الآيات الناطقة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس
عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك
واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من
اصابة المحز ام يقولون افتراه ام منقطعة عند ذكر تركهم اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم

بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته عليه الصلاة والسلام وشرع في ذكر
ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي
صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس من عند الله تعالى قل ان كان الامر كما تقولون
فاتوا ايضا انتم بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار
مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى ان المثنى يوصف بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين
مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فان الجميع
واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ
بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي
وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى
فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على
ذلك مني فانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع وزاولتم اساليب
النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها
ممدة لكم في كل ما تأتون وما تذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجؤون الى آرائهم في الملمات ليعينوكم فيها من دون الله
متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله و
ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما
كلفوه من الاتيان بمثله دعاهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم
كما في قول من قال · وان شئت حرمت النساء سواكم · او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي
وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد
وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا
اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال
لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع
هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع
لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل بعلم الله المخصوص ملتبسا م
به بحيث لا تحوم حوله العقول والاوهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا
اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم
مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التنبيه والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون
الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول عليه السلام لاختلاطهم بامر التحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن
استطعتم اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون في المهمات والملمات الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا
ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم
بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد الابتغا
من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم
بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من تستمدون بهم اقوى منهم في
اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا
ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد
شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى

اوليا او متقادون للحق الذي هو كون القران من عند الله تعالى تاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم اللتيم من باس الله تعالى عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضايق به صدرك ولما سياتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله • وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الاخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما نطق به قوله تعالى اولئك فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر او شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبي عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او بمعنى المصدر كقوله • ولا خارجا من فيّ زور كلام • وعن انس رضي الله عنه ان المراد بهم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فاسهم لهم في الغنائم واعترض بان ذلك انما يتعين لو كانت السورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يستدعيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج

فيه الفاجرون في القران العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه عليه السلام والمؤمنين بان يزدادوا علما او يقينا بان القران منزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وحثهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عز وعلا عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيانا ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقران والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القران وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير ان الاول على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من تمسكهم بالقران عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القران غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا انما انزل بعلم الله اوليا وقيل هو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القران فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي عليه الصلاة والسلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى بتابعه بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القران بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقران العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله وكان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التعليم لما سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقران ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وجل ليس لهم في الاخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القران وكونه من عند الله عز وجل حسبما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم ومن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومالهم يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم

وعد من هيئاتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على
احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض
اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى يفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبك على انكار ان يكون
احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة
انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان
او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو
الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم
حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله
افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول
الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب في اشراف هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كانه ذلك الامر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من
صدر عنه ذلك فلذلك يقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد بيّنة الاحضار وهم جميع اهل
الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وما لهم لا شهادة عليهم كما
يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور
ويجوز هذا ان يكون على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا
نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل
الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهي ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا
عنها يقال بغيتك خيرا او شرا اي طلبته لك هذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة
هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدي
الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك مع ما وصف من
احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين انفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها
وان هربوا فيها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن لم يرد لحكمة تقتضيه والجمع اما
باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك
بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم
لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم
لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال
وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فانها لا تسمع ولا تبصر فضلا عن الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب
اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا
ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية
لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون

وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك
خسرانهم والمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث لا جرم بمعنى لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون وايا ما كان فمعناه
انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآية الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على
بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور
مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق
الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب
الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين
البين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي
عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي اليه ذلك في الانفس
او الآفاق وفعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا
الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأتهم وانجد دخل في تهامة
ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الحميدة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون بعد بيان تباين حاليهما عقلا
اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من
الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال هؤلاء [illegible] والكلام
وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل
في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع
وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين
البصر والسمع على ان تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول
من قال ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة في المزدحم ٭ واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال
المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه
به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن
استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل
من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فصل فيما
مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جمع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين بما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف
والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال
الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا
خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى
ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم
بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل
يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان
على بينة من ربه الآية مثلا اي حالا او صفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي أتشكون في عدم الاستواء
وما بينهما من التباين او تتغافلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين
معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن

الخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان
ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستوا ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها ناطق
في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى وان الذي نزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقدروا تضعيف
ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد المحققة الدالة على
كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول مما اعتراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم
للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته صلى الله عليه وسلم والمومنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه و
وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين المشتملة على
ما اشتملت عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما مر من التوحيد وفروعه مما اتفق عليه
الانبيا قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام ملا
وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله ومعاناتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه اليا لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا تكاد تطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ
ابن ادريس عليه الصلاة والسلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين وقيل وهو ابن مائتين
وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة اني لكم نذير مبين
بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه
ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه الصلاة والسلام كانت بطريق الانذار فقط الا ترى الى قوله عليه الصلاة
والسلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات بل لانهم لم يغتنموا مغانم بشارته عليه السلام مبين
ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للتحذير
منه متعلق بصفته بكلا وسعيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا الا الله على ان ان مصدرية والبا
متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله
عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا لكونه ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب
ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذيرا او مفعول المبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني
لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة او يوم
الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها
مما قاله عليه السلام في اثنا الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة
بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الاية
عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المومنين الذين اتبعوه عليه
السلام بعد اللتيا والتي بالفا التعقيبية فقيل فقال الملا الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم
فلان ملي بكذا اي مطوق له لانهم مليئوا بكفايات الامور او لانهم ملؤوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملوء
بالاحلام والآرا الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا
بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة
ولو كان كذلك لرايناه الا ان يحتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا

وهو اول نبي بعث بعده
قال ابن عباس رضي
الله عنهما بعث
عليه السلام
مهم

بادي الراي وفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع
الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما
المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به ومرامهم
عليه ارادة بانه لم تصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر فيما
سياتي تعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس بشرا مثلهم
حيث عاين دلايل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هولا اراذلنا اي اخساؤنا واراذل
جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع اراذل جمع رذل ككالب واكلب وكلب
يعنون انهم لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي
ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرا ابو عمرو بها وانتصابه
على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم
اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف الاكثر منها حظا والارذل
من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل
من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك نغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون
ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية
الفضل بعد تعرضهم لرذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم
لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة
او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة
معه عليه السلام بطريق الارادة على نهج الانصاف قال يا قوم ارايتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم
المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز
ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد
الضمير في قوله فعميت عليكم ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة
كل واحد منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفا بذلك لاستلزام خفائها خفا النبوة او لتقدير فعل آخر بعد
البينة ومعنى عميت اخفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي
غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب
ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو عمرو باخفا حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقدم
اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا
تتاملون فيها وحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير
مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر
بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الاية لكنه
محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بطريق الانكار الى الالزام حالة
كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل يحسد عليه
افراد البشر بعضها عن بعض وبه مناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتبا للرسالة وبالكون عليها التمسك به واثباته
عليه وخفاؤها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة
النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها من بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان النبوة لا تنال الا بفضيلة على
سائر الناس مستتبعة لاختصاصه دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني

عميتها بنوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم يصيبوها ولم تنالوها وحازني لها وكوني عليها الى الآن
حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون
الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه صلى الله عليه وسلم جوابا عن شبهتهم
التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امرهم ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا
لشافة آرائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما قلته من انذار دعوتكم ما لا تؤدونه الى بعد
ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك الاجر في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة
وفي التعبير عنه حين نسبه اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما
يقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا
به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام
انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه من طردهم اي انهم فائزون في الآخرة
بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس وفي التعرض لوصف الربوبية
لترتيب وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون بانهم
ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما
ظهر لي وعلى خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على
قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم
كما سيأتي وايضا انهم قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر فهذا لا يكاد يصلح مدارا
للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان ايمانهم على ظاهر الرأي
يؤدي الى الرجوع عند التأمل كما هو قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عند تعنف
لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم
عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام
معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار
او تتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه على ان طردتهم
فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا
سيما غب ما قدم ما يلوح به من انحائهم مكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من
الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي أتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا
تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص
ظاهر الدلالة على وجوه الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم
حين ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من
فضل الآية فان النبوة اعز من ان تنال بالاسباب الدنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب
اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار
والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة
بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك
ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول
مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتستهينهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى
اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الآية واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم

ما تقولوا لذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في
الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين لئن قلت هذا القول مما تستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه
عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام بطريق
التبري والتنزه عنه فمن اي جهة عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا
به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى لمن ليس على تلك الصفات وان العثور
على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجابه عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا اقول
تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما
اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على
يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية
بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه
على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم
بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت
شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان نفيه بل نفي الاقوال المعينة عن التعليل
بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت
بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد تحقق اصله فلذلك عطف عليه بالفاء واوردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما الحجهم عليه الصلاة والسلام وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا
تتلقاها العقول بالقبول والفهم وبحجر رد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فقالوا فأتنا
بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي تشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا
يكون المراد باليوم يوم القيامة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس
موكولا الي ولا مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق
به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية
وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي
النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول او فعل وحقيقته الخاص ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه
الغش وقيل هو اعلام موضع الغي ليتقى وموضع الرشد ليتبع ان اردت ان انصح لكم شرط جوابه محذوف لدلالة ما
سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى
ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا
على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله
عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط
الاول وتعلقه به تعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر منه
عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق
الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم
الى سبيل المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم النفع
لهم بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة
بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه
حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام

به لا يحبهم عند تجرد ارادة الله تعالى لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار
بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة للدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما
يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول
العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم والمتولي لامركم
امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا
عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته
بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسر الاولون باثامنا
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل
يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح
فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين
الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت
طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المستمرين على الكفر وهو اقناط له المصرين
عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع
من ايمانهم وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس
مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهت افعالهم
وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا
يكلأونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا
عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر
للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل ان تعدا سبق
يوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من
شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكان
من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الثاني
وهو الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد
وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير وطولها
ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وسمكها ثلاثون ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق
بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ بكفه من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا
كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال
له عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا
عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني
في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو
قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق
قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا

للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك
او قيل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره
اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا
يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية
بهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما
كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه
من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه
السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان
تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه
للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله فانا نسخر
منكم الخ فتكافأ الكلام وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته
اياهم عليه السلام بذلك والا فعدم علمه عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون وما يذرون امر مطرد لا يتعلق له
بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء لما
صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا
لقيل ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما
صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب
والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض
من استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول
سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم اياها وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون
اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ غب ملأ لا في الكيفيات والاحوال
التي لا تليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية
مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل
ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما
لا يلابسه السخرية وما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه
حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم ويجوز كونها استفهامية
في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم
بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد
يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد
استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي سوف تعلمون من يأتيه
العذاب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء في الاستهزاء والسخرية من لحوق
الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان
في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية
لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل
كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان القصة ببيان تناهيهم
في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام

وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل
لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل
كان تنور آدم عليه السلام من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام
يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع
في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل
اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين اثنين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج
وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما
قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام
في تمييز بعضه عن بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله
السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والاخرى في اليسرى فيجعلهما في السفينة
واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد
حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول
بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما
كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل
قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق
ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على
لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام
وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى
نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال
اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى
الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج
وادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء
متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات
انه عليه الصلاة والسلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن
معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية
كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول توفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس
وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في
فيقال ركبت في السفينة وعليه الاية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجراها
ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء
بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان
يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراها

اقول وبالله التوفيق ان العطف على الزوجين في قراءة
التنوين مستقيم لا على اثنين اذ هو تاكيد اذ يلزم
منه كون الاهل ايضا تاكيدا والعطف على اثنين
جائز في قراءة الاضافة لا على زوجين ولا يخفى
وجهه ولا يخفى ايضا ان المؤمنة احدى زوجتيه
فجواز العطف كما في هذه الاية في هذه السورة
على كل واحد على الانفراد ومنع العطف كما في هذه
الاية في [illegible] سورة المؤمنين في ورقة عدد
على الاجتماع فلا تناقض في كلام ابي السعود رحمة الله
عليه بل هو حقيق بالانصات والاستماع ودل ذلك على
الانتفاع كذا قرر الاستاذ الوالد المرحوم كساه الله حلل
الغفران حرره الفقير السيد الحاج احمد المدرس [illegible]
در احمد [illegible] ابن العامل [illegible] افندي الشهير [illegible]
نور الله مرقده من تلامذة [illegible] افندي البغدادي [illegible]
نور الله مضجعه في تاريخ ٢١ شوال

ومرساها باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين والجملة مقتضية على ان نوحا امرهم
بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكون ذلك من قبيل كلامين له عليه السلام وقيل كان عليه السلام
اذا اراد ان تجري بها يقول بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو بها يقول بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على
صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدر او زمانين من جرى ورسى
ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم بعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا ذلك
لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله تعالى وغفرانه ورحمته على عادة
اي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري بهم
في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من
ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال
خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله
تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان تنقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى
بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها
وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما قيل ان امرأته كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما
فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع
الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية بنوع حذف حرفها وانت خبير
لا ملاءمة الى الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من جهته بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه
نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لا يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار
قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل انه
كان الى ذلك الوقت يكتمه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن
الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كونه اهل الخلاف بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة
على ذلك يا بني بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا
عليه من ياء الاضافة او سقطتا الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرأ ابو عمرو و
حفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عند ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام
حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض
خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه
السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه
من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك
وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وانه لا محيص من ذلك الا الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك
اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق
عن كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما من الماء بان يقول لا يعصمك منه فعدل الى نفي العصمة عنه
فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر
الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب
احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه لا بالالتجاء الى بعض
الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي يشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا

لتنبيه كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع
وتلم فيها الملمات العادية التي
ربما يتخلص منها الخ
مح

تفخيماً لشانه وتهويلاً لامره وتنبيهاً لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالاوي الى بعض المهارب المعهودة وتعليلاً للنهي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيداً لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيماً لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال اثر التفصيل واشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئاً وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حلول الموج بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امراً مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعدما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التهويل والتفخيم ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحاً من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكراً فصار سنة وقيل بعداً للقوم الظالمين اي هلاكاً لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجائهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك والنداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي ان ذلك وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولاً اولياً وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام تذكيراً لوعده جل ذكره مبنياً على كون كنعان من اهله نفي اولاً كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلاً لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصاً فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالعقل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي ان عمله عملاً غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنياً على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام فيندرج فيه ذلك اندراجاً اولياً فقيل فلا تسالن اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلباً لا تعلم يقيناً ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة

عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصماً وان الموج حال بينه صح

عن المسؤول الذي هو مفعول للسؤال او طلباً لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق ويكون النهي وارداً بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب فيكون النهي وارداً في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين هو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفساراً عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلمه غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل دعاء منه لانجائه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما لتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل بانجائه في قلة الجبل وياباه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا تستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهراً بالكفر كما ذكرنا حتى لا يجوز له عليه الصلاة والسلام ان يدعوه الى الفلك ويدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه الصلاة والسلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور ان يكون ذلك لجهله باختصاص النجاة بالفلك وزعمه ان الجبل ايضاً يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء بعدما قال نوح ولا تكن من الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او سآوي ويعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بافراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسالن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب اني اعوذ بك ان اسالك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوباً لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلباً لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهاراً للرغبة والنشاط فيها وتبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امراً هائلاً محذوراً لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالاً بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصاً بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعدما علم بالهلاك ليس لما قيل من استقلال الغرض منهم هو حمل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم على الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياساً على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا البقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الاية لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع على قتل النفس المحرمة ولظن ان المجموع تقريع واحد

وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا بل لا نذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها إلى قبولها في ضمن الأمر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك مع السلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني أخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا تكاد تفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام أمر الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكرها قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين وبهذه النكتة ازداد حسن موقع الإيجاز البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك أنه ينجو بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من أول الأمر ثم ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيض والإقلاع وبين بلوغ أمر الله عز وجل محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام أمر الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام وقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط أي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام منا بسلامة من المكاره كائنة منا أو بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك أي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق وقرئ وبركة وهذا إعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران مفيضا أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الأمم المؤمنة المتناسلة ممن معه إلى يوم القيامة وأمم سنمتعهم أي ومنهم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فإن إيراد الأمم المبارك عليهم المتشعبة نكرة تدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما أو مباركا عليه بل منهم أمم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا مع أنهم أحق وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أي وعلى أمم الذين معك وإنما سموا أمما لأنهم أمم متحزبة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم سنمتعهم بعض الأمم المتشعبة منهم وهم الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة ويبقى أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك في دلالة على جزء المحذوف خفاء لأن من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية أو ابتدائية فتأمل ثم يمسهم إما في الآخرة أو في الدنيا أيضا منا عذاب أليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن أبي زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى ما قص من نبأ نوح عليه السلام وإنما لكونها بتقضيها في حكم البعيد وللدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من أنباء الغيب أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر الأنباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها أو بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك وهو الخبر ومن أنباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء أي موحاة إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا أي من قبل إيحائنا إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت وحال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه السلام لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ بهم

فاصبر متفرع على الإيحاء أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها الخ أي إذ قد أوحيناها إليك أو علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر إلى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك الخ إن العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدت في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه أسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في أقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه صلى الله عليه وسلم ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الأولى منه أعني التوقي من العذاب المخلد بالتبرؤ من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثانية منه وهي أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المتطاهر بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإن التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فإن العاقبة للصابرين وإلى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى إنا أرسلنا نوحا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى أخاهم أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب كقولهم يا أخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب هنا للحذر عن الإضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الأعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لأخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال لما كان ذكر إرساله عليه السلام إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من إله غيره فإنه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم من إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه إن أنتم ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه إزاحة لما عسى يتوهمونه وإمحاضا للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وإيراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى إلا بالجريان على موجب أمره العالي معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الأجر أفلا تعقلون أي أتغفلون عن هذه القضية أو لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها أو أتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا أصلا فإن هذا مما لا ينبغي أن يخفى على أحد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم أي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان والطاعة ثم توبوا إليه أي توسلوا إليه بالتوبة وأيضا التبرؤ عن الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء أي المطر عليكم مدرارا أي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة إلى قوتكم أي يضاعفها لكم وإنما رغبهم بكثرة المطر لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل على الإيمان والتوبة ولا تتولوا أي لا تعرضوا عما أدعوكم إليه مجرمين مصرين على ما أنتم عليه من الإجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا أي بتاركي عبادتها عن قولك أي صادرين عنه أي صادرا تركنا عن قولك بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا

وما نحن لك بمؤمنين اي مصدقين في شي مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من ترك عبادة الآلهة وفيه
من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي
اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية
مما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما بالغ عليه بنسبة
ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مع ما مر من قولهم
وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فانا اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوه وما شاؤه من ذلك
يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك
الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه
ولقد سلكوا في طريق المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة
مع احتمال كونه ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال
بقوله عليه السلام وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه
ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق
ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركون من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل عن ذلك لما كان ما وقع منه اولا عليه السلام
في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك
وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق
وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم
بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما
يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال
في ذلك فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها
ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوا
في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه
عليه الصلاة والسلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما
خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي له
المعازة والمعاداة فلم يقدروا على مباشرة شي مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا
الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في
مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شي مما تريدون فاني متوكل على الله تعالى وانما جي بلفظ الماضي لكونه ادل
على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم
شي ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي
هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوت عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق
الاكتفاء لظهور المراد واما لان نادرة كونه تعالى ربا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام فان تولوا

تتولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما انتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود
ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله سيهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم
قوما آخرين وعطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه
قيل فان تولوا يعذبني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصاره على ذكر الرب عليه السلام رمز الى اللطف
والتدبير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه
النون ان ربي على كل شي حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول
على كل شي وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله
وعن نزوله بالمجي ما لا يخفى من التفخيم والتهويل وورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا
اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق والهداية اليه ونجيناهم
من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوفهم وتخرج
من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وعد
التنجية وان لم تكن بعد مجي الامر لكن جي بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم يعذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اي تلك الامم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة
الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعد ان استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم
يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه
السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله ويجوز
ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع الآيات وما
تاخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل
عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم
فان الاتباع للامر من صفات الاسافل دون الرؤساء عنيد طاغ من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا من الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة
لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا
ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك لعنة جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة
اي اتبعوا ايضا يوم القيامة لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من
اللعنتين نوعا برأسه لم يجمعهما في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ابدا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة
والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او بنعمة ربهم
حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا
تسجيلا عليهم باستحقاق العذاب والهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في
تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد
ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم
صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر
ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد
ابن اسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسال ويقال ماذا قال لهم

تزاجروا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما بعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فان ذلك قصر افراد فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطوا اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشأ مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشأ لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها من العمر اي عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتوخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت يعنون انهم لم يكونوا الى الآن على يأس منه وان بدا منه ما بدا من الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنه رجاؤنا وقرئ مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدت والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من ارابه اذا اوقعه في الريبة واسنادها الى الشك مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم من المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته فان ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى اي فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون والزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها خلقة وخلقا وهي حال من آية وعاملها ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تطردوها ولا تضربوها ولا تقربوا شيئا من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول وذلك انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء تخرج جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا

وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البير حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها فانه زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها فالمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او كان الواعد قال له اني بك فان وفى بصدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل من الضمير الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعلية نزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء من الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو في موضع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ ابو حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابرهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام

بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصد في السورة
الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم
ابرهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله
تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا **بالبشرى** اي
ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الاية وقوله
وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر لقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم
الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سياتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط وياباه
مجادلته عليه السلام في شانهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار
بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم **قالوا سلاما** اي سلمنا او سلم عليك سلاما
ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما **قال سلام** اي عليكم سلام او سلام عليكم
حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما **فما
لبث** اي ابرهيم **ان جاء بعجل** اي في المجيء به او فما لبث مجيئه بعجل **حنيذ** اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين
يقطر ودكه لقوله تعالى بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال **فلما رأى ايديهم لا تصل اليه** لا يمدون اليه
ايديهم للاكل **نكرهم** اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم
يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم
هذا الانكار منه عليه السلام راجع الى تعلم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم
اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى في سورة الذاريات
سلام قوم منكرون **واوجس منهم** اي احس او اضمر من جهتهم **خيفة** لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او
لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو
الخيفة لا من جهة غيرهم والحقيقة ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا اثر الخوف منه بل بعد اظهاره عليه السلام كما قال تعالى في
سورة الحجر انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك **انا ارسلنا** ظاهره انه استيناف في
معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب حسن
الخوف اي ارسلنا بالعذاب **الى قوم لوط** خاصة الا انه لم يذكر ذلك اذ قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين الخ سؤال له عليه السلام عن شانهم ولذا اكتفى بذكره وتدل على الكلام اكتفاء بذلك **وامرأته
قائمة** وراء الستر تسمع تحاورهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوا
قائمة تسمع مقالتهم **فضحكت** سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما
كانت تقول فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت
حاضت وبه فسرت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء **فبشرناها باسحق** اي عقبنا سرورها بسرور
اتم منه على السنة رسلنا **ومن وراء اسحق يعقوب** بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اي ووهبنا
لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع وخبره الظرف اي من بعده يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء مولود او
موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى واقع في الحكاية بعد ان ولدا فصح تسميتهما بعد ذلك وتوجيه البشارة
هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام
عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد **قالت** استيناف وقع جوابا عن سؤال من قال
وقال فما قالت اذ بشرت بذلك فقيل قالت **يا ويلتا** اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من يا

حنيذ

على الابتداء

الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلنا
احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بها السكت **أألد وانا عجوز** بنت تسعين او تسع
وتسعين سنة **وهذا** الذي تشاهدونه **بعلي** اي زوجي واصل البعل القائم بالامر **شيخا** وكان ابن مائة وعشرين
سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او هو خبر بعد
خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما
فيه من الاستبعاد وتعليله اي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه
السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام
ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع من الولادة الى
جانب ابرهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها في الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض
لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد **ان هذا** اي ما ذكر من حصول
الولد ممن هو من مثلنا **لشيء عجيب** بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل
الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل في ضمن الاستعجاب العادي لا
استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى **قالوا أتعجبين من امر الله** اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه
انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله
تعالى ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي
ليس مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى
رحمت الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها **وبركاته**
اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلام **عليكم اهل البيت** نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم عليه السلام ايضا
ليكون جوابها جوابا له ايضا ان خطر بباله ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كأنه قيل
ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر
الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم **فلما ذهب عن ابرهيم الروع**
اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم
عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس بأجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق وتاخير
الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان تاخير ما حقه التقديم يبقى النفس مستطلعة الى وروده فيتمكن
فيها عند وروده اليها فضل تمكن **وجاءته البشرى** ان فرح بالبشرى بقولهم لا تخف فنسبة ذهاب الخوف
ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى **يجادلنا في قوم لوط** اي جادل رسلنا في شانهم وعدل الى
صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها وقيل يجادلنا ظاهره واما ان فرح بشارة الولد او بما يعمهما فلعل
سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم
حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال
فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام
ان يكون ابرهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر

مجادلة

على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو بقبل العلم بذلك بقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلما كان لوط عليه السلام على شريعة ابرهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في ان هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصد بتعداد صفاته الجميلة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر منه من المجادلة يا ابرهيم اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشأن قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلقوا من عند ابرهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك قيل سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن الحادث وذكر الذرع مثل وهو المادة وكأنه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها لينال ما يناله الطويل تقاصرت عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو مع اضيافه في بيته قومه يهرعون اليه اي يسرعون كأنما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاؤوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يستقبحوا قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن ابي الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وايا ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجريا على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة استياضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاء له ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصحيح

ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم فيه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او آويت الى ناصر عزيز قوي استمتع به عليكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فأسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما نزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فأسر باهلك ويؤيده انه قرئ فأسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف لئلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونه مأمورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما روي انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت فقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان اسرى بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب التناقض انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مأمورا قطعا او في حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ما فيه مما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى ح جعل الاستثناء على القراءتين من لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن موقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب ح افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين

فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اولا وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها وان كان مستلزما لما له دوي انه

الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها ح

انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشي المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجيل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السما نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره سبحانه وتعالى وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون لها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو يعرض لحجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشي بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السما وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شي لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي والى اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه مما من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اني اراكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقب بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا للظلم وقانونا للعدوان ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما

النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفا الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفا المكيال والميزان الامر بايفا المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره وتعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى ○

• افي اسواق كل العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم •

والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم بقيت الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين بي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او وما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله لو لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلواتك التي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من بين شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في اموالنا ما نشا جواب عن امره عليه السلام جواب عن امره عليه السلام بايفا الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشا من الاخذ والاعطا والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلواتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشا وتجويز العطف على ما قبله يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفا والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفا فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يجعل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلواتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلواتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون الامر ويستدعي ان تصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي ان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما تشا انت من التسوية والايفا انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فياباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلاة الدين

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة ردا على
مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام
بكونه على ما هو عليه من البينة الحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني
منه من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهما بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا
وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون
والمعنى إنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يعبأ به يتفوه
به عالم وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون أو استهزأتم بي بأفعالي حتى قلتم إنما أمرتكم به من التوحيد وترك
عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به أمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وإنما يأمر به
صلواتك التي هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة
والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وفي شأن أفعالي ما تقولون مما لا
خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف
أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي هذا الإنعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل من ذلك وإنما يناسب تقديره أن لو حمل كلامهم
على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك يأمرنا أن نكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف
المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق علينا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحكم الفاضل
والرشد الكامل فيما بيننا كما كان يقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أسرودا على ذلك النمط فأجيبوا بما
أجيبوا به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأخالفكم فيما تأتون وما تذرون وما أريد بنهيي إياكم عما أنهاكم عنه
من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده بعدما وليتم عنه وأستبد به دونكم
يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد
ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح إلا ما أصلحكم به من النصيحة والموعظة ما استطعت
أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما
ليس في وسعه منه وما توفيقي أي كوني موفقا لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم إلا بالله أي بتأييده ومعونته
بل الإصلاح من حيث الخلق مستندا إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وإزاحة
لما عسى يتوهم من إسناد الاستطاعة إليه سبحانه بإرادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما
عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل
عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة
الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلي
وإليه أنيب أي عليه أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على المضارع الأنسب للتقرر والتحقق
لما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من حسن التلطف والمراجعة ورفق
الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة
به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله
تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء
أو ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي أي معاداتي وأصلها أن أحد
المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم
مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء

من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال
فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أفصح وأدور على
ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت
* حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق وعن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي
للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم
الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المذكورة المعدودة فاعتبروا
بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرته
به كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم
مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم على نية المضاف وما هم بشيء بعيد لأن المقصد
إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد
أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام سوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا
في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه
مر تفسيره في أول السورة إن ربي رحيم ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والإحسان
عظيم الرحمة للتائبين ح
وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة
غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه
وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى
الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم
والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في
تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك لما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة
ولذلك قالوا وإنا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع ولولا رهطك
لولا مراعاة جانبهم لا [illegible] لرجمناك فإن الرهط من الثلاثة إلى السبعة
أو إلى العشرة [illegible] وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز مكرم محترم
حتى نمتنع من رجمك إنما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وإيلاء الضمير حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم
هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده
ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد
به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا
به استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه لا أعزيتهم منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه
لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح
جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال
أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره
وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في
النسبة إلى الأمس إن ربي بما تعملون من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى
عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا

انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله
حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما ادى عليه
السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرتدعون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به
والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه
ضعيف بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى
اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي
وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني
بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة
ان يسال منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء
تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة
توجبه ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا على انه قسيم له حسبما اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون
من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى
الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية
لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن ما استفهامية
معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول
اني معكم رقيب فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه
عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم
له او رحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة هود عليه السلام لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى
السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط عليهما السلام فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد
بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا الصيحة عدل اليه عن الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنون الصيحة قيل صاح
بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فقيل فيما قيل فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه
عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار حيث جعل ظرفا
وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانه
وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم
يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول
عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم
بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم
من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات
التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص

الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام
التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا اي ارسلناه ملتبسا بها وسلطان
مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها والمراد بالايات ما عداها
او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه
او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز
ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى
من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة وادراجها في جملة الايات يرده قوله
عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما
ياتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه
بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم
لهم في الصدور والورود وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال
بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين
للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج
الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم
المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم في الاتباع ومسارعتهم
فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فو
ذلك اتباعا له ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع
والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى
عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه
لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد
به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد وذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد
حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيامة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله
في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح امره و
عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط
الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد
الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملا الذين
اتبعوا امر فرعون في هذه اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة ويوم القيامة
ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيث ما ساروا ودائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون
اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفي ببيان حالهم والقطع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان
حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا
للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء
ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه
مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما معينة ومدد لصاحبتها ومؤكدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده

باعتبار تعضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من أنباء القرى المهلكة بما
جنته أيدي أهلها نقصه خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى مقصوص عليك منها أي من تلك القرى قائم وحصيد
أي ومنها حصيد حذف لدلالة الأول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفي وبطل بالحصيد حذف
لدلالة الأول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وما ظلمناهم
بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما أغنت عنهم فما نفعتهم ولا
دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون أي يعبدونها من دون الله أوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية
أو دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر أي شيئا من الإغناء لما جاء أمر ربك أي حين مجيء عذابه وهو
منصوب بأغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب أي هلاك وتخسير فإنهم
إنما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك أي ومثل ذلك الأخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره
قوله أخذ ربك وقرئ أخذ ربك محل الكاف النصب على أنه مصدر مؤكد إذا أخذ القرى أي أهلها وإنما أسند إليها
للإشعار بسراية أثره إليها حسبما ذكر وقرئ إذ أخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما
أقيمت مقامهم في الأخذ أجريت الحال عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم إن
أخذه أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير إن في ذلك
أي في أخذه تعالى للأمم المهلكة أو في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فإنه المعتبر به حيث يستدل بما
حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من أنكر الآخرة وأحال فناء العالم
وزعم أن ليس هو ولا شيء من أحواله مستندا إلى الفاعل المختار وأن ما يقع فيه من الحوادث فإنما يقع بأسباب تقتضيه من
أوضاع فلكية تتفق في بعض الأوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها الأمم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار
تبا لهم ولما لهم من الأفكار ذلك إشارة إلى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس أي يجمع
له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس
عنه فهو أبلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك أي يوم القيامة مع ملاحظة جمع الناس له يوم مشهود
أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله • في محفل من
نواصي الناس مشهود • أي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله
وتمييزه عن غيره فإن سائر الأيام أيضا كذلك وما نؤخره أي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود إلا لأجل
معدود إلا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأتي أي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر
بانقضاء أجله كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل أتى الله عز وجل فإن المقام مقام
تفخيم شأن اليوم وقرئ بإثبات الياء على الأصل لا تكلم نفس أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو العامل
في الظرف والانتهاء المحذوف في قوله تعالى إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي والمضمر المعهود أعني ذكر إلا
بإذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله
عز وجل هذا يوم لا ينطقون لآية في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
في آخر منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع منه الأعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها أيضا لإظهار بطلانها
كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد أي
ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف
المدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام التحذير والإنذار فأما
الذين شقوا أي سبقت لهم الشقاوة ففي النار أي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره • قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب أول صوته •

زفير ويتلوه شهيق محشرج • والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر
فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها
فقيل لهم فيها كذا وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار أو من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين
فيها خلا أنه إن أريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والأرض أي مدة دوامهما وهذا
التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب
وما اختلف الليل والنهار وما طمى البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا لتعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات
والأرض فإن النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وإن أريد التعليق فالمراد سموات الآخرة
وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله تعالى وأورثنا الأرض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل أحد بأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم
فيها بدوامهما ولا حاجة إلى الوقوف على تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة
قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقوله لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف
وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة
بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله
تعالى لعدم قرارهم فيها إذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا
إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله بعدم الخلود بطريق الوجوب
على الله تعالى قال إن ربك فعال لما يريد يعني أنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه
فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب الأجزية على أفعال
العباد والعدول عن الإظهار إلى الإضمار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود
في عذاب النار فإنهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع أخر من العذاب وبما هو أغلظ منها
كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخذلانهم وإهانته إياهم وأنت تدري أنا وإن سلمنا أن المراد بالنار
ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع
مقارن لعذاب النار فلا مصداق لذلك الاستثناء ولذلك قيل إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني
الذي هو عذاب النار بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وهي العقوبة والآلام
الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور إدراكهم على ما ألفوه
من الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الأحوال الروحانية إذا ألقي إليهم ولذلك
لم يتعرض لبيانه والنفي بهذه المرتبة الإجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وإن كانت تعتريهم
وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وإنه
قيل إلا بمعنى سوى وهو ما فوق ما ذكر وقيل ما بمعنى من على إرادة معنى الوصفية فالمعنى أن الذين شقوا في النار
مقدرين الخلود فيها إلا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين وأما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هاهنا أن
لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أن لهم فيها زفيرا وشهيقا لأن المقام مقام التحذير والإنذار
إلا ما شاء ربك إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه وتعالى عطاء غير مجذوذ نصب على المصدر التعليق
من معنى الجملة لأن قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو إما اسم مصدر
هو الإعطاء أو مصدر محذوف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا وإن حمل على ما أعد الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب

على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطا مجذوذ وعلى جهة عطا غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثنا من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفا لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلا اي من جهة عبادة هؤلا المشركين وسو عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سو حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثلا بقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد عقب ذلك من انبا الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلا المشركين في العاجل والاجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم الذين قصت عليك قصتهم من قبل اي هم واباؤهم سوا في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه بحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما حل باباؤهم فسيحلهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلا الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرايمهم وجراير اباؤهم من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا اباؤهم انصباهم المقدرة لهم او الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من نصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفايدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا لا يجد نفعا مبني على الذهول عن كون الفاعل هو الموفي تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي في شانه وكونه من عند الله تعالى فامن به قوم وكذب به اخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما اتيناك من القران وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضا بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضا بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز وابه عن المحقين قيل بين قوم موسى وليس كذلك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القران وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتا موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف وما مزيدة بين الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق اولمن نريد والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شي من جلايله ودقايقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزا المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سو عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلا الكفرة في الكفر والضلال وادا استحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم

من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية وانه لولا سبق كلمة القضا بتاخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة لفعل بهم ما فعل باباؤهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزا عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما في الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظايف النبوة وتحمل اعبا الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا اي ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو مجاوزة الحد تغليظا او تغليبا لحال ساير المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع النصوص المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الامرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم ظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضا الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة طفيف من جناح البعوضة خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البنا للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اوليا اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاوليا ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم ولي حتى يصدق بثبوت ان يكون له ولي بل لكان لكم بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهته الله سبحانه وتعالى اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتها صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلاة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قل ما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت في

أبي اليسر الأنصاري إذ قبّل امرأة ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال عليه السلام
انتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت أو بمعنى من أمرنا بقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ذلك إشارة إلى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل إلى القرآن ذكرى للذاكرين أي عظة للمتعظين
واصبر على مشاق ما أمرت به في تضاعيف الأوامر السابقة وأما ما نهي عنه من الطغيان والركون إلى الذين ظلموا
فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم إلا أن يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من أدنى ميل
بحكم الطبيعة من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية إلى من وجد منه ظلم ما فإن الاحتراز عن أمثاله
من المشقة ما لا يخفى فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أي يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلا وإنما عبر عن ذلك بنفي
الإضاعة مع أن عدم الإعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه وتعالى من القبائح
وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة فائدة عامة
لكل من يتصف به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان فلولا كان فهلا كان
من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم أولو بقية من الرأي
والعقل أو أولو فضل وخير وسماها لأن الرجل إنما يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في
الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا
ويجوز أن يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من
سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره أي أولو
مراقبة وخشية من عذاب الله كأنهم ينتظرون نزوله لإشفاقهم ينهون عن الفساد في الأرض الواقع فيما بينهم
حسبما حكي عنهم إلا قليلا ممن أنجينا منهم استثناء منقطع أي لكن قليلا منهم أنجيناهم لكونهم على تلك الصفة
على أن من للبيان لا للتبعيض لأن جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لأنه يكون تحضيضا لأولي
بقية على النهي المذكور إلا للقليل من الناجين منهم كما إذا قلت هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء
من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك إن جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أولو
بقية إلا قليلا منهم لكن الرفع هو الأفصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما
أترفوا فيه أي أنعموا من الشهوات وهموا بتحصيلها أما المباشرون فظاهر وأما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل
حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وأنت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والإجرام
عادة وكانوا مجرمين أي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا واتبع إلخ فيكون العدول إلى
المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على
استئناف يترتب على قوله إلا قليلا أي إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا أي مباشري الفساد
وتاركي النهي عنه فيكون الإظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أو كونهم مجرمين لأن تابع الشهوات
مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبع أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن
يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ وأتبع أي أتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن يفسر
به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أي ما صح وما استقام بل استحال في
الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكها حسبما بلغك أنباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد
النفي وقوله بظلم أي متلبسا به قيل هو حال من الفاعل أي ظالما لها والتنكير للتفخيم والإيذان بأن إهلاك المصلحين
ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا

ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران
عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى وأهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله
ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلما بحال كون أهلها
مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية أي لا يهلك القرى بسبب إشراك
أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوق
الله تعالى عن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك
يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه فإن الشرك
داخل في الفساد في الأرض دخولا أوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أمته أولا عن الإشراك
ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف
المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ
غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مجتمعة على
الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ولا يزالون مختلفين
في الحق أي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه الآية إلا من رحم ربك إلا قوما قد هداهم الله تعالى
بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق
والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك أي لما ذكر من الاختلاف خلقهم أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام
للعاقبة أو للترحم فالضمير لمن واللام في معناها أو لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين
وتمت كلمة ربك أي وعيده وقيل أو قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما أجمعين
أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا أي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف إليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى

من أنباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما

نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص
كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله سبحانه وتعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص
وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة
واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم
من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى
للمؤمنين أي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالا له في نفسه حلي
باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة
أو الأنباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولأن عند تأخير
ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة إليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب
أطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على
حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان إنا عاملون على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا
الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع
الأمر كله فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه
فإنه كافيك وفي ترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل وفي تأخير الأمر بالتوكل
عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على
تغليب المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة هود أعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الأنبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام وبعدد

من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى والله اعلم بالصواب واليه المآب

سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى
تلك ايات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان انا انزلناه اي الظاهر امره
في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا
يشتبه عليهم حقايقه ولا يلتبس لديهم دقايقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرايع
وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير
كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته اياه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين
سلوا محمدا عليه السلام لماذا انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف
الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي فلما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل
على الشرف الاضافي فقيل قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند
الاطلاق فاما الامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته مما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في
الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب ولانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروءا بلغتكم لعلكم تعقلون
اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدايع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند
خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه لان من يقص
الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ كما يقال تلى القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص اي
احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل
وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اليك اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي
هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص
ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص
على ابدع الطرايق الرايقة واعجب الاساليب الفايقة اللايقة بما لا يكاد يخفى على من طالع القصص من كتب الاولين
والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن
لما في قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصص آل
يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى مفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب
احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كما حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير
الشأن الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبرها والمعنى وان الشأن كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه
السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم
العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر
وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال
فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه
من سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل
من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد روي عنه عليه السلام
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين يا ابت

اصله يا ابي فعوض عن الياء التاء لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي
الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياي لان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة
في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن
جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت النبي
عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم
قال عليه السلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
والوثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها
لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما
وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان
يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك للاشارة الى انه رآها عن ملأ فانه رآها عن ملأ من
اخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض
كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة غضب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم
فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رأيتهم لي ساجدين
استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى
العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام
بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا
استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام
من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق لا تقصص رؤياك
هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منهما انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا
بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان
اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا اشيارا بحالا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا
تتصدى لمدافعته وهذا اوفق لمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل
الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود
الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد
اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته
الاحد عشر وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان
ونفتالي وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهو لاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين

وتقاسماه الاحزان ان كان اتقانا بان الله
تعالى يجمع الاعالة وطلاتهم ولا اشتقه
صح

الذي هو شقيق يوسف عليه السلام واسمها راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها
اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته وان لم يكن هو بين
معدودا منهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد بنهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان
الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألوا جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه
وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان
يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره عن اشاعتها المؤدية الى ايصال
اخوته بنيانا بين لطهور اثارها وحصولها او بيوع واسبيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك
اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك
وعلى نعته يجتبيك ربك يختارك لجانب كبريائه ويستنبئك للافعال من جاه ادناه وجعة ونبلنبلك على شرفي
الخلافة سراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد التنبيه
بيان المشابهة المحققة بين الصور المرئية في عالم المثال ونعت صورا واشكالها من الكائنات الظاهرة
بحسبها في عالم الشهادة اي كما سجدت لك تلك الاجرام العظام سيخر لك وجوه الناس وتواصيهم ويدعن لطاعتك
خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان الطاعة الابوية واخوته لك كسنة انما هو مستلزم [illegible]
ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه
السلام على ما اخبر على طريقة التعبير والتاويل بالكناية قال ويعلمك من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم
او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى عليك ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث والتحقيق على تلقي ما
سيأتي من القول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس
والشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل هو
جمع احدثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل تاويل غوامض كتب الله تعالى
وسنن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي ايلا الى ما يذكره المعبر
بصدد التعبير وراجعه اليه ولعله عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره
لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها
باتمام النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه عليه السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره
عليه السلام على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال لان من الاشواء
والدلائل الامارة ان الجاعل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لابد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها
ما هو اقوى منها واتمى كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفها فيه فيكون
اقبل للمعارف المتعلقة بذلك العالم او بما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على
النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احدهما وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في الاخر ولا ريب في ان هذا
الشان البديع لابد ان يكون انموذجا لظهور امر من لضمنه ومدارا لجريان احكامه وان لكل من الانبياء عليهم السلام
معجزة بها تظهر اثاره وتجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة
لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما ان اثر الملك
من كونه اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة
اليه بحسبها مصداقا اياها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام
اخوته كواكب يسجدون له تدل على وجود الاخوة على سبيل ما هو النبوة فيقع كلما خرج من القوة
الى الفعل منهم كان ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك

بالنسبة اليهم باعتبار انهم يتمتعون بآثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي
ويتم نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة على ابرهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار
ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب في الاسباط من صلبه وكل ذلك
نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه مثل ما وقع في جانب المشبه به من
كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب
مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكيره معنى الولد سر اسمه
ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر تمام النعمة من غير تعرض للاجتبا
من قبيل الاكتفاء ولان اتمام النعمة تقتضي سابقة النعمة المقتضية للاجتبا ان ربك استيناف لتحقيق مضمون الجمل
المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتبا وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام
النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل
جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقيل
في تفسير الاية الكريمة اي كما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعزة وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة
والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم في الدنيا انبيا
وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتأمل والله الهادي لقد
كان في يوسف واخوته اي في قصصهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة
او بنو علاته المعدودون فيما سلف وعليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله
تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او للطالبين للآيات المعتبرين بها
فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته عليه السلام لمن سأله من المشركين
او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هو عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها
اقتصاصها وجمع الآيات ح للاشعار بان اقتصاص كل طائفة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته عليه السلام
على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد
جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وانما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم
خبر يوسف عليه السلام وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين
وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته من الطرفين الا ترى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير
تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين
الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران والفائدة لام الابتدا
في يوسف لتحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة
والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ترجيحهما علينا في
المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعدل
اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكان اخوته يحسدونه فلما
راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين مخاطبا للصيغة كأنهم
رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا يوسف الخ فجعلوا كأنهم
القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية ومآل الى مسارعتهم الى ذلك

القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصب نصب الظروف المبهمة
يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله
وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء الامر بشان المأمور به واهتمامه
بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين
الى الله عز وجل عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانها ينتظم
بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل
وهو استيناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على سؤال ما عرض عليهم من خصلتي الضيع ام خالفهم في ذلك احد
فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو
فانه يروى انه قال القتل عظيم ولم يصرح بنهيه عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم
بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها
ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرئ غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات واراد
بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه باخراجه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف
فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما
فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يترجاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا
يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين مشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم
وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات وان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه
لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال السائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستيناف
على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه
بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله
عليه الصلاة والسلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا ما لك اي اي شيء لك
لا تأمنا على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه
ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقت وقرأ القراء المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك
الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ
ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته
تحقيقا لما راموا من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع
ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتعي من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة اسمية
وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال
من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله تعالى ان ربك ليحكم
بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت
مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب
به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام
انه قد شد عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع

رواية اليزيدي بالهمزة على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة
بان تعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم
وقوله تعالى انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اي لكاملون ضعفا وخورا او عجزا او مستحقون للهلاك لاغناء عندنا
ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب
بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما
اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر
مدته بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع
الامر وعليه واجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها في غيابة الجب قيل
هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من
نواحي الاردن وكأن المدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم
اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره وشعارا
بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة فعلوا به من الاذية ما فعلوا روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر
فعلق بها فنزعوها من يده فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا ليؤنسوك
فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه
وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا فكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم
عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه
اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه
كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتخلصن مما
انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك الحال الاول
وحالك برشدك لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير
للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع
فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم
وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم
لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك
ويحسبون انه مرجف مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق
باوحينا لا غير وجاؤوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي
عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله
الذئب عقب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع الا في مكان

يؤمن فيه الغوائل لم يبعد تركه عليه السلام عندهم من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذ لم يبرحوا ولم يغيبوا
عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في متاعنا وبمجمع ارائنا لان ميدان السباق
لا يكون عادة الا بحيث يرى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما
انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره **ولو كنا** عندك وفي اعتقادك **صادقين**
موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه
المواضع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى او لو كنا كارهين **وجاءوا على قميصه** محله النصب على الظرفية من
بدم اي جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقديم الحال على المجرور فيما
لو لم يكن الحال ظرفا **كذب** مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب
اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها
بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث
كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب عليه السلام خبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث ايات
كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليل براءة يوسف حين قد من دبره **قال** استئناف
مبني على سؤال كانه قيل فما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك **بل سولت لكم** اي زينت
وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما التسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان
التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول
وهو الاسترخاء **انفسكم امرا** من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل
او اشبه وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها وقرئ فصبرا جميلا
والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة **على ما تصفون** على
اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان
عليه باحتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك كما
يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشرنا اليه **وجاءت** شروع في بيان ما جرى على يو
في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لما بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس
بالجانب المصري من مدين الى مكان يوسف في ابتداره على الورود والاتيان لا يخفى ما ايماء الى كونه عليه السلام في
الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الاصل المشار فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة
مطلقا في قوله عز وجل **سيارة** اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر فوقعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذ
نقتضيه قوله تعالى فيما سبق يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يطرقه

الا

الا الرعاة فاخطؤوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام **فارسلوا
واردهم** الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وانما لم يذكر مستقى الارسال كما لم يذكر مستقى
المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يفتقر الى الذكر صريحا **فادلى دلوه** اي ارسلها الى الجب ليملأها
فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال **يا بشرى هذا غلام** كانه نادى البشرى عرفه
وقال تعالي فهذا اوانك حيث فاز بنعمة نادرة واي نعمة فكان ما يوجد فيه سياحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه
على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي ونافع بامالة الاخرة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام
وهي لغة وبشراي على قصد الوقف **واسروه** اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره
ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك
ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام واتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة فقالوا هذا غلام ابق منا
فاشتروه منهم وسكت يوسف عليه السلام مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة**
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت منه اي قطعت
للتجارة **والله عليم بما يعملون** وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم قبل يوسف وتهديد عرضه للابتذال بالبيع
والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل **وشروه** اي باعوه والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم**
بدل من ثمن اي لا دنانير **معدودة** اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه
اذ المعتاد فيما بلغ اربعين العد دون الوزن نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما والسدي انها كانت
اثنين وعشرين درهما **وكانوا** اي البائعين **فيه** في يوسف **من الزاهدين** من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه
بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به غير واثق به يخاف ان يظهر له مستحق فينزعه
فيه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في
شرائه مخافة ذهاب مالهم لما ظن في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر ان
اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعلت اللام للتعريف وبيان
لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما تعلق بالصلة لا يتقدم
على الموصول **وقال الذي اشتراه من مصر** وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه
قطفير
من مصر لترتيبه ما سيوعليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان
الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان امن به فملك بعده قابوس بن
مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة
لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليهما السلام
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا
وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا
ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله
مع ما مر عليه من مدة لبثه في الجب ثلاث عشرة سنة واتاه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة **لامرأته** راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام
متعلقة بقال لا باشتراه **اكرمي مثواه** اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده **عسى ان ينفعنا**
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد
والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وبنت شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف
عمر **وكذلك** نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه

اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه
ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل كم اهلكنا
من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها ومكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له
مثوى كريما جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كما
في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير
بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي او جعلناه معطوفا على
غاية محذوفة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض
وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليها ما يترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث
وهو تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا
بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين في جانب العزيز دون
غيره دون تعزيره بما يسر له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في
جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كانه فيما يستند الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فالاحق
ان يكون ذلك اشارة مصدر الى قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون
ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحمة
للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل
وهذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم
ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المتفرعة اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه
السلام في تضاعيف قضايا المنامات المنبهة على الحوادث مهما مهما يجعله غاية لولايته وما وقع من التدابير
في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السالفة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تبيين غوامض
اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل
ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك
المعاني والاحكام وان كانت غير متاخرة عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث
والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخرة عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي
عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف
دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد
الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان
لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ
اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو من الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ
الحلم والاول هو الاظهر لقوله آتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفهما او نبوة وعلما اي تفقها
في الدين تنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما ثم انما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه
سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف وقد جعل ايتاؤه مما اجزل لعمله عليه السلام حيث قيل
وكذلك اي مثل الجزا العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة
التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل
رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزا واما رؤيا صاحبي السجن

فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن وفي تعليق الجزا المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه
على انه سبحانه انما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته
التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امراته باكرام مثواه وقوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام
من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر
عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض ثم الآية الكريمة انما
هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا
كما فعله الجمهور بمعزل من التقريب فتامل والمراد المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب
الكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من
احد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها
صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه
ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قوله كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي
لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة قراءة
القرآن حيث كانت سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلاة فاذا قرات القرآن
وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب
المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه المطالبة التي هي من جانب
الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف
عليه السلام نزل صدورها عن محالها منزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبنيت الصيغة على
ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد
بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك
ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما
يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته
اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة
فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول
السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه
عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام
وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل
وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقيل هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيات يقال هاء
يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا انما تدعونني اليه
وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك
الا لانه عليه السلام قد شاهد مما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته على ما هو عليه
من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية
مما عسى ان يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد يقبله ما سولت
لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة للايذان بفخامة

مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما
لما بعده فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا وهو ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي أي أحسن
تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه
وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر إن وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والأول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هذا
فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين في الاقتصار
على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضاء نهى الإتيان عما دعته إليه إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية
للدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا وقوله تعالى إنه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع
المذكور غب تعليله والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كأصبح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم
كائنا من كان فيدخل فيه المجازون للإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولا أوليا وقيل الزناة لأنهم ظالمون
لأنفسهم وللمزني بأهله ولقد همت به بمخالطته إذ الهم لا يتعلق بالأعيان أي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما
لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته عليه السلام إلى
نفسها بقولها هيت لك ولعلها قصدت هنالك أفعالا أخر من بسط يدها إليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره
عليه السلام إلى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال إقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام
من الزواجر وهم بها بمخالطتها أي مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف
لا أنه قصدها قصدا اختياريا ألا ترى إلى ما سبق من استعصامه المبني على كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم
إفلاح الظالمين وهل هذا إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وإنما عبر عنه بالهم لمجرد
وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لتشبيهه به كما قيل ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد
من التعبير بأن قيل ولقد هما بالمخالطة أو هم كل منهما بالآخر وصدر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد وعقب الثاني
بما يعفو أثره من قوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه أي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد
برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الأشياء
بصورها الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه
في حد ذاته أقبح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من
وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي
ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه
عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية
وتقدم المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية هذا وقد [illegible]
الموانع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى إن كادت لتبدي به لولا
أن ربطنا على قلبها فلا يتحقق هناك هم أصلا وقد جوز أن يكون وهم بها جوابا للولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم
مع على معناه الحقيقي والمعنى أنه لم يهم بها لأنه شاهد برهان ربه ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه
وما تفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بأنه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبأنه كذا وكذا
وقد بين رؤيته للبرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عليه السلام
عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا
فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي

نحو أصبح

لم يلزا في قرن

لزه الصنعة جمعه

تفصيل البرهان

قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء
وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل إلى غير ذلك من الخرافات والأباطيل التي [illegible] العقول والأذهان
لأمثالها ولقد همت وهم بها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله
لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل أو إلى التثبيت اللازم له أي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الإطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا أوليا والفحشاء الزنى لأنه مفرط
القبح وفيه آية بينة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية نظرا ولا قصد السوء والفحشاء
وإنما توجه ذلك من خارج بصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على إسناد
الفعل إلى ضمير الرب إنه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون
هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم
لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاسمية لا أن
ذلك حدث بعد أن لم يكن كذلك فانحسمت مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا
الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين
المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والمعنى
لقد همت به وأبى هو واستبقا أي تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف
حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور نحو وإذا كالوهم أو ضمن الاستباق معنى الابتدار أي ضمن الاستباق والتهافت
مع أن مبادرها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب لأنها لما رأته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعت
هي أيضا لتسبقه إليه وتمنعه من الفتح والخروج أو عبر عن إسراعها إثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر
اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما أن الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه
أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط وإسناد القد إليها خاصة مع أن لقوة يوسف دخلا فيه إما لأنها الجزء
الأخير للعلة التامة وإما للإيذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها فيه لفوات المحبوب أو لخوف
الافتضاح وألفيا سيدها أي صادفا زوجها وإذ لم يكن ملكه ليوسف صحيحا لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلا
وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة لدا الباب أي البراني كما روي عن كعب أنه لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويخرج
من الأبواب قالت استئناف مبني على سؤال السائل من يقول فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء
من أراد بأهلك سوءا من الزنا وغيره إلا أن يسجن أو عذاب أليم ما نافية أي ليس جزاؤه إلا ذلك ولقد أتت
في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما
تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها
بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواتاته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما
آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف أمرا محققا مفروغا عنه
غنيا عن الإخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهي تريد إيقاعه حسبما تقتضيه
الأبابة وفي إبهام المراد تهديد بشأن الجزاء المذكور لكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كائنا من كان وذكر نفسها بعنوان
أهلية العزيز إعظام للخطب وإغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استئناف وجواب عما يقال
فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي أي طالبتني للمواتاة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما
قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما أسند إليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضت له من
الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض
عنها وشهد شاهد من أهلها قيل هو ابن عم لها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما

واستبقا التسابق صح

يسقط حتى صح

إلا السجن أو العذاب الأليم وقيل المراد به الضرب بالسياط أي ليس جزاؤه صح

يرنع اليه الملك ويتشرب وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بهما من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه
السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها لتكون ادل على براءته عليه
السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا
يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني
السابق اليك صدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم
تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك
الاخبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشائي
وهو من الكاذبين وهذه شرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة
في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المراودة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل
بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف بجري الظاهر الغالب الوقوع نفسه اي نفس الوقوع للقصة
باقامة الشهادة اعني مضمون الجملة الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على الظاهر وان لم يكن بين
طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا
ان الخ وتسميتها مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة و حكم
بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو لاخباره بهما من قبل علام الغيوب في التصوير
بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من الولاء ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان ظاهر صورة الحال
معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متعين لعدم تقدم الشرطية الاولى وبوجود تقدم الشرطية
الثانية ومن ضرورته الجزم باستحالة تالي الاولى ووقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام
لكنه ساق شهادته مساق ما هو امن من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرة بين نفعها
ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعلق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من
قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعلق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود
وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في
ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقال الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر متحقق
تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر كانه لم يكن راى ذلك لا بعد او لم
يتدبر فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء
التي اسندته الى يوسف عليه السلام وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من
حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك للابلاغ قوله تعالى من كيدكن اي
جنس حيلكن ومكركن ايها النساء لا من غيرها لكن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن غريب عن الاضافة
الا انها لما صورته بصورة الحق افادة الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه
ان ذلك خلق لهن عريق لا يخلصن عنه
من اراد باهلك سوءا انقطع عدول عن الجنس عن مثل ما وقع فيه النزاع من الارادة السوء من هي الى الجنس عنه

شاعة بين شعبه وتعلمه للسوء ولا للامر المعربة عن ظلمهما في يوسف عليه السلام بالاه الخبر وان الكيد تبين
انه بعدم تعرضت ذلك هيئات لوضع فيهما كما اشار اليه ان كيدكن عظيم فانه الصق واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس عن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر ما اخاف من الشيطان لانه تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال
يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن
هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر
منك او ثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال
خطئ اذا اذنب متعمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا
حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امراة
الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة
وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والنسة وهو اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث
في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اي الملك يريدون قطفير واضافتهن اياها اليه
بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او باسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع
اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل وليس مرادهن تفضيح العزيز بل هو لقصد الاشاعة ولولاها بقولهن تراود
فتاها اي تطالبه بمواقعتها لها وتحتال في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة واشار الى صيغة
المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية
وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي
عن يوسف بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان فيتم النوع على الاهانة لما
بينهما من التباين البين الناشي عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشاع في اللوم فان
من لا زوج لها من النساء او لها زوج وتدبير عن مراودة الاخوان لا سيما اذا كان زبهم علو الجناب واما التي لها
زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي و
الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل
الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان
او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها
القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الاتية مصيرا الى الاسناد لا على الاجمالا
يخفى من حيث الكمية سبيلا الى تمهيد العذر من قبلها ولم يرد ذلك المقام واتصاب حبا على التمييز المنقول عن الفاعلية
اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما متاخيا للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة
والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب وسنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا
على احد او مظهر لامرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها
بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل
عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر او
كان اظهارا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت
اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ

شغف
شعف

اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل ان ياكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل. فظللنا بنعمة واتكأنا. وشربنا الحلال من قلله. وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشدوا. فهدت متكأ لبني ابيها. تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ اذا اتكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها ومن متكآت وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه والعطف بالواو ربما يشير الى نزولها اخرج عليهن اي ابرز لهن ولم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها تفوق عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن من شدة الشبق كما قال المتنبي. خف الله واستر ذا الجمال ببرقع. فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بما فعلن ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك الدال على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى لان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزله منزلته وقدم التنوين لمراعاة التنزيه كما في قولك جلست من عن يمينك وقوله غدت من عليه فنقلت الالف الى الباء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين تابعا فتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لاجل الله اي لطاعته او لمكانه وجانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما عمل ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد شرى اسم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركب في العقول من ان لا احد احسن من الملك كما ركب فيها ان لا احد اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث رويتن بمجرد نسبتي الى العزيز وصفتن حذره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفنه فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف اي فهو

ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال يعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال لحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان تمامية في عشية مرامها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة اوضحت لديهن عندها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم استمسك طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه من الهم وغيره اعترفت لهن او لا بما كن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مردودة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير والضمير للموصول او ما امر اياه اي موجب امري ومقتضاه وما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها وامضاء الامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة اثرت بنا الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك واظهارا بالسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل منها فعل فاعل وليكونا بالمخففة من الصاغرين الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل لكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بحضرتهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خيفة وتحفظ من احد فيضيق عليه الحيل فيصير الى العمل بمقتضى ويرى بنصحهن له ويرى الى موافقتها ولما كان الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال السائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عن سلطانه رب السجن الذي وعدتني به لالقائي فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اي آثر عندي لا مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق بحقائقها وبروز كل منهما بصورتها اللائقة بها وصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى له ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى جانبهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لانه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب

الثاني
وإن لا تصرف
سببه السجن

مايدعوننى اليه لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفى اسناد الاجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد فيما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البدا وهى الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراى المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا او راى او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه والقسم محذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البدا الا باستنزال المراة لزوجها و [blank] منه فى الذروة والغارب وكانت مطواعة تقوده حيث شاءت قال السدى انها قالت اما ان تاذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها الذى به تلين عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب العزيز ومن عنده من اصحاب الراى المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادى الراى عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اى فى صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والاخر خبازه روى ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسموا الملك فى طعامه وشرابه فاجابا ثم ان الساقى نكل عنه ومضى الخباز عليه فسم الخبز فلما احضر الطعام قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح فى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة موسى وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا وتكون الجملة حالا من فاعل ذلك فتامل قال احدهما استيناف مبنى على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابى انى ارانى اى رايت انى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اى عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب ويؤيده قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز انى ارانى احمل فوق راسى خبزا وتاخير المفعول عن الظرف لما مر انفا وقوله تاكل الطير منه اى تنهش منه صفة للخبز او استيناف مبنى على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او بما رؤى باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ذلك ... الضمير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما روى ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذى يدل على المشار اليه بالاعتبار الذى جرى عليه فى الكلام فتامل هذا اذا قالا معا واما اذا قال كل منهما اثر ما قص ما راه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما بتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئنى بتاويله مستفسرا لما راه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم فى زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فياولها له

لدعا المتفرع اليه

تاويلا

تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اى فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روى انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وعن الشعبى انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابى انى ارانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى فوق راسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه فى منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا ياتيكما طعام فى حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما رؤى فى المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع فى عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشى الآيل لا المآل فانه فى الاصل جعل شى آيلا الى شى اخر فكما يجوز ان يراد به الثانى يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نباتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما خص الطعام بالذكر لكونه عريقا فى ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استفتيا من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما على قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت ومراده الاخبار بالاستعجال فى التنبيه وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر فى تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله فى فنون العلوم بحيث يدخل فى ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عبرا بالانتظام فى سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين فرسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذى اثير عما فى عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض فى ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره توقفا على علو طبقته فى بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليهما من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتماه على فى طرف الثمام حيث رايتما مثاله فى المنام وانى ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة كما اشرنا اليه منه وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذى ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد فى ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمنى ربى بالوحى والالهام اى بعض منه او من ذلك الجنس الذى لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباع ملة ابائه الانبياء العظام عليهم السلام واجتنابه من الشرك فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتاديته الى معنى انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لانه انما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك

رَبِّكَ تلك العلوم البديعة بقيل لأني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان
والمراد بتركها الامتناع عنها كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه
بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به
للتنصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله
تعالى إنه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص وتكريرهم لإفراطهم في الكفر
واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب يعني أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب
أنه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه
في الإيمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلالة وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة
آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية ما كان أي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الأنبياء
لقوة نفوسنا ونور علومنا أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا عن الجماد والنجس
ذلك أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا الخ من فضل الله علينا أي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه
إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم إلى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل
علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي هو
بالشكر فقال ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يوحدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من
التأييد شكر لله تعالى على تلك النعمة وإنما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح وبيان
ولقطع توهم رجوعه إلى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله تعالى
حيث أعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس
أيضا مثلها ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر إلى ما خلقت هي له ولا يستعملونها
فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والأنفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن أي يا صاحبيّ في السجن
كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة
وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب
متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم حسب ما أراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله
خير لكما أم الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه أحد وبعد تنبيههما
على فساد تعدد الأرباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الألوهية فقال معمما
للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه أي من دون الله شيئا إلا أسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج
لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلا فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط سميتموها
جعلتموها أسماء وإنما لم يذكر المسميات تربية لما تقتضيه المقام من إسقاطها عن مرتبة الوجود وإيذانا بأن تسميتهم
في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود أنتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما أنزل
الله بها أي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها إن الحكم في أمر العبادة
المتفرعة على تلك التسمية إلا لله عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات إذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك
لأمره أمر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله إن الحكم إلا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشأن
فقيل أمر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام ألا تعبدوا إلا إياه حسبما تقتضيه قضية العقل أيضا
ذلك أي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا
ونقلا ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أو لا يعلمون شيئا أصلا
فيعبدون أسماء سموها من تلقاء أنفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي بعد تحقيق الحق ودعوتهما

إليه وبيانه لهما مقدار ما هو عليه من الرتبة العالية في العلم شرع في تعبير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق
فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الشرابي وإنما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير
وتوسلا بذلك إلى إبهام أمر صاحبه حذارا من مشافهته بما يسوؤه فيسقي ربه أي سيده خمرا روي أنه عليه السلام قال
له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم
تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيُسقى ربه على البناء للمفعول أي يسقى ما يروى به وأما الآخر وهو الخباز
فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي أنه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث فثلاثة أيام ثم تخرج ثم
تقتل قضي أي تم وأحكم الأمر الذي فيه تستفتيان وهو ما رآياه من الرؤيين قطعا لا مآله الذي هو عبارة عن
نجاة أحدهما وهلاك الآخر كما يوهمه إسناد القضاء إليه إذ الاستفتاء إنما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى
الفقيه في الحادثة أي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الإفتاء فإنه يقال أفتى فلان في الواقعة
الفلانية بكذا ولا يقال أفتى في حكمها أو جوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي
ومعنى استفتائهما فيه طلب تأويله فيه بقولهما نبئنا بتأويله وإنما عبر عن ذلك بالأمر وعن طلب تأويله بالاستفتاء
تهويلا لأمره وتفخيما لشأنه إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وإيثار صيغة
الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما أنهما بصدده إلى أن يقضي عليه السلام من الجواب وطره وإسناد القضاء
إليه مع أنه من أحوال مآله لأنه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة وأما توحيده
مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله لا لأن الأمر ما اتهما وجها لأجله من سم
الملك فإنهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وإنما أخبرهما عليه السلام
بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما
أو كذبتما ولعل الجحود من الخباز إذ لا داعي إلى جحود الشرابي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال أي يوسف
عليه السلام للذي ظن أنه ناج أوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده
قوله قضي الأمر الخ وهو السر في إيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال للذي ظن ناجيا منهما من صاحبيه
وإنما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وإن
كان أدخل في ذلك وأدعى إلى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه
المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي
بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي
كما ينبئ عنه قوله قضي الأمر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الأمر أيضا اجتهادي اذكرني
بما أنا عليه من الحال والقصة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فأنساه الشيطان
أي أنسى الشرابي بوسوسته وإلقائه في قلبه أشغالا تعوقه عن الذكر وإلا فالإنساء في الحقيقة لله عز وجل
والفاء للسببية فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغير الله سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الإنساء
ذكر ربه أي ذكر الشرابي له عليه السلام والإضافة لأدنى ملابسة أو ذكر إخباره لربه فلبث أي يوسف بسبب
ذلك الإنساء أو القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل
أنه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما
لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وإن كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الأنبياء الأخذ
بالعزائم وقال الملك أي الريان إني أرى أي رأيت وإيثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن
أي كلهن والعدول إلى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات وصفة لها سبع عجاف

أي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لأن فعلاء وأفعل لا يجمع على فعال ولكنه عدل به عن القياس حملا لأحد النقيضين على الآخر وإنما لم يقل سبع عجاف بالإضافة لأن التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ فأما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الأسماء روي أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات أي وسبع أخر يابسات قد أدركت والتوت على الخضر حتى غلبتها ولعل عدم التعرض لذكره بالاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا أيها الملأ خطاب للأشراف من العلماء والحكماء أفتوني في رؤياي هذه أي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول إليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالإفتاء لتشريفهم وتفخيم أمر رؤياه إن كنتم للرؤيا تعبرون أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صور وأمثلة لها من الأمور الآفاقية والأنفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه أولتها أي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما أشير إليه واللام للبيان أو لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل أو لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الملأ فقيل قالوا أضغاث أحلام أي تخاليطها جمع ضغث وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والأحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والإضافة بمعنى من أي هي أضغاث من أحلام أخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول إليها ويعتنى بأمرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك إلا فرسا واحدا وعمامة فردة أو لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والأخر اليابسات فتأمل حسن موقع الأضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الأحلام أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها بعالمين لا لأن لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لأنه لا تأويل لها وإنما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير في تأويل الأحلام مع أن لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال إلى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الأحلام أو عابرين لها إلى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل أنا أنبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما أي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة أي تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك وإشكال تأويلها على الملأ بعد أمة أي مدة طويلة وقرئ إمة بالكسر وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان والجملة حال من الموصول أو من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لأن حق كل من الصلة والصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول والموصوف عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأنت تدري أن تذكره بعد أمة إنما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل أنا أفتيكم فيها وعقبه بقوله فأرسلون أي إلى يوسف وإنما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف أيها الصديق أي أرسل إليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في رؤيا

ذلك وإنما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عنه بالإفتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا نبئنا بتأويله وفي قوله أفتنا مع أنه المستفتي وحده إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال لعلي أرجع إلى الناس أي إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إن كان السجن في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت عليه من الحال فتتخلص منه وإنما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الأدب واحترازا عن المجازفة إذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل المنايا دون ما تعدانني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في التأويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا وقرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل إذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون أي دائبين أو تدأبون دأبا على أنه مصدر مؤكد لفعله هو الحال أول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فأخبرهم بأنهم يداومون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال فما حصدتم أي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وإنما أمرهم بذلك إذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمرا محقق الوقوع وتأويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقر السمان إلا قليلا مما تأكلون في تلك السنين وفيه إرشاد منه عليه السلام لهم إلى التقليل في الأكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعدما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال ثم يأتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الأمر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على أنه لم يحصل بالإخبار بذلك أيضا من بعد ذلك أي من بعد السنين السبع المذكورات وإنما لم يقل من بعدهن قصدا إلى الإشارة إلى وصفهن فإن الضمير ساكت عن أوصاف المرجع بالكلية سبع شداد أي سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على أن أمره عليه السلام بذلك كان لقوة الضرورة وإسناد الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بأنه تأويل الأكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة يقدم للناس فيهن إلا قليلا مما تحصنون تحرزون للبذور والزراعة ثم يأتي من بعد ذلك أي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الأصلي لها من عام القحط وتنبيها من أول الأمر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس أي يمطرون يقال غيثت البلاد إذا أمطرت في وقت الحاجة أو من الغوث يقال أغاثنا الله تعالى أي أمدنا برفع المكاره حين أظلتنا وفيه يعصرون أي ما من شأنه أن يعصر من العنب والزيتون والسمسم ونحوها من الثمار لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب إما لأن استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب إذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي أخر غير المطر وإما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه إما للإشعار باختلاف أوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فإن الغيث والغوث من فعل الله تعالى والعصر من فعل الناس وإما لأن المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولأجله قدم في الموضعين على الفعلين فإن المقصود الأصلي بيان أنه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان أنهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التأخير ويجوز أن يكون التقديم للقصر

على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة
الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ تعصرون دفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البنا للمفعول من عصره
اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم
الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعدية
تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة
من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق
في شانه لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو
قوله لصاحبيه عندما استفتياه في منامهما لا ياتيكما طعام الخ وانما اما للتعمية عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام
في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعدما جاءه الشرابي بالتعبير وسمع منه ما سمع
من تعبير وتطير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع
الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله
ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام
في البحث للتقصي عما توجه اليه واما الطلب فانه قد يتسامح ويتساهل فيه فلا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز
مع ما لقي منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها
مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها انها راودته عن
نفسه فاستعصم فلذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء
الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن مع الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة
عن انفسهن متى سمعن نسبته لهن الى الفساد قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل
قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المرء فيه
صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من
ريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه
بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن
عليها بما قالت لهن فلقد راودته عن نفسه فاستعصم الخ فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وتبين
وظهر بعد خفائه قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما
تتبين حصص الاراضي وغيرها من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البنا للمفعول من حصحص
البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى اقر
الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما
احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال
نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل
النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله
حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها
المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء
وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قذف به لاسيما عند العزيز
قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك
التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك

لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قاله لما ذكر من تقرير امر براءته ولعله لمراعاة حقوق السيادة
لان المباشرة للخروج من جهته قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات
على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام
في الوثوق بامره والتوكل على ربه بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه فانا غائب
او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته
عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله وليعلم ان الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا
ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى
يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامراته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة
الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما راوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته
وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه
السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بما لها عند ظهور كمال
نزاهتها على اسلوب قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وتحدثا بنعمة الله عز وجل وابرازا لسره
المكنون في شأن احوال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها
بل بتوفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات
فتستعمل القوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي
من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته
لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان
ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها في الجريان بمقتضى ذلك
وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من
كلام امراة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة
وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل
نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه
فاعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأبيه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عن ملاقاة الملك وامره بين
يدي يفعل ما فعل حتى تتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما
يليق به من الاكرام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي
فلما كلمه اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان
اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف عليه السلام والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه
وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين امين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء
واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما
بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا
له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي عمي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها
فاجلسه السرير وفوض له امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها
عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما

يعرب عنه قوله قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا
يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء
احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام
تلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التاويل
لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك اياه
عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما مع تقدم ما يندرج تحته
احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين للتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما
الملك له في ذلك سبيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض
اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا
الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول
الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن
كمال قدرته على التصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه
ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا
لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر
وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما راينا كاليوم ملكا ثم
اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا
بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الباهرة الداعية الى المشيئة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من تصيبه الرحمة المرومة وانها اجر
له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم
في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضع
الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى
المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب
مصر وقد كان ارسلهم يعقوب جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم
لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم في
الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم
له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه
ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية
بخلاف عرفانه اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم
بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته
لهم ولعله عليه السلام انما قال ذلك لما انهم سالوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم
ان ياتوا به ليعلم صدقهم لا لما قيل من انه لما راوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة
اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق
نبي من الانبياء واسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة

قال

قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق
قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل
رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان
عند التجهيز ولا الحث عليه بما بعد الكلام لا الاحسان بكما في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم
الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل
رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة
على ان استيفاءهم لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار
صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة له وانا خير المنزلين جملة
حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد
كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا
فيما سبق ويلحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم
به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة
مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي
معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان كان معلوما له عليه
السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عز
المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين ولقادرون عليه لا نتعايى به وقال
يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام
تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يترجاه من رجوعهم
باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر
التعليق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق
التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون
حسبما امرتهم به فان التفضيل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع
وما قيل انما فعله عليه الصلاة والسلام لما لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه
ولكن ياباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم
لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا والظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا
فان هيئة التعبئة تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا ترى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا
على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا
منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه
عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من
الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا
وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل
وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله
فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك

الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحالة وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا ولعله كان بحضرة عند الفتح يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به والمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلب فلم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لا يشعروا به ولا بفاعله وقوله تعالى ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والعربه كيل بعير اي وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي المحمل اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي تطلب نطلب من بهما ايضا والجمل الواقعة بعد ما توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه بعيرا بالكيالة لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية والمعنى ما نبغي شيئا غير ما راينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول ما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب له ذكر والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي لا نبغي في ذكر احسانه وتحمل انا نمير اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك مما لا يهون شيء بواسطة احسانه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا ونشد ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى فاستخبر بان شان الجمل التذييلية ان يكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كالمثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا لي به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو

فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة ونظيره قوله اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك ويجوز الاول بلا تاويل ايضا اي لتأتنني به على كل حال الا حالة الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تقضيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى الى التاويل المذكور فلما آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما نقول في اثناء طلب الموثق واتيانه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه المرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مظنة لطموح طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسماعيل واسحق عليهما السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء آخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخلة بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص عطفا بالواو وعطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير معتبرين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سياتي عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين لان المقصد استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق ح ما افاده الجمع المذكور نصا فيما سياتي فتامل من الله من جهته من شيء اي شيئا مما قضى

عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واتقنه
جد واثق بفضل الله تعالى فليس المراد سببية الدخول المذكور لعدم الاغنا كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما
زادهم الا نفورا فان مجي النذير هناك سبب زيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغنا مع كونها متوقعة
في بادي الرأي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيا فان المراد بيان سببية حلول
الاجل للاعطا مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببية عدم الاعطا فالمآل بيان عدم ترتب الغرض
المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بنا
على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيا فكانه قيل ولما دخلوا كما امرهم ابوهم
به لم يفد ذلك شيا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتامل **الا**
حاجة استثنا منقطع اي ولكن حاجة وحزازة كائنة **في نفس يعقوب قضاها** اي اظهرها ووصاهم بها دفعا
للخاطر غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول
قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة والمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من
جهة الله شيا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب لوقوعه حسب ارادته فالاستثنا منقطع ايضا وعلى
التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة لا لانها
اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم **وانه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة
حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر وحيث
بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله
بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عليه الصلاة والسلام وعلو مرتبة علمه وفخامته
ما لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا
يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيا من القدر فياباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف**
آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا
قد جيناك به فقال احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدته
وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وتعرف اليه وعند ذلك **قال اني انا اخوك** يوسف **فلا تبتئس** اي فلا تحزن **بما كانوا يعملون** بنا فيما مضى فان الله
تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه
بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم
وروي انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان
انسبك الى ما لا تحمد قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت
صاعا وقيل كان يسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بذهب
وقيل كانت انا مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة
بالجواهر **في رحل اخيه** بنيامين وقري وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن مؤذن**
نادى منادي **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم

كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله صلى
الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي نودي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر
بهم فادركوا ونودوا **انكم لسارقون** هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول
بنيامين فيه بطريق التغليب او هو من قبل المؤذن بنا على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقري انكم لسارقون بلا
لام **قالوا** اي الاخوة **واقبلوا عليهم** جملة حالية من ضمير قالوا جي بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته
لحالهم **ماذا تفقدون** اي تعدمون تقول فقدت الشي اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع
عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقري تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين
فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انهم لم يسرقوا منهم
شيا فضلا عن ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شي فيسالونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة
حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرا الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم
حيث **قالوا** في جوابهم **نفقد صواع الملك** ولم يقولوا سرقتموه او سرقوه وقري صاع وصوع وصوع بفتح
الصاد وضمها وبا عمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا لما تلقوه من قبلهم وارادة لاعتقاد انه انما بقي
في رحلهم اتفاقا **ولمن جا به** من نفسه مظهرا له قبل التفتيش **حمل بعير** من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق لوعد
لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله **وانا به زعيم** كفيل اوديه اليه وهو
قول المؤذن **قالوا تالله** الجمهور على ان التا بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف
الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قيل بالرحيم لم يجز وقيل من البا وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه
تعجب **لقد علمتم** علما جازما مطابقا للواقع **ما جينا لنفسد في الارض** اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او
لنفسد فيها اي فساد كان فما عدا وهان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجي للافساد وان لم يكن مستلزما
لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجي الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيا
لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعا اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام
من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا فكانهم قالوا ان صدر عنا
افساد وكان مجينا لذلك مريدون تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يصفون انه قد شاع ذكرنا في كرتين
مجينا ما نحن عليه ومن كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما ياتون وما يذرون حتى روي انهم دخلوا
مصر وافواه رواحلهم مكفوفة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم
بذلك انه لا يصدر عنا افساد **وما كنا سارقين** اي ما كنا نوصف بالسرقة وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم
باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا
بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تا القسم **قالوا** اي اصحاب يوسف عليه السلام
فما جزاوه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزا سرقته عندكم او في شريعتكم **ان كنتم كاذبين** اي فيما
ادعيتموه من البراة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم كما يوذن به
قوله عز وجل **قالوا جزاوه من وجد** اي اخذ من وجد الصواع **في رحله** حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل
دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا
فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزا السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتامل وحمل
كل فريق على ما يزاحم رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافترا وقوله تعالى **فهو جزاوه** تقرير لذلك
الحكم اي فاخذه جزاوه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاوه مبتدا والجملة الشرطية

كما هي جزم على اقامة الظاهر مقام الضمير والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فان الاول الجزء والثاني للجزاء
الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد
وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعدما
رجعوا للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة
روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه
اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل
منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كما في اشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا
ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه
على السنتهم وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا
دبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما تلاه فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا
لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله عز وجل ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن
ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة لان
جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه
السلام فلم يكن متمكنا بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله الا
حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون
ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم
من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى
غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا اخر ولا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في
دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعض
معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدناه ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به
الا حال مشيئة الله بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصدري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى
هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم
المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشرنا
اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لا لعلة مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق
اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه والتزامه به شريعة لشريعة الملك فقد قيل معنى الاستثناء
الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بالدين ما عليه من فتغيير محل الاتصال وان
مطلق ما يدين به اعم منه وما حدث بعضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز
يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه ولم تتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا يؤدي
الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد
المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات
اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية على نزع الخافض اي درجات والمفعول
قوله تعالى من نشاء اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب

وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لانا لو نشاء وه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن الفعلين الاولين بل ارادة
من يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل
اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله والمعنى ارشدنا كلا منهم ومن
يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك
فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك
بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر
علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به
من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور وكان ربما
كان وكأنه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فما
ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة
مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا
يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والمعنى
مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي يصدر عن اخوته
اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك
من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف عليه السلام برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي
علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس
رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان
يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من
نسب اليه لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك
المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت
تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة
ورثتها من ابيها اسحق فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه
ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل
به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف
وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اي الحزازة الحاصلة
مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا
ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشأ من
الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر
مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة
المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس
كما تصفون من صدور السرقة منا بل هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل
على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز
ان له ابا لم يريدوا به ذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له
ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة به يتسلى عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور
وكفى

فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه النعمة او المعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا ان ناخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر
مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لا نا اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا
الاخلال بموجبها وايثار صيغة المتكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن
الملوك او الاشعار بان الاخذ والاعطا ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولى الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا
عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملونه خلاف
الصواع في الرحل على محمل غير السرقه انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم
وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثنا الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي لان
بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استياسوا منه اي يئسوا
من يوسف واجابته لهم اشد يأسا بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه
من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه
بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى
على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومثله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال
هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو
يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال
منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل
المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه السلام
ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر من يوسف او من قبل
على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عليه السلام وان تفريطكم الكاين او كاينا في شان
يوسف عليه السلام وقع وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق
واقعا في شان يوسف عليه السلام كما هو مفاد الاول لا يكون تفريطهم الكاين في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد
الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا لا عند البعض كما يصدر في هو
وقيل محله الرفع على الابتدا والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع
والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية واما النصب عطفا
على اسم ان او الرفع على الابتدا فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكرهم اياهم من ميثاقهم
وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح
بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي
بالخروج منها على وجه لا يودي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك لتردن لنا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت
كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا
مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في البلد
بذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرى سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين اي باطن الحال فما ندري انه حقيقة

الحال كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او لما نضا
بذكما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى
اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعا وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه
السلام وهو استيناف مبني على سوال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا كان عند قول لاخوته ما قال فقيل قال
يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما المحتاج اليه جوابه اياهم بل سولت اي زينت وسهلت
وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما تضمنه من ادعا البراءة عن التسبب فيما نزل
به وانه لم يصدر عنهم ما يودي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم
امرا فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لا
يبتلي الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهية لما سمع منهم وقال يا اسفا على يوسف الاسف اشد الحزن
والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من اليا فناداه اي يا اسفي تعالى فهذا اوانك انما تاسف على يوسف مع ان
الحادث مصيبة اخويه لان الرزء الحاصل كان قاعدة الارزا غضا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولا
كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة
الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف
مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه ونظايرهما وابيضت عيناه من
الحزن الموجب للبكا فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك
ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على
الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على
يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط
وفيه دليل على جواز التاسف والبكا عند النوايب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل
من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما تفعله الجهلة
من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم
عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين عند الفرح وعند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم الغيظ اذا اخرجه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤا اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا
عليه فحذف النفي كما في قوله. فقلت يمين الله ابرح قاعدا. لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم
يكن معه علامة الاثبات فيكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض
من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث صعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه على الناس اي ينشره كانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكا
فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى

وانما حذف للايذان بان سار ختم
الى قوله ورجوعهم به الى
الى ابيهم امر مستغني
عن البيان
مع

ملتجئا الى جنابه مستمرا على دعائه وقرئ بتحزني وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه
ورحمته فارجوا ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او واعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف
قيل انه راى ملك الموت عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام
انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي فتعرفوا منه وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس
وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر
ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد
وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم من ترك العمل بموجب نهيه بقوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في
حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك
ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم
من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اكرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك
سلسلة الرحمة ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي تممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج
وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها
تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا وارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمته بنبينا
صلى الله عليه وسلم وانما لم يصدروا اوامره استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال
رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولعل لذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم
في طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما
تعرض لما فعلوا بابي يوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف عليه السلام
واذلاله بذلك حتى لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم
والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون بعاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم
وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتوبيخا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه
عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب في التحسس
طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه
ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من
يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت له النار بردا وسلاما واما ابي فوضع
السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم
اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه
وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم
ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام

تقرير

تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف من الاول
لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جواب عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا
اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال
فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس
بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم
ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما
يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان
الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر
موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة
وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك الله واذلنا وفيه اشعار
بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا تأنيب ولا عتب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو
الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان
غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر
خبرا اي لا اثربكم ولا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جرائمهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون
بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث
علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل
هو المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا
يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يكن بصيرا او يأت الي بصيرا وينصره قوله وأتوني
باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن يشمله لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال
انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز
حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان
تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف لصدقتموني قالوا
اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك
ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه
اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان

حامل القميص يهوذا

شيخ مفند

أو قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الأنسب بقوله إني أعلم من الله ما لا تعلمون وكان
مدار النهي المذكور إنما هو العلم الذي أوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز أن يكون هذا مقول القول
أي ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى إني أعلم من الله ما لا
تعلمون من حياة يوسف روي أنه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين
تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين
ومن حق من اعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا
على استدعاء الاستغفار وأدرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور
الرحيم وهذا مشعر بعفوه قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الإجابة وقيل
أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم أنه قد عفى عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده
أنه روي عنه أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى
بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة فإن صح ثبت نبوتهم وأن ما صدر عنهم إنما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء
فقد روي أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه
فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا على أخيهم فأوحى الله إليه أن
الله قد غفر لك ولهم أجمعين فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة
ليتجهز إليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر جميعا فتلقوا يعقوب
عليه السلام وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل قال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن
القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم
اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعا
وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه أي أباه وخالته نزلها
منزلة الأم لتنزيل العم منزلة الأب في قوله عز وجل وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأن يعقوب عليه السلام
تزوجها بعد أمه وقال الحسن وابن إسحاق كانت أمه في الحياة فلا حاجة إلى التأويل ومعنى آوى إليه ضمهما إليه
واعتنقهما إليه وكان عليه السلام ضرب للملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآوى إليه وقال ادخلوا
مصر إن شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشيئة متعلقة بالدخول على الأمن ورفع أبويه
حين نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته وخروا له أي أبواه وإخوته
سجدا تحية له فإنه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور
وقيل خروا لأجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها
عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة
وجعل اللام كما في قوله. أليس أول من صلى لقبلتكم. تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس نصا في
ذلك لأن الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا
وما يتصل به من قوله وقد أحسن بي المشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله
عز اسمه وبالوالدين إحسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي
لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أي لطف بي محسنا إلي وعد هنا الإحسان إذ أخرجني من السجن بعدما

ابتليته به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا
واكتفى بما يتضمنه قوله وجاء بكم من البدو أي البادية من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد
بيننا بالإغواء وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه
السلام حيث أسند ذلك إلى الشيطان وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق
أي يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم
الذي يفعل كل شيء في قضية الحكمة روي أن يوسف أخذ بيد يعقوب عليه السلام فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن
الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال وما كتبت إلي
على ثماني مراحل قال أمرني جبريل بذلك قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله فقال جبريل الله تعالى أمرني
بذلك لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه
فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى
الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني من الملك أي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من
تأويل الأحاديث أي بعضا من ذلك كذلك إن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية
ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام والترتيب ظاهر وأما إن أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم
إيتاء الملك عليه في الذكر لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرف في كونه نعمة
من التعليم المذكور وإن كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم
هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فإن حمل معنى التمليك لزم تأخره عنه وأما الواقع هنا فمجرد
التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السماوات والأرض مبدعهما
وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادى أو منادى آخر وصفه تعالى بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي
ما يعقبه من قوله أنت وليي مالك أموري في الدنيا والآخرة أي الذي يتولى إنعامه فيهما وإذ قد أنعمت علي
بنعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فلم
تتم النعمة بذلك قيل لما دعاه توفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال
فرأوا أن يعملوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمر عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شركا واحدا في
التبرك به وولد له إفرائيم وميشا ولإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه الصلوة والسلام ولقد توارثت
الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى
عليه السلام ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد للإيذان بما فيه من الدلالة على بعد منزلته
أو لكونه بالانقضاء في حكم البعد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من أنباء الغيب الذي لا يحوم
حوله أحد وقوله تعالى نوحيه إليك خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن
أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه إليك وما كنت لديهم يريد إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم وهو جعلهم إياه
في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على
سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل في
سائر المشاهد أيضا وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب
وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى أن ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا
سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه
المكذبون أيضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار بأنهم
يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضا إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل

لقولك أخاف أن
يأكله الذئب
٤

الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك لحضور
فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم الآية وقوله وما كنت بجانب الغربي الخ وما اكثر الناس
يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك
بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا
فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا احزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه اي
على الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما كان يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة
لا ان ذلك يختص بهم وكأين من آية اي وكم من عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت لها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية
وما فيهما من النجوم وتغير احوالها من الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها
اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى يطؤن الارض
يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون عليها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك
من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه
تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال
شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله
اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله
على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء او هي حال من الضمير في سبيلي والعامل معنى الاشارة انا تأكيد للمستكن
في ادعو وعلى بصيرة حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة يوحي اليهم
كما اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار
الآخرة اي الساعة والحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملوا عقولهم ليعرفوا
خيريتها دار الآخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السياق
اي لا يغررهم تماديهم فيما هم عليه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او
ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا
فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنه وظنوا انهم قد اخلفوا لما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك فلعله اراد بالظن
ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي يترجح احد الطرفين
على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون
الله منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان
القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على البناء للفاعل على ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا
عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم فنجي من نشاء الرسل والمؤمنون
بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل

فيهم

يبقى قوله تعالى وقبلنا وحنا
بجماعة
بجهم من البيه ضرر وبابه
الى الغد

بهم وفيه بيان لمن يحل بهم المثلة لقد كان في قصصهم اي قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف
او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اي القرآن
المدلول عليه بما سبق لا الآية واحكم حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بواسطة وهدى من الضلالة ورحمة ينال
بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا
ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها
اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الرعد اربعون وثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا
الاسم وهو الظاهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول
مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بفعل
يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والجر على التقادير وقوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل
الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او
عن الجميع المنزل حينئذ كما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر
ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست
بتلك المثابة من الشهرة بالاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من
جعل تلك اشارة الى كل واحد منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس عليه الصلاة والسلام
والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل
ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة
لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال
اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل
التابعة لجلالة شأن المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين
لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لان المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما
قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان
من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض بغير
عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب او عمود يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي ادعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى
عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف
استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة
الله سبحانه ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى
جعل كلمة ثم للتراخي في المرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها

كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان
كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من
القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر ما صنع من الرفع والاستواء والتسخير
اي يقضي حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الايات الدالة
على كمال قدرته وبالغ حكمته اي ياتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية
الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للاثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان اما حالان من ضمير
استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها
او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبر بعد
خبر والموصول صفة للمبتدا جي به للدلالة على تحقق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق • ان الذي سمك السماء بنى
لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم عند معاينتكم وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون
فان من تدبر فيما ذكر من التدبير ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شي قدير وان لهذه التدابير
المعينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك الابتلاء للمكلفين ثم
جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية
فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الاصمعي المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه
ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو
ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والاختصاص بمجيء فواعل جمعا لفاعل
في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يراعى ذلك كما في قوله تعالى اياما
معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا
ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا لا استطابها الطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل
على انه لا يجدي ذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمع انما هو باعتبار الافراد تحتها باعتبار انتظام جمع القلة للافراد و
الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا انه جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا انا نلجا الى جعل الوصف
المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد
والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من
المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشا للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير
كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه
بالماء والكلا ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي اثنينية حقيقية وهما الفردان
اللذان كل منهما زوج الاخر واكده بالاثنين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن
اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض
والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه
ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة
تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار
بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر
لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات
العلوية ظاهرا باعتبار ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل
والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشي

التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض واثباتها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار
وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لايات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة
جلت حكمة صانعها وهي على معناها فان تلك الاثار مستقرة في تلك الافاعيل فهي بجزئيته منوطة بها ويجوز ان
يشار بذلك الى تلك الاثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فهي بجزئيه لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يودي الى
الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من
الايات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوضاع فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى وهيدة وصلبة الى رخوة الى غير
ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة
فيها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش
لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائر رسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها
قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلها
واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم
نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال
والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات
راسخة لتلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم العليم وقرئ وزرع ونخيل بالجر
عطفا على اعناب وجنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ ولا
اوفق لمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء
الانهار ونفضل مع تحقق اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض اخر منها في الاكل بعضها
من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي على بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة
والدلالة على ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل اخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع
والجنات لايات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة
لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم
والروائح في تلك القطع المتشابهة المتجاورة وصلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس
وهذه الاحوال وان كانت هي الايات انفسها لا آثارها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها اية فهي تجريد
في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية وبالايات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة
واحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فهي على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال
على مدلولاتها اظهر فيما سبق علق كونها ايات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل
الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر لا حاجة في ذلك الى
التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب اي فليعجب منه حقيق بان يتعجب
منه العجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد لك من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير أإذا كنا ترابا على
طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على
معنى القول او على النصب على المفعولية منه على انه مصدر رفا العجب الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل
في اذا ما دل عليه قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد وهو بعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث
بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في ائنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق
الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم

في النكير لا يخفى وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح
اي ان تعجب يا من نظر في هذه الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على
البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر
والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه
والمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول فان تعجب فقولهم هذا العجب لا عجب فوقه
اولئك مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث وفيما عاينوا اما فصل من الايات الباهرة
الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به وا
كفروا واولئك مبتدا خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون
يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط
ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بانه لجميع المدلول عليه بقوله تعالى واولئك الذين كفروا
بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذرتها وذلك حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من
قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة
الحالية لبيان ركاكة رايهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما
انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة
العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بفتحتين باتباع الفاء
للعين والمثلات بفتح الميم وسكون الفاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات
جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي
ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس على ان يعجل لهم العقوبة
وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير
ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم
ونعيا عليهم بكفرهم بايات الله التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ايات موسى وعيسى عليهم السلام عنادا ومكابرة والا فلم ينزل على نبي اية
انزلت عليه وسلم غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما
ياتون ويذرون كداب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد
عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات
بل بعنوان الهداية نبي يخصوص له هداية مخصوصة تقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها
الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك
عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازدراؤهم لها ثم اتبعه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الايات انما هو للحكم
الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم بكل ما يبتدي لا من يتعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استاثر
بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة
بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا
فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد تنقصه وتزداده في الجثة

كالخدج

كالخدج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم
ابن حيان في اربع ومنه سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها
وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل
بعير والازدياد قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشيا عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه
عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكون ومباديها
وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية ليس الحضور العيني بل العلم الحضوري فان تحقق الاشيا
في نفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب
اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود
وهو خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ
الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات
وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالى
عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء
منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل
وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على مستخف او على مستخف ومن
مبارز عن الاثنين كما في قوله ٭ فان عاهدتني لا تخونني ٭ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ٭ كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والاية وان اسندت الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب في الحقيقة مسند الى
ما اسره وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخير من وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال
علمه تعالى كانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء ما عرفته انفا له اي لكل ممن اسر
وجهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين
يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه من امر الله من باسه حين اذنب با
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل
من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها
التي هي فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم
واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي
امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال
وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا
بذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وتوجيه تقديم الخوف
على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف والطمع لكل
منه غير الطامع فيه كالغريب الحاذر وياباه ان الترتيب اللف لا ان تكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه
مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذي
او جعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة
والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل في الرؤية التي يتضمنها الاراءة على طريقة قول

النابغة . وحلت بيوتي في يفاع ممنع . تخال به راعي الحمولة طائرا . حذارا على أن لا تنال مقادتي . ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا . أي أحللت بيوتي حذارا إذ لا سبيل إليه لانه إنما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحد سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرائم ويسبح الرعد أي سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده أي يسبحون سبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد مجاز على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك . وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة أي تسبح الملائكة من خيفته من هيبته وإجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى وهو الذي يريكم البرق والتفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم الذي كل منها يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين والرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة الذين يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله أي في شأنه حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على قوله ويقول الذين كفروا كما قيل فلا محل له لأن قوله تعالى الله يعلم استئناف لبيان بطلان توهمهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث فالمعطوف عليه ما قبله وقيل الحال أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال فقد أريد به ما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر بن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وكان قد أوصى إلى أربد أنه إذا رأيتني أكلم محمدا صلى الله عليه وسلم فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه صلى الله عليه وسلم فدار أربد من خلفه صلى الله عليه وسلم فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن . . . . وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذنهما برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم عاد بفرسه وركبه فاجرا ومات على ظهره وقيل أريد به ما روي عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عن رب محمد ما هو ومم هو أمن ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فما زاد إلا مقالته الأولى وأخبث فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه قال صلى الله عليه وسلم ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاؤوا ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم أصحابه فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم قالوا

أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال أي والحال أنه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لأعدائه من محله إذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم ساعد الله أشد وموساه أحد . له دعوة الحق أي الدعوة الثابتة الواقع في محلها المجابة عند وقوعها والإضافة للإيذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل عن شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله والغرض لو صح الحقية لقرينة معنى الاستجابة والأول هو الأولى لقوله وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن إهلاك أربد وعامر من الله تعالى لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما إن كانت الآية نزلت في شأنهما ومن حيث إنه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم والذين يدعون أي الأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلى الماء إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أعني لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف إلى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل على ما تقتضيه الفعل الظاهر أعني لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف إلى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة إلا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله . وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع . من المال إلا مسحتا أو مجلف . أي لم تدع فلم يبق إلا مسحتا أو مجلف ليبلغ أي الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من الإناء ونحوه فاه وما هو أي الماء ببالغه أي ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه إليه فضلا عن الاستطاعة لما أراده من البلوغ إلى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء أصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله من غير ملاحظة التشبيه في جميع المفردات للأطراف فإن الماء في نفسه بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأسا إلا أنه قد أخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون شيئا من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليس فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والإفراد من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها أي طائعين وكارهين أو انقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فإن خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لإحداث ما أراده فيهم من أحكام التكوين والإعدام شاؤوا أو أبوا وعدم مداخلة حكم غيره تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على أحد وظلالهم أي ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم أعني الإنس حيث تتصرف على مشيئته وتتأتى لإرادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقني في جمع قناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال أي الدخول في الأصيل هذا وقد قيل إن المراد حقيقة السجود فإن الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال الله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح فظهر فيها آثار التجلي كما قال ابن الأنبا

ويجوز أن يراد بسجودهما ما يشاهد فيهما من هيئة السجود تبعاً لأصحابها وأنت خبير بأن اختصاص سجود الكافر بحالة الضرورة والشدة لله سبحانه لا يجدي فإن سجودهم لأصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولأن تحقيق انقياد الكل في الإبداع والإعدام له تعالى أدخل في التوبيخ على اتخاذ الأولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم أيضاً كذلك لأنهم العمدة وانقيادهم دليل على انقياد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والأرض فإنه تحقيق أن خالقهما ومتولي أمرهما مع ما فيهما على الإطلاق هو الله سبحانه وقوله قل الله أمر بالجواب من قبله عليه السلام إشعاراً بأنه متعين للجوابية فهو والخصم في تقرير سواء وأمر لحكاية اعترافهم إيذاناً بأنه أمر لا بد لهم من ذلك كأنه قيل احك اعترافهم فتبكيتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر وأمر بتلقينهم ذلك إن تلعثموا في الجواب حذراً من الإلزام فإنهم لا يتمالكون إذ ذاك ولا يقدرون على إنكاره قل إلزاماً لهم وتبكيتاً أفاتخذتم لأنفسكم والهمزة لإنكار الواقع كما في قولك أضربت أباك لا لإنكار الوقوع كما في قولك أأضرب أبي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة أي أعلمتم أن ربهما هو الله الذي ينقاد لأمره من فيهما كافة فاتخذتم من عقيبه من دونه أولياء عاجزين لا يملكون لأنفسهم نفعاً يستجلبونه ولا ضراً يدفعونه عن أنفسهم فضلاً عن القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضر عنه لا على أن يكون الإنكار متوجهاً إلى المعطوفين معاً كما في قوله أفلا تعقلون إذا قدر المعطوف عليه لا يسمعون بل إلى ترتب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه أو المعنى بعد أن علمتم أن ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه أولياء عجزة والحال أن قضية العلم بذلك هو الاقتصار على توليه فعكستم الأمر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه الخ ووصف الأولياء بما ذكر من عدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الإنكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم عدو فإن كلا منهما مانع الاتخاذ المذكور ويؤكد إنكاره قل تصويراً لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الأعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك أو الأول عبارة عن المعبود الجاهل والثاني إشارة إلى المعبود العالم بكل شيء أم هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والإيمان وقرئ بالياء وملاك النظم الكريم على أن الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلاً وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلاً عن الحجة أكذلك فقيل أم جعلوا لله أي بل أجعلوا شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه إليه الإنكار وأما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الإنكار بهذا المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها فيكون ذلك منشأ لخطائهم بل إنما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة آرائهم والتهكم بهم قل تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إليه الله خالق كل شيء كائناً ما كان لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالألوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك وبعدما مثل المشرك بالأعمى والظلمات والموحد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد في جريانه عليها ملاحظة وحفظاً وعلى الألسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممد الحياة الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والأعمال المرضية بالماء النازل السائل في أودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلاناً مقدراً بمقدار اقتضته الحكمة في إحياء الأرض ومن عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل إلى البهجة الأبدية وسبباً يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها أنواع الآلات والأدوات ويبقى منتفعاً بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة فيهما وإخلال بصفائهما

من الزبد الرابي فوقه تارة ومن الزبد الرابي فوق ما يوقد عليه فقيل أنزل من السماء أي من جهتها ماء أي كثيراً أو نوعاً منه وهو ماء المطر فسالت بذلك الماء أودية واقعة في مواقعه لا جميع الأودية إذ الأمطار لا تستوعب الأقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام على الشذوذ كناد وأندية وناج وأنجية فإن الوجه أن فاعلاً بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على أفعلة كجريب وأجربة جمع فاعل أيضاً على أفعلة فإن أريد بها ما يسيل فيها مجازاً فإسناد السيلان إليها حقيقي وإن أريد معناها الحقيقي فالإسناد مجازي كما في جري النهر وإيثار التمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه بقدرها أي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس أو بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغراً وكبراً لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فإن موارد السيل الجاري في الوادي الصغير أقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا إن أريد بالأودية ما يسيل فيها أما إن أريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفته آنفاً ويراد بضميرها مياهها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفته آنفاً ويراد بضميرها مياهها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفته آنفاً بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر أولاً من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الأودية أي حمل معه زبداً أي غثاء ورغوة وإنما وصف ذلك بقوله تعالى رابياً أي عالياً منتفخاً فوقه بياناً لما أريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير طاف كالأشجار الثقيلة وإنما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإيذان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقاً للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما توقدون عليه في النار أي تفعلون الإيقاد عليه كائناً في النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية أو متاع أي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة واتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الأواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابياً فوقه وقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئاً منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضاً منه كما قيل لإخلاله بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرياً على سنن الكبرياء بإظهار التهاون به كما في قوله تعالى فأوقد لي يا هامان على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه في زيادة الماء بإشعار المبالغة في الاعتمال للإذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعرض لإخراجه من الأرض لعدم دخل ذلك العنوان كما أن لإنزال الماء من السماء دخلاً فيه حسبما فصل فيما سلف بل له إخلال بذلك كذلك أي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل أي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للإنباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الإيماء في تضاعيف ذلك إلى وجوه المماثلة على أبدع وجوه وإن تهاهما أشير إليه في مواقعها بعاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتميماً للغرض من التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فأما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء أي مرمياً به وقرئ جفالاً والمعنى واحد وأما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الأرض أما الماء فيثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار والقنا وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والأدوات فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الأرض ما هو أعم من المكث في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل

لمراعاة الملائمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك
يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد
والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتداء هذا مع
الاول او بجعل ذلك للاشارة اليهما جميعا وبعد ما تبين شأن كل من الحق والباطل اما باعتبار انتهاء هذا على الاول او جعل
ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما
مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها
ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير
للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال
جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض
ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما هم فيه وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان والموصول مبتدأ والشرطية
كما هو خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن
المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل
من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع
في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه
الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة وهي
لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء
الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه
واكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل ومأواهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تأييد لتفسير قوله تعالى للذين استجابوا
لربهم الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم
متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى
وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد
لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما
مثل الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وفي استعمال
المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول بالكلام
ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال
كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق
الذي لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده
وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب
الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال لكنه لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء
بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وتبين التباين البين
كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل انما يتذكر بما ذكر من الامثال
فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة

الوهم

الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم
في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين
العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله
ج به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج
فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال
وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على
كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم
لطلب الرضاء خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان على الوجه
المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة
على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلاة كما فيما عدا الاولى والرابعة والخامسة او في
اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة
على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج
اليه واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم
يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من منعه المروة من اخفائه ظاهرا وعلانية لمن
لم يكن كما ذكر والاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم
وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا
رأوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان
يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه
قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات
المتعاطفة او استئناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب
على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ
خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح
من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في
يدخلون وانما ساغ ذلك في الفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع
الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب
الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه
الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا
فقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل زائد
من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى
الدار اي فنعم الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم

معنى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين
ويعاندهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق
الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف اما لم يتعرض لنفي الخشية
والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه
في ضمن الحسنات ليقع بعدها بين فلا وجه لنفيه عمن نفيه عنه من الحسنات بعد الشرتين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة
ممن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه مندرج تحت قطع ما
امر الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل
بنقض العهد ومخالفة الامر ومباشرة الفساد وبدلهما يحكيه قوله عز وجل ويفسدون في الارض اي
بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا في الافضاء الى العقوبة
التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اي الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد
من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم
على الموصول يشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها ماذون
فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث
تركه تبعة واما اعتبار اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا حاجة في ذلك لان
اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة
وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت والحكم الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء
من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته
فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره
المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها
من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة
الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا
عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة واشار بهذه الطريقة على الاضمار مع طول
ايرادهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم لولا انزل عليه آية من ربه
فان ذلك من اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم من الآيات العظام الباهرة ليس بآية
حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المخصوصة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك
في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال
لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة
والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي
الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا
يوصف من اناب اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما انزل من الآيات الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة
الخير وايراده في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها
والاشعار بما دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايراد
صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة
على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر

ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في
قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى اذ لا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف
اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا
ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون انه لا آية اعظم
منه فيقترحوا والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها
الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا اما
اذ سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن
المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة
ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله ولم يعدوه آية وهو اعظم الآيات واظهرها وقيل
تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وبذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية
دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما اريد
اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل
اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لتسلم الياء واللام للبيان مثلها في
النصب كسقيا لك والرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في
قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال
العظيم الشأن المقرون بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل
اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم
المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب
النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة
التي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر للتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ
منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب
في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي
خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله تعالى لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة احد سواه تنبيه على ان
استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى
المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع
اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك
امر صلى الله عليه وسلم بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة
على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه صلى الله عليه وسلم حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف
ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق
الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما
وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه

السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القرآن وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من
قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال
والفساد فالمعنى على الاول ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله وتلاوته عليها او زعزعت عن مقارها كما فعل
ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه
موسى عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه
السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل
كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الخ لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف
لاختصاصهما بالعقلاء مع انه لا علاقة لهما بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة
وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان تقديم ما حقه
التأخير تبقى النفس مشوقة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع
الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة
القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها
وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رأيهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات
الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله
الامر جميعا اي له الامر الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو اليه
من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي
لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب
ليس متوجها الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على
الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في معنى العلم
لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق
التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف
ضمير الشان وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين
او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى وقوع ترتب المعطوف على المعطوف
عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون
الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم
يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني ولو ان قرآنا فعل
به ما فعل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما
سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان
لم يشأ لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم
يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين
او علموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم وهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد تحقق المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن
العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع
فان عدم قنوطهم منهم مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي فلم ييأسوا من ايمانهم علما
منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى فلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم

تحقق

تحقق مقدمها المفهوم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار رأيهم وقيل ان ابا جهل
واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها
البساتين والقطائع وقد سخرت لداود ولست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت وسخر لنا به الريح كما سخرت
لسليمان عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلا او رجلين ممن
مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة
الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما
بينهما اعتراض بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم
به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا
من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله
او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان
برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر
والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام
مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة
والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله اي موتهم والقيمة فان كلا منهما
وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة
يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة
لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ على
احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله
الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت
للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس
مختصا بك بل هو امر مطرد وقد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامليت للذين فعلوه بهم والعدول في الصلة
الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم
فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة
ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من
ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك والانكار لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار
الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون هداية الناس جميعا
منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في
عداد الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون
الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى
وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر المحذوف اي افمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا
له شركاء لا شريكا واحدا ومعطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء
ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة

مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا لا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر
تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون للشركة ام
تنبئونه اي بل انتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى او لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير
ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهذه الاساليب البديعة
التي وردت عليها الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله
رب العالمين بل زين للذين كفروا مكرهم وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم
الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صد صدا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال
بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم
من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله
من عذابه المذكورين من واق من عاصم يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة
اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند
سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من
الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يأتيه الناس ويعظمونه
او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الخ اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه
الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم
المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل
ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب
ابن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا
لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم
ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم
في الجملة فح يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل انما امرت ورد لانكارهم
انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد بالعبادة على ان قصر
الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده فظاهر انه لا سبيل لكم
الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية
فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا لا اشرك به اليه الى الله
تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما
يطلق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه الى الله تعالى وحده مآب مرجعي
للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما
وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا لاجل الشرائع المنسوخة بيانا للحكمة في ذلك
فقيل وكذلك انزلناه اي مثل ما انزلنا اليك وذكر اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على
المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة اي موافقة ومخالفة حسبما
تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات التي يحكم به كذلك والتعرض

قصر الأمر

لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك
للاشارة الى ان ذلك الحرى مراد المخالفة الكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة او بذلك تسهل فهمه وادراك اعجازه
والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله
الخ يأبى التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع
والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة
الى بيت المقدس بعد التحول بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه
ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري
لا يكون الا حتى يكون محمودا وحتى يكون خالقا وراز قامدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق
يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف
النفي للتاكيد كقولك ما في دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر ولا واق لاتباعك اهواءهم وامثالها تلك القوارع
انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم
ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد
لما كانوا يعيبونه عليه السلام بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الخ وما كان
لرسول منهم اي وما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن
الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها تدور الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات
لما قدمناه والتحقيق في مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب
معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك
ان تختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات
يمحوا الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او
يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين
ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت
آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة
وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله عز وجل ان يجعلهم سعداء وهذا رواه
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مدار الكلام
دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت
الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل
بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او
نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او
نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي
هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض
ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك
ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يحزنك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع
تباشير الظفر فقال او لم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم
او اشكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين
شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز

سلطانه افلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتى او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفى لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء والهجوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما فى قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم على الاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفى الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهى جملة اعتراضية جئ بها للتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض فى اعتراض لبيان علو شأن حكمه وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اى حاسرا والمعقب من يكر على الشئ فيبطله وحقيقته من يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم فى الآخرة بافانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الذين من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له فى الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعنى قوله تعالى فلله المكر اى جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما ينبئ قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما كسبته ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث لا يحتسبون او لله المكر الذى باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم الكافر اى جنس يقضى عليه مقتضى علمه وتوفى كل نفس جزاء ما كسبت لمن عقبى الدار اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس وسيعلم الكفار وسيعلم الكفر اى اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اى سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال للاستحضار او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم فانه قد اظهر على رسالتى من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم فى كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه وتعالى اى كفى بالذى يستحق العبادة شاهدا بيننا فانه قد يسمى كتابه بالدعوة الى عبادته وايدنى بانواع التأييد وبالذى يختص بعلم ما فى اللوح من الاشياء الكائنة التى من جملتها رسالتى وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثانى وقرئ ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله سبحانه وتعالى عز وجل والله اعلم بالصواب واليه المآب

سورة ابرهيم اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفى محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ او لمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبر المبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد وجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى أنزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كافة بما فى تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقية وقرئ ليخرج الناس من الظلمات اى ليخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التى كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذى هو نور بحت لكن لا كيفما كان فانك لا تهدى من احببت بل باذن ربهم اى بتيسيره وتوفيقه وللايذان بان ذلك منوط باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدى اليه من اناب استعير له الاذن الذى هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التى هى عبارة عن تبليغ الشئ الى كماله المتوجه اليه وبشمول الاذن وبهذا المعنى للكل وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاخراج بالفعل فى بعضهم لعدم تحقق شرطه المسند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه فى نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم والاطلال البدل والبيان لان الاستعارة انما هى فى الحقيقة لا فى المجاز كما فى قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الخ وقيل هو استئناف مبنى على سؤال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب فى سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم فى الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد الذى اضيف اليه الصراط الله الذى له ملكا وملكا ما فى السموات وما فى الارض اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر فى آية الكرسى ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا باسناد الفعول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اى يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اى الحيوة الآخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله الذى بين شأنه والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوى على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكث وهو غير فصيح كأوقف فان فى صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها عوجا اى زيغا واعوجاجا وهى ابعد شئ من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول بهذه الصلة الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعانى المعتبرة فى الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تمادى فى الغى ما لا يخفى والنصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك فى ضلال بعيد وعلى الاولين جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما اشعر بناء الخبر على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهى منه بريئة فى ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعنى فى ضلال ذى بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفى جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف

فيه ما لا يخفى من المبالغة **وما أرسلنا** أي في الأمم الخالية من قبلك كما سيذكر إجمالاً **من رسول إلا** ملتبساً
بلسان قومه متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أو لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش
وريش ولسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد **ليبين لهم** ما أمروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه
من غير حاجة إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا ومولانا صلى الله عليه
وسلم وعليهم أجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد
ألسنة الأمم أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة بتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون
غيره مظنة لتدرج القادحين واتفاق الجميع فيه أمر قريب من الإلجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة
اتحاد النظم الكريم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على أن الحاجة إلى الترجمة
تتضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أحد من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو
في خصلة فذة وإنما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحداً أو متعدداً وفيه من التعذر ما لا يخفى ثم لما كان
أشرف الأقوام وأولى الأمم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المبين
بلسان عربي مبين فاشتهرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير في قومه لسيدنا محمد عليه السلام فإنه تعالى
أنزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل من نزل عليه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بلغة
من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فإنه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي توجيهه
إلى قوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين
أرسل إليهم ما لا يخفى من التكلف **فيضل الله من يشاء** إضلاله أي يخلق فيه الضلال لمباشرته أسبابه المؤدية إليه
أو يخذله ولا يلطف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الألطاف **ويهدي** بالتوفيق ومنح الألطاف **من يشاء** هدايته لما فيه
من الإنابة والإقبال إلى الحق والالتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط
كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فأضل الله منهم من شاء
إضلاله لما لا يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للإيذان بأن مسارعة كل رسول إلى ما أمر به
وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سننه أمر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على
الهداية إما لأنه إبقاء ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو للمبالغة في بيان أن لا تأثير للتبيين والتذكير
من قبل الرسل وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلال على ذلك أسرع من ترتب الاهتداء وهذا
محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى **وهو العزيز** فلا يغالب في مشيئته **الحكيم**
الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين
طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليها فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ولقد أرسلنا موسى**
شروع في تفصيل ما أجمل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه الخ **بآياتنا** أي ملتبساً بها وهي
معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل **أن أخرج قومك** بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول أو بأن أخرج كما في قوله
تعالى وأن أقم وجهك فإن صيغ الأفعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل فالمراد بذلك إخراج بني
إسرائيل بعد مهلك فرعون **من الظلمات** من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة
إلى النور إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به **وذكرهم بأيام الله** أي بنعمائه وبلائه ينبئ عنه قوله عليه
السلام اذكروا نعمة الله عليكم لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات أو بآياته المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله إذ أنجاكم من آل فرعون والالتفات
من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها بالمعا

بالمخاطبين وقومه كما توهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائعه
التي وقعت على الأمم قبلهم وأيام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائعه التي دهمت الأمم الدارجة ويرده
ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك **إن في**
ذلك أي في التذكير بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها **لآيات** عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى
وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد بها نفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية
التذكير لها كونه مناطاً لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثاني فعن كل واحدة من تلك
النعماء والبلاء والمشار إليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد
لكل صبار على بلائه **شكور** لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل
من يليق بكمال الصبر والشكر والإيمان ويصير أمره إليها لا لمن اتصف بها بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق على
التذكير المؤدي إلى تلك المرتبة فإن من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر
والصبر والإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم فإن التبيين
حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعني البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون
الشكر عاقبة الصبر **وإذ قال موسى لقومه** شروع في بيان تصديه عليه السلام لما أمر به من التذكير بالإخراج المذكور
وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما
وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة أي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه **اذكروا نعمة الله عليكم** بدأ
عليه السلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهي إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة إن جعلته مصدراً أو بمحذوف
وقع حالاً منها إن جعلت اسماً أي اذكروا إنعامه عليكم وقت إنجائه أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة إذ في قوله تعالى
إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا إنعامه عليكم وقت إنجائه إياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت
إنجائه إياكم منهم أو بدل اشتمال من نعمة الله مراداً بها الإنعام أو العطية **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفاً إذا
أولاه ظلماً وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** السوء مصدر ساءه يسوءه والمراد به جنس العذاب السيء أو استعبادهم
واستعمالهم في الأعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم **ويذبحون أبناءكم**
المولودين وإنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب وإنما فعلوا ذلك لأن فرعون رأى في المنام أو قال له
الكهنة إنه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئاً **ويستحيون نساءكم** أي يبقونهن
في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو منهما جميعاً لأن
فيها ضمير كل منهما **وفي ذلكم** أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة **بلاء من ربكم** أي ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا أن
يجعل في تجريدية ونسبته إلى الله تعالى إما من حيث الخلق أو الإقدار والتمكين **عظيم** لا يطاق ويجوز أن يكون المشار إليه
الإنجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الأول لكون ذلك
باعتبار المآل الذي هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له **وإذ تأذن ربكم** من جملة مقال موسى عليه السلام
لقومه معطوف على نعمة الله أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم أي آذن إيذاناً بليغاً لا يبقى معه شائبة
شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله
تعالى إذ أنجاكم أي اذكروا نعمته عليكم في هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضاً نعمة من الله تعالى عليهم لما لهم فيه من خيري
الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وإذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام أولاً بنعمائه تعالى
وضمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانياً بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير
الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الأوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة إذ هي محيطة
بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين **لئن شكرتم** يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمتي الإنجاء وإهلاك العد

وغير ذلك من النعم الفائتة للحصر والآلاء فاسمعوه بالايمان والطاعة لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه
إن عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك
باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم
وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او القول مقدر بعده
كانه قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمة الله تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن
في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما
يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث
كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا
لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين
منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او
قاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز وجل تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير
ما جرى على الامم الخالية فقال ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم لتتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن
والكافر فتنكفوا عما انتم عليه من الشر وتنيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام
الحادثة عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبلهم قوم نوح بدل من
الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على
قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الخ خبره والجملة
اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل
ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون بانهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات
الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم
مشيرين بذلك الى السنتهم وما ينطق عنها من المقالة اعلاما لهم بنياتها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا
لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات
التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على
صحة رسالتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ ووضعوها عليها
تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم
السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا وجعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه
تعجبهم بقولهم افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي
النعم الدينية والدنياوية لانهم لما كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم
مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات
فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ
تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها
بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت رسلهم فاجيب بانهم قالوا
منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس

نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منتقدين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا أانتم في
شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحات عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي في شأنه
سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى يكونوا
من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى
ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك
الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما
من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف
لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدا
والفاعل ليس باجنبي من رافعه فقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء
انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي من
ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجب ما قبله هكذا وقع في جميع
القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة
مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج
عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه تعالى وجعله منتهى اعماركم
على تقدير الايمان قالوا استئناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة
تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدوننا او كلام مستأنف اي تريدون بما تتصدون
له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيصكم بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عن عبادة ما استمر
آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا فأتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه
فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك المرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم
نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما
يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان
المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم
بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما بعده ان نحن الا بشر مثلكم
كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله سبحانه وتعالى يعطيها من
يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس اي ما نحن من الملائكة
بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى من بالفضائل والاستعدادات والكمالات على
من يشاء المن بها وما شاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي
يدور عليها تلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها تلك الاصطفاء للنبوة وما
كان وما صح وما استقام لنا ان نأتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء و
من الاسباب الا باذن الله فانه امر متعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا
فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اترى انه الاثر الذي اليه قوله عز وجل وما
لنا اي اي عذر لنا ألا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ
بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا
اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب
القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما

اذ يسومونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل فالمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنين والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين من العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل قالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الباهرة للحصر حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا تكاد تحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما ان يكون بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا يطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على فاوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن الطلب اذ ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانهم لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل واخزاهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا ومبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال السائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح او دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان كأنه ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا واللتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء

اسبابه حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه السلام وخيبتهم في ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم وخبيئتهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقوله ليلة ساكرة وانما السكور لريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه به اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او عبادتهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع انها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب كقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم ادنى قدرة ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض الاغناء ويعضده الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة

الاتباع واعتذار اعما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا واضللنا اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق الخلاص ولا نجين مناص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجا والهمزة لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوا ما ونسبوا استواهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على سوق قوله تعالى ليعلم اني لم اخنه ويؤيده انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مقررة لاجمال ما فيه الاستوا فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عاتبه ما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقيا من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجز وهو الوعد بالبعث والجزا ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه واني له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة ❊ تحية بينهم ضرب وجيع ❊ مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعا من بابه ويجوز كون الاستثنا منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجا كما يدل عليه الفا وقرئ بالياء على وجه الالتفات في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا لربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه وتعالى انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر اليا اني كفرت اليوم بما اشركتموني من قبل اي باشراككم اياي يعني تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله هو الذي يطيعكم في نفري لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتموه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سوا كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولا الى تعليل عدم اصراخهم بكفرهم يومئذ لهم سبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتدا كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ

لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتحميد والتسبيحة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لا انه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتدا اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرا انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب لقرينة اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السما في جهة العلو ويجوز ان يراد فروعها على الاكتفا بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعا اليه وتكذيب الحق او ما يعم الكل وكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة يخبث ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهي الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحياة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وعند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثال اتيان الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضا فقلت الـمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشي في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين امنوا المخلصون في الايمان الراسخون في الاتيان كما يغني عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشا من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدا التثبيت والاضلال فان مبدا صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلي غير ما هو مبدا صدور الاخر

ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له أدنى إدراك أي ألم
تنظر إلى الذين بدلوا نعمت الله أي شكر نعمته بأن وضعوا موضعه كفرا وعملها لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروها
سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كأهل مكة حيث خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى إليه ثمرات كل شيء وجعلهم
قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي
النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين كأنهما أشارا ولأن ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الخ وأحلوا أي أنزلوا قومهم
بإرشادهم إياهم إلى طريقة الشرك في الضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرع الحلول كقوله تعالى
يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الإبهام
ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو استيناف لبيان كيفية الحلول
أو نصب بفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالإحلال المذكور ح تعريضهم للهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل
تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أنسب بالتفسير الأول وبئس القرار عطف على المخصوص بالذم أي بئس المقر جهنم أو بئس
القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على أحلوا وما عطف
عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء
وهو الواحد القهار أندادا أشباها في التسمية أو في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله
القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم
نعمة الله تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدي إلى إحلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والإيذان بأن
كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقتضي منه التعجب ولو سيق
النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وأيا ما كان فليس ذلك
غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الأنداد ولكن لما كان نتيجة له شبه بالغرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة
التبعية قل تهديدا لأولئك الظالمين المضلين ونعيا عليهم وإيذانا بأنهم لشدة إبائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم
ارعوائهم عن ذلك بحال لا يقال أن يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل
يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة إلى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما أنتم عليه من الشهوات
التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام فإن مصيركم إلى النار ليس إلا فلا بد لكم من
تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم التي هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به سبحانه وأحلوا
قومهم دار البوار فهو تعليل للأمر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف وقيل لهم تصويرا لحالهم
وتعبيرا عما يحيهم إلى ذلك تمتعوا إيذانا بأنهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لأمره كدأب مأمور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى
فإن مصيركم إلى النار ح تعليلا للأمر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذا حالكم فإن دمتم عليه كان
مصيركم إلى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الأمر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة إليه تنويها وتنبيها
على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الأمرين للإيذان بتباين حاليهما باعتبار المقول
تهديدا وتشريفا والقول ههنا محذوف ينبئ عنه ما دل عليه فإن مقول الأمر التهديدي ومقول الثاني الأمر التشريعي الجزمي
أي قل لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم أي يداوموا على ذلك وفيه إيذان بكمال
مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم إلى الامتثال بأوامره وقد جوز أن يكون المقول
يقيموا وينفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف في قوله ❊ محمد تفد نفسك كل نفس ❊ إذا
ما خفت من أمر تبالا ❊ لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا قد أقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية

منتصبان على المصدرية من الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية والأحب في الإنفاق
إخفاء المتطوع به وإعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك
التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره
أو يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد
إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع ولا خلال ولا
مخالة فيشفع له خليل أو يسامحه بما لا يفتدي به نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لا امر فيه لما نحوا استحصاله من البيع
والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق بوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير
إتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث أن كلا منهما فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير
معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي إلى
الإتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الإنفاق في سبيل الله عز وجل ومن حيث أن ادخار المال وترك إنفاقه إنما
يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت وتخصيص التأكيد
بذلك لميل الطباع إلى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد أن يكونا تأكيدا لمضمون الأمر بإقامة
الصلاة أيضا من حيث أن تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبيوعات والمخالات كما في قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو
لهوا انفضوا إليها وقرئ بالفتح فيهما على إرادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في
جواب هل بيع فيه أو خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيها من الأجرام العلوية والأرض وما فيها
من أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع
في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين
عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم
الموصول بتلك الأفاعيل العظيمة من خلق هذه الأجرام العظام وإنزال الأمطار وإخراج الثمرات وما يتلوها من
الآثار البهية ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وأنزل من السماء أي السحاب فإنه منه ينزل إلى الأرض
على ما دلت عليه ظواهر النصوص أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى الجو فتعقده سحابا ماطرا
وأيا ما كان فمن لابتداء الغاية ماء أي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب إما باعتبار كونه مبدأ للنزول
أو لتشويقه كما في قولك أعطاه السلطان من خزائنه مالا أو لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر فأخرج به بذلك الماء
من الثمرات الناشئة للمحصل لما أن صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض أو لأنه أريد بمفردها جماعة الثمرة
التي في قولك أدركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول
لأخرج ومن للتبيين كقولك أنفقت من الدراهم ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه أو مصدرا
من أخرج لأنه بمعنى رزق أو للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات كأنه قيل أنزل من السماء بعض الماء فأخرج
به بعض الثمرات فيكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج
الثمرات وإن كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بإفاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة
من الماء والتراب وأودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على
إيجاد الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لكن له تعالى في إنشائها مدرجا من طور إلى
طور صنائع وحكما يجددها لأولي الأبصار عبرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إيجادها دفعة وقوله
لكم صفة لقوله رزقا إن أريد به المرزوق ومفعوله إن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا إياكم وسخر لكم الفلك
بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لإرادتكم بأمره بمشيئته
التي هي مناط كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على أن ذلك ليس بمزاولة الأعمال واستعمال الآلات كما يتراءى

من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار اذ اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما ترى اليه ذكرها عقيب البحر
تسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان
اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وتلافيه واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم و
الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحد منها في جملة مستقلة تنويها
لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التعريف
للعلوي بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ
وعزة المنال وعزة الدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من
الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها الذكر الارض المستدعي لذكر
انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم
كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما في سورة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه
اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر
فكأنكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان
يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه
وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقى على ما القى وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب
على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمت الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها
ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة
ليحفظه بها فمعنيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من
افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس منهوا باصناف الخنايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث
لو تأملته الفيته متقلبا في نعم لا تحد ولا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وان من النعم ما حواه
حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ما لك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت
لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال
من غير ند يزاحمه ولا شريك يساهمه بل لو قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم
قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال جميع
ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة ترويه من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال بغير بدل
يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل ذلك كلما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران
فاذن تلك اللقمة او الشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام منالهما متى شاء من الليالي والايام
او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان
اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها
مع انه يتاح له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على
احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما حل من المورد فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته
الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة بحيث انقطع ما بينه وبين اسبابه الالهية
من العلاقة لما استقر له القرار ولما اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم بالبوار وتهادي الهلاك والدمار
ولكن يفيض عليه من الجنابات القدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان يمضي وآن من يمر وينقضي من انواع الفيوض

قصة البقر

المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا
يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول
عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يعدم عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه
بعلته ما لم يعدم عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي واخبر
بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي
ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان تكون لشيء
واحد في غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها الوجود بارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها
على العدم مع امكان وجودها في نفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال
في وجود علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فانتج انه يفيض عليه
كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى سبحانك ما اعظم شأنك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك
العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار
شديد الكفر وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم
بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ
قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والقصة من تذكرة وتذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه
السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا
بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا او بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه
السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله
تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب
الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد
الحرام دار البوار وجعلوا لله اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد آمنا يعني مكة شرفها الله آمنا
اي ذا امن وآمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا
بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد
صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما
وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او
كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستقامة ولا
على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال
وتكرير الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن
لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل او لان سؤال البلدية
قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو سؤال البلدية قد حكي
بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه
السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع
وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى استوى
على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي الآية وانما فصل ما بينهما تنبيها للانسان وايذانا
بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما في قصة البقرة واجنبني وبني ان نعبد الاصنام

واجعله منهم في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ
واجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبيا
عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد بنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه
على ان احدا من اولاد اسمعيل لم يعبد الاصنام وانما كان لكل قوم حجر نصبوه قالوا هو حجر فكانوا يطوفون به ويسمونه
الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع
تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كراما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي
تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالندا اظهارا لاعتنائه به ورغبته في نجاحه
فمن تبعني منهم فيما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه
به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير بالعصيان للايذان بانه عليه السلام
مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم تبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر
على ان تغفر له وترحمه ابتدا وبعد توبته وفيه دليل ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق
بالفرق بينه وبين غيره ربنا اتى عليه السلام بضمير الجماعة لان ما قبل من تقدم ذكره وذكر بنيه والافراد في قوله
تعالى رب اجعل الخ لان الدعا المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلق
بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي
فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل
غارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى لهم عين زمزم بواد غير ذي
زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة
عند الركن لا انه صفة لواديا او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب
الى الله تعالى والالتجا الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته من المكاره
في قوله المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به ولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة في كل عصر ومنع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بنا وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتأخذ
ذات اليمين وذات الشمال ليس باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار الحرمة ايضا
لذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فانه تعدد بنا الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده
وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلاة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق
باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير الندا وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة
الصلاة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم من ذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك
لتمهيد مبادي اجابة دعائه وسؤله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفا فقال فاجعل افئدة
من الناس اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وما
ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة
معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعا بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر والابتدا
الغاية كقولك القلب مني سليم اي افئدة ناس وقرئ افدة كادر في ادور على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي على القلب
عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة على النعت من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا
ووِدادا وقرئ على البنا للمفعول من اهواه غيره وتهوي من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق
والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا
على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها

الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي المذكورين
اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعا بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم الاية اكتفا بذكر اقامة الصلاة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى
اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه السلام لعلهم
يشكرون تلك النعمة باقامة الصلاة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا للامر والمراد
امرهم باقامة الصلاة والدعا من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفا في قوله تعالى فاجعل افئدة الخ وفي
دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة
واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول
وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وبعرض كون ذلك الاسكان
مع كمال اعوازه مرافق المعاش لمحض اقامة الصلاة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرر
دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل
ما نعلن سوا تعلق به الاخفا او لا اي تعلم ما نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية
فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه
بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفا متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شي يعلن الا وهو قبل ذلك خفي
فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه الصلاة والسلام ان اظهار
هذه الحاجات وما هو من مباديها ومناجيها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع
لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير الندا للمبالغة في
الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت
وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما لما انه العالم بالذات فما من
شي يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وايراد ما
وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما نخفي وما نعلن
من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفا بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات
وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشي اي من شي كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على
وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السما مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد من المستدعين
للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار
بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او
يتعلق به شامل لجميع الاشيا والمناسب ذكره تعالى بعنوان يصحح مبدائية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد
بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وتعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة
ان ربي ومالك امري لسميع الدعا لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة
عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعا الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر
اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضمن
النعمة لما دعا وصف بعد الدعا بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم

مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من الذكور من بين سايرهم اولادهم
للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد والاكتفاء في قوله ربنا اني اسكنت
فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعا الذي هو مخصوص بذريته وانما
خص هذا الدعا ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعائي اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة
ثابتين على ذلك مجتنبين من عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في
باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقد قرئ بالتوحيد ولابويه هذا الاستغفار منه عز وجل
انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا
قول ابرهيم لابيه وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسياتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين
كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعا وما المغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت
ويتحقق محاسبة المكلفين على وجه البدل استعير له من ثبوت القايم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على
ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه
عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر منه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر
عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع
الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم تنبيه على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين
ونظايره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه
السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان
ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم لان العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه
لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد له اكيد
للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار
بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم
بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار
واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المنبي عنه قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين فهم داخلو
في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهده وهو استيناف
وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخيرهم ما يستوجبه
من العذاب الاليم اي انما تاخيرهم للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل
هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يواخذهم بما عملوا لما ترى من ان التاخير انما هو لهذه الحكمة
وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون
الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم ياتون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة
وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الخ
لما فهم ذلك ليوم هايل تشخص فيه الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا
اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما بالاعتبار الارتفاع
الحسي في جرم العين واما بحمل الصيغة من شخص من بلده الى بلد وسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين
عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يطبقون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان

ادامة النظر هٰهنا بالنظر الداعي مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله القتيبي
وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه اي طاطاه ونكسه فهو من الاضداد وهما حالان لما دل عليه الابصار من
اصحابهما او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا تنافي الحالية لا يرتد اليهم
طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم التي يحرك بها الطرف فيكون اسنادا لرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن
قاله الفيروزابادي والطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين ولا يرجع نظرهم الى انفسهم
فضلا عن ان يرجع الى شيء اخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الخ او استيناف والمعنى لا يرون
ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور
من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم من الحيرة والدهش كانها نفس الهواء
الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجاهل والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا راي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا
يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا
اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم
لما ذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر
اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة
عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام
للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاشارة تعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه
بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم ياتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف
من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او هو
هلاكهم بالعذاب العاجل وياباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما
عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم واشارة على صيغة
الفاعل حسبما ذكر للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال فمن حاجة الى الاستمرار
عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا
منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان
العذاب على التقدير يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى
اجل قريب اي الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك
لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤا به
اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون
عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم
جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول
معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم
بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال
حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد
زمان التاخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم
كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم به ذكر البيهقي عن
محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة

لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من
سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم الخ ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا
الآية فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم الآية ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا
أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر الآية فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا الآية فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا
يتكلمون بعدها أبداً إن هو إلا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت
عليهم جهنم اللهم إنا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك وسكنتم من السكنى
بمعنى التبوء والإيطان وإنما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا أنفسهم جرياً على الأصل لأنه
منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها أو من السكون واللبث أي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين
سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لأنفسكم بما لقيه الأولون من تبعة ما اجترحوا من الموبقات وفي إيقاع
الظلم على أنفسهم بعد إطلاقه فيما سلف إيذان بأن غائلة الظلم آيلة إلى صاحبه والمراد بهم إما جميع من تقدم من
الأمم المهلكة على تقدير اختصاصه بالاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين وإما أولهم من قوم نوح وثمود على
تقدير عمومها للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال أواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار
كيف فعلنا بهم من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة
فاعلاً لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله
تعالى ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم الأمثال أي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب
بالمنذرين وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم
من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم وما لكم
على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو
بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمتم بالخلود والحال أنكم
سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على حقيقة الحال بضرب الأمثال وقوله عز وجل
وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الأول في فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير
الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم
فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم أو قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة أسباب
الزوال فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله سبحانه وتعالى وعند الله مكرهم
أي جزاء مكرهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف إلى فاعله أو أخذه بهم تعالى على أنه مضاف إلى مفعوله وتسميته
مكراً لكونه بمقابلة مكرهم وجوداً وذكراً أو لكونه في صورة المكر في الإتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقدير
فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا أنه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أي مكروا مكرهم
وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلاً مع تحقق ما يوجب تركه
وإن كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال أي وإن كان مكرهم في غاية المتانة والشدة
وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً لإزالة الجبال عن مقارها لكونه مثلاً في ذلك والجملة المصدرة بإن
الوصلية على حالها مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم أو المكر الذي يحيق بهم إذ لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال
وإن كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع
القوي فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف
دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل إن نافية واللام لتأكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله

ليعذبهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة ح حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى
وعند الله مكرهم أي مكروا مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه
ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ ولما كان
عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا يحال له إذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون
في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من إن والمعنى أنه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال
في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كالتي حال من ضمير مكروا أي مكروا مكرهم المعهود وإن
الشأن كان مكرهم لإزالة الآيات والشرائع مانعاً من مباشرة المكر لإزالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على
أنها فارقة والمعنى مكرهم فالجملة من قوله وعند الله مكرهم أي عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكر بهم والحال أن
مكرهم بحيث تزول منه الجبال أي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد
مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق إليه الطبع السليم وقيل إن الضمير في مكروا للمنذرين
والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عز وجل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ح أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالاً من القول المقدر أي فيقال
لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكورة مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين
أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أي لم يكن الصادر عنهم مجرد الإقسام الذي يحوا به بل اقتروا
على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء
بين كون مكرهم قوياً أو ضعيفاً كما مر هناك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر
النبي صلى الله عليه وسلم قد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة
كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة واللام مكسورة يكون حالاً منه أيضاً على معنى أن ذلك المكر العظيم
منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك إلا لشأن الشرائع أعظم من أن يمكر بها ما
وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعد بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كما قيل
لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الأخروي لما أنه كما سيأتي في الانتقام وعده لهم بقوله تعالى لنهلكن الظالمين الآية
لما تضمنه الفاء الداخلة على النهي الذي أريد بنفيه تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله والتيقن بإنجاز
وعده المذكور المعروف وفي إثبات العذاب المنتظم لجزاء الأمم السالفة بتكذيب رسلها وعصيانها
وشكيم عدم ما وعدهم به لما كان أفصل بمقتضى كلمتهم في القرآن العظيم فكأنه قيل وقد وعدتك عذاب
الظالمين يوم القيامة وأخبرتك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما يجابون به وقرعنا
بعد مرة بأنهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين ظلموا أنفسهم بإهلاك ظالميهم بعد ما وعدنا رسلهم بإهلاكهم
ما كتب عليه من إيقاع بعد ما أخلفنا رسلنا وعدنا إن الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لأوليائه من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة
لم يذكر لهما قال ذو انتقام لأوليائه وعبر عنه بلفظ العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما
أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الأرض غير الأرض ظرف لمضمر مستأنف
المذكور أي يجزيهم يوم الخ أو معطوف يوم تبدل الأرض غير الأرض والانتقام ويوم ما فيه من
العذاب بحسنه ولكن له أحوال الآخرة تذكر كلمة بعنوان بخصوص ومفيد بما سمع يوم إلا انتقامه
للافتضاح بما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم
يأتيهم العذاب وضعف بأنه الكلام وتنصب بإذكار وإضمار لا عطف وعلى يوم تبدل الخ وفيه أيضاً ما في الوجه الثالث من الخلل

إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعدها وقيل بما هو غير مانع لأن قوله
تعالى إن الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم أن التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت
الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما إذا غيرت
شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست بنص في أحد الوجهين
وعن علي كرم الله وجهه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي تلك الأرض
وإنما تغير صفاتها وأنشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التي كنت تعلم • وتبدل
السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي
الله عنه أنه عليه السلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا
والسموات أي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الأرض لقربها منا وكون
تبديلها أعظم أثرا بالنسبة إلينا وبرزوا أي الخلائق والظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم
من أجداثهم التي في بطون الأرض وظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو بحملون على
من يزعم ذلك ولعل البروز المنبئ عن ابتهم لأعمالهم للأبدان ثبت كلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول
إلى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها اللام
لله الواحد القهار لمحاسبة الجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة وإظهار الشرك وتحقيق
الانتقام في ذلك اليوم على كونه ظرفا له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم
العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يعارض كان في غاية ما يكون من الشدة
والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة
على الاستمرار وإما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل لا يجوز
عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير كونه بجزه يومئذ يوم إذ برزوا لله عز وجل أو يوم إذ تبدل الأرض
أو يوم إذ نجز مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم
أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والأعمال السيئة غب تصور كل منها بشكل
بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين
في الأصفاد في القيود والأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين
سرابيلهم أي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم
في مقرنين لا بطها الضمير فقط كما في كلمته فوه إلى في أو مستأنفة لا محل لها والقطران ما يتحلب من الأبهل
فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود
منتن يسرع فيه اشتعال النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب
لذعه وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش والنتن على التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين
ما لا يكاد يقادر قدره فكل ما نشاهده منها أسماؤها في الآخرة بكرمه العميم نعوذ بكنفه الواسع
ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحوط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب إليها الآلام
والغموم بل وأن يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد
الباطلة والأعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة
المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله عز وجل من ذلك بمنه وكرمه ولطفه وقرئ من قطر آن أي نحاس
مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار أي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل
بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر أعضاء الظاهر وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقي

بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر التي خلقت للإدراك وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبيره
كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة
أو لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحيانا
ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الأشهاد وقرئ تغشى أي تتغشى بحذف إحدى التاءين والجملة نصب على الحال
لا على إذا الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء ليجزي الله متعلق
بمضمر أي يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه
إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله
وترى المجرمين إلى آخره اعتراض من المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة
أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة
سبق الرحمة الواسعة إن الله سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي
الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وهو
سريع الحساب هذا أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله الحساب بلاغ كفاية في العظة
والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع
للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم في قوله تعالى وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ولهم
وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وإن كان ما شرع مخصصا بالظالمين ولينذروا به عطف على
مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا ولينذروا وهذا بلاغ لهم ليفتحوه ولينذروا
به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا
به أنزل أو تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء إذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتأمل فيما فيه من
الدلائل الواضحة التي هي إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق والحجج أنما هو إله واحد
لا شريك له وتقديم الإنذار لأنه الداعي إلى التأمل المؤدي إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر
في قوله تعالى وليذكر أولو الألباب أي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من
شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار
ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح باختصاص
العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة في شأنهم لا كل السورة المشتملة
عليها وعلى ما سيق للمؤمنين أيضا فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد
وما يترتب عليه الكلام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة إلى أولي الألباب ثباتا على ذلك حسبما أشير
إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه
أعلم ختم لنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا العفو ورضاه في الأولى والعقبى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد • والحمد لله وحده

سورة الحجر تسع وتسعون آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها تلك إشارة إليه
أي تلك السورة العظيمة الشأن آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب
الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق أو بما بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع

القرآنا وعن جميع المنزل اذ ذاك ادموا المسارع الى الفهم عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف لا
نعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال الاعلى جعله عبارة عن السورة ادخل في الاتصاف بذلك لبلوغ تلك المرتبة
من الشهرة حتى تستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة
منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد **وقرآن** اى قران عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه
من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغى او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما
فيه من وضع الكتابة والقرائية على طريقتين احديهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها
والثانية على طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده طريقا في بابه خارجا عن دائرة البيان خارجا عن دائرة البيان
واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن ساير الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب
ادخل في المدح لئلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت
ساير الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة الكتاب سورة النمل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب على ما سيذكر
هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والتقسيم
والمواعظ شرع في بيان ما يتضمنه فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا
وبزيادة التاء مشددا وفيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا وان
حرف الجر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله
تعالى **يود الذين كفروا** لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما
ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقران وبكونه من عند الله تعالى **لو كانوا مسلمين** منقادين لحكمه ومذعنين
لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة
او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار لما روى ابو موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى
من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضله ورحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار
فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم
ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق انه لا يحول على شيء وداهم
وانما نص الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن من آناتهم وان المراد بيان ذلك على
ما هو من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض
قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي ولا تقدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكماة
وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير
ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعلى هذه الطريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة
ريب فصار [illegible] فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الاخر
وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على [illegible] وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها
في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد
بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الاية او ذهابا الى الاشعار بان من شان
العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك اذ لا يفارقه ولا يفارق [illegible] فكيف اذا
كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان
كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه

الندم ويقلل توقعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره
والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو
كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وقد ذا وفق مقام اشتهرا
عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن خلطهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه
ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم
بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه **ياكلوا ويتمتعوا** بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل
تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك وتمتعهم بلا استماع
ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم
ويلههم الامل ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر عما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل
والتمتع يهيآن الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في
العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما تضمن الامر بالترك للامر بها على طريق
المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها
ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص
عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون
فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا
ذلك من جهتك ومع كونه وعيدا اثر وعيد وتهديدا عقب تهديد تعليل للامر بالترك فان
علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد
الا بعد تكرار الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء **وما اهلكنا** شروع
في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا **من قرية**
من القرى من الخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرين **الا ولها**
كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له **معلوم**
لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها
لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال
من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت مقدر كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل
عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال ايضا اي ما اهلكنا قرية
في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه
او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل المقدرة التي هي بدل من المذكور على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة
للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى [illegible]
يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع
وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعاما لا يسمن فليس فيه
فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان
بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط [illegible]
بداية في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان ما يتاع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر
عقلا وعن الانذار عادة جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين
لهلاكهم وانه لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب

لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فعبل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها
اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا يمضي قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان الى الزمان فمعناه التجاوز
والتخلف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس
والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما
يتحقق فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل
باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما
يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة
المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين
الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار
حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الاخرة وتاخير
ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق
في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر
للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى
ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه شان ازديادهم للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان
يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان
بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب
وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر
خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به صلى الله عليه وسلم
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كذاب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عندما
تدعي انه ينزل عليك لمجنون وفي تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل
ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم لان الانكار متوجه هناك الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل
على صيغة المجهول للايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او التوجه للانكار الى كون المنزل عليه لا الى اسناده الى الفاعل
لوما تاتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى
التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر او عند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر
او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك
في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتى الامم
المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا
احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت
اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على اسناد الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ
تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل
الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم
الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
كما في قوله تعالى قال انما ياتيكم به الله ان شاء فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله

ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا لما اعترضوا به كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا لما ذكر من شدة
اقتضائه للجواب وليكون الجواب متصلا بالسؤال في الحكم
عن تطبيقه لظاهر كلامهم تصدى للاقتراح ومن لا يقال انما ياتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطاوا في
التعبير حسبما اخطاوا في الاقتراح وان الملائكة اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل
للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها ثم من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركتهم اولئك
الكفرة وان يدخلوا تحت الملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك
بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي الا تنزيلا ملتبسا بالوجه الحق الذي يقتضيه
الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي
اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة
والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف
على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال
كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء للشرط مقدر
وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا واما
لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة
فحذفوها فمجيء لفظة اذن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلنا
ما كانوا مؤخرين كداب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم
الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال الحكمة بينهم وبين
استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سلك
الحكمة فياباه مقام تماديهم في الكفر والعناد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي تستدعيه اعجاز التنزيل
الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة
في اتيانهم بصور تشاهد ولها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم
وقد علم الله من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا
ولا يكون فيه حكمة فمع اخلال كل من ذلك بقطعية النافي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده
قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة واما على تقدير
كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا لما كان ذلك التنزيل ملتبسا بالحق لمقتضى الحكمة الموجبة
لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لارتقابهم بل تشديدا عليهم كما مر بيانه وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب
الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم
الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وفيه تعريض بموافق الحكمة الموجبة لتاخير عقابهم وقيل المراد
بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا
نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر
له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا
اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام
فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز

دليلاً على أنه من عنده تعالى إذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك
الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة
على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وتأخير هذا الكلام وإن كان جواباً عن أول كلامهم الباطل ورداً له لما ذكر آنفاً ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد أرسلنا
أي رسلاً وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بأرسلنا أو بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف أي رسلاً
كائنة من قبلك في شيع الأولين أي فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا
شيعه وهي الفرقة المتفقة وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى الصفة عند الفراء ومن حذف الموصوف
عند البصريين أي شيع الأمم الأولين وأما إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه
في كل ما يأتي ويذر من أمور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي إتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي إتيان
كل رسول لكل واحد من تلك الشيع جميعاً أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة
حكاية الماضية فإن ما لا تدخل في الأغلب على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال
أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها إلا كانوا به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة
في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالإتيان حدوثه أو في محل الرفع على
أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون ولها الجر على أنها صفة باعتبار
لفظه فيفضي إلى زيادة من الاستغراقية في الإثبات ويجوز أن يكون منصوباً على الوصفية بأن يقدر الموصوف
منصوباً على الاستثناء وإن كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوباً بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر
استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء
الوحي مقروناً بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وما جاؤوا به من
الكتب نسلكه أي الذكر في قلوب المجرمين أي أهل مكة أو جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولاً أولياً ومحله النصب
على أنه نعت لمصدر محذوف وحال منه أي نسلكه سلكاً مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أي
مقروناً بالاستهزاء غير مقبول لما اقتضته الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة
المضارع لكون المشبه به مقدماً في الوجود وهو السلك الواقع في الأمم السابقة أو للدلالة على استحضار الصورة
والسلك إدخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الإبرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به أي بالذكر حال من ضمير
نسلكه أي غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل في سلك الضمير للاستهزاء فتعين الثانية إلى أن يجعل
الضمير المجرور أيضاً له على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال
إما مقدرة أو مقارنة للإيذان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة
الأولين أي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء
وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحاً بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين
باباً من السماء أي باباً ما من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه فظلوا فيه في ذلك الباب
يعرجون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون
في ذلك الباب وهم يرونه عياناً مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم
عن قبول الحق إنما سكرت أبصارنا أي سدت من الإحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف وحيرت
كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه
عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة

له وإنما هو من خيل إليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تسكير الأبصار
لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئياً لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان
مع قطع النظر عن الإبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الأبصار ولقد جعلنا في السماء بروجاً
قصوراً ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة
مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر فالجار متعلق به
وإن جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أي جعلنا بروجاً كائنة في السماء وزيناها أي السماء بتلك
البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات كانت وثوابت للناظرين إليها فمعنى التزيين ظاهر أو
للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع
للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها
ويتصرف فيها ويقف على أحوالها إلا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل فيها عن ابن عباس رضي الله
عنهما إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع إن فسر ذلك
بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد النبي عليه السلام منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سراً شبه به
خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالإسناد لا لمن الأوضاع فأتبعه أي تبعه
ولحقه شهاب لهب محرق وهو شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر أمره
للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وأن النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله
أو يخبله لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى إنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية
قال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام
ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الشياطين يركب بعضهم
بعضاً إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه
وجنبه ويده حيث شاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب
يقتل أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل والأول أصح والأرض
مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالنصب للعطف على الجملة الفعلية
أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ ولتوافقهما بعده أعني قوله تعالى فلقد جعلنا وألقينا فيها رواسي جبالاً ثوابت
وقد مر بيانه في أول الرعد وأنبتنا فيها أي في الأرض أو فيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتاً وصفة
ومقداراً وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدر من
أبواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي
بياء صريحة وقرئ بالهمز تشبيهاً له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل
وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها
على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم أنهم يكفون مؤناتهم وتحقيق أن الله تعالى
هو الذي يرزقهم وإياهم أو وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إن للنفي ومن مزيدة للتأكيد
وشيء في محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولاً أولياً إلا عندنا خزائنه
الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على أنه فاعل لاعتماده أو خبر له والجملة خبر للمبتدأ الأول والخزائن جمع الخزانة
وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن الأرزاق والنائل مثلت به
مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة

بالرفع لرجحان النصب صح

عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت
الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاحوال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة
الاستعارة التخييلية **وما ننزله** اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء **الا
بقدر معلوم** اي الا ملتبسا بقدر معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا لما تقتضيه القدرة
فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه مع استواء
الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا
لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وهذا
ما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم
والاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي
الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه
بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار **وارسلنا الرياح** عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما
بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح **لواقح** اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير
من انشاء السحاب الماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره
الطوائح بمعنى المطيحات في قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة
الجنس **فانزلنا من السماء** بعدما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا **ماء فاسقيناكموه** اي جعلناه لكم
سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا **وما انتم له
بخازنين** نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه
في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعدما انزلناه في الغدران والآبار
والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور **وانا لنحن نحيي** بايجاد المياه في بعض
الاجسام القابلة **ونميت** بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير
للحصر وهو اما تأكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل الا لان اللام تمنع
من ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم
يقع بين اسمين **ونحن الوارثون** اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون
في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم
كما يترآى من ظاهر الحال **ولقد علمنا المستقدمين منكم** من تقدم منكم ولادة وموتا او من خرج من الاصلاب
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا اياه
ما يخفى من الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب عليه الصلاة والسلام في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل
ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون
ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى **وان ربك هو يحشرهم** اي للجزاء وتوسيط
ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غيره وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار
بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام دلالة على اللطف به صلى الله عليه وسلم **انه
حكيم** بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على
ما ينبغي **عليم** وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء **ولقد خلقنا الانسان**

اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا
كما مر تحقيقه في سورة الانعام **من صلصال** من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا
توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن **من حمإ** من طين
تغير واسود لطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حما **مسنون** اي مصور من سنة الوجه
وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب
وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الاول لعله ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حما تنبيها على ان ابتداء مسنونيته
ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كانه سبحانه افرغ الحما فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر اخر فتبارك الله احسن الخالقين **والجان** ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به
الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها
بالعرض وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه** وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية **من قبل** من قبل خلق الانسان
ومن هذا ظهر جواز ان يراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الاخر والخطاب بقوله منكم للكل **من نار السموم**
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر
المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى

خلقكم من تراب وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة على ما يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من
الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى
للملائكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل البتة من غير
صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **بشرا** اي انسانا قيل هذا ليس عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون
قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر
وقيل خلقا باديا البشرة بلا صوف ولا شعر **من صلصال** كائن **من حمإ مسنون** تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما
في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد
وما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض عند الحكاية لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له
هناك اكتفاء بما شرح ههنا **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء
بدنه بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس
ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده
وافضت عليه ما يحيى من الروح التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع يقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد
الانحناء كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة
القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه * اليس اول من صلى لقبلتكم
* واعلم الناس بالقرآن والسنن * **فسجد الملائكة** اي فخلقه فسواه فسجد له الملائكة **كلهم** بحيث لم يشذ
منهم احد **اجمعون** بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل
يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في
الخطابي التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا وقيم
مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهم الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من مراعاة الاصل
صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي

بل الامر التحليلي كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما
فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان
جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى
ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لكيفية عدم السجود وقد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والا
او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية
واحدة ثلث معاصي مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس
مالك اي اي سبب لك بكلمه اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك ان لا تكون في ان لا تكون مع الساجدين
لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث
المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا بان كل واحدة
من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد ترك حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة
وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال ابى ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال الذي ينساق
اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني وانا مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد
لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية على ادعاء الخيرية
وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر
كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه
طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه واقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام
من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال ءاسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى يا ابليس ما لك
ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة
وانى له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشاني
من الخضوع للمفضول ولقد جرى قوله فذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل
والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء عن امر رب العالمين
جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لادم عليه السلام في
الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملا الاعلى هبوط
واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق
المشافهة بعد ان احتال في دخولها وترسل اليه في الجنة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلانا في هذا
طرده على رؤس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من
يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس
فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان
جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار
بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه
من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى
اللعنة من افانين العذاب فتصير كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن تاخير العقوبة مع الموت كما لمن اخرت عقوبتهم الى الاخرة

لا الكفر

من الكفر طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء
متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي ادم وذريته للجزاء بعد
فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال
فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للاخرين على وجه يؤذن بكون
السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة
لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط الانظار
بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل وانه لا امكان لحمل الفاء فيه
لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
القديمة للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة
كما قيل في نظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الاخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن والانس البتة
لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال
الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة
غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب حكاية مغاير في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب
من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وانما حكي عن اللعين انما صدر عنه
مرة وكذا الجواب لم يقع الا دفعة فمقام المجاوزة اذا اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال
والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر
تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق
عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف
العبادات لاختلاف العبارات والتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق بيوم الدين لما ذكر من الجزاء
وبيوم الوقت المعلوم لما ذكرنا ولاستئثاره تعالى بعلمه فقد ذكر اهلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم
في يوم واحد يموت اللعين اولا ثم يبعث في اثر ساعة ويعاقب بقيه يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة
من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس حين قال انه قدمت المدينة اريد امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر ادم عليه
السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا ادم
انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والاخرين ثم قال لملك الموت
صف كيف تذيقه فلما وصف قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فقال يقول الله
سبحانه وتعالى لملك الموت عقب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اثواب
السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيم ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين
من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلؤا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم
سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا
ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي
الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال
فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزجر
البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر ادم عليه

السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب صارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث ان شاء الله تعالى ويقال لادم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك **قال رب بما اغويتني** الباء للقسم وما مصدرية والجواب **لازينن لهم** اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي **في الارض** اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي اقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه على اغواء بني ادم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب **ولاغوينهم اجمعين** لاحملنهم على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل **قال هذا صراط علي** اي حق علي ان راعيه **مستقيم** لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية وقرئ علي من علو الشرف **ان عبادي** وهم المشار اليهم بالمخلصين **ليس لك عليهم سلطان** تسلط وتصرف بالاغواء **الا من اتبعك من الغاوين** وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواء للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم **وان جهنم لموعدهم** اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة **اجمعين** تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد جعل مصدرا على تقدير المضاف ومعنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها **لها سبعة ابواب** يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب منهم** من الاتباع او الغواة **جزء مقسوم** حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ جزء بالتثقيل وجز بحذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف **ان المتقين** من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة **في جنات وعيون** اي مستقرون فيها خالدون لكل واحد منهم جنة وعين [illegible] كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان [illegible] وقرئ بكسر العين [illegible] **ادخلوها** على ارادة القول [illegible] **بسلام** سالمين او مسلما عليكم **آمنين** من الآفات والزوال **ونزعنا ما في صدورهم من غل** اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم **اخوانا**

حال من الضمير في قوله تعالى جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه وانما فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى **على سرر متقابلين** ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول عن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم **لا يمسهم فيها نصب** اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قدرتهم وهو استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين **وما هم منها بمخرجين** ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود **نبئ عبادي** وهم الذين عبر عنهم بالمتقين **اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب صغيرها وكبيرها وفي وصف ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج **ونبئهم** عطف على نبئ عبادي والقصد اعتبارهم بما جرى على ابرهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتبيين حلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله تعالى هو العذاب الاليم **عن ضيف ابرهيم** عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليه الصلاة والسلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احدى عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابرهيم بل الى لوط عليه السلام حسبما يأتي ذكره **اذ دخلوا عليه** نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او حال مقدر مضافا الى ضيف اي خبر ضيف ابرهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل **فقالوا** عند ذلك **سلاما** اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما **قال انا منكم وجلون** اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لان المعتاد عندهم اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم كقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن وبغير وقت ولو كان كذلك لاجابوا به ولم يقصد عليه السلام بتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا ترى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم **قالوا لا توجل** لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله **انا نبشرك** استيناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا **بغلام** هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود **عليم** اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم **قال ابشرتموني** بذلك **على ان مسني الكبر** واثر في تعجبه عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال **فبم تبشرون** اي فبأي اعجوبة تبشرون وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية **قالوا بشرناك بالحق** اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله **فلا تكن من القانطين** من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاده ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه **قال ومن يقنط** استفهام انكاري اي لا يقنط **من رحمة ربه الا الضالون** المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا

يقنطون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لتلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المقاولة من الملائكة عليهم السلام مع ابرهيم عليه السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابرهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون مؤذن بان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى حكايتها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الاية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليه السلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال في اهلاك المجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى القوم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بحالهم بين بين ولتعليله فان من تعلق بهم النجية ينجي من شمول العذاب ومنقطع من قوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قولي واصل جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمله في الاستثناء فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه الصلاة والسلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكار الحديث لانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه للاسباب الدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قال عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت توعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما

تنكل به بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت توعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابرهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما صدر من القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بوقوعه في مواضع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به وآتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال عنه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور في قوله تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السري وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالاتباع للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التاخر على بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل هو امر لك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وهو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي ذلك ابرهم ولا المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونه ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظة القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور والابهام والتفسير ما لا يخفى من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد دون المذكر والمؤنث والاطلاق على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشانهم وتشمير ذيل الحماية لحقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا اني لا اقدر على حماية من التجأ الي وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا

اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم فيما يسوءني ولا تخزون ولا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض عن ذلك
لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام بقوله فلا تفضحون
اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما
بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار للمجير عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم
بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفتهم بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي
عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا
يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن
العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم
ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه
وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا
من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تصدينا له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم
وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين
اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليه
السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم
غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون
النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل
عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول
الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في
تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك
فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون
آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية
عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق
بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما
سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة
والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين
متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجؤا اليها يلتمسون
الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل
الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم ما يؤتم به الطريق وبطر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود صالحا فان
من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة
والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها

وذروها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين حيث فعلوا بالناقة
ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لحسبانهم ان يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا
وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها
من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم
ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة بالاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم
بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق
فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق
والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال
هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال
كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم
الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم قيل وهي
منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات
على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان
يكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم بتفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما
هو الخالق وهو صالح للتعليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة
وعليه عمر وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
رضي الله عنهم وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان
للسبع من التثنية وهي التكرير وان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة
واما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة
واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية
بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه
او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع
فلما وقع فيه من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك فلما فيها من الثناء على الله تعالى كانها
تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثنى عليه بالاعجاز
او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالآيات والسور فمن عطف الكل بالسبع
على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم • اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن
العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها
ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر

بالنسبة الى ما اوتيه مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله تعالى فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا
ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون به وياباه كلمة على فان تمتعهم به لا
يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم والن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء
وقل اني انا النذير المبين والنذير المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله
تعالى ولقد آتيناك الخ اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى
حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه مخالف لهما او اقتسموه
لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي هكذا او قسموا ما قرؤوا
من كتبهم وحرفوه واقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وجعل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على تقدير ما هو
المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه جل المقام عن التشبيه فلقد اوتي عليه الصلاة والسلام ما لم
يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه
قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع
وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما شبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين
اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهو تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ
ذاك لم يتنبهوا به وعدوا وعيدهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل
من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام
باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركة النصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة
وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونهم من نتائج الاقتسام تخصيص
من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر اي انذر العضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس
عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر ويقول
الآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب
المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية واخراج المقتسمين من بينهم
مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من الشعر والسحر والكذب متفرع على
وصفهم للقرآن بذلك وقيل بني لا على التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن
الذي بحيث شبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكل الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقدير المفعول الثاني على الاول
كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير واقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه مع
ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتذار بان
ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان
اعمال الوصف الموصوف بما لا يجوزه البصريون فلا بد من الذهاب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا
غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على
ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى فانت تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما

للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حينئذ لم
يمكن كونه صفة للمقتسمين حتى يفسر جعلناه مفعولا اول لانذر او لما دل عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية
في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة كما ان ذلك وانما يكون للاشعار
بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم
بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان العضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك
كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا يصحح وقوع ع
احدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق والمفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص
الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير معتد به اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل على اقتسام
المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجلالة التنزيل وجزالة شأنه الجليل اذا
عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول
مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن
التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين
على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان التعرض لبيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول
عن تطبيق ما في جانب المشبه على ما في جانب المشبه به بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين
آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتاءين من التنافي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه
وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه
زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الجليلة فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة
على ابراهيم عليه السلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم في الوجود
والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن
ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني فانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم بديع
تحقق ما يفيد في الانزال المذكور وانما انزل بانه كان من حقهم ان يؤمنوا حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم
الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة الذي هو مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما
هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم ولقد اوتي ولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب
اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناؤه به عما سواه من زهرة الدنيا وعن ابنائها
لاهلها بالتمتع المبني عن شدة وذاتها وعن الحزن بعدم ايمان المتمكنين فيها وعن مراعاة المؤمنين
والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي
من القرآن العظيم ذلك الكيفية انبائه على وجه ابدع فيه ما يزيح شبه المنكرين ويسد لهم من العناد من سبيل
مشاركة لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل واسع علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير
كما انزلنا في الكتب انذارا لهم بقوله تعالى اني بريء من اعلى المقتسمين من اهل الكتاب يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة
المستفادة من الكاف الموافقة وهي ما في خبرهم وفي محل النصب على الحالية من مفعول انزلنا هذا القول
حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي موافقا لذلك فالاقتسام على التحريف يكون وضعهم
تحريفا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة
اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمع بجمع العقلاء لما لحقها من الحذف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة
القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق
التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوا

بالقران العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش ونقصانها على
الاول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم اجمعين** اي لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم
سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا من قول وفعل فدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا
اوليا ونجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على
اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهارا للطف به عليه السلام
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة
والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيت
من المثاني السبع والقران العظيم **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد
للانتقام منهم **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء
النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي
والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل الشجرة فجعل ينطح براسه الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها اخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم بل اجترؤوا
على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه وتعالى **فسوف يعلمون** عاقبة ما ياتون وما يذرون **ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات الشرك والطعن في القران والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد
لافادة تحقق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما
يوجبه من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح
والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من
اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين**
اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او نزه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك** ودم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان
السابق لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والاشعار بعلة الامر بالعبادة **حتى ياتيك
اليقين** اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه
والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كتب
الله له عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة النحل مائة وعشرون وثماني ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله
للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه
واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات
واياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله تعالى **فلا تستعجلوه**

فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال انما الاتجاه ذكر من قرب
وقوعه دون وقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان
بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر
او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة وما فيها ودونها
من العذاب حتى يعم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء
كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك داعية
سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة
قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم
فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزلت فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب
كما قيل لما انه توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من اباته حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو
على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهي عنه
لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار دلالة الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه
المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم
العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت صدور استعجالها عن المؤمنين ثم يجوز تخصيص الخطاب
على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص
بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا
يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقادا ان احدا يعجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيف
انيح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا منه بشفاعتهم اورد ذلك بقيل بطريق الاستئناف **سبحانه وتعالى عما يشركون**
اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع
ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة
للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير
تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما تفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب
بالمؤمنين **ينزل الملائكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه فيما اجمل لبيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه
عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة
الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول عليه
السلام باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك وابطالا
لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب واثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه
والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه
من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ تنزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول
من التنزيل **بالروح** اي بالوحي الذي من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل ويقوم
في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح **من امره**
بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالوحي او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدئا منه او صفة له على
راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية
كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطاياهم اي ينزلهم بامره **على من يشاء من عباده** اي ينزلهم به عليهم

لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك أن انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا
القول والمخاطبون به الانبيا الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة
للامر كما تشعر به البا في الملابسة وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم
ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة
الملائكة لمن يشا من عباده ان انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله
تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اول سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه
مختص باعلام المحذور من نذر بالشي اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه
كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه وادعا شهرته
المغنية عن التصريح به وفايدة تصدير الجملة به للايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرر
له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتدا الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده
فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانها مضمونة عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين
بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله تعالى وقوله تعالى فاتقون خطاب للمستعجلين على
طريقة الالتفات والفا فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبيا
عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة
ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزا وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع
في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفايق
والنمط اللايق تعالى فتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذه المخلوقين عما يشركون عن الشرك
المعهود وعن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدي ولا يعيد بعد ما ابنه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل
مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلايقه فبدا بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا
النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيالة لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو
بعد الخلق خصيم منطيق يجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن لها وهذا انسب بمقام الامتنان
باعطا القدرة على الاستدلال لان ذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قايل من يحيي العظام
وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هناة الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم
رميم اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان
والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله
بعد تفصيل لذلك وقوله تعالى لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدا وهو ما يدفأ
به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة
ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل لانه الانسب بمقام
الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون اي تاكلون ما يوكل
منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايما الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان
الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محلا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف
للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر
من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار
الماكولة تكتسب باكرا الابل واثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية
جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين

تسرحون تخرجونها بالغداة من حظايرها الى مسارحها والمفعول محذوف من كلا الفعلين وتعيين الوقتين لان ما يدور
عليه الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وبجانب نغاتها ورغايها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين
واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظاير لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر
وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في
استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملا البطون مرتفعة
الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين صفة لحينا بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله
عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى
ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل بلد لم تكونوا
بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرى
بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد والاضافة الى الانفس لما
او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثنا مفرغ من اعم الاشيا اي لم تكونوا بالغيه بشي من الاشيا
الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة
لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد
في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض
المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة
لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور
الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال
والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة
عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب
اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتزينون بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها او تجعلون
مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعولها اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق
في الدنيا من اصناف النعم لكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة ويجوز ان يكون اخبارا بان له تعالى ما لا
تعلمونه من الخلايق [illegible]
لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق
من الخلايق ما لا علم لنا به [illegible] ويحكى عن ابن عباس رضي الله
عنه ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه السلام
كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من
كذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور وسبعون الفا الكعبة لا يعودون اليه
الى يوم القيامة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على
طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب
الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقا

شتغال

وجعل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابتدعها
ابتدا كذلك على نهج قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة
وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب سديد منار وعلم يستضا بناره وارسل رسلا
مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيته الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق
الهادي الى سبيل الاسد لا كل تلك الادلة المفضية الى معالم الهدى الجلية عن غيها في الضلالة ومهاوي الردى
الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبريا وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشتراك
ثم اوضح سر القا الوحي على الانبيا عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن
الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عند ذلك بحسب الافعال يرشد الى طريقة الاسد لا الافعال بفعله المتعلق بجميع
العالم الجسماني مؤكدا بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة
بما بينهما فبدا بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على
خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد عن بيان وتعد
له اما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها فيحمل الرفع
على الابتدا اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تونث وتذكر جائر اي مائل
عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر
وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم الضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان
تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتدا على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وايا ما كان
فليس في النظم المذكور تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر
سبكا متعينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين لكن غير الى ما عليه النظم الكريم نفيا
عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان قصد السبيل بمجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح
اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الا
نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة بهداية الناس اليه والا
لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يمتنع ذلك الاسناد عنه تعالى
الى عدم لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال ولا جائرها ثم يعبر سلك
النظم الكريم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الطرفية اعتراضية جي بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل
واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك المعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب
الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى القصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب
لا الهداية المستلزمة للاهتدا البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو
محل حكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله ولو شاء
لهداكم اجمعين اي ولو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم
اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي
يدور عليه فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه تترتب الاعمال التي
نيط بها الجزا هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه
اليه على نهج الاستقامة واشار حرف الاستعلا على ارادة الانتها لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي غير ان

يكون هناك استعلا لشي عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر
بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل
واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شا لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا توجيه
نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيط بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق الصحيح للتوحيد
على وجه اجمالي وفصل بعض الادلة المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان البرهان الداعي اليه بعثا
للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما يلحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو
الذي انزل بقدرته الباهرة من السما اي من السحاب او من جانب السما ما اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور
لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السما شيا هو الما لا انه انزله من السما والسر فيه ما سلف من ان
عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب
اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو خبره والجملة صفة لما والظرف الثاني نصب على الحال
من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان
مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل
الظرف الاول يتعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لما وانت خبير بما فيه من توسيط المنصوب بين
المجرور ومن توسيط الثاني منهما بين الما وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي و
يحصل منه شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سوا كان له ساق او لا وتبعيضية مجازا لانه لما كان ينبته
من الما جعل كانه منه كقوله اسنمة الابال في ربابه يعني المطر الذي ينبت به الكلا الذي ياكله الابل فيسمن اسنمتها
وفي حديث لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها
صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون
لكم به مما انزل من السما الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيانا للنعم الفائضة عليهم من الارض
بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنته الجارية على ممر
الدهور ولاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر انفا من تقديم اولها
من الاهتمام به لادخال المسرة وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون
لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها
وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع
اندراجها تحت قوله ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذا الانعام
منه من التشرب والتغذي
باشرف نفسه ولولا اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا شجر وقيل المراد تقديم ما به قيام
والنعم احوج الى الانسان معايش الاغذية وقرئ الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في
ذلك اي في انزال الما وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم
والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة والنواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق
اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق
فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان
والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستوا نسبة
الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله واثاره لا يمكن ان يشبهه شي
في شي من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشيا في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة

تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث انتهى سلوك هذه الطريقة الى ترتب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر
يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها
ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤوا كما في قوله
تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم
كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات
من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان
تجددت آثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع
ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم في الظهور
كمنافع ما قبلها من الملوين والقمرين ولم يتعين تسخيرها لهم بارادة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها
تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية
المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل
مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف
على المنصوبات حال من كل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي
خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او حكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي
انواعا من التسخير وفيما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد
لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فهناك حسبان لما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى
وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه مما لا ينازع عنه الخصم ولا يتلعثم في قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك للارشاد الى التوحيد من حيث ان
من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر
من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية
متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل
من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك المشار اليه من عجائب الدقائق المودعة
في العلوية المدلول عليها بالتسخير التي لا تتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان
احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي
وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون
باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان
اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بذكر
الخلق لم يعرض لذكر التسخير واعتذاره بان الاول لا يستلزم الثاني لجواز ما خلق لهم عزيز المرام
صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك
الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد له لقوم يذكرون
فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات

الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اريد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال
ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة غني به للاستدلال به على ما يقتضيه
ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد
النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من
الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم
مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه
على وجوب المسارعة الى اكله لسرعة ابتساره الى الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان
بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف
لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذا
لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال
ان شر الدواب الآية ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان
تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم ولكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك
السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحرونها من المخر وهو شق الماء
وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد
مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك او الآتية بذكره وتعلقه
بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون
حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان
فيها قطعا للمسافة الطويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها
في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطالب من الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح
به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وقيل لئلا تميل بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب يحركها فلما خلقت الجبال على
وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي جعل فيها انهارا لان
القى فيه معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار
من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل
في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي
وقرئ بضمتين وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم بالتخفيف ولعل الضمير
لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل
البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وابطال لاشراكهم وعبادتهم الاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك
اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة
الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله ولئن سألتهم الآيات
والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اظهرها واعظمها واستتباعه اياها او يكون كل منها خلقا مخصوصا
اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى ببداية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية

واستبداده باستحقاق العبادة بتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراكهم
ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقدم بالمنتسبين لجريهما عليه
النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتقاربا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئيها المفصل
فيهما وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة
الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول فالمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما
كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او الحمل على الخاصة وتعرف منه حال غيرهم بدلالة النص
فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول الاصنام في حكم
عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على
الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة أفلا تذكرون اي ألا تلاحظون فلا تذكرون
ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى
بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه
من سيتعقب عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق من ضرورة ظهور دلالتها من حيثية
الانعام ايضا لكنه حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها
بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام
بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم
من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم
للقطع والحرمان بما تأتون وما تذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك
نعمة وايما نعمة والجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على
التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منهما وحذف العائد
لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه
سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة
بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن هو قبل ذلك مضمر
في القلب يتعلق علمه تعالى بالحالة الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون
الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعداد صفاتها واحوالها المنافية
لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها
وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والآلهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة
المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا [illegible] وهم يخلقون [illegible]
[illegible]

بالسر

الخلق

الخلق ليست بما يدور عليه استحقاق العبادة ولما كان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان
بعض المخلوقين احياء اتبع ذلك بقوله اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان
بعض الاموات مما يعتريه الحياة سابقا او لاحقا كأجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا
احترز عن ذلك بقوله غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما
يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الآلهة ايان يبعث عبدتهم ففيه على طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد
بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث
من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شيء في شيء وهو
تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من جملتها
ما ذكر من البعث وما يتبعه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة
لها او للآيات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع
موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص
الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبنى الحكم المذكور
على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المنوع الى
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر عن العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية
الموجبة لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه واما الايمان
بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية
وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكارهم وما
يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين
تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس
المستكبرين فكيف من استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان
ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريقة التهكم وماذا منصوب
بعده او مرفوع اي اي شيء انزله او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤال وفود الحجاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق
بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بلية اصابتهم
في الدنيا مما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل
باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل
في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال الحكم بهم
لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى
غير عالمين بانهم يحملون يوم القيامة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما
سيأتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان اجمال ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال
من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو
العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها
الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون
عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا

صح ص

وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة عليها ص

يزرونه بما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم
الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب الاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله
اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمد او اساسه
فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد
تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله
سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعل اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوا بالاساطين
فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم
العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ايقاعه بهم
والمعنى انهم لا الماكرين القائلين للقران العظيم اساطير الاولين يصيبهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون
والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
هذا الذي فيهم من التمثيل من عذابهم هو لا او ما هو اعم منه او مما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم
القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي فهلكوا على رؤوس الاشهاد واصل الخزي خجل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزاءين
من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة
كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا موذن بان لهم جزاء اخرويا تبقى النفس مترقبة
الى وروده سائلة عنه بانه ماذا انتج تنبيها بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يوذن بان المقصود بالذكر
اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمعترضين في حق القران الكريم او لهم ولمن شاكلهم من الماكرين
كما اشير وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وهو اخ بيان للاخزاء
اين شركاءي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم
تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمومنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد
بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم
لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذروا بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم ح ليفقدوها في ساعة علقوا
بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا
يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليفقدوا البين سديد
فانه قد تبين عندهم الامر فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي
تشاقونني على ان مشاقة الانبيا والمومنين لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين
اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبيا والمومنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم
في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا
لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما
المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل
والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المحلى باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل
بين العامل والمعمول بالمعطوف لانه مغتفر في الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق
والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته وبرسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرئ
بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول
والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه وفي محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي
والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من امن منهم ولو في اخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر

فانه

فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب الخالد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم
اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركاي
وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي يقرون ويتركون المشاقة
ويتركون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سوءا لا
انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام
الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم
ادعاء بعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه فهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل
ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال
مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى فلوبهم منكرة
الخ وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته مثواهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا
نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا روما للمحافظة على ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور
في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المومنين وصفوا بالتقوى
اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي سلكوا في الجواب مسلك السؤال
من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال حكاية وللواقع في نفس الامر
معنى واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما عبروا في الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له دافع عبروا اصوله
وعدلوا فيها عن سنن السؤال حيث زعموا الاساطير وما للمامور منه انكارا للنزول وروي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم
كان خير الك فيقول لا ناشر وافدا ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ويرضي بهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او قالوا الاحسان
في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة لها ولدار الاخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في
الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس الدار ولنعم دار المتقين اي دار الاخرة
[illegible] وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين [illegible]
[illegible] في الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا [illegible] هذا الكلام لما
قالوه [illegible] جنات عدن خبر مبتدأ محذوف [illegible] ويجوز ان يكون هو
المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار
حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن [illegible]
[illegible]
[illegible] كذلك
[illegible] المتقين [illegible]
[illegible] الذين تتوفاهم
الملائكة نعت للمتقين طيبين اي طاهرين [illegible]
[illegible]
[illegible]

جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي رح اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه
ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرئك السلام وبشره بالجنة ادخلوا
الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة
عظيمة وان تراخي المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول
نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه وذلك وقيل المراد بالتوفي
الحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة
لتقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لانه يلحقهم البتة لحوق الامر
المنتظر لمباشرتهم اسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ
بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان
اتيانه لطف به عليه السلام وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي مع العقبة لكن لا لان
انتظارها جامع اتيان الملائكة فلا يلايمه العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر مع الخلود ويراد
بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فأصابهم
الآية صريح في ان المراد بما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل ما فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والا
فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم فتسلى من عذابهم وما ظلمهم الله بما كانوا استمروا عليه من القبائح
الموجبة لذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه
النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه
من حيث الوقوع اقتصاره من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فأصابهم عطف على قوله تعالى فعل
الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على
طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم
وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع ما كانوا به يستهزئون من
العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول
لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا
لشيء غيره كما تقول ما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب
والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله
تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه
من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ
شيئا من ذلك وانما تقوله الرسل من تلقاء انفسهم فأجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع
فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم
عن الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله عز وجل وعزائم امره ونهيه
الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا او ابانة طريق الحق
واظهار احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل
الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا
او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتدور عليها امر التكليف في شيء
حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب
عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق المشيئة بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف

اختيارهم

اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم
وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا التبليغ اوامر الله تعالى لا تحقيق مضمونها واجبارا موجبها على الناس قسرا
والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مأمورون وبان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر
ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء والايلام الخ جواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا
تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة
المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية
رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان يكون مفسرة لما في البعث من معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثنا
بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اي من تلك
الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بعد صرف

فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت ع

قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده
واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله
تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه
لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئة الله تعالى بالعبادة بما له تعالى وحده فسيروا
يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن
حقت عليهم الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر
بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر
كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو
شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هداهم
اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن
يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت
عليهم الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست
بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اي لا يقدر احد على
هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي
وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون
العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد
الى الاحاد لا ان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو
انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد
رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد
من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع
الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله عز شانه و
من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية
القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون اي يبعثهم فيبتون
القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت الشامل للمؤمنين والكافرين لا انهم وان كانوا
عالمين بذلك ايضا لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين

لهم بذلك ما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان الذي يختلفون فيه من الحق
المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين فيدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه
بالاشراك وانكار البعث وعدة الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير
عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية
للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم
من المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث انما كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم
كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على
تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرار الغايات ادل على وقوع الفعل
المغيا بها وانما الغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا
بمعرفته عز وجل وعبادته انما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين
بان يقال ليظهر ان الذين كفروا كانوا كاذبين بل حكي بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار
ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى
حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل
قبل ذلك قطعا انما قولنا استيناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابتداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث
ومنه تظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك
قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق
مشيئته تعالى به لا انه شيء قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اي وقت اردنا وجوده ان نقول له كن خبر للمبتدا
فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء ويجب به نظيد الكلام اي فنقول ذلك فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا
قلنا ذلك فهو يكون وليس هنا قول ولا مقول ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم
وتحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى ليس يلزم منه انحصار التكوين فيه كما يفيده
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورته
انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه انما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها
وتصويره لسرعة حدوثها بما هو علم فيه من ذلك من طاعة المامور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند
تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد
بالقول المطلق فتامل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما تحار فيه عقول اولي الالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على
نقول او تشبيها بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شان الله تعالى او رضاه او في حقه ولوجهه من بعد ما
ظلموا وتعليم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم هاجروا
الى الحبشة ثم بواهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة
حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث ايات من اخرها مكية واما
ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل
اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب نعم لو لم
يخف الله لم يعصه وانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية
الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين

وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب

الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل
وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لنثوينهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة
وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما
يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله
تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار
اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في الاجتهاد ولما تالموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة
الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين
عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل
على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر
مومنين قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب وعلماء
الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه
دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة
الى جواب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع
جوابا عن سؤال من قال ثم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر وبما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا
عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل
اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تاخير صلة ما قبل الا الى ما بعد
او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام
فاعل نوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير
ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للعالمين لتبين
للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك
من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا فانما ينبئ عنه
صيغة التفعيل بالفعل لا سيما بعد ورود الثاني ولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود
ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل
قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر
ويحترزون عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة
الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا
لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون
العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به
للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات وقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن
او السيئات صفة لما هو المفعول اي فامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك على كل

حال والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انبا الامم
المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك اما تفكر فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون
على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او انفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد
يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبي عنه الصلة اي امكر فامن الذين مكروا الخ **او ياتيهم العذاب من حيث لا**
يشعرون باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهونه كما حكي فيما سلف مما نزل
بالماكرين **او ياخذهم في تقلبهم** اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين** بممتنعين او فائتين بالهرب
والفرار على التقلب السير والفا اما لتعليل الاخذ او لترتب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته كما قال
عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام
او ياخذهم على تخوف اي مخافة وحذر من الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم
متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عن اصابة العذاب عبر فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة
المنبية عن السكون بالاتيان او قبل التخوف التنقص قال قائلهم ◦ تخوف الرجل منها تامكا قردا ◦ كما تخوف عود النبعة السفن
اي ياخذهم على ان ينقصهم شيئا في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى
على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها **فان ربكم لرؤف رحيم** حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عليكم مع استحقاقكم
لها **اولم يروا** استفهام انكاري وجري على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم
ينظروا ولم يروا متوجهين **الى ما خلق الله من شيء** اي من كل شيء **يتفيؤ ظلاله** اي يرجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه
ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتانيث الفعل **عن اليمين والشمائل** اي الم يروا الاشيا
التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله **سجدا**
لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله تعالى
في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى **وهم داخرون** اي صاغرون
منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلا لما ان الدخور من خصائصهم
والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم
من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ
واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها
بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها
منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بها داخرة مغن عن وصف ظلالها بها ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال
والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف
مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب منه تظهر اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في
اول النهار تبتدي من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع
الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها وخرورها له سبحانه
وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل **ولله يسجد** اي له تعالى
وحده يخضع وينقاد لا لشي غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال
المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين **ما في السموات** قاطبة **وما في**
الارض كائنا ما كان **من دابة** بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد
مع ان المراد الجميع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من

مثله

مثله وما اتاني من الرجال مثله **والملائكة** عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما
واجلالا او على ان يراد بما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات **وهم لا يستكبرون** عن عبادته عز وجل
والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد مسند الى الملائكة او استئناف
اخبر عنهم بذلك **يخافون ربهم** اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلية الحكم **من فوقهم**
اي يخافونه حال كونه على جهة الفوقية والاجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه
لا يستكبرون عن عبادته **ويفعلون ما يؤمرون** اي يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل
مبنيا للمفعول لجري على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره
سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وبعدما بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع
والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله
عز وجل اردف ذلك حكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل **وقال الله** عطفا على قوله ولله
يسجد واظهار الفاعل وتخصيصه لفظة الجلالة للذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه تعدد
الهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين **لا تتخذوا الهين اثنين** وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية
مغنية عن ذلك دلالة على مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة
في قوله تعالى **انما هو اله واحد** للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية لوازم الالهية فا
سلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند القول فيه الالتفات من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى
في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه **فاياي**
فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقا الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر
الفعل اي ان كنتم راهبين شيا فاياي فارهبون لا غير واني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة
به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى **وله الدين** اي الطاعة
والانقياد **واصبا** اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا
من الوصب اي وله الدين والكلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه
لمن كفر **افغير الله تتقون** الهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي عقيب تقرر
الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات بالسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد
وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون وتطيعون
وما بكم اي اي شي يلابسكم ويصاحبكم **من نعمة** اي نعمة كانت **فمن الله** فهي من الله فما شرطية او موصولة
متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى
لا لكونها منه تعالى **ثم اذا مسكم الضر** مساسا يسيرا **فاليه تجارون** تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجوار
رفع الصوت بالدعا والاستغاثة قال الاعشى ◦ وحينئذ من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا ◦
وقري تجرون بطرح الهمزة والقا حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبي عن ادنى اصابة وايراده بالجملة
الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيد لمساس
ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها بالمخا
سا المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به

بعد شيء

الى تحقيق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان
ما بين الضر ووقوع الكشف بعد بوهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما ترتب عليه من مفاجاة الاشراك
المدلول عليها بقوله سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم
ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا
فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن للتبعيض
ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات
الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا
لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه
وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق
بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به
عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه
جهالة وسفها ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم لهم اصلا وليس
من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها محذوف في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون
ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له
محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ
وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام
من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب وشدة الوعيد كما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين
يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم على التفوه
بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية سيقت
اعتراض في حاق موضعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل
الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار
كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا
يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء اي مترددا
في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار
لفظ ما وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله تعالى عن الصاحبة
والولد والحال انهم يتحاشون عنهم ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه
لاجلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين
لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز
والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر
بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب
الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو
العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة
البالغة بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار

بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز
الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها من دابة على الارض المدلول
عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال لا
والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل لا يستأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
عنه مع طلبهم له ساعة مدة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور
الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا
مع انه لا توبة له اصلا قد نظم في سلك من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في سورة يونس ويجعلون
لله اي يثبتون لله سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع
وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب
وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو
جمع كذوب على انه صفة للالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا
من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهو علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون لها من افرطته اي
قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء
وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية
كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات
الكفرة ووعيد لهم اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على
طريق حكاية الحال الماضية او في حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره
مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي
هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما
انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا
فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي للهداية
والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه
ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونه هدى ورحمة للمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل
من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد
ماء نوعا خاصا من الماء وهو المطر وتقديم الجار والمجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى
به الارض بما انبت فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما تفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافي
ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته
سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك
اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول ويهيم في فهمها الالباب الفحول نسقيكم

استئناف لبيان ما العبرة او لاجل العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ
فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكياش واخلاق وتانيثه في سورة المؤمنين
لرعاية جانب المعنى ومن عده جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش
المنهضمة بعض الانهضام وكيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ
العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه
مادة الدم الذي يغذو البدن لانعدام تكونهما في الكرش بلا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة منها مائية فيميز القوة
المميزة تلك المائية ما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى
الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيطيب
طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته
وحكمه وتناهي رافته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم مبدا الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث
للنفس تشوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف
لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا تتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق
والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره و
على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة
من بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن
وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما يدل عليه الا
من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات
النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه
او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف وهو العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر
سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان كانت سابقة
النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لاية باهرة لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في
قلوبها علما بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية
ويجوز ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير فان النحل مذكر للحمل على المعنى لانه جمع نحلة
والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر
ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه

للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض
لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها حلوها ومرها
فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي براها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك
او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا
جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي
منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع
الله التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت به شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به بقوله تعالى
من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم
انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع منها
شي كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل
الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ
قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال
سقيته فما نفع قال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما
انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل وعن ابن مسعود العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء
لما في الصدور وعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من اي حيث اثار قدرته تعالى لاية
عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على
حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وادوات انيقة وانظار
دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه عز وجل والله خلقكم لما ذكر سبحانه
من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى عجائب بعض احوال البشر من اول عمره الى آخره
وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي
الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة
ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا او شبانا وشيوخا ومنكم من
يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه
وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة
الى الضعف بعد القوة لقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل
في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء
وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي
الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر
معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي
جعلكم متفاوتين فيه فاعطى اكثركم افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي
رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك
والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساووهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء
للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا
يسيرا بحيث لا يرضون مساواته مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز وجل في الاختصاص

روي عن علي رضي الله عنه خمسة وسبعون [illegible] م

بهم بل بعمهم واياهم من الرزق الذي هو اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به
من الالوهية والعبودية الخاصة بذاته تعالى بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل
ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية
افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة
عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عنده تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم بها عليهم والباء لتضمين
الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته
وقرئ تجحدون على الخطاب وقيل المعنى ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي رزقتهم فلا تحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما
هو رزقي اجريه لهم على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا ينبهون لذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم
المفضلين او على عملهم المؤذن بذلك اي وما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل
ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردونه عليهم والجملة الاسمية
للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تكسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم ازواجا لتانسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم
وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع الضمير للايذان بان المراد
جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازواج هو التوليد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع
في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم
فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتاخير المنصوب في
الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم
امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لنفعكم من جهة مناسبة لكم بنين و
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل
يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على
مقدر اي يكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون
دون الله سبحانه وبنعمت الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها
الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات
الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى السامعين تعجيبا مما فعلوه ويعبدون من دون
الله تعلة عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا
يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية فيه اي لا يقدر على
ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا و
من السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للاملاك اي لا يملك رزقا شيئا من الملك ولا يستطيعون
ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع
كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حراك له فلا تضربوا لله الامثال التفات
الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك
به تعالى في شان من الشؤون فان ضرب المثل معناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشانه شانا من الشؤون
واللام مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد

من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض
شيئا من رزق فما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي
المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد
عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك
فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله
مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي تباعدهما
بما ركبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة من
المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا
لله سبحانه وتندرج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة عن المكاتب والماذون الذي لهما تصرف في الجملة
وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي حرا
رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالي
رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق
على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق منه واشار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية
الخبرية للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاقا سرا وجهرا والمراد بيان
عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة
وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه
ادل على تباين الحالين لتوخي تحقق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم
لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محافظته المبالغة في الدلالة
على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك
الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد مما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من
الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما وصف من الصفات مع ان
الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو
مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به تعالى ما لا ذليل اذل منه وهو
الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا
عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح
به قوله تعالى ومن رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجله ونفي العلم
عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها الاية وضرب الله مثلا اي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد
ما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو
من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو
كل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم
قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيثما يرسله
مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول
وعلى صيغة الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يامر

بالعدل اي من هو منطبق فهيم ذو راي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه
مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمور بهم
وللحصر هذين استحقاق كمال المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر يأمر بالعدل الخ
لمراعاة الملائمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب
الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا لخلق الفريقين على ما هما عليه
وكان خلقهما كذلك للاستدلال لا لعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كلا من
الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض
اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة
اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص
به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك
وفيه اشعار بان علمه تعالى حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب
السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما
او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فاوثرت وقوعها بغيبه من الغيوب المختصة به تعالى وان كان اتيانها من الغيوب التي
نصبت عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي
بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة آنية لها هوية
اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا في آن غير منقسم
في ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال او هو اقرب واياما كان
فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة
الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب
الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها
المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب
مما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم
القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما ووضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم
من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله
تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم
الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذ زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخير الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا
لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة
بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس
فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب
من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من
الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق
تلقي الوحي ولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء

الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه
مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا للآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان
والواقع هنا تسخير الهواء للطير ليطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه
تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض
والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن
في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها الا الله عز وجل بقدرته الباسطة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان
سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنفة
ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك
وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام
وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك
بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما بعده من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان
من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي
تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول
اي موضعا تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة
هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم
في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها
واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود الانعام والضمائر للانعام على وجه التنويع اي وجعل
لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث
ومتاعا الى حين اي شيئا يتمتع به الى البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله
جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه
بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب
والكلام في الترتيب كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم
ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر ولان
وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم بأسكم اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض
في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين
حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم مما
خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم
بأسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما
اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا
ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب
الكبرياء قليل وقرئ تسلمون من السلامة اي تسلمون من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ودام على طريقة
الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا
منك فالقي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك اذ وظيفتك
هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمت الله
استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بنعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها

ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او
بسبب كذا وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار
المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق او من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما
القاتل واحد منهم وان بعضهم ليسوا كذلك لقوله تعالى واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين
والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا سيما في كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقيل
لا سيما في كمال الفرقة الاولى ذكر الاكثر انما لان بعضهم لم يعرفه لنقصان العقل والتفريط في النظر او لم تقم عليه
حجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم
بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وفيه دلالة على ان ابتلائهم
بالمنع من الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء
عليهم السلام ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الاخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب
الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ ويوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى
واذا رأى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا
هم ينظرون اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا
يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا
في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فانه كذبهم
اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم
لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام
بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها
لله سبحانه عن الشريك والشياطين كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء
كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما
عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب
بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم
ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم
حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حرها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار
الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم عذابهم بسبب استمرارهم
على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من
انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم
وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على الامم وشهيدا لهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية و
على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق
بان يخص باسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن
جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملة ما اخبر
هذه الاية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم والتبيان كاللقاء في كسر اوله وكونه

اي بعثك لكمال العناية بشأنه صلى الله عليه وسلم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
ح

تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله
عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي صلى الله عليه وسلم لامته باتباع
اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة
والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار
الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
ومن قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم
لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي
فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل
بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية
من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة
والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه
اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان
تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي الاعطاء للاقارب ما يحتاجون اليه وهو
تخصيص اثر تعميم اهتماما بشأنه وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر
ما ينكر عقلا او شرعا من الافراط وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاملة من ذيلي القوتين
المذكورتين الشهوية والغضبية وتبقى البشر والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو
من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاملة من ذيلي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وتبقى البشر
الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي
اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم
بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا
بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على
ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول
به محافظة عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون
من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي
غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول
ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن
تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او من الجار
والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشابهين لامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل
ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة اي بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة
اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم

نقضوا عهودهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة هي اربى من امة اي يعاملكم معاملة
من يختبركم لينظر المتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم
وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم
باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن
لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي
اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في
الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي يدور عليه امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم تصريح بالنهي عنه بعدما ضمن تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل
قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم
واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي
بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفا بالعهود والايمان فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا
بمقابلة عهده وبيعة رسوله عليه السلام او اياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا
اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
من حطام الدنيا ان ما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان
كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل
للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده
وينقضي وان طال امده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية واما
الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار
الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة
الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على
الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى
التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي وبالله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام
التي من جملتها الوفا بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزينهم اي لنعطينهم اجرهم
الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن من الحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة
قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى ولنجزينهم بحسب احسن افراد
اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من
الاجر الجزيل لا انا نوفي لهم اجرهم بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن
بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باعتبار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظيره
ببات الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بما يترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يتساوى فعله وتركه كالمباحات
فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها
بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا
اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح وترغيب طائفة منهم في الثبات
على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص وعلى التوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى
مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وتخفيف العذاب
لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما
ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فلتطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم
يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف
الفوات ان يتهنا بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه
شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار
ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما ترتب عليه بطريق
الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ارتداد الجزاء بصلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء
والارشاد الى ما به يحسن العمل ويخلص عن شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها
على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله عز
جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة في ذلك قال تعالى
وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن
من الاعمال الصالحة بالذكر لما انه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
فما ظنك بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند
عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين
وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن
اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر
فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان ايثار
صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة
المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه انما سلطانه اي تسلطه وولاية
دعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما
كان لي عليكم من سلطان الآية وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اي يتخذونه وليا ويحبونه
ويطيعونه فان المقصود بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان مشركون فان
الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة
في الخارج بين التوكل على الله وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى
ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن
مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان ايثار
الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية
مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة
الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل
كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها

يعوذون

بدلا منها بان نسخنا هاتيها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا وان كلا من ذلك ما نزلناه الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم هاهنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره عليه السلام من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه الصلاة والسلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البت ظهورا انه نزله روح القدس عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجدد في متعلقه بانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي رضي الله عنه وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعليم من البشر بعد اماطة شبههم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما

وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتري وتعلم من البشر اي تكذيبهما على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويأمر بذلك من لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج حينئذ الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر منهم بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه بالله تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها وبيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب والذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه اذ مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا تجدي نفعا انما المجدي مقارنته الكفر الواقع به الا من كفر باكراه فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضمير بين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية فأباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول في فقال وانت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاده جوابا فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحياة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم

وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه وأولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ لا غفلة أعظم
من غفلة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما يفضي إلى العذاب
المخلد ثم إن ربك للذين هاجروا إلى دار الإسلام وهم عمار وأصحابه رضي الله عنهم أي لهم بالولاية والنصر لا عليهم
كما يوجبه ظاهر أعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لأن ويجوز أن يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز أن
ذلك خبرا لهما وكون أن الثانية تأكيدا للأولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها
الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا أي عذبوا
على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان وقرئ على بناء الفاعل أي عذبوا المؤمنين كالحضرمي
أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد إن ربك من بعدها
من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له أو من بعد الفتنة
المذكورة فهو لبيان عدم إخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم منعم عليهم مجازاة لما صنعوا من بعد وفي
التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين إيماء إلى علة الحكم وفي إضافة الرب إلى ضميره عليه السلام مع ظهور الأثر في
الطائفة المذكورة إظهار لكمال اللطف به عليه السلام وإشعار بأن إفاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة
بواسطته صلى الله عليه وسلم ولكونهم أتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر وهو يوم
القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي
وتوفى كل نفس أي تعطى وافيا كاملا ما عملت أي جزاء ما عملت بطريق إطلاق السبب على المسبب إشعارا بكمال الاتصال بين
الأجزية والأعمال وإيثار الإظهار على الإضمار لزيادة التقرير وللإيذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وإن كانا
في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون أجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم وضرب الله مثلا
قرية قيل ضرب المثل صنعه واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدي
لاثنين لتضمنه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا أولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب
عليها إذ التأخير عن الكل مخل بتجاوب أطراف النظم وتجاذبها ولأن تأخير ما حقه التقديم يورث النفس ترقبا لوروده
وتشوقا إليه لا سيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه فإن المثل مما يدعو إلى المحافظة على تفاصيل أحوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر
عند وروده لديها فضل تمكن والقرية إما محققة في الغابرين وإما مقدرة أي جعلها مثلا لأهل مكة خاصة أو لكل
قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولا أوليا
كانت آمنة ذات أمن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج أهلها مزعج يأتيها رزقها أقواتها أهلها صفة ثانية لقرية وتغيير
سبكها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من
نواحيها فكفرت أي كفر أهلها بأنعم الله أي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم
كبؤس وأبؤس والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعم قليلة حيث أوجب هذا
العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فأذاقها الله أي أذاق أهلها لباس الجوع والخوف شبه أثر الجوع والخوف وضررهما
المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها
من إدراك اللامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة
جرت مجرى الحقيقة كقول كثير • غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال • فإن الغمر مع كونه في الحقيقة
من أحوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصار قرينة لإضافة
الرداء المستعار للمعروف تجريدا أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الإحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس
الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الإحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية
وأخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ عن فقد الرزق بجامع الكراهة فأومئ إليه بأن أوقع عليه

الإذاقة المستعارة لإيصال المضار المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراك اللامسة والذائقة •
وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيما تقدم على إتيان الرزق لكونه
أنسب بالإذاقة أو لمراعاة المقارنة بينها وبين إتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه أيضا عطفا على المضاف
أو إقامة له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران
المذكور أسند ذلك إلى أهل القرية تحقيقا للأمر بعد إسناد الكفران إليها وإيقاع الإذاقة عليها إرادة للمبالغة
وفي صيغة الصنعة إيذان بأن كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء
بها لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله تعالى على
الخلق أيضا أي ولقد جاء أهل تلك القرية رسول منهم أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر
وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته وفيما أخبرهم به مما ذكر والفاء فصيحة وعدم ذكر
للإيذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فأخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما تمادوا في ذلك وهم
ظالمون أي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه
بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفران والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد
وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وبه يتم التمثيل فإن حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال أهل تلك
القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من
حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم أي رسول تحار في إدراك سمو رتبته
العقول عليه الصلاة والسلام ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فأذاقهم
الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله عليه السلام اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف
عليه السلام ما أصابهم من جدب شديد وأزمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام
المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هذا هو الذي
يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم
لأهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم وأن المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم
من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد
لهم عما يؤدي إلى مثل عاقبته والمعنى وإذ قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك
من اللتيا والتي أولا وآخرا فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام في أمره ونهيه وكلوا
مما رزقكم الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها
ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل ذريعة إلى
الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد اندرج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في أن هذا
إنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد عهد بدت مبادئه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر
ومن ذا الذي يؤمر بالأكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الإخبار بذلك قبل الوقوع
يأباه التصدي لاستصلاحهم بالأمر والنهي وتوجيه خطاب الأمر بالأكل إلى المؤمنين مع أن ما سلف خطاب
متوجه إلى الكفار كما فعل الواحدي حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق
بالتنزيل الجليل إن كنتم إياه تعبدون أي تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى
إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به تعليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أي إنما

حرم هذه الاشياء دون ما يزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة وادلّ شيا
من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم
سببه مقامه اي وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علية الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال
اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية
ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في قوله
تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا
عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل
منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان
يكون للقول المقدر حالا من السنتكم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا
حلال الخ بان تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم
بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه
يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على
الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه
من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة
قليلة ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين
حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الاية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا
وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم كانوا
يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك
التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعي عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الاية روي انه عليه
السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم
وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة
واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم اي دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم مثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية باتمامه والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان اضافة آثار الربوبية من المغفرة
والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابرهيم كان امة على حياله لحيازته
من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر ولا

ابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك
وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه
بحال ولم يك من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره ردا على كفار قريش في
قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام
كان على ما هم عليه لقوله سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة واوثرت صيغة جمع القلة
للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم
عليه من الكفر بانعم الله تعالى حسبما اشير اليه بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه
سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا
بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى التكلم
لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية
في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم
ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان
الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي
مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة
لا تضاف الا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكاد توجد مضافة الى الله تعالى ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة
الشرائع دون احادها والمراد بملته عليه السلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه
كما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور
به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه
النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته
صلى الله عليه وسلم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة
وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله
تعالى وعلى الذين هادوا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم عليه السلام كان
محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع ابرهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين
بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا
على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل
وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعبر عنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل
الوقوع ايثارا على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلة لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة
للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا
في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى
فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم

تحريم الصيد فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم
الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين **وان ربك ليحكم بينهم** اي بين الفريقين المختلفين فيه **يوم القيمة فيما كانوا**
فيه يختلفون اي يفصل بينهما بالخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء
الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي
يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد
فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف
افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على
العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان حكمه بينهم بالحكمة
بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث السبت للانذار المذكور من حكاية امر النبي صلى
الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل **ادع** اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف
المفعول للتعميم او انزل الدعوة منزلة اللازم كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل
اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجاده بخصوص **الى سبيل ربك** الى الاسلام الذي عبر
عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابرهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بدعوة الامة على التو
الحكيمي وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به عليه السلام والايماء الى وجه الحكم
ما لا يخفى **بالحكمة** اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة **والموعظة الحسنة** اي
الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة
خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا
الوصفين **وجادلهم** اي ناظر معانديهم **بالتي هي احسن** بالطريق التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق
واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل
عليه السلام **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله** الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق
بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر **وهو اعلم بالمهتدين** اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامر والمعنى
والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال
بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه
الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين وما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن
واما حصول الهداية او الضلالة والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي
اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل
الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء
الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير
وهو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه السلام
بما يختص به من شان الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل
فقال **وان عاقبتم** اي اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا **فعاقبوا بمثل ما عوقبتم**
به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان
او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حيثما الجدال الى القتال
وال من الجدال الى المراء فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه

عن القبلة المعهودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون من
بطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة
والمناظرة وارتجت بينهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة رضي الله عنه يوم احد وقد
مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم
فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في
المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكمل
فقيل **ولئن صبرتم** اي عن المعاقبة بالمثل **لهو** اي الصبر كم ذلك **خير** من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل **للصابرين**
مدحا لهم وثناء عليهم او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول
عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر عليه الصلاة والسلام صريحا
بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به
فقيل **واصبر** اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية **وما**
صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء الا بالله اي بذكره والاستغراق
في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته صلى الله عليه وسلم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه
ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غاية
جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط **ولا تحزن عليهم** اي على الكافرين بوقوع
اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول
هو الانسب بجزالة النظم الكريم **ولا تك في ضيق** بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل
اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق **مما يمكرون** اي من مكرهم
بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما
مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية
بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه وتعالى بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل
شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف عن الخوف بوقوعه **ان الله مع الذين اتقوا** تعليل لما سبق من
الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق
الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال
في قوله ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة
التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل
اليه بشراشر نفسه او هو التوقي الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه وتعالى الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين يتبتلون اليه بالكلية ويتنزهون عن كل ما يشغل سرهم
عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته والخوف من وقوعه وهو المعنى بمعية الصبر
المامور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على ان
احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم للترخص في تركها
فكيف بالصبر المشار اليه ورديفيه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر
ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اهل النعوت الجليلة ورديفه
كما ان قوله تعالى **والذين هم محسنون** للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما
فصل لك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وتنبيه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل

من الاشيا

الإحسان في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال
على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن
تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولاية
سبحانه وتعالى من غير أن يكون أحدهما تتمة للأخرى وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية
اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على
التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين والمحسنين وهو صلى الله عليه وسلم داخل في زمرتهم دخولا
أوليا وإما هو صلى الله عليه وسلم ومن تابعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه
رمز إلى أن صنيعه صلى الله عليه وسلم مستتبع لاقتداء الأمة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند
التعزية ۝ اصبر نكن بك صابرين فإنما ● صبر الرعية عند صبر الرأس ● وعن هرم بن حيان أنه قيل له
حين الاحتضار أوص قال إنما الوصية من المال وأنا أوصيكم بخواتيم سورة النحل عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا فإن من مات في يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر
كالذي مات وأحسن الوصية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وهو على كل شيء قدير

سورة الإسراء مائة وإحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى
معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن إضافته من قبيل ما في زيد العادل أو حاتم وانتصابه بفعل متروك الإظهار
تقديره أسبح الله سبحانه الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي
هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح الجري ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع
الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث إضافة التنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة
بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى والإسراء السير بالليل خاصة
كالسرى به وقوله تعالى ليلا لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالته على
البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته زمان سيرك
من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت سرت بالليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له
ويؤيده قراءة من الليل أي بعضه وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك الغاية
الغايات القاصية ونهاية النهايات الغائية حسبما يلوح به إضافة الإسراء ومنتهاه وإضافة التنزيه والتنزه وإلى
الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه
عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام بعينه اختلف في مبدأ الإسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه
روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني
جبريل عليه السلام بالبراق وقيل دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه
به أو لأن الحرم كله مسجد فإنه روي عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء
فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبثت بثوبه صلى الله عليه وسلم لتمنعه خشية أن يكذبه القوم
قال صلى الله عليه وسلم وإن كذبوني فلما خرج جلس إليه أبو جهل فأخبره صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء فقال
أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلموا فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتد رجال

ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك
قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس
فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها
وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال
قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال ثم لم يؤمنوا
قاتلهم الله أنى يؤفكون واختلف في وقته أيضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة
واختلف أيضا أنه في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الأقاويل بخلافه والحق أنه كان في المنام
قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف أيضا أنه كان جسمانيا أو روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية أنه قال إنما عرج بروحه والحق أنه
كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فإن الروحاني ليس بالاستبعاد والاستنكار
وخرق العادة بهذه المثابة تعجب منه قريش وأحالوه ولا استحالة فيه فإنه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر
الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى طرفها الأعلى بحركة فلكها الأعظم مع مقاومة فلكها له
في أقل من ثانية وقد تقرر أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض التي من جملتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على ما
يحيط به حيطة الإمكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما
يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة إلى المسجد الأقصى أي بيت المقدس سمي به إذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك
من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام لنريه غاية للإسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر
ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول إلى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية
صلى الله عليهم وسلم جميعا والالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء إنه هو السميع
مراتبه لأقواله صلى الله عليه وسلم بلا أذن البصير بأفعاله بلا أجفان حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه إيماء
إلى أن الإسراء المذكور ليس إلا لتكرمته صلى الله عليه وسلم ورفع منزلته والإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة
إلى التقريب والالتفات إلى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب وجعلناه أي التوراة وفيه إيماء إلى دعوته
عليه السلام الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الأمرين المتحدين في المعنى ولم يذكر هنا العروج بالنبي صلى الله عليه
وسلم إلى السماء وما كان فيه مما لا يكتنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للإسراء إلى قبول السامعين أي آتينا التوراة
ما أسرينا به إلى الطور هدى أي ذلك الكتاب لبني إسرائيل يهتدون بما في مطاويه ألا تتخذوا أي بأن لا تتخذوا من دوني
وكيلا أي ربا تكلون إليه أموركم والإفراد لأن فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على
الاختصاص أو النداء على قراءة النهي تأكيدا للحمل على التذكر للتوحيد بتذكير إنعامه تعالى عليهم في ضمن إنجاء آبائهم
من الغرق في سفينة نوح عليه السلام أو على أنه أحد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النهي ومن دوني حال من وكيلا فيكون
كقوله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو
لا تتخذوا بإبدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال إنه أي إن نوحا
عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام
وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفر وقيل الضمير لموسى عليه السلام
وقضينا أي أنهينا وأوحينا منزلين إلى بني إسرائيل أي موحين إليهم في الكتاب أي في التوراة فإن الإنزال والوحي إلى
موسى عليه السلام إنزال ووحي إليهم لتفسدن في الأرض جواب قسم محذوف أو أجري القضاء المحتوم مجرى القسم كأنه
قيل وأقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه أو لإفسادين أولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه السلام

وجيش ارمياء حين اندرس بحط الله تعالى وفي الثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا
كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه وتعالى او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا
للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم
بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده
وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء المهملة واحدة وقرئ
وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التوراة
واخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان
وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين
فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر
واستنقاذ بني اسرائيل اساراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده
كشتاسف بن لهراسب القى الله في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل قتل داود عليه السلام جالوت وامددناكم باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم
وبنين بعدما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعين ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم
او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال صالحة في انفسها وان
تعلمتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اساتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ولم
التسوء الذاتي او تعلمتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه
وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة كان وقت ما وعد به من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة
ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها آثار الاساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت
وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء وجوهكم على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة في قراءة علي
رضي الله عنه ولنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا
المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من
ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدا الدم فقال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك لاجلك فاهدا باذن الله فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم عليه من الفساد مرة اخرى عدنا
الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة
ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة
مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير
وانما عدل عن ان يقال وجعلنا لكم جهنم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا
القرآن الذي آتيناه لك يهدي اي الناس كافة لا لفرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى للتي للطريقة
التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واشدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها
ولحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد
ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل

فانه مخصوص بالمؤمنين ويبشر المؤمنين اي بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون
الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بان لهم مقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر امثالها
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا
به لكونه معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبا عنه قوله تعالى
اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا
اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافزع والجملة معطوفة على جملة يبشر
باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة تحت التبشير المراد به مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار
وبالنبا الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه
والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدي
الشر وحال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال البعض فرادة او حكي عنه
حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان بالخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر
الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه
حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية ومن قال فائتنا بما تعدنا الآية الى غير ذلك
مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير
المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء
المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا
محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالكم محمل العجولية والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الاعمال
والثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعوه ويدعو الله تعالى باللعنة على نفسه واهله
وماله بما يشر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا يضجر لا يتاني الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه صلى الله عليه وسلم دفع
الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل لالم القيد فهرب فلما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة ان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان
بعض ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحد منها برهان نير لا ريب فيه
ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت
من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب
الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وبه تظهر غرر الشهور [illegible]
[illegible]
[illegible] فمحونا آية الليل [illegible]
[illegible]
[illegible] وجعلنا آية
النهار مبصرة [illegible]
[illegible]

نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق كما هو معنى المحو والفا للتعقيب وجعل الشمس مبصرة اي جعلها مضيئة بالذات
ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة **لتبتغوا** متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اي وجعلناها مضيئة
لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار كما اشير اليه **فضلا من ربكم** اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل
وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق
تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية **ولتعلموا** متعلق بكلا الفعلين
اي بمحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدار العلم المذكور اي لتعلموا باختلافهما او
الجديدين او بتبيينهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما ذاتا واوضاعهما وسائر احوالهما **عدد السنين**
التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات
اي الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما
الذي تعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها
وتحصلها من عدة اشهر وتحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل واحد من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها اي بعينها من غير ان يعتبر في ذلك تحصيل شيء معين وتحققه بما
في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث تحصل بطائفة معينة منها حد معين
له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليه العدد وعلق الحساب باعدادها مما اعتبر فيه تحصيل مراتب معينة لها اسام
خاصة واحكام مستقلة وتحصل مرتبة الاعداد من العشرات والمات والالوف اعتباري لا يحصل بعد في تحصيل المعدود
وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب مما
تضاعيف السنين من الاوقات ولان العلم المتعلق به الحساب تفصيلا ولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل
شيء حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه منزلة البسيط من المركب ولان العلم بالاول اقدم من الثاني فكان جديرا بالتقديم
في مقام الامتنان والله تعالى اعلم **وكل شيء** تفتقرون اليه في المعاش والمعاد بالاول اعني المراتب سوى ما ذكر من جعل
الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل مضمر يفسره قوله تعالى **فصلناه تفصيلا**
اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس فيه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا
للتي هي اقوم ظهورا بينا **وكل انسان الزمناه طائره** اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طائر اليه
من عش الغيب او وكر القدر وما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه من العلم الذي من قولهم طار له
سهم كذا **في عنقه** تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة
او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون **ونخرج** بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز
وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج **له يوم القيمة** والبعث للحساب **كتابا** مسطورا فيه ما ذكر من عمله
نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين وحال من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال
من المستتر في الفعل من ضمير الطائر **يلقاه** اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان **منشورا** وهما صفتان للكتاب فان الاول
صفة والثاني حال منه وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقاه الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان
فهما عن يمينك وشمالك فاما الذي عن يسارك يحفظ عن يسارك سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفته وجعلت معك
في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة **اقرأ كتابك** اي قائلين له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا
وقيل المراد بالكتاب نفسه المتنقشة باثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر الروح
امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى واذا انقطعت علاقته عن
البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت الى العالم العلوي
فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة **كفى**

بنفسك اليوم عليك حسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا
او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه
الرجال المبني على ان المراد بالنفس الشخص على انها عبارة عن النفس المذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور
فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير **من اهتدى فانما يهتدي لنفسه** فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا
لاقوم الطرق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما
نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد **ومن ضل** عن الطريقة التي
تهديه اليها **فانما يضل عليها** اي فانما وبال الضلالة عليها لا على من عداه ممن يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه
ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص
النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها وهذا تحقيق لكل انسان
الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الآية ولتحملن
من حمل وزر الغير وانتفاعه بحمله وتضرره بسببه فان جزاء الحسنة والسيئة كذلك جزاء الضلال مقصور على انفسنا
وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا
يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم **وما كنا معذبين** بيان للعنايات الربانية
اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام
منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا بنفس
اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل **حتى نبعث اليهم رسولا** يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال و
يقيم الحجج ويمهد الشرائع حتما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قال الشيخ
ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي لا يمكن نوعه بعد
البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسوق والعصيان الا ترى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم
ما حل بهم الفتنة وقوله تعالى **واذا اردنا ان نهلك قرية** بيان لكيفية وقوع العذاب بعد البعثة التي جعلت غاية
صحة وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد والارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في
وقته المقدر اذ لا يقارنه الجزاء الآتي لدنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا اردنا ان نعلق ارادتنا
باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنو وقت اقتضته الحكمة
من غير ان يكون له حد معين **امرنا** بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها **مترفيها** متنعميها وجبابرتها وملوكها الا
به لما ظهر ان المراد الى الكل لانهم الاصول بالحق والجزاء الله لا بالامر بالحق الا سيما بعد ذكر هداية القرآن
لما يهدي اليه واما لان المراد واحد منها كما يقال فلان يعطي ويمنع **ففسقوا فيها** اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا **فحق**
عليها القول اي كلمة العذاب السابق حلوله اذ بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيه **فدمرناها** بتدمير اهلها
تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب بان
صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير
المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من
الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلالة والحث على الاهتداء فان يؤدي ذلك الى ان
طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة بطرتهم وحملهم على الفسق حملا حقيقيا تعبر
عندنا الا مريه **وكم اهلكنا** اي كثيرا ما اهلكنا **من القرون** بيان لكم وتمييز لهم والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم
وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وتدايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش
قرنا فعاش مائة او مائة وعشرين **من بعد نوح** من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت

احوالهم في القرآن العظيم ومن لم يتعرض لعدم نظم قومه عليه السلام رمزا الى كريم وكفى بربك اي كفى ربك
بذنوب عباده خبيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات
والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث
والامر وما يتلوهما من ضعتهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع
الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال
البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب وباعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر
الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد
معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد
بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد
له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها لكن الاول انسب لقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحيوة استمرارها من جملة ما
عجل له فالانسب بذلك كله من ذلك كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما نشاء تعجيله
من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى
الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله تعالى وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو
واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي يدور عليها فلك التكوين لا تقتضي
وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل طالب لطلبته بتمامه واما ما ترى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة عمله فقد اشير الى
تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب
يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في
الغنائم ونحوها ويأباه ما نقل ان السورة مكية سوى آيات بعينه ومن اراد باعماله الآخرة الدار الآخرة
وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب
بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه
وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة للموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمع لمراعاة
جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال
الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى احسن القبول مثابا
عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينة اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد
من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيقي بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد اخرى بحيث يكون الآنف مددا للسالف
وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما عد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي
وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما يلوح عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى
هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم والاشارة متعرضة
لذات المشار اليه وما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف وتنويه
كونه افراد الفريق الاخير وتأكيدا للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع
بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهار المزيد الاعتناء بشأنه واشعارا

بعلته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه
ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين
للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب
على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطايا بالتنبيه على استحضار مراتب احوال العطايا
والاستدلال بها على مراتب الاخرى اي انظر نظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا
العاجلة في وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك وتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة
ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة
اذ هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر اكبر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية لا يقادر
قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد
بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص
ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم
اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق
الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك
العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول
تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي لكون القصر لدفع توهم اختصاص
الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم له فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله
الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح
للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة
او بمعنى العجز من قعد فيه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين
والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ
ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او لا ناهية
على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة وبالوالدين احسانا اي وبان تحسنوا بهما او احسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر
للوجود والتعيش [illegible] اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة
لتأكيدها [illegible]
التاخير عنه للتشويق الى وروده فان مدار تضاعف الرعاية والاحسان [illegible] احدهما فاعل للفعل وكلاهما عطف عليه
[illegible]
[illegible]
[illegible] فلا تقل لهما اف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تنهرهما [illegible] وقل لهما قولا كريما
ذا كرم [illegible]
[illegible] يا ابتاه ويا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام [illegible]

الكفر ولا يدعوهما باسمهما فانه من سوء الادب وديدن الوقاحة وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم
الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا ترى منهما مخالفة في ظاهر ولا باطن وان
تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر
ان يصل الرجل اهل ود ابيه **واخفض لهما جناح الذل** عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما
لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل وجعل للذل جناح كما جعل اليد في قوله • وغداة ريح قد كشفت
وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للغداة زماما وللشمال يدا تشبيها بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة
عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما يفعله الغراب فلا يناسب المقام **من الرحمة** من فرط رحمتك
وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما فلا تكتف برحمتك الفانية بل
ادعوا الله تعالى برحمته الواسعة الباقية **وقل رب ارحمهما** برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها
الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما **كما ربياني** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة
مثل تربيتهما ومثل رحمتهما علي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين
والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل قل رب ارحمهما وربهما كما رحماني
وربياني **صغيرا** ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر مما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها
بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى في رضى الوالدين
وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة وقال
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر افقضيتهما حقهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا
الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال ٥

غذوتك مولودا ومنتك يافعا • تعل بما اجني عليك وتنهل •
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت • لسقمك الا باكيا اتململ •
كأني انا المطروق دونك بالذي • طرقت به دوني وعيني تهمل •
فلما بلغت السن والغاية التي • اليها مدى ما كنت فيك اؤمل •
جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك انت المنعم المتفضل •
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي • فعلت كما الجار المجاور يفعل

فقال انت ومالك لابيك **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من البر والعقوق **ان تكونوا صالحين** قاصدين للصلاح
والبر دون العقوق والفساد **فانه** تعالى **كان للاوابين** اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو
عنه البشر **غفورا** لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر
بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا **وآت ذا القربى** اي ذا
القرابة **حقه** توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله
تعالى **والمسكين وابن السبيل** فان المأمور به في حقهما المواساة المالية اي آتهما ما كان مفترضا بمكة وكذا النهي عن
التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية **ولا تبذر تبذيرا** نهي عن صرف المال
الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مؤذن بتفريق جهات والقائها كيفما
كانت من غير تعهد لمواقعه عن الاكثار في صرفه في وجوهه والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد
نهي عنه في قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلاهما مذموم **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** تعليل

للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه
من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا
اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون
اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من الملاهي والمناهي والمقارنة او قرناءهم في النار على سبيل الوعيد **وكان**
الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله
تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على
الكفر بالله تعالى وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله به وتخصيص هذا الوصف بالذكر
من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب
الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه
فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفر ونهاية الضلال والطغيان **واما**
تعرضن عنهم اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين **ابتغاء رحمة من ربك** اي لفقد رزق من ربك
اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء **ترجوها** من الله تعالى لتعطيهم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم
الوحشة بسكوته صلى الله عليه وسلم فقيل **فقل لهم قولا ميسورا** سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو
سعد وقيل او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم **ولا تجعل يدك مغلولة**
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيل لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد
وكلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح والاسراف مقارنا له معلوما من اول الامر روعي في ذلك النظم
بابتح الصور ولما كان غاية الاسراف في آخره بين اثره في تبعه فقيل **فتقعد ملوما** اي فتصير ملوما عند الله وعند
نفسك اذا اصبحت وندمت على ما فعلت **محسورا** نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه
وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان
امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال
وانتظر فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه صلى الله عليه
وسلم اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصين الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع •
وما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع •
وما كنت دون امرئ منهم • ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب
فنزلت **ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** تعليل للامر اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما
تتعلق به مشيئته البالغة الحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او سد ما
في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم
فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقدر من امر الله العالم بالسرائر والظواهر
الذي بيده خزائن السموات والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر
حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية**
املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يقتلون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك **نحن نرزقهم واياكم**
لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور

بابطال توجيه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار بان ايهم
في افاضة الرزق اولا لبا اعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع
ولذلك قيل خشية املاق وكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا
الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل اخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب يقال اخطأ
خطأ واثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد
وبفتحها ممدودا وبفتحهما وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة
فضلا عن مباشرته وانما نهي عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع
الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه
قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة
عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن
كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه مثل الظلة فاذا انقلع رجع
اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء
ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا والاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وملتبسين
او ملتبسة بحق من الاشيا ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما
بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له
القصاص يقتص له ولا يفيده قول الوالي انا امرته بذلك اذا لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره
الوارث والسلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية
حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ لا يسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز
الحد المشروع بان يزيد عليه القتلة او بان يقتل غير القاتل او من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد
كما تفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل مع مادة الدية وقرئ بصيغة النهي مبالغة في افادة معنى
النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب القصاص والدية
وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبتغ ما وراء حقه ولا يستبد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او
للمقتول ظلما على انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل
ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة ولا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى
الولي او المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضه لها بالهلاك العاجل والاجل لا الاسراف
وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل
الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق
وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء
لا للتوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء
بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الذي
كالكيل والوزن ان العهد كان اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد

المنتظم للعهد المعهود مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في
اسم المفعول لقوله تعالى وذلك يوم مشهود ونظيره ما في قوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم على ان اصل الحكيم
قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه قيل للعهد
لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه
اذا كلتم لغيركم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا
حاجة في الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون
وقيل الميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لانتظام المعربات في سلك الكلم
العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان
عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الالة كما ان الاكتفاء
بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا كما في قوله تعالى واوفوا
الكيل والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته
والذكر الجميل بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من الال اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع
من قفا اثره اذا تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اقتفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن
من اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به بعض منكري العمل بالظن
وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله في هذا المعنى مما لا
ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب •
• ولا اقفو الحواصن ان قفينا • ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة
عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على
اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلتين جاء لغيرهم ايضا قال • ذم المنازل بعد
منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام • كان عنه مسؤولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على
ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان
يقال كنت مسؤولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا
وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل
اذا كان جارا او مجرورا وجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا
كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وقد جوز ان يكون مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون
فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب الرغبا بمعنى يفعل الرغبة
كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه
عنه مسؤولا او مسؤولا صاحبه ولا تمش في الارض التكرير لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق
بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ
بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها
اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى
يكون لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة او بعظم الجثة وكلاهما مفقود وعليه تعريض بما عليه المختال
من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال
الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهو اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها غير مرضي او غير مراد بالارادة

الازلية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه ومعنى كونه لجميع
الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى
كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون ان يوجهها اليه ابتداء لما ان البعض
المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك
ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة
الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ
به او جرى على موصوف مذكور اي امرا مكروها واجري مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية فيجوز كونه حالا من
المستكن في كان في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيآته وقرئ سيآنه ذلك الذي تقدم من التكاليف المفصلة
مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق والعمل به او من الاحكام
المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات لثمانية عشر كانت في الواح
موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية وهي عشر آيات في
التورية ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من عائده
المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها آخر خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اذ لا يتصور منه صدور المنهي عنه وتكرير للتنبيه على ان التوحيد مبدأ
الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لا تنفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك
بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو غاية الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه هٰهنا
غاية نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة
الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ
بكفه فيطرحها في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله
سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على
جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله
الانثى وفي قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد هٰهنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتأكيده وأشير
بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة اخرى لهم وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالا
نوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى
مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه
لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال
وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه
انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس الاولاد وتفضلون عليهم
باخس اوصاف الحيوانات فيا لها من خلة ما افحشها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه
في هذا القرآن على وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف
ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم
ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم
المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا التصريف فيه
كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد يجوز ان يراد به ابطال اضافة البنات اليه تعالى على ان ينتظم ان ابطالها من اثر
القرآن ونتائجه وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا

عن التذكر المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان
معه تعالى آلهة كما تقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة
والمطابقة اذا لابتغوا جوابا عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية
على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من
حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث
لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي ننزهه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من
العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا
كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه وتعالى في اقصى غايات الوجود وهو الوجود الذاتي وما يقولونه
من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه
واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ
الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه آلهة ولا ريب ان ذلك ليس ادخل في الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود
انما هو بالنسبة الى من شأنه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض
ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق
عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان
الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل
دلالة واضحة على ان له صانعا عالما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون كون
لذكركم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما
فلذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة
على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه
ودعوتهم الى العمل بما فيه ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم
الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واما تخصيص
بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في
القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه
من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه عظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا او
الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي
لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول
الله لقد اقبلت هذه وانا اخاف ان تراك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله
عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا
ستر كما في قولهم سيل مفعم اي مستور عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا
حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية كثيرة ان يفقهوه مفعول لاجله اي
كراهة ان يفقهوه او لئلا يفقهوه لا لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله
تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم

بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جعلها بابًا بالعدم فيتبعهم
لتسبيح لسان المقالة ايذانًا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا من غيره في يعتريه التشاعر
فيطلها وبينها على انه لم هذا اقبح من السابق لاحكاته لما قالوه وتلوينًا في اكنة مما تدعونا الايه كنفه لا وقد
صدعهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من تصاممهما وصمام
مانعة من التصديق نوع الايمان بكون القرآن شعرًا وسحرًا واساطير ومن عليه وال النبي صلى الله عليه وسلم الا الا
بان هنا لك امرا اوراما ادركوه بما لا بكاد يليق بالمقام وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ واحدا غير مشفوع
به الهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال صلة بحد وحده وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ اي هربوا ونفروا نُفُورًا اي قولوا
نافرين نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه
صلى الله عليه وسلم رجلان من بني عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ طرف لا علم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم
الان العلم يستفاد من احد وكذا قوله تعالى وَإِذْ هُمْ نَجْوَى لكن من حيث تعلقه بما به التناجي المدلول عليه بسياق
النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم
والاول ظرف لما يستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير وبما به التناجي
وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون وانما وضع الظالمون موضع
المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم إِنْ تَتَّبِعُونَ اي ما تتبعون
ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللهو والهزء إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة
يتنفس اي بشرا مثلكم انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فَضَلُّوا في جميع ذلك
عن منهاج الحاجة فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في
بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وَقَالُوا أَإِذَا
كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كاستحالة الامرين من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به
والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية
وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل
فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد
الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم
أَإِنَّا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد ما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار
التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية في الفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا
كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحال
وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خَلْقًا جَدِيدًا نصب على المصدر
من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قُلْ جوابا لهم وتقريبا كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا
مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ويعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون
ومعادون لا محالة فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قُلِ
لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الَّذِي اي يعيدكم القادر العظيم الذي

فَطَرَكُمْ اخترعكم أَوَّلَ مَرَّةٍ من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة اليس الذي
يقدر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا وَيَقُولُونَ استهزاء مَتَى هُوَ اي ما ذكرته من الاعادة قُلْ لهم عَسَى أَنْ يَكُونَ
ذلك قَرِيبًا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها النصب
على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او وقوعه في
زمان قريب يَوْمَ يَدْعُوكُمْ منصوب بفعل مضمر اي اذكر او على انه بدل من قريبا او على انه ظرف ليكون
تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظرف او مضمر المصدر المستكن في عسى ان يكون
اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير ۞ وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ۞ وما هو
عنها بالحديث المرجم ۞ فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فَتَسْتَجِيبُونَ اي يوم يبعثكم وقد
استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود الاحضار للمحاسبة والجواب بِحَمْدِهِ حال من ضمير
تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها
ومعاينة احكامها وَتَظُنُّونَ عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة إِنْ لَبِثْتُمْ اي ما لبثتم
في القبور إِلَّا قَلِيلًا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وَقُلْ لِعِبَادِي اي المؤمنين يَقُولُوا عند محاورتهم مع
المشركين الَّتِي اي الكلمة التي هِيَ أَحْسَنُ ولا يخاشنوهم كقوله تعالى وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ اي يفسد ويهيج الشر والمراد يغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشارة والمعاورة والمغا
فلعل ذلك يؤدي الى تأكيد العناد وتمادي الفساد إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا فهو تعليل لما سبق
من ان الشيطان ينزغ بينهم رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ بالتوفيق للايمان أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ بالاماتة
على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر شتمه رجل فامره بالعفو
وقيل افرط في اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان
يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة
التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته ورسالته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا
بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه وان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في
السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية بكثرة
الاموال والاتباع وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك
والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم بعثته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور
فان المراد بعبادي الله الصالحين في قوله تعالى أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته
وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول كالحلوب او المصدر بمعناه كالقبول واما لان
المراد ايتاء داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع
زبر بمعنى مزبور قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ انها آلهة مِنْ دُونِهِ تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فَلَا يَمْلِكُونَ
فلا يستطيعون كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك وَلَا تَحْوِيلًا اي ولا تحويله الى غيركم
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ اي اولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين يَبْتَغُونَ يطلبون لانفسهم

الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة
اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون
اقرب الى الله تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من
كشف الضر عن الالهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل واحد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام
وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب فان بينهم
وبينه بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم عذابه بما لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والانبياء
عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية
من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا
من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك في صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس من الدلالة على
التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق
العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا
شديدا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط مما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية
ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى
العاتية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له وهذا وقيل
الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة
فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق واما خراسان
فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة
امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية امنة حتى تخرب مصر ومصر امنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة
الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس
من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق
من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب
البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من
قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة
وخراب المدينة من الجوع وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخر قرية من قرى الاسلام خرابا
المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السياق والسباق وما
منعنا ان نرسل بالايات اي الايات التي اقترحها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب
بها الاولون استثناء من اعم الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى لها
فان كان لخشيته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع من ذلك التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه
تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب
الاخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائهم الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان
منافيا للارسال لما اقترحوه من الايات لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من
عقوبات هذه الامة الى الاخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على
نهج الاستعارة ايذانا بتساقط ما سوى الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده صلى الله عليه وسلم
بالمعجزات وهو السر في الارسال الخافية من الاشعار بتداعي الايات الى النزول لولا ان تمسكها بذلك التقدير

واسناد

واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الاخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم الاية لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج والالزام بانهم داروا الاجابة الى مقترحهم لعل الامنهم
وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل فما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الايات الباهرة وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل
اي بينة ذات ابصار او بصائر يريد ركبها الناس او اسند اليها حال من شاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر
من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من
العقر وظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم
من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج
من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا
لمن ارسلت عليهم لما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم مثل ما فعل فلا
محل الجملة حينئذ من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي ظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا
نرسل بالايات التي من جملتها الاخرى تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية
والمستقبلة من الكفر والتكذيب في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى اخر
الاية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الايات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة
للعادة منزلة من جناب الله تعالى لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان
تكذيب الاخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالايات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها
وبين الرؤيا او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك عيانا مع كونها
اية عظيمة واية اية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد
بعضهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها
عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا
ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر لقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية
عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل
تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجرة نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القران
كذلك ونخوفهم بذلك ونظائرها من الايات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على
التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الايات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى
الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الايات التي اقترحوها لكون
انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى
بها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف قد احاط بالناس
فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من
تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا

لامرك وفوراً في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر بالماضي مع كونه منتظراً حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى سيهزم الجمع الاية وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الاية وغير ذلك جرياً على عادته سبحانه في
واولت الرؤيا بما رآه صلى الله عليه وسلم في المنام من مصارعهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما ورد ماء بدر
قال والله كاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به
قريش فاستسخروا منه وبما رآه صلى الله عليه وسلم من انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون
الحديبية ولعل ذلك عند من ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعاً بمكة وذكروا الرؤيا
وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة واستخبر بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعاً بعد ازديادهم طغياناً
متوقعاً غير واقع عند نزول الاية وقد قيل الرؤيا ما رآه صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر من قوله تعالى اذ يريكهم
الله في منامك قليلاً ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس
واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون
ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الاية وبيان من حال الملائكة الذين هم من عيسى وعزير عليهما
السلام وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس من معاند الحق ومخالف الحق اي واذكر وقت
قولنا لهم اسجدوا لادم تحية وتكريماً له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالاً للامر و
صلى الله عليه وسلم الا ابليس وكان داخلاً في زمرتهم مندرجاً تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله تعالى
سلطانه يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر أأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طيناً فنصب على نزع الخافض
اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او نفس الموصول اي اسجد له واصله طين والتعبير
عنه صلى الله عليه وسلم بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد
الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء
بما ذكر في مواضع اخر وفي توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل
على غيره بل على قوله تعالى فاخرج منها الاية بعد قوله ومن يقنط من رحمة ربه الاية أرايتك هذا الذي كرمت
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة
عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدا محذوف وعند حرف الاستفهام
والموصول مع صلته صفته ومقصوده الاستحقار اي اخبرني هذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك اتاملت
كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتني حياً الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام
موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما
عليها اكلاً اي لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قوياً من قولهم حنكت الدابة او احتنكتها اذا
جعلت في حنكها الاسفل حبلاً تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تيسر
ذلك الطلب له تلقياً من جهة الملائكة عليهم السلام او استنباطاً من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء او توسماً من خلقه الا قليلاً منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشانك الذي
اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم
تغليب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفوراً اي جزاء مكملاً من قولك فر لصاحبك عرضه فرة
وقد نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة
لقوله موفوراً واستفزز اي استخف من استطعت منهم اي تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب
عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل

العبث

العبث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلاً ورجلاً من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل
في معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل
بمعنى فاعل ككتف وتاجر وبضمه مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ ورجالك
ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار
اوقع على قوم فصوت بهم صوتاً يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالته
ورجاله حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا
ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل
بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال
على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غروراً اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات
الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته
للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس
منهم فان الاضافة اليه لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله
تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا الاية وكفى بربك وكيلاً لهم يتوكلون عليه ويعتمدون به في الخلاص عن اغوائك
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار
بكيفيته تعالى اياهم بسلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدا وخبر والازجاء السوق
حالاً بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه
الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل
التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ولابتغاء
رحيماً حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الايتاء لاجلال
الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان الرحمة [illegible] واذا مسكم الضر
في البحر خوف الغرق ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم [illegible]
غيرهم الا اياه [illegible]
[illegible] فلما نجاكم الى البر اعرضتم [illegible]
[illegible] وكان الانسان كفوراً [illegible]
[illegible] افامنتم [illegible]
[illegible] ان يخسف بكم جانب البر [illegible]
[illegible]
[illegible] او يرسل عليكم حاصباً [illegible]
ثم لا تجدوا لكم وكيلاً [illegible] ام امنتم ان يعيدكم
فيه [illegible] تارة اخرى [illegible]
[illegible]
[illegible]
من الريح [illegible]
[illegible] فيغرقكم بما كفرتم [illegible]
[illegible] ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً

مضمونه

[illegible]

بما فعلنا وتركا للتأثر من جهتنا كقوله سبحانه وتعالى ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا
لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات
وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه
الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول
له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت
له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول
هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما
يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز
الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان
يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي
لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم ارباب العقول المحضة وانما استثني
جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على تفضيلهم بالمعنى المتنازع
فيه فان المراد بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل
في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه وتعالى ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان
ما هو المراد بالمفضلين بان استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم
من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد
من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا كيف لا وهم ادنى من كل حيوان بنص قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار
اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب
الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى
او ضميره وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره
كما في يدعى كل اناس من بني آدم الذي فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان
تفاوت احوالهم في الآخرة حسب تفاوت احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا
به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب
كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم
اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك
المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه بابانة خطر الكتاب المؤتى وتشريف الصاحب وتبشيره من اول الامر
بما فيه مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل واشعارا بان قراءتهم
لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة
درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرؤون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا
بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم
بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة
ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة
لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل
ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم

يحيط به
م

ندعو

ندعوا اعمى كذلك اذ لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني
بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو بكر وابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل
سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله
بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن
المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كقوله تعالى واما ان كان
من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علية حال الفريق الاول وقد ذكر في
احد الجانبين السبب وفي الآخر المسبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الآية وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا
قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا آية رحمة آية عذاب آية رحمة او قالوا لا
نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او
قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان
ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل
اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
العصمة فمنعتك ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه صلى
الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا قاربت ان
تركن اليهم ادنى ركنة اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف
ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف
من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ
لا يلبثوا بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا
الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود
حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا
فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اي سن الله تعالى
سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها
سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس
لزوالها كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل
فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلاث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت

صلاة العشا وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار اقامة كل صلاة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفا ببيان المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشا والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق فقيل **وقران الفجر** اي صلاة الفجر بالنصب عطفا على مفعول اقم او على الاغرا قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراة في صلاة الفجر **ان قران الفجر** اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به **كان مشهودا** تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وشواهد القدرة من تبدل الضيا والظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر **ومن الليل** قيل هو نصب على الاغرا اي الزم بعض الليل وقيل المعنى بمحرما ولا يخفى نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع معناها التبعيض ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل **فتهجد به** اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجي للازالة كالتحرج والتحنث والتاثم ونظائرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياي فارهبون **نافلة لك** فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم على ما قال مجاهد والسدي فانه صلى الله عليه وسلم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدر بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه اي تنفل نافلة تهجد فانه في ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي حصل في ذلك البعض نافلة لك **عسى ان يبعثك ربك** الذي يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة **مقاما** نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او بتضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام **محمودا** عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت **وقل رب ادخلني** اي القبر **مدخل صدق** اي ادخالا مرضيا **واخرجني** اي منه عند البعث **مخرج صدق** اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعا بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود

لكون الادخال هو المقصود وقيل ادخاله صلى الله عليه وسلم ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحتا او مجلف اي لم تدع فلم يبق **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل والله يعصمك الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض **وقل جاء الحق** اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ **وزهق الباطل** اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج **ان الباطل** كائنا ما كان **كان زهوقا** اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهي عدة كريمة باجابة الدعا بالسلطان النصير الذي لعنه عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره **وننزل من القران** وقرئ ننزل من الانزال **ما هو شفا** لما في الصدور من ادوا الريب واسقام الاوهام **ورحمة للمؤمنين** به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدوا الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتنا فان كل القران كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعيه الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك فيمن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدوا الشافي المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفا الجسماني كما في الفاتحة وايات الشفا لا يساعده قوله سبحانه وتعالى **ولا يزيد الظالمين** اي لا يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشيا في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفا من الاسقام **الا خسارا** اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصا كما قيل فان ما بهم من الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبي عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايما الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية في اثنا الاهتدا والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك بسو صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفا والهلاك **واذا انعمنا على الانسان** بالصحة والنعمة **اعرض** عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر **ونأى** عن طاعتنا **بجانبه** اي تباعد عن الجانب او لوى عنه عطفه لانه من ديدن المستكبرين **واذا مسه الشر** من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك **كان يؤوسا** شديد الياس من رحمتنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعا عريض ونظائره فان ذلك شان بعض اخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء على القلب كما يقال راء في راى واما على انه بمعنى نهض **قل كل** اي كل احد منكم ممن هو على هدى او على ضلال **يعمل على شاكلته** طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه **فربكم** الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة **اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اي اسد طريقا واقوم منهاجا وقد فسرت المشاكلة بالطبيعة والعادة والدين **ويسالونك عن الروح** الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدا حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة **قل الروح** الظاهر ان

مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشأنه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص
العلمي لا للايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف
اليه اي هو مما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من
العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب فقال صلى الله عليه وسلم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لسوء فهمهم
فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما نيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى علم الله
لا نهاية له من معلوماته سبحانه وتعالى قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان وهو من الابداعيات
الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وما له
انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه وتعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له الآية
فان ذلك عبارة عن سرعة الكون سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه
دائرة البشر وانما الممكن هو القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا
علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك من فقد حسا فقد
فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على
السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني فمع
عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم ح وقد اخر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم
روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها
وتبناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما
لشأنه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة
للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد بالذهاب به المحو من
المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون
الصلاة وليصلين قوم لا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا
برفع المصاحف وينزع ما في الصدور ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من الاخلال
بتقدير قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو احل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال
الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه
الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت
بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لكونه من
عند الله تعالى لبيهما الامر غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد
الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا من ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون
بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان
وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جواب الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون

الشرط ماضيا كما في قول زهير • وان اتاه خليل يوم مسألة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وحيث كان المراد
بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم
على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم
ظهيرا ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله
حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد
كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال
المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ
لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن بمعنى ان الاتيان بمثله مما لا شبهة
فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء
مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ورسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت
الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس
اوثر الاظهار على الاضمار توكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح
ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه
دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا
حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة
متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك
حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من
عب الماء اذ زخر او تكون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ
عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ
بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا
لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير
والمعاشر او كفيلا لاتشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبيلا
كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن
لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه [illegible]
جابر قال عبد الله بن ابي امية [illegible]
معه اربعة من الملائكة يشهدون لك [illegible]
ولو اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة [illegible]
من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل [illegible]
الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السماوات يتفطرن منها [illegible] سبحان ربي [illegible]
[illegible] هل كنت الا بشرا رسولا [illegible]
[illegible] وما منع [illegible]

الناس اي الذي حكت اباطيلهم أن يؤمنوا مفعول ثان لمنع او يؤمنوا وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا
اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن او بنبوتك وما منعهم ان يؤمنوا
بذلك وقت ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع الا قولهم أبعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون
رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل
للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه اول قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم
ومصداق وعند حصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لما انه هو المانع بحسب الحال
اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم
شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم
لجأ الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة التي المزيح للريب لو كان اي لو
وجد واستقر في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا الى السماء ويعلموا
ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي
منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا
الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله ابعث الله
بشرا رسولا قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم
يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم
من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه صلى الله عليه وسلم رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما
لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل انما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا
اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها
فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله
كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء
من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب والمهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق
فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا للمعنى من عند ما اوثر في مقابله الافراد
نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبيل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من
دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق توصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى
طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة
الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم
القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم
قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر
اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات
والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار عرض القوى والحواس
وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه
مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت

جلودهم

جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة
مستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم
يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا
العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ
ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين
اشد الانكار أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون
بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات
والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما
عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا
والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لبعثهم اجلا محققا
لا ريب فيه هو يوم القيامة فأبى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا
اي جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل
يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء
فانما يؤثره لعوض يفوته فاذا هو بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى
امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات
الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان
والسنون ونقص من الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاثة الاخيرة
ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان
ابن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله
صلى الله عليه وسلم ولا يساعده ايضا [illegible]
انه كان في التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل
اذ جاءهم [illegible]
ان يعاضدوك وتكون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا
رب السموات والارض بصائر حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر ونحوه وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وقرئ علمت على صيغة التكلم
المسحور وقرئ على صيغة المتكلم اي لقد علمت ان هذه الآيات ما انزلها الا رب
سلطانه فكيف يتوهم واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم
ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا وقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان ما بينهما كيف لا وظن فرعون افك
مبين وظنه عليه السلام يحوم حول اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم ويزعجهم من الارض اي
ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا

عليه نكره واستفززناه وقومه بالإغراق وقلنا من بعده من بعد إغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي
أراد أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة أي قيام القيامة
جئنا بكم لفيفا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى
وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظا
وما نزل على الرسول إلا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره
وما أرسلناك إلا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثه صلى الله عليه
وسلم وإنزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه
تنزيلا على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به أو لا تؤمنوا
فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا إن الذين أوتوا العلم من قبله أي العلماء الذين قرأوا الكتب
السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
أو رأوا فيها نعتك ونعت ما أنزل إليك إذا يتلى أي القرآن عليهم يخرون للأذقان أي يسقطون على وجوههم سجدا
تعظيما لأمر الله تعالى وشكرا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال
التذلل إذ تحقق الخرور عليها وإيثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم
وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان
من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل بإيمان العلماء
عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب وعن
خلف وعده إن كان وعد ربنا لمفعولا إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة أي إن الشأن هذا ويخرون للأذقان
يبكون كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد
والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم أي القرآن سماعهم خشوعا كما يزيدهم
علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثره الله في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وإن اختلف
الاعتبار والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود
وهو الأوفق لقوله تعالى أيا ما تدعوا والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه
وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض المضاف إليه وما مزيدة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في فله للمسمى لأن التسمية
له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على
ما هو الدليل عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال
والجمال والإكرام ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة صلاتك بحيث يسمع المشركون فإن ذلك يحملهم على السب واللغو
فيها ولا تخافت بها أي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة
على الوجه المذكور سبيلا أمرا وسطا قصدا فإن خير الأمور أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه
أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم إلى المطلوب وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت
ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي
أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن
يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا

المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق صح

وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك أي الألوهية كما تقول الثنوية القائلون بتعدد
الآلهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع له من الذل لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها به ونفي
التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة إيذان بأن المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره إذ بذلك يتم الكمال
الكمال والقدرة التامة على الإيجاد وما يتفرع عليه من إفاضة أنواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة منعم عليه
ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة
والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب أي الكتاب الكامل
الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن
أو عن جميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول إشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد
وإيذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله
عليه وسلم مضافا إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه صلى الله عليه وسلم إلى أعلى معارج العبادة وتشريف له
أي تشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير
المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا أي شيئا
من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى وانحراف في الدعوة إلى الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان
وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا مع كون الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج
بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به
بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج
غيره عينا كان أو معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها
أو متناهيا في الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة
المتقدمة معطوفة على الصلة بضمير ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما وأما على تقدير كونها حالية فهو
على الحالية من الكتاب إذ لا فصل حينئذ بين بعض المعطوف والمعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بأنزل أو على
ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والإطلاق على ذكر المفعول الأول للإيذان بأن ما سيق له الكلام
هو المفعول الثاني فإن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أي أنزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به بأسا أي
عذابا شديدا من لدنه أي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون
الدال مع إشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف
المؤمنين أي المصدقين به الذين يعملون الصالحات الأعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وإيثار صيغة
الاستقبال في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها وإجراء الموصول على موصوفه المذكور

لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا
هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير
انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار
عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية
شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلين عزير ابن الله تعالى والنصارى القائلين المسيح ابن الله تعالى وترك اجراء الموصول
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار
صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة الشنيعة عنهم فيما سبق وجعل المحذوف المفعول
فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار
هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول الباس الشديد على من عدا الفرقة
ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ما لهم به اي باتخاذه
سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او
استئنافية لبيان حالهم من مقالهم هذه اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق العلوم او امكانه لا ستحالته
في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الغي والضلالة وما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام
خطأ بل انما قالوه رميا عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما
قالوه لعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الآيات وهو الانسب بقوله
تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه وتعالى الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه
والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم يفسره ما بعده من النكرة
المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء
مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة لكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد
الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت الملابسة لها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن
الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق فاصلا والضمير ان لهم ولآبائهم شبه حاله صلى الله عليه
وسلم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه
اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له
صلى الله عليه وسلم على الحذر من الاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم فيما وجدا على فراقهم
وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا اعمال الباخع حمله على حكاية حال ماضية
لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له للباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال من
الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل النسبة بين اجزاء الطرفين لا بين
الشيئين المنتزعين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض
استئناف تعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف
حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل
على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها
اي كائنة لها اي يتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعون بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب

حيث

حيث تذكيرهما بعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث الدلالة على وجود الصانع ووحدته
فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة
انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا
اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما يبين المحسن
من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت
درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما بيناه في مطلع سورة هود وايهم اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة
في محل النصب متعلقة بفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه
بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في
حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما
في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم الآية على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف
صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار
بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع
بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما تفعله
الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها
من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا
مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز
لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد
والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب
ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع
ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان
امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل
وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من
آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها لحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا
كأن لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وصفا لها بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا
ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها
ما ذكر من تعاجيب خلق الله بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي
الصلت • وليس بها الا الرقيم مجاورا • وصيدهم والقوم في الكهف همدا • وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم
وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم
بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله
على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اصحاب الكهف اوثر الاظهار على
الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا
منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف فجعلوه مأواهم

فالتجؤوا ومأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية
متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة
من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة
الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا رشدا إصابة للطريق الموصل
إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور الأول على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء
بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى
وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه
بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للإيذان من أول الأمر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشدا كله على أن من تجريدية
مثلها في قولك رأيت منك أسدا فضربنا على آذانهم أي أنمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة
المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في
الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم
واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة جماعة على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد
الرعية أي منعهم من التصرف مع ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز
وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال
والبعث وغير ذلك آثار رحمة لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان
لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا أي ذوات عدد أو تعد عددا على أنه مصدر أو معدود
على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو
الأليق بمقام إنكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم
أي أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات
وأيا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا عن الإظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث لما
من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرها التي يتحقق فيها العلم بتحقق
متعلقه قطعا فإن تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس إلى منقلب ومتبع وكذا مداولة الأيام بين الناس قد ترتب عليه
تحزبهم إلى الإيمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والإظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه
تحزبهم إلى المحصي وغيره حتى يتعلق بهم العلم تقدير أو غيره نصيب ومفوض إلى العلم الرباني وليس شيء منهما من الإحصاء في شيء
بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب
وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية
كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم أي الحزبين أي
الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي أحصى أي أضبط لما لبثوا أي للبثهم أمدا أي غاية فيظهر
لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم فيزدادوا يقينا
بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر هاهنا
من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي
إليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم إلى آخره حسبما وقع في تفسير قوله تعالى و
ليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم الثابت على الإيمان من غير
الثابت إذ ربما يتوهم منه استلزام الإرادة لتحقق المراد فيعود المحذور ويصار إلى جعل إرادة العلم عبارة عن
الاختبار فاختبروا واختبر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الإعلام على أن المفعول الأول

محذوف

محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط إن جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين إن
جعل يقينيا أي ليعلم الله الناس أي الحزبين أحصى إلخ وروى عطاء عن ابن عباس أن أحد الحزبين الفتية والآخر
الملوك الذين تولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والأول هو الأظهر فإن اللام للعهد ولا عهد
لغيرهم والأمد بمعنى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال
منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء
بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الحيثية إلى مراتب
الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالأمد معناه الحقيقي
بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم وبدونه أيضا فإن اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور
فاعتبار الامتداد العارض له بسبب يكون له أمدا لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع عليه غاية ومنتهى لذلك
الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو انبعاثهم من
نومهم فإن معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على أحد ولا تسمى إحصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب
عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في
الصورة الأولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو
مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة إليها أعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة
وتعلق الإحصاء بالأمد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه بالمعنى الثاني فمتعلق بنظامه لأن تحته مراتب العدد وإنما له
فلها هذا على تقدير كون قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي الذي
لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالأمد معناه الوضعي على ما حققه وقيل اللام مزيدة
والموصول مفعوله وأمدا نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات
الكريمة نحو أيهم أحسن عملا أيهم أقرب لكم نفعا إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلا ماضيا يشعر بأن غاية البعث
هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء أن بناء أفعل التفضيل
من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا
ريب في أن ما نحن فيه من ذلك القبيل وإسناد عمله إنما هو في غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلا
في المعنى فلا مانع منه لصحة أن يقال أيهم أضبط لهذا الشعر وزنا أو تقطيعا أو يقال إن العامل في أمدا فعل
محذوف يدل عليه المذكور أي يحصي أمدا لما لبثوا كما في قوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا * وحديث المرفوع
في المذكور المحذوف بلا فائدة مدفوع بما أشير إليه من زيادة الموافقة للنظائر مع ما فيه من الاعتساف في الإخلال
بالسداد لأن مراده أن يكون المقصود بالاختبار إظهار تفضل الحزبين وتميزه مع الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء
فيهما ومن البين أن لا تحقق له أصلا وأن المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم
إيذانه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية وقال الله
تعالى أهم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله إذ أوى الفتية إلخ أي نحن نخبرك بتفاصيل
ما أجمل فيما سلف من أخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي
له شأن وخطر بالحق إما صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف
الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به وروي
حسبما ذكره محمد بن يسار أنه قد مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام
وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فإنه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال
الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس

فخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الأبدية
قتله وقطع رأسه وعلقها على سور المدينة وأبوا لها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء أهل مدينتهم وقيل كانوا من
خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم
بين يديه فقال لهم ما قال فخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلها ملء السموات والأرض عظمته وجبروته
لن ندعو من دونه أحدا ولن نقر بما تدعونا إليه أبدا فاقض ما أنت قاض فأمر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم
من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبعوه وإلا فعل بهم ما
فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئا فتصدقوا
ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل وأطراف النهار ويبتهلون إلى الله سبحانه
بالأنين والجؤار وفوضوا أمر نفقتهم إلى تمليخا فكانوا إذا أصبحوا يضع عنده ثيابه الحسان ويلبس ثياب المساكين
ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار
المدينة فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق فلما رأى تمليخا
ما رأى من الهم رجع وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجدا
ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم
فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق
بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا
وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم إنهم فتية استئناف تحقيقي مبني على
تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم أوثر الالتفات للإشعار بعلية
وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بأن ثبتناهم على
ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنهم وفيه التفات عن الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقا
وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم أي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم
والإخوان واجترؤوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد
فقال أكبرهم إني لأجد في نفسي شيئا إن ربي رب السموات والأرض فقالوا نحن أيضا كذلك نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا
رب السموات والأرض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فإن ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته
لما فيهما أي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فيكون ما
سيأتي من قوله تعالى هؤلاء إلخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو أبدا من دونه
إلها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن أن يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون
أصنامهم آلهة وللإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية وللإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية
لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا إذا شططا أي قولا ذا شطط أي ذا بعد عن الحد وقولا على أنه نعت
الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة
مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهيته تعالى والتضرع إليه قيل لقد قلنا إذا جواب وجزاء
أي لو دعونا من دونه إلها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم لولا يأتون تحضيض فيه معنى
الإنكار والتعجيز هلا يأتون عليهم على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة
الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم وإلقام الحجر فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك الكلام النظم على سبك لا أكرمية من غير

تعرض لإنكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود وإذ اعتزلتموهم أي فارقتموهم في الاعتقاد وأردتم
الاعتزال الجسماني وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أي إذا
اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله أي وعبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير
كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان ويجوز كون ما نافية على أنه إخبار من
الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه فأووا إلى الكهف قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت
فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي إذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا وإذ أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى
الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك أمركم من رحمته في الدارين بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع
وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الإيذان من أول الأمر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده وترى
الشمس بيان لحالهم بعدما أووا إلى الكهف ولم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة إليه لظهور جريانهم على موجب الأمر
به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه وتعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف وما لحق
من إضافة الكهف إليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس
المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس إذا طلعت تزاور
أي تتزاور وتتنحى بحذف إحدى التاءين وقرئ بإدغام التاء في الزاي تزور كتحمر وتزاور كتحمار وتزوّر وكلها من الزور
الميل عن كهفهم الذي أووا إليه فالإضافة لأدنى ملابسة ذات اليمين أي جهة ذات يمين الكهف عند توجه
الداخل إلى قعره أي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم وإذا غربت تراها عند غروبها
تقرضهم أي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال أي جهة ذات شمال الكهف أي جانبه
الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله تعالى على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه
جملة حالية مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع أنهم في متسع من الكهف
معرض لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ذلك أي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الغروب
والطلوع مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد
وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل
بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل
عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب إلى جانب الغرب كان أكثر
ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم فذلك حينئذ إشارة إلى إيوائهم إلى كهف هذا شأنه وأما
جعله إشارة إلى حفظ الله تعالى إياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو إلى اطلاعه سبحانه وتعالى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على أخبارهم فلا يساعده إيراده في تضاعيف القصة من يهد الله إلى الحق بالتوفيق فهو المهتدي
الذي أصابه الفلاح والمراد إما الثناء عليهم والشهادة وإما التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره عليه فلن تجد له أبدا وإن بالغت في
التتبع والاستقصاء وليا مرشدا يليه ويرشده إلى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده
مع وجوده أو إمكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها أيضا والخطاب فيه كما سبق أيقاظا جمع يقظ
بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه
قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على آذانهم
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية أي جهة تلي أيمانهم وذات الشمال أي جهة تلي شمائلهم كيلا
تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض قيل لهم تقليبتان في السنة

أي التجئوا

ويهيئ لكم يسهل لكم من أمركم
الذي أنتم بصدده من
الفرار بالدين مرفقا
ما ترتفقون
وتنتفعون به
وقرئ

وقيل بقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على
المصدرية منصوبا بفعل مقدر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع
فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع تبعهم على دينهم ويؤيده
قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد لهم او زرع احدهم او غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل كان اصفر وقيل
كان اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل توتو وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة
من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
واعمال اسم الفاعل عند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع
الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف
على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدر
من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد اما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل
مصدرا للمبالغة كما في قوله فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا
يملأ الصدور رعبا وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة والهيبة كانت اعينهم مفتحة
كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وهو لا يساعده قوله لبثنا يوما او بعض يوم وقوله
ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا عن ذكر
التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو
عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظر
اليهم فقال ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية فقال معاوية لا انتهي حتى
اعلم علمهم فبعث اناسا فقال اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد
اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسامهم من
البلى ابدا دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم
البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق من الاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره
لاستتباعه لسائر آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قال ذلك لما
رأى مخالفة احوالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لما انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب قالوا او بعض يوم وكان
ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض آخر منهم لما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه وتعالى
وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل
القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضيان ان الكلام
جار على منهاج المحاورة والمقاولة ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا
عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها
باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف
وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها
ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف
في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم
اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي
اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل

وليتلطف نصف كلام الله باعتبار الحروف

المقدر

المقدر في ايها يرجموكم اي يقتلوكم ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من
العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة
على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو
الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء
وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر
واوفر ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه
من التشديد في التخويف ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا
اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او
وموعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده ويدخل فيه وعده بالبعث والموعود دخولا اوليا حق
صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة
عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فانه من شاهد انه عز وعلا توفى نفوسهم
وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده
تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون بينهم
امرهم ظرف لقوله تعالى اعثرنا عليهم قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته
على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف
ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر به وجاحد وقائل يقول تبعث الارواح دون
الاجساد وآخر يقول تبعثان معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث
حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس
رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله عز وجل فجرى بينهم
من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس
فاتهموه انه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم
من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل
لكل واحد منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا
وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا
وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين
دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله
عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرنا عليهم فرأوا ما رأوا ثم ماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم
بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين
كانهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا
ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه وتعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين
وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول
الامر فاذ ح متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله
تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل
متعلق باذكر مضمرا واما متعلقة باعثرنا فياباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وحيث كان

وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع و
موجود في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منهم الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم
اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا و
ثلاثة بادغام التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما
بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا يطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير
في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف واقع موقع
الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفا بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه
في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي
كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما
علمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس
رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو
كان في ذلك وفي اخر ما حكي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان للمسلمين اسوة له في العلم
بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
وكان يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي تبعهم
حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشيططيوش فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذا عرفت جهل اصحاب
القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم
العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا
تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك
وقال العطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكره من الشواهد لارشاد
المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تحقيق لما في الاول من التكليف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة
في نمط واحد ناشيا من الحكاية مع كون الاخر من حكايته ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار ولا تستفت واذ
قيل انهم كلهم ليسوا على خطا في ذلك فلا يجادلهم الا جدالا ظاهرا انطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان بعضهم
فيهم مصيبا وان قيل ان النهي عن الاستفتا لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على ان
فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من تصديره عنهم بل من جنس التلقي من الوحي ولا تقولن
لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا
اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسالوه صلى الله عليه وسلم
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول
هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بدلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة الحال دليل العزم
تستاهل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته الله
تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله مطلقا لا مشيئته اذا
كان النسيان ابتناء مشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل العدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل وسافا
استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله وما كان لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته عن ابن عباس

رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك
لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم
واما الاستثناء المغير للاسم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه اي واذكر ربك في عقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على
التدارك واذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل
عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبا اصحاب الكهف من الايات والدلائل
الدالة على نبوتي رشدا ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم
من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعدة ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب
رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مبينة مستانفة
لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة امثاله وقيل انه حكاية اهل الكتاب انهم لبثوا الثمانية سنة شمسية والله تعالى
ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة ثلاث سنين فيكون ثلاثمائة وثلاث سنين عطف بيان لثلاثمائة وقيل
بدل وقرئ بالاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما حسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد
الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من
احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دال بصيغة
التعجب على ان شان علمه تعالى بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا
يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والحقير والجليل والهاء ضمير
الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر
للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة وان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل
تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه
تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل
مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على نهي الخطاب لكل احد
دل عليه انتظام القران الكريم بقصة اهل الكتاب من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات
على انه وحي معجز امره صلى الله عليه وسلم بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب
ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد
ابدا الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجا تعدل اليه عند الملمات واصبر نفسك احبسها وثبتها
مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي داومين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار
وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها مع كونها علما في الاغلب على تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب
وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤسا الكفرة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة
يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد
عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو وقرئ
تصرف عيناك بالنظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اذا صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ
ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم

لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي
حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للنبي والاسناد للازا
انه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين
ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه
غافلا بالمرة كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين
يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المومنون من الدعاء في مجامع الاو[قات]
وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وتعالى وجهته وانهماكه في
الحساب حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي
حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا
او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط
فان الغفلة عن ذكره تعالى تودي الى اتباع الهوى المودي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب وفي التعبير عنهم
بالموصول لعلية ما في حيز الصلة المنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي
الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله
تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق
التهديد لا لتفريقه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يومن به فليومن كسائر المومنين
ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به
والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يومن بها وان يصدقك فيه فليومن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل
وقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر ولما يفهم من ظاهر
التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال على الوجه
الاول او هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق
بعد ما جاء من الله تعالى والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في
غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه
سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى
ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم
من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مالي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق الذي
اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية
مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما
اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة الاساور
والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسور جمع اسوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان
واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ من النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي

الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت
اي الارائك مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمومن مثلا رجلين مفعول لان الامثال وثانيهما
لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمومنين الامر حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من
ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله وطاعة الاخرين مع
مكابدتهم مشاق الفقر حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه فطروس
ومومن اسمه يهودا اقتسما ثمانية الاف فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المومن نصيبه الى وجوه البر
فال امرهما الى ما حكاه الله وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومسلم وهو ابو سلمة
عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بساتين من اعناب
كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا اخر كقولك
غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة
على الشكل الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون
الكاف وقرئ كل الجنتين اي اكله ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار
غالبا تكثر في عام وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار تاتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما
فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر
ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي لقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال
غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثر قال ابن عباس هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو
الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المومن وهو يحاوره اي يقاوله اي صاحبه المومن وايراد المحاورة
والمراجعة في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا خدما واعوانا واولادا ذكورا لانهم الذين
ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها ووحدها اما لعدم تعلق الغرض
بتعددها واما لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها
بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخوله جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال
ما اظن ان تبيد هذه اي تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة
موعظة صاحبه وتذكيره بفنائها ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة
قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت الى ربي بالبعث عند قيامها كما تقوله لاجدن يومئذ خيرا
منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار اقسامه الظن والتمني كانه فوق
اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لما له من الاستحقاق الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك
استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر
على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت بالذي خلقك
اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق ادم عليه السلام منه متضمن لخلقه اياه اذ لم تكن فطرته البشرية مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر افراد البشر انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام
من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي يحصل منه النطفة
ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا
او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث

المال

الذي نطوبه قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله
لكن انا وقد قرئ كذلك بحذف الهمزة والقاء حركتها على النون فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربي و
الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة
وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه
قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك
قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في ان الدخول من غير تريث لا للقصر
ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على ان ما
شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء ابقاها
وان شاء افناها لا قوة الا بالله او هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
وتدابيرها انما هو بمعونة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا
بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الروية ان
جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه فصلا توسطه بين المبتدا
والخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع خبر لانا والجملة مفعول ثان للروية او حال وفي قوله تعالى وولدا
لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من
صنع الله سبحانه وتعالى ان يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا وهو مصدر بمعنى الحساب وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي
جمع حسبانة وهو الصواعق وهو مساعدة النظم الكريم مما سياتي والاول اكثر من السما فتصبح صعيدا زلقا
مصدرا اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملسا يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البنا والشجر والنبات او
يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح على الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه
المصدر مبالغة فلن تستطيع له اي للما الغاير طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك
امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع ما وقع
من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السياق والسباق عليه كما في المعطوف عليه بالفا الفصيحة فاصبح
يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه [illegible] لانه دون ما يكون على الافعال
الاختيارية ولانها انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد مر في مصالحها رجال
ها اكثر مما يجمع به وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه
الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة
من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها
قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من تتماتها واما لان ذكر هلاكها
مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث اهلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان
الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال
من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو
لم يكن مشركا لم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له فئة
بالتا الفوقانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او على الاتيان بمثله وجمع
الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه وتعالى هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق

اي النصرة

اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما
فعل بالكافر واخيه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر
الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره
كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل
هنالك اشارة الى الاخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم الاية وينصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ بضم القاف
وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها
وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا اليها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الاخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة
التي هي في الغرابة كالمثل كماء اي هي كما انزلناه من السما ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب
على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
وبجع الما في النبات حتى روي ورق ومقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض وايثارها عليه النظم
الكريم واثارها عليه النظم الكريم للمبالغة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح
ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من
ازراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الما بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنتفع
وارقام هشيما تطيره الرياح كان لم تغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشا والافنا
مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات
الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم
المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية الكريمة انفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك
من الايات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات
فانه زينة وممد لكل احد من الاباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة
الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقا النفس والبنون لبقا النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة
اليهم لانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال
وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة
والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب
الاضمحلال [illegible] والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى القول
الاول يدخل فيها اعمال فقرا المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا
صلاحها ظاهرة [illegible] النفوس وحظوظ الدنيا خير
[illegible]
[illegible]
[illegible] عند ربك
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والبنين [illegible] ويوم نسير الجبال

منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبي عنه قوله عز وجل وترى
الجبال تحسبها جامدة الآية اي نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه
من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله يوم
القيمة وقرئ نسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى
الفاعل لتعينه وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير **وترى الارض** اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الروية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول **بارزة** اما بروز ما تحت الجبال
بحول عنه وبين للناظر بتلك فالارض ضحى باغا صفصفا الآية **وحشرناهم** جمعناهم الى الموقف من كل
اوب واتبا صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون
وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه سبقا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اي لم نترك **منهم احدا** يقال غادره
واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما تركه السيل في الارض الغائرة
وقرئ بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على
ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء
الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تربية المهابة والجري
على سنن الكبرياء واظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **صفا** اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض
فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم واما كونه عاملا في الظرف
مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر مقدر اي
مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة
غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية **بل زعمتم**
ألن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن
نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من الثقيلة فصل بحرف النفي بينها وبين
خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعائية والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو
او حال من موعد وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحته الامور الهائلة
التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي للدلالة على التقرر ايضا
اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها ايمانا
وشمالا واما في الميزان **فترى المجرمين** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين**
خائفين **مما فيه** من الجرائم والذنوب **ويقولون** عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا **يا ويلتنا**
منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري
فهذا اوان حضورك **مال هذا الكتاب** اي اي شيء له وقوله تعالى **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها**
عدها واحاط بها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب استثنائية مبنية على سؤال نشأ
من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما
عملوا** في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب ما لم يفعل
من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لعدله العلم الازلي **واذ قلنا للملائكة** اي اذكر وقت

قلنا لهم **اسجدوا لآدم** سجدة تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس**
فانه لم يسجد اي واستكبر وقوله تعالى **كان من الجن** كلام مستانف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين
من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن طاعته كما ينبئ
عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية النافية للفسق
بيان لكمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين
عن الانتظام في سلك المؤمنين بيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله **افتتخذونه**
الخ فان الهمزة للانكار والتعجب والفاء للتعقيب اي عقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه **وذريته**
اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض
فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين **اولياء من دوني** فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي **وهم** اي والحال
ان ابليس وذريته **لكم عدو** اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما
فعل به ذلك تشبيها بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان
مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اي الواضعين للشيء في غير موضعه **بدلا** من الله
ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما
فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى **ما اشهدتهم** استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان
الصوارف عن ذلك من جنايته الجحود والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات والارض** بحيث
اعتضد بهم في خلقهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما
اجمع عليه الجمهور وحدا ابا من تعلق الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولكن ان ترجع الضمير الثاني
الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين تولوهم هو الذي يدور
عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصح التولي حيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض
منهم فليس من مدار بية الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض اذ كان مصححا لتولي الشاهد باعتباره
دلالة على كماله باعتبار انه مدخلا في خلق المشهود بالجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على تصوره ممن شهد خلقه فلا
يكون نفي الاشهاد المذكور محضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ
المضلين** اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار
اتخاذهم اولياء **عضدا** اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام
الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد
يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به واشار بنفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على
نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعين لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من
استحقاق الشهود والعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يتعود
ذلك من جهته عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على
اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحوزها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فتؤمنوا بايمانهم كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وفي وصفهم بالاضلال تعليل لنفي الاتخاذ
وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين
بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد **ويوم يقول** اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا
وقرئ بنون العظمة **نادوا شركائي الذين زعمتم** انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من

دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم للاستغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باقامتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم انه لا طريقة الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها وظنوا اذ رأوها من مكان انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاوية لان كلا من المتجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدل الانسان اكثر من كل مجادل وما منع الناس ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى بترك ما هم عليه اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب اتيان سنتهم او الانتظار اتيانها او الا تقديره بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او يأتيهم العذاب اي عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما منع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه من مركزه ويبطلوه من ادحاض القوم وهو ازلاقها ومن قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او والذي انذروه هزوا اي استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكرها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه على كنهه ومفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم اي جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلم يكن

اي اهل مكة الذين ... حيث ابا طليم ح

منهم ابدا البتة مدة التكليف واذا جواب للشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ما لي لا ادعوهم فقيل ايذ عنهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبر وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى من العذاب وايضا اما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وفي تقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المبالغة المؤلمة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان المنفي المستفاد من تقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه بالها واشار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان وهو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة بل لهم موعد اسم زمان وهو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجا او ملجأ يقال وأل اي نجا وال اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهو مبتدأ على تقدير المضاف واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا لا يحيدون عنه ذلك استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله صلى الله عليه وسلم لفتاه هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه وسمي التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى ابلغ كان ذلك غاية تستدعي فيتغلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ونحو ان يكون من برح التام كزال يزال اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل الكر والرس بارمينية وقيل بافريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا استقر معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله سبحانه عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل ان يذكر قومه النعمة فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه الصلاة والسلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال

اي لو يريد مواخذتهم ح

قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا
في مكتل فحيث ما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا افتقدت الحوت فاخبرني فذهبا
يمشيان فلما بلغا الغا بصحبة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او
بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه
وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليه السلام ان يامره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة
وعين الحياة التي لا تصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت
برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وقد كان بعدما استيقظ يوشع وقيل توضا موسى عليه السلام
من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو
النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام
وانتصاب سربا على انه مفعول ثان وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا
اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه
السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد
لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع
قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ
عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليهما السلام أرأيت إذ أوينا الى
الصخرة اي التجانا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق هو بلوغ مجمع البحرين
لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر
فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة
الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده
من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقده علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين
الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب أرأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه
مما لا يعهد وقوعه ولا استحضاره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل
فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء
مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وانما شاهده
من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي ان اذكر
امره مع زيادة اي ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته
الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانسا
بضمير الحوت اولا وبذكره ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس
الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره واشار ان اذكره على المصدر للمبالغة فانه لوله نفس الحوت عنده وتوجه الى
وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه
بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا جاء الظرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض
قدم عليه للاعتنا بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه عجبا فعجبا ثاني مفعولي
اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة لمصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون
مسلكه كالطاق والسرب ومصدر لفعل محذوف اي تعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام ويأباه
بذلك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات اليا والضمير لكا

الى الموصول محذوف اي ما نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على
آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه
الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهما السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه
ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا
جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذان منه في اتباعه على وجه التعلم
مما علمت رشدا اي علما ذا رشد به تهتدي والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار
فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم
الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر عليه السلام انك
لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم
وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المراد منكرة الظواهر والرجل
الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال يا موسى اني على علم
من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمك الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى
عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسط الاستثناء بين مفعولي الوجدان
لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني
صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او
على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته والظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه
دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد التبا والنهي فلا تسألني
عن شيء [illegible] حتى احدث لك منه ذكرا
اي [illegible]
مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألن بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما
السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل قيل
مرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة [illegible]
[illegible]
[illegible] قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا [illegible]
[illegible] قال لا تؤاخذني بما نسيت [illegible]
[illegible] ولا ترهقني من امري عسرا [illegible]

ولا ترهقني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة
وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه
فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زاكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زكية
بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد
الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم
بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في
معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة
لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغرابة وقوعها في نفس الامر وندرته وصول خبرها الى الاذهان ولذلك
روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه من
مخرج العادة فانصرفت النفس من ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه
بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق اخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان
المقصود افادة ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام فيفعل ما يفعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل من
ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من رفع الشبهة في شيء بل هو
مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرته جرم الى الاسماع وذلك مما يقتضي
جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما يقتضي
جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم
من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك
لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم
يرعوي بالتذكير حتى زاد النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد
هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال الثلاثة اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت
من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل برقة وقيل هي بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما
اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على
سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم
فلم يطعموهما واستضافا فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة اذا كان ضيف له
وضافه واضافه انزله ضيفا له وحقيقته ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يريد ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في
ذلك والانقضاض الاسراع وهو السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير
والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعال من النقض وقرئ ان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت طولا فاقامه
قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت
لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في [illegible] النعي كانه
لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع

من اتبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق
بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق
كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك
الفراق وحيث انه الموعود سأنبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
التاويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المتنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة
من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين الكنز وفي جعل صلة
الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت نحو
نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين ضعفاء لا يقدرون على
مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل
انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل
منولة بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على
انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب
مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية
هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير
فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه
مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما
فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما فيرتدا
بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف
ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على حكاية
[illegible] فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه [illegible]
التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكاة
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت
نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما
بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء وانتصابه على التمييز وكذا زكاة واما الجدار المعهود فكان لغلامين
يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع الاعتداد بها
[illegible] واسميهما اصرم وصريم واسم المقتول [illegible] وكان
تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة
لمن لا يؤدي زكاتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيها على ان سعيه في ذلك لصلاحه
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب
[illegible]
لارادته سبحانه وتعالى [illegible] من الامور المذكورة ان يبلغا

اشدهما اي حلمهما وكمال رايهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز
من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موضع الحال اي مرحومين
عنه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت
من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله
عز وعلا وما فعلته عن امري اي عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك
البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تاويل ما لم تسطع عليه صبرا من الامور التي
رايتها اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبيه الموعود او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو
فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة غير ما مر تكرير للتكرير وتشديد للعتاب تنبيه اختلف في حياة الخضر
فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل
واغتسل منها وشرب من مائها واخطا ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل
سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم
هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام
وروي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل
به ويسالونك عن ذي القرنين هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالته قريش بتلقينهم وصيغة
الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر
ابن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبة من ولد يافث بن نوح وكان اسود وقيل اسمه
عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن كهلان
ابن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل فيه ان اسمه مرزبان بن مدركه ذكره التابعة وقيل انه افريدون
ابن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في الكتاب المسمى بالآثار الباقية عن القرون
الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري فان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها
وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال . قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير معبد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد . وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن
كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الظاهر
لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر
اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب
وقهرهم ثم امعن الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ودخل الشام وقصد بني
اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط
والبربر ثم توجه الى دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد
الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان
وبنى بها مدنا كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام . وروي ان اهل النجوم قالوا له
لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنوز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه
فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه
ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن
كثير وهذا غريب واغرب منه ما قال ابن عساكر من انه قال بلغني من انه عاش ستا وثلثين سنة وانه كان بعد
داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره . قلت وكذا ما ذكره

ای لم تستطع فحذف التاء للتخفيف

ذكر البغوي بعينه في معالم التنزيل

الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول ثم اختلف
في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل انه كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه
متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة وقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة وبقوله
تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل انه كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا
القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح
انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد
وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة
جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي
ابرهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم
عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه
الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابرهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله
وعسكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه
اكان نبيا ام ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا كان عبدا احب الله فاحبه وناصح لله فناصحه سخر له السحاب ومد له
الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل انه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل انه ملك الروم
وفارس وقيل الروم والترك وقيل انه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل انه كانت له ذوابتان وقيل
انه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه كان يدعو الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله
تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس
وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من الظلمة من ورائه
وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون
ابن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونه بن سرحون بن رومية بن ثوبط بن نوفيل بن رومي بن الاصفر بن العيص
ابن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهم السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي
يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من
ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم
ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقدون انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو المتاخر فيقع بذلك
خطا كبيرا وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه
كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة
فاين هذا من ذاك انتهى قلت المعتذر في نسبه الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية
المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها
بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي
كمال عظمتها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها عند رؤيتها العقول عن بعض المخازي السلطانية
فما نشاهد فيها من عجائب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب ساتلو عليكم اي سأذكر لكم منه اي
من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلو
في شانه اي ساتلو من جهته تعالى ذكرا اي نبأ مذكورا اي قرآنا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب
لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال . ع
. ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت . لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل

امامه وتحوطه

ان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمامها بل موصولة بما بعدها وتمام ما سألوه صلى الله عليه وسلم
عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم ائتوني غداً أخبركم فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوماً أو أربعين
كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل إنا مكنا له في الأرض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا
الإقدار وتمهيد الأسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الأول جعله قادراً وقوياً ومعنى الثاني جعل له قوة وقدرة
ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله تعالى عز وجل مكناهم في الأرض ما لم
نمكن لكم أي جعلناهم قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعل لكم من
القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها أي ما لم نجعلكم قادرين
على ذلك فيها أو مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وهكذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم ميم
أصلية كما أشير إليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض
من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار
عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذلل له طرقها وآتيناه من كل شيء أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة
بسلطانه سبباً أي طريقاً يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأتبع سبباً
بالقطع فأراد بلوغ المغرب اتبع المراعاة الحركة وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق أن الأول فيه معنى
الإدراك والإسراع دون الثاني حتى إذا بلغ مغرب الشمس أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا
يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على ساحل البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر
المسميات بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على أحد القولين وجدها أي الشمس تغرب في عين حمئة
أي ذات حمأة وهي الطين الأسود من حمئت البئر إذا كثرت حمأتها وقرئ حامية أي حارة روي أن معاوية
رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص
كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي
في نشاطه توافق قول ابن عباس رضي الله عنهما بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضاً مسموعة قطعاً فتكون قراءة
ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك إذ ليس في مطمح بصره
غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها أي عند تلك العين قوماً قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفاراً فخيره الله تعالى بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان
وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب بالقتل من أول الأمر وإما أن تتخذ فيهم حسناً أي أمراً
ذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة إلى الإسلام
والإرشاد إلى الشرائع ومحل أن مع صلته إما الرفع على الابتداء أو الخبرية وإما النصب على المفعولية أي إما تعذيبك
واقع أو إما أمرك تعذيبك أو إما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب
بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك إلهاماً لا وحياً بعد أن كان ذلك التخيير موافقاً لشريعة ذلك النبي و
عند من خواصه بعدما خفي أمره تعالى ليختار الأثبت الأجر أما من ظلم نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما
كان عليه من الظلم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور
ومن أطاعه كساه ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذاباً نكراً أي منكراً فظيعاً وهو عذاب النار وفيه
دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحي إليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته
وأما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملاً صالحاً حسبما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء الحسنى أي الفعلة
الحسنى أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ أو الخبر المتقدم عليه أو حال أي مجزياً بها أو
تمييز أو قرئ منصوباً غير منون على أنه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعاً منوناً على أنه المبتدأ والحسنى بدله

الشهية صح

قال أو حي ذو القرنين لذلك النبي صح

والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والأسر والجواب من باب الأسلوب الحكيم لأن الظاهر التخيير بينهما وهم
كفار فقال أما الكافر فيراعى في حقه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب ويجوز أن تكون إما للتوزيع
دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول
له من أمرنا أي مما نأمر به يسراً أي سهلاً متيسراً غير شاق وتقديره ذا يسر أو أطلق عليه المصدر مبالغة
وقرئ بضمتين ثم أتبع سبباً أي طريقاً راجعاً من مغرب الشمس موصلاً إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس
يعني الموضع الذي تطلع فيه الشمس أولاً من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف أي مكان طلوع
الشمس فإنه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوي له
الأسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب
أن أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم
وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه
ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا
سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس
الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في
رفعة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف
لوجد أو نجعل أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم أو ستراً مثل ستركم من
اللباس والجبال والأكنان وغير ذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً من الأسباب والعدد والعدد خبراً يعني أن ذلك
من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير وهذا على الوجه الأول وأما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه
ما لاقاه ولما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل ثم أتبع سبباً أي طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق
والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال حتى إذا بلغ بين السدين بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك
مما يلي المشرق وقيل جبلا أرمينية وأذربيجان وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان
من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف المتصرفة استعمالاً كما ارتفع في قوله تعالى
لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وجد من دونهما أي من ورائهما مجاوزاً عنهما قوماً
أي أمة من الناس لا يكادون يفقهون قولاً لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الإفعال أي لا يفهمون
الناس كلامهم واختلفوا في أنهم من أي الأقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من
يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنان وعشرون
قبيلة سد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت قبيلة واحدة فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين
قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو
الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الخزر والترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج قالوا أي بواسطة
مترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم ذي القرنين كلامهم وإفهامهم كلامه إياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب
يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك
ومأجوج من الجيل والديلم ثم من الناس من يصفهم بصغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدرهم على شبر
ومنهم من يصفهم بعظم الجثة وطول القامة يبلغ قدرهم مائة وعشرين ذراعاً وفيهم من عرضه كذلك
وقيل لهم مخالب كأظفار السباع وأنياب كأنياب السباع وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج
الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همز ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث

في الأرض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون خضرا
الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا
على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما
مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من
الخراج فلا حاجة لي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء
والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جوابا
للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار
كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد
واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد
جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة
كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة
بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان
الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله
عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين
من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ
سوي من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى
اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه
فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها
آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي
وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف التاء
تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين
صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر والاتيان به فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض
فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا
لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة
اذا اثرت فيه حرارة النار لا يقدر الحيوان ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها
فكانه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله
على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضه ببعض بكلاليب من حديد ونحاس في تجاويفها بحيث لم يبق
هناك فرجة اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل
الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما
ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما
مجاوريه وفيه ايذان بانه من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر
بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو

القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه
من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور
التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه
الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مستويا بالارض وكل ما
انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه
وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي حقا اي وعده المعهود او كل ما وعد به
فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة
الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وهو قوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه
تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم مجيء الوعد بمجيء
بعض مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة
الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في
البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن من الناس ولا يقدرون
ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا وهو دود يكون في انوف الغنم في اقفائهم فيدخل
في آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض
ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في
الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة
ليس فيها حالة خاصة بالكفار ولئلا يقع منها في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم
وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها
وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا
عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين
كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية
لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري وكلامي الذي لا
ياتيه الباطل على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال
عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق
وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا
في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون
في ذلك وينتفعون بآثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي والحال انهم الخ والفرق
بينهما مقارنا لحال حسبانهم المذكور في الاول لضلال سعيهم وفي الثاني لهم حيث يتطابق التعريف على غير المخاطبين خبرا داخلا
تحت الامر اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية
الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما
يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي
فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء
من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن
اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه

التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية فلا يوضع لهم الميزان قطعا وذلك اي ذلك لما كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم لذلك الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء الكفر المتضمن لساير القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل بل كذبوا واستهزؤوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين امنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد اي امنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس نزلا عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هو الجنة الملتفة الاشجار وقيل هو الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هو الجنة التي من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس نزلا هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها اعز ما اعد الله لهم على ما جرى على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل بالنسبة الى الضيافة فالمعنى ظاهر خالدين فيها لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فتكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلام الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في ساير احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى امنه وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا لا يبتغي بذلك الا وجهه كما فعل الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا

ابدا نصب على الحالية

كما فعله الذين كفروا بايات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا واثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة مريم عليها السلام تسع وتسعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بامالة الها والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الها وامالة اليا وبتفخيمها وباخفاء النون لمقاربة الصاد لمقاربتهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقا الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا خبره ذكر رحمت ربك اي المسمى به ذكر رحمة ربك الى اخره فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت عليه جعلت كانه نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ واسم الاشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة ربك الخ وقيل هو مبتدا قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لها اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم الاية ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبرة والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قيل كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب اني وهن العظم مني

اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه
اشد اجزائه صلابا وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبي عن
شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن وبضمها ايضا وتاكيد الجملة
لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها **واشتعل الراس شيبا** شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ
النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاشتعال الى محل
الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة
ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا
والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيم بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين **ولم اكن بدعائك رب شقيا** اي لم
اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل كما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على
ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسي شيبا وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما
سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة واثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال
فانه تعالى بعد ما عوده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة
افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميره عليه الصلاة والسلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التعرض
ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته **واني خفت الموالي
من ورائي** عطف على قوله تعالى اني وهن العظم مني مرتب مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي
خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى من ورائي اي من بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي
فعل الموالي من بعدي او بجور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر
من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورايَ بفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور
الدين بعدي وخفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين
او درجوا قدامي ولم يبق منهم تقي واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت **وكانت امراتي عاقرا** لا تلد من حين
شبابها **فهب لي من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية وتقديم
الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية
زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع
وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية **وليا** اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجار
لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف
فتأخيرهما عن الكل وتوسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه
الصلاة والسلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح
في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في
حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم
ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت
التنزيلية وقوله تعالى **يرثني** صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم

والدين

والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا
صدقة وقيل يرثني الحبارة وكان عليه الصلاة والسلام حبرا **يرثني ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه وورث
منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة
زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه
السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم
وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرثني وارث
آل يعقوب على انه فاعل يرثني حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير تنبيها ايماء الى وراثته
عليه السلام لما ارثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث
وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء **واجعله رب رضيا** مرضيا عندك قولا
وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه **يا زكريا** يا زكريا على ارادة القول
اي فقال الله تعالى يا زكريا **انا نبشرك بغلام اسمه يحيى** لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على
ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقد
مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كما هو المتبادر من قوله تعالى
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما تقتضيه السنة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء
عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكن ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام
في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه
عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما
السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تاكيد للوعد وتشريف
له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله عز وجل **لم نجعل له من قبل سميا** اي شريكا له في
الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسامي البديعة
الممتازة على اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها بالفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم
له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص
الله تعالى ولم يهم بمعصية وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل من قوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله الآية والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به
لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته **قال** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا قال عليه السلام
رب ناداه بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسيط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل
الى الله تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم
البشر بما يصدر عنه سبحانه وتعالى متوقف على ذلك في عامة الاوقات **انى يكون لي غلام** كلمة انى بمعنى كيف او
من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى المؤخر اي كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقدم الجار على الفاعل لما مر مرارا احد
لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام كما مر او
الجزء اي نص على الظرفية وقوله تعالى **وكانت امراتي عاقرا** حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى
وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكد للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امراتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي
فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر
ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت

الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احداهما بالسكون وكسرت
العين اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران
لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكره قبل واما هناك فلم يسبق
في الدعاء ذكر حاله ولذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه
السلام مع علمه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل
عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف
الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به
فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه
وقيل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة لانه قد نسي دعاءه وهو بعيد **قال**
استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى **كذلك قال** مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها
اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى
قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى **ربك**
هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل
مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة
مستحيلا وقرئ وهو علي هين والجملة حال من ربك والباء عبارة عن ضمير كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي
مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال
الروع كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام
تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من
العدم وتصويره في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده
عليه السلام لحصول المقصود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب
العائد الى الرب الى يا العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى
له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة
قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء وانه لا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر
واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده اي الامر عز وجل الامر كما وعد
وهو واقع لا محالة واما قوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية
معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد
الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة
الى ما قال زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في
نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى
مع بعده في نفسه علي هين وعلى القراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال
فمخل بسداد المعنى لان ما قاله تقرير وصعوبة حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه تعالى
مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** جملة مستأنفة مقررة لما قبلها
والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد
وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم
ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج

وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن
فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه
السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من
نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا عليه السلام اظهر عنده
واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى
المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك
من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على
المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك **قال رب اجعل لي آية**
اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة
وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريفه وقت العلوق حيث كانت
البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة
الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير
سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان
اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم
لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة
والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما
الظرف وتقديمه لانه مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر ولا يخفى ان مدار المسوغية تقديم الظرف فلا يتغير حكمه
بعد ورود الناسخ **قال آيتك الا تكلم الناس** اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر
والتسبيح **ثلاث ليال** مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران **سويا** حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم
بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم
ولا خرس **فخرج على قومه من المحراب** اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب
فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك **فأوحى اليهم** اي اشار اليهم لقوله
تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى **ان سبحوا** اما مفسرة لأوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا
او بان صلوا **بكرة وعشيا** هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا
ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا وان يأمر قومه بذلك **يا يحيى** استئناف طوي قبله جمل كثيرة
مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى **خذ الكتاب** اي التوراة **بقوة** اي بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنباؤه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم
التوراة والتفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا من لدنا** عطف على
الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية من الفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه
وشفقة على ابويه وغيرهما **وزكوة** اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدق بها على ابويه وغيرهما
وغيرهما او وفقناه للتصدق على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي **وبرا بوالديه** عطف على
تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه **وسلام عليه**

من الله عز وعلا يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال الشيطان به ادم ويوم يموت من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من هول القيامة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن
اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبيا المذكورين فيها اي اذكر للناس مريم
اي نباها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المراد
ذكر نباها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبا
وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نباها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف
ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة
وقوله تعالى مكانا شرقيا مفعول باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المرتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل
في الجار والمجرور وهو النبذ والطرح اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها
لتتخلى هناك للعبادة وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشي يسترها وذلك قوله تعالى
فاتخذت من دونهم حجابا كان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد
فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة ادمي شابا امرد وضي الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام وقرئ بفتح الرا لكونه سببا لما فيه روح العباد
الذي هو عدة المقربين لاية فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الادمية شيا
وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدمة بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها
من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك
لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان اثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى
قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة
المرتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها
ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب
اثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا مبتغيا لله تعالى ومباليا بالاستعاذة به
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فانا عائذة به او متعوذة منك او فلا تتعرض لي قال انما
انا رسول ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت
به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة
بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة
الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا
على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اي
والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على
لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال
وهو فعول بمعنى الفاعل على اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها يا في اليا وكسرت الغين اتباعا لليا وقيل انه فعيل بمعنى
الفاعل والا لقيل بغو كما يقال نهو عن المنكر وانما لحقه اليا لانه من باب النسب كطالق او من باب المفعول اي
بغيها الفجور بها قال اي الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت وقوله تعالى قال ربك
الخ استيناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان
يمسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى

ولنجعله آية للناس علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام اية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال
قدرتنا فعلنا ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظيم قدرتنا ولنجعله اية الخ فالواو
على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا
عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي
او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته
بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل
نفخ من بعيد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل
ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت
وضعته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها
كما في قوله • تدوس بنا الجماجم والتريبا • فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا
قصيا بعيدا من اهلها ورا الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي الجأها وهو
في الاصل منقول من جا لكنه لم يستعمل الا في غيره كما في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك
الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتا والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند
الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياته ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفسا الموافقة لها
قالت يا ليتني مت قبل هذا بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا الذي لقيت منه
ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحيا من الناس وخوفا
من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي
عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اك شيا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده
امه وكنت نسيا اي شيا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر
وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين فناداها من تحتها اي جبريل عليه السلام
قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل عيسى عليه السلام
وقرئ من تحتها بالفتح الا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار
قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشان جليل القدر وهو عيسى عليه السلام
وقيل سريا نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا فانه ضرب جبريل عليه السلام برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى
وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الاوفق لقوله تعالى وكلي واشربي
الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل
التسلية وهزي اليك بجذع النخلة اي اميليه الى جهتك
والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والبا في قوله عز وجل بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة قال الفرا تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام
الهز بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل متعلقه محذوف
كائنا بجذعها تساقط عليك اصله تتساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا

الكائن وتساقط بطرح التائية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط وتسقط من اسقط
فالتاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الست الباقية
تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل
بمعنى اي رطبا مجنيا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وذلك السري او من الرطب
وعصيره وقري عينا طيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج
في صدور المتعبدين للاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق
العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من
القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنة العين للمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من
كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخي الهمزة والياء في التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن
صوما اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري
وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل
الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاما اذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك
كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به
قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا موبخين لها يا
اخت هرون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ وهو ابن عمها هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان
معه في الطبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم
شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك
بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه
اي عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت ح نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه
دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها
كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في
زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة
والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام
اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان
المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما
فعلت وروي انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره
واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان اتاني الكتاب
اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال
الثلاثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا قيل اكمل الله عقله
واستنبأه طفلا اينما كنت اي حيث ما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني بها امرا مؤكدا والزكوة زكاة
المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا
بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده
القراءة بالكسر عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط

تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده
كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من
فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب
الحميدة وغيرها وتنزيله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم
فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب
على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او
لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق الذي لا ريب فيه
والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة
الله والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى
ابن الله سبحانه وتعالى وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد
سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلق ارادته به ان يكون ح بلا تاخير فمن يكون هذا شانه
كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه
من تمام كلام عيسى قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على
حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا او
معطوف على الصلاة هذا اي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف
الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف
فان ما حكي من قول عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده ورسوله فاختلف الاحزاب
من بينهم قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن ورسوله
الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية
هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا
بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من
مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام
والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر ارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل
ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ان كانوا في الدنيا صما وعميا او
تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه
والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين
لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان
بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته
واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان
ينظرون فينادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا

الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول
الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يؤمنون وهما
ومما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين
وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة معنى التعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها اي لا يبقى لاحد غيرنا عليهم وعليها ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها
بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون الى الجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا
واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القران ابراهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم
لقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم
فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدقه من
غيوب الله تعالى واياته ورسله والجملة استئناف مسوق للتعليل موجب للامر فان وصفه عليه
السلام بذلك لمزيد واجح لكن نبيا خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين
الاية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة للاحتراز عن توهم تخصيص الصدق
بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا
وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا ابين حين
لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان
وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه ولا
يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكرهم
ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه الصلاة والسلام في
دعوته احسن منهاج واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا
ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى
الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام
العام الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض
صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا لايصال الخير والشر لكن كان ممكنا
لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الغالبة
الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه
الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته لما مر من الاستمالة والحث
فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق
وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال
فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي
الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع
بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد
الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان
كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتاكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب
في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع الاضمار للزيادة
والاقتصار على ذكر عصيانه من بين جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لادم عليه السلام وذريته فتذكيره

داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله تعالى
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه
بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما
في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف
وابراز الاعتناء بابيه قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع هذه النصائح الواجبة
فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي اتعرض وتنصرف عنها توجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب
كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك
بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف
كما سبق سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك
بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل
قوله تعالى واغفر لابي الاية والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما
المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته
على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا الاية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه
السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الاية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه
لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى
به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه الاية لا يقدح في جوازه بل لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او موهم عدم
كما قيل لما ان النهي مما تردد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله
النهي اصلا فان الوعد بالمحظور لا يرفع خطره بل المراد بما يؤتسى به ما يجب الاعتناء به حتما لورود الوعيد على الاعراض
عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة الاية فان استثناءه من ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان لكافر
المرجو ايمانه وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين
الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله
واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا
لورودها على نهج التاكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليهما وترتب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه
في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم
اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعو
ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله
رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي
فيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه
على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب
المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له
اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل
عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على
اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما

يجر بها الانبياء انبياء اولادا او احفادا او لو شأن خطير وذو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام
اتى اولا حران فتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب والاظهر **وكلا** اي كل واحد منهما
او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى **جعلنا نبيا** قدم عليه بالتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة
الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض **ووهبنا لهم من رحمتنا** هي النبوة وذكرها بعد جعلهم
انبياء للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر
انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احدا من العالمين **وجعلنا لهم لسان صدق** يفتخر بهم الناس ويثنون
عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب
لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد
الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل **واذكر في الكتاب موسى** قدم ذكره على ذكر اسمعيل عليهما السلام لئلا
ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام **انه كان مخلصا** موحدا اخلص عبادته من الشرك والرياء واسلم وجهه لله تعالى
واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه **وكان رسولا نبيا** ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى **وناديناه من جانب الطور الايمن** الطور جبل بين مصر ومدين والايمن
صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن
ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة **وقربناه نجيا** تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه
الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه اي قربناه وقيل رفعنا
لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم **ووهبنا له من رحمتنا** اي من اجل رأفتنا ورحمتنا او بعض رحمتنا
اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي لا نفسه لانه
كان اسن منه عليهما الصلاة والسلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى **هرون** عطف
بيان له وقوله تعالى **نبيا** حال منه **واذكر في الكتاب اسمعيل** فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء
بامره مستقلا وقوله تعالى **انه كان صادق الوعد** تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال
شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ان شاء الله صابرا فوفى **وكان رسولا نبيا** فيه دلالة على
ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليه السلام كانوا على شريعته **وكان يأمر اهله
بالصلوة والزكوة** اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه بالتكميل وعلى من هو اقرب الناس اليه قال الله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم
قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم **وكان عند ربه مرضيا** لاتصافه بالنعوت
الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة **واذكر في الكتاب ادريس** وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح
ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن ادريس عليهم السلام وهو اشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه
اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب **انه كان صديقا نبيا** ملازما للصدق في جميع احواله
نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا **ورفعناه مكانا عليا** هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز
وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة
فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت بها يوما وقد اصابني ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة
عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب ما الذي قضيت قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها قال يا رب اجعل

بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء **اولئك** اشارة الى المذكورين في السورة المذكورة وما فيه من
معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **الذين انعم الله عليهم**
صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى **من النبيين** بيان
للموصول وقوله تعالى **من ذرية آدم** بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم
عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية **وممن حملنا مع نوح** اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا
ادريس عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية سام من نوح **ومن ذرية ابراهيم** وهم الباقون **واسرائيل** عطف
على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات
من الذرية **وممن هدينا واجتبينا** اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله
تعالى **اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا
استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله
عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف المجانسة للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية
لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بها فههنا يقول
اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسرى يقول
اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك **فخلف من
بعدهم خلف** يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب السوء خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات تركوها او اخروها عن وقتها **واتبعوا الشهوات** من استحلال الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي عن علي رضي الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل صالحا** يدل على ان الاية في حق الكفرة **فاولئك**
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد مرتبتهم اي فاولئك المنعوتون
بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يدخلون الجنة** بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول
ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم **جنات عدن** بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة
عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلام لمعانيها
الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى كذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا
ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى **التي وعد
الرحمن عباده** وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق
ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى **بالغيب** متعلقة بمضمر هو
حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم **انه كان وعده** اي موعوده كائنا
ما كان ومن جملته الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل **مأتيا** اي يأتيه من وعد له
لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا فعله **لا يسمعون**

فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان
اللغو مما ينبغي ان يجتنب في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة
عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث
استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ۞ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول
من قراع الكتائب ۞ او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته
الاكرام ۞ وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل
المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة وعشي تلك الجنة مبتدا وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة
وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها
من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة
اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال
وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل عليه السلام حين استبطاه فابطا عليه اربعين يوما
او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك فانزل الله عز وجل
هذه الاية وسورة الضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل
على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء
للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة وما ننتقل من مكان الى
مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن
لعدم الامر به الا لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب
عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى
وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل
الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه
وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين
وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى
فان من بيده ملكوت السموات والارض كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر
مبتدا محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب
الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وقيل من كونه غير تارك له صلى الله عليه وسلم وغير
ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من ربوبيته الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته لذلك
لعبادته مما لا ريب فيها وحين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر
على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة وتعدية
الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات والعبادة فيما يورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا اي
هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما
والمراد بانكار العلم نفيه على ابلغ وجه واكده والجملة تاكيد لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب
عبادته والظاهر ان يراد به الشريك بالوجوب تخصيصها به تعالى حيث لا يستقل الا هو عز وجل بذلك الاسم وايضا
الجلالة على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة

لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية على الحق فالمعنى هل تعلم
شيئا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة ح باعتبار
ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره
واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف حيث اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا
نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحالة اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد أئذا ما مت لسوف اخرج
حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كونه بعد الموت
وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة
واحدة مكسورة على الخبر او لا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة
التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤونه المكونة للقلع عن القول المذكور
وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة
المنفية على مقدر يدل عليه اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة
بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن ح شيئا اصلا بحيث خلقناه وهو في تلك الحالة النافية للخلق بالكلية
مع كونه ابعد من الوقوع فلان يبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان من الاعراض اولى واظهر فما له
لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسامه باسمه عز اسمه
مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه صلى الله عليه وسلم وتحقيق
الامر ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات
للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان
ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته
الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول
المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم
الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين واستثقل
اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء وانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمعت واو وياء وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه
على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل
امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ
جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شايعت
دينا من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه
على انه تعالى يعفو عن بعض اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من طائفة
اعصاهم واعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة بهم وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر

صلته زاد نقصه فصار الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه
استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها
لننزعن لتضمنه معنى التمييز لننزعن بعض كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد لقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا
على البيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم
لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها وصليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وبا
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرئ صليا بكسر الصاد واعلالا بضم الصاد وان منكم التفات لاظهار
مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها
الناس الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه
وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط
الممدود عليها كان ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله تعالى على ذاته وقضى انه لابد من
وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي
سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين
بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة
بعد تجاثيهم حولها ويلقى الكفرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا الآية الى آخرها حكاية لما
قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين آياتنا التي
من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات
الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا
اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا
منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى قال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حالهم
فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين اي المؤمنين والكافرين خير نحن وانتم مقاما اي مكانا وقرئ
بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا روي انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك انهم خير منهم حالا واحسن
منالا وانما لا يفعل الا الكافر وان كان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو المعيار على الفضل والنقصان
والرفعة والضعة وان من ضرورته ان المؤمنين به تعالى في غاية حظيظ العاجل وما هذا القياس العقيم
والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم
ذلك من جهته بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل
منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناها
بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما
لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا في حيز
النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث
والرئي المنظر فعل بمعنى مفعول كالطحن لما يطحن وقرئ على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه
وقرئ ريا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل

من كان في الضلالة لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلي متناول
لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة
عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة
عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن مدا اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من
التصرفات في اخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ
عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين
عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله
تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات
وهو ظاهر او الاستمرار بحسب الاستكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضمير من الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود بدل منه
على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك
عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب
الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا
يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا
يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله الآية وانما
ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية
والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين
وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمد له الله ويزيد المهتدين
هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما
بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقدير الاستئناف
والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى
عند ربك اي الطاعات التي تبقى فوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم
ثوابا اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ما لها النعيم المقيم وما لهذه
الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء
بشان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم افرأيت الذي
كفر بآياتنا اي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال
لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد
فاعطيك وفي رواية لا اكفر به حتى يميتك ثم يبعثك فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى
مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى
ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب منه فقال ان ألم تر

الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل التعجب منه فقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى
انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فيوط حفظ اشيا وغابت عنه اشيا وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب
بالدين والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل
من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله لاوتين في الاخرة مالا وولدا اي انظر اليه فتعجب
من حالته البديعة وجرائته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارايت بمعنى اخبر والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت
في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره والحق
ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار
لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اي قد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير
حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى
العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد
كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق
مقاله كان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه
سنكتب ما يقول اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله • اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي انتسبنا في لم تلد
لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وجل
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الاية فمبنى الاول تنزيل اظهار الشي الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج
من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني
تسمية الشي باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما
يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه ونزيد عذابه ونضاعف له
لكفره وافترائه على الله سبحانه وتعالى واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط غضبه
ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس
لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما اتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا
ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه
معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا واذا قبضناه
حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور منه
بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث
ولذا قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق ارادته بالمحال واتخذوا من دون الله الهة حكاية لجناية عامة للكل
مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها بالنقيض مضمونها اي
اتخذوا الاصنام الهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه
عز وجل وشفعا لهم عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة
سيكفرون بعبادتهم اي سيجحد الالهة عبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى فيقولون ما عبدتمونا
وسينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى
قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول يكون الالهة التي كانوا يرجون ان يكون لهم عزا ضدا اي ضد العز
اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم والة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم
لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى

الثاني يكون الكفرة ضدا واعدا للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد
لوحدة المعنى الذي عليه مضادتهم فانهم بذلك كشي واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الالف للاطلاق في قوله • اقلي اللوم عاذل
والعتابن • وقولي ان اصبت لقد اصابن • او على معنى كل هذا الراي كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي
سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مما نطقت به الايات الكريمة السالفة وحكت عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح
من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلالة والافراط في العناد والتصميم على الكفر من
غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مخالفة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية
وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واضلالهم لا لانه مسوغ ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين
عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه صلى الله عليه وسلم من
ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء الشياطين
كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشا من
صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا
بانواع الوساوس والتسويلات فان الهز والاز اخوان معناهما شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي
بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن اخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفا للاشعار بان
كون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان
اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل باهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب
على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه وكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة
وفدا وافدين عليه كما تفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى
جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال
ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي
اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه
مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا
لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائدا الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم
فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من
المبني للفاعل وعلى الثاني ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
على الاول استثناء من لا يملكون متصل ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى
لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة
وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء
من لا يملكون اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام
وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك
المجرمون ان يشفع لهم الا من كان مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن
يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق

بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى **لقد جئتم شيئاً إدّاً** رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبي عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والإدّ بالكسر والفتح العظيم المنكر والإدّة الشدة وأدّني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي أي فعلتم أمراً منكراً اشد نكراً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى **تكاد السموات** الخ صفة لإدّاً أو استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير **يتفطرن منه** يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأن تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف **وتنشق الأرض** أي وتكاد تنشق الأرض **وتخر الجبال** أي تسقط وتتهدم وقوله تعالى **هداً** مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي تهد هداً أو مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لأنه بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خروراً أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أي مهدودة أو مفعول له أي لأنها تهد وهذا تقرير لكونه إدّاً والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لا تطيق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضباً على من تفوه بها **أن دعوا للرحمن ولداً** منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أي تكاد السموات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تخر لأن دعوا له سبحانه ولداً واللام متعلقة بهدّاً وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • وقيل خبر مبتدأ محذوف أي الموجب لذلك أن دعوا الخ وقيل فاعل هداً أي هدها ادعاء الولد والأول هو الأولى ودعوا من دعى بمعنى سمى المتعدي إلى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما ادعي له ولداً ومن دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان أي انتسب وقوله تعالى **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً** حال من فاعل قالوا أو دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها أي قالوا اتخذ الرحمن ولداً أو أن دعوا للرحمن ولداً والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى إما نعمة أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذه ولداً وقد صرح به قوله تعالى **إن كل من في السموات والأرض** أي ما منهم أحد من الملائكة والثقلين **إلا آتي الرحمن عبداً** إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الأصل **لقد أحصاهم** أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة ملكوته **وعدهم عداً** أي عد أشخاصهم وأنفاسهم وأحوالهم وكل شيء عنده بمقدار **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** أي كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الأتباع والأنصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فإذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئاً منهم ولداً **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** لما فصلت قبائح أصول الكفرة عقب ذلك بذكر أحوال المؤمنين فقال **سيجعل لهم الرحمن وداً** أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل عليه السلام إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة في الأرض والسين لأن السورة مكية وكانوا إذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين جاء الإسلام أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل إفراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يوم

تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن **فإنما يسرناه** أي القرآن **بلسانك** بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل في التيسير معنى الإنزال أي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إيحاء هذه السورة الكريمة بلغ هذا المنزل وبشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين **لتبشر به المتقين** أي الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي **وتنذر به قوماً لداً** لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً واللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له صلى الله عليه وسلم على الإنذار أي قرناً كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى **هل تحس منهم من أحد** استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي هل تشعر بأحد منهم وقرئ تحس **أو تسمع لهم ركزاً** أي صوتاً خفياً وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا ترى منهم أحداً ولا تسمع لهم صوتاً خفياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فيها ومن لم يدع والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة طه عليه السلام مائة وثلثون وآيتان

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل والطا وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون وهو من الفواتح التي صدرت بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي إلا أنه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا إن صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذفت ذا من هذا ومما استشهد به من قول الشاعر إن السفاهة طه من خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين • ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسماً كما في حم لا ينصرون وقد جوز أن يكون الأصل طأها بصيغة الأمر من الوطء فقلبت الهمزة في طأ ألفاً لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال • لا هناك المرتع • وها ضمير الأرض على أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الأرض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتها على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فإن الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ خلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه إما على أن أصله طأ فقلبت همزته هاء كما في أرقت وهرقت أو قلبت الهمزة في يطأ ألفاً كما مر ثم بني منه الأمر وألحق به هاء السكت وإما على أنه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين وأقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال أو اكتفي بشطر الكلمتين وعبر عنهما باسمهما وإلا فالشطران لم يذكرا من حيث إنهما مسميان لاسميهما لا يتعلقان معبراً عنهما باسميهما وإلا فالشطران بأن يراد بضمير التثنية في المعنى الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفي في التلفظ بشطري الكلمتين أي الاسمين وعبر عنهما أي عن الشطرين من حيث هما قائمان مقام الاسمين وأما حمله على معنى أنه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين فيعين حمله على تقدير كونه أمراً وكونه حرف نداء وها على تقدير كونها كناية عن الأرض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان وطاوها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الأول أمر أو حرف نداء والثاني

ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابته صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص العجم كما مر فالحق ما سلف من انها
من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب
وكذا لما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى كانه استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم مما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقا شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض
مهر اي ما انزلنا عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدايد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط
التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ
والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من المبالغة
في المجاهدة كما يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تورم قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها
عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى فرد ذلك فانا ما انزلناه عليك لما قالوا ولعله
هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الاتي هذا واما اسم القرآن فمحله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن
ظاهر اوقع موقع العايد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم
او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا خلا ان الوجه الاول
فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى ح بلا عايد ولا قايم مقامه فان القرآن صادق على السورة
لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد
به الكل لان نفي كون انزاله للشقى يستدعي سبق وقوع الشقا مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة
كما اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور
في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقا السابق عليه حتى يتصدى لنفيه
عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان يقال لهذه السورة ما انزلنا
القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انها لا دخل لانزالها في الشقا السابق اصلا
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه
معلل بالشقا على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتاديب
الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية حتما كما في المثال المذكور وفي
قولك ما شاتمته لتاذيه الا زجرا لغيره فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتاذي في
الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقا والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة
الجامع للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل
الا تذكرة الا اكتسابا للثواب فان الاجر بقدر التعب بل من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله ما فعلوه
الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه
بطريق الاستيناف لا استدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بتبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن شانه
ان يخشى الله عز وجل ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها
بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستانف مقرر
لما قبله اي نزل تنزيلا ولما تفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول
هو الانسب لما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية

اي

اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية ونظايرها بمطلق التنزيل غير معهود نعم
قد يعلق ذلك ببعض اجزايه المشتملة على الوعيد ونظايرها كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه
بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له لان
يكون قيدا لانزلنا بعد تقيده بالقيد الاول وقد عرفت حاله مما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ
محذوف ومن في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلق بتنزيلا او بمضمر هو
صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى
الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق
بهما كما يفصح عنه قوله تعالى ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم
الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة
مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز
وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين
عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح
اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله
وان لم يكن تابعا له في الاعراب وكذلك المنصوب مدحا ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقات
وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول بناء على ما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده
مذهب الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان
خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى
بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن
علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى
وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا
سترة به في غنى عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور
على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك
والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد
به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد به بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها
وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من
الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهوى والسحاب او اكثريا كالطير وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل
ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت
ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه قال ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي
عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه بجميع الاشياء اثر بيان سلطنته وشمول قدرته لجميع
الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته
الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى
منه وهو ما ستسره فيها فيما سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه وتعالى

الذاتية بالفخامة صح

بل الغرض الأخير من تصوير النفس وتثبيته فيها ومنعه من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع
والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها
ذلك المنعوت بالحق أي ذلك المنعوت بما نعت من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا إله إلا
هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه فإن ما أسند إليه تعالى من خلق
جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى
له الأسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد في
ذاته فإنه روي أن المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا أن نعبد إلهين
وهو يدعو إلها آخر والحسنى تأنيث الأحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر كمآرب أخرى وآياتنا
الكبرى وهل أتاك حديث موسى استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث
وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له إنني أنا الله
لا إله إلا أنا وبه ختم صلى الله عليه وسلم مقاله حيث قال أنما الحكم الله الذي لا إله إلا هو وأما ما قيل
من أن ذلك ترغيب للنبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على
مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه صلى الله عليه وسلم عن
اقتحام المشاق وقوله تعالى إذ رأى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أي حين رأى نارا كان كيت وكيت
أو مفعول لمضمر مقدم أي اذكر وقت رؤيته نارا روي أنه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام في الخروج
إلى أمه وأخيه فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى بالجانب الغربي
من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك إذ رأى على يسار الطريق من جانب الطور نارا فقال لأهله
امكثوا أي أقيموا مكانكم أمرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لا
لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع إما لظاهر
لفظ الأهل أو للتفخيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء سواكم إني آنست نارا أي أبصرتها إبصارا بينا
لا شبهة فيه وقيل الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به والجملة تعليل للأمر والمأمور به لعلي آتيكم منها أي
أجيئكم من النار بقبس أي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب
القبس في النمل أو أجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو
حذف منه المضاف أي ذا هداية على أنه إذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني إلى أبواب
الدين فإن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والأول هو الأظهر لأن
مساق النظم الكريم لتسلية أهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة الآية
وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار أن أهله يشتغلون المكان
القريب منها أو لأنهم عند الاصطلاء بها قياما وقعودا أشرفوا عليها ولما كان الإتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع
صدر الجملة بكلمة الترجي وهي إما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الأمر بالمكث والإخبار بإيناس النار
وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم أي فاذهب إليها لآتيكم أو كي آتيكم أو راجيا أن آتيكم منها بقبس الآية قد مر تحقيق ذلك
تفصيلا في تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الآية فلما أتاها أي
النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء أطافت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد
كأضوأ ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة
يغير ضوءها قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب وهي نار الشجر الأخضر

وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا أيضا
هي أربعة أنواع نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الشجر ونوع له نور
بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له إحراق بلا نور وهي نار الجحيم روي أن الشجرة كانت عوسجة
وقيل كانت سمرة نودي يا موسى إني أنا ربك أي نودي فقيل يا موسى أو هو من النداء معاملة القول لكونه ضربا
منه وقرئ بالفتح أي بأني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي
يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت
أنه كلام الله تعالى فإني أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك
من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا
روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك وانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك
أمر عليه السلام بذلك لأن الحفوة أبلغ في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون
بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل
معناه فرغ قلبك من الأهل والمال والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه السلام من
موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى إنك بالواد المقدس تعليل لوجوب المأمور به وبيان لسبب ورود الأمر
بذلك من شرف البقعة وقدسها روي أنه عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء غير منون
وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس
أو نودي نداءين أو قدس مرة بعد أخرى وأنا اخترتك أي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وأنا اخترناك بالفتح
والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الأمر والمأمور به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع
وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لما قيل إنه من باب التنازع
وإعمال الأول وإلغاء لا بد من إعادة الضمير مع الثاني لأن قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا بدل من لما يوحى ولا
ريب في أن اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على
ما قبلها فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل وأقم الصلاة
خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات
بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري أي لتذكرني فإن ذكري كما ينبغي
لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة
لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون
ذاكرا لي غير ناس إياها وأمري لها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت
الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها إن الله
تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري وقرئ للذكرى بألف التأنيث وللذكر معرفا وللذكرى بالتعريف والتذكير
وقوله تعالى إن الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أي كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك
بالإتيان تحقيقا لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين أكاد أخفيها أي أظهرها بأن أقول
إنها آتية ولولا أن في ذلك الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما أخفيت أو أكاد أظهرها بإيقاعها
من أخفاه إذا أظهره بسبب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الأضداد
معناه الإظهار والستر واللام في قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض أو بأخفيها
على المعنى الأخير وما مصدرية أي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الأمور المخصوص بها وتخصيصه في معرض الغاية
لإتيانها مع أنه جزاء كل نفس عما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر أو تقاعدا عنه بالمرة أو سعيا في تحصيل ما يباينه

للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الانابة بالعبادة فاما العذاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مبنى الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين ان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة موجب للعمل بموجبه لا يحيد احد عن سننه المبين المهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل **فلا يصدنك عنها** اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى **من لا يؤمن بها** لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه كما في لا ارينك هاهنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته **واتبع هواه** اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية **فتردى** فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي من اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب او في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي فانت تردى **وما تلك بيمينك يا موسى** شروع في حكاية ما كلف عليه السلام من الامور المتعلقة بالخوارق اثر حكايته لما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او ماخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك وايا ما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التانيس والتنبيه **قال هي عصاي** نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل **اتوكأ عليها** اي اعتمد عليها عند الاعياء والوقوف على راس القطيع **واهش بها** اي اخبط الورق واسقطه **على غنمي** وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة من زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها **ولي فيها مآرب اخرى** اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فيعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وقيل من جملة المآرب انها كانت اذا

شعبتين وتحترز فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير **قال القها يا موسى** لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه **فالقاها** على وجه الارض **فاذا هي حية تسعى** روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها هاهنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من جوز كونه جملة **قال** استيناف كما سبق **خذها ولا تخف** بمشاهدة الاحوال والخارق من الفزع والنفار وفي عطف الامر على النهي اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى **سنعيدها سيرتها الاولى** مع كونه استينافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمانينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية وقيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فيها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل **واضمم يدك الى جناحك** امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر جانباه مستعار من جناحي الطائر وقد سمي جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى **تخرج بيضاء من غير سوء** جواب الامر وقوله تعالى **بيضاء** حال من الضمير فيه وقوله تعالى **من غير سوء** متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء او كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان ادم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر **اية اخرى** اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء او من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى **لنريك من اياتنا الكبرى** متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض اياتنا الكبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن اياتنا حال منها او لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء الفعل عن وصف الكبر فتدبر **اذهب الى فرعون** تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رايته من الايات الكبرى وادعه الى العبادة وحذره نقمتي وقوله تعالى **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاوز الى العظيمة التي هي دعوى الربوبية **قال** استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل **رب اشرح لي صدري ويسر لي امري** لما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق

صفة لاياتنا او لنريك تلك
من اياتنا ما هي كبرى
على ان الكبرى
صح

لساني وسؤاله تعالى أن يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق وأحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى
يرد عليه من الشدائد بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وأن يسهل عليه مع ذلك
أمره الذي هو أجل الأمور وأعظمها وأصعب الخطوب وأهولها بتوفيق الأسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي
مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بإبهام المشروح والميسر أولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها
وتكريرها إظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل
عقدة من لساني روي أنه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة أدخلها فاه في صغره وذلك أن فرعون
حمله ذات يوم فأخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق
بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم
تبرأ ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها واختلف في زوال العقدة بكمالها
فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح مني لسانا وبقوله
تعالى ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الإفهام ولذلك
نكرها ووصفها بقوله من لساني أي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الأمر غرضا
من الدعاء فبحلها في الجملة تحقق إيتاء سؤله عليه السلام والحق أن ما ذكره لا يدل على بقائها أصلا بل يستدعي عدم
البقاء لأن الأفصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضا وذلك مناف للعقدة رأسا وأما قوله
تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان وإلا لدل على عدم زوالها أصلا وتنكيرها إنما يفيد قلتها
في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها
ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فإن المحلول إذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق به الحل يتعلق
به أيضا باعتبار إزالته عنه أو ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أي موازرا يعاونني
في تحمل أعباء ما كلفته على أن اشتقاقه من الوزر وهو الثقل وقيل أصله أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل
كالجليس والعشير قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على أنه مفعول ثان لاجعل قدم على الأول
الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا إذ هو
صفة له في الأصل ومن أهلي إما صفة لوزيرا أو صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان للآخر وقيل هما
وزيرا من أهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ورد بأن شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة
الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ وخبر عنه بما بعده اشدد به أزري وأشركه في أمري كلاهما على صيغة الدعا
أي أحكم به قوتي واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي وفصل الأول عن الدعاء السابق لكمال
الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيرا وأما الإشراك في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط
بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة فإن فعل كل واحد منهما من
التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه إليه مكثر له في نفسه أيضا بسبب تقويه
وتأييده إذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب أو في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد
والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف أداء الرسالة ودعوة المردة العتاة إلى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف
حاله في حالتي التعدد والانفراد فإن كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من إظهار الحق ما لا يصدر عنه مثله حال
الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف أو زمان محذوف أي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات
والأفعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الألوهية
ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا أو زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان
المحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام إنك كنت

بنا بصيرا أي عالما بأحوالنا وبأن ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسم
الرسالة وبأن هرون نعم الردء في أداء ما أمرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد
أوتيت سؤلك يا موسى أي أعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول والإيتاء
عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه الصلاة والسلام وإن كان وقوع
بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الأمر وشد الأزر وباعتباره قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله
تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب إثر تشريفه بقبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا
عليك مرة أخرى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام
بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن
ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أي وبالله
لقد أنعمنا مرة أخرى أي في وقت غير هذا الوقت لا أن هذا مؤخر من ذاك فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير
والمرة في الأصل اسم للمرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة
ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ما له أفراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه
من سائر الأشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد هاهنا الوقت الممتد الذي
وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ظرف
لمننا والمراد بالإيحاء ما على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين الآية وإما الإيحاء بواسطة
الملك لا على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم وإما الإلهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإما الإراءة
في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أولا تهويلا له وتفخيما لشأنه
ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل
ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه أنه لا يلائم المعنيين الأخيرين للوحي إذ لا يتأتى تفخيم شأنه بأن يكون مما لا يعلم إلا
بالإلهام أو بالإراءة في المنام وأن في قوله تعالى أن اقذفيه في التابوت مفسرة لأن الوحي من باب القول
أو مصدرية حذف عنها الباء أي بأن اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع وأما في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم لما كان
إلقاء اليم إياه بالساحل أمرا واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك
وأخرج الجواب مخرج الأمر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت
أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب
للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا
تضره بل تؤدي إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى
وعدوه مشعر بأن هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني
باعتبار التوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث
يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم سدته وألقته في اليم وكان يشرع منه
إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر
به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك
قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة
الذاتية بالإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك
أحبك عدو الله وآله وقيل من متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وقوله تعالى ولتصنع
على عيني متعلق بألقيت معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي

أو مضمر مؤخر وهو عبارة عما قبله من إلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها
وقرئ بفتح التاء والنصب أي ولتكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك ظرف لتصنع على أن المراد
وقت فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمه وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله
تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم من شفقة الأم وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من
إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناه من الغم
فإن جميع ذلك من المنن الإلهية وتعلق شيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفا لألقيت كما جوزه فربما يوهم
أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار إلقائها ظهر عند فتح التابوت فتقول أي لفرعون
وآسية حين رأتاهما يطلبان له عليه السلام مرضعة وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل أدلكم
على من يكفله أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون
أخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم
متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها والفاء في قوله تعالى فرجعناك إلى
أمك فصيحة معربة عن محذوف قبلها تعطف عليه ما بعدها أي فقالوا دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك
إليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على
السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية مقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها وقتلت نفسا
هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه فنجيناك من الغم أي غم قتله خوفا من عقاب الله بالمغفرة ومن اقتصاص
فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء أو فتونا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على
ترك الاعتداد بالتاء كحجور في حجرة وبدور في بدرة أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال ما ناله في سفره من الهجرة من الوطن
ومفارقة الألاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر
سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم
الكريم أن لا تعد إجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين
بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في أهل مدين إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها إنما
وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله إليهم إلى جميع ما قاساه عليه السلام في
تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة وأي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام
على ثماني مراحل من مصر ثم جئت أي إلى المكان الذي أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجواب وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه
عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر
أي على تقدير قدرته لأن أكلمك وأستنبئك في وقت عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه
السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي
تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيدا بأخيه حسبما استدعاه تذكير
للمنن السابقة تأكيدا لوثوقه عليه السلام إلى فرعون مؤيدا بأخيه بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل
لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة وعدل
عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظائره السابقة تمهيدا لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل
في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب أنت وأخوك
أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي أي بمعجزاتي التي أريتكما

من اليد والعصا فإنهما وإن كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام
إبراهيم فإن انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية أخرى وكونه مع ذلك
مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى وكذلك
اليد فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية
إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد
إذهابها وإيصالها إليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للإتباع في ذكري بما يليق بي من الصفات
الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي من الدعاء إلي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع
على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما أن
أمرا من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري اذهبا إلى فرعون جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هارون إذ
ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي أنه أوحي إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام وقيل
سمع بإقباله فتلقاه إنه طغى تعليل لموجب الأمر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على
طغيانه فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا له
في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فإنها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده
ما سيجيء من قوله تعالى فقولا إنا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة
وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المشرب والمطعم والمنكح وملكا لا يزول إلا بالموت وقيل لعله يتذكر بما
بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه أو يخشى عقابي والجملة في محل النصب على الحال من ضمير التثنية أي فقولا له قو
لا لينا راجيين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر له ولا يخيب وهو يجتهد
بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا أسند
القول إليهما مع أن القائل حقيقة موسى عليه السلام بطريق التغليب إيذانا بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون
عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هارون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام
عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين
لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب إننا نخاف أن يفرط
علينا أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط
يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطه إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيره
على المعاجلة والعقاب أو أن يطغى أي يزداد طغيانا إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه من
حسن الأدب وإظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف من كل منهما
قال استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة للإشعار بانتقال
الكلام من مساق إلى مساق آخر فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة التكلم لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي
من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإن ما قبله أيضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الأمرين وقوله تعالى إنني معكما
تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى أسمع وأرى أي
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب خير ونفع ويجوز أن لا يقدر شيء على
معنى إنني حافظ سميع بصير والحافظ الناصر إذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها فأتياه أمر بإتيانه الذي هو
عبارة عن الوصول إليه بعد ما أمرا بالذهاب إليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا
إنا رسولا ربك أمرا بذلك تحقيقا للحق من أول الأمر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض

لربوبيته تعالى والفاء في قوله تعالى **فأرسل معنا بني اسرائيل** لترتيب ما بعدها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى **ولا تعذبهم** اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم ويستعملونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء باية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الاية نوع طول كما ترى فتأخيره لذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا **قد جئناك باية من ربك** تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة فان مجيئهما بالاية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال لامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت باية فالظاهر ان المراد بها اية من الايات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين **على من اتبع الهدى** بتصديق ايات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى **انا قد اوحي الينا** من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **على من كذب** اي بايات الله تعالى **وتولى** اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** اي فرعون بعدما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك تسارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به **فمن ربكما يا موسى** لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك باية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما اذ المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص موسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من انه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمحمول على الحبسة والدعارة كما **قال** اي موسى عليه السلام مجيبا له **ربنا** امام مبتدا وقوله تعالى **الذي اعطى كل شيء خلقه** خبره او هو خبر لمبتدا محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجرة والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار او للاهتمام على ان كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه **ثم هدى** اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية والنباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة

والذكر

والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه من جملة هدايته تعالى اياه بعد ان هداه الله تعالى الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة **قال فما بال القرون الاولى** لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع مصاقا ان يظهر للناس حقيقة مقالته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه عليه السلام من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلا مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سأل عن حال من خلا من القرون وعن شقاوة من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى **قال علمها عند ربي** فان معناه ان هذه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الايتين **في كتاب** اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظ العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه ابدا او هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه واظهار ربي في موضع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما تقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن سؤال العوام عبقري بديع حيث كشف عن حقيقته الحق بها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل ما سياتي من الالتفات **الذي جعل لكم الارض مهادا** على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا محذوف اي جعلها لكم كالمهد تمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كلا منها مهدا لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وانزل من السماء ماء** هو المطر **فاخرجنا به** اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت للتكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان ينقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الاية خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **ازواجا** اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض **من نبات** بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل من حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى **كلوا وارعوا انعامكم** حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا اي لانتفاعكم بالذات او بالواسطة اذنين في ذلك **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى **لايات** كما وكيفا اي لايات جليلة كثيرة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام

لاولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن
ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما تدعيه من الطاغية وتقبله منه فئته الباغية وتخصيص
كونها آيات لهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام
منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل
كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه
السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل
ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها
نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة
اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد
وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى
عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكر عليه السلام بقلبه من البينات الداعية له الى قبول الحق والانقياد وتصديرها
بالجملة القسمية لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر
لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه
آياتنا حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في
تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي
لما ظهر عند فرعون امور اخر كل منها داهية دهياء فانه روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه
بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد
عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت
شئت ويقول فرعون يا موسى انشدك ... ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعها
شعاع الشمس ... والنظارة تحير لما بان من امر مخارق ... كلها اي كانت غير مذكورة
اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق في
ذلك عذر ما ولا مساغ لعد الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب
السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترتب على هذا
ذلك بل يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني
اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة
على ايدي الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها
لاستحالة الكذب عليه عليه السلام وان حكايته اياها لفرعون مما لم يجر ذكرها ههنا مع ان ما سيأتي من حمل ما اظهره
عليه الصلاة والسلام على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل يأباه ابا بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ويجوز
ذلك ان يحمل ما فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة الآيات
فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد على يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا
وأبى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وابى قبول الحق وقوله تعالى
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع
واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك

الذي

الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل
لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس
مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى
اتباعه احد ويبالغوا في المعاندة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة
ثم ادعى انه يقابله بمثله مما اتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام
جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا
اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله لا نخلفه فانه المناسب لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال
واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم
ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بالمسارعة الى عدم الاخلاف
وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى
بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف وبانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضافا اليه وحينئذ تكون مطابقة
الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس
فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم
بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصف المستوي فيه مسافته الينا واليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بالكسر قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما
خصه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور
غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان
يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن
الملوك وللنبوم فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكيد به من السحرة وادواتهم ثم اتى الى الموعد
ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى قال لهم
موسى الخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال الناشئ من حكاية حاله عليه السلام والمحتاج الى السؤال ليس الا ما صدر
عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه او لا فامر محقق ينبئ عنه التفرع به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام
عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا
ان آياته التي ستظهر على يدي سحر كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ
فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان
باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها فتنازعوا امرهم بينهم اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كان ذلك غاظهم
وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم
ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الخ فانه تفسير له ونتيجة تنازعهم
وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان وقد اهملت عن العمل واللام فارقة
وقرئ بتشديد نون هذان وقيل نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها
على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان
لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم
المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب واشلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه
قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول
موسى عليه السلام معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء
عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم
فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والا
بالمناسبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم
والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم
لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح
بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الا
والاخراج فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وازمعوا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا
من الجمع ويعضده قوله فجمع كيده اي ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه
اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه
اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنين من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من
بني اسرائيل وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم
ولعل الموعد كان متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه
ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بمكان المصلى لاجتماع الناس فيه ووجه صحته ان يكون علما
لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة المصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله
تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب
من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله نعم وانكم لمن المقربين
وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل الجهد
في المغالبة هذا هو اللائق بجزالة النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه
السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه
وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه وجعل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا
فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت اراؤهم على ذلك وابوا
الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن
الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة
النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من
المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعدما قالوا ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الا
اشعارا بظهور امرهما وغنا بهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او
بفعل الالقا اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى اي ما نلقيه او اول من
يفعل الالقا او نفعل الالقا اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم خيروه عليه السلام
بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الراي واظهارا للجلادة بارادة
انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا
محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا قال استيناف كما سبق من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كما

فاذا

فاذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا اي انتم اولا للادب واحسن مرادهم حيث شاكلوا اولا لقايهم او لاظهار
لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء بالمقابلة بالذكر وليبرزوا ما معهم ويستنفدوا
قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلما انه سيظهر
ما صنعوا من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم
الى الالقاء كما في قوله تعالى فلما القوا سحروا اعين الناس واذا هي المفاجاة والتحقيق انها
ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكن خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجا موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ يخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال
والابدال انها تسعى بدل اشتمال وقرئ تخيل على اسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين
فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية المجبولة على النفرة من
الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك
كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه
النهي عن الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير
وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبي عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع
في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة
المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه
النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي عنه وحمل هذا الابهام على التحقير
بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من على انه للالغي انما يلتقي ما لو فعلتا العصي ما فعلت وهي على هيئتها
الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه
بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي يخيل اليك سعيها وخوفها والتعبير
عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التاءين من تتلقف
وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها للتعليل موجه بناء
كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع
مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس في عدم اتباعهم
له عليه السلام وقوله تعالى انما صنعوا الى آخره تعليل لقوله تلقف ما صنعوا واما ما موصولة او موصوفة
اي ان هذا الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به
الى تنكير ما اضيف للتحقير وقرئ بالرفع على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان
في نفسه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى
اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل لكون التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية
التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف
ينساق اليها النظم الكريم غنيين عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر
واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا
ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا
فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك

يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لاجرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما
هو غاية الخضوع وقيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم
الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل
منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم **قالوا** استئناف كما مر غير مرة **امنا برب هرون وموسى** تاخير موسى عن حكاية
كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون
وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه
من اول الامر ان مرادهم فرعون **قال** فرعون للسحرة **امنتم له** اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى
الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي **قبل ان اذن لكم** اي من غير ان اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن له في ذلك واقع او متوقع **انه** يعني موسى عليه السلام **لكبيركم** اي في فنكم واعلمكم به
واستاذكم **الذي علمكم السحر** فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين
والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام
فلا عبرة بما ظهر على يده وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد
حيث قال **فلاقطعن** اي فوالله لاقطعن **ايديكم وارجلكم من خلاف** اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا ومع مجرورها في حيز
النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته
المعهودة في باب السياسة لا لانها قطع من غيرها **ولاصلبنكم في جذوع النخل** اي عليها وايثار كلمة في للدلالة
على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا وهو اول من صلب
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف **ولتعلمن اينا** يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله
امنتم به قبل ان اذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام
والهزء به لانه لم يكن من التعذيب واما للاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان من
خوف من قبل موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب
موسى الذي امنوا به بقولهم امنا برب هرون وموسى **اشد عذابا وابقى** اي ادوم **قالوا** غير مكترثين بوعيده **لن
نؤثرك** لن نختارك بالايمان والاتباع **على ما جاءنا** من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات
الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا
عارفين بجلايلها ودقايقها **والذي فطرنا** اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في
ضمنه اية عقلية نظرية وما شاهدوه اية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة
الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وفيه تقريع لما
منهم لتوبيخ فرعون بعد قوله امنتم له قبل ان اذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا
لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب لما ان القسم لا يجاب بلن الا على
شذوذ وقوله تعالى **فاقض ما انت قاض** جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم
ما انت حاكم به وقوله تعالى **انما تقضي هذه الحيوة الدنيا** مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفادة مما سبق
من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه وتحكم بما تراه في هذه الدنيا وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها
انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الاخرة لا ليمتعنا
بتلك الحياة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى **وما اكرهتنا عليه من السحر**
عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك

ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه
للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد
بالاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون
اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما ينبئ عنه قولهم
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون **والله خير** اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي
فطرنا **وابقى** اي جزاء ثوابا كان او عقابا او خير ثوابا وابقى عقابا وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى **انه**
خبر وابقى جزاء تحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديره بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها
التعبير عن موضعه ... **من يأت ربه مجرما** بان مات على الكفر والمعاصي
لا يخطر ... **فان له جهنم لا يموت فيها** فيستريح **ولا يحيى**
حياة ينتفع بها **ومن يأته مؤمنا** به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه **قد عمل الصالحات**
الحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تكاد تذكر مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل **فاولئك**
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات **لهم** بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة **الدرجات**
العلى اي المنازل الرفيعة ...
ما ينبطنا بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة ...
جنات عدن بدل من الدرجات العلى ...
فقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** حال من الجنات وقوله تعالى **خالدين فيها** حال من الضمير في لهم والعامل معنى
الاستقرار او الاشارة **وذلك** اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من
التفخيم **جزاء من تزكى** اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الاعمال الصالحة هذا تحقيق لكون ثوابه تعالى خيرا
اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الاعمال الصالحة وهذا تحقيق ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى
بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون لنفسه اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلاث
كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القران ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم ولم يثبت في الاخبار **ولقد
اوحينا الى موسى** حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات
المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف
وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى **ان اسر بعبادي** اما مفسرة لان الوحي فيه
معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباد الله تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء
بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل
ولقد اوحينا اليه عليه السلام اي ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا
فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم **طريقا في البحر يبسا** اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد
الاسباط **لا تخاف دركا** حال من المامور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف
وقرئ لا تخف جوابا للامر **ولا تخشى** عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف
اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف

المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده
اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ
فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم
فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره
وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق
وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين
الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند
ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام
بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم
من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم
خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم والفاعل هو الله عز
وجل وما غشاهم وقيل هو فرعون لانه هو الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه
اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل
بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية
تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق
التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالدين وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل
السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض
عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة
استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان
جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة المواعدة
اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا
عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل
انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة
الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي عقوبتي
ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ
فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب
الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على
التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران
وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من

الكلام

الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا
كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخالفته لهم وعدم
الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام
لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث
قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب
فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعدما ذكر انه عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر بل ذكر انه
لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة
رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام
وهو السر في وروده على صورة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المعتبر فيما سبق من الموضعين على صيغة
التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم
بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون الا اثني عشر الفا والترتيب الاخبار عما ذكر من الابتلاء على اخبار
موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال
من احديهما الى الاخرى من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عشرين ليلة
بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان
هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلفكم موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه ميعادكم لما معكم من حلي القوم
وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار
تحققها في علمه ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان
السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها فكانت الفتنة واقعة عند
الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال مضل والسامري منسوب الى
قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه بني باعتبار الرجوع المستفاد من قوله تعالى
غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر
مشهور لا يذهب الوهم عند الاخبار بالفتنة كما في قولك شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا
لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار
الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل
فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى
والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره
والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي
اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل عليكم اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر
قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به
الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري
فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما
بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه عمدا واما
جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل الاخلاف على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود
بعد الاربعين فمما لا يساعده السياق ولا السباق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على

ما امرتنا به وايثاره على ان المفعال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعني اذ لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وفي الكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل لهم فقذفناها اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سياتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا لحم ودم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول مرة هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين من الكل لا للبعض كما خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بعد ذلك اعظم جناية وازيد شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا انا ما وجدنا الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال لهم ما قال فلم نقدر على منعهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسباقه وقوله تعالى افلا يرون الخ انكار وتوبيخ من جهته تعالى على الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي الا يرونه انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام اول ما رآه حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي وقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيد المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون

الجليلين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا في جواب هارون عليه السلام لن نبرح عليه اي على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام اليهم بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشبهة مبنية على مقالة السامري انه لما قالوه اعتزلهم هارون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل ولما رجع موسى عليه السلام سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهارون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى لهارون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وراسه يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعني اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هارون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم اولى وما الاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك فبمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قوم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام افعصيت امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني يتضمن الامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بهما اعني فعصيت امري قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي روي انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل له اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح الاية يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هارون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد ما سمع ما حكي من الاعتذارين واستقر اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شانهم فما خطبك يا سامري اي ما شانك وما مطلوبك بما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت ما لم يفطنوا له ورأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يروه عليه السلام فانه مما يقع بحسب ما يتفق

وقد كان رأى جبريل عليه السلام جاء راكبا فرسا وكان كلما رفع الفرس يديه ورجليه على الطريق اليبس
يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة
من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب
بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار
الالهية تأكيدا لما صدر عنه من مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذ والقبضة المرة من القبض اطلقت
على المقبوض عرفا وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة
والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها وكذلك اي في الحال
المنابذة وكان ما كان سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى وكذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي او نعت لمصدر محذوف والتقدير
سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي
ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس
الامارة بالسوء واغوائها لا بشيء اخر من البرهان العقلي والالهام الالهي فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب
من بين الناس وقوله تعالى فان لك في الحياة الى اخره تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي
ثابت لك في الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على
ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحياة اي مدة حياتك ان تفارقهم
مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام
لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا ما كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى
صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من
المعاملات وصار فيما بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه
باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة
ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت
ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اي في الاخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله
ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والظاهر انه من اخلفت المواعد
اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي
ظلت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم
محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده
قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا او مبردا كأنه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين
ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة
الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب
وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من
غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش
وقوله تعالى وسع كل شيء ما من شأنه ان يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا
ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى
فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كأنه قيل وسع علمه كل شيء ثم

حديث

حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص
حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على
انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا
مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول
نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول الى
اخره وتأخيره لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص
عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من
امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في كون المؤتى
من لدنه ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول
بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع
لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة وايا ما كان فالجملة صفة لذكرا فانه اي من
اعرض عنه يحمل يوم القيامة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها
على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر والاول هو الانسب بما سيأتي
من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر
الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر
الى لفظها وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا
وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كأنه قيل لمن يقال هذا فقيل لهم واعادة يوم القيامة لزيادة
التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيامة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد
حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله
يوم نحشر المتقين الاية وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره
لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام وانه لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور
وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق
العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى
عدوهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان
حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة
ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة
او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او
في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات
لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة
والا لما انقطع عنكم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن
اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا وعملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا
القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك

الجلد مر

اى المعرض

عن الجبال اي عن حال امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطح اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تاملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شانه او رضي قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها ممن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام التهويل وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين لقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا او قيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الى اخره قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الى اخره كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل

بعض

بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص عليك ذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القران كله واضماره من غير سبق ذكر للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرانا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه انفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله واقواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع الاخرى وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى ادم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القران وبيان ان اساس بني ادم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه او ترك ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطا ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان نقيض العدم المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث بالطريق البرهاني لان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا عن الاخبار

مابعد

بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى ومفعوله اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى
ان يكون مع الساجدين او غير منوي راسا بتنزيله منزلة اللازم اي اظهر الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتنا بنصحه
يا ادم ان هذا الذي رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما
عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا اريتك هٰهنا والفا لترتيب موجب النهي
على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقا اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا
لاصالته في الامور واستلزام شقايه اشقاها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقا التعب في تحصيل مبادي
المعاش وذلك من وظايف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي
فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقا فيها والجد في الانتها عما يودي الى الخروج عنها
والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من الماكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس
البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقا فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقايضها التي هي الجوع
والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في
التحامي عن السبب المودي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة
حسبما ينطق به قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية وقد طوي ذكره هٰهنا اكتفا بما ذكر في موضع اخر
واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى اخره ان لا يصيبه شي من الامور الاربعة
اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس
والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع فيه شهوة وميل الى شي من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد
الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر انفا وفصل الظما عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر
عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك
الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو
على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصودة بالذات
مذكورة بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض اخر كما عسى يتوهم لو جمع بين
كل من المتجانسين وقري انك بالكسر والجمهور بالفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة
بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي
التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها
فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون
الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبرها ما فيها من الحكم الايجابي والسلبي وان
مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع
الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها
في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا
قايم حتى مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قايم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو
العاطفة وان كانت نايبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقايمة مقامها في استدعا معناها
واجرا احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع
حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت
له عليه السلام عدم الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام
تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمايك على التحقيق

فوسوس

فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استيناف عن (وقع جوابا)
سؤال نشا منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة
من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سوا كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين الاية
وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما
عريا عن النور الذي كان الله تعالى لبسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر
تفسيره في سورة الاعراف وعصى ادم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى فضل عن مطلوبه الذي هو الخلود
او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقري فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي
وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه
اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشي بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او
من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجه
قايلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتبا وقبول التوبة
لما مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبني على سؤال
نشا من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره الله تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجه
اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب
في اهبطا والجمع لما انهما اصلا الذرية ومنشا الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من
التجاذب والتحارب فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى
ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري
اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر
والمونث وقري ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك
على ازديادها وخايف من انتقاصها بخلاف المومن الطالب للاخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويوسع ببركة
الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو انهم امنوا واتقوا الاية وقال ولو ان اهل الكتاب امنوا
واتقوا الى قوله ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقري بسكون
الها على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله (عطف)
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم الاية لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
اي في الدنيا وقري بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الاية ومحل الوقف
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك مثل ذلك النسيان الذي كنت تفعله في الدنيا اليوم تنسى تترك في
العمى والعذاب جزا وفاقا لكن لا الى الابد كما قيل بل الى ما شا الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهل القيمة ويشاهد
مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر
يوم ياتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزا الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يومن بايات ربه
بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الاخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر
على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك
نجزي من اسرف الاية والهمزة للانكار التوبيخي والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية
باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان
فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا

افلم يجعل الهداية لهم او فلم يبين لهم ما امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله تعالى اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها الاية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله
تعالى اهلكنا الى اخره اما معلق للفعل ساد مسد مفعوليه او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له
مفعول كانه قيل اولم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الى اخره بيانا لتلك الهداية ومن
القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون
او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم
يهد لهم اهلاكنا للقرون الخالية من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى
الشام لاثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون
على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى
مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الى اخره وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه في بابه لايات كثيرة عظيمة
واضحات الدلالة على الحق فاذا هو هاد وايما هاد ويجوز ان تكون كلمة في تجريدية فانه لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بايات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه
دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وهو قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف يسيق
لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي لولا
الكلمة السابقة وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لحكمة مقتضية ومصلحة مستدعية لكان عقاب
جناياتهم لزاما اي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتاخرون عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه السلام
كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال
بمعنى مفعل جعل آلة لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيامة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار
باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الاي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد الى
الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين
لهم كداب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اي اذا كان الامر على
ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال فانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله
عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اي وانت حامد لربك الذي
يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له على ما ميزك
بالهدى معترفا بانه مولي النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الى اخره فان توقيت التنزيه
غير معهود والمراد صلاة الفجر وقبل غروبها يعني صلاتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة
قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر ومن آناء الليل اي من ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر وآناء بالفتح
والمد فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما
اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد
وطا واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والعصر ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع
لامن الالباس كقوله تعالى ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية
النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح
في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك

بيان المسكن

ربك

وربك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله
تعالى ازواجا منهم اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او حال من الضمير
والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف انواع بعضهم على ان معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف
الموصوف كما مر مرارا زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او
بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء
لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر بيان بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم
ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك اي ما ادخره لك في الاخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى
خير مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مامون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه
لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلاة امر صلى الله عليه وسلم بان يامر اهل بيته
والتابعين له من امته بالصلاة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا
يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق
نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اي لاهل التقوى على حذف
واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر
امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر صلى الله عليه
وسلم بالصبر عليها اي هلا ياتينا باية تدل على صدقه في دعوى النبوة او باية مما اقترحوها تعنتا من المكابرة
والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات حتى اجترؤوا على التفوه بمثل هذه العظيمة
الشنعاء وقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي انكار ايات القران الكريم التي هي ام الايات وراس
المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان
ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدا الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين
والاخرين على يدي امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي اية ترام
مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما
فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غني عن
عما يشهد عليه حقيته حقيق باثبات حقية غيره مما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاعجازه
واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للتنبيه والهمزة لانكار
الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم ياتهم سائر الايات ولم تاتهم خاصة بينة ما في الصحف
الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤوا على انكار سائر الايات مكابرة
وعنادا وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى اخر الاية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها
من كون القران اية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستاصل
من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
لقالوا اي يوم القيامة ربنا لولا ارسلت الينا رسولا مع كتاب فنتبع اياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل
بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا
نذير الاية قل اي لاولئك الكفرة المتمردين كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا
وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوى و
السوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها والجملة سادة مسد

في الدنيا

ما بعدها

معمولي العلم او معموله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب الصراط او على العائد في الاول بحذف في التقدير
اصحاب الصراط عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال
لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الانبياء مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة
غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي ينفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم
اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال
الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل
للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب
كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق
لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين
الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام واما الذي يستدعيه حسن
النظام مما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى
الحساب مع امكان العكس باعتبار التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في
كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من
الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي
ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار الى التوجيه بالوجه الاول
دون الثاني والاخير اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت
حتما واما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب
حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم
باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم
عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض
والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم
ذلك لكمال تذكيرهم وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم
او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد
التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه
استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون
حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا
النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها

مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين
ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم
عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله
تعالى هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر الخ في حيز النصب على انه مفعول للقول المضمر هو جواب
عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه وقيل
انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتأتون السحر وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون
مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على
وجه الاذعان وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما
ظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزعمهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة
الشرعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر
وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم نور النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قل ربي يعلم القول في
السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قال عليه السلام بعدما اوحي اليه اقوالهم واحوالهم بيانا لظهور امرهم
وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه
من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ
قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو
السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم
السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مضمار البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل
هذا الا بشر وفي ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل
افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني
لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحيرا لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول
كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا
المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل قالوا اضغاث احلام
مزج بقالوا المعدل بعيد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف
يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي
مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها
صفة لآية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي او نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا
اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان
مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه
لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن
الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه
خاتمة مقالتهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه و
في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله
عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت

مقوله لقالوا

١١

الجو منه تعالى زعمهم الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله تعالى من قرية اي من اهل قرية والهمزة في قوله تعالى
أفهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين
فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا
ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم
ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم
هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك
الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة
الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق الآية ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم والحق انهما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر
والى الملك الملك حسبما نطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة الآية فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملائكة لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع وانما
الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالارواح القدسية المتعلقين بكلا العالمين
الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى يوحى اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى الخصوصية والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى
امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع
والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما
يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية الى كلما كالامر بينك وبينهم من البشرية فما لهم لا يفهمون انك
لست بدعا من الرسل وانما اوحي اليك ما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى بالياء على صيغة المبني
للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريق الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف
العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر
فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم السلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار
الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في
امره صلى الله عليه وسلم ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما
جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم
في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم
يكن كذلك بل بمعنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله
تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المتناول للكثير اي ما ابدعناهم
بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب
بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان التحلل يؤدي الى الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على ما
جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المتناول المراد
بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا
متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب احوالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة
فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك

الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية
وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف
الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه
بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد
انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما
يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق
رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار مزيد
الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم
الشأن نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بجليل آثاره
مستوجب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه
في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب لسياق
النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه
من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم
قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية
مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بانفصال اجزاء المكسور وزوال
تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير
مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي كثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله كافرين بها كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاك اهلها
قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء
على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس اذا
هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان
المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف
ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل
او تسعدون اذا رؤيت مساكنكم خالية وتسألون من اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رئاء وبخلا فقيل لهم ذلك تهكما اي تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي
هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم باستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم
ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال
فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين ميتين
من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم
لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى
لانه في حكم جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السماوات والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني
آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب
النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم
ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها
على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال

تنزيهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناها
وما بينهما لتكون مبدأ الوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى
طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء الاية وقوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى **لو اردنا ان نتخذ لهوا** استيناف مقرر لما قبله من انتفاء
اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب **لاتخذناه من لدنا** اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من
المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن
يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وهو قوله تعالى **ان كنا فاعلين** جواب محذوف ثقة بدلالة
ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخذنا اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا
لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده **بل نقذف بالحق على**
الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي
من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد **فيدمغه** اي يمحقه
بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخر
ولمحقه الباطل بالدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له
بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم **فاذا هو زاهق** اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة
الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل **ولكم الويل مما تصفون**
وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف
هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل وصفكم له سبحانه
بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه من الولد او كانه مما تصفونه تعالى به **وله من في السموات والارض**
استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له
تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتصرفا وتدبيرا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او
استتباعا **ومن عنده** هم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا
لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره **لا يستكبرون عن عبادته**
اي لا يتعاظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبراء **ولا يستحسرون** لا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور
للتنبيه على ان عبادتهم لثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت
اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي
المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات
والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية **يسبحون الليل والنهار** اي ينزهونه في
جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم وكيف يعبدون فقيل
يسبحون الليل والنهار الخ او حال من فاعل يستحسرون وقوله تعالى **لا يفترون** اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل
آخر **ام اتخذوا آلهة** حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه
تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته
منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع وقوله تعالى **من**
الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لالهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى **هم ينشرون**
اي يبعثون الموتى صفة لالهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي
بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم

وانهم

وانهم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما
ومعنى التخصيص في تقديم الضمير تقديم ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار
كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة
امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يحمل ذلك على استبعاد دعاويهم الباطلة فان الالوهية مقتضية للاستقلال
بالانشار او الاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار
لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ
الالهة لان الجمعية مدخلا في الاستثناء وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لالهة ولا مساغ للاستثناء لا
شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى لا للتعدد
الذل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط في كلام غير موجب لو كان في السموات والارض الهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل
لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد
بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منهما
وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية فالبرهان
يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف بقي الكل فلا
يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى **فسبحان الله** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت
الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه التسبيح اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له
شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي
من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **رب العرش** صفة للاسم الجليل مؤكدة
لتنزهه تعالى **عما يصفون** متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة **لا يسأل عما يفعل**
استيناف لبيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما
يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالوهية **وهم** اي العباد **يسألون** عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له
تعالى مستعبدون وفيه وعيد للكفرة **ام اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة
حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق
وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء له سبحانه و
تبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك
والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور
شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر
هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في
مثل هذا الشان الخطير وفي اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى **هذا ذكر**
من معي وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل
المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شان التوحيد المتضمن
للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب
انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف راجعوها وانظروا هل في واحد منها
غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيتهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة وعن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون**
الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم

سبحانه

المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون
اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج
او معرضون عما القي اليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وسط بين السبب والمسبب
تاكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما
فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا
للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية
لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك نقل الواحدي انه نزل في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له نعمة او منعما عليه
لكمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على
ان السبحان علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل
ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشا غلط
القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون
شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى او يامرهم به واصل منزلة سبقهم اياه اياه تعالى
لمزيد تنزيههم عن ذلك للتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض بالذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق وادا
له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته وفيه استهجان السبق
واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنبيه لهم عما نعى
عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال
اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى كانه قيل هم بامره يقولون وبامره
يعملون لا بغير امره اصلا فان القصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانه لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون
احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من
خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتنا
فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى بالعكس ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم
بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض المحال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا
يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة
كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون
ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من
التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر
في الايات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السماوات
والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى على حذف المضاف اي ذوي
رتق او الرتق بمعنى المفعول اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع
السما الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتزقتين ثم خلق ريحا متوسطتهما ففتقهما بها وعن الحسن خلق الله
تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر

موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في
رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر
والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السما الدنيا والجمع باعتبار الافاق وان السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار
وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما
بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلما ومطالعة الكتب وجعلنا من
الما كل شيء حي اي خلقنا من الما كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه
اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الما اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان
المفعولين في الاصل مبتدا وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدا فان ذلك مصحح لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل
او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول تقدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم
ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية
وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفا للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي
ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت اي جمع راسية من رسى الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف
جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلا مما لا ريب في صحته كقوله اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة
ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالتباس وجعلنا فيها اي في الارض تكرير الفعل لاختلاف
المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه وفي الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا سبلا اي مسالك واسعة وانما قدم على
قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السما سقفا محفوظا من الوقوع
بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها الدالة على
وحدانيته تعالى وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علم الطبيعة والهيئة معرضون
لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
اللذين هما اياتهما بيان لبعض تلك الايات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتاكيد الاعتنا بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده
كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الما والمراد بالفلك
الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع
باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلا لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا
لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون
والفا لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرير القاعدة الكلية المنافية له والمراد بانكار
خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته صلى الله عليه وسلم فان الشماتة بما لا يعتريه
ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين
او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون
فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون اي الينا لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايما الى ان المقصود من هذه
الحياة الدنيا الابتلا والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا راك الذين كفروا اي
المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على قصر معاملتهم معه صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم اياه

هزوا انما هو المتبادر كانه ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى
الي اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
الخ وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه صلى الله
عليه وسلم ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق
بارسال الرسول وانزال الكتاب وبالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر
وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد
وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من
الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر
ابن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وعن ابن عباس ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه
حين بلغ الروح صدره ولم يبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى
وقيل خلقه الله تعالى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا
ناشئا من عجل تذكر لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى
اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بطريق التقدير صح
بها والنهي عن ما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا
يوعدون وانما كانوا يقولون استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام
كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات
الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما
تعدنا الآية فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فانه ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة
كأنه قيل فلياتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما
فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم
العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز
الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت
الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند
المخاطب مع انكار الكفرة لذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات
المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي ولو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط
بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب في استلزام الاحاطة بها لكن لا يقدرون
على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم
متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهلهم مبين لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه
قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اي لا يكفونها بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم
اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها عنهم
بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به في ضمن الاستعجال ووعد ضمني بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل
السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو

صفة لها اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيبه او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر
والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق
وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل
والضمير المجرور راجع اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به
من حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على
على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل
بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان
الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى
ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية قل خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له صلى الله عليه وسلم بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق
التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلا ونهارا
وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة
وبعد ما امر صلى الله عليه وسلم بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم بانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم
في الكون لحل بهم فنون الآفات فانهم لجهلهم لا يبلغوا الاعتراف به فيرتدعوا عما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى
بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم من انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا
ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا الخيرا
منه الكلام ما دام يحيون من لوى والمجاز وتعليق الاعراض بذكره تعالى مع ايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته
وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كمال سوء حالهم ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل
للاضراب والانتقال عما قبله من بيان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم
باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار الا ان تكون آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تجاوز
منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بالمنع
من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال أآلهتهم تمنعهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون نصر
انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك
وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على
انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي لا ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها
فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله تعالى من ديارهم على ايدي المسلمين من نقصها الى دار الاسلام
أفهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء للانكار وترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة
وتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله
تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعرض بتعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعدما بين
من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم
الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم انما انذركم
ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك

لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام
الملقن [illegible] صلى الله عليه وسلم بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس
المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون
مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك
فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما
من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون كما تؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب
الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على اسناد الفعل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ على البناء
للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تاثرهم من مجيء نفس العذاب
اثر بيان عدم تاثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة
بجوهرها وبنائها فان اصل النفحة هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعون على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفون
عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة
الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيامة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما
في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا
فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل
اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع
على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعتبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا
بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره
بالتاكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء وبالذكر اي وبالله لقد آتيناهما
وضياء ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس
وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره وذكرى بما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل
الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا
سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ
ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل
او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض
بالكفرة حيث لا يتاثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون
منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق
للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على
ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف
الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما
صفة ثانية لذكر او خبر آخر افأنتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم
شانه كان التوراة في الايتاء والانزال انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا
مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند

الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده
[illegible] من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه وقيل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه
تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب
عليه من اقواله وافعاله وقيل معمول لمضمر مستانف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لابيه وما ترتب عليه من افعاله
قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع
مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه الصلاة والسلام حيث سالهم عن اصنامهم التي يطلب بها
بيان الحقيقة او شرح الاسم لانه لا يعرفونها ماذا مع احاطته بانه حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا
وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض
من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا
لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله صلى الله عليه وسلم الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه
وصفه عليه الصلاة والسلام اياهم بالعكوف لها كانه عليه الصلاة والسلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال
لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث
لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان
الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل والتقليد انما يجوز
فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه الصلاة والسلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من
تضليله عليه الصلاة والسلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كلامه عليه الصلاة والسلام على وجه الجد اجئتنا بالحق
اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه الملاعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة
على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه الصلاة والسلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم
كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن
اثر وصفه تعالى بربوبيته لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشاهن بما فيهن من المخلوقات
التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم
اي الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين على سبيل
الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته لها كانه
قال وانا ابين لك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب
لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه
الصلاة والسلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي
بحذف احدى التاءين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا
فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ
بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفيف وخفاف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج في
يوم عيد لهم فبدءوا ببيت الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في
عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام

يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود
ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم
وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة
الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر دون الضمير والتماثيل ولا دعي من يديهم مبالغة في التشنيع
وقوله تعالى انه لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها
والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام
او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او تعريض نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين
سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة
لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه الصلاة والسلام بالذات يذكرهم وان كانوا
سمعوا من الناس انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابرهيم صفة اخرى لفتى
اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فأتوا به على اعين الناس اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم
في مكان مرتفع لا يكاد يخفى لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك
فالضمير حينئذ ليس للناس بل للبعض منهم مبهم او معهود قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه
قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم اقتصارا على حكاية
مخاطبتهم اياه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل فعله
كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه الصلاة والسلام تعريضا يؤدي به الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على
ألطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر
للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت
تلك الاصنام غاظته عليه الصلاة والسلام حيث ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وتعالى
وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما
يعود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه
ويحكى انه عليه الصلاة والسلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا
اراد به عليه الصلاة والسلام تنبيههم على غضب الله تعالى لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه
الصلاة والسلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك كما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط أأنت كتبت هذا فقلت له انت كتبته فان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال
لابتنائه على صدورها عن غيرك بحمل عنه مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه الصلاة والسلام من
اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال الصدور عن الغير عندهم
بل انما مراده عليه الصلاة والسلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم
ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه الصلاة والسلام ان كانوا يسمعون او
يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال الموقوف على السمع والعقل ايضا
لما ان نتيجة السؤال الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك حسبما نطق به قوله
تعالى فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار
بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا
فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ

المستتبع

المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين بهذا السؤال لانه كان بعبادتها لا
كسرها ثم نكسوا على رؤسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار
نفي النطق لا نفي استمراره كما توهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من
دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بالحالة المنافية للالوهية
مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه الصلاة والسلام من اصرارهم
على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا
ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما
عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة
وافتضح لا مفزع له الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر
او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون
وقيل هدير خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه الصلاة والسلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى
الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين
يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها
ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابرهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه فيه مقيدا فرموا به فيها
فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله
تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم اي كوني ذات برد وسلام
اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة بقدرته تعالى مأموره مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام
ابردي ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة
اخذوا بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه
عليه الصلاة والسلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله
تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على
احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي فخرج
منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيت معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب
الى ربك قربانا لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما دمت على
دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك
ابن ستة عشر سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل
لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه الصلاة
والسلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابرهيم واردوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار
به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه الصلاة
والسلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي

انه عليه الصلاة والسلام نزل بفلسطين ولوط عليه الصلاة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا
له اسحاق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص يعقوب ولا لبس فيه
للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين اي بان وفقناهم للصلاح
في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام
بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم
فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله
تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من
احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا
هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق
وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم الصلاة والسلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة و[صفت]
بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين
فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي واذكر (او في جنتنا)
نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت
دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله
من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار
ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتصر يأباه ما ذكر من دعائه عليه الصلاة والسلام
فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله
وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك
قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى
اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما
في الحرث اي في الزرع والكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت
فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد
الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر
للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة
او الفتيا روي انه دخل على داود عليه الصلاة والسلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته
فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه الصلاة والسلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود
فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع
بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت
وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما الصلاة والسلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه الصلاة
والسلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق كذلك
ايضا ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي سليمان عليه الصلاة والسلام
استحسان كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم ارفق بالفريقين ورأي داود عليه الصلاة والسلام قياس كما ان العبد
اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك عند الشافعي وقد روي
انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه الصلاة والسلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل

في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي رضي الله عنهم فيمن غصب عبدا فابق منه
انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى
ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه الصلاة والسلام اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد
لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عليه الصلاة
والسلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله
تعالى لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا
آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه الصلاة والسلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه
الصلاة والسلام حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ
المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما
تفضل عليه في صغره فانه عليه الصلاة والسلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع
في بيان ما يختص كل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت
يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير و
لا تسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او الخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل
العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك
ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدروع وهو في الاصل اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بؤسها * وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او
بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه الصلاة
والسلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة
من الام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام
للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام هنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخرناه له عليه الصلاة والسلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه
والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه الصلاة والسلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق
التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به في عبادة الله عز وجل عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل
المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال
تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه
الصلاة والسلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدا
في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه
الصلاة والسلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام الى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه
حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من
نفائسها وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء
المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب الآية وهؤلاء اما الفرقة
الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانب
اللفظ بقوله تعالى ومن الشياطين روي ان المسخر له عليه الصلاة والسلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن
الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل

حفظا من الملائكة وحفظا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما
عملوه في النهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اي باني
مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من
مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض
الطلب لطفا في السؤال وكان عليه الصلاة والسلام روميا من ولد عيص بن اسحاق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله
فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة
او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات. روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه الصلاة والسلام او رحمة بنت افرايم
بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد
اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذته منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد
وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه الصلاة والسلام
كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق شيئا من طعامك
وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت
ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه
الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا
وعاد الى شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى
شيئا مما كان فيه من الاهل والمال الا وضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان له
بان ولد له ضعف ما كان. ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن
اليه فلما رجعت اليه ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة وقد تغيرت تلك الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة
وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأله عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت
اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال لها ما كان زوجك بكت وقالت بعلي فقال أتعرفينه اذا رأيتيه فقالت
وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر
لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا
اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسماعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل
يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبيائه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي
الكاملين في الصلاح والكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ ذهب مغاضبا
اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم
بالعذاب فلم يأتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانهم اغضبوه بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب
عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن
نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى
يحسب ان ماله اخلده اي نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة
وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى اي فقضي بقضية اي كان ما كان من المساهمة والتقام
الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت

اي بانه لا اله الا انت على ان أن مخففة من أنّ وضمير الشأن محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك
انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي هذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم
بتعريضها للمهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف
وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم
بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام
وقيل الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء
[illegible] وقرئ نجي بتشديد
الجيم فان اصله ننجي حذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتيهما لان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف
في حرف المضارعة [illegible] او هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره
مذكور والماضي وزكريا اي اذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد
يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية
الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة
بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى
المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على
كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او
في الطاعة وخائفين العقاب والمعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين مخبتين متضرعين او دائمي الو
والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اي اذكر
خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموه في حقها
أثر ذي أثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها
من جهة روحنا جبريل عليه الصلاة والسلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من
تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكثر آيات كل واحد منهما
وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها
في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب
للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم
والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما
خبران وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات
الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين
كأنه قيل ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحد من الفرق
المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ
بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الخ
تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله وبرسله فلا كفران لسعيه

لعله دعي الله

لاحرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا اهلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف وتعليل لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكرنا في الآية السالفة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ولا يجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الى آخره وهي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى آخره وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط اي المفاجاة تسد مسد الفاء الجوابية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو جواب الشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة للاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانهم التي يعبدونها كما ينبئ عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة ورد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه صلى الله عليه وسلم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك اذ لا امار وي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة ام لكل من عبد من دون الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منهما نصا في عموم كلمة ما كان الاول نصا في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله صلى الله عليه وسلم بعدما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام

وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور لانه بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم الآية ثم داخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم الصلاة والسلام هذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى آخره بيانا للتجوز والتخصيص فمما لا يساعده السياق والسباق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا به بالمصدر مبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فتحقيق بطريق التكملة باجراء الكلام اليه عند بيان ما سيق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكل فيها خالدون وكان الاقتصار على الجواب الاول لما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس هو مع كونه من افعال العبدة اضيف للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر لا دخل في الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام على قرية الى آخره اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرا هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا وان كان صوتها في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في ابعادهم وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في

صورة كبش أملح وقيل النفخة الأخيرة وقوله تعالى يوم يفزع من في السموات ومن في الأرض
وليس بذاك فإن الأمن من ذلك الفزع لمن استثناه الله تعالى بقوله إلا من شاء الله لا لجميع المؤمنين الموصوفين بالأعمال
الصالحة على أن الأكثرين على أن ذلك في النفخة الأولى دون الأخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة
أي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على إرادة القول أي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في
الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات والأعمال الصالحات لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم
الصلاة والسلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم
الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والمراد بالطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى
بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة أي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر
والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أو صفة على
تجويز حذف الموصول مع بعض صلته أي كطي السجل كائنا للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتب عبارة عن الصحائف وما
كتب فيها فسجلها بعض أجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب فهو إما مصدر واللام للتعليل أي كما
يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالإمام واللام كما ذكر أولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت
إليه وقيل السجل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا أول خلق نعيده أي نعيد ما خلقناه مبتدأ
إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجادا بعد العدم أو جمعا من الأجزاء المتفرقة والمقصود بيان صحة الإعادة
بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية
وأول مفعول لبدأنا أو بفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأناه وأول
خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده أو منتصب به
لأنه عدة بالإعادة علينا أي علينا إنجازه إنا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود
عليه الصلاة والسلام من بعد الذكر أي التوراة وقيل اللوح المحفوظ أي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود
عليه الصلاة والسلام بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا وأثبتنا في اللوح
المحفوظ أن الأرض يرثها عبادي الصالحون أي عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى
بإظهار الدين وإعزاز أهله وعن ابن عباس أن المراد أرض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده إلى قوله حيث نشاء وقيل الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن في هذا أي فيما ذكر
في السورة الكريمة من الأخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد
وصحة النبوة لبلاغا أي لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية لقوم عابدين أي لقوم همهم العبادة دون العادة
وما أرسلناك بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين
إلا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي ما أرسلناك بما ذكر لعلة من العلل
إلا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أي وما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم فإنما بعثت بما
لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمه حقه
لا أنه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله
لكم إلا إله واحد معبود لأنه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه من الأحكام المتفرعة فإنما الأولى لقصر الحكم
على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا
صفة القيام فهل أنتم مسلمون أي مخلصون للعبادة لله تعالى مختصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن
ما قبلها موجب لما بعدها فالآية دالة على أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع فإن تولوا

عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي فقل آذنتكم أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء
كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا على
سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وإن أدري أي ما أدري أقريب أم بعيد ما
توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة إنه يعلم الجهر من القول أي ما تجاهرون
به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وإن أدري لعله فتنة لكم أي ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم
وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين أي وتمتيع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ
قل رب على صيغة الأمر أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم
وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا ببدر أي تعذيب وقرئ بضم الباء وربي أحكم على صيغة التفضيل
وربي حكم من الأحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر أي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان أي المطلوب منه
المعونة خبر آخر للمبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره صلى الله عليه وسلم خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة
به صلى الله عليه وسلم كما أن إضافته هاهنا إلى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين أيضا لما أن الاستعانة من الوظائف
العامة لهم على ما تصفون من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد
وإن المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله
عليه وسلم فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه
الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر في القرآن والله سبحانه وتعالى عز وجل أعلم بالصواب

سورة النور ستون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم خطاب
يعم حملة المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين
بعد ذلك إلى يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الأول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع
سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر في اتقوا فوارده على نهج التغليب لعدم
تناولها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترغيبا وترهيبا أي احذروا
عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة
فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مبادئه من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس
التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق
التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله
على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف إما بإجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير في كما
في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن أنها تكون
يوم القيامة وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي أنها تكون قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها

الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة
ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير
للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت
اي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي الذي ارضعته تذهلها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول
وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا الا انها تعرف شيئه ولكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي
تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للفاعل
مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها
لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي اما على ما روي عن ابن عباس فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه
ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون
على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس
من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس سكارى بفتح الراء والتاء على خطاب كل
احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها
الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل احد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك
الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها
كانه قيل ويصير الناس سكارى الآية وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها
من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن
عذاب الله شديد فيرهقهم هوله ويطير عقولهم وقرئ بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما والناس
منصوبا اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ سكرى
بالفتح وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وسكرى كجوعى وعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس
مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع او بتقدير ما
يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير
فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم
روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد
الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة اي في كل ما يأتي وما يذر
من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المبني عن التجرد له
كالشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما
رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة
اخرى له انه بالرفع كتب والضمير للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله اي الشأن من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه
فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط اي من تولاه فشأنه انه يضله عن طريق الجنة او عن
الحق ونحو انه يضله قطعا وقيل فانه يضله على انه فيه من التعسف ما لا يخفى وقيل لما لا يخلو عن التحمل والتأويل وقرئ
فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل
والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على رأي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة
ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت
الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى
او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالحلب في الحلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة

مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك اشارة الى ما عليه النظم الكريم على ان تعالى
ان ارتبتم في البعث بدما تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى
خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق
كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل
كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه
الصلاة والسلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة
اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي
قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق
مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم
يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي
البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة
وغير المسواة وبالتامة وبالساقطة وليس بذاك الذي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما
بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة الآية مزيدا لا له على عظيم قدرته تعالى وكسر سورة
استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك
ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقيا
جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قطعا وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله
مرة بعد اخرى بتصويره في اطوار الخلقة من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والانفعال من المخالفة والتباين فهو
قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الحذف والالتفات وقوله تعالى
ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان ما لهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه
في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى
بل جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل
مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى بعض ما في الارحام لا
يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقطه والتعرض للاولاد لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى على
اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وانما فضل الى ما هي الاطوار المتواردة
على المولود قبل الولادة وقرئ ونقر بالياء ونقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم
بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس
المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة
اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم
في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الى آخره وما قيل انه معطوف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم
على التدرج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا
ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات
ومقصود بالذات واعادة اللام هنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه
يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا اليه
تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال
والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسود والقتود وكانها شدة في غير شيء بنيت على

مخصص

لفظ الحج ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد وقبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء بتعيين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وانما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول فالمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بانه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيا النطفة والارض الميتة مرارا وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته التي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احيائها كلها فمبناه العقول لما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسببا لها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدورة عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغيير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من العقول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطالع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم واحياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى حقيقته تعالى في افعاله واشتمالها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في نهاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك انما هو في سببية ما ذكر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل ان قوله

من العالمين صح

تعالى

تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدا محذوف والمعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى فعل ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الآتين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان والاول من يقلدهم كما ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من ان الله لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وانه وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا مستكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين والناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا اذ المفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسببه ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف اثر بيان حال المجاهدين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمان به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمان به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي ما يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال صلى الله عليه وسلم ان الاسلام لا يقال وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق

يدعو لمن ضره أقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع إزاحة
ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب أيضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة
على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله تعالى
لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جمادا
وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه أي يقول ذلك الكافر
يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلا لمن ضره أقرب
من نفعه لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو الثاني
إعادة للأول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده بقوله تعالى ذلك هو الضلال
البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم يقول لمن ضره أقرب من نفعه
والله لبئس المولى ولبئس العشير وكلمة من وصيغة التفضيل تهكم أيضا والجملة القسمية مستأنفة إن الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى بأن الله
تعالى يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات إثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي
المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته
وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات فإن أريد بها الأشجار المتكاثفة
الساترة لما تحتها فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها
وإن جعلت عبارة عن مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل
كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى إن الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أي
يفعل البتة كل ما يريده من الأفعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها إثابة من آمن به وصدق
رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان نصره من آثار نصرته تعالى
له صلى الله عليه وسلم عقب بقوله عز وعلا من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا
لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة
من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته
بعض الأمور ومباشرة ما يرده من المكائد فليبالغ في استفراغ المجهود وليتجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى أمره
وعاقبة مكره أن يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم إنتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب إلى السماء
فليمدد حبلا إلى سقف بيته ثم ليقطع أي ليختنق من قطع إذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع
الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره على أن المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ تقرير النظر وتصويره أي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو أقصى ما انتهت
إليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه إن فعل ذلك هل يذهب
ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا إلى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ
عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الأمور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل
من إذهاب ما يغيظ ومن البين أنه لا معنى لفرض وقوع الأمور الممتنعة وترتيب الأمر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي
فإن فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله
رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه صلى الله عليه وسلم ويخشون أن لا
يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى أن الأرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضى
بقسمته فمن ظن أن الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب

القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك أي مثل ذلك الإنزال البديع المنطوي على الحكم البالغة أنزلناه أي القرآن الكريم
كله وقوله تعالى آيات بينات أي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير
إليه بذلك وأن الله يهدي به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه من يريد هدايته أو تثبيته أو زيادة فيها
ومحل الجملة إما الجر أما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أي ولأن الله يهدي من يريد أنزله كذلك
والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الله تعالى يهدي من يريد هدايته إن الذين آمنوا أي بما ذكر
من الآيات البينات لهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى
اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى شيئا ومن اليهود شيئا وهم القائلون بأن للعالم أصلين
نورا وظلمة والذين أشركوا هم عبدة الأصنام وقوله تعالى إن الله يفصل بينهم يوم القيمة في حيز الرفع على أنه
خبر لأن السابقة وتصدير طرفي الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس
المتفقة على ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب
استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى إن الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل أي عالم بكل شيء من الأشياء
ومراقب لأحواله ومن قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة مع الإشارة إلى
كيفيته وأجزاء أجزيته اللائقة به عليه وقوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض إلى آخره
بيان لما يوجب للفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الإشارة إلى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والإثابة
والإكرام والإهانة إثر ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الأشياء التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد
بالرؤية العلم عبر عنه بها إشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء
بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه
بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيذانا بكونه في أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء
سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم أيضا وهو الأنسب بالمقام لإفادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق فيهما أو بطريق
الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب إفرادا لها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها عادة أو جعلت خاصة بالعقلاء لعدم تحقق شمول الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى وكثير من الناس فإنه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ومن قضيته استفادة ذلك من بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو
حق له الثواب والأول هو الأولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز أن يكون من الناس خبرا له
أي من الناس الذين هم على الحقيقة وهم الصالحون المتقون وأن يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير
للإيذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم بغاية استحقاق العذاب كأنه قيل وكثير من الناس حق عليه العذاب أي
بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا أي حق عليهم العذاب حقا ومن يهن الله بأن كتب عليه الشقاوة
حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على أنه مصدر ميمي
إن الله يفعل ما يشاء من الأشياء التي من جملتها الإكرام والإهانة هذان يعني طائفتي الخصام وإراحة
لما عسى يتبادر إلى الوهم من كونه من كل واحد من الفرق الست ومن البوائق في تحرير المحل أي فريق المؤمنين
وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس خصمان أي فريقان مختصمان وإنما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى
أي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فإن اعتقاد كل
من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وإن لم
يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم

وبينا قبل نبيكم ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما أجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب
بلابسها يصب من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس لو سقطت قطرة منه على جبال
الدنيا لاذابها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الا
والاحشاء وقرئ بتشديد الهاء للتكثير والجلود عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة
الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم
للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على
الخروج من النار ودنوا منها حسبما روي انها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا
فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل الاشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير
اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا
على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان
سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله تعالى وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال
مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها
على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة وقرئ يحلون من حليت
المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور وهو جمع اسورة جمع سوار او للبيان
لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب
بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون
وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا ولليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير
غير الاسلوب لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد او لمجرد المحافظة على هيئة
الفواصل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وان المحتاج الى البيان انما
هو انواع الحلي والاساور رفاتها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو
الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قوله الحمد لله الذي صدقنا وعده
واورثنا الارض الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن
ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد
الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وبصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحمد لذاته لغاية
الحمد وهو الله عز وجل وبصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحمد لله يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله لم يرد به حال ولا استقبال وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على
الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون
وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلأن يعاقب من
جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة
بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه
والبادي اي المقيم والطاري وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق بمحذوف
له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عن الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل
متناول وكأنه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني

نصف القرآن باعتبار الكلمة

بدل من الاول باعادة الجار او صفة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم جواب
لمن وإذ بوأنا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل لابرهيم مكان البيت وعليه يبنى
قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه الصلاة والسلام اي مرجعا يرجع
اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث وقد مر
بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام
الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم عليه الصلاة والسلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج
كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الشريفة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة
وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابرهيم عليه الصلاة والسلام والثالثة بناء قريش
في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رحمه الله تعالى والخامسة
بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشأن من الاقاويل في تفسير قوله تعالى وإذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان
في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية
موصولة بالنهي قد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة
باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وأذن في الناس
بالحج وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى
ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك
جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى
وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة
لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج
طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق
بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه
العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله
عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعلها غاية للاتيان ايذانا بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو
كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة
الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بيانا على النحر
وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار
بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فما نحرتم اي فاذكروا اسم الله تعالى عليها فكلوا من
لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم
وأطعموا البائس الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا
تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم اي ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا
نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي
به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس
او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فعصمه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن
الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او

لعله التبوئة

بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله أي أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة وما يتعلق بالمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له أي فالتعظيم خير له عند ربه أي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير من يشرعه والا لعلة الحكم وأحلت لكم الأنعام وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق بقوله تعالى إلا ما يتلى عليكم أي إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام ودفعا لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرم به كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج إلى الاستثناء المذكور إذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا مراعاة حسن التخلص إلى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإنه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والا عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من دواعي التعاطي لا من دواعي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه فإنه مما يوجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله سبحانه بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الأفك الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به أي شيئا من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الإشراك وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح الإشراك فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر فتخطفه الطير فإن الأهواء الردية توزع أفكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تختطفه أو تهوي به الريح أي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طرح به في الضلالة وأو للتخيير كما في أو كصيب أو للتنويع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى من يشرك بالله فقد أهلك نفسه هلاكا شبيها بهلاك أحد الهالكين ذلك أي الأمر ذلك ومن يعظم شعائر الله أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فإنها أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب أي من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت المضافات والعائد إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالإضافة لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء لكم فيها أي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه ثم محلها أي وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية إلى البيت العتيق أي إلى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني أو الرتبي أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظم منها في النفع محلها أي وجوب نحرها إلى البيت العتيق أي منتهية إليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أي منتهية إليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك وإضافة المحل إليها لأدنى ملابسة ولكل أمة أي لكل أهل دين جعلنا منسكا أي متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله

عز وجل وقرئ بكسر السين أي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أي لكل أمة من الأمم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام والخطاب في قوله تعالى فإلهكم إله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله أسلموا لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها والصابرين على ما أصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلاة في أوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الأصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كخشب وخشبة والسكون تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لغة الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذ من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الإجزاء على سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على أنه خبر وقوله تعالى من شعائر الله أي من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير أي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافيا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء على الإطلاق كما في قوله لعلي أرى باق على الحدثان فإذا وجبت جنوبها سقطت على الأرض وهي كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر أي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع والسائل من قنع إليه قنوعا إذا خضع له في السؤال والمعتر أي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها في نحرها لعلكم تشكرون لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص لن ينال الله أي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعو إلى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما هداكم أي أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم إليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم إن الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا إلى أداء مناسكهم وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرار الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما

تجرد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد
الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانات الله
تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي معظمها كفور لنعمه وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد
البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي واردا على المبالغة ثانيا اذن اي رخص وقرئ
على البناء للفاعل على اعتبار النفي ولا وارد معنى المبالغة ثانيا للذين يقاتلون اي يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف
لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون
ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج ويتظلمون
اليه فيقول صلى الله عليه وسلم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية انزلت في القتال بعدما نهي
عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح
بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على
الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من
ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدا
والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله
تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين
لا الاخراج والتسيير لكن لا على … بل على طريقة قول النابغة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم •
• بهن فلول من قراع الكتائب • وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبان
وبيع للنصارى وصلوات اي كنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد
للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل
اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه
او ينصر دينه ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة
الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا
يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف
من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم
زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة
العادلة لغيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين
بدل من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتدبيره وفيه تأكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء
كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم
باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان
لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته صلى الله عليه
وسلم عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في
ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين

اي وسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر وانما حذف لكمال الظهور والمراد ولان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى اخره
وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبته
القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى
حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية
الشناعة لكون اياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت اجالهم والفاء لترتيب
امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير
العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم
اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك
اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى
اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء
واهلكناها خبره اي وكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم الاية وهي ظالمة
جملة حالية من مفعول اهلكنا فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال
خوائها فعلى الاول لا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط
من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو
من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز على عروشها خبرا بعد
خبر في خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت على الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي
مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر انفا وبئر معطلة عطف على قرية اي
وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع
البنيان او مجصص اخليناه وهذا يؤيد كون معنى خاوية خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل حضرموت
وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح عليه الصلاة والسلام فلما قتلوه اهلكهم الله
تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد
سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر
يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار
قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم
المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع
اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع
الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي
يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا
اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون
به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله تعالى ولن
يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل
كيف تنكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة
لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها
ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية

عظمتهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا الاية
ولذلك يرون مجيئه ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا
واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون وادق هذا المعنى وقد جعل الخطاب
في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد
بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
الاية فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود
والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم
الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي هو تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم
ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن العذاب المستطال لشدته او
عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما
ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان
المقارن له الا ترى الى قوله تعالى وكأين من قرية الى اخره فانه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين
ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وترجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها جملة حالية معتمدة لكمال حلمه تعالى
ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأبكم وهي ظالمة
بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى ثم اخذتها والي المصير اعتراضية تذييلية مقررة لما قبله ومصرح
بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا
لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما يفعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم
انذارا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به
والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما اندر منهم من الذنوب ورزق
كريم وهي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي ساعين وسابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من
المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون
بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمون للنار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير
شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم علماء
امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم
الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من
لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه
ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب بعصمته عن الركون اليه
وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية
من موجبات احكام اياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد

من قول او فعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض
التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى
كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق
لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في
المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الاية وهو مردود عند المحققين
ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته والقاء [illegible] ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وقد رد ايضا بانه يخل بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله
وفي الاية دلالة على جواز السهو من الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء
الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا لان تمكينه تعالى
اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق
والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية والقاسية قلوبهم اي المشركون
وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي
شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف بحقيقته هو معروضه للمبالغة
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القران الحق من ربك اي الحق النازل من
عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته
في جنس الانس من لدن ادم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى
فيؤمنوا به اي بالقران اي يثبتوا على الايمان او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية
والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير من الاسماء الثلاثة الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله
لهادي الذين امنوا اي في الامور الدينية خاصة خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو
النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال
منه اي من القران وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته
وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما ما جوز من رجوع الضمير لما القى الشيطان في امنيته
فمما لا مساغ له لان هذا ليس من جنايتهم التي تستمر الى الامد المذكور ثم ان مريتهم في شان القران لا يجدي حمل من على السببية
دون الابتداء ايضا اذ مريتهم المستمرة كانها ليست مسببة عنه لاشتباه فيه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم قبل
حتى تاتيهم الساعة اي القيامة نفسها كما يوذن به قوله تعالى بغتة اي فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها او
الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد يوما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد
به الساعة ايضا كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على شروطها
لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن
او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير فيه ومنه الريح العقيم
لما لم ينشئ مطرا او لم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا
وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل لشان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي
يقتضي ان المراد به يوم القيامة قطعا بينا لا ريب فيه الملك اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ
لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة
ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل

ذلا عن ما نسلوه بعد للدين امنوا بما تم كما قيل لان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة بحيث انه لا يكون مرادا الحكم
اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب فلا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق
بما ذكر فضلا عن المدار به فلا سبيل الى اعتبار شي منهما مع اليوم قطعا واما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي
تصرفات الخلق ومبدا ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فانما هو تابع عن بعض الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ
ياتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى فالذين امنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا بالقران
الكريم ولم يمارو فيه وعملوا الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو
مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية
في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول تقديره بالفا للدلالة على ان
تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المومنين بطريق التفضل
والاحسان لا الايجاب لاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب موكدة لما افاده التنوين من الفخامة
وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا
او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتدا وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة
خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا اضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا
اما مفعول على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر موكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة
وانما سوى بينهما في الوعد لاستوايهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوق
حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا في سبيل الله
قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلتا وقيل نزلتا في طوائف خرجوا
من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه
لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله ليرزقنهم
الله او استيناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله
قال ابن عباس انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله
لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة
لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده اي الامر ذلك كلام مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في
الاقتصاص وانما سمي الابتدا بالعقاب الذي هو جزا الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى
العقوبة لينصرنه الله على من بغي عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر
ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر والمغفرة ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة
لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا عن العفو والمغفرة فانه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر
على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان ان تعلو رتبته ومحله الرفع على الابتدا بان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على
بعض والمداولة بين الاشيا المتضادة وغير ذلك بادخال احد الملوين بالاخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الاخر
او بتحصيل احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب
بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد
لما مر انفا مبتدا خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده

حكم بينهم جملة مستانفة وقعت جوابا
عن سوال نشا من الاخبار بكون الملك
يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع
بهم فقيل يحكم بين الفريقين
المومنين به والمارين
بالمجازاه وقوله
تعالى
صح

فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان لكونه مبتدا لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات واما الثابتة
المثبتة فانه يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البنا للمفعول على ان الواو
لما فانه عبارة عن الالهة وقرئ بالتا على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم من حد ذاته والباطل
الهيته وان الله هو العلي على جميع الاشيا الكبير من ان يكون له شريك لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر
ان الله انزل من السما ما استفهام تقريري كما ينبي عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف
على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف
يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وتصرفا وان الله هو الغني عن كل شي الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشيا مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شيتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد
من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى الموخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدا تجري في البحر
بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الثاني ويمسك السما ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها
على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية
في الجسمية لساير الاجسام القابلة للميل اليها فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لروف رحيم حيث هيا لهم اسباب
معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجي اجالكم ثم يحييكم عند البعث
ان الانسان لكفور اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستانف جي به لزجر معاصريه
صلى الله عليه وسلم من اهل الاديان السماوية عن منازعته صلى الله عليه وسلم ببيان حال ما تمسكوا به من الشرايع واظهار
خطاهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا منسكا وضعنا وعينا منسكا خاصة لا لامة
اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا
استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا موكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل
والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث
موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث
النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في قوله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفا في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى
لكل امة من الامم من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هولا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين وعما منهم ان شريعتهم ما عين لابايهم الاولين من
التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهولا امة مستقلة منسكهم القران المجيد
فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما
ما جعله عبارة عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينازعنك على تهييجه
عليه الصلاة والسلام والمبالغة في تثبيته وابا ما كان فمحل النزاع ما ذكره وتخصيصه بامر الذبايح وجعله
عبارة على قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه
اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وساير ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى
لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي فادعهم او وادع الناس كافة على التوحيد احلوتهم فيهم دخولا اوليا
الى ربك اي توحيده وعبادته حسبما بين لهم من منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي

والمراد به اما الدين او الشريعة او ادلتهما وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم بفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشيا التي من جملتها ما يقولونه الكفرة او يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح فقد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح اي الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء من الاشيا ولا يستتر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم هي بنا امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطاني هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي تعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل واستدلاله وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او يدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الامر التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلايل على العقايد الحقة والاحكام الصادقة وعلى بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام اي الفظيع من التجهم او التسور والشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي سوف يبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعيدوا ما لا يوهم صحة عبادة شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افأنبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوايل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل مبتدا خبره قوله تعالى وعدها الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استئنافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل في استحقاق العبادة او اريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى اخره بيان للمثل وتفسير على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه وتعالى في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بيا الغيبة ومبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين النفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان ياخذ الذباب منهم شيئا

لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولو جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشيا وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحيا واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه او الصنم والذباب كانه يطلب منه ويستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشيا عن مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافنا الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذل الاحيا المعجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبيا عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعوهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشيا بين ان عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدا بهم الى عبادة عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شا الله لانزل ملايكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملايكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي في صلاتهم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير مستيقنين له واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجل اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه وسلم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جاهدوا فيه جهادا حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه من اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف او وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب حياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام

فعليوا علي غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران والضمير لله تعالي ويويده انه قرئ
الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم بالمسلمين في القران وان لم يكن منه صلي الله عليه وسلم كانت بسبب تسميته من قبل
في قوله تعالي ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان غير تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول
يوم القيامة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل علي قبول شهادته لنفسه اعتمادا علي عصمته او
بطاعة من اطاع وعصيان من عصي وتكونوا شهداء علي الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة اي فتقربوا الي الله تعالي بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر وانافتهما وفضلهما واعتصموا
بالله اي تقووا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي
اموركم فنعم المولي ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه
عز وجل ۞ عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها او عمرة اعتمرها بعدد من حج
او اعتمر فيما مضي وما بقي والله تعالي اعلم ۞

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام مقصوده والنجاة عن المكروه وقيل البقا
في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجي متعديا بمعني الادخال فيه
وعليه قراة من قرا علي البنا للمفعول وكلمة قد هنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع
الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم وان ايمانهم وما تفرع عليهم من اعمالهم
الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه اريد بالافلاح حقيقته الدخول في الفلاح الذي
لا يتحقق الا في الاخرة فالاخبار به عن صيغة الماضي للدلالة علي تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت ان
اريد به كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا علي الابهام والتفسير او علي اكلوني
البراغيث وفيه افلح بضمة اكتفي بها عن الواو كما في قول من قال ۞ ولو ان الاطبا كان حولي ۞ والمراد بالمؤمنين
اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا محمد صلي الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرها
الذين هم في صلاتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة واما الافراد الاول بفروعه ايضا كما
ينبي عنه اضافة الصلاة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني
مع الايمان اجمالا وتفصيلا كما مر في اول سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خايفون من الله عز وجل
متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم ۞ روي انه صلي الله عليه وسلم كان اذا صلي رفع بصره الي السماء
فلما نزلت رمي ببصره نحو مسجده وانه راي مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه والذين
هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبي عنه الاسم
الدال علي الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا اوليا واعراضهم عنه
مما فيه من الحالة الداعية الي الاعراض عنه لا لمجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما
يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة
اسمية وبنا الحكم علي الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل
علي تباعدهم منه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة علي انهم بلغوا الغايات القاصية
من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث
الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لان الامر الصادر عن الافعال لا المحل

الذي هو كموته ومعني الفعل قدم تحقيقه في تفسير قوله تعالي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد به العين علي تقدير
المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها والاستثنا في قوله تعالي الا علي ازواجهم من نفي الارسال الذي
ينبي عنه الحفظ اي لا يرسلونها علي احد الا علي ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الي ما لا يخفي
وانهم حافظون لها من استيفا مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون علي بمعني من واليه ذهب
الفرا كما في قوله تعالي اذا اكتالوا علي الناس يستوفون اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل متعلقة
بمحذوف وقع حالا من ضميرها حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم داليا وقوامين علي ازواجهم
وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون علي كل مباشر الا علي ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل
الحفظ علي القصر عليهن ليكون المعني حافظين فروجهم علي الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليها تاكيد
علي تاكيد تكلف علي تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجري غير العقلا او
لانوثتهن المنبية عن القصور وقوله تعالي فانهم غير ملومين علي عدم حفظها فيهن فمن ابتغي وراء ذلك
الذي ذكره من الحد المتسع وهو اربع من الحراير وما شا من الاما فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
المتناهون فيه وليس فيه نص علي تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له
فوجب ان لا تحل له اما انها ليست بزوجة له فانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له يحصل التوارث
لقوله تعالي الا علي ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل
من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معني يحصل نعم لو عكس
لكان وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قايمون
عليها حافظون لها علي وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم علي صلواتهم المفروضة يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فيه في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها
وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة
علي حيالها ولو قرنا في الذكر لما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الي المؤمنين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها علي الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة
المشار اليه حسا وما فيه من معني البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقا بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث غايب
الاموال والذخاير وكرايمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها
بعد ابهامها تفخيما لها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم
للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها علي انفسهم لانه تعالي خلق لكل انسان منزلا
في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان
الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالي بني جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر
وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة
اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعني الكلام
لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدا خلق الانسان وتقليبه في اطوار الخلقة
واطوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال افراده السعدا واللام جواب قسم قالوا وابتدائيه وقيل عاطفة علي
ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وتالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا
اجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار
فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون

مقصود امته كالخلاصة ولجزي غير مقصودة منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالشان ومن ابتدائيه متصلة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانيه متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة علي انها بمعني مسلولة فهي ابتدائية كالاولي وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقعت علي التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغاير لادم عليه السلام او جعلنا نسله علي حذف المضاف ان اريد بالانسان ادم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول او الما في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضا علقة حمرا فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن علي هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم علي مقدار لايق به وهيات متناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه علي تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقري علي التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشاناه خلقا اخر هي صورة البدن او الروح او القوي بنفخة فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه علي ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله تعالي شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الي الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وللاشعار بان ما ذكر من الافعال العجيبة ومن الاحكام الالوهية والايذان بان حق كل من سمع ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الي التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء علي ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا او المقدرين تقديرا حذف التمييز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المادون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخالق قيل نظيره صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الي قوله خلقا اخر سارع عبد الله الي النطق به قبل املائه فقال صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات علي كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان عمر رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع في الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب علي النسوة وقولي لهن لو لتبدلنه خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح فالتعالي يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور علي ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها تقرب عنها الفا فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبي عنه ما في اسم الاشارة من معني الاشارة البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلة الامور الحسنة لميتون لصائرون الي الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة علي الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قري لمايتون ثم انكم يوم القيامة اي عند النفخة الثانية تبعثون

من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا من جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كان ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب في سيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الي ما في الارض منافعها كما ينبي عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر والانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائيه متعلقة بانزلنا وتقديمها علي المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الي المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طريق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او مقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا علي ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين علي انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الي كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل من ابلغ قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولكم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم فيها في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطفا علي جنات وقري بالرفع علي انه خبر مبتدا خبر محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشانا لكم به شجرة نبتت بعد الطوفان تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها والمركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث علي تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور وملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كحمراء اذ لا فعلال في كلامهم وقري بالكسر والقصر والجملة صفة للشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من ساير البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشا الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى للشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقري تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

او علي تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقري علي البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهن وصبغ للآكلين معطوف علي الدهن جار علي اعرابه عطف احد وصفي الشيء علي الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ به الخبز اي يغمس للائتدام وقري وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها علي وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها علي عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص

هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضيه والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه الدر فمن ابتدائيه والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واوبارها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اي وعلى الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض عندهم والمناسب للفلك فانها سفاين البر قال ذو الرمة • سفينة بر تحت خدي زمامها • فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اي في البر والبحر وفي الجمع بينهما وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم بذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف فالواو ابتدائية واللام جواب القسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الى اخره ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء راسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وتعليله بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الى اخره وليس بذلك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى اخره وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقا مع تحقق ما يوجبه او الا يلاحظون ذلك فلا تتقون فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاولى في الكيفية فقال الملا اي الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملا بما ذكر لاشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه الصلاة والسلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعا الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلاة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق وعلى زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه الصلاة والسلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظايره ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه في دعوى النبوة في ابائنا الاولين اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم واباهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب

والفساد

والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه الصلاة والسلام كما تنبئ عنه الفا في قوله تعالى فقال الملا الى اخره وقيل معناه ما سمعنا به عليه الصلاة والسلام انه نبي فالمراد بابائنا الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه الصلاة والسلام وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصطبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضيل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا وعلى الاول على تناقض اقوالهم مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئنافا مبنيا من سؤال نشا من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما راهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى اخره بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه الصلاة والسلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفا في قوله فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتدا ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار التنور [الماء] اركب انت ومن معك وكان تنور ادم فصار الى نوح عليهما السلام فلما نبع منه الما اخبرته امراته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة او في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية الامر اخر مجرى ورد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلاف المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه ونساؤهم وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه والمامور انما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثنا وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعا لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينهى عنه من عدم قبول الدعا اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اي من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا

فارجع الى [illegible] الاية في ورقة [illegible] في سورة هود [illegible] الختام [illegible]

من القوم الظالمين طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين
امر عليه السلام ان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر
مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه
ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو
الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان كان الشان
كنا مصيبين قوم نوح بعذاب عظيم وعقاب شديد اي مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر لقوله تعالى
ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم
نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه
لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم
بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم انبياء فانهما عليهما السلام كانا منهم
وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله
وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون
اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل الذي تعلق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية
مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا
حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه
الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قومه
لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال
والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم
على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عليه السلام وتهوينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة وتاخيره والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن
اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي امتثلتم باوامره انكم اذا اي على تقدير الاتباع لخاسرون
ومغبونون في رايكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا
دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط
والجملة جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله ان اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
ايعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يعدهم به واستبعاده
انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب
كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء
البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وتعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره
على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع
اخراجكم ثم وقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم
الى آخره هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو

كما في هيت لك لانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ
بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما هي لنفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان
الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة
لما ادعوه من ان الحياة هي الحياة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى
يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هود عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد
ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون
اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه ووعدا بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل
وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي
شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم
حين اتمم بناءها اصابتهم الريح العقيم اصبحوا نفشا عيفها في صيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم
بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت
وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم • صاح الزمان بآل برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان •
بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم
غثاء اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبارا او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل
ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشأنا
من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة
اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون
من ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء
القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من
بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوف بالجملة المعترضة الناطقة
بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا
بعد واحد من الوتر وهو الفرد فالتاء بدل من الواو كما في تولج وتقوى والالف للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ
بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول
لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة
واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم
جاؤوا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال
اللائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب
التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم
جمع للحديث او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هنا على وصفهم بعدم
الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد
في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا
والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوا

واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما
انها ام اياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتي من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما
فصل في سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضرة
مثمرة ودلوا ورشا وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملايم لمقتضي المقام واما
نفس الايات كقوله ۵ الي الملك القرم وابن الهمام ۵ عبر عنها بذلك علي طريقة العطف تنبيها علي جمعها لعنوانين جليلين
وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الي فرعون وملائه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط
بارائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين ومتمردين فقالوا عطف علي
استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي كانوا فيما بينهم بطريق المناصحة
انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق علي الواحد لقوله بشرا سويا كما يطلق علي الجمع كما في قوله تعالي فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الي كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما تري تدل علي ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس
حال الانبياء علي احوالهم بناء علي جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي
النقصان بحيث يكون بعضها في اعلي عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بصفا
جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الي جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق
عن التبتل الي جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون
بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط
رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلق بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل
والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء علي زعمهم الفاسد المؤسس علي قياس الرياسة الدينية علي الرياسات
الدنيوية الدائرة علي التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة
ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا علي تكذيبهما واصروا واستكبروا
استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر القلزم ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكهم موسى
الكتاب اي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلاة والسلام اياها لارشاد قومه الي الحق كما هو شان الكتب
الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الي طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل
اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالي علي خوف من فرعون وملائهم اي من آل فرعون
وملائهم ولا سبيل الي عود الضمير الي فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد
علي ذلك بقوله تعالي ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولي مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد
بالقرون الاولي ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم لوط
كما سياتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية واي آية دالة علي عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس
بشر فالآية امر واحد نسب اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بان
ولدته من غير مسيس فحذفت الاولي لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام
ابنها وكونها امه عليهما السلام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان
النسب الي الآباء دالة علي ان لا اب له وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب امه وتقديمه عليه السلام لاصالته
فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالي وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان
والنفخ وآويناهما الي ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب
الارض الي السماء بثمانية عشر ميلا علي ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر

فان

فان قرارها علي الربا وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر
عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين اي وماء معين ظاهر جار
فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه
اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون
المنافع من الشرب وسقي ما يسقي من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم علي وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء
بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الي الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم تكن من خصايصه
عليه السلام بل اباحة الطيبات مشرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل
رسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية
اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة علي بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية
لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الي الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقنا وقيل نداء
وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رضي الله عنهم انه خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده علي دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل
عند حيازته كما لاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم
الكريم فالامر للترويح واعملوا صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون
من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل
عليهم السلام علي الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم
وانما اشير اليها بهذا التنبيه علي كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك
الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل والامم امة واحدة اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرايع
التي تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الي الامم المؤمنة بالرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة
علي الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالي
فاتقون في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية به تعالي واتحاد الامة
فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة علي حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة وانا
ربكم فاتقون كما مر في قوله تعالي واياي فارهبون وقيل علي العطف علي ما اي اني عليم بان امتكم امة الي آخره
وقيل علي حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الي آخره وقرئ وان هذه علي انها مخففة من ان
فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه
الامة من اربابها او لها علي التفسير والفاء لترتيب عصيانهم علي الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر
دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده
قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم اي من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى
جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا وحالا من امرهم علي تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء
كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون
انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها
وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك علي ما قبله من كونهم فرحين
بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم من مخايل كونهم مطبوعا علي قلوبهم اي اتركهم علي حالهم حتى حين هو
حين قتلهم او موتهم علي الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ونهيه عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به
اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصوله وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم
اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لاجرلان وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الي
الراجع الي الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار
الواقع واستقباحه بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشي اصلا
كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج الي زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة
لهم في الخيرات نمدهم على الغيبة ولذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقري يسارع مبنيا للمفعول
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار وابطال
حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا لا خفيا ولذلك اخر عن الايمان
بالايات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين
يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقري ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان
فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاول للدلالة على الاستمرار وقلوبهم
وجلة حال من فاعل يؤتون او ياتون اي يؤتون ما اتوا ويفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خايفة
اشد الخوف انهم الي ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل عن ان مناط الوجل ان لا تقبل منهم ذلك وان لا يقع
على الوجه اللايق فيواخذوا به حينيذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربع
عبارة عن طايفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة عن طوايف كل واحدة منها متصفة
بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبايات ربهم يؤمنون الي اخره وانما كرر
الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال
الموصوف بها اولئك اشارة اليه باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي
اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي ينيل الخيرات التي من جملتها
الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى
واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم
يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الي كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم
وايثار كلمة في على كلمة الي للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة
كما في قوله تعالى وسارعوا الي مغفرة من ربكم الاية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في
قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون
في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف
نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المودي الي نيل الخيرات ببيان
سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها
على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا وللترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك
الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم
بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايما
وقوله تعالى ولدينا كتاب الي اخره تتمة لما قبله ببيان ما كلفوه من الاعمال واحكامها المرتبة عليها من الثواب والحساب
والعقاب والمراد بالكتاب صحايف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق لقوله تعالى
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال

السابقين المقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الاخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله متعلق
بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر
هنالك جلايل اعمالهم ودقايقها ويرتب اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله
تعالى وعدله في الجزا اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزا بنقص ثواب او زيادة عذاب بل
يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحايفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب
الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على
قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منهما على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع انه ليس
منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجابه مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة
بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة ولذلك
تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركها ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها
بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله
والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القران من ان لدينه كتابا ينطق
بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبي عنه ما سياتي من قوله تعالى كانت اياتي تتلى
عليكم الي اخره وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذي
ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سياتي من طعنهم في القران
حسبما ينطق عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة
المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة بالمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك
ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها
حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين ومع كونها غاية لاعمالهم
مبتدا لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الي حيث اذا اخذنا روساهم بالعذاب قيل هو القتل
والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحروقة والاولاد والحق انه العذاب
الاخروي اذ هو الذي يفاجون عنده الجوار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم
عنده جوار حسبما ينبي عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا
العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط روي انه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك
اذا هم يجارون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجوار مع عمومه لغيرهم
ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية
غيرهم من النقمة والحمية لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم
لا تجاروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة
والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجوار وقد جوز كونه جواب
الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الي ان تكون مفاجاتهم
الي الجوار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم افادته ونفعه
اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم
لان جوارهم ليس الي غيره تعالى حتى يرد عليهم لعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت

ايَاتي تتلي عليكم الي اخره صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالي بسبب كفرهم بالايات
ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله اي بعجزة الله تعالي وقوته اي قد كانت اياتي تتلي عليكم في الدنيا
فكنتم علي اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقري **مستكبرين به سامرا تهجرون** اي بالبيت الحرام والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم
بانهم خدامه وقوامه او بآياتي الذي عبر عنه باياتي علي تضمين الاستكبار معني التكذيب او لان استكبارهم علي المسلمين
قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان تتعلق البا بقوله تعالي سامرا اي يسمرون بذكر القران وبالطعن فيه حيث كانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته شعرا وسحرا والسامر كالحاضر في الاطلاق
علي الجمع وقيل هو مصدر جاء علي لفظ الفاعل وقري سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالي تهجرون من الهجر بالفتح بمعني الهذيان
او الترك اي يهجرون في شان القران او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراة تهجرون من اهجر في منطقه
اذا افحش فيه وقري تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذي **افلم يدبروا القول** الهمزة لانكار الواقع واستقباحه
والفا للعطف علي مقدر ينسحب عليه الكلام اي فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القران
ليعرفوا ما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما تفعلوه
في شانه من القبايح وام في قوله تعالي **ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين** منقطعة وما فيها من معني بل للاضراب
والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الي التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل جاءهم من الكتاب ما لم يات
اباءهم الاولين حتي استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجي الكتاب من جهته
تعالي الي الرسل عليهم الصلاة والسلام سنة قديمة له تعالي لا تكاد تنسي انكاره وان مجي القران علي طريقته فمن
اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالي ما لم يات اباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام واعقابه
من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقيس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وصنه ابي ادفا منوا به
تعالي وبكتبه تعالي ورسله واطاعوه **ام لم يعرفوا رسولهم** اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الي التوبيخ بوجه اخر
والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه الصلاة والسلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال
العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللايقة بالانبيا عليهم السلام **فهم له منكرون**
اي جاحدون نبوته فجحودهم له مترتب علي عدم معرفتهم بشانه عليه الصلاة والسلام ومن ضرورة انتفا المبني
بطلان ما بني عليه او هم غير عارفين له عليه الصلاة والسلام فهو تاكيد لقوله تعالي **ام يقولون به جنة**
انتقال الي توبيخ اخر والهمزة لانكار الواقع كالاولي اي بل يقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا
واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقران
والباقيان به عليه الصلاة والسلام الترقي من الادني الي الاعلي حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع
كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشي لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا
بما يتعلق بالرسول صلي الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به صلي الله عليه وسلم وذلك يتحقق بعدم المعرفة
بخير ولا شر ثم لو كان فيه عليه الصلاة والسلام وذلك يقدح في رسالته صلي الله عليه وسلم **بل جاءهم
بالحق** اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القران والرسول صلي الله عليه وسلم
بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق اي بالصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل للباطل بوجه
من الوجوه **واكثرهم للحق** من حيث هو حق اي حق كان لا هذا الحق فقط كما ينبي عنه الاظهار في موقع الاضمار
كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق
الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي
كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل نقيبه الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه

او لقلة فطنتهم بعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل علي
الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا **ولو اتبع الحق اهواءهم** استيناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزايغة التي ما كرهوا
الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملة ما جاء به صلي الله عليه
وسلم موافقا لاهوايهم الباطلة **لفسدت السموات والارض ومن فيهن** حث عن الصلاح والانتظام بالكلية
لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه علي سمو مكانه ما لا يخفي واما ما قيل اي
الحق الذي جاء به عليه الصلاة والسلام اهواءهم وانقلب شركا لجا الله تعالي بالقيامة ولاهلك العالم
ولم يوخر ففيه انه لا دلالة فرض مجيئه عليه الصلاة والسلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب
المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية سيما لا احتمال له اصلا **بل اتيناهم بذكرهم**
انتقال من تشنيعهم لكراهة الحق الذي به يقوم العالم الي تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة
فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القران الذي هو فخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل
اقبال **فهم** بما فعلوا من النكوص **عن ذكرهم** اي فخرهم وشرفهم خاصة **معرضون** لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتنا به في موضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع والفا لترتيب ما بعدها
من اعراضهم عن ذكرهم علي ما قبلها من ايتا ذكرهم لا لترتيب الاعراض علي الايتان مطلقا فان المستتبع
لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتا ذكرهم لا الايتا مطلقا وفي اسناد الايتا بالذكر الي نون العظمة
بعد اسناده الي ضميره صلي الله عليه وسلم تنويه بشان النبي صلي الله عليه وسلم وتنبيه علي كونه بمثابة
عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القران الكريم عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بعنوان الحقية وعند
نسبته اليه تعالي بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفي فان التصريح بحقية المتلازمة
لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالي
لا سيما رسول الله صلي الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين
وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قري بذكراهم وعن ذكرهم الذي والتشنيع علي الاولين اشد فان الاعراض
عن ذكرهم ليس في مثابة اعراضهم عن وعظهم وعن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة **ام تسالهم**
انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الي التوبيخ بوجه اخر كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم
عن اداء الرسالة **خرجا** اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالي **فخراج ربك خير** اي رزقه
في الدنيا وثوابه في الاخرة تعليل لنفي السوال المستفاد من الانكار اي لا تسالهم ذلك فان ما رزقك الله
في الدنيا والعقبي خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميره صلي الله عليه وسلم
من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام والخرج بازا الدخل يقال لما يخرجه اي غيرك والخراج
غالبا في الضريبة علي الارض وقيل الخرج ما يتبرع به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي
النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقري خرجا فخرج وخراجا فخراج **وهو خير الرازقين** تقرير لخيرية
خراجه تعالي **وانك لتدعوهم الي صراط مستقيم** تشهد العقول السليمة باستقامته لا عوج فيه يوجب تهمهم
اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الايات حيث حصر اقسام ما يودي
الي الانكار والاتهام وبين انتفاها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم **وان الذين لا يؤمنون بالاخرة** وصفوا بذلك
تشنيعا بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان
الايمان بالاخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوي الدواعي الي طلب الحق وسلوك سبيله **عن الصراط** اي جنس
الصراط **لناكبون** لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم وعن الصراط المستقيم الذي يدعوهم اليه والاول
ادل علي كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبي عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو

كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر وقحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر
والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال
الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب
لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك
وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون
واللام جواب قسم محذوف لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في
منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
اي وليس من عادتهم التضرع الى الله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الاخرة كما ينبئ عنه التهويل
بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون ايسون من كل خير
اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام
قطعا واما ما اظهره ابو سفيان فليس من باب الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع
جنوح الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا وان اشبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب
الاخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من الاسر والقتل والمعنى اخذناهم بما
جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب
الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد
يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الايات التنزيلية والتكوينية
والافئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونه وتعتبرون اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا غير معتد به
تشكرون تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له
وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
اي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت
من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او
اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بالنظر
والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الكائنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة
لحكاية سوء الخطاب لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر
يقتضيه المقام اي افلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد
وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من اباؤنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات
تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا فاخبروني
به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى وان كنتم تعلمون ذلك
فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث يقول سيقولون لله
لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا
تذكرون اي اتعلمون ذلك فلا تذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا

فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات
وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون الله باللام قطعا نظرا
الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال
قل افحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم
حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر وما لم يذكر
اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه
اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما وذلك فاجيبوني على ما سبق ان كنتم تعلمون سيقولون
لله اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد
مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد
عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما تقول النصارى
والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى جواب لحاجتهم وجزاء الشرطية قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه
الهة كما تزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله
يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لحاجتهم وجزاء الشرط
قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تزعمون لذهب كل اله منهم بما خلقه واستبد به فامتاز
ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض
فلم يكن بيده وحده ملكوت شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم
الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وايا ما كان فهو دليل اخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى
فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني
اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه
المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة
ما وعدوه من العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام وكونه حيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق
به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به صلى الله عليه وسلم هضما لنفسه
وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وروي انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء
وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل
قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من
العذاب الموعود عذابا مستاصلا لا يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه
ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين
وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم
بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة

وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له صلى الله عليه وسلم الى تفويض امره اليه تعالى **وقل رب اعوذ بك**
من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها ادفع السيئة بالحسنة
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرابط شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرابض الدواب على الاسراع والمرث
والجمع للمرات او لتنوع النفوذ الوساوس او لتعدد المضاف **واعوذ بك رب ان يحضرون** امر صلى الله عليه
وسلم بان يعوذه تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة
الفعل مع تكرار النداء استدعاء لاظهار كمال الاعتناء بالمامور به وعرض نهاية الابتهال الى الاستدعاء اي اعوذ
بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة فيها **حتى اذا جاء احدهم**
الموت حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقه بيصفون وما
بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يلووه صلى الله عليه وسلم عن الحلم ويغروه
على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل المعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون
في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له
وظهرت له احوال الاخرة **قال** تحسرا على ما فرط من الايمان والطاعة **رب ارجعون** اي ردني الى الدنيا
والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله رب ارجعون كما في قفا نبك ونظيره **لعلي اعمل صالحا فيما تركت**
اي في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة كان يقول لعلي اومن فاعمل الى اخره
للاشعار بانه امر مقدر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجوا لوقوع اي لعلي اعمل في
الايمان الذي اتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين
المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول
ارجعون **كلا** ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها **انها** اي قوله رب ارجعون الى اخره **انها كلمة هو قايلها**
لا محالة لتسلط الحسرة عليه **ومن ورايهم** اي امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه حكم كلهم
كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ **برزخ** حايل بينهم وبين الرجعة **الى يوم يبعثون** يوم
القيامة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية **فاذا نفخ في الصور**
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها
على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو ومع كسر الصاد **فلا انساب بينهم**
تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه اي لا انساب يفتخرون بها **يومئذ** كما هي بينهم اليوم **ولا يتساءلون** اي لا يسال بعضهم
بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء
النفخة الثانية وذلك بعد ذلك **فمن ثقلت موازينه** موزونات حسناته من العقايد والاعمال اي فمن كانت
له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى **فاولئك هم المفلحون** الفايزون
بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب **ومن خفت موازينه** ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن وقدر
عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيله في هذا المقام من
الكلام في تفسير سورة الاعراف **فاولئك الذين خسروا انفسهم** ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا
استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضمير
في الصلتين باعتبار لفظه **في جهنم خالدون** بدل من الصلة وخبر ثان لاولئك **تلفح وجوههم النار**
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر

عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل **وهم فيها كالحون** من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون **الم تكن آياتي تتلى عليكم** على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا
عن اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى
عليكم في الدنيا **فكنتم بها تكذبون** حينئذ **قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا** اي ملكتنا شقوتنا التي
اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتهم بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح
والكسر **وكنا** بسبب ذلك **قوما ضالين** عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم
بانما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة
الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه
باختيارهم ضرورة اذ العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى **ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون**
اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا فيه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم
ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سالوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة
بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات
عليهما لا احداثهما **قال اخسؤوا فيها** اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت
من خسات الكلب اذا زجرته فخسا اي انزجر **ولا تكلمون** اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا
وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الاتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به ولا كلام
بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا
وقوله تعالى **انه** تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان **كان فريق من عبادي**
وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **يقولون** في الدنيا
ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم
ربنا الى اخره لانكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا امنا الى اخره وتتشاغلون باستهزائهم **حتى انسوكم**
اي الاستهزاء بهم **ذكري** من فرط اشتغالكم باستهزائهم **وكنتم منهم تضحكون** وذلك غاية الاستهزاء وقوله
تعالى **اني جزيتهم اليوم** استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم **بما صبروا** بسبب صبرهم
على اذيتكم وقوله تعالى **انهم هم الفايزون** ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مرادهم مخصوصون
به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن **قال** اي الله عز وجل او الملك
المامور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سالوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤوا فيها
الى اخره وقرئ قل على الامر للملك **كم لبثتم في الارض** التي تدعون ان ترجعوا اليها **عدد سنين** تمييز لكم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها **فاسال العادين** اي المتمكنين من العد فانا
بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك والملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول لانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم
وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم **قال** اي الله تعالى او الملك وقرئ قل
كما سبق **ان لبثتم الا قليلا** تصديقا لهم في ذلك **لو انكم كنتم تعلمون** اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم
والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم
تخلدوا اليها **افحسبتم انما خلقناكم عبثا** اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم
البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث **وانكم الينا لا ترجعون**
عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون

نفيح الشامن الرجوع **فتعالى الله** استعظام له تعالي ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والثواب
والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله
وصفاته وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة **الملك الحق** الذي يحق له الملك على الاطلاق
ايجادا واعداما بدءا واعادة واحياء واماتة وعقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته
لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده **رب العرش الكريم** فكيف بما تحته ويحاط به من الموجودات كائنا
ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي هو القران الكريم او الخير والرحمة والبركة او لنسبته الي اكرم
الاكرمين وقري الكريم بالرفع على انه صفة للرب كما في قوله تعالي ذو العرش المجيد **ومن يدع مع الله الها اخر**
يعبده افرادا او اشراكا **لا برهان له به** صفة لازمة لانها كقوله تعالي يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد وبناء الحكم
عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت به بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين
الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله تعالي يثيبه **فانما حسابه عند ربه**
فهو مجازله على قدر ما يستحقه **انه لا يفلح الكافرون** اي ان الشان الي اخره وقري بالفتح على انه تعليل
او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك
حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت
بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر صلي الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل **وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين** ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فكيف بمن عداه ❊ عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر
به عينه عند نزول ملك الموت ❊ وعنه صلي الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت على عشرة ايات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر ❊ وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها
واتعظ باربع من اخرها نجا وافلح ❊ والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه السورة وانما اشير اليها مع
عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالي **انزلناها** مع ما عطف
عليه صفات لها مؤكده لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وانما كونها مبتدا
محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فلا محل لها حينئذ من الاعراب فيا باه ان مقتضي
المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الي النبي صلي الله عليه وسلم سورة انزلناها فلا محل لها حينئذ
من الاعراب او على تقدير اقرا ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلنا النصب على الوصفية **وفرضناها**
او اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفي وقري فرضناها بالتشديد
لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض ولكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف **وانزلنا فيها** اي في تضاعيف السورة
ايات بينات ان اريد بها الايات التي نيطت بها الاحكام المفروضه وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعني
كونها بينات ان اريد بها وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الايات في
ذلك وتكرير انزلناها مع تكرير انزال السورة لان انزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات
فالظرفيه باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزالها مع تكرير انزال السورة لان انزالها لابراز
كمال العناية انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزلناها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع
الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها لقوله تعالي ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالي

نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا **لعلكم تذكرون** بحذف احدي التائين وقري بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها
فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الي اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متي مست
الحاجة اليها استحضروها **الزانية والزاني** شروع في تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها والزانية
هي المراة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبي عنه الصيغه لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل
لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالي **فاجلدوا كل واحد منهما
ماية جلدة** والفاء لتضمن المبتدا معني الشرط اذ اللام بمعني الموصول والتقدير التي زنت والذي زنا كما في قوله تعالي
واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالي
فاجلدوا الي اخره بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح
الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة والمتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها
بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويا باه ما روي عن علي رضي الله عنه **ولا تاخذكم بهما رافة** وقري بفتح
الهمزة بالمد ايضا على فعاله اي رحمة ورافة **في دين الله** في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر** من باب التهييج
والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالي والاجتهاد في اجراء احكامه تعالي وذكر اليوم الاخر لتذكر ما فيه
من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل **وليشهد عذابهما طايفة من المومنين** اي ليحضره زيادة في التنكيل
فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطايفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطواف واقلها ثلاثة
كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما اربعة الي اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير
والزجر **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك** حكم موسس على الغالب المعتاد
جيء به لزجر المومنين على نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت
بالمدينة كانت من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله صلي الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من
افعال الزناة وخصايص المشركين لانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في
سلكهما وتتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهن لرغبتهم عليهن
حيث استاذنوا في نكاحهن ولتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك
وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانيه بنظمها في سلك المشركه **وحرم ذلك** اي نكاح الزواني
على المومنين لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة لتسبب سوء المقالة والطعن في النسب واختلال
امر المعاش وغير ذلك من المفاسد مما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المومنين ولذلك عبر
عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعني النهي وقد قري به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص
بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالي وانكحوا الايامي منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه صلي الله عليه
وسلم سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطي بين
البطلان **والذين يرمون المحصنات** بيان لحكم العفايف اذا نسبن الي الزنا بعد بيان حكم الزواني والتعبير في
الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما
قالوا في حقهن المبني عن صلابة الالة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب
والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع
على تراهن عن الزنا خاصة فان احترقد الاية عن قوله تعالي فاستشهدوا عليهن اربعة وكلا بعدم وجوب الحد الرمي
بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفايف المنزهات عما رمين به من الزنا **ثم لم ياتوا**

باربعة شهدا يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الي
تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الادا خلافا للشافعي فانه جوز التراخي
بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهدا
فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهدا لقوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهدا
فاوليك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن
بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة
عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مولم للقلب كما ان الجلد مولم للبدن وقد اذى
المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة
قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وفايدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشية
عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام
لانها ليست ناشية من اهليته السابقة بل من اهليته حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك
ما قيل ان المسلمين لا يعباون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف
المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة
من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة
للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واوليك هم الفاسقون
كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اوليك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن
الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى
الا الذين تابوا استثنا من الفاسقين كما ينبي عنه التعليل الاتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب قوله
تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهايل واصلحوا اي اصلحوا
اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف
فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثنا من العفو عن المواخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينيذ
لا يواخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه مبالغ في المغفرة والرحمة هذا
وعلق الشافعي رحمه الله تعالى الاستثنا بالنهي فمحل المستثنى حينيذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل
الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فاذا تاب زال بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم
الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات
ليلزم بقا الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرايط من لا يكون المخصص متراخيا في النزول بل بان يكون
ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما ستاتي فتاتي الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما
بين في موضعه ان ضمير النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهدا يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث
الفعل الا انفسهم بدل من الشهدا او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهدا ايذانا من اول الامر
لعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله
تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى اربع شهادات خبره اي فشهادتهم
المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب
على المصدر والعامل فيه شهادة على انه اما خبر لمبتدا محذوف الخبر فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الى اخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد والخامسة

اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا
لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدا خبره
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى
تعترف فترجم او تلاعن ويدرا عنها العذاب اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم
الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به
والخامسة بالنصب عطفا على اربع شهادات ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا والخامسة بالرفع على الابتدا وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب
وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المراة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النسا كثيرا
ما يستعملن اللعن فربما يجترين على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف
لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله تعالى فقال جعلني الله
فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت
سكت على غيظ والى ان يجي باربعة شهدا فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية
او عويمر فقال ما وراك قال شر وجدت على امراتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحما فقال والله هذا سوالي ما اسرع
ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان
في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتابد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك
فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير
طلاق يوجب تحريما موبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب
حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف
لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى ورحمته وان الله تعالى مبالغ في
قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما لا يحيط
به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه
لانه اعرف بحال زوجته فانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته
موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهادتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب
في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارية لما
توجه اليه من الغايلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما
درا عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة واثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر
واما على الكاذب فامهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبي عنه التعرض
لعنوان ربوبيته سبحانه وما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته ان الذين جاوا بالافك اي بابلغ
ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه ماقول
عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المومنين رضي الله عنها وفي لفظ المجي اشارة الى انهم اظهروه
من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع
بين نسايه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عايشه رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل
غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا
حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني
اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فلمسته فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط

الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حين اناخ الناقة راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استيناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح فافراد الموصول باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تكرير للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين فان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه لهم من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوه فاذ لم ياتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه

وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التاءين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القى بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشا في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم لقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كبير عقوبة وهو عند الله والحال انه عند الله عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او التابعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل الوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما القول نفسه راسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتادبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم شان البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم

ويطهركم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة
ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا
او نفس الزنا والمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح
به اكتفا بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين امنوا متعلق بتشيع الفاحشة فيما بين الناس وذكر المومنين
لانهم العمدة فيهم او لقصرهم حال من الفاحشة كالموصول له عبارة عن المومنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كاينة
في حق المومنين وفي شانهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره
والاخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضماير من المحبة
المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمو
وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي في السراير فيعاقب في الاخرة على
ما تكنه الضماير والصدور وهذا اذا جعل العذاب لعظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف وتنطما له كما اطبق عليه
الجمهور اما اذا ابقي على اطلاقه فيراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بمساق النظم
الكريم فيكون ترتيبا للعذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض
التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب لعظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله روف رحيم عطف على
فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة وتغيير سبكه
وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة
فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما
تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطا وبفتحها ايضا ومن يتبع
خطوات الشيطان وضع الظاهر موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعهما او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير
والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يامر بالفحشا والمنكر علة للجزا وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشا
والمنكر لانه دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشا ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر
ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على
انه الاصل بامره وقيل هو عايد الى من اي فان ذلك المتتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه
يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته
هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اي ما طهر من دنسها وزكى
ما زكى بالتشديد اي ما طهره الله تعالى ومن في قوله تعالى بيانيه وفي قوله تعالى منكم من احد ابدا زايدة واحد
في حيز الرفع على الفاعلية على القراة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراة الثانية لا الى نهاية ولكن الله
يزكي يطهر من يشا من عباده بافاضة اثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله
سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم
وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعا الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه
من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا ياتل اي لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصرون الالو والاول هو الاوفق
لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقرا
المهاجرين ويعضده قراة من قرا ولا يتال اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه والسعة

في المال ان يوتوا اي على ان لا يوتوا وقرئ بتا الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله صفات لموصوف واحد جي بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه للايتا
وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره او على ان لا يوتيهم شيئا وليعفوا ما فرط
منهم وليصفحوا بالاغضا عنه وقرئ بالامر بتا الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم
اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسا اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته
على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون
ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته • روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال بلى احب
ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف مما رمين به
من الفاحشة الغافلات منها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شي منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من
الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات والسليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سو المومنات
اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يومن به من الواجبات والمحظورات وغيرهما ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبي
عنه تاخير المومنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر
لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم فالمراد بها عايشة الصديقة رضي
الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لساير امهات المسلمين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره • وقيل امهات المومنين فيدخل
فيه الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات المذكورة
من نسا الامة فياباه ان العقوبات المرتبة على الرمي هو عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رامي امهات
المومنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين ساير المومنات فجعل رميهن كفرا
ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسو حتى ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سيل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض
في امر عايشة رضي الله تعالى عنها وهل هو منه رضي الله تعالى عنه الا للتهويل لامر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ
لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المومنين والملايكة ابدا ولهم مع ما ذكر
من اللعن الابدي عذاب عظيم هايل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم
تشهد عليهم الى اخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان
ظهور جناياتهم الموجبة له مع ساير جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هايلة وهيية خارقة للعادات
فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغطينا عن وصفه لاخلاله بجزالة
المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل موخر قد ضرب عنه
الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة
المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة المعهودة فقط ومعنى شهادة
الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا
منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والمفعول المحذوف عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة
الجوارح على اخبار الكل بها تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم
عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر
كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يومئذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة

يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل **ويعلمون** عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم **ان الله هو الحق** الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامة المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها **المبين** المظهر للاشيا كما هي في انفسها والظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهية تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسيره الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذلك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنزاهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى **الخبيثات** الى آخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النسا **للخبيثين** من الرجال اي مختصات بهن لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص **والخبيثون** ايضا **للخبيثات** لان المجانسة من دواعي الانضمام **والطيبات** منهن **للطيبين** منهم **والطيبون** ايضا **للطيبات** منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الا من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخير الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى **اولئك مبرؤن مما يقولون** على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولايقة بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقا بان يقال في حقهم خبايث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقا بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تبرئة الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنسا لا يصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين بخبايث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبايث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم **لهم مغفرة** عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب **ورزق كريم** هو الجنة **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفايف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنسا ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج العادة التي هي سكنى كل احد في مسكنه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر البا لاجل اليا **حتى تستأنسوا** اي تستأنسوا من يملك الرشد الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشي اذا ابصره فان المستاذن مستعلم الحال المستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خايف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس **وتسلموا على اهلها** عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع

ذلكم اي الاستيذان مع التسليم **خير لكم** من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مسا فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال صلى الله عليه وسلم فاستاذن **لعلكم تذكرون** متعلق بمضمر اي امرتم او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النسا والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيها من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النسا والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى **فلا تدخلوها** فاصبروا **حتى يؤذن لكم** اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن كما في الثانية فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروة **هو** اي الرجوع **ازكى لكم** اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة **والله بما تعملون عليم** فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح ان تدخلوا** اي بغير استيذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طايفة مخصوصة فقط بل ليتمتع من يضطر اليها كاينا من كان من غير ان يتخذها كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى **فيها متاع لكم** فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايوا الامتعة والرحال والشرا والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما تنتظمه البيوت لانها المرادة فقط وقوله تعالى **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات **قل للمؤمنين** شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتكرير الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه صلى الله عليه وسلم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف ثقة بدلالة جوابه عليه اي قل لهم **يغضوا من ابصارهم** عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل **ويحفظوا فروجهم** الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ها هنا خاصة هو الستر **ذلك** اي ما ذكر من الغض والحفظ **ازكى لهم** اي اطهر لهم من دنس الريبة **ان الله خبير بما يصنعون** لا يخفى عليه شي مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال ساير الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فيكونوا على حذر منه

في كلما يأتون وما يذرون **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه **ويحفظن فروجهن** بالتستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد **ولا يبدين زينتهن** كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى **الا ما ظهر منها** عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم **ولا يبدين زينتهن** كرر النهي لاستثناء بعض مواضع الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور **الا لبعولتهن** فانهم هم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود **او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن** لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم **او نسائهن** المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال **او ما ملكت ايمانهن** اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال** اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ والممسوحون وفي المجبوبين والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين** اي ما يخفينه من الرؤية **من زينتهن** اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابدائها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا الى الله جميعا** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى **ايها المؤمنون** تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون **لعلكم تفلحون** تفوزون بذلك بسعادة الدارين **وانكحوا الايامى منكم** بعدما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما ينفصح عنه قول من قال ● فان تنكحي انكح وان تتايمي ايم ● وان كنت افتى منكم اتايم ●

اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر **والصالحين من عبادكم وامائكم** على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم يستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ازاحة لما عسى ان يكون وازعا من فقر احد الجانبين لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء **والله واسع** غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك **عليم** يبسط الرزق ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **وليستعفف** ارشادا للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهدوا في العفة وقمع الشهوة **الذين لا يجدون نكاحا** اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله من فضله** عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء **والذين يبتغون الكتاب** بعدما امر بانكاح المماليك الاخيار بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة **مما ملكت ايمانكم** عبدا كان او امة وهو ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي لذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره **فكاتبوهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها وتجوز حالا او منجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا تجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه **ان علمتم فيهم خيرا** امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى

ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطائهم سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية **ولا تكرهوا فتياتكم** اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة من العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله صلى الله عليه وسلم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغا** وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى **ان اردن تحصنا** ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها عن حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او غير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغا وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابا ظاهرا وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغا لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه **ومن يكرههن** الى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغا **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فيجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلالا بجزالة النظم الجليل وتهوينا لامر النهي في مقابلة التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات** كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية لشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات

مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي بينت واوضحت في هذه السورة معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فتنتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم عليها السلام وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات البينات بالسوابق وحمل المثل على القصة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل **للمتقين** مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها وقيل المراد بالآيات البينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى **الله نور السموات والارض** الى آخره حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي هو مظهر للنور الحسي سواء وعلى شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفا او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الآثار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار وعلى تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما مما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام **مثل نوره** اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد بن اسلم وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل

الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة كمشكاة اي صفوة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقري بفتح الزاي وكسرها في الموضعين الزجاجة كانها كوكب دري
متلالي وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقري دري بدال المكسورة
وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدر وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في
دفع بعض اجزائه ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقري بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح
والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح
في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال
وبالثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبي عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الي الثبوت
في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام
مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة اي يبتدي اتقاد
المصباح من شجرة مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في
الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال
ههنا تفخيم لشانها وقري توقد بالتاء على ان الضمير القايم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقري توقد
على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدا ثقوب المصباح منها وقري توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده
الي الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي
على قلة او صحرا واسعة تتمتع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
وقال الفرا والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها الشمس عند طلوعها
وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اصفى وقيل لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها
ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في
مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفا والانارة بحيث يكاد يضي بنفسه من غير مساس
نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفا شي في الزمان الماضي لانتفا غيره فيه فلا يلاحظ
جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الي بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او النفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفايه معه ثبوته
او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم
الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شي اخر من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم
انها لاستقصا الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد
يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطا في الاول وعدم تحققه في الثاني
في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان غنيا فقيرا ولا يعطي لو لم غنيا ولو كان غنيا
فالجملة مع ما هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كاينا
على جميع الاحوال وتقدير الاية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسه نار اي يضي كاينا على كل حال

من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة نور خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افادة التنكير من
الفخامة والجملة عند الله ، وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر عنه القران ومثله
صفته العجيبة الشان مما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كاين على نور كذلك لا انه عبارة عن نور واحد
معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان
المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوا له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه
الي اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء يبث فيه وينتشر والقنديل اعون شي على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاوه وليس ورا هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة وجعل
النور عبارة عن النور المشبه به مما يليق به بشان التنزيل الجليل يهدي الله لنوره من يشا اي يهدي
هداية خاصة موصلة الي المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار
لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشية من اضافته الي الضمير عز وجل من يشا
هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلايل حقيه وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار
بالغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيته تعالى وان
تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضا الي المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية
حسبما تقتضي حالهم فان له مدخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير
لاوابد المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القران المبين بنور المشكاة واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة كما يفصح عنه تعليق
الاولى بمن يشا والثانية بالناس كافة والله بكل شي عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا
ومن قضيته ان يتعلق مشيته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها
مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرايق شتى حسبما تقتضيه احوالهم
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم
ولما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر
شان القران الكريم في بيانه للشرايع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب
وغير ذلك من احوال الاخرة واهوالها واشير الي كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل
بما فصل من نور المشكاة واشير الي كونه اذ ذاك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من
تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة
عن كيفية احوالهم في الاهتدا وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس وقيل هي
المساجد التي بناها نبي من انبيا الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس
الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما النبي صلى الله عليه وسلم
وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنايها رفيعة لا كساير البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها
بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليها من قبيل العطف التفسيري وايا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن
تلويح بان اللايق بحال المامور ان يكون متوجها الي المامور به قبل وروده ناويا لتحققه كانه مستاذن
في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة
بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من المفاصلة وللايذان بان
التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل اللام

ويدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى **بالغدو والاصال** اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقني في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصل وهو العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثنا الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده وعما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر فيما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى **رجال** فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البنا للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتا التانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا على ان يسند الى اوقات الغدو والاصال بزيادة البا ويجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزا قوما بل هذا اولى اذ ليس هنا مفعول صريح **لا تلهيهم تجارة** صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما يحكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة **ولا بيع** اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من المنفي الهاؤها ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده • وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرا لانه اصلها ومبداها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه **عن ذكر الله** بالتسبيح والتحميد **واقام الصلاة** اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التا المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قول من قال • واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا اي عدة الامر **وايتاء الزكاة** اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى **يخافون** الى اخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى **يوما** مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى **تتقلب فيه القلوب والابصار** صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتنقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين النجاة وخوف الهلاك والابصار اي من ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم **ليجزيهم الله** متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتا الزكاة والخوف من غير صارف عن ذلك ليجزيهم الله **احسن ما عملوا** اي احسن جزا اعمالهم حسبما وعدهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعماية ضعف **ويزيدهم من فضله** اي يتفضل عليهم باشيا لم توعدهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها وانما عدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة • وقوله صلى الله عليه وسلم

حكاية

حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى **والله يرزق من يشا بغير حساب** فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا لا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فياباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجليلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن يشا الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن يشا الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلاة وايتا الزكاة وخوف اليوم الاخر واهواله ورجا الثواب مقتبس من القران العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى اخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بتوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وانما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شي عليم كلام متعلق بالمثل قطعا فتوسيطه بين اجزا التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القران الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه كلام المعجز **والذين كفروا** عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين امنوا اعمالهم حالا ومالا كما وصف والذين كفروا **اعمالهم** اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الاية **كسراب** وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ما يسرب اي يجري **بقيعة** متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتا ممدودة كديمات اما على انه جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف **يحسبه الظمان ما** صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمان مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطمع والمقطع المؤيس **حتى اذا جاه** العطشان حسبه ما وعلق رجاه **لم يجده** اي ما وعلق به رجاه **شيئا** اصلا لا متحققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ما وبه تم احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى **ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمان ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سو الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ما حتى اذا جاه لم يجده شيا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم حتى اذا جاوها لم يجدوها شيا كانه قيل حتى اذا جا الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة في الاخرة لم يجدوها ووجد الله اي حكمه وقضاءه عند المجي وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزايها

فان اعتقادهم لنفعهما من بعض الايمان وعلمهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير بين الراجعين الى الذين
كفروا انما هو لارادة الجنس كالظلمات الواقع في التمثيل واما الحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد
انزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر **او كظلمات**
عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها
في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليست فيها شائبة
خير يغتر بها المغترون بظلمات كائنة **في بحر لجي** اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو اعظم ما البحر
وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه **يغشاه** صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية **موج** وقوله تعالى
من فوقه موج جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني
فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور يغشاه امواج متراكمة بعضها
على بعض وقوله تعالى **من فوقه سحاب** صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج
سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب **ظلمات**
خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات **بعضها فوق بعض** اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات
كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب
عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها **اذا اخرج** اي من ابتلي بها
واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة **يده** وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر
اليها **لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا** الى اخره تذييل جيء به لا لتقرير ما افاده التمثيل من كون
اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في
حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي
هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به **فما له من نور** اي فما له هداية
ما من احد اصلا وقوله تعالى **الم تر** الى اخره استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى
قد افاض عليه صلى الله عليه وسلم اعلى مراتب النور وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها
والهمزة للتقرير اي قد علمت يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال
الصحيح **ان الله يسبح له** اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه
الجليل من نقص وخلل **من في السموات والارض** اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم
كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف
بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشانه من شؤونه الجليلة وقد نبه على قوة تلك الدلالة
وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها
تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد
من افراد الاعراض والجواهر والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه
وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام
لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن
ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل للتسبيح
العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة
من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء

ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتحقير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية
والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية **والطير** بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان
تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد
بقوله تعالى **صافات** اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة
ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية
استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة
الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى **كل قد علم صلاته وتسبيحه** بيان لكمال
عراقة كل واحد بما ذكر من التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من
الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد
من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان
استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه
مستعد لان يفيض منه عليه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو
مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط
به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن
تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة تمييز المراتب
المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون
العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها بالصلاة
والتسبيح ما الهمها الله تعالى كل واحد منهما من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير
معطوفا على كلمة من مرفوعا برفعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي
والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور
كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى
قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما فان
صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بل عن روية عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى
فان في الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا تكاد تهتدي اليها جهابذة العقلاء مما
لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال
والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد
اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفاينهم وغيرها
وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير
بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى **والله عليم**
بما يفعلون اي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من
الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء
لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط
فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط
وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه

لكل اي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ معترض للحضور على
الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة
وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيهما دخولا اوليا **ولله ملك السموات والارض** لا لغيره لانه
الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدا واعادة
وقوله تعالى **والى الله** اي واليه تعالى خاصة لا الى غيره **المصير** اي رجوع الكل بالفنا والبعث بيان
الاختصاص للملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدا واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم **الم تر ان الله يزجي سحابا** الازجا سوق الشي برفق وسهولة غلب
في سوق شي يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايما الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى
مما لا يعتد به **ثم يؤلف بينه** اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقري يولف بغير همزة **ثم يجعله**
ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض **فترى الودق** اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى **يخرج**
من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وثم في تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا
لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق وللايذان
بتقرر الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلل
وينزل من السما من الغمام فان كل ما علاك سما **من جبال** اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم
كائنة **فيها** وقوله تعالى **من برد** مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتدا الغاية على ان الثانية
بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتديا من السما من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف
ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتديا من السما من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب
الحذف والتصريح بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على انه من تبعيضيه ومن برد بيان للجبال اي ينزل
من السما بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور
على المفعول لما مر غير مرة من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسما المظلة وفيها جبال
من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم
يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزا البخاريه قبل اجتماعها نزل بردا وقد يبرد الهوا
بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك مسند الى ارادة الله تعالى
فيصيب به من يشا ويصرفه عن من يشا اي يصرفه عنه فينجو من غائلته **يكاد سنا برقه**
اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجا والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار
بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وبالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام
الدال والسين وبرقه بفتح الرا على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة
البا **يذهب بالابصار** اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد
تهويل للامر وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها والوعيد للاغماض وهذا من اقوى
الدلايل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة البا
يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر وبتغيير احوالهما
بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجا السحاب وما ترتب عليه
ان في ذلك اشارة الى ما فصل انفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته
وبعد منزلته **لعبرة** اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة

علمه بجميع الاشيا ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي **لاولي الابصار** لكل من له بصر **والله**
خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقري خالق كل دابة بالاضافة **من ما** هو جزء مادته والمخصوص
هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ما متعلق
بدابة وليست صلة لخلق **فمنهم من يمشي على بطنه** كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا
بطريق الاستعارة او المشاكلة **ومنهم من يمشي على رجلين** كالانس والطير **ومنهم من يمشي على**
اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتدا
بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلا والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمالي
والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة **يخلق الله ما يشا** مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على
ما يشا من الصور والاعضا والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور وللايذان انه من احكام الالوهية **ان الله**
على كل شي قدير فيفعل ما يشا كما يشا واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستئناف التعليلي
لقد انزلنا ايات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية **والله**
يهدي من يشا اي هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها **الى صراط مستقيم**
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة **ويقولون امنا بالله وبالرسول** شروع في بيان احوال
بعض من لم يشا الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي
يدعوه الى النبي صلى الله عليه وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وما فابى ان يحاكم
الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه وايا ما كان فصيغة
الجمع للايذان بان للقايل طايفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا
فلانا والقاتل واحد منهم **واطعنا** اي واطعناهما في الامر والنهي **ثم يتولى** عن قبول حكمه **فريق منهم**
من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم من ادعا الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل
وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة **وما اولئك** اشارة الى
القايلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضا نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس
فان نفيه عن القايلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم
الذين يشاركونهم في العقد والعمل **بالمومنين** اي المومنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمومنين
المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه **واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم** اي الرسول
بينهم انه المباشر للحكم حقيقة وان كان حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام
والايذان بجلالة محله عنده تعالى **اذا فريق منهم معرضون** اي فاذا فريق منهم اعرضوا عن المحاكمة
اليه صلى الله عليه وسلم لكون الحق عليهم وعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق عليهم
وهو شرح للتولي ومبالغة فيه **وان يكن لهم الحق** لا عليهم **ياتوا اليه مذعنين** منقادين لجزمهم
بانه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجي يعديان بالى او مذعنين
على تضمينه معنى الاسراع والانقياد كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص **افي**
قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشاه بعد استقصا عدة من
القبايح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشائية بينهما فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته
الهمزة وام من الامور الثلاثة بل منشائيتها له كانه قيل اذلك اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب

لكفرهم ونفاقهم **ام** لانهم **ارتابوا** في امر نبوته صلى الله عليه وسلم مع ظهور حقيقتها **ام** لانهم **يخافون**
ان يحيف الله عليهم ورسوله اضراب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشأ شي اخر من شنايعهم
حيث قيل **بل اوليك هم الظالمون** اي ليس في للنا الشي مما ذكر اما الاولان فلانه لوكان لشي منهما لاعرضوا
عنه صلى الله عليه وسلم عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه صلى الله عليه وسلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم
وارتيابهم حينيذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف لمعرفتهم بتفاصيل
احواله صلى الله عليه وسلم في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم
ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد
من الاضراب في الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا
هذا وقد حمل الارتياب بما له منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه تهمة فزالت ثقتهم
ويقينهم به صلى الله عليه وسلم فمدار النفي حينيذ نفس الارتياب ومنشائيته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل
ودع عنك ما قيل وقيل بحسب ما يقتضيه النظر الجليل **انما كان قول المومنين** بالنصب على انه خبر كان
وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف
وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المومنين فانه يحتمله كما اذا اعتزل عنه الاضافة لكن
قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية
ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن
السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذا هو احق بالخبرية واما ما تقبله الاضافة
من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقيقا بان لا يلاحظ
ملاحظة بخصوصه ويجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر **اذا دعوا الى الله ورسوله**
ليحكم اي الرسول صلى الله عليه وسلم **بينهم** اي بين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم **ان يقولوا**
سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان
قول المومنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين
وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها
في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا
دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم **واوليك** اشارة الى المومنين
باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل
اي اوليك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل **هم المفلحون** اي الفايزون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور
ومن يطع الله ورسوله استئنافا جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المومنين وترغيب من عداهم
في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية
وقيل في الفرايض والسنن والاول هو الانسب بالمقام **ويخش الله ويتقه** باسكان القاف المبني
على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر الهاء والقاف وباسكان الهاء اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل **فاوليك** الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء **هم الفايزون** بالنعيم
المقيم لا من عداهم **واقسموا بالله** حكاية لبعض اخر من اكاذيبهم موكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى
جهد ايمانهم نصب على انه مصدر موكد لفعله الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا
به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر
موكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين **لئن امرتهم**

اي بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى **ليخرجن** جواب
لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر صلى الله
عليه وسلم بردها حيث قيل **قل** ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين
فيها **لا تقسموا** اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى **طاعة معروفة** خبر مبتدأ محذوف
والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعات لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط
من غير مواطاة من القلب فانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها بذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب
والمعنى يطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل
مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او ليكن طاعة معروفة
اي اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام **ان الله خبير بما تعملون** من الاعمال الظاهرة
والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب الموكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم
من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المومنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل
للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعرة بان مدار شهرة امرها فيما بين المومنين اخباره تعالى بذلك
ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم **قل اطيعوا الله واطيعوا**
الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق
الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق
الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها
ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى **فان تولوا** خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى وارد
لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام
المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة
فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جينا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب
بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه الصلاة
والسلام في تصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد
بالمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل في القول بامور بحكايته من جهته تعالى وان ابلغ في التبكيت
يعكس في الامر والفا لترتيب ما بعدها على تبليغه صلى الله عليه وسلم للمامور اليهم وعدم التصريح به
للايذان بغاية ظهور مسارعته صلى الله عليه وسلم الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا
عن الطاعة اثر ما امرتم بها **فانما عليه** اي فاعلموا انما عليه صلى الله عليه وسلم **ما حمل** اي ما امر به
من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول **وعليكم ما حملتم** اي ما امرتم
به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مونة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل
وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة
وان تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة **تهتدوا** الى الحق الذي هو المقصد الاعلى الموصل الى كل خير والمنجي
عن كل شر وتاخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديمه من تاكيد الترغيب وتقريبه مما هو به من
بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى **وما على الرسول الا البلاغ المبين** اعتراض مقرر لما قبله من
ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له صلى الله عليه
وسلم انتظاما اوليا او للعهد اما جنس الرسول كائنا ما كان او ما عليه صلى الله عليه وسلم الا التبليغ

الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابين بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه
وانما بقي ما حملتم **وعد الله الذين امنوا منكم** استيناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد
الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية
التي هي من اثار الاهتدا ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتدا والمراد بالذين امنوا كل من
اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طايفة كان وفي اي وقت كان لا من امن من طايفة المنافقين
فقط ولا من امن بعد نزول الاية الكريمة بحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم
لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية **وعملوا الصالحات** عطف على امنوا داخل معه في
حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه
وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الاثار والاحكام
وللايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين
معه عليه الصلاة والسلام من خلص المومنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال
الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة عموما على ان من تبعيضية او له صلى الله عليه وسلم ولمن
معه من المومنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه
بمراحل وابعد عما يليق بشانه صلى الله عليه وسلم **ليستخلفنهم في الارض** جواب للقسم اما بالاضمار
او تنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفا متصرفين فيها تصرف الملوك
في مماليكهم خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة **كما استخلف الذين
من قبلهم** هم بنو اسرايل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم
ومن قبلهم من الامم المومنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد
تاكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كاينا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ
كما استخلف على البنا للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل هو ما يدل عليه من فعل
مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة
كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كاينة كمستخلفية من قبلهم
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سيل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد
الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال

• وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف •

اي فلم يبق الا مسحت الى اخره **وليمكنن لهم دينهم** عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره
عنه مع كونه اجل الرغايب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد
بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه
في كل ما ياتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشي مكانا لاخر يقال مكن له في الارض
اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظايره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له
قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله

الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في
توسطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى **الذي ارتضى لهم** وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم
الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضايه لهم تاليف لقلوبهم
ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه **وليبدلنهم** بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال **من بعد
خوفهم** اي من الاعدا **امنا** حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر
خايفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتي
علينا يوم نامن فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم
محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله هذه الاية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم
بلاد المشرق والمغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار
بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة **يعبدونني**
حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد واستيناف ببيان المقتضي للاستخلاف
وما انتظم معه في سلك الوعد **لا يشركون بي شيا** حال من الواو في يعبدونني اي غير مشركين بي في العبادة
شيا **ومن كفر** اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتاثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار
عليه بعد مشاهدة دلايل التوحيد كفر مستانف زايد على الاصل وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول
هو الانسب بالمقام **بعد ذلك** اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة
لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها **فاولئك** البعداء عن الحق التايهون في تيه الغواية
والضلال **هم الفاسقون** الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان **واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين
بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الى اخره وترغيبه تعالى اياهم في
الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الى اخره ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح
بما فصل الله من الاستخلاف وما يتلوه من الرغايب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان
والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا فاقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه
على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم **واطيعوا الرسول** امرهم الله تعالى بالذات بما
امرهم به بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تاكيدا
للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للاداب المرضية
ايضا اي فاطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين
بالصلاة والزكاة على المراد بما ذكر ما عداهما من الشرايع اي واطيعوه في ساير ما يامركم به الى اخره
لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة
اي بما ذكر من الاقامة والايتا والاطاعة راجين ان ترحموا **لا تحسبن الذين كفروا** لما بين حال من
اطاعه صلى الله عليه وسلم واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان
حال من عصاه صلى الله عليه وسلم وما ل امره في الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر
الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد يصلح له كاينا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج
قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظايره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث
ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان
وقوله تعالى **معجزين** ثانيهما وقوله تعالى **في الارض** ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي

فما لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء الغيبة على الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض واما جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى **ومأواهم النار** معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود النهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الى اخره او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الى اخره وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر **ولبئس المصير** جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل **يا ايها الذين امنوا** رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت سويد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية **ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم** من العبيد والجواري **والذين لم يبلغوا الحلم** اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله **منكم** اي من الاحرار **ثلاث مرات** اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها **من قبل صلاة الفجر** لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب اليقظه ومحله النصب على انه بدل من ثلاث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الى اخره **وحين تضعون ثيابكم** اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى **من الظهيرة** وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لا لقلة زمانها كما ينبئ عنه ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به **ومن بعد صلاة العشاء** ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما طرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى **ثلاث عورات** خبر مبتدأ محذوف

وقوله

وقوله تعالى **لكم** متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن ثلاث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات **ليس عليكم ولا عليهم** اي على المماليك والصبيان **جناح** اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات **بعدهن** اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو مدار عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع موقع الفعل المكلف والجملة على القرائتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا اثم في تلك الايذان بعدهن وحيث كان انتفا الاذن حينئذ مما لا يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يحسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفا الاذن حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى **طوافون عليكم** استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الايذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات **بعضكم على بعض** اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا وبعضكم يطوف على بعض **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه في الغاية من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين **يبين الله لكم الايات** الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الايات بما ذكر ههنا **والله عليم** مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم **حكيم** في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا **واذا بلغ الاطفال منكم الحلم** لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الايذان في ما عدا الاوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب **فليستأذنوا** اي ان ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى **كما استأذن الذين من قبلهم** في حيز النصب على انه نعت لمصدر موكد للفعل والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الاية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكر اي فليستأذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف **كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم** الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الايات الى ضمير الجلالة لتشريفها **والقواعد من النساء** اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل **اللاتي لا يرجون نكاحا** اي لا يطمعن فيه لكبرهن **فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن** اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه

والعافيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي والموصف بها غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات لزينة
مما امر باخفايه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفي من قولهم سفينة
بارجه لا غطا عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المراة
زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع
مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع بما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من
الترهيب ما لا يخفي ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هذه الطوايف
يتحرجون من مواكلة الاصحا حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى
ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله ولا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ اكثر من موضعه
فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة توذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا
لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابايهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الاية
الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كانوا كذلك وكذا كانوا
يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو وخلفوا هولا الضعفا في بيوتهم ودفعوا
اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هولا
ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوايف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم
وعلى من يماثلكم في الاحوال من المومنين حرج ان تاكلوا اي ان تاكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب
للطوايف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اوليك الطوايف حتما من بيوتكم
اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله صلى الله عليه
وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت اباكم او بيوت امهاتكم وقري
بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون
التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه فقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع
المفتاح مفاتيح وقري مفتاحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة
نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقربا وروي عن ابن عباس ان الصديق اكبر من
الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالابا والامهات وانما قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا اذا علم رضى صاحب البيت
بصريح الاذن او بقرينة دالة وكذلك خص هولا بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان حكم اخر من جنس ما بين
قبله حيث كان فريق من المومنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان
الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيا وربما
قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا
يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على
الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير
وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف
شاوا وقيل كان اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى
ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا او اشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو

جمع شت على انه صفة كالحق يقال شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم
ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الاداب التي يجب رعايتها عند مباشرة
ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين
بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله
اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى
وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليه يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الاولين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي
ما في تضاعيفها من الشرايع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل
هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله استيناف جي به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب
مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض اخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله تعالى ورسوله في حيز الصلة
للموصول الواقع خبرا للمبتدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى
واذا كانوا معه على امر جامع الى اخره معطوف على امنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في
الايمان الذين امنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل
الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا
معه صلى الله عليه وسلم على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور
الداعية الى اجتماع اولي الاراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقري امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع
مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقا العدو بل يسوغ التخلف
عنه حتى يستاذنوه صلى الله عليه وسلم في الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل
الغاية هي الاذن المنوط برايه صلى الله عليه وسلم والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو
المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه صلى الله عليه
وسلم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون
بالله ورسوله فقضى بان المستاذنين هم المومنون بالله ورسوله كما حكم في الاولى بان الكاملين في الايمان
هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان وفي اوليك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى
فاذا استاذنوك بيان لما هو وظيفته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة
المومنين فان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رايه صلى الله عليه وسلم
والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعدما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا
استاذنوك لبعض شانهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فاذن لمن شيت منهم لما علمت
في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شايبة
تقديم امر الدنيا على امر الاخرة ان الله غفور مبالغ في المغفرة لفرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة
اثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتنا بشانه اي لا تجعلوا

دعوته صلي الله عليه وسلم اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعا بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاه صلي الله عليه وسلم
اياكم علي دعا بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه صلي الله
عليه وسلم بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاه صلي الله عليه وسلم ربه كدعا صغيركم
كبيركم يجيبه مرة ويرده اخري فان دعاه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقريب الجملة حينئذ لما قبلها اما من
حيث ان استجابته تعالي لدعائه صلي الله عليه وسلم مما يوجب امتثالهم باوامره صلي الله عليه وسلم المودي
الي ما يوجب هلاكهم من دعائه صلي الله عليه وسلم عليهم واما ما قيل من ان المعني لا تجعلوا نداه عليه السلام
كندا بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والندا من ورا الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله
مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالي قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم الي اخره وعيد للمخالفين امره صلي الله عليه وسلم فيما ذكر من قبل فتوسط ما ذكر بينهما مما لا وجه
له والتسلل الخروج من البين علي التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب تجي للتكثير حسبما بين في سورة الحجر اي
يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا علي خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتي
يخرج بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراة انه من اتباعه وقري بفتح اللام وانتصابه علي الحالية من ضمير يتسللون
اي ملاوذون او علي انه مصدر موكد بفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفا في قوله تعالي
فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر والامر به علي ما قبلها من علمه تعالي باحوالهم فانه مما يوجب
الحذر البته اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما للتضمينه معني الاعراض او حمله علي
يصدون علي امره دون المومنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان
المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالي لانه الامر حقيقة او للرسول صلي الله عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الاخرة وكلمة او لمنع الخلو
دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتنا بالتهديد والتحذير واستدل به علي ان الامر للايجاب فان ترتيب
العذابين علي مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال حتما الا ان لله ما في السموات
والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصريفا ايجادا واعداما بدا واعادة قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون
اليه عطف علي ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالي للجزا والعقاب وتعليق
علمه تعالي بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالي بذلك وغاية تقريره لما علم ان العلم بوقت وقوع
الشي مستلزم للعلم بوقوعه علي ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالي لنفس رجعهم من الظهور بحيث
لا يحتاج الي البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين علي طريقة الالتفات وقري
يرجعون مبنيا للفاعل فينبيهم بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق
به من التوبيخ والجزا وقد مر وجه التعبير عن الجزا بالتنبيه في قوله تعالي انما بغيكم علي انفسكم الاية
والله بكل شي عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما عن النبي صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بما بقي وفيما مضي والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان البركة النما والزيادة حسية
كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الي الله عز وجل علي المعني الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار
تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القران الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالي

وسمو

وسمو صفاته وابتنا افعاله علي اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكليه وصيغة التفاعل للمبالغة
فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالي الا باعتبار
غاياتها وعلي المعني الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه علي مخلوقاته لا سيما علي الانسان من فنون الخيرات
التي من جملتها تنزيل القران المنطوي علي جميع الخيرات الدينيه والدنيويه والصيغة حينئذ يجوز ان تكون
لافادة نمو تلك الخيرات وتزايدها شيا فشيا وانا فانا بحيث حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة علي غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشا والانبا عنها التعظيم
لم يجز استعمالها في حق غيره تعالي ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالي والفرقان مصدر فرق بين
الشيئين اي فصل بينهما به سمي القران لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه
او بكونه مفعولا بعضه عن بعض في نفسه او في انزاله علي عبده محمد صلي الله عليه وسلم وايراده صلي الله
عليه وسلم بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه صلي الله عليه وسلم في اقصي مراتب العبودية
والتنبيه علي ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا علي النصاري ليكون غاية للتنزيل اي نزله عليه
ليكون هو صلي الله عليه وسلم او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا او انذارا مبالغة
او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام علي احوال الكفرة وتقديم اللام علي عاملها
لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل القران في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند
السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجري المعلوم المسلم تنبيها علي كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله
احد كقوله تعالي لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا استقلالا لا
ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلا الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامه والتصرف الكلي
فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحيا واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية علي الحكم
والمصالح ومحله الرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او علي انه نعت للموصول
الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب
فيه لقوله تعالي قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظايره او مدح له تعالي
بالرفع والنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملايكه ما يقولون فسبحان الله
عما يصفون وهو معطوف علي ما قبله من الجملة الظرفيه ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من
الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك في الملك
اي في ملك السموات والارض وهو ايضا عطف علي الصلة وافراد بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما
به تعالي مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان السويه القايلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط
نفي اتخاذ الولد بينهما علي استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شي
اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا علي سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية علي الحكم
البالغه بان خلق كلا منهما من مواد مخصوصه علي صور معينه ورتب فيه قوي وخواص مختلفة الاحكام
والاثار فقدره اي هياه لما اراده من الخصايص والافعال اللايقه به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا
يبلغ كنهه الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنايع
المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفه وهكذا احوال ساير الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث
مجازا من غير ملاحظة معني التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق علي مطلق الاحداث
لتجريده علي معني التقدير واعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير
للبقا الي الاجل المسمي واياما كان فالجمله جارية مجري التعليل لما قبلها من الجملة المنتظمه مثلها في سلك

الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشيا على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية
يقتضي انتظام كل ما سواه كاينا ما كان تحت ملكوته القاهر بحيث لا يستبد بها شي من ذلك قطعا وما كان
كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه او شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه الهة** تعديما بين حقيقة الحق
ومطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات
الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل
عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك
عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شونه العظيمة من اختصاص ملك السموات
والارض به تعالى وانتفا الولد والشريك منه وخلق جميع الاشيا وتقديرها ابدع تقدير الهة **لا يخلقون
شيا** اي لا يقدرون على خلق شي من الاشيا اصلا **وهم يخلقون** كساير المخلوقات وقيل لا يقدرون
على ان يختلقوا شيا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا** لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين
العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهولا لا يقدرون على التصرف
في دفع ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيا منهما لغيرهم وتقديم
ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى **ولا يملكون
موتا ولا حياة ولا نشورا** اي لا يقدرون على التصرف في شي منها باماتة الاحيا واحيا الموتى وبعثهم
بعد بيان عجزهم عما هون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما
ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم
وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفا ما نفي عن الهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه
معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله
بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القايل هو النضر بن الحارث
والجمع لمتابعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة
والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف
عن وجهه **افتراه** يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه** اي على اختلاقه
قوم اخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنه بعبارته وقيل هما جبر
ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقران التوراة والانجيل وقيل هو عايس وقد مر تفصيله في
سورة النحل **فقد جاوا ظلما** منصوب بجاوا فان جا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته
او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاوا بما قالوا ظلما هايلا عظيما لا يقادر
قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر
وهو من جهة نظمه الرايق وطرزه الفايق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل
اية من اياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية
والامور الغيبية بحيث لا تناوله ولا تبلغه العقول والقدر **وزورا** اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته
حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو بري منه والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على
انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الاخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة
وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاوه من الظلم والزور هو عين ما حكي

عنهم لكنه لما كانت مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفا ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره **وقالوا اساطير الاولين** بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر
بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاستعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره
المتقدمون من الخرافات **اكتتبها** اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البنا للمفعول
لانه صلى الله عليه وسلم امي واصله اكتتبها له كاتب فحذفت اللام وافضي الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه
كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المتصل فاستتر فيه **فهي
تملى عليه** اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب
لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها
او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه صلى الله عليه وسلم لاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه
صلى الله عليه وسلم **بكرة واصيلا** اي دايما او خفية قبل انتشار الناس وحين ياوون الى مساكنهم
انظر الى هذه الرتبة من الجراة العظيمة قاتلهم الله انى يوفكون **قل** لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق **انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض** وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية
للايذان بانطوا ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم
المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة اخرين
من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه شي من
الاشيا واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته
وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم
الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب
صبا فقوله تعالى **انه كان غفورا رحيما** تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي انه تعالى
ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتاخير ولذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون
في حقه مع كمال استحقاقكم اياها وغاية قدرته عليها **وقالوا ما لهذا الرسول** شروع في حكاية
جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة
على الابتدا وخبرها على ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه صلى الله عليه وسلم وتسميته
صلى الله عليه وسلم رسولا بطريق الاستهزا به صلى الله عليه وسلم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم وقوله تعالى **ياكل الطعام** حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار
اي اي شي واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل **ويمشي في
الاسواق** لابتغا الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي
هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يومنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفا سببه بل لوجود
سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزا فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون
سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية
لهما على زعمهم بعنوان انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة
عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تمييز الرسل عما عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو
بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد **لولا انزل
اليه ملك** اي على صورته وهيئته **فيكون معه نذيرا** نزل منهم على اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا

عن الاكل والشرب الي اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردا له في الانذار وهو يعبر عنه وتفسير
ما يقوله للعامة وقوله تعالي او يلقي اليه كنز تنزل من تلك الرتبه الي اقتراح ان يلقي اليه من السما
كنز يستظهر به ولا يحتاج الي طلب المعاش ويكون ذلك دليلا علي صدقه وقوله تعالي او تكون له
جنة ياكل منها تنزل من تلك الرتبه الي اقتراح ما هو اكثر منه واقرب من الوقوع وقرئ ناكل بنون
الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القايلون الاولون وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه ضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه
من نسبته صلي الله عليه وسلم الي المسحورية اي قالوا للمومنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا
قد سحر فغلب علي عقله وقيل ذا سحر وهي الريه اي بشرا لا ملكا علي ان الوصف لزيادة التقرير والاول
هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا علي التفوه
بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها
مجري الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق
المحاجة حيث يا توابما لا يمر بصدوره عمن له ادني عقل فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الي القدح
في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا
فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الي استعمال
المقدمات الحقه تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شا جعل لك في الدنيا عاجلا
شيا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك
في الاخرة وقوله تعالي جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا
لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف علي محل الجزا
الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا علي نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزايه الرفع والجزم
كما في قول القايل ﴿ وان اتاه خليل يوم مسالة ﴾ يقول لا غايب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب علي انه جواب بالواو وتعليق
ذلك بمشيته تعالي للايذان ان عدم جعلها بمشيته المبنيه علي الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب
الاقتراحين الاخرين للتنبيه علي خروجهما من دايرة العقل واستغنايهما عن الجواب لظهور بطلانهما
او منافاتهما للحكمة بالكلية فان بعض الانبيا عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا
عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقه وانتقال منه الي
توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخري للتخلص الي بيان ما لهم في الاخرة بسببها من فنون العذاب
فقوله تعالي واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا الي اخره اي اعتدنا لهم نارا عظيمه شديدة
الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها علي ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم
او لكل من كذب بها كاينا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها
للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان يكون مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم
بساير ما جابه الشريعة الشريفه لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير
الي سببية تكذيبهما لدخولها وقيل هو عطف علي ما قالوا اما لهذا الي اخره علي معني بل اتوا باعجب
من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراتهم
علي التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل
هو متصل بما قبله من الجواب المبني علي تحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الاخرة مسوق لبيان ذلك

لا تحدي نفعا ولا تحل بطايل علي طريقة قول من قال ﴿ عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ما ذا تحيون من نوي واحجار ﴾
والمعني انهم لا يومنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة
وقيل المعني بل كذبوا بها فقصرت انظارهم علي الحظوظ الدنيويه وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال
وجعلوا فقرك ذريعة الي تكذيبك وقوله تعالي اذا راتهم الي اخره صفة للسعير اي اذا كانت
منهم بمراي الناظر في البعد كقوله صلي الله عليه وسلم لا تترايا ناراهما اي لا يتقاربان بحيث يكون
احدهما بمراي من الاخر علي المجاز كان بعضها يري لبعض فنسبة الروية اليها لا اليهم للايذان
بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رويتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالي
من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين راتهم خارج عن حدود البعد
المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي من مسيرة عام وقيل من مسيرة
ماية سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ علي تشبيه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله تعالي فيها حياة فتري وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسبت اليها
علي حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب علي الظرفيه ومنها حال منه لانه في الاصل
صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنه بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما
تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج علي الرمح وسيل النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي
نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحايط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم
اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون اليا مقرنين حال من
مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الي اعناقهم
بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد
دعوا هنالك اي في ذلك المكان الهايل والحالة الفظيعة ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه
يقولون يا ثبوراه تعالي فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا علي تقدير قول اما منصوب علي انه حال
من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان تخاطبهم الملايكة به لتنبيههم علي خلود عذابهم
فانهم لا يجابون الي ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم
بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقا بان يقال
لهم ذلك واما مستانفا وقع جوابا عن سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فما ذا يكون عند دعايهم
المذكور فقيل يقال ذلك اقناطا عما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها علي ان عذابهم الملجي لهم
الي استدعا الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا علي دعا ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعا المتعلق به دعا لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبورا
واحدا في حد ذاته لكنه كلما علق دعا من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به
دعا واحد وتحقيقه لا تدعوه دعا واحدا وادعوا ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية
شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعا في كل ان وهذا ادل علي فظاعة العذاب وهوله من جعل
تعدد الدعا وتجدده لتجدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الخلود كما لا يخفي واما
ما قيل من ان المعني انكم وقعتم فيها ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب
الوان وانواع كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانه كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا

غاية لهلاكهم فلا يلايم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينتهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد
ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته وبيان ما يوجب استدعاءهم من العذاب الشديد وتوحيد
النهي بالثبور والامر لمزيد التهويل والتقطيع والتنبيه على انه ليس كساير الايام المعهودة **قل** تقريعا
لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم **اذلك** اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من
الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم
ذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان اهلها **خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون** اي وعدها المتقون فاضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا
والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط **كانت** تلك الجنة
لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كاين لا محالة لتحقق وقوعه **جزاء** على اعمالهم
حسبما مر من الوعد الكريم **ومصيرا** ينقلبون اليه **لهم فيها ما يشاؤن** اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ
والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له
من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان
ولا تساوي مراتب اهل الجنان **خالدين** حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا
وقيل من فاعل يشاؤن **كان** اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون
على ربك وعدا مسئولا اي موعودا حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون
او مسئولا يساله الناس في دعائهم بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملايكة بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بانه
صلى الله عليه وسلم هو الفايز بآثار ما ذكر من الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم يحشرهم** نصب على انه
مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الى آخره اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم
يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهايلة
قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان
بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقري
بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا **وما يعبدون من دون
الله** اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما بان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبي عنه انك اذا رايت شبحا
من بعيد تقول ما هو ولانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام
غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة العبودية واعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملايكة
والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما
قيل في شهادة الايدي والارجل **فيقول** اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا
لهم وقري بالنون كما عطف عليه وقري هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة
ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله **ام هم ضلوا السبيل** اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل
وتقديم الضمير على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو التصدي للفعل لا نفسه **قالوا** استيناف مبني على

سؤال

سؤال نشا من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا **سبحانك** تعجبا مما قيل لهم لانهم اما
ملايكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموصوفون بتسبيحه تعالى وتوحيده
فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها له عن الانداد **ما كان ينبغي لنا** اي ما صح وما استقام لنا
ان نتخذ من دونك اي متجاوزين اياك **من اولياء** نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى
يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا اي ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا
فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى عما يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان
اي اتباعه وقري على البناء للمفعول من التعدي الى المفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا
ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء
من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن او الاصنام **ولكن متعتهم واباءهم** استدراك مسوق لبيان
انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم ولقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب
الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها
فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك او التدبر في اياتك
فجعلوا اسباب الهداية لسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك المبني على علمك
الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة **قوما بورا** هالكين على
ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع باير كعوذ في
عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه تعالى
على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة
في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون
ايها الكفرة **بما تقولون** اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم في هذا
القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في
زعمهم انهم الهتهم وناصروهم وايا ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور
بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقري بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية **فما يستطيعون**
اي ما يملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر
لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن
لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم كانوا يدفعون
عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقري يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع
الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه
ومن يظلم منكم ايها المكلفون كداب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه
من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد **نذقه** في الاخرة **عذابا كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب
النار وقري يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل المصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم
اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق** جواب عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الحال والمجرور عليه واقيمت

هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين
وماشين وقيل هي حال وا لتقدير الا انهم ليا كلون الى اخره وقرئ يمشون على البنا للمفعول اي تمشيهم حوايجهم
او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب وتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد
هذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وكما في قوله
تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني
ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا منهما من الاولين فتنة لبعض
منهم من الاخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد
منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم من الاولين لبعض منهم من الاخرين بل معنى جعلنا كل بعض
معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة
فتنة لرسولها المعين المبعوث بما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وانما تعميم الخطاب
لجميع المكلفين وابقا البعضين وعلى العموم وا لابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض
اخر منكم فياباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من احاد
الناس معا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاصرار على الاقتصار على ذكره من غير تعرض لعادة
مما يدل على اللائق بحال المفتونين وا لمتوقع حضور صدوره عنهم هو الاخير فلا بد ان يكون المراد
لهم الرسل فيحصل به تسلية صلى الله عليه وسلم فالمعنى جرت سنته لا بموجب كلمتنا على ابتلاء المرسلين
باممهم وبمناصبهم لهم العداوة وايذائهم لهم وباقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم
صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل بصبره
الجميل مع مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم بالالتفات الى اسم الرب مضاف الى ضميره صلى الله عليه
وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان
بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول
الى اخره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم في الشناعة بحيث
لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقا الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع عن
ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقا حسابه
تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم
البعث والحساب بالكليه لعدم املهم حسن اللقا لان عدمه ما غير مستلزم لما هم عليه من العتو
والاستكبار وان كان البعث والحساب راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا اي حسابنا
المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا
ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب بقولهم
او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه
قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شانهم حتى اجروا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعا
وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته بحيث املوا نيل
مرتبة المعاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا
من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة
اماني لا يكاد يدنوا اليها احداق الامم ولا يمتد اليها احداق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزم الماضيه
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الاية وفيه

من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون
الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم
السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان
يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم له ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه
بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ
للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل
من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهويلا للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها
مشعران بان هناك بشرى يمنعونها ويفقدونها واين هذا من نفيها بالكليه وحيث كان نفيها
كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت
دل على ثبوت التندير لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يدل عليه بشرى على ان لا غيرنا فيه
للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال
تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصد نفي البشرى عما عداه
الوقت فقط فان ذلك محل تفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم
بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث لا يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في
اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا
بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل عن الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ
عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له
حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة مهولة يضعونها موضع الاستعاذة
حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم وكان المعنى نسال الله تعالى ان يمنع ذلك منع
ويحجره حجرا وكسر الحا لتصرف ما فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقرئ حجرا بالضم
والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم
اشد كراهة وفزعوا فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع
ومحجورا صفة لحجر وارادة للتاكيد كما قالوا ذيل ذايل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة قاطعا
للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم وليس يوم
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة
رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير ومن غير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي كانوا
عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم
واستعصوا عليه فقصد الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فانحى عليها بالافساد والتحريق
ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها
بالكليه من غير ان يكون هناك قدوم على شيء ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى
في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار منثورا صفته لتشبيه به اعمالهم الحبطة في
الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث
انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار
اليهم بقوله تعالى ذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الى اخره يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر
من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي

يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث **واحسن مقيلا** المقيل الذي يودي اليه للاستراحة في
الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من
الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن
مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر من الي انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر
فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل
واما بالاضافة ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الي ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله
تعالى قل اذلك خير الاية وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الي ان مكانهم وزمانهم
اطيب مما يتخيل من الامكنة والازمنة **ويوم تشقق السما** اي تتفتح واصله تتشقق وحذف احدى
التائين كما في تلظى وقرى بادغام التا في الشين **بالغمام** بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر
في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل
الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل **ونزل الملائكة تنزيلا** اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق
سما سما وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرئ وتنزلت الملائكة
وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل وتزول الملائكة ونزل الملائكة وتنزل الملائكة على
حذف النون الذي هو فا الفعل من تنزل **الملك يومئذ الحق للرحمن** اي السلطنة القاهرة والاستيلا
الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك
مبتدا والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفايدة التقييد ان ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما ما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة
وقيل الملك مبتدا والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك
وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في
الظرف اي ينفرد الله بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استيناف مسوق
لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة
لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن **وكان** ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في
الرحمة لعباده **يوما على الكافرين عسيرا** شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما
للمومنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جا في الحديث انه يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون
اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي لما قبله **ويوم يعض
الظالم على يديه** عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوما الي ضيافته فابى صلى الله عليه وسلم ان ياكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى عنك الا ان تطا قفاه
وتبزق في وجهه فاتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم
بن ثابت الانصاري وطعن صلى الله عليه وسلم ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الي مكة ومات
واما جنس الظالم فهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى **يقول** الي اخره حال من فاعل يعض وقوله تعالى

يا ليتني الي اخره محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الي تعيين المنبه او المنادي محذوف اي يا هولا ليتني **اتخذت
مع الرسول سبيلا** اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
او حصلت في صحبته صلى الله عليه وسلم طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط **يا ويلتى** بقلب يا المتكلم الفا
كما في صحاري ومداري وقرى على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري فهذا اوانك **ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا** يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل
فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور
وفلانة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالندا الا في الضرورة
كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان
خلافا للفرا واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل يا هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية
عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الجن والانس وهذا التمني
منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تذلل واعتذار بتوليته جنايته الي الغير
وقوله تعالى **لقد اضلني عن الذكر** تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية
للمبالغة في بيان خطابه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القران
او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة **بعد اذ جاني** وتمكنت منه وقوله تعالى
وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يوديه الي الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا
بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي
حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان
يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الاخرة وهو اوفق لحال ابليس **وقال الرسول** عطف
على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقانا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم
في الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على
نحورهم حيث ما كان حكي عنهم قدحا في رسالته صلى الله عليه وسلم اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول
اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الي ربه عز وجل **يا رب ان قومي** يعني
الذين حكي عنهم ما حكي من الشنايع **اتخذوا هذا القران** الذي من جملته هذه الايات الناطقة بما
يحيق بهم في الاخرة من فنون العقاب كما تنبي عنه كلمة الاشارة **مهجورا** اي متروكا بالكلية ولم يومنوا به
ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المومن ان يكون كثير التعاهد للقران
كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم قال من تعلم القران وعلق مصحفا
ولم ينظر فيه جا يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما
يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقيل ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول
فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبيا عليهم السلام اذا شكوا
الي الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين**
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتدا بمن قبله من الانبيا عليهم السلام الذين
هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى **وكفى بربك هاديا
ونصيرا** وعد كريم له صلى الله عليه وسلم بالهداية الي كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك

وبلغك الى الكمال هاديا لك على ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجرا احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك **وقال الذين كفروا** حكاية لاقتراحهم الخاصة بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه صلى الله عليه وسلم والقايلون هم القايلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به وللاشعار بعلة الحكم **لولا نزل عليه القران** التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله **جملة واحدة** كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقا مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القران العظيم فبينة صحته واية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على ممر الدهور المحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان مما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوايد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى **كذلك لنثبت به فوادك** فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التدريج التنزيلي للتنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فوادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المنا على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتدا او تكليفا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الاخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة **ورتلناه ترتيلا** عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي لذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه اية بعد اية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراته لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل قراناه عليك بلسان جبريل شيا فشيا في عشرين او في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل **ولا ياتونك بمثل** من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دايرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا ياتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القران **الا جيناك** في مقابلته **بالحق** اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القاطعة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى **واحسن تفسيرا** عطف على الحق اي جيناك باحسن تفسيرا اي على محل بالحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على انه في غاية ما يكون من الحق في حد ذاته لان ما ياتون به لا حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثنا مفرغ محله النصب على الحالية اي لا ياتونك بمثل الا حال اتيانا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فواده صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسيلة وبصحة جميع الاجوبة وبالاشارة مبني على بطلان السوال الاخير وصحة اجوبته اذ لولا ان تنزيل القران على التدريج لما امكن ابطال

تلك

تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فواده صلى الله عليه وسلم من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغنا عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قايلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكييفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات وياباه الاستثنا المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الملكات السنية اللايقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** اي يحشرون كاينين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتدا وقوله **اولئك** بدل منه او بيان له وقوله **شر مكانا واضل سبيلا** خبر له او اسم الاشارة مبتدا ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالاضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا **ولقد اتينا موسى الكتاب** جملة مستانفة سيقت لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبيا عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد اتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالاخرة **وجعلنا معه** الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى **اخاه** مفعول اول له وقوله تعالى **هارون** بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى **وزيرا** مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له **فقلنا** لهما حينيذ **اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا** هم فرعون وقومه والايات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب الايات عن اظهارها المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر فاتياهم فكذبوا اياتنا كلها تكذيبا مستمرا **فدمرناهم** اثر ذلك التكذيب المستمر **تدميرا** عجيبا هايلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفا بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فايدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع فانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتا الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الامال التي هي انجا بني اسرايل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم ودمراهم ودمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى

فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله تدمر مؤخرا عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وانما يبتني ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جملة جواب لها وجواب لما لا يعمل فيما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما نقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا اغراقهم او قصتهم **للناس اية** اي اية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تاخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذابا اليما** هو عذاب الاخرة اذ لا فايدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي **وعادا** عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد **وثمودا** الكلام فيه وفيما بعده كما في ما قبله وقرئ وثمود على تاويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى **واصحاب الرس** هم قوم يعبدون الاصنام بعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البير التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هم الاخدود وقيل بير بانطاكيه قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه او دسوه في بير **وقرونا** اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون **بين ذلك** اي بين ذلك المذكور من الطوايف والامم وقد يذكر الذاكر اشيا مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب **كثيرا** لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفا في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن مما لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة **وكلا** منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة لها اما عن الامم التي ذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون وتكذيبهم بالايات والرسل لا عدم لنا اثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين **ضربنا له الامثال** اي تبينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل **وكلا** اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض **تبرنا تتبيرا** عجيبا هائلا لما انهم لم يتاثروا بذلك ولم يرجعوا اليه راسا وتمادوا عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شي كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة **ولقد اتوا** جملة مستانفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لاثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام **على القرية التي امطرت** اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجا منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث

واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى **مطر السوء** وانتصابه اما على انه مصدر موكد بحذف الزوايد اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء **افلم يكونوا يرونها** في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الروية معا وفي الثاني عدم الروية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشورا** اما اضراب عما قبله من عدم روَيتهم لاثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لعدم كون اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم روَيتهم لاثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزا الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجا النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزا الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزا الدنيوي في حق طايفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتعظوا ويتذكروا بما شاهدوه من اثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال بما ذكر من التوبيخ من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور **واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا** اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى **اهذا الذي بعث الله رسولا** محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قايلين اهذا الذي الى اخره والاشارة للاستحقار واخراج ان الله بعث رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة والسلام مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزا والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او هذا الذي يزعم انه بعث الله رسولا **ان كاد** ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا عن الهتنا** اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعا ان عبادتها طريق سوي **لولا ان صبرنا عليها** واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الى اخره وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم ورد لما ينبي عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى **حين يرون العذاب** الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلا** وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبايحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمال وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتنا به لانه الذي يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** اضراب وانتقال من الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبي عنه جده صلى الله عليه وسلم في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما يتلى عليهم من الايات

حتى السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبايح الداعية الي المحاسن فتغنني بشانهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لما اضيف هو اليه وقوله تعالي **ان هم الا كالانعام** الي اخره جملة مستانفه مسوقة لتكرير التنكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع اذانهم من قوارع الايات وانتفا التدبر فيما يشاهدونه من الدلايل والمعجزات الا كالبهايم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل سبيلا** لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسي اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الي معاطنها وهولا لا ينقادون الي ربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساة الشيطان الذي هو اعدي عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو الشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هولا حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها الاحكام والشرور ولان احكامها جهالتها وضلالتها مقصورة علي انفسها لا تتعدي الي احد وجهالة هولا موديه الي ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوي المودعة بل صارفة لها الي ما خلقت له فلا تقصير في طلبها من قبلها لكمال في طلب الكمال واما هولا فهم معطلون لقواهم مضيعون للفطرة الاصليه التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك لاعظم العقاب واشد النكال **الم تر الي ربك** بيان لبعض دلايل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم وللايذان بان ما يعقبه من اثار ربوبيته ورحمته تعالي اي الم تنظر الي بديع صنعه تعالي **كيف مد الظل** اي كيف انشا ظلا اي ظل كان من جبل او بنا او شجر عند ابتدا طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالي مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الي غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشايه تعالي واحداثه يا باه سياق النظم الكريم فاما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطبايع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالي وظل ممدود ففيه تشديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس علي عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعاهدونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكروا ان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة لان توجيه الروية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رويته صلى الله عليه وسلم لكيفية مد الظل للتنبيه علي ان نظره صلى الله عليه وسلم مقصور علي ما يطالعه من الاثار والصنايع بل مطمح انظاره معرفة شوون الصانع المجيد وقوله تعالي **ولو شا لجعله ساكنا** جملة اعتراضيه بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر علي انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العاديه وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول المشية محذوف علي القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا اي ولو شا سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا علي حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابلة الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين الشمس يري راي العين حركة وانتقالا وحاصله ان لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة علي وضع واحد فمداره الغفل عما سبق له النظم الكريم ونطق

به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة باسناد جميع الامور الحادثه اليه تعالي بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببيه والتاثير بالكلية وقصرها علي مجرد الدلالة علي وجود المسببات بذكر قدرته تعالي علي بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد علي انها اعظم من ابقا الظل علي حالة في الدلالة علي ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهو اولي واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالي **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** عطف علي مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة علي احواله من غير ان يكون بينهما سببيه وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المتقدمة والالتفات الي نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبي عن السببيه من مزيد دلالة علي عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالي **ثم قبضناه** عطف علي مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما في بيان كون القبض والمد مرتبين دايرين علي قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة علي الحكمة الربانيه ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبي عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالي **الينا** للتنصيص علي كون مرجعه اليه تعالي كما ان حدوثه منه عز وجل **قبضا يسيرا** اي علي مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله علي وتيرة معينه مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان تعالي حين بني السما كالقبة المضروبة ودحي الارض تحتها القت القبة ظلها علي الارض لعدم النير وذلك مده تعالي اياه ولو شا لجعله ساكنا مستقرا علي تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها علي ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطرق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم ينسخه بها فيقبضه قبضا سهلا يسيرا وقبضا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر باعدام اسبابه كما ذكر انشاوه بانشايها ووصف باليسير علي طريقة قوله تعالي ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة علي تحقق الوقوع **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** بيان لبعض بدايع اثار قدرته تعالي وحكمته وروايع احكام رحمته ونعمته الفايضه علي الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقه بجعل وتقديمها علي مفعوليه للاعتنا ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس **والنوم سباتا** اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالي هو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالي الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتي علي نعت حذف المضاف واقامة المضاف اليه اي نفس البعث علي طريق المبالغة وفيه اشارة الي ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **وهو الذي ارسل الرياح نشرا** وقري بالتوحيد علي ان المراد هو الجنس **نشرا** تخفيف نشر جمع نشور اي منشورات وقري نشرا بضم نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقري بالتخفيف وبفتح النون ايضا علي انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالي **بين يدي رحمته** استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الي نون العظمة في قوله تعالي **وانزلنا من السماء ماء طهورا** لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ما يبلغ في الطهارة

وما قيل انه مما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبي عنه قوله تعالى وينزل
عليكم من السما ما ليطهركم به فان الطهورية العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا او اسم كما في قوله صلى الله
عليه وسلم التراب طهور المؤمن وقد جا بمعني الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوا حسنا
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور ووصف الما به اشعارا بتمام النعمة فيه وتتميم
للنعمة فيما يتبعه بعده فان الما الطهور اهني وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم
لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من السما الطهور
بلدة ميتا باثبات النبات والتذكير لان البلدة بمعني البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجري مجري الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غيره ونسقيه اي ذلك الما الطهور
عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض او المنافع والابيار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القري
والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السما وساير الحيوانات
تبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم
منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احيا الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقري نسقيه
واسقي وسقي لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين
فقلبت نونه يا وقري اناسي بالتخفيف بحذف يا افاعيل كانا عم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله
لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشا السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجميلة في القران
وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا
بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيامه وقيل الضمير للمطر وتصريفه
بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض وجعله تارة قالا واخري طلا واخري وابلا
ديمة وقتا رهمه والاول هو الاظهر فابي اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنو كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يري
ولمن لا يري الامطار الا من الانوا فهو كافر بخلاف من يري ان الكل بخلق الله تعالى والانوا امارات بجعل الله تعالى
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعبا النبوة لكن لم نشا ذلك فلم نفعله
بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا
لك على ساير الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق
والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة
لما انه صلى الله عليه وسلم كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم اشد الاجتهاد
وجاهدهم به اي بالقران بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير
احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد اكبر لا يقادر قدره
كما وكيفا او قبل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة
يتحقق بالدعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل البا للملابسة
ليكون المعني وجاهدهم بما ذكر من احكام القران الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم
بالشدة والعنف لا بالملايمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه صلى الله عليه

نذير

نذير كافة القري لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم
بسبب كونك نذير كافة القري جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة
بحسب الكمية ليس فيه مزيد فايدة فانه بين بنفسه وانما اللايق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية
وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قاطع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقري ملح ولعله تخفيف
مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا
محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا يتفرد من الاخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل
البحر فتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير
وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضي طبيعة كل عنصر
التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الما الذي خمر به طينة
ادم عليه السلام او جعله جزوا من مادة البشر فيجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيات بسهولة
او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي
اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثي وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث
قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضا مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما
يخلق من مادة واحدة توامين ذكرا وانثي ويعبدون من دون الله الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم
ولا يضرهم اي ما ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من
احد من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت اثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم
ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر وما ارسلناك الا مبشرا
للمومنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة التي ينبي عنه الارسال من اجر من جهتكم
الا من شا ان يتخذ الي ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفي عنده بالايمان والطاعة
حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثني منه بلعا كليا
لشايبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عايدا لهم صلى الله عليه وسلم
وقيل الاستثنا منقطع اي لكن من شا ان يتخذ الي ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفا
عن شرورهم والاغنا عن اجورهم فانه الحقيق ان يتوكل عليه دون الاحيا الذين من شانهم الموت فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا
لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفي به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلع عليها
بحيث لا يخفي عليه شي منها فيجزيهم جزا وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوي على العرش قد سبق تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخري للحي وصف بالصفة
الفعلية بعد وصفه بالابدية التي من الصفات الذاتية والاشارة الي اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب
التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشا هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفايق والنسق الرايق
بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة بحكم جليلة وغايات
جميلة لا يقف عن تفاصيلها العقول احق من ان يتوكل عليه اولي من ان يفرض الامر الرحمن مرفوع على المدح
اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف اخر للحي كما قري بالجر مفيدة لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه

تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم
يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان لهما حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا
في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال
بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الاية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره
وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى **فاسئل به** اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستوا لا بنفسهما
فقط اذ بعد شانهما لا يبتغي الى السوال لحاجة الا في تعديته بالبا فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتنا
المستدعي لكون المسئول امرا خطيرا مهما بشانه غير حاصل للسايل وظاهر ان نفس الخلق والاستوا
بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسئل به خبيرا على ان الخطاب له صلى الله عليه
وسلم وغيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكرنا فاسئل معتنيا به **خبيرا**
عظيم الشان محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسئل به
من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه الى الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجي ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتدا وما بعده خبره وقرئ فسل **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** قالوه لما انهم
ما كانوا يطلقونه على الله سبحانه او لانهم ظنوا ان المراد غيره تعالى ولذلك قالوا **انسجد لما تامرنا** اي للذي
تامرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا بيا
الغيبة على انه قول بعضهم لبعض **وزادهم** اي الامر بسجود الرحمن **نفورا** عن الايمان **تبارك الذي جعل
في السما بروجا** هي البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة
لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره **وجعل فيها سراجا** هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا
وهي الشمس والكواكب الكبار **وقمرا منيرا** مضيا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمرا ولما ان الليالي بالقمر تكون
قمرا اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القايم مقامه ٭ كما في قول حسان رضي الله عنه
بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب **وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة** اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان
يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته
ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر **وعباد الرحمن** كلام مستانف مسوق
لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته
والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدا خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في اخر
السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولين **الذين يمشون
على الارض هونا** اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون
او على انه لمصدره اي يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى **واذا خاطبهم
الجاهلون** اي السفها كما في قول من قال ٭ الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭
قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسو
قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم
وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها اية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم ان يكونوا ساجدين لربهم وقايمين

اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرا شيئا في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقايما وقيل هما الركعتان
بعد المغرب والركعتان بعد العشا وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل **والذين يقولون** اي في اعقاب
صلواتهم او في عامة اوقاتهم **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما** اي شرا دايما
وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون
العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون **انها سات مستقرا ومقاما** تعليل لاستدعايهم المذكور بسو حالها في نفسها
اثر تعليله بسو حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذلك وسات في حكم بيست وفيها ضمير مبهم
يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه سات مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي يربط الجملة
باسم ان وجعلها خبرا لها وقيل ويجوز ان تكون سات بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او تمييز وهو بعيد خال عما في الاصول من المبالغة في بيان سو حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم **ولم يقتروا** ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التا مع فتح اليا وبكسرها مخففة
مشددة مع ضم اليا **وكان بين ذلك** اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر **قواما** وسطا وعدلا سمي به
سوا الاستقامة وقرئ بالكسر وهو ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال
موكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا
يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشي عن نفسه **والذين لا يدعون مع الله الها اخر**
شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى
الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتنا بالتوحيد والاخلاص
وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كانوا عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي
لا يعبدون معه تعالى الها اخر **ولا يقتلون النفس التي حرم الله** اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم **الا بالحق** اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او يقتلون قتلا ما اي قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في
حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق **ولا يزنون** اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظايم
القبيحة التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي
من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا **ومن يفعل ذلك** اي ما ذكر كما هو داب الكفرة
المذكورين **يلق** في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما **اثاما** وهو جزا الاثم كالوبال والنكال
وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزا الاثم والتنوين على التقديرين للتهويل وقرئ اياما اي شدايد
يقال هذا يوم ذو ايام لليوم العصيب **يضاعف له العذاب يوم القيامة** بدل من يلق لاتحادهما
في المعنى كقوله ٭ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٭
وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون
ونصب العذاب **ويخلد فيه** في ذلك العذاب المضاعف **مهانا** ذليلا محتقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني
وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتا على الالتفات المنبي عن شدة الغضب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى **الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا** وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتنا به والتنصيص على مغايرته
للاعمال السابقة **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار

لفظه اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يبدل الله سيئاتهم حسنات** بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة
بان يزيل الاولى وياتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا **وكان الله غفورا رحيما**
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات **ومن تاب** اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها **وعمل
صالحا** يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات **فانه** بما فعل **يتوب الى الله**
اي يرجع اليه تعالى **متابا** اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب اوتوبة
متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا
تعميم بعد تخصيص **والذين لا يشهدون الزور** لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه **واذا مروا** على طريق الاتفاق **باللغو** اي ما يجب ان يلغى ويطرح
مما لا خير فيه **مروا كراما** معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء
عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به **والذين اذا ذكروا بايات ربهم**
المنطوية على المواعظ والاحكام **لم يخروا عليها صما وعميانا** اي اكبوا عليها سامعين باذن واعية
وانما ذلك نفي الضد تعريضا لما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المومن اذا ساعده اهله في طاعة الله تعالى وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده
من متابعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم
ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد
اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها **واجعلنا للمتقين اماما** اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا
في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى
ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق
كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل ثبوت هذا اصدور هذا الدعا اما عن الكل بطريق المعية وانه
محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة
واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعا الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر
صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعا واجعلني للمتقين اماما خلا انه
حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صايم
ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق
العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل
على حياله شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسط العاطف
بين الموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم *

اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة
على انهم متميزون بذلك اكمل تميز ومنتظمون في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى **يجزون الغرفة** والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب

مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية
من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات
امنون وقيل هي من اسما الجنة **بما صبروا** بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل
المجاهدات **ويلقون فيها** من جهة الملائكة **تحية وسلاما** اي تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة
والسلامة عن الافات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل افة وقيل يحيي بعضهم بعضا
ويسلم عليه وقرئ من لقي **خالدين فيها** لا يموتون ولا يخرجون **حسنت مستقرا ومقاما** الكلام فيه
كالذي مر في مقابله **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفايزين بتلك النعم الجليلة
التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة
مشافها بما صدر عنهم من جنسهم من خير وشر **ما يعبا بكم ربي لولا دعاوكم** اي اي عبا يعبا بكم واي اعتداد
يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو
وساير البهايم سوا وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده تعالى وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا
دعاوه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاوكم معه الهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى
فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المومنين منهم اي فقد كذبتم بما
اخبرتم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم
كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفايدته الايذان
لان مناط فوز احدهما وخسران الاخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في
الاعمال **فسوف يكون لزاما** اي يكون جزاوه التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار
كما يعرب عنه الفا الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل
امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد انه القتل يوم بدر وانه
لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مومن بان الساعة اتية دخل الجنة بغير نصب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار
النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة
سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتدا وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل
لايق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك في قوله تعالى **تلك ايات الكتاب المبين** اشارة الى السورة سوا كان
طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هنالك وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون
طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القران وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان
بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي ايات
مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت
الفاصلة **لعلك باخع نفسك** اي قاتلها واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة

علي ما فاتك من اسلامهم قومك الا يكونوا مومنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يومنوا به وقوله تعالي ان نشا الي اخره استيناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي والتحسير المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيته تعالي ننزل عليهم من السماء اية اي ملجية لهم الي الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين علي المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الي المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر علي حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفة العقلا اجريت مجراهم في الصفة ايضا كما في قوله تعالي رايتهم لي ساجدين وقيل اريد به الرؤسا والجماعات من قولهم جانا عنق من الناس بصيغة العقلا اجريت مجراهم في الصفة ايضا اي فوج منهم وقري خاضعة وقوله تعالي فظلت عطف علي ننزل باعتبار محله وقوله تعالي وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوايهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب لغير ما ذكر من الاية الملجية لصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الحرص علي اسلامهم وقطع رجايه عنه ومن الاولي مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتدا الغاية مجازا متعلقه بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة علي فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه عزوجل علي الاطلاق شنيع قبيح وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالي لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما ياتيهم من موعظة من المواعظ القرانيه او من طايفة نازلة من القران تذكرهم كل تذكير وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالي بمقتضي رحمته الواسعه مجدد تنزيله حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه علي وجه التكذيب والاستهزا واصرارا علي ما كانوا عليه من الكفر والضلال فالاستثنا مفرغ من اعم الاحوال محله النصب علي الحالية من مفعول ياتيهم باضمار قد وبدونه علي الخلاف المشهور اي ما ياتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي ياتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزا به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخري اساطير واخري شعرا والفا في قوله تعالي فسياتيهم لترتيب ما بعدها علي ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة من غير تخلف اصلا انبا ما كانوا به يستهزون عدول عما تقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزا كما اشير اليه حسب ما وقع في قوله تعالي وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاهم فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزون وانباوه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجله والاجله عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبا بها القران الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون علي حقيقة حال القران كما يقفون علي الاحوال الخافيه عنهم باستماع الانبا وفيه تهويل له لان النبا لا يطلق الا علي خبر خطير له وقع عظيم اي فسياتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزون به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للاستفهام للانكار التوبيخي والواو للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي فعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الايات والتكذيب والاستهزا بها ولم ينظروا الي الارض اي الي عجايبها الزاجرة لما فعلوا الداعية الي الاقبال علي ما اعرضوا عنه والي الايمان به وقوله تعالي كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استيناف مبين لما في الارض من الايات الزاجرة عن الكفر الداعية الي الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها علي المفعوليه والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف تمييز والكريم من كل شي مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة علي القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكريم الكل بالكرم للتنبيه علي انه تعالي ما انبت شيا الا وفيه فايدة كما نطق به قوله تعالي هو الذي خلق لكم

ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يهتد الي معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الي مصدر انبتنا او الي كل واحد من تلك الازواج واياما كان فما فيه من معني البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لاية اي اية عظيمة دالة علي كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان رادعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه صلي الله عليه وسلم مومنين قيل اي في علم الله تعالي وقضايه حيث علم انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكاليف الي جانب الكفر ولا يتدبرون في هذه الايات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعني وما اكثرهم مومنين وهو الانسب بمقام علوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد بينات موجبات الايمان من جهته تعالي واما نسبة كفرهم الي علمه تعالي وقضايه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر انما اشير اليه من التحقق مما خفاه مهرة العلما المتقنين كانه قيل ان في ذلك لاية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مومنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الي اكثرهم لان منهم من سيومن وان ربك لهو العزيز اي الغالب علي كل شي ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هولا الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يواخذهم بغتة بما اجترووا عليه من العظايم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية من التكرمة ما لا يخفي واذ نادي ربك موسي كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما ياتيهم من الايات التنزيليه وتكذيبهم لها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الايات التكوينيه واذ منصوب علي المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلي الله عليه وسلم اي واذكر لاوليك المصرين المكذبين وقت ندايه تعالي اياه عليه السلام وذكرهم بما جري علي قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الضالين حتي يتضح لك انهم لا يومنون بما ياتيهم من الايات لكن لا يقتاس حال هولا بحال اوليك فقط بل بمشاهدة اصرارهم علي ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالي ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الي الوقت مع ان المقصود بذلك تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ايت بمعني اي ايت علي ان ان مفسرة او بان ايت علي ان مصدريه حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي والاستعباد وبني اسرايل وذبح ابنايهم وليس هذا مطلع ما ورد في حين النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالي اني انا ربك الي قوله لنريك من اياتنا الكبري وامرا وما جري في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتي واساليب مختلفه قد مر تحقيقه في اوايل سورة الاعراف عند قوله قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان جي به للايذان بانهم علم في الظلم كان معني القوم الظالمين وترجمة قوم فرعون والاقتصار علي ذكر قومه للايذان بشهرة الي نفسه اوله داخل في الحكم الا يتقون استيناف جي به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقري بتا الخطاب علي طريقة الالتفات المبني عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادي الي مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا غيبا لكنهم قد اجري مجري الحاضرين في كلام الرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واستماعه مبدا استماعهم مع ما فيه من مزيد الحث علي التقوي لمن تدبر وتامل وقري بكسر النون اكتفا به عن يا المتكلم وقد جوز ان يكون بمعني الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استيناف مبني علي سوال نشا من حكاية ما مضي كانه قيل فماذا قال موسي عليه السلام فقيل قال متضرعا الي الله عزوجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان علي اخاف فارسل اي جبريل عليه السلام الي هرون ليكون معي اعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعا ذلك علي الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدرا ما كان فيه من حبسة اللسان بانقباض الروح الي باطن القلب

عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الي معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسه
حتي لا يختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل فالتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعا لما يعينه
علي الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقري ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا علي يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف
منه **ولهم علي ذنب** اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي
وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبي عنه قوله لهم وهذا اشارة الي قصة مبسوطة في غير موضع **فاخاف** ان اتيتهم
وحدي **ان يقتلون** بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استرضاع للبلية
المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالي **قال كلا فاذهبا باياتنا** حكاية لاجابته تعالي الي الطلبتين الرفع المفهوم
من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف علي مضمر ينبي عنه
الردع كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالي باياتنا رمزا الي انها تدفع ما تخافه
وقوله تعالي **انا معكم مستمعون** تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما لضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالي
انني معكما اسمع واري وحيث كان الموعود بحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل اجري مجري الجماعة ويأبي
ما بعده وما قبله من ضمير التثنية اي سامعون لما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالي بحال
ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم علي اعدائهم مبالغة في الوعد
بالاعانة واستعير الاستماع الذي هو بمعني الاصغا للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان
او خبر او عده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالي **فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين**
لترتيب ما بعدها علي ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الي
المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالته كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه
مصدر وصف به وان في قوله تعالي **ان ارسل معنا بني اسرائيل** مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول
معني القول ومعني ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الي الشام **قال** اي فرعون لموسي عليه السلام بعد
ما اتياه وقالا له امرا به يروي انهما انطلقا الي باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتي قال البواب ان ههنا انسانا
يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك فاديا اليه الرسالة فعرف موسي عليه السلام فقال
عند ذلك **الم نربك فينا** في حجرنا ومنازلنا **وليدا** اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة **ولبثت
فينا من عمرك سنين** قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الي مدين واقام به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم
الي الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي احد لك الغرق خمسين وقتل ولدا القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم
علي اثر ذلك والله اعلم **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتل القبطي بعد ما عدد نعمته من تربيته وتبليغه
مبلغ الرجال ونجه بما جري عليه من قتل حاره وعظمة ذلك وقري فعلتك بكسر الفا لانها كانت نوعا من القتل
وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الي رجل من خواصي فانت ممن يكفرهم الان وقد افتري عليه عليه السلام
او جهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة
حينئذ حال من احدي التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيه او من يكفرون في دينهم حيث
كانت لهم الهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجنايات
بدعا منه **قال** مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر **فعلتها اذا وانا من الضالين**
اي من الجاهلين وقد قري كذلك لا من الكافرين كما زعمت فرارا عن وصل الجهلة والسفها او من المخطئين لانه
لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه فالناهين عما يودي اليه الوكز او الناشين كقوله تعالي ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخري **ففررت منكم لما خفتكم** اي اذ تصيبوني بمضرة وتواخذوني بما لا استحقه
بجنايتي من العقاب **فوهب لي ربي حكما** اي حكمة او نبوة **وجعلني من المرسلين** زاد وكلا بذلك ما وبخه به

تدرجا في نبوته ثم كر عليه ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه علي ان ذلك كان
في الحقيقة نقمة فقال **وتلك نعمة تمنها علي** وهي **ان عبدت بني اسرائيل** اي تلك التربية نعمة من علي بها ظاهرا
وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي
في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي وتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت
الرفع علي انه خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار اليا او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الي خصلة
شنعا مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعني تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها
وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه **قال فرعون** لما سمع منه عليه السلام
تلك المقالة المبينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض
علي دعواه عليه السلام فبدا بالاستفسار علي الرسل فقال **وما رب العالمين** حكاية لما وقع في عبارته
عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب
عنه قوله انا ربكم الاعلي وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده مما سيجيء به عليه السلام **قال**
موسي عليه السلام مجيبا له **رب السموات والارض وما بينهما** بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله
لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزويره للعين وتشكيكه بحمل العالمين علي ما تحت مملكته **ان كنتم
موقنين** اي ان كنتم موقنين بالاشيا محققين لها علمتم بذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشيا فهذا اولي
بالايقان لظهوره وانارة دليله **قال** اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب قومه
واذعانهم له **لمن حوله** من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما وكانوا اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام
خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم خمسماية عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة **الا تستمعون** مغريا
لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون
ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد ربوبيته نفسه **قال** عليه السلام
صريحا بما كان مندرجا تحت جوابيه السابقين **ربكم ورب ابائكم الاولين** اي تبكيتا وتخطئة له عن ادعا
الربوبية المرتبة الربوبية **قال** فرعون لما واجهه موسي عليه السلام بما ذكر لحاطه ذلك وخاف من تاثيره في قومه
متهم فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء حسدا لهم فقال مؤكدا لمقالته الشنعا بحرف التاكيد
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليصرفهم بذلك ويصيرهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزا
واضافه الي مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا اليه نفسه **قال** عليه السلام **رب المشرق والمغرب** قاله عليه السلام
لجوابه الاول وتفسيرا وتنبيها علي جهلهم وعدم فهمهم لمعني مقالته فان بيان ربوبيته تعالي للسموات والارض
وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالي للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باسناد حركات
السموات وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخري منورة الي الله تعالي ارشدهم الي طريق
معرفة ربوبيته تعالي لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب مبني علي شروق الشمس وغروبها ومنورا للمتوطنين بحركات
السموات وما فيها علي نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع المرضية وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الي محدث
عليم حكيم لا للذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باسرارها استغنائها عن الموجد المنفرد
وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا من الاشيا او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر
كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه علي من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة
العقل فانهم متصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون **قال** لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك
المقالات المبنية علي اساس الحكم البالغة وملها شدة حزمه وقوة عزمه علي تمشيته امره فانه نجمي لا يجاري
في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانتصاف وناي بجانبه الي حدوه الجور والاعتساف فقال مظهرا

لما كان نصرعند السوال والجواب لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقنع عليه السلام بترك
دعوي الرسالة وعدم التعرض حتي كانه عليه السلام ان يتخذ الها لغاية علوه فيما فيه من دعوي الالوهية وهذا صريح
في انه تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الي الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام
الربوبية الي غيره واما ما قيل من ان سواله كان عن حقيقة الرسل وتعجيبه عن جواب كان لعدم مطابقته لكونه يذكر احواله فلا
يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله وال للامر في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني
حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتي يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جيتك بشي مبين اي اتفعل ذلك
ولو جيتك بشي مبين اي موضح اصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة علي وجود الصانع وحكمته
وبين الدلالة علي صدق دعوي من ظهرت علي يده والتعبير عنها بالشي للتهويل قالوا الواو في اولو جيتك للحال دخلت
عليها همزة الاستفهام اي جايا بشي مبين اي موضح بصدق دعواي اي يريد المعجزة وقد سلف مرارا انها للعطف وان
كلمة لو ليست لانتفا الشي في الزمان الماضي لانتفا غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف تعويلا علي دلالة
ما قبلها عليه ملاحظة قصديه الا عند القصد الي بيان الاعراب علي القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي علي كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له علي الاجمال بادخالها علي ابعدها
منه واشدها منافاة ليظهر ثبوته او انتفاوه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لان الشي متي تحقق مع المنافي
القوي فلان يتحقق مع غيره اولي ولذلك لا يذكر معه شي من ساير الاحوال ويكتفي عنه بذكر العاطف للجملة علي نظيرها
المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر عند تحقق الحكم علي جميع الاحوال
فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطا منه علي كل حال من احواله المعروضه
فتعلق الحكم بما بعدها منه ليظهر بتحققه مع تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة لها وبين الحكم بطريق
الاولوية المصححة للاكتفا بذكر المعاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي ولو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا
اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة علي ان الواو
للحال وتصدير المجي بما ذكر بكلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده من نفسه بل بالنسبة الي فرعون والمعني تفعل
بي ذلك حال عدم مجيي بشي مبين وحال مجيي به قال فات به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك
من انك تاتي بشي مبين موضح الصدق دعواك او في دعوي الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شي يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبة الما
فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وفي سورة طه ونزع يده من جيبه
فاذا هي بيضا للناظرين قيل لما راي فرعون الاية الاولي قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون
يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله اي
مستقرين حوله فهو ظرف وقع موضع الحال ان هذا لساحر عليم فايق في فن السحر ان يخرجكم بما صنع من
ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتي حطه عن ذروة ادعا الربوبية الي حضيض
الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الي مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا بالراي
والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلايه علي ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسي
عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المداين حاشرين اي شرطا
يحشرون السحرة ياتوك اي الحاشرون بكل سحار عليم فايق في فن السحر وقري بكل ساحر فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسي عليه السلام لقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحي وقيل
للناس هل انتم مجتمعون فيه حث لهم علي الاجتماع وحثهم علي المبادرة اليه لعلنا نتبع
السحرة ان كانوا هم الغالبين لا موسي عليه السلام وليس مرادهم ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو

ان لا يتبعوا موسي عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم علي الاهتمام والجد في المغالبة فلما جا
السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا اي اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسي عليه السلام قال نعم
لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي
وقري نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسي اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به
الي اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصي ما يمكن ان يوتي به من السحر
فالقي موسي عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقري تلقف بحذف احدي التاين من تتلقف ما يافكون
اي ما يقلبونه عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعي او افكهم
تسمية للمافوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين
كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر علي يده عليه السلام لتصديقه
وفيه دليل علي ان قصاري ما ينتهي اليه هم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شي لا حقيقة له قالوا امنا
برب العالمين بدل الاشتمال من القي او حال باضمار قد وقوله تعالي رب موسي وهارون بدل من رب العالمين
للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كانوا قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم
به تعالي ما اجراه علي ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة امنتم له قبل ان اذن لكم اي بغير ان
اذن لكم كما في قوله تعالي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الايمان منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فتواطاتم علي ما فعلتموه او علمكم شيا دون شي فلذلك غلبكم اراد به بذلك التلبيس علي قومه كيلا يعتقدوا
انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقري اامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما وعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر
فيه علينا وقوله تعالي انا الي ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل
لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالي من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه
لا بد لنا من الانقلاب الي ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالي انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المومنين اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان
لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المومنين وقري ان كنا علي الشرط
لهضم النفس وعدم الثقة بالطاعة بالخاتمة او علي طريقة قول المدل بامره كقول العامل المتاجر اجرتي ان كنت
عملت لك فوفني اجري واوحينا الي موسي ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الي الحق
ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالي ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين الايات وقري بكسر النون ووصل الالف من السير وقري ان سر انكم متبعون تعليل للامر بالاسرا
اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم معك حتي لا يدركوكم قبل الوصول الي البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه
عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المداين حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هولا
يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستماية الف وسبعون الف بالنسبة الي جنوده اذ روي
انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسماية الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعماية الف رجل وهو علي حصان وعلي راسه بيضه وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف
حصان سوي الاناث وانهم لنا لغايظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون يريد انهم لقلتهم
لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا

نصف القرآن باعتبار الآية

الضبط والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الي اطفا نايرة فساده وهذه معاذير اعتذر
بها الي اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقري حذرون فالاول دال علي التجدد والثاني علي الثبات
وقيل الحاذر المودي في السلاح وقري حادرون بالدال المهملة اي اقويا واشد وقيل مدججون في السلاح قد اكسبهم
ذلك حرارة في اجسامهم **فاخرجناهم** بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملهم عليه **من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم** كانت لهم جملة في ذلك **كذلك** اما مصدر تشبيهي لاخرجنا من ذلك الاخراج
العجيب خرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كاين كذلك او خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك
واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم علي طريقة مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج
اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها **فاتبعوهم** اي فلحقوهم وقري فاتبعوهم **مشرقين** داخلين في
وقت شروق الشمس اي طلوعها **فلما ترا الجمعان** تقاربا بحيث راي كل واحد منهما الاخر وقري ترات الفيتان
قال اصحاب موسي انا لمدركون جاوا بالجملة الاسمية موكدة بحرف التاكيد للدلالة علي تحقق الادراك
واللحاق وتنجزهما وقري لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشي اذا تتابع انا لمتابعون في الهلاك
في ايديهم **قال كلا** ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم **ان معي ربي** بالنصرة والهداية **سيهدين** اليه الي
طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الما وضرب موسي عليه السلام بعصاه البحر
فكان ما كان وروي ان موسنا من فرعون كان بين يدي موسي عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك
وقد غشيك الفرعون قال امرت بالبحر لعلي او مر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالي **فاوحينا الي موسي
ان اضرب بعصاك البحر** القلزم او النيل **فانفلق** الفا فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد
الاسباط بينهن مسالك **فكان كل فرق كالطود العظيم** كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب منها **وازلفنا** اي قربنا **ثم الاخرين** اي فرعون وقومه حتي دخلوا علي اثرهم مداخلهم
وانجينا موسي ومن معه اجمعين بحفظ البحر علي تلك الهيئة الي ان عبروا الي البر **ثم اغرقنا الاخرين**
باطباقه عليهم **ان في ذلك** اي في جميع ما فصل مما ظهر عن موسي عليه السلام وظهر علي يديه من المعجزات
القاهرة ومما فعل بفرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة
من معني البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه لتكثير لاية في قوله تعالي **لاية** اي اية واية عظيمة لا تكاد
توصف موجبة لان تعتبر بها المعترفون مقيموا شان النبي صلي الله عليه وسلم بشان موسي عليه السلام
وحال انفسهم بحال اوليك ويجتنب ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويومنوا بالله
تعالي ويطيعوا رسوله صلي الله عليه وسلم كيلا يحل بهم مثل ما حل باوليك وان ما فصل من القصة من حيث
حكايته عليه السلام اياها علي ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة علي ان ذلك بطريق الوحي
الصادق موجبة للايمان بالله تعالي وحده وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم **وما كان اكثرهم** اي اكثر قومه
الذين يسمعون قصتهم منه عليه السلام **مومنين** لا بان يقيسوا شانه بشان موسي عليهما الصلاة والسلام وحال انفسهم
بحال اوليك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصته من غير ان يسمعها من احد مع كون
كل من الطريقين لا يودي الي الايمان قطعا ومعني ما كان اكثرهم مومنين وما كان اكثرهم مومنين علي ان كان
زايدة كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالي وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وهو اخبار منه تعالي بما سيكون
من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة تقرير لما مر من قوله تعالي وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين فقد كذبوا الي اخره فايثار الجملة الاسمية للدلالة علي استقرارهم علي عدم الايمان واستمرارهم عليه
ويجوز ان يجعل كان بمعني صار كما قيل ذلك في قوله تعالي وكان من الكافرين فالمعني وما صار اكثرهم مومنين

ومما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدما لضرورة قبل الحدوث للدلالة علي كمال التحقق
وتقريبا لقوله تعالي اتي امر الله الاية **وان ربك لهو العزيز** الغالب علي كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام
من المكذبين **الرحيم** البالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعد ايمانهم بعد مشاهدة هذه الاية
العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة
الي اخر القصص السبع بل الي اخر السورة الكريمة اقتضا بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون
من القبط وغيرهم وان المعني وما كان اكثر اهل مصر مومنين حيث لم يومن منهم الا اسية وحزقيل ومريم ابنة ناموسي
التي دلت علي تابوت يوسف عليه السلام وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نومن لك حتي نري الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوي
قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان طايفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح
عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم
عن الكفر والعصيان واصروا علي ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالي كذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم
بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المومنين من جملتهم
واخراجهم منهم اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شي مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب عن التنزيه التنزيل عن امثاله
فتدبر **واتل عليهم** عطف علي المضمر المقدر عاملا لاذ نادي الي اخره واتل علي المشركين **نبا ابراهيم** اي خبره العظيم
الشان حتما او حي اليك لتقف علي ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحد الطريقين **اذ قال** منصوب
اما علي الظرفية للنبا اي نباه وقت قوله لابيه وقومه **لابيه وقومه** او علي المفعولية لاتل علي انه بدل من
نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم **ما تعبدون** علي ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام
عن ذلك لينبهم علي جوابهم ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية **قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين** لم يقتصروا علي الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالي ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو
وقوله تعالي ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظايرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم علي اصنامهم
قصدا الي ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة علي وايراد اللام لافادة معني زايد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين
علي عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم **قال** استيناف مبني علي سوال نشا من تفصيل
جوابهم **هل يسمعونكم** اي هل يسمعون دعاكم علي حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا
يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالي **اذ تدعون** عليهم وقري هل يسمعونكم من الاسماع اي يسمعونكم
شيا من الاشيا او الجواب عن دعايكم وهل يقدرون علي ذلك وصيغة المضارع مع اذ علي الحكاية حكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا
قط **او ينفعونكم** بسبب عبادتكم لها **او يضرون** اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما
عند كونها علي ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر **قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون**
اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الي اظهار ان لا سند لهم سوي التقليد
اي ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدونهن فاقتدينا
بهم **قال افرايتم ما كنتم تعبدون** اي انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون **انتم واباوكم
الاقدمون** حق الابصار او حق العلم وقوله تعالي **فانهم عدو لي** بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه
علي عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعدا لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالي لما انهم يتضررون من
جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه او لان من يغويهم علي عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان الذي هو اعدي

عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم على فانهم انفع النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة
بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق سيجيان لمعنى الواحد والجمع ومن قوله تعالى وهم لكم عدو وتشبيها
للمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل **الا رب العالمين** استثنا منقطع اي لكن رب العالمين
ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرض عنه ما وصفه تعالى به من احكام
الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى **الذي
خلقني** صفة لرب العالمين وجعله مبتدا وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة النظم التنزيلي حسبما يعرب عنه
ما وصف به تعالى من احكام وانما وصفه تعالى بذلك بما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى
للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضا تخصيص العبادة به
تعالى وقصر الالتجا في جلب المنافع الدينية ودفع المضار العاجلة والاجلة عليه تعالى **فهو يهدين** اي هو
يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة من حين الخلق ونفخ الروح متجددة
على الاستمرار كما ينبي عنه الفا وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له في امور المعاش والمعاد
هداية متدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا
مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها
المقيم **والذي هو يطعمني ويسقين** عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاث مع كفاية
عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الثبت على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات
نعت جليل له تعالى مستقل في ايجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها
واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك واحد لصلة الموصول واحد لما ان
الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفا الى الله تعالى مع انهما منه
تعالى لرعاية حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
الاماته بحيث كانت من معظم خصايصه تعالى كالاحيا بدا واعادة وقد نيطت امور الاخرة جميعا بها وبما بعدها
من البعث ونظمها في سمط واحد في قوله تعالى **والذي يميتني ثم يحيين** على ان الموت لكونه ذريعة الى نيل
عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من غير ان يكون مطبوعا عنه عليه السلام **والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين** ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب المغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغاير وتنبيها لابيه وقومه
على ان يتاملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه
في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين
في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي
مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام
انما صدرت بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام
الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما
بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ
تتبين فيه ذلك يومئذ واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر **رب هب لي حكما** بعدما ذكر عليه السلام فنون
الالطاف الفايضة عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه
لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن من خلافة الحق ورياسة الخلق
والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين

في الصلاح المتنزهين عن كباير الذنوب وصغايرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة فقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الاخرة
لمن الصالحين **واجعل لي لسان صدق في الاخرين** اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم
الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له او مثنية عليه او صادقا من ذريتي مجددا اصل ديني
ويدعوا الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام **واجعلني** في الاخرة **من ورثة جنة النعيم** وقد مر معنى
الوراثة في سورة مريم **واغفر لابي** بالهداية والتوفيق للايمان بما كان يلوح به تعليله بقوله تعالى
انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم
بما لا مزيد عليه **ولا تخزني** بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفا العاقبة
وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك مدني مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه
في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحيا **يوم يبعثون**
اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين
مما يخل بتهويل اليوم **يوم لا ينفع مال ولا بنون** بدل من يوم يبعثون جي به تاكيدا للتهويل وتمهيدا
لما يعقبه من الاستثنا وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر
والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحا مستاهلين للشفاعة احدا **الا من اتى الله بقلب سليم** اي عن مرض
الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره لابيه طلبا لهدايته
الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة
وقيل هو استثنا من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف
ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله * تحية بينهم ضرب وجيع
اي لا حال من اتى الله بقلب سليم عن انها عبارة عن سلامة من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف
ما دل عليه المال والبنون من الغنا وهو المستثنى منه كانه قيل لا ينفع غنا الاغنيا الا من اتى الله الاية
وقيل المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف لانه غنى المرء في دينه بسلامة
قلبه وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه ينفعه **وازلفت الجنة للمتقين** عطف على لا ينفع
وصيغة الماضي فيها وفيما بعدها من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره
كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على الاستمرار انتفا النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام
التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على
ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها **وبرزت الجحيم للغاوين** الضالين عن طريق
الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاهوال الهايلة
ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا **وقيل لهم اينما كنتم** في الدنيا **تعبدون من دون الله**
اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف **هل ينصرونكم** بدفع العذاب عنكم
او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل **فكبكبوا فيها**
اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة اخرى الى ان يستقروا في قعرها **هم** اي الهتهم **والغاوون** الذين كانوا
يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها
فيزدادوا غما الى غمهم **وجنود ابليس** اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون لهم ما هم عليه
من عبادة الاصنام وساير فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل
متبوعه من عبادة الثقلين والاول هو الوجه **اجمعون** تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى **قالوا**

الي اخره استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا العبدة
وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال
انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام
صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على النطق والفهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة
من الثقيلة فتحذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في
ضلال واضح لا خفا فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطابهم
في رايهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التا المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم
برب العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان
كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر المحذوف لا يعمل بهذا الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام
في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وما اضلنا الا المجرمون
بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم
بل على معنى قصد ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم روسا وهم وكبراهم
كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيل وعن السدي رحمه الله تعالى الاولون الذين
اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه او فريضيب من التعريض للذين قالوا انا وجدنا ابانا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس
وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمومنين من الملايكة والانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولا صديق حميم كما يرى لهم اصدقا او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين
كنا نعدهم شفعا واصدقا على ان عدمها كناية عن عداوتهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد
كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة
لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعا عادة كما ان
افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى
فلو ان لنا كرة للتمني لما ان بين معنييهما تلاقيا في التقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى
الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وقوله
تعالى فنكون من المومنين لتحتم كونه جواب للتمني مفيدا فترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباه وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها اذ لا يفيد
تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه
المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبا ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كانوا عليه
اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يوول اليه امر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطاياهم الفاحش
وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا مومنين عند مشاهدتهم لما ازلفت
لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لاية
اي اية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم
على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل
ما حاق باوليك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان ذكر نباه وتلاوته عليهم على ما هو عليه
من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة
للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مومنين اي اكثر هولا الذين يتلو عليهم النبا مومنين بل هم مصرون

على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه
اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة
التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما امن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام
وقد مر بقية الكلام في اخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل
العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليومن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين
القوم مونث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على
التوحيد واصول الشرايع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال
فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه
عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين
دعوته عليه السلام الى انتهايها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم
رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد
والطاعة لله تعالى وما اسيلكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعا والنصح من اجر اصلا ان اجري
فيما اتولاه الا على رب العالمين والفا في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه
على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون اليا قالوا
انومن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا
مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب واكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد
واشهاد او هو جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة لاتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راي
قد كان ذلك منهم في بادي الراي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام
الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم انها لا تزن عند الله جناح بعوضة
وان النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من قاربه والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب
عما اشير اليه من قولهم انهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة واي وما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبنا الاحكام
عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن
كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السراير والضماير لو تشعرون اي شيئا من الاشيا
او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المومنين
جواب عما اوهمه كلامهم من استدعا طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه
وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر
والمعاصي سواء كانوا من الاعزا او الاذلا فكيف يتسنى لي طرد الفقرا لاستتباع الاغنيا او ما علي الا انذاركم
بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضا بعضكم بطرد الاخرين قالوا لين لم تنته يا نوح عن قولك
لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى
قال رب ان قومي كذبون صمموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة
ولم يزدهم دعاي الا فرارا كما يعرب عنه دعاه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل
واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعايه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المومنين اي من قصدهم
او من شوم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعاه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم
اغرقنا بعد اي بعد انجايهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك

لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم علي اكثر من قوم ابعد من السداد كذبت عاد المرسلين
اسم عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصي اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد بتكذيبهم
وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في صدر قصة نوح عليه السلام الا تتقون الله تعالي فتتركون ما تفعلون
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين الكلام فيه كالذي
مر وتصدير القصص به المنبئة علي ان معني البعثة هو الدعا الي معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الي الثواب
ويبعد من العقاب بان الانبيا عليهم السلام مجمعون علي ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرايع المختلفة باختلاف
الازمنة والاعصار وانهم منزهون عن المطامع الدينية والاعراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها
وتتخذون مصانع اي ماخذ للما وقيل قصورا مشيدة لاحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا
في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك يحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم
جبارين مسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه
الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون به من انواع النعما
واصناف الالا اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان
التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم
تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها
مستلزم لزيادتها قال تعالي ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سوا علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم
بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا اي ما هذا الذي جيتنا به الا خلق الاولين
اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اي ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن
بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين
بفتح الخا اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي كما حيوا ونموت كما ماتوا
ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين علي ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي اصروا علي ذلك فاهلكناهم
بسببه بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالي اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين انكار ونفي
لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخليته تعالي اياهم واسباب تنعمهم امنين وقوله تعالي
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضم اللطيف اللين للطف
الثمر او لان النخل انثي وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل
متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل بفضله علي ساير اشجار الجنات او لان المراد به غيرها من الاشجار وتنحتون
من الجبال بيوتا فرهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب
وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد
المامور لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الامر الي امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح
لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون علي يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا
انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتي غلب علي عقولهم او من ذوي السحر اي الرية اي من الانس فيكون قولهم تعالي

ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة لها
اي بعدما اخرجها الله تعالي من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها
شرب اي نصيب من الما كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا
بشربكم ولا تزاحموا علي شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم
بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الي كلهم لما ان عاقرها برايهم
ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك
لم ينفعهم الندم وان كان بطريق الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن
اكثرهم في هذا المعرض ايما الي انه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله
ببركة من امن منهم فانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا علي رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين بني ادم من
العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة النسا مع كونهن
اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين علي الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلي الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالي من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث
وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا
بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن
حد الشهوة حيث زادوا علي ساير الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا ونهينا
عنه او عن دعوي النبوة التي من جملتها احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم علي عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين
غاية البغض كانه يقلي الفواد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته انه عليه السلام
من جملة من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة فيه مع ما كان
والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الي الله تعالي قائلا رب نجني واهلي
مما يعملون اي من شوم عملهم وغايلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعهم في الدين باخراجهم
من بينهم عند مشارفة نزول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة
لان لها شركة في الاهلية بحق الزوج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مايلة
الي القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت
فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم اشد الاهلاك وافظعه
وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود وقيل امطر الله تعالي علي شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فسا
مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسني وقوع المضاف فاعل سا والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين
الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طايفة ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام
وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف
وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقا حركتها علي اللام وقرئ كذلك مفتوحة علي انها ليكة وهي اسم
بلدهم وانما كتبت هاهنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون

وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين
اي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو وان كان عربيا
فان كان من القسط فقعلاس بكدر العين والا ففعلال وقري بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم
اي لا تنقصوا شيا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها
ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلايق وقري بضم الجيم والبا وبكسر الجيم وبسكون البا
كالطلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة علي
ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين فيما تدعيه
من النبوة فاسقط علينا كسفا من السما اي قطعا وقري بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف
والكسفة كالربع والربعة وهي القطعة والمراد بالسما السحاب المظله ولعله جواب لما اشعر به الامر
بالتقوي من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم بذلك الا لتصميمهم علي الجحود والتكذيب
والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما يستحقونه بسببه
من العذاب فينزل في وقته المقدر لا محاله فكذبوه فتموا علي تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة
حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسما السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها
وفي اضافة العذاب الي يوم الظلة دون نفسها ايذانا بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك
بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ما ولا شرب فاضطروا الي ان خرجوا
الي البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي
ان شعيبا عليه السلام بعث الي امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب
الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من
الطامة والداهية التامه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا اخر القصص السبع التي اوحيت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم لصرفه صلي الله عليه وسلم علي الحرص
علي اسلام قومه وقطع رجايه عنه ودفع تحسره علي فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمه
من قوله تعالي وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة
من هذه الايه ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالي بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم
مومنين بعد ما سمعوها علي التفصيل قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة من الدواعي الي الايمان
والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا في شان الايات الكريمه الناطقه بتلك القصص علي ما هي عليه
مع علمهم بانه صلي الله عليه وسلم لم يسمع شيا منها من احد اصلا واستمروا علي ما كانوا عليه من الكفر والضلال
كان لم يسمعوا شيا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة موسي عليه السلام وانه اي ما ذكر من الايات
الكريمه الناطقه بالقصص الحكيه او القران التي هي من جملته لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالي
سمي به مبالغة ووصفه تعالي بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالي ورافته للكل
كقوله تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه
امين وحيه تعالي وموصله الي انبيايه عليهم السلام وقري بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اي
جعل الله تعالي الروح الامين نازلا به علي قلبك اي روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانيه
تنزل اولا علي الروح ثم تنتقل منه الي القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الي الدماغ فينتقش بها لوح المتخيله
لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اي انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهايله وايثار

ماعليه النظم الكريم لدلالة علي انتظامه صلي الله عليه وسلم في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية
الرسالة وتقرر وقوع المنذر بلسان عربي مبين ظاهر المعني واضح المدلول لئلا يبقي لهم عذر ما وهو ايضا
متعلق بنزل به وتاخيره للاعتنا بامر الانذار والايمان الي ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام
مجرد انزاله عليه الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يودي الي
ان غاية الانزال كونه صلي الله عليه وسلم من جهة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب
ولا يخفي فساده كيف لا والطامة الكبري في باب الانذار ما انذره نوح وموسي عليهما السلام واشد الزواجر تاثيرا في
قلوب المشركين ما انذرهم ابراهيم عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب
المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وساير ما يتعلق بالذات
والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلي الله عليه وسلم
وليس بواضح اولم يكن لهم اية الهمزة للانكار النفي والواو للعطف علي مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا
عن ذلك ولم يكن لهم اية دالة علي انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين علي ان لهم متعلق بالكون قدم
علي اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من اية قدمت عليها لكونها نكرة واية خبر للكون قدم علي اسمه
الذي هو قوله تعالي ان يعلمه علما بني اسرايل لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الي المؤخر اي يعرفوه
بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقري تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف
حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في يكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز
ان يكون لهم اية هي جملة البيان وان يعلمه بدلا من اية ويجوز مع نصب اية تانيث تكن كما في قوله تعالي
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقري يعلمه بالتا ولو نزلناه كما هو بنظمه الرايق المعجز علي بعض الاعجمين
الذين لا يقدرون علي التكلم بالعربيه وهو جمع اعجمي علي التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقري الاعجميين
وفي لفظ البعض اشارة الي كون ذلك واحدا من عرض تلك الطايفة كاينا من كان فقراه عليهم قراة صحيحة
خارقة للعادات ما كانوا به مومنين مع انضمام اعجاز القراة الي اعجاز المقرو لفرط عنادهم وشدة
شكيمتهم في المكابرة وقيل ولو نزلناه علي بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لعدم فهمهم
واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد
كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه
وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوي البشريه من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم
اليه اتفاق علما اهل الكتب المنزله قبله علي تضمنها للبشارة لانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله
تعالي لا يومنون به جملة مستانفه مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الي الايمان
به بل يستمرون علي ما هم عليه حتي يروا العذاب الاليم الملجي الي الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فياتيهم
بغتة اي فجاة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا علي ما فات
من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معني كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب
له وصفناه في قلوبهم وقوله تعالي لا يومنون به في موضع الايضاح والتخليص له اي في موقع الحال او سلكناه فيها
غير مومن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ
مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكليه وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بقوله تعالي
ما كانوا به مومنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب
المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم وقولهم فاتنا بما تعدنا
ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب الاليم طلب النظرة فيستعجلون بعذابنا كما وصف من طلب الانظار والفا للعطف علي مقدر

يقتضيه المقام اي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي
ما لا يخفى على احد والغافلون عن ذلك مع تحققه وتقرره ويستعجلون الى اخره انما قدم الجار والمجرور للايذان
بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت
الروية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا
من كان والفا لترتيب الاستخبار على قولهم بل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة
في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضا الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور فاخبرني ان متعناهم
سنين متطاولة الاعمار وطيب ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي شيء
اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المويد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون
به من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عايدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وما نافية اي
لم تغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل
على انتفا الاغنا على ابلغ وجه واكده كان كل من شانه الخطاب قد كلف بان يخبر بان تمتيعهم ما افادهم واي شيء
اغنى عنهم فلم يقدر احد ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى
المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر
او لانها في معنى الانذار كانه قيل يذكرون ذكرى او على انه مصدر موكد لفعل هو صفة لمنذرين اي الا لها
منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة
او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضيه وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى
ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين قبل
الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة لكمال بيان تنزهه تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر
في تفسير سورة ال عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما
زعمه الكفرة في حق القران الكريم من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به
الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم
عن السمع بكلام الملائكة لمعزولون لانتفا المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات والاستعداد
لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية
شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشر فانى لهم ان يحوموا حول القران الكريم
المنطوي على الحقايق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها اخر
فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة النهي عنه صلى الله عليه وسلم
تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لساير المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والشرية بحيث ينهى
عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك
الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا
حتى اجتمعوا فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني
لا اغني عنكم شيا ثم قال يا عايشه بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمه بنت محمد ويا صفيه عمة محمد
اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيا واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اي لين
جانبك مستعار من حال الطاير فانه اذا اراد ان يحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع الدين

او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمومنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك
ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر
على قهر اعدايه ونصر اوليايه ويكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط
الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي
انه لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله صلى الله عليه وسلم التي بها
يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدايه ونصر اوليايه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل
وتوطينا لقلبه صلى الله عليه وسلم انه هو السميع بما يقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على
من تنزل الشياطين اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استيناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزيلهم بالقران ودخول حرف الجر على الاستفهامية
لما انها ليست موضوعة للاستفهام على الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه
كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزيلهم على كل من اتصف بالافك
الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبية وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شايبة من تلك الاوصاف اتضح استحالة
تنزيلهم عليه الصلاة والسلام يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما
وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك
قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من ماية كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم
كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هولا
قل ما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم
حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق
الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين
وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملا الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى
اوليايهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملايكة لشرارتهم
او لقصور فهمهم او ضبطهم وافهامهم ولا سبيل الى حمل القا السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملا الاعلى
قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزيل للالقا
او استيناف مبني للغرض من التنزل مبني على السوال عنه ولا ريب في ان القا السمع الى الملا الاعلى بمعزل
من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقا بالمعنى الاول
فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه وحمله على الاستيناف
الاخباري كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل
واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سوا اريد بالقا السمع الاصغا
الى الشياطين او القا المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استينافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما
ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقايهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السوال
على التقدير الاول فقط كانه قيل ما كانوا يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم
ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون

استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القران العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحايرون فيما ياتون ويذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الاقوال والافعال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **الم تر انهم في كل واد يهيمون** استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في بيداء المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهال والتردد بين طرفي الافراط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوايم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في مسلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وايات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رايق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه صلى الله عليه وسلم من ان يكون من الشعراء ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه صلى الله عليه وسلم منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشانه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي وشافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا** استثناء للشعراء الصالحين المؤمنين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن مالك وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من التهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله ابو بكر رضي الله عنه حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم

وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم **طس** بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعدها خبر ضعيف لما ذكر هناك **تلك** اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى اياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها الى القران كما سياتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره **ايات القران** والجملة مستانفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقران عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك ايات القران المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الاخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولتفخيم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرانية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول هنا نظرا الى تقدم القرانية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه ومما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الايات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وايات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** في حيز النصب على الحالية من الايات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الايات او خبران اخران لتلك او لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وهم بالاخرة هم يوقنون حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه **ان الذين لا يؤمنون بالاخرة** بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القران **زينا لهم اعمالهم** القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مالا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم **فهم يعمهون** يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع

او صُرّ او في الضلال والاعراض عنها والفاء للاول لترتيب المسبب على السبب وفي الثاني لترتيب هذا المسبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اوليك اشارة الى المذكورين وهو مبتدا خبره الموصول بعده اي اوليك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب وانك لتلقى القران كلام مستانف قد سيق بعض شوون القران الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتوتاه اي بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القران وتنصيص على طبقته صلى الله عليه وسلم في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلايل والدقايق فان من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القران من العلوم منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فامر بتلاوة بعض من القران الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله صلى الله عليه وسلم لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتاكيدا للوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امراته لما كني عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة على التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر ثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه ان بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حولها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبيا عليهم السلام وكفاتهم احيا وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى وقيل المراد موسى والملايكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه يا موسى انه انا الله استيناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة فالضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على ما تستبعده الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير متين والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء

اي

اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج وان اعتمر والفا في قوله تعالى فلما رآها بعد قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها تهتز بسرعة واضطراب وقوله كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقا الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبيه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غير ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم بوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شوون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة يخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب ان يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم او اذهب في تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط انارتها ووضوحها كانها تبصر نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا يهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا لا انفسهم وليس بذلك ظلما وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهايل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم تلقى القران من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القران الكريم لقيه عليه السلام من لدنه كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتنا بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طايفة من العلم لائقة به من علم الشرايع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا غزيرا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المومنين على ان عبارة كل منهما فضلني لا انه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا

فان حكاية الاقوال المتعددة سوا كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المومنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفا ترتب حمد كل منهما على ايتا ما اوتي كل منهما لا على ايتا ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشي من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الاية فتامل والكثير المفضل عليه من لم يوت مثل علمهما وقيل من لم يوت علما وياباه تبيين الكثير بالمومنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضول عليهما وفيه اوضح دليل على ان فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يوته غيرهما وتحريض للعلما على ان يحمدوا الله تعالى على ما اتاهم من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما حال قال امير المومنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داوود اي النبوة والعلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول فقالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى مل سماواته وارضه وقال الحدا يقول كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شيت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا النون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل لما اراد منها من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على غوغة المسير وبقوله من كل شي كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شي ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شي وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما يهمه من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتا لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم باوتيا كل شي من الاشيا التي من جملتها الات الحرب واسباب الغزو مما ينبي عن ذلك بمعنى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا روسا مملكته وعظما دولته من الثقلين

وغيرهم

وغيرهم بسبهم الناس للكل تغليب او تقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طايفة عاتية وقبيلة طاغية مادرة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون اي يحبس اوايلهم على اواخرهم اي يلحق ساقة العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوايلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوايلهم من السير السريع وهو اذا لم يسيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا عليهم السلام على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد بشي الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي ال داود حتى اذا اتوا على وادي النمل حتى هي التي يبتدا بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كما التي في قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهي هنا غاية لما ينبي عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الى اخره وواد النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطايف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشي اذا انفده وبلغ اخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند مسيرهم في الهوا وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل مرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلا ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قايلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجا تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام ما كان منها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا اريتك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وكسرها واصله لا يحطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشوون سليمان وساير الانبيا عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذا وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا

بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر
سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلوا مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر
نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفك عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقري بفتح يا اوزعني التي انعمت
علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل
صالحا ترضاه اي تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم
الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب اخر ثم بدا له انه كان غائبا
فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير نتف ريشه وتشميسه
وقيل بجعله مع ضده وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقري ليأتينني بنونين
اولاهما مفتوحة مشددة وقيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام
به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم
على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا
حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الما وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الما من تحت الارض
كما يرى الما في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ثم يستخرجون الما فتفقده لذلك وقد كان
حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام
وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف
وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقري بضم
الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا هو موضع الهدهد خال فدعا
عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت
فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت
ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان
عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام براسه فمده
اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم ساله فقال
احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقري احطت بادغام الطاء في التاء باطباق
وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون
معرفتها والاحاطة بها من وظايف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه
بين يدي نبي الله سليمان تعديا عن طوره وتجاوزا عن دايرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية فيحتاج الى
الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها
على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون
لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها
فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد
علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام
وترغيبه في الاصغا الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبي عن امر بديع اقبل والى

تلقي ما لا تعلمه ثم ابده بقوله وجئتك من سبا بنبا يقين حيث صرح انها منه نوع تفسير واراه عليه السلام
انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما
وصفه والا فاذ اصدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعا الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية
تنبيهه عليه السلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقري بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب
بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث وعلى هذه القراة يجوز ان يراد به القبيلة او المدينة واما على القراة الاولى
فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نباهم قبل انبا الهدهد ليس بامر بديع لا يليه من حكمة
داعية البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين
مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه هناك وبين مجي الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص
الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستاثر بها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امراة
تملكهم استيناف لبيان ما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها
الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون النار وايثار وجدت على رايت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند
غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته
ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم
على انه اسم لها واوتيت من كل شي اي من الاشيا التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قوايمه
قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر
وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام
الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها
من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وايا ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام
لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغا الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك
عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظايرها
من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم
لا يتصور بدون تقوية طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته تنبيه طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك
لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي
فصدهم لان لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون لان لا يسجدوا لله تعالى وقري الا يا اسجدوا على التنبيه والندا
والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله ؏ الا اسلمي يا دارمي على البلى ؏ ونظايره وعلى هذا يحتمل
ان يكون استينافا من جهته الله تعالى او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى
الوجوه المتقدمة ذما على تركه وايا ما كان فالسجود واجب وقري هلا وهلا بقلب الهمزتين ها وقري الا
تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبا في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبو
ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له
من بين ساير اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة اثاره التي من
جملتها ما اودعه تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الما تحت الارض واشار بعطف قوله تعالى ويعلم ما تخفون

وما يعلنون على ان الله تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبا لما ان المراد
يخرج ما يخفونه ويظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على
تساويهما واتحادهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات ولحوخ
الخبا يعم اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها ورائها وانزال الامطار وانبات الانشا النبات
بل الانشا الذي هو اخراج ما في الشئ بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى
الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ
ان لا يسجدون لله الذي يخرج الخبا من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكى عن الهدهد
من قوله الذي يخرج الخبا الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف
التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لفضله في الدين وكل ذلك لتوجيه
قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند
ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اي سنتعرف بالتجربة
السه اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم
للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان
مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق تستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون
لها مصداق اصلا لاسيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد تصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك
وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام
وقد قاله عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه
عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من ابناء الجن الاقويا على التصرف والتعرف لما عاين فيه
من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذرا اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى
فيه فانظر اي تامل وتعرف ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضماير لما ان
مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم
حسبما امر به فانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه
عن التصريح به لغاية ظهوره . روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى
الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح
تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية . وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف
قومها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه
مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استيناف وقع جوابا لسؤال
مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه من كونه من سليمان
وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل بدل من كتاب انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم على ان ان مفسرة
ان لا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل

ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا والنصب باسقاط
الخافض اي بان لا تعلوا اي لا تعلوا النصب باسقاط الخافض وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم واتوني
مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبي عليه السلام على ان الايمان مستتبع للانقياد
حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى
اما بعد ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه
استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة
قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا ايها الملأ افتوني في امري
اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في
الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها
ما كنت قاطعة امرا اي من الامور المتعلقة بذلك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب ارائكم استعطاف
واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية قولها
كانه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن اولوا قوة في الالات والاجساد والعدد واولوا باس شديد
اي نجدة وشجاعة وبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تامرين نحن مطيعون
لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع رايك او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة والميل الراي
والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت
في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شان سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج القتال والحرب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال
وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون
تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم وقيل هو من جهة الله تعالى
على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي واني مرسلة
اليهم بهدية تقرير لرايها بعد ما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف
التحقيق للايذان بانها مزمعة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم
رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسمائة غلام
عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا
مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء ودرة معوجة الثقب وبعثت رجلا
من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا
يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن
فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان
حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب التي في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك فلما دنا القوم نظروا وبهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورجعوا
بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل

عليه السلام بما فيه فقال الحمار ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجر واخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها
فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كان ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء
سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده
انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى
ارجع اليهم اتمدونني بمال وهو انكار لامداده عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ
لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله اي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية
وراءه خير مما آتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل ولعله
عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعدما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها لا ابتداء
البتة لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الى آخره وقرئ
اتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر
من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فخارا وامتنانا واعتدادا
بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه
على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه
المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون
حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة
فيما سبق لاختصاص المرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس
وقومها فلناتينهم اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها وقرئ بهم
ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبا اذلة اي حال كونهم اذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين
وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون
اخراجهم بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة
بدلالة الحال عليه كانه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلناتينهم الى آخره قال يا ايها الملأ ايكم
ياتيني بعرشها قال عليه السلام لما دنى مجيء بلقيس اليه يروى انها لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر
سليمان عليه السلام قالت والله قد علمت ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة
اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف ويروى انها امرت فجعلت عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها
فوق بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحرسونه ولعله اوحي الى سليمان
عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فتنظر
اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان ياتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع
عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات
في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذه الا بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن
بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها
قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع
او اسم فاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آتيك به

في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال
الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقالتيهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان
به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار وقيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام
وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به
عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم
لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه
امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد
العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء
وطوي بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك
البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه
كما في قوله عز وجل فلما رأينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحقق استغنائه عن الاخبار به ببيان
ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه
به فرآه فلما رآه الى آخره فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته
عليه السلام اياه شيء ما وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه
لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما
في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام
وخاص عباده هذا اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات
كما قيل من فضل ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى
من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه
كما هو شان سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه مرتبط به عتيدها ويستجلب
به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص من وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني
عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت
الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من
المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئاته بوجه
من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي ام تكون الى معرفته او الى
الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة
في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب وياباه تعليقه النظر المتعلق
بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون
اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم
عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها
سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة
سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها
فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها
وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كانه هو فاثبات عن كمال رجاحة عقلها حيث

لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعات لحسن الادب في محاورته عليه السلام **واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالي وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الايات الدالة علي ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة علي كمال رزانة رايها ورصانة فكرها ما لا يخفي وقوله تعالي **وصدها ما كانت تعبد من دون الله** بيان من جهته تعالي لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الي الآن اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالي **انها كانت من قوم كافرين** تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة علي اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الي ان دخلت تحت ملك سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح علي البدلية من فاعل صد او علي التعليل بحذف اللام هنا واما ما قيل من ان قوله تعالي واوتينا العلم الي قوله تعالي من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالي وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الايات المتقدمة وبما عاينت من هذه الاية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا علي ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اي واوتينا نحن العلم بالله تعالي وبالاسلام قبلها وصدها عن التقدم الي الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفي ما فيه من البعد والتعسف **قيل لها ادخلي الصرح** الصرح القصر وقيل صحن الدار • وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له علي طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا علي الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فيفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الي ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها **فلما راته** وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله **حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام واقر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام • وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه علي اليمن وامر زوبعة امير الجن ان يطيعه فبني لها المصانع • وقرئ ساقيها حملا للمفرد علي الجمع في سؤوق واسوق **قال** عليه السلام حين راي ما اعتراها من الدهشة والرعب **انه** اي ما توهمته ماء **صرح ممرد** اي مملس **من قوارير** من الزجاج **قالت** حين عاينت تلك المعجزة ايضا **رب اني ظلمت نفسي** بما كنت عليه الي الان من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد **واسلمت مع سليمان** تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالي **لله رب العالمين** من الالتفات الي الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالي وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس **ولقد ارسلنا** عطف علي قوله تعالي ولقد اتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه الصلاة والسلام تلقي القران من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القران الكريم الذي لقنه عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا **الي ثمود اخاهم صالحا** ان في قوله تعالي **ان اعبدوا الله**

مفسرة لما في الارسال من معني القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا للباء **فاذا هم فريقان يختصمون** ففاجؤوا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين **قال** عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتي بلغوا من المكابرة الي ان قالوا له عليه السلام يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة** اي بالعقوبة السيئة **قبل الحسنة** اي التوبة فتؤخرونها الي حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن علي ما كنا عليه **لولا تستغفرون الله** هلا تستغفرونه تعالي قبل نزولها **لعلكم ترحمون** بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول **قالوا اطيرنا** اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطاير يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الي الطير استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالي وقسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا **بك وبمن معك** في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم **قال طائركم** اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر **عند الله** وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالي **بل انتم قوم تفتنون** اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء وتعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدا ما يحيق بهم الي ذكر ما هو الداعي اليه **وكان في المدينة** وهي الحجر **تسعة رهط** اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الي العشرة والنفر من الثلاثة الي التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع بن مهرج • وعمير بن كردبة • وعاصم بن مخرمة • وسبيط بن صدقة • وسمعان بن صفي • وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم **يفسدون في الارض** اي في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالي **ولا يصلحون** لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء **قالوا** استئناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه السلام وكان ذلك فيما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام الي اخره **تقاسموا بالله** اما امر مقول لقالوا او ماض وقع حالا منه او بدلا من قالوا باضمار قد وقوله تعالي **لنبيتنه واهله** اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلهم وقرئ بالتاء علي خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء علي الغيبة وضم التاء علي ان تقاسموا فعل ماض **ثم لنقولن لوليه** اي لولي صالح وقرئ بالياء والتاء كما قبله **ما شهدنا مهلك اهله** اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولي اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا **وانا لصادقون** من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال انا لصادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين **ومكروا مكرا** بهذه المواضعة **ومكرنا مكرا** اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود **وهم لا يشعرون** او جزيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم** شروع في بيان ما يترتب علي ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالي **انا دمرناهم** اما بدل من عاقبة مكرهم علي انه فاعل وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل علي اي وجه حدث تدميرنا اياهم **وقومهم** الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت **اجمعين** بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم الي اخره وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان حالا وجه حسن

ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الى اخره تعليلا لما ذكره وقرئ انا دمرنا الى اخره بالكسر على الاستيناف روي انه كان لصالح عليه السلام مسجدا في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا ان جا يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجا صالحا ومن معه وقيل جاوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملايكة ملات دار صالح فدمغوهم بالحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لاية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي مما من شانه ان يعلم من الاشيا او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه من المومنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي تقا مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي ارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل العطف على الذين امنوا انجينا لوطا وهو بعيد اتاتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون مفيدة لتاكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه افحش واشنع وتبصرون من بصر القلب اي تعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا لكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها اينكم لتاتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما ياتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه لكمال بعده من العقول وابراز المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي عللت بها الاتيان من دون النسا متجاوزين النسا اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفها ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم مع كونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزا وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره فانجيناه واهله الا امراته قدرناها اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فسا مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قصص الانبيا المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الايات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقيقة الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره للاسلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفايضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على طايفة الانبيا الذين من جملتهم الذين قصت عليهم اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام

اذ الحق تفننهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده الله خير اما يشركون اي الله الذي ذكرت شونه العظيمة خير ام ما يشركون به تعالى من الاصنام ومرجع التعريض الى التزديد بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه ارايهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شايبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ يشركون بالتا الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المامور به ياباه قوله تعالى فانبتنا الى اخره فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اجهر منه لمزيد التاكيد والتشديد واما على القراة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظايرها الاتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطراب فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تميز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خير فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدا خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق من الاستفهام الاول خلا ان تشركون هنا بتا الخطاب على القراتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الاتية والمعنى بل ام من خلق قطري العالم الجسماني ومبدا منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على القراة الاولى كتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السما ما اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدايق اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوايط ذات بهجة حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح لكم وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسابر صفاتها البديعة خير ام ما تشركون وتقديم صفتي الانزال على الامر مفعول لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدايق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبها الرايع بما واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما يشير اليه تقييده بقوله تعالى ما كان لكم الى اخره سوا كانت صفة لها او حالا وافرد توحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدايق ذات بهجة على نهج قولهم النسا ذهبت له وكذا الحال في ضمير شجرها االه مع الله اي اله اخر كاين مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت له بنفي الخيرية عنه بما ذكر عن التزديد فان احدا ممن له تميز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفا الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انتفا الالوهية عنه راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفا احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الاتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك المنفي فقط فكيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة وما يعتزفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل االه مع الله تعالى في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والا وفي بحق المقام لافادته نفي وجود اله اخر معه تعالى راسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه وقرئ االه بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ االها باضمار فعل يناسبه المقام مثل اتدعون

اوتتذكرون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي
بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امورهم وكذلك يعدلون
من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف في الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى
غيره وهو بعيد خال عن الافادة امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات الى اخره وكذا ما بعده
من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت
بوجه اخر داخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب باظهار بعضها من الماء ودحوها
وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اي اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها
رواسي اي جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها وتكون فيها المعادن وتنبع في حضيضها الينابيع وتتعلق
بها من المصالح ما لا يخفى وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا
من الممازجة وقد مر في تفسير سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف
لما مر مرارا من التشويق االه مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدايع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا
من الاشيا ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه
وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجاته الى اللجا والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار
الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا
واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه
ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفا فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد
بالخلافة الملك والتسلط االه مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه
في الحقادة والجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي
وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون
بالياء والتاء مع الادغام امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة
للملابسة او في مشتبهات الطريق يقال طريقة ظلما وعميا للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح نشرا
بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكوين الريح معاودة الادخنة الصاعدة
من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهوا فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية كذلك كله
من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا االه مع الله نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى
تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم
اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية
لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركون به تعالى لا مطلقا فان
وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها شريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدأ الخلق ثم يعيده
اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السما والارض اي باسباب سماوية
قدرتها على ترتيب بديع مقتضيه للحكمة التي عليها بني امر التكوين خير اما يشركونه في العبادة وقوله تعالى
االه مع الله قل هاتوا برهانكم امر له صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا
او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم
لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه
لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم ذلك

ان

ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق
تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب
ذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثنا
منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه
بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن
في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له
تعالى وللاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون
من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة
والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضماير الخاصة
بهم مطلقا وقيل للكل وان اسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض
منهم بل ادرك علمهم في الاخرة لما نفي عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم
لا محالة بولغ في تقريره وتاكيده ان يضرب عنه وبين ان ما انتهى اليه علمهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون
احوال الاخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان ادرك علمهم في الاخرة تدارك وتتابع علمهم في شان
الاخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيهما قطعا لكن لا على
انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلايل
العقلية والسمعية منزلة نفسه واجرا تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع
ثم اضرب وانتقل عن بيان علمهم او بيان ما هو اسوا منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها
اي في شك مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد فيه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها
ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد واقطع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون
يدركون دلايلها لاختلال بصايرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري
باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة
كائنة لا محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك
وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى
بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه واقطع من العمى وانت خبير بان تنزيل
اسباب العلم بمنزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل
المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم ويكون وصفهم بالجهل مبالغة والاضراب على ما ذكر
واصل ادرك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت التاء وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك
وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل ادرك بهمزتين وبل اادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل
ادرك وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك وهذه ثنتي عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمر من ذلك فهو انكار
ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار
وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها
عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالاخرة وعميهم منها بحكاية انكارهم
للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلتهم وللاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم
ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون اي انخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ
لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم

ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحيا بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام
الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة
بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما
هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا
من قبل اي من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث
والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير
الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم
للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الاخر الذي ينكرونه فان
في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمومنين في ترك
الجرايم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا
من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تك في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم
صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المومنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم
اي تبعكم ولحقكم مزيدة للتاكيد كالبا في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى
باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف
في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح
ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم
الى اخره لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس
ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة هولا على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم
لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كداب هولا وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التا من كننت اي سترت وما يعلنون من الاقوال
والافعال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبايح غير ما يظهرونه وانه تعالى
يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون وما من غايبة في السما والارض الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لما يطالعه
وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضا العدل بطريق الاستعارة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شان المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والغلو
في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد في اشيا حتى بلغت المسافة الى حيث لعن بعضهم
بعضا وقد نزل القران الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمومنين على الاطلاق
فيدخل فيهم من امن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو
الحق او بحكمته ويويده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشيا التي من جملتها
ما يقضى به والفا في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة على كل احد
ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى
بكونه صلى الله عليه وسلم على الحق المبين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام

كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتاييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الى اخره تعليل اخر
للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه
من جهته تعالى اعني قضاه بالحق وتاييده للمحق ثم علل ثانيا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاه بالحق وتاييده للحق
ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى
والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى
بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان
عدم سماعهم لشي من المسموعات ولعل تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر
اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا لبعدت تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر للتشبيه بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع
الصم الدعا اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي
فانهم جميع صممهم عن الدعا الى الحق معرضين عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعا مع كون
الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعا وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتدا منوط بالبصر
وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمينها لمعنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية
للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من
يومن باياتنا اي من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال
ان تهدي الا من يومن الى اخره لما ان طريق الهداية هو اسماع الايات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم
بها كانه قيل منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول
عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها
والمراد بالقول ما نطق به من الايات الكريمة من مجي الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها
وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة رتبتها وتاثيرها واسناده الى القول لما ان المراد
بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله اتى امر الله
اي اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شانها وخروج
اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي ان لها اربع قوايم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة بقرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر
ذراعا بذراع ادم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وعن علي رضي الله عنه
انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج الا راسها
وراسها لا يبلغ اعنان السما او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب
وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام
والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية
ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن
حذا دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وقيل تخرج من الصفا وروي

بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المومن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضا فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه هو مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة تسمع قرع عصاي هذه • وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين تتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى **تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** اي تكلمهم بانهم كانوا لا يومنون بايات الله تعالى الناطقة بمجي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقري بان الناس الاية واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها • وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل لمولاه • وقيل هناك مضاف محذوف اي بايات ربنا وصفهم لعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه • وقري ان الناس بالكسر على اضمار القول واجرا الكلام مجراه في الاضافة كالذي سبق • وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة • وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون وقري تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد يجوز كون القراة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده • **ويوم نحشر من كل امة فوجا** بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبيا عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى **ممن يكذب باياتنا** بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **حتى اذا جاوا** الى موقف السوال والجواب والمناقشة والحساب **قال** اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب في الالتفات لتربية المهابة **اكذبتم باياتي** الناطقة بلقا يومكم هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علما** جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين هي الايات القرانية لانها هي المنطوية على دلايل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها • وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها **اماذا كنتم تعملون** ام اي شي كنتم تعملون بها او ام اي شي كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى **ووقع القول عليهم** اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا** بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بايات الله **فهم لا ينطقون** لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل

من العذاب الاليم **الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه** الروية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار **والنهار مبصرا** اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ به حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تاثير ضو النهار في الابصار **ان في ذلك** اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل **لايات** اي عظيمة كثيرة **لقوم يومنون** دالة على صحة البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة يحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق تبدل ظلمة الليل الحاكية للموت بضيا النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضا متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وتبيانا له الايات كلها حق نازل من عند الله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او مضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يومر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيومر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة احد الا من شا الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شا الله ثم يومر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى **ففزع من في السموات ومن في الارض** ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والافاق من الرعب والتهيب الضروريين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتدا النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهيا حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في سورة البقرة **الا من شا الله** اي ان لا يفزع قيل هم عند النفخة **وكل اتوه** حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسوال والجواب والمناقشة والحساب وقري اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراة الاولى باعتبار معناه وقري اتوه اي حاضرون **داخرين** اي صاغرين وقري دخرين وقوله تعالى **وترى الجبال** عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا **تحسبها جامدة** اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى **وهي تمر مر السحاب** حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها راي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تبين حركتها وعليه قول من قال •

بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج •

وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزا وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل

الارض غير الارض وتغيير هيئاتها وتسيير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهايلة ليشاهدها اهل المحشر
وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى فتسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق
به قوله تعالى يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف
عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد
هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في
السموات ومن في الارض الى اخره فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم
وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه
ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة
الصعق وهي التي اريد بقوله وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال
فتمر مر السحاب فتكون سرابا فترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او القنديل المعلق
وترجه الرياح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في
الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون **صنع الله** مصدر موكد لمضمون ما قبله اي صنع الله
ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما رتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان
تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال لنظام العالم وافساد احوال الكاينات
الكلية من غير ان يدعوا اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من بديع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة
المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج
الرصين كما يعرب عنه قوله **الذي اتقن كل شي** اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى
انه خبير بما يفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال
المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب
اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحقق
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى **من جا بالحسنة**
فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جا منكم
او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزا ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار
دوامه وانقضائها وقيل فله خير من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة
وهم اي الذين جاوا بالحسنات **من فزع** اي عظيم هايل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة
العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
وعن الحسن رضي الله عنه حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا اهل
الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت **يومئذ** اي يوم اذ ينفخ في الصور **امنون**
لا يعتريهم ذلك الفزع الهايل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات
ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتدا النفخة من معاينة
فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان امنا من لحوق الضرر والامن
يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم
وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة
كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه **ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم**
في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة

هل

هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك **انما امرت**
ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال
المبدا والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها له على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم
ضلوا ام رشدوا صلحوا ام فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه
صلى الله عليه وسلم بامر دعوتهم انه صلى الله عليه وسلم يظهر لهم ما يلجيهم الى الايمان لا محالة
ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هي مكة
المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها
بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا
فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها
وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد
حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يوفكون وقرئ
حرمها بالتخفيف وقوله تعالى **وله كل شي** اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شي في شي منه
تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات
وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام
والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وان اتلوا القران اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه الرايعة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا
او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في
الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى **فمن اهتدى فانما يهتدي**
لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرايع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى
باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القران فانما منافع اهتدائه عايدة اليه لا الي
ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر **فقل** في حقه **انما انا من المنذرين**
وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شي وانما هو عليه فقط **وقل الحمد لله** اي على ما افاض
علي من نعمايه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبايها
وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى **سيريكم اياته** من جملة
الكلام المامور به اي سيريكم الله في الدنيا اياته الباهرة التي نطق بها القران كخروج الدابة وساير
الاشراط وقد عدمنها وقعة بدر وياباه قوله تعالى **فتعرفونها** اي فتعرفون انها ايات الله تعالى حين لا تنفعكم
المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الاخرة وقوله تعالى **وما ربك بغافل**
عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبي عنه
اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به صلى الله عليه وسلم وتعميمه ثانيا
للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيات فيجازي
كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم
فيعذبهم البتة فلا تحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم • عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر حسنات بعدد من صدق سليمان وهودا وصالح

وابرهيم وشعيب عليهم السلام وبمن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، طسم تلك آيات الكتاب المبين

قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه نتلوا عليك اي نقرا بواسطة جبريل ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبا موسى وفرعون مفعول نتلوا اي بعض نبايهما بالحق محذوف هو حال من فاعل نتلوا او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلوا عليك بعض نبايهما متلبسين او متلبسا بالحق لقوم يومنون متعلق بنتلوا وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل انهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتنا بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريدونه من الشر والفساد او تشيع بعضهم بعضا في طاعة او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بنا وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضا لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طايفة منهم وهم بنوا اسرايل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله تعالى يذبح ابناهم ويستحيي نساهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرايل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فايدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين بالافساد ولذلك اجترا على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبيا عليهم السلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجايهم من باسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضيه وهو معطوف على ان فرعون علا الى اخره لتناسبهما في الوقوع في التفسير للنبا او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة بالمن تعلق استقبالي على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراوها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانته قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ايمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لاخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبي عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ايمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة لئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الى اخره بتسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيف ما يشاوون واصل التمكين ان يجعل للشي مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اوليك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكه وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رويا ان ارضعيه ما امكنك اخفاوه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكايه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا تشده ولا تحزني انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتنا بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرايل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك

اليوم

اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جيتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكن وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاوه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخل والفا في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقا قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتنا به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يوميذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص شديد وعجزت الاطبا عن علاجه فقالوا لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا فلما كان في ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرايل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطي النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي منه نحذر رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سياتي واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما ياتون وما يذرون فلا عدو فان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الفا وليدا فكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان الحق عدوهم على يديهم فالجملة اعتراضية لمقابلة خطايهم ولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطيين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطا وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما راياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعده فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النجابة وذلك لما رات من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطا عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجا النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الاية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطايهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنياه واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافيدتهم هوا اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماوهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به

اي انها كادت لتظهر موسي او بامره من فرط الحيرة والدهشة والفرح لتبنيه لولا ان ربطنا علي قلبها بالصبر والثبات
لتكون من المومنين اي المصدقين بوعد الله تعالي او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وقري موسي
اجرا للضمة في جارة الواو مجري ضمتها في استدعا همزتها هو واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة
ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة
بالامتثال بالامر قصيه اي اتبعي امره وتتبعي خبره فبصرت به وابصرته عن جنب عن بعد وقري بسكون النون
وعن جانب والكل بمعني وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع
اي منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع هو الرضاع او مرضعة اعني الثدي
من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند روئيتها لعدم قبوله الثدي واعتنا فرعون بامره وطلبهم من يقبل
ثديها هل ادلكم علي اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته
روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتي تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك
ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسي علي يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه
اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابي كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتي بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجري عليها فرجعت به الي بيتها من يومها
وذلك قوله تعالي فرددناه الي امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم
ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه
عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه
نشوه وذلك من ثلاثين الي اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا علي راس الاربعين
واستوي اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكما والعلما وسمتهم قبل استنبائه
فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالي استنباه بعد الهجرة الي المراجعة
وكذلك مثل الذي فعلنا بموسي وامه نجزي المحسنين علي احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون
او منف او حابين او عين الشمس من نواحيها علي حين غفلة من اهلها اي في وقت لا يعتاد دخولها او لا
يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
اي ممن شايعه علي دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة
علي الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي ساله ان يغيثه بالاعانة كما ينبي عنه تعديته بعلي
وقري استعانه علي الذي من عدوه فوكزه موسي اي ضرب القبطي بجميع كفه وقري فلكزه اي فضرب به
صدره فقضي عليه فقتله واصله انهي حياته من قوله تعالي وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من
عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح
ذلك في عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا علي سنن المقربين
في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغاير انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
قال توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعا بخلاف الاول
رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اي المبالغ
في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق احسانك علي
اعصمني فلن اكون معينا لمن تودي معاونته الي الجرم وعن ابن عباس انه عليه السلام لم يستثن فابتلي
به مرة اخري وهذا يويد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة

اعدايك فاصبح في المدينة خايفا يترقب يترصد الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسي انك لغوي مبين اي بين الغواية
تقتل رجلا وتقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي لموسي والاسرائيلي اذ لم يكن علي
دينهما ولان القبط كانوا اعدا لبني اسرائيل علي الاطلاق وقري يبطش بضم الطا قال اي الاسرائيلي
ظانا انه عليه السلام يبطش به لما توهمه تسميته اياه غويا يا موسي اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا
بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسي هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الي فرعون
فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسي عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وهو الذي يفعل كلما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لامر الله سبحانه وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجا رجل من اقصي
المدينة اي كاين من اخرها او جا من اخرها يسعي اي يسرع صفة لرجل او حال منه علي ان الجار والمجرور صفة له
لا متعلق بجا فان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو من ال فرعون واسمه حزقيل مومن وقيل شمعان قال
يا موسي ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يامر الاخر
ويأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لما ان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج
منها اي من المدينة خايفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم
واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقا مدين اي نحو مدين وهي قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابرهيم
عليه السلام ولم يكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسي ربي ان يهديني
سوا السبيل توكلا علي الله تعالي وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرايق
فاخذ الوسطي وجا الطلاب فشرعوا في الاخريين وقيل خرج جايعا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتي سقط
خف قدميه وقيل جا ملك علي فرس وبيده عنزة فانطلق به الي مدين ولما ورد ما مدين اي وصل اليه
وهو بير كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس يسقون ووجد
من دونهم في موضع اسفل منهم امراتين تذودان اي تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الي البير
كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الغاية في التقدم قال عليه السلام لهما حين راهما علي ما هما عليه من التاخر
والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التاخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هولاء قالتا
لا نسقي حتي يصدر الرعا اي عادتنا ان لا نسقي حتي يصرف الرعاة مع مواشيهم بعد ريها عن الما عجزا عن
مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الي تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود
والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسي عليه السلام الي ما صنع في
حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما علي الزياد المعجز والعفة وكونهم علي السقي غير مبالين
بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقري لا نسقي من الاسقا ويصدر من المصدر والرعا
بضم الرا وهو اسم جمع كالرجال واما الرعا فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالي وابونا شيخ كبير ابلا منهما
للعذر اليه في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر علي مساجلة
الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تاخير
السقي الي ان يقضي الناس اوطارهم من الما فسقي لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر انفا
روي ان الرجال كانوا يضعون علي راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل
ماية فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما
فوضعوا الحجر علي البير لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فانه الظاهر مما يشاهد حالهما يسارع الي السقي لهما

وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقي لهما. وقيل كانت هناك بئر اخري عليها الصخرة المذكورة. وروي انه عليه السلام سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقي بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروي غنمهما واصدرهما ثم تولي الي الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل وقل وحمله الاكثرون علي الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج لتضمنه معني السوال والطلب حتي بلا كلام الدعا لتقوية العمل وقيل المعني لما انزلت الي من خير عظيم وهو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قال عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر علي ذلك فجاءته احديهما قيل هي كبراهما واسمها صفورا او صفرا وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الي ابيهما روي انه لما رجعتا الي ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقي لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالي تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالي علي استحيا متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي علي استحيا فمعناه انها كانت علي استحيا حالتي المشي والمجي معا لا عند المجي فقط وتنكير استحيا للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحيا وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبني علي سوال نشا من حكاية مجيها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزا سقيك لنا اسند الدعوة الي ابيها وعللتها بالجزا لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة علي كمال العقل والحيا والعفة ما لا يخفي روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتي اتيا دار شعيب عليه السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جري عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم انه عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا تري الي ما روي ان شعيبا لما قدمه اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ولا ناخذ علي المعروف ثمنا ولم يتناول حتي قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من نزل بنا فتناول بعد ذلك علي سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من انبيا الله تعالي عليهم الصلاة والسلام وقيل المستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة. وقد روي عن عطا بن السايب انه عليه السلام رفع صوته بدعايه بدعايه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الي اخره ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الي استدعايه لا لاستيفا الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الي ابيها وهي التي زوجها موسي عليه السلام يا ابت استاجره اي ليرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جاري مجري الدليل علي انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل علي صيغة الماضي للدلالة علي انه مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتي بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدي ابنتي هاتين اي تكون اجيرا لي وتثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله علي ان تاجرني ثماني حجج علي الاول ظرف وعلي الثاني مفعول به علي تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلي ذلك يكون المفعول الثاني محذوفا والمعني ان تاجر في نفسك وقوله تعالي ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عليه السلام عرض لرايه علي موسي عليه السلام

واستدعا منه للعقد لا انشا وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعات الاوقات واستيفا الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقاده في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته ستجدني ان شا الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالعهد ومراده صلي الله عليه وسلم بالاستثنا التبرك به وتفويض امره الي توفيقه لا تعليق صلاحه بمشيته تعالي قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت علي نفسك وقوله تعالي ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه بادا الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة علي ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفا العدوان لكلا الاجلين لصدر المشارطة بعد تحقق العدوان في اكثرهما راسا للقصد الي التسوية بينهما في الانتفا اي كما لا اطلب بالزيادة علي العشر لا اطالب بالزيادة علي الثماني او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي في قضا الاكثر لا اثم علي في قضا الاقصر فقط وقري اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضا كما انها في القراة الاولي مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقري ايما بسكون اليا كقول من قال. تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره والله علي ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الي الخروج عنه اصلا. وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جري بينهما من الكلام في انشا عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا علي ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا. روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسي عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبيا عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها ادم عليه السلام من الجنة ولم تزل الانبيا يتوارثونها حتي وقعت الي شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها وقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا. وقيل اخذ جبريل بعد موت ادم عليهما السلام فكانت معه حتي لقي بها موسي ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتت بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيه ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسي عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ علي يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشي عليك وعلي الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر علي كفها ومشي علي اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتي قتلته وعادت الي جنب موسي عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح الي ذلك ولما رجع الي شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملاي البطون فاخبره موسي بالشان ففرح وعلم ان لموسي والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقي الغنم ففعل ثم سقي فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعا فوفي له بشرطه قالوا في قوله تعالي فلما قضي موسي الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضي ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم علي العود الي مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله انس من جانب الطور نارا اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه او جذوة اي عود غليظ سوا كانت في راسه نار او لا قال قايلهم. باتت حواطب ليلي يلتمسن لها. جزل الجذي غير خوار ولا دعر.

وقال • والتي علي قبس من النار جذوة • عليها حرها والتهابها • وكذلك بين بقوله تعالي من النار وقري بكسر
الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون فلما اتاها اي النار التي انستها نودي من شاطي
الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطي الايمن بالنسبة الي موسي عليه السلام في البقعة المباركة
متصل بالشاطي او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطي لانها كانت نابتة علي الشاطي ان ياموسي
اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا ما في طه والنمل لكنه موافق له في المعني المراد وان الق
عصاك عطف علي ان ياموسي وكلاهما مفسر لنودي والفا في قوله تعالي فلما راها تهتز فصيحة مفصحة عن
جمل قد حذفت تعويلا علي دلالة الحال واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا
فاهتزت فلما راها تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية جثتها ولي مدبرا اي منهزما من الخوف ولم
يعقب اي لم يرجع ياموسي اي قيل ياموسي اقبل ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف اسلك يدك في
جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين
لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمني تحت العضد الايسر واليسري تحت الايمن او ادخالهما في الجيب
فيكون تكريرا لغرض اخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا
امن واطمان ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا للنفس
وقري بضم الرا وسكون الها وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الي العصا واليد وقري بتشديد النون
فالمخفف مثني ذلك والمشدد مثني ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء
بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط
وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن وقوله تعالي من ربك متعلقه بمحذوف هو صفة
لبرهانان اي كائنان منه تعالي الي فرعون وملايه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن حدود الظلم والعدوان وان كانوا احقا بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هارون هو افصح مني لسانا
فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقري ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص
الحق وتقريرا لحجة بتوضيحها او بزيف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة
وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الي السبب وقري يصدقني بالجزم
علي انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد علي مزاولة
الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها لشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة
وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف به قد صرح به في مواضع
اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل او نسلطكما باياتنا واضحات او المعني لا يصلون اي يمتنعون منهم بها وقيل
هو قسم جوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالي انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعني
انه صلة لما بينه او صلة له علي ان اللام للتعريف لا بمعني الذي فلما جاءهم موسي باياتنا بينات اي
واضحات الدلالة علي صحة رسالة موسي عليه السلام منه تعالي والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان
اظهرهما موسي عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا
الا سحر مفتري اي سحر لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه علي الله تعالي او سحر موصوف بافتراء
اي اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في ابائنا الاولين او واقعا في ابائهم
وقال موسي ربي اعلم بمن جاء بالهدي من عنده يريد به نفسه وقري قال بغير واو لانه جواب لقولهم

عن

عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له
عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الي
الاخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئاتهم
وقري يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدي للمعارضة
فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان علي الطين اي اصنع الاجر فاجعل لي صرحا اي قصرا رفيعا
لعلي اطلع الي اله موسي كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه
من الكاذبين واراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيري فيها ما يدل علي بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالي قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض
فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية • قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه علي
وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادي هامان باسمه بياء في وسط الكلام •
واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالبعث للجزاء وقري بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام فاخذناه
وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصي الغايات فنبذناهم في اليم فقد مر تفصيله وفيه من تفخيم
شان الاخذ وتهويله واستحقار الماخوذين المنبوذين ما لا يخفي كانه تعالي اخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم
في البحر ونظيره قوله تعالي وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون
الناس الي النار الي ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم
الي تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الي النار كما في قوله تعالي وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا فالانسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الي نفس النار وقيل معني الجعل
منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملايكة عليهم السلام
والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين
بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا
وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين علي ان اللام للتعريف لا بمعني الذي
او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين ولقد اتينا موسي الكتاب
اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولي هم قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض
لبيان ان اتيانها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الي انزال القران الكريم
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولي من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس
اثارها واحكامها المؤدي الي اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعي للتشريع الجديد بتقرير
الاصول الباقية علي ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية
الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد اتينا موسي التوراة علي حين حاجة الي ايتائها بصاير للناس اي انوارا
لقلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة
نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدي اي هداية الي الشرايع والاحكام

التي هي سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه
نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر الى اخره وقيل على العلة اي اتيناه الكتاب للبصائر
والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله
تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان ان انزال القران
الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا
صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحكام والاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم
ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اي وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي
وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف كمسجد
الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت
من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من
امر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشانا قرونا اي ولكنا خلقنا
بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام
وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك
اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته صلى الله عليه
وسلم للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلوا
عليهم اي تقرا على اهل مدين بطريق التعلم منهم اياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا
او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الايات ونظائرها وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن
رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر لغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك للناس وقيل
عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه صلى الله عليه وسلم
بالاضافة وقد اكتفى عند ذكر المستدرك هاهنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى وصرح به فيما بينهما تنصيصا بما هو المقصود
واشعارا بانه المراد بهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو
ما ذكرنا من ارساله صلى الله عليه وسلم بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم ياتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك
وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسماعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل
لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين لما للتنبيه
على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا
ولا للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في سورة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة
اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا
الامتناعية على ان مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان
بما ذكر في حيزها بانه الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا
من عندك بالايات فنتبع اياتك الظاهرة على يديه وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب
لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها
ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة

الحق من عندنا وهو القران المنزل عليه صلى الله عليه وسلم قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي يعنون صلى الله عليه وسلم
مثل ما اوتي موسى عليه السلام من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كما لا يخفى اعجازه
عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا
لما يرشدهم الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف
مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ساحران خبر لمبتدا محذوف اي هما
يعنون ما اوتي محمد صلى الله عليه وسلم وما اوتي موسى عليه الصلاة والسلام تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد
منهما الاخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسالوهم عن شانه صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى
وقالوا انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك
لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الى ان يجيء قوله تعالى قل فاتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التوراة والقران وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى
اتبعه جواب للامر اي ان تاتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما ياتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان
الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين
اي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا
ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه صلى الله
عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره صلى الله عليه وسلم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة
تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال له دعاء فاعلم انما يتبعون
اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام انكاري للنفي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك
لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظايره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع
والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم
القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القران عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون به الذين اتيناهم الكتاب من قبله
اي من قبل ايتاء القران هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون
جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اي القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اي الحق
الذي كنا نعرف حقيقته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل
نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام
قبل نزول القران اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم
ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول و
بعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة
المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا
اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما لقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد

بما ظنتم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام
وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء اي يهديه ويدخله في
الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك
عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب انما نحن اكلة راس
ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما
امنا بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم امنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي تجمع وتحمل اليه ثمرات
كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا
فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى
من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى اليه او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر
بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا من اهل
قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك
مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا او الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها
الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم
احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك
مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال
في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار
بل كانت عادته ان يهلكها حتى يبعث في امها اي في اصلها او قصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن
وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة
وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة
وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم
اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة
الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه
في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شانه
ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن
شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون
هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء
صنيعهم والاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود

فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت
بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع
للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور
التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين
وقوله تعالى ثم هو يوم القيامة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه
مقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيامة النار او العذاب وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة
وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما
عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم
تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال
كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم
الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول
انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد
وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم
لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه
اعتذارا وهؤلاء انما قالوه ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا
اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر
منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله
تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم
غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما
اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا
ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم
ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اي الهتكم تهكما بهم وتبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة
عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه
الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم
للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله
فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه
لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب
منهم مما اجابوا به الرسل وجميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون
العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع تنزههم عن غائلة السؤال فما ظنك باولئك الضلال
من الامم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل
فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين
اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل

التاب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه
ولا منع لما اختار ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما
لا ريب فيه وقيل انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في
قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل
اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان
ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم
ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله
اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها
عاجلها على الخلق كانه يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله
الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه
لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقرير لما ذكر ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى
يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم
بضياء صفة له اخرى عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الى اخره
لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار
حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها
في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الارض من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة
من متاعب الاشتغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط
به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكي تشكروا نعمته تعالى وتشكروه فعل ما فعل ولتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه ويوم يناديهم منصوب
باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل
من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا من كل امة عطف على يناديهم
وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء
بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة من الامم شهيدا نبيا
يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه
وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا
كان بيت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لي وروي انه لما جاوز موسى بهم البحر وصارت الرسالة
والحبورة والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر
قال موسى هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد منهم بعصا
فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا عصا هارون

تهتز

تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر وقوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان
يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرناه في حق موسى وهارون
عليهما السلام وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر
وما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني
مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان
البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل
هو اظهار الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح
اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان
ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه
مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله
من الغنى الدار الاخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها اخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله
اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض
نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما اوتيته
على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر
من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال
وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز
والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهته عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ
التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به ورد لادعائه العلم
وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى
منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين معاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او
بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج
من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة جارية بيض
عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر قال الذين
يريدون الحياة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون
قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا
والاخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض
عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالاهلاك
شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الاخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا [illegible]

ان تمنوه غير مكتفين بثوابه ولا يلقاها في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات
فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه
عن كل الف واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا
بني اسرائيل الف دينار وقيل طشت من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال
من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال
ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون
جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه
ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام
بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون
بينهم انما دعا عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة
جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله يدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي من الممتنعين عنه
بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس
منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد
من البسط والقبض بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب من وي
وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى اخره وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره
ويلك اعلم ان الله وانما استعمل عند التنبه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطايهم في تمنيهم
وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ
لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البنا للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل
وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى
والمكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك
التي سمعت خبرها او بلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا
اي ظلما وعدوانا على العباد كداب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بتركهما انفسهما مزيد تحذير
منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها
والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة
فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه
الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل
ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القران
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تتمنا اليه اعناقهم وترنوا اليه
احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو
بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين
بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام
فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصرة
من منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه
من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا

ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن
القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل
الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون
عن ايات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول
من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور
ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته صلى الله
عليه وسلم لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو
وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته معرضة للهلاك والعدم
له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيامة بانه كان صادقا

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر
في نظايره من الفواتح المكرمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان
ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها
مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي
او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا امنا او ان يقال
احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق
انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاورة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات وفنون
المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب
اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان من خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابوه وامرأته وهو
اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى
الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون
والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها
والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما ينبئ عنه
قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله الايات وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين امنوا صدقوا اي في قولهم
امنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينبئ عنه ما قبلها من وقوع الامتحان
واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة
التاكيد والتقرير اي والله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز بها الذين صدقوا في الايمان الذي

اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى
ليميزن او ليجازين وليعلمن من الاعلام اي او ليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض
الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم
بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل
للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان
الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم
حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله
اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل
يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث
والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر
فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما يسخطه فان اجل الله الاجل عبارة هي غاية زمان
ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في استعمال اي فان الوقت الذي عينه
تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما
فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيانه وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من
الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر مما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا الاية وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق عمله ويصدق رجاءه او ما يوجب
القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والباطنة ومن جاهد
في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة
الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم بالثواب بموجب رحمته والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا
اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه لقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عائد الى المامور وغيره وقيل
هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف بما بوالديه وقرئ حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيئة عبر عنها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم
صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول وان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما
في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من امن
منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان
خيرا فخير وان شرا فشر والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان
بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا الذي في
سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب
حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم

صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة
والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال عمر انهما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى
اطاعهما وعصى عمر فقال عمر رضي الله عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما
ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه
وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين امنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال والصلاح منتهى درجات
المومنين وغاية مامول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في حق ابرهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيشتد فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه
اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي نصر او غنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر
الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا
اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد
والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله
الذين امنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان
والنفاق وقال الذين كفروا للذين امنوا بيان لحملهم للمومنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم له عليه
بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر هنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان
جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي
ان كان ذلك خطيئة تسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش اخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك
فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كانت ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا
انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان
ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئتهم اي وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق
والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون وحيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا
فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الاخرة من المضرة لانفسهم بعد
بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام
جواب القسم مضمر اي والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال
والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيامة سؤال
تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المومنين باذية الكفار وتاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان
بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا
عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قال كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة

وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنه ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعماية وخمسين قد
يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة راي الذين يحسبون انهم يتركون بلا
ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة **فاخذهم الطوفان** اي عقب تمام المدة المذكورة والطوفان
يطلق على كل ما يطوف بالشي على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الما **وهم ظالمون**
اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتاثروا على ما سمعوا من نوح عليه السلام من الايات ولم يرعووا عما كانوا
عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية **فانجيناه** اي نوحا عليه السلام **واصحاب السفينة** اي ومن
ركب معه فيها من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم
ذكور ونصفهم اناث **وجعلناها** اي السفينة او الحادثة والقصة **اية للعالمين** يتعظون بها **وابرهيم**
نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم **اذ قال لقومه**
على الاول ظرف للارسال اي وارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال
الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابرهيم **اعبدوا الله** اي وحده
واتقوه ان تشركوا به شيا **ذلكم** اي ما ذكر من العبادة والتقوى **خير لكم** اي مما انتم عليه والمعنى والتفضيل
مع انه لا خير فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل **ان كنتم تعلمون** اي الخير والشر وتميزون احدهما من الاخر
او ان كنتم تعلمون شيا من الاشيا بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى **انما
تعبدون من دون الله اوثانا** بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى دين الحق
اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك **وتخلقون
افكا** اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها الهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك
وقرئ تخلقون بالتشديد والتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافترا وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى
بمعنى كذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك **ان الذين تعبدون
من دون الله** بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا **لا يملكون لكم رزقا** اي لا يقدرون
على ان يرزقوكم شيا من الرزق **فابتغوا عند الله الرزق** كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين **واعبدوه**
وحده **واشكروا له** على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد **اليه
ترجعون** اي بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا **وان تكذبوا**
اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون **فقد كذب امم من قبلكم** تعليل للجواب اي فلا تضرونني
بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم
تكذيبهم شيا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم **وما على الرسول الا البلاغ
المبين** اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد
عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق** كلام مستانف مسوق من جهته
تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها
والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلا والظهور كيفية خلق الله
تعالى الخلق ابتدا من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده
وقرئ يبدا وقوله تعالى **ثم يعيده** عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الروية عليه فهو اخبار بانه تعالى
يعيد الخلق قياسا على الابتدا وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشايه تعالى كل سنة مثل ما انشاه
في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب

ان

ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة **على الله يسير** اذ لا يفتقر فعله الى شي اصلا **قل سيروا في الارض** امر لابراهيم
ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها **فانظروا كيف بدا الخلق** اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها
ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع
بالنشاة الاخرة المشعرة بكون البدء نشاة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما
من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والاخروية وقرئ
النشاة بالمد وهما لغتان كالرافة والراءفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوايد والاصل
الانشاة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤون النشاة الاخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة
معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدا مع اضمار
في بدء للابراز مزيد الاعتنا ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى **ان الله
على كل شي قدير** تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشيا التي من جملتها الاعادة
لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما اخبر به **يعذب** اي بعد النشاة الاخرة **من يشاء**
ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما **ويرحم من يشاء** ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم
التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب **واليه تقلبون** عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من
التعذيب والرحمة **وما انتم بمعجزين في الارض** له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض **ولا في السما**
اي في التهادي في الارض والهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السما التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما
في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السما صفة
لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السما **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يحرسكم مما يصيبكم
من بلا يظهر من الارض او ينزل من السما ويدفعه عنكم **والذين كفروا بايات الله** اي بدلايله التكوينية
والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيه النشاة الاولى الدالة على تحقق البعث والايات
الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلايل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام **ولقايه** الذي ينطق به
تلك الايات **اوليك** الموصوفون بما ذكر من الكفر باياته تعالى ولقايه **ييسوا من رحمتي** اي ييأسون منها
يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او ييسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء او لبيان
عذابهم وفي تكرار اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على تكرير
فظاعة حالهم ما لا يخفى اي **واوليك** الموصوفون بالكفر بايات الله تعالى ولقايه وباليأس من رحمته الممتازون
بذلك عن ساير الكفرة **لهم** بسبب تلك الاوصاف القبيحة **عذاب اليم** لا يقادر قدره في الشدة والايلام
فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى **الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه** وقرئ
بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظايره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام
الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد
اللتيا والتي في المرة الاخرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يخفى **فانجاه الله من النار**
الفا قصة اي فالقوه في النار فانجاه الله بان جعلها عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما حسبما بين في
مواضع اخر وقد مر في سورة الانبيا بيان كيفية القايه عليه السلام فيها وانجايه تعالى منها قيل لم
ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا **ان في ذلك** اي في انجايه منها **لايات** بينة عجيبة هي حفظه تعالى
اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها **لقوم يؤمنون** واما من عداهم فهم عن اجتلايها
غافلون ومن الفوز بمغانم اثارها محرومون **وقال** اي ابرهيم مخاطبا لهم **انما اتخذتم من دون الله**

اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول الثاني بتقدير المضاف او بتاويلها
بالمودودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدا محذوف اي هي
مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة
قد حذفت عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم
على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة وقد اجري بينهم
احكامه حيث تعلتم ما فعلتم لاجل مودتكم لها اسما مبني كما ينبي عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم
يوم القيامة تنقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة
ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق
الاخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تاوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم
منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر
اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها
عن الكفر وما قيل انه آمن له حين راى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية
منه وهي التي لا يرتقي اليها الا الهمم من الافراد ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي
الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا فيه حكمة ومصلحة
فلا يامرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم
منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من
عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب
الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه
كالذي مر في قصة ابراهيم انكم لتاتون الفاحشة اي الخصلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم
بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها
مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة
اي بالفاحشة روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان
ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتاتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع
لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والثياب
والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم بشيء من الاشياء
الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم
فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في
سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه
المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال
رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها

واستعجاله

واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
اي البشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة
الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا
ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا
فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام
فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتناء حسبما ينبي
عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في
العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم ابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم
اي اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان للتاكيد بين الفعلين من الاتصال وضاق
بهم ذرعا اي ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا
كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه
مخايل الضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي الى ان آل به الحال الى ان قال لو ان لي
بكم قوة او اوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل بهلاكنا اياهم انا منجوك
واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء والكاف
في محل الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز
العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة
وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في
الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا
في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي توقعوه وما
سيقع فيه من فنون الاحوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب
مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
الشديدة وفي سورة هود فاخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب
تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار فعل ينبي عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمود بتاويل الحي
وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اتم ظهور اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها
ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل
السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين
ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان
معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا
نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبي عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي وكل واحد من المذكورين اخذنا
بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين

وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على ما يوجب ذلك من انواع
الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد
كمثله بالاضافة الى رجل يبني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث والغالب في
الاستعمال التانيث وتاؤه كما في طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجمع
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا ترى شيئا يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء
لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى
وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة
ان الله الى اخره وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم وما للبقين اذ نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون
عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو
العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا من هذا شانه من فرط الغباوة والالحاد بالنسبة الى
القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعتقد البحث وان من هذه صفاته
قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد عن افهامهم وما يعقلها
على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي
وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق
الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق
به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك لاية
للمومنين دالة على ما ذكر من شوونه سبحانه وتخصيص المومنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم
المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكيرا لما في تضاعيفه من المعاني
وتذكير الناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلاة اي داوم
على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره صلى الله عليه وسلم باقامتها
متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلاة
تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع
اقبال تام على طاعته واعراض عن كل معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر
عن معاصي الله تعالى فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال
الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروي انس رضي الله عنه ان فتى من
الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلاة اكبر
من سائر الطاعات وانما عبر عنها كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة في
كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما
اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن
سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن
اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على

وجه الذي لا يؤدي الى الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم
بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ الموافقة
بما يليق بحالهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا من القران وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التوراة
والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا
حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه
تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب لرسوله
صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة
المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القران
الذي من جملته هذه الاية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين اتيناهم الكتاب من الطائفتين
يومنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يوتوا الكتاب حيث
لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما
وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب
بالنسخ فلم يوتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور
ومن هؤلاء اي من العرب او من اهل الكتاب مكة على الاول او ممن في عصره صلى الله عليه وسلم على الثاني من
يومن به اي من القران وما يجحد باياتنا عبر عن الايات بالكتاب للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها
وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون
المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يوديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب
بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب
ولا تخطه لا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه
اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن تقدر على التلاوة والخط او ممن يعتاده لارتابوا وقالوا لعله التقطه
من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على
التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو
اي القران ايات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب
يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون
للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه مثل ناقة صالح وعصي موسى
ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها حيث ما شاء من غير دخل لاحد
في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اعطيت من الايات اولم يكفهم
كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات انا انزلنا عليك
الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى
عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون
في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
الكتاب العظيم الشان الباقي على ممر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يومنون
اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المومنين اتوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها حماقة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا** بما صدر عني وعنكم **يعلم ما في السموات والارض** اي من الامور
التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا **والذين امنوا بالباطل** وهو ما يعبد
من دون الله سبحانه **وكفروا بالله** مع تعاضد موجبات الايمان به تعالى **اولئك هم الخاسرون**
المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية
الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة التي هي احسن لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله
والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الاسلام كما في قوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين **ويستعجلونك
بالعذاب** على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقوله امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
ونحو ذلك **ولولا اجل مسمى** قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لعذاب الاستيصال وان يوخر
عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لانهم ما كانوا يوعدون
بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به **وليأتينهم** جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة
من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم **العذاب** الذي عين لهم عند حلول الاجل **بغتة** اي فجاة
وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة
الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انه ياتيهم وهم غارون امنون لا يخطرونه بالبال كاتيان
بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب
يوم بدر ليس من هذا القبيل **يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين** استيناف مسوق لغاية
تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دليل على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اي يستعجلونك بالعذاب والحال ان
محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب انه محيط بهم اي سيحيط بهم وانما
جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمراره وتنزيل لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر
والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة ظهرت في هذه النشاة
بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين اما للعهد ووضع
الظاهر موضع المضمر اما للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **يوم يغشاهم العذاب**
ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة
جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة **من فوقهم ومن تحت ارجلهم**
اي من جميع جهاتهم **ويقول** اي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض الملائكة بامره **ذوقوا
ما كنتم تعملون** اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال
بالعذاب **يا عبادي الذين امنوا** خطاب تشريف لبعض المومنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين
كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم **ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون**
اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما الصلاة
والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس
من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد
من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون **والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم** لننزلنهم **من الجنة**

غرفا اي علالي وغرفا مفعول ثان للتبوية وقرئ لنثوينهم من الثوى بمعنى الاقامة وانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى
لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم **تجري
من تحتها الانهار** صفة لغرفا **خالدين فيها** اي في الغرف او في الجنة **نعم اجر العاملين** اي الاعمال الصالحة
والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم **الذين صبروا** اما صفة للعاملين او نصب
على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدايد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق **وعلى ربهم يتوكلون**
ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى **وكاين من دابة لا تحمل رزقها** روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر المومنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخره انما تصبح ولا معيشة عندها **الله يرزقها واياكم**
ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق
الاسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة **وهو السميع** المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا
العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمايركم **ولئن سالتهم** اهل مكة **من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله** اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التسوية فيه **فانى يوفكون** انكار واستبعاد
من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم
بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير **الله يبسط الرزق لمن يشاء** ان يبسط له **من عباده ويقدر له**
اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه له
على التعاقب **ان الله بكل شيء عليم** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ومن يليق بقدره فيقدر له او فيعلم
ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته **ولئن سالتهم من
نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد** موتها **ليقولن الله** معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على اي شيء ما اصلا **قل الحمد لله**
على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه
الضلالات ولا يخفى بعده **بل اكثرهم لا يعقلون** اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا
فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم هذا **وما هذه الحياة الدنيا**
اشارة تحقير لها وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء **الا لهو ولعب** الا كما يلهى به ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون
عنه **وان الدار الاخرة لهي الحيوان** اي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء فيها او هي في ذاتها حياة
للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة واصله حييان قلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة **لو كانوا يعلمون**
لما اثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال
فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في
نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك
فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة **دعوا الله مخلصين له الدين** اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المومنين
حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو **فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون**
اي فاجؤا المعاودة الى الشرك **ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا** اي يفاجؤن الاشراك ليكونوا كافرين
بما اتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها **فسوف يعلمون** اي عاقبة ذلك وغايلته حين يرون العذاب

اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقران وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال

ألستم خير من ركب المطايا

اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراة والذين جاهدوا فينا اي في شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادانى وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ اهل مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان يوم النصر يوم بدر للفريقين واخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الايات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت في ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت

كونهم

كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الاخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ينصر من يشاء وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد بها نصرهم الذي هو من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وفي تنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الاخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهلهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصود ادراكها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الاخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لظهور تحقيق امره وتصوير حال المتفكر وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الى اخره متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط او قصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عند ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها

من لن تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوزان يكون قوله تعالى في انفسهم صفة للتفكر على معنى اولم
يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهو اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها
الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال فانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم
الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان ساير الخلايق كذلك امرها جار على
الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة
والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل
من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** تذييل مقرر لما قبله
ببيان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها
من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث
اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومالهم والهمزة لتقرير
المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا **في الارض** وقوله تعالى **فينظروا**
عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا **كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم** من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى **كانوا اشد منهم قوة** الى اخره بيان لمبدا
احوالهم ومالها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة **واثاروا الارض**
اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك **وعمروها** اي عمروها اولئك
بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبنا وغيرها مما يعد عمارة لها **اكثر مما عمروها** اي عمارة اكثر كما وكيفا
او زمانا من عمارة هولاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا
مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجاؤن الى واد لا نفع فيه يخافون ان
يتخطفهم الناس **وجاءتهم رسلهم بالبينات** بالمعجزات والايات الواضحات **فما كان الله ليظلمهم** اي فكذبوهم
فاهلكهم الله فما كان الله تعالى ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى
اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال تنزاهته تعالى عن ذلك بابرازه
في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة العمران **ولكن كانوا انفسهم يظلمون**
بان اجتروا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة **ثم كان عاقبة الذين اساؤا** اي عملوا السيئات ووضع
الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم **السوء** اي العقوبة التي هي اسوء العقوبات
ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوء
كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على
انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى **ان كذبوا بايات الله**
علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام
ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى **وكانوا بها يستهزؤن** عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد
الاستهزا بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده وهذا هو اللايق بجزالة النظم الكريم وقد قيل وقيل
الله يبدؤا الخلق اي ينشرهم **ثم يعيده** بعد الموت بالبعث **ثم اليه ترجعون** اي موقف الحساب والجزا
والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء **ويوم تقوم الساعة** اي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه
يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا يسلون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح
اللام من ابلسه اذا افحمه فاسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا

يرجعون وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا **وكانوا بشركائهم كافرين**
ببيهم وليس بذلك اذ ليس في الاخبار به فايدة يعتد بها **ويوم تقوم الساعة** اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع
فيه وقوله تعالى **يومئذ يتفرقون** تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير
يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد
بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المومنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة
وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في
روضة يحبرون** تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة
وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة
كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتمال وجوه المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون
وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على روسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة سماع
فقال صلى الله عليه وسلم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق
بمثلها فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدردا رضي الله عنه بما يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في
الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع يبعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا** التي من جملتها
هذه الايات الناطقة بما فصل **ولقاء الاخرة** صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة
للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
للمشار اليه لبعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبايح **في العذاب محضرون** على الدوام لا يغيبون
عنه ابدا **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون**
اثر ما بين حال فريقي المومنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب
امروا بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى
على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللايق به في هذه الاوقات واحمدوه
فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه
واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى
ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله
وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله صلى الله عليه
وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى
من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته
ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف
على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول
في العشي كالمسا والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي يختلف فيها احوال الناس وتتغير
تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير
فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المسا والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب

للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما • وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن رضي الله عنه الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي اخره هي خمس صلوات في كل يوم وليلة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وتصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن اياته ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اي في ضمن خلق ادم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه منطو على خلق ذريته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في صفاتكم وذاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد منهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات عظيمة لا يكتنه كنهها ولا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته بل هي مشتملة على ايات شتى ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما ينبئ عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيأتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوامين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله

والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لايات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن اياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام والابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني ومنامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد لساير الايات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملوا في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • اي احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف اي اية يريكم بها البرق كقول من قال •

وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •

اي فمنهما تارة اموت فيها وتارة واخرى ابتغي فيها او ومن اياته شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تعالى بقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متاخرة عن ساير الايات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجاتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنع عليه في شان من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريرهم لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضيل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكانت اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بما هونة الفعل قربه الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل بسهولة ثابتة وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه راجحا بالغير لا تفاوت في ذلك بين ان يكون

ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة
التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على
السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو
العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم
مثلا يبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها
دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الى اخره تصوير للمثل اي هل لكم مما
ملكت ايمانكم من الاما والعبيد من شركا فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى
ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سوا
تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساويين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا
معطوفا على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية
واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سوا شرع تتصرفون فيه كيفما تتصرفون من غير
فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر اخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سوا اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه
دون رايهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون
ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية
غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع
مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات اي نبينها وضوحا
لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئة المانوس فيكون
في غاية البيان والايضاح لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الايات
للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل
الايات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم الحق قيل لم يعقلوا شيئا من الايات المفصلة
بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون الشي
في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ما اتوا منكبين عليه لا يلويهم
عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال
بصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين
يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وافادته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو القاعدة
مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم
بشي محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها
على الاغرا اي الزموا وعليكم فطرة الله وان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين اليه والافراد في اقم لما ان الرسول
صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره صلى الله عليه وسلم مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال
بها باتباع الهوى وتسويل الشيطان وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة
لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا
عليها دينا اخر ومن غوى منهم فباغوا شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة

كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم
فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي ما صح ولا استقام لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه
عليه بقبول الهوى واتباع وسوسة الشياطين وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل
على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة
ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد
فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليه وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغرا او الى الفطرة ان فسرت بالملة
والتذكير بتاويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة
حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه
اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتما الى حزب من احزاب المشركين باعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على الاختلاف ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي
تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم
من الدين المعوج المؤسس على الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو
الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعا غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي
كانوا دعوا منيبين اليه يشركون اي فاجا فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا
كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره
في الجملة ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي لقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه
للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة
في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا
اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس
رحمة اي نعمة وصحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم
بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم
يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السرا والضرا كالمؤمنين ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه من الصلة والصدقة
وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له كما يؤذن به الفا
ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته او يقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه
لا جهة اخرى اولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة خالية عن
العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطا ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو

في اموالهم فلا يربوا عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ ليربوا اي ليزيدوا او ليصيروا ربا وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذو الاضعاف من الثواب ونظيره المضعف
المقوي والموسر لذوي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير
النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له
تعالى من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من تنزهه
عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوزان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية مفيدتان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر
والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ البحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل
ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض
الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه للاخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
اثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك
في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق
ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
من كفر فعليه كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون
منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب
اعمالهم وحيث كان جزاء المومنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة
بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته
تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح اي الشمال
والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فانها ريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر ليذيقكم من رحمته وهي
المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها والروح الذي هو مع هبوبها واللام متعلقة
بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها او ليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال
تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا امرا لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمه تعالى فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات
كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى
وكان حقا علينا نصر المومنين مزيد تشريف وتكرمة للمومنين حيث جعلوا مستحقين على الله نصرهم واشعار
بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد توقف على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق الاعتراض

يرشون و يسمون جمع نسور والعلا عسم سفن لا نحه وحيد

بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى
لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك لا لانهم من الانتقام
الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء
في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى
اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله
في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون اي فاجؤا الاستبشار
بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان
ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه وقيل الضمير
للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار
بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين
خبر كانوا واللام فارقة اي ايسين فانظر الى اثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع
الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض
بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظروا الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل
على الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد
لما فيه من امر البعث وقرئ يحيي بالتانيث الى الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض
شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض
احداث ما كان فيها من القوى النباتية او لحيهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون
ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا
ريحا فراوه اي الاثر المدلول عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا
بعد خضرته وقد جوزان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في لئن موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب للقسم السادسة مسد
الجوابين اي بالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب
عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من
روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر والطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه
اذا اعترى زرعهم افة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى
لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان
كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه
ولو كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته
بشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع
الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ
تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من
يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لا ايقانا فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي
خلقكم من ضعف مبتدا وخبر اي ابتدأكم ضعفا وجعل اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم
من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل

من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنه قرأتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقرأني ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر غير المتقدم يخلق ما يشاء
من الاشيا التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد
فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلايل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيامة سميت بها لانها تقوم
في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا
كذلك وقيل فيما بين فنا الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فنا الدنيا والبعث اربعون وهو
يحتمل الساعات والايام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم
نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال
الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما
كتبه او ما بينه او في اللوح او في القران وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه
باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فنا
الخلق كافة ويعدون لذلك زمانا مؤبدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية
بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال • قالوا خراسان اقصى
ما يراد بنا • ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ لا تنفع بالتا
محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم
من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا
عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد
اعتذارهم ولئن جئتهم باية من ايات القران الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم
وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل
ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يتغفلون على خرافات
اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من
الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد
من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم
من الايات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون شاكون ضالون
ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ لا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك
ويكونوا احق بك من المؤمنين وايا ما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن الاستخفاف صلى الله عليه
وسلم واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق
الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله تعالى بين السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب سلف بيانه في نظاير

الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن
فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الايات والعامل فيهما معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران اخران لاسم الاشارة او لمبتدا محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات
فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
بالاخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة • الالمعي الذي يظن بك الظن • كان قد راى وقد سمعا
وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين شعبها لاظهار فضلها وامتيازها على غيرها وتخصيص الوجه
الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخر بصورة كونه مبتدا مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه
من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس الرفع على الابتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس
او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في
حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
الاية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك
وساير ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان
اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الاية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول
ان كان محمد صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان
يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه
تعالى او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح اليا اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه
بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على
يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القران اي ويتخذها هزوا مهزوا بها وقرئ
ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في
الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشر
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار
الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افراد الضمير فيه وفيما بعده كالضماير الثلاثة
الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما اياتنا التي هي ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض
عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه
فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور
منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال • كان
لم تجزع على ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع
من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه بان العذاب
المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال
المؤمنين باياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها اي الذين امنوا باياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم
واعمالهم جنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم
لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره

لان في قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعد الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الى اخره استيناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي ما يسند يقال عمدت الحائط اذا ادعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استينافا فجي به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى غير معمودة بمشاهدتهم لها او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به العبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر من التسجيل عليهم بالضلال المبين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا عن الالزام والتبكيت لينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد اتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد ازر بن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأل عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه ان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان اعطاك الحكمة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الى اخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل تنطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى شكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو راسه كما قال صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اسلم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الامر

ووصينا الانسان بوالديه الى اخره كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي رحمه الله تعالى وعند ابي حنيفة رحمه الله ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي بشركته تعالى في استحقاق العبادة فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الى اخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال

كما شرقت صدر القناة من الدم ۞ او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات وتكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصاعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال الذي هو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التعزير عن رفع الصوت او التنفير عنه وافراط الصوت

مع اضافته الي الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتي يجمع بل بيان هذا حال صوت
هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالي الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في
الارض رجوع الي سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخهم على اصرارهم علي ما هم عليه
مع مشاهدتهم لدلايل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف
فيه كيف يشا ويستعمله حسب ما يريد كعامة ما في الارض من الاشيا المسخرة للانسان المستعملة من الجماد
او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشيا
التي نيطت بها مصالح العباد معاشا ومعادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان
جميع ما في السموات والارض من الكاينات مسخرة لله تعالي مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان
حسبما يشا بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالي واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقري اصبغ
بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين او الخا او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سالغ صالغ وقري
نعمه ومن الناس من يجادل في الله توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدي من جهة
الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله تعالي بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع
باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام
او لو كان الشيطان يدعوهم اي اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين
تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك
الي عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسبما دعوته والجملة في حيز النصب علي الحالية وقد مر تحقيقه في
قوله تعالي او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون من سورة البقرة مما لا مزيد عليه ومن يسلم
وجهه الي الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معني الاختصاص وقري
بالتشديد وهو محسن اي في اعماله اتيا بها جامعة بين الحسن الذاتي والوضعي وقد مر في اخر سورة النحل
فقد استمسك بالعروة الوثقي اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل
بالطاعة بحال من اراد ان يترقي الي شاهق جبل فتمسك باوثق عري الحبل المتدلي منه والي الله لا الي احد
غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في
الاخرة وقري فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي ليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الي غيرنا
فننبيهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضماير الثلاثة باعتبار
لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبيه المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا
او زمانا قليلا فانما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الي ما يعقبه قليل ثم نضطرهم الي عذاب
غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الي الاحراق الضغط والتضييق ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الي الاعتراف به قل
الحمد لله علي ان جعل دلايل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون
شيا من الاشيا فلذلك لا يعلمون بمقتضي اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات
والارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد
والمحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي لو ان الاشجار اقلام
وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده اي من بعد نفاده سبعة ابحر اي والحال
ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله

وفي نسخة منتشر

ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقري
يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الي الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها
هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الي البحر المحيط
ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شي حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة الا كخلقها وبعثها في سهولة التاني اذ لا يشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالي انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر
قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق بما سبق وما لحق
اي الم تعلم علما قويا جاريا مجري الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل
كل واحد منهما في الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف
علي يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين
فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الي ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب
حركته الخاصة القسرية علي المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الي اجل
مسمى قدرة الله تعالي لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن رضي الله عنه وانه لا ينقطع جريهما
الا حينيذ والجملة علي تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلي
طريق اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الي يوم
القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما
في فلكيهما والاجل المسمي عن منتهي دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينيذ بيان
لحكم تسخيرهما وتنبيه علي كيفية ايلاج احد الملوين في الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جرياني الشمس والقمر
علي مداراتهما اليومية فكلما كان جريانهما متوجها الي سمت الراس تزداد القوس التي فوق الارض كبرا فيزداد
النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الي ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الي سمت الراس وذلك
عند بلوغها الي راس السرطان ثم ترجع متوجهة الي التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض
تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الي ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية
عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالي وان الله بما تعملون خبير عطف علي
ان الله يولج الي اخره داخل معه في حيز الرؤية علي تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد ذلك
الصنع الرايق والتدبير اللايق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها
ذلك اشارة الي ما تلي من الايات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل وهو
مبتدا خبره قوله تعالي بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالي هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها
ناطقة بالتوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اي ولاجل بطلان الهية ما يدعونه من دونه
تعالي لكونها مشاهدة بذلك بشهادة بينة لا ريب فيها وقري بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة
علي اختصاص حقية الالهية به تعالي مستتبعة للدلالة علي بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتنا
بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة علي ما ذكر ليس بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا
وان الله هو العلي الكبير اي وبيان انه تعالي المترفع عن كل شي المتسلط عليه فان ما في تضاعيف
الايات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالي بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته

او الثابت الهيئة وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والبا اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الفتح والكسر والسكون ليريكم من اياته اي بعض دلايل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والافاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المومن فكانه قيل لكل مومن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال وهو جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدايد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعايد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد وهو مبتدا خبره هو جاز عن والده شيا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المومنين اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق اي لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي ويزينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانا قد القيت حباتي في الارض فمتى السما تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث في اوانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شي منهما فتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسايه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني في بلاد الهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك والحكاية مشهورة ونسبة العلم الى الله عز وجل والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شي من الاشيا التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الم اما اسم للسورة ومحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المولف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه

ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل تحققها لا اخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كاينا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ولا وجه حينئذ لانه الخبر لا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويويده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له صلى الله عليه وسلم ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان غاية الشي وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشي ويوكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله صلى الله عليه وسلم اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وايا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم اخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه اي ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي لا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السما الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملايكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملايكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السما والارض مسيرة خمسماية عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السما الى الارض بالوحي ثم لا يرجع اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء رجوعها الى السما بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة اليه عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش واختصاص الولاية والنصرة به وتدبير امر الكاينات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران اخران وفيه ايما الى انه تعالى يتفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شي خلقه خبر اخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي ما يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة وقيل بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شي والضمير

للمبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير له تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول
ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللايق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل
شيء مفعوله الثاني وقيل الخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه وتعالى على تضمين الاحسان معنى الالهام والتوفيق
والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول
الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى **وبدأ خلق الانسان** من بين جميع المخلوقات **من طين** على
وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برا ادم عليه السلام على فطرة عظيمة عجيبة منطوية على فطرة ساير افراد
الجنس انطوا اجماليا مستتبعا للخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعدادها المتفاوتة قربا وبعدا
كما ينبي عنه قوله تعالى **ثم جعل نسله** اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه **من سلالة
من ماء مهين** هو المنى الممتهن **ثم سواه** اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي **ونفخ فيه
من روحه** اضافة اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى
حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة
اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي **وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة** الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر
لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسايل الى التمتع بساير النعم الدينية والدنيوية
الفايضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة
بالبعث والتوحيد وبابصاركم الايات التكوينية المشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى
قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبي عنه
ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه
بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبي عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية
وراه **وقالوا** كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم
موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة **ائذا ضللنا في الارض** اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها
بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقري ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن
وتغير وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا من جنس الارض الصلة قيل القايل ابي بن خلف واسناده بقولهم لسند القول
الى الكل والعامل فيما يدل عليه قوله تعالى **ائنا لفي خلق جديد** وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير
الانكار السابق لتاكيده وقري انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما يتبادر
من تقدم الهمزة على ان فانها موخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة **بل هم بلقاء
ربهم كافرون** اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول
الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا **قل** بيانا للحق ورد لزعمهم الباطل **يتوفاكم ملك الموت**
لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم
شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه واقطعها من ضرب وجوهكم وادباركم **الذي وكل بكم**
اي بقبض ارواحكم واحصا اجالكم **ثم الى ربكم ترجعون** بالبعث للحساب والجزا **ولو ترى اذ المجرمون**
هم القايلون ائذا ضللنا في الارض الاية **ناكسوا رؤسهم عند ربهم** من الحيا والخزي والغم عند ظهور قبايحهم
التي اقترفوها في الدنيا **ربنا** اي يقولون ربنا **ابصرنا وسمعنا** اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد
لادراك الايات المبصرة والايات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا **فارجعنا** الى الدنيا **نعمل**

عملا **صالحا** حسبما تقتضيه تلك الايات وقوله تعالى **انا موقنون** ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني
الايات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعا لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا
وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعا
طمعا في الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه
ويسمعونه فانهم حينيذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هايلة ويخبرهم الملايكة بان مصيرهم الى النار لا محالة
فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم
يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل
اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو يكون منك رؤية في ذلك الموقف ما ينبي عنه صلة
اذ او المضي فيها ولو باعتبار انه الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا لا يقادر
قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كاينا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص
استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتاتى
منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور
الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤية راء دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية له مدخل في هذا الخطاب
فقد ناى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها
فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر **ولو شينا لاتينا كل نفس هداها** مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل
قوله تعالى ربنا ابصرنا الى اخره اي ونقول لو شينا اي لو تعلقت مشيتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس
البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه
الى دار الجزا **ولكن حق القول مني** اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين وهو المعنى بقوله **لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** كما يلوح به تقديم الجنة على الناس
فبموجب ذلك القول لم نشا اعطا الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم
اختياركم الى الغي باغوايه ومشيتنا لافعال العباد باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة
لم نشا اعطاه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتي في قوله تعالى انما يومن
باياتنا الاية فمناط عدم مشيته اعطى الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيد المشية بما مر من
التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشية الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة
على تحقيق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناط عدمه تعالى ان لا صرف اختيارهم فيما سياتي
الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك معدمها وتبط ذلك بما ذكر من المناط
على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شينا لاعطينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم من اختيار الكفر وايثاره فقد
اشتبه عليه الشوون والفا في قوله تعالى **فذوقوا** لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي
المرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والبا في قوله تعالى **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** للايذان بان تعذيبهم
ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا
او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقا هذا اليوم الهايل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية **انا نسيناكم**
تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين
المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي
التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للاستقلال كل منهما في استيجاب العذاب وفي

بايهام الذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن باياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اي ذي اثر من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى ما نطقت به من العدة والوعيد اي سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه (وهم لا يستكبرون) عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتائها الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطا هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين جا مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه الحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هو ما اطلعتم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ما اخفي لهم وما يخفى لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل والله سبحانه اعلم وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الاتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى تفصيل لمراتب الفريقين في الاخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى الماوى لانها الماوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل الماوى جنة من الجنان واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي ماواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم

واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فماواهم اي ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات الماوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية النار ماواهم يروى انه يضربهم لهيب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم لهيب النار فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الاخرة لعلهم لعل الذين بقوا منهم وهم في الحياة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل ايات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها •

اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هان جرمه منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائه لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي اتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسماعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا وهي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا باياتنا يوقنون التي في تضاعيف الكتاب لامعانهم فيها والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي اتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مال امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الى اخره استينافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون اثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشّون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العامرة او في مساكنهم لايات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الايات سماع تدبر وايقاظ

اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن
فنخرج به من تلك الارض زرعا تاكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصل والورق وبعض الحبوب
المخصوصة بها وقرئ ياكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون
فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا
على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى
هذا الفتح اي النصر والفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا
لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم
الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول
عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسال عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به
وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الامهال كانه قيل
لا تستعجلوا فكاني بكم قد امنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين
فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح
وناسا امنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون
قيل الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهار ان يقال انهم منتظرون اهلاكهم كما في
قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام الاية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا فانهم
منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه
لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها النبي اتق الله في ندائه صلى الله عليه
وسلم بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المامور بها الثبات عليها والازدياد منها
فان لها بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له
اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بينك وبينهم روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه صلى الله عليه وسلم في الموادعة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وقام معهم عبد الله
بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع
وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد
ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما
حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك
الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوبهما وحرمة
الاخلال بهما واتبع ما يوحى اليك من ربك من الايات التي من جملتها
هذه الاية الامرة بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب
الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم
وقيل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل

على ضرب من التغليب وايا ما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترهيب والترغيب
كانه قيل ان الله خبير بما تعملون من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق
الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك
على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويامرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل
بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا
لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
وتنبيها على كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام المعهودة فيما بينهم
في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان
ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل واحد وذكر الجوف لزيادة التقرير
كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امراة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى
نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام
الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة
على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق
والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقرب
من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ تظاهرون
بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون
وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ
اختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلى واسرى ذلكم اشارة الى ما فهم
مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم
فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذا هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق
المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله هذا عز وجل ادعوهم لابائهم
اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله عز وجل هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في
قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء
لابائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم
فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي اولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم
جناح اي اثم فيما اخطاتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن
ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا
رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا له العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه
الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون صلى الله عليه وسلم
احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم
عليها روي انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال اناس منهم نستاذن اباءنا وامهاتنا
فنزلت وجواب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار

المومنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدى ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عايشه رضي الله عنها لسنا امهات النسا واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولي ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث في الهجرة والموالاه في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الاية واية المواريث او فيما فرض الله تعالي من المومنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولي اي اولوا الارحام بحق القرابة اولي بالميراث من المومنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا استثنا من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصيه او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعا الي الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسي وعيسي ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرايع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام لابانة ما خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه مواخذة والعطف مبني علي تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالي ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالي نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا قوله تعالي ليسال الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الي ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا لاخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبي عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الي الغيبة اي فعل الله ذلك ليسال يوم القيامة الانبيا الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالي يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعني ليسال المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم علي انفسهم عن صدقهم عهدهم فياباه مقام ذكر ميثاق النبيين واعد للكافرين عذابا اليما عطف علي ما ذكر من الضمير لا علي اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او بان الله تعالي اكد علي الانبيا بالدعوة الي دينه لاجل اثابة المومنين تعسف ظاهر مع انه مفض الي كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه علي ما دل عليه قوله تعالي ليسال الصادقين عن صدقهم كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كاينة اذ جاتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا علي انه بدل اشتمال من نعمة الله تعالي والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظه والنضار وكانوا زها اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق علي المدينه باشارة سلمان الفارسي ثم خرج بثلثة الاف من المسلمين فضرب بعسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتي قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسري وقيصر ولا نقدر الان ان نذهب الي الغايط ومضي علي الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهما الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليري مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الي الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الي النزال قال يا ابن اخي والله قال علي رضي الله عنه ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل علي علي رضي الله عنه فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه

فلما قتله انهزمت خيله حتي اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتي انزل الله تعالي النصر وذلك قوله فارسلنا عليهم ريحا عطف علي جاتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي بقيتها في اخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملايكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملايكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذفت في قلوبهم الرعب وكبرت الملايكه في جوانب فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجايكم اليه ورجايكم من فضله وقرئ بالياء بما يعمله الكفار اي من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاوكم بدل من اذ جاتكم من فوقكم من اعلي الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم عيينة ابن حصين وعامر بن الطفيل وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانه واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف واذ زاغت الابصار عطف علي ما قبله داخل معه في حكم التذكر اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوي نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا الي عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرية تنتفخ عنده من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الي راس الحنجرة وهي منتهي الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالي وتظنون بالله الظنونا لمن اظهر الايمان اي تظنون بالله تعالي انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالي ينجز وعده في اعلا دينه كما يعرب عنه ما سيحكي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة علي زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة علي الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهايل والمكان الدحض ابتلي المومنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي واذ يقول المنافقون عطف علي اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة علي استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلا الدين والظفر الا غرورا اي وعدا مغرورا وقيل قولا باطلا والقايل لذلك معتب بن قشير واضرابه راضون به قال يعدنا محمد فتح كنوز كسري وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طايفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب هو اسم للمدينة المطهرة وقيل المدينه في ناحية منها وقد نهي النبي صلي الله عليه وسلم ان تسمي بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بهذا الاسم مخالفة له صلي الله عليه وسلم وندا وهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعدها من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا اقامة او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الي منازلكم بالمدينه مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعني لا قيام لكم في دين محمد صلي الله عليه وسلم فارجعوا الي ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الي اعدايه اذ لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليستقيم لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالي ويستاذن

فريق منهم النبي معطوف على ما قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
استاذنوه صلى الله عليه وسلم في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله
او استيناف مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق
فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد يجوز ان يكون
تخفيف عوره من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير
مقالتهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستيذان الا فرارا
من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض
دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض
فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى
عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا من الايمان والطاعة
لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهيا والغارة الشعوا وقرئ لأتوها بالقصر اي
لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يتم السؤال والجواب
من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت عن ساحتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمما فاته للعموم
المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل بقية ضرب من فساد الموضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم بيان
انهم اذا دعوا الى الحق العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان
العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في
الدعا الى الكفر والضلالة لا بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر
واعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا
مطلوبا مقتضيا حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا
لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان يدفع
عنهم الضرر ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين
للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم
الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم
فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون عن المعسكر
متوجهون نحو المدينة ولا ياتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم
يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون
الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد
حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله والظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل ياتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله

او المصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا
ولواذا او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة
كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا
فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان
وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر
من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل
او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال
تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب
تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من
جانب المدينة وقرئ يساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون
الاعراب كما يقال رايت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه
ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من
الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله ولقاءه او ايام الله
واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان
صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اي وقرن
الرجا بذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها
يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا بيان لما صدر
عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عنهم اي لما شاهدوهم
من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر
في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب والبلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر
نعم يجوز التذكير باعتبار الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة
ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله تعالى
الا ان نصر الله قريب وقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر
الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او صدقا في النصر
والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما راوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده
وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء الدين
وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا
حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل

ما عاهدوا الله والنصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد
عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكريمه غزيتني الاعداء ان لم تجزي وقالوا سنفي بك وحيث
وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم
لهم قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفا
به ومحله الجار والمجرور الرفع على الابتدا على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية
اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك رضوان الله
عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذرهم سوا كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه اتقاهم التي هي المعاناة
بما ليس منا ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سياتي ومنهم اي وبعضهم او
وبعض منهم من ينتظر اي قضى نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم
فانهم مستمرون على نذورهم وقد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول
الاية الكريمة ومنتظرون قضا بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا
لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل
نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح وايا ما كان ففي وصفهم بانتظاره المنبي عن الرغبة
المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل
حيوان فمسخ الاستعارة وذهاب رونقها واخراج النظم الكريم عن مقتضى الكلام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا
وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اي تبديلا ما اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه
مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة
وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون
ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه
صلى الله عليه وسلم في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية
عايشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من
الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو
داع الى وقوع ما حكي من الاقوال والاحوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفا قولا وفعلا ويعذب المنافقين
بما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المحكية ان شا يعذبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي
التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السو كما قصد المخلصون بالثبات
والوفا العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما
يستفاد من قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الاية
فتامل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله
الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفسير بقية وتفصيل لتتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى
ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الى اخره واما على ارسلنا وقد
وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها
الركب وزلت منها الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال
لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم

ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اي ملتبسين به وقوله تعالى لم ينالوا خيرا متداخل او متعاقب او غير ظافرين
بخير او الثانيه بيان للاول او استيناف وكفى الله المومنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله
قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا على كل شي وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل
الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر
حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة
والاستعصا روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملايكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى قريظة
وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي
ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة
مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير
المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم
نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت
الانصار في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم
بدر فقال صلى الله عليه وسلم انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطئوها
اي وورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر
وكان الله على كل شي قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها
فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يكلمني وذهب يخاصمني وقام يهددني
امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ
بالرفع على الاستيناف روي انهن سالنه صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة
فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فنزل لا يحل لك
النسا من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق او انما كان تخيير لهن بين
الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن صلى الله عليه وسلم كما ينبي عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب
اخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال
عمر وابن مسعود رضي الله عنهما اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة
باينة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رحمهم الله تعالى وروي عن زيد
بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث تطليقات وهو قول الحسن
ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي اصلا وعليه اجماع فقها الامصار
وقد روي عن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق
عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف

مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله
وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله صلى الله عليه وسلم عنده تعالى والدار الاخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده
للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا تبلغ
غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن
شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل يا نسا النبي تلوين للخطاب
وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتنا بنصحهن ونداوهن هاهنا وفيما بعده بالاضافة اليه صلى الله عليه وسلم لانها التي
يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ
بفتح اليا والمراد بها كل ما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن
منه ما يشق عليه او يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين
اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة
عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبيا صلى الله عليهم وسلم بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف
على البنا للمفعول ونضاعف بنون العظمة على البنا للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا
لا يمنعه عن التضعيف كونهن نسا النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ
بالتا اي من يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى
على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل باليا حملا على لفظ من ويوتها على ان
فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نسا النبي لستن
كاحد من النسا اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة
واحدة من جماعات النسا في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وان
اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا
على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع
الذي في قلبه مرض فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث
او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الرا الاولى والقيت
فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقيل حذفت احدى راي اقررن
ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا
مثل تبرج النسا في الجاهلية القديمة وهي ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم
عليه السلام كانت المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام
والجاهلية الاخرى ما بين محمد وعيسى عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام ويويده قوله عليه السلام لابي الدردا ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال
بل جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات المالية والبدنية
واطعن الله ورسوله اي في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن
وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق الندا او المدح اهل البيت المراد بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار
والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح للتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى اية بينة وحجة
نيرة على كون نسا النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة

رضي الله عنها وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي رضي الله عنه فادخله فيه ثم جا الحسن والحسين
فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانه يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من
عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن
اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه ايات
الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلم والشرايع وهذا تذكير بما
انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحا الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتها والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب
لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الايات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير
بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوتهن وتلاوة
غيرهن تعلما وتعليما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر
والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب ان يصدق به
من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القايمين بها والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصايمين والصايمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب
ما عملوا من الاعمال المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا
عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة
روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير اما فينا خير
نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السايلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نسا النبي صلى الله عليه
وسلم ما نزل قال نسا المومنين فما نزل فينا شي فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مومنات
وفايدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهن هذه النعوت الجميلة وما كان لمومن ولا مومنة اي ما صح
وما استقام لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى
لتعظيم امره والاشعار بان قضاه صلى الله عليه وسلم قضا الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم ما شاوا بل يجب
عليهم ان يجعلوا ارايهم تبعا لرايه صلى الله عليه وسلم واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير لعموم مومن
ومومنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرئ
تكون بالتا ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا
اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي اذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه
للاسلام وتوفيقك بحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان
التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه صلى الله عليه

وسلم لما من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحيا او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جليلة لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك واتق الله في امرها ولا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفا وحده بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها • وقيل قضا الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه صلى الله عليه وسلم • وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لساير نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياكن • وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلا عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم في حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دليل على ان حكمه صلى الله عليه وسلم وحكم الامة سوا الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او بامره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبيا عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره • ولقد كان لداود عليه السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضا مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما ياتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم في ذلك لومة لايم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من الاحتراز عن لايمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه صلى الله عليه وسلم ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له صلى الله عليه وسلم لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعا حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذين ختموا به وقرئ بكسر التا اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان نبيا • ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا

كثيرا

كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون ساير الاوقات بل لابانة فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين ساير الاذكار مع اندراجه فيهما لكونه العمدة فيها وكلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم الى آخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتنا بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملايكة ودعاهم للمومنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره بنزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي ليعتني بامور كم هو وملايكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمومنين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المومنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بهم ما يفعل من الاعتنا باصلاحهم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المومنين مظهر موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تعالى اياهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتنا بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقايه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملايكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفايضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين ساير آثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم ترقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وساير ما هم عليه من الهدى والضلال وتوديها يوم القيامة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبساير ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره واطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال • وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة • وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المومنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مومني ساير الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذاهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكم

وكفى بالله وكيلا موكولا اليه جميع الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي ولما وصف صلى الله عليه وسلم بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد
صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة المبشر عليه وهو الامر بالتيسير حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة
الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه حيث انه عبارة
عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية
ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى
فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى التائين بالياء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة
حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة
وفائدته ثم ازاحة ما يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن
اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير
مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق
ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بها يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد
وايا ما كان فتقييد الاحلال له صلى الله عليه وسلم ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب
مهر المثل والمتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الاول والاولى له صلى الله عليه وسلم كتقييد احلال
المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء
امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه صلى الله عليه
وسلم خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه
فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة بالنصب عطفا
على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ
بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت
بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته صلى الله عليه وسلم استنكاحها كما نطق به
قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه صلى الله عليه
وسلم مجرى القبول وحيث لم يكن نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد
النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده صلى الله
عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وايراده صلى الله عليه وسلم في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان
بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به صلى الله عليه وسلم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة
لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيزة كالعاقبة والكاذبة او خلص
احلال ما احللنا لك من المذكورات كالقيود المذكورة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على ان الاولى ان الاحلال
المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم فيه احلال البعض المعقود على الوجه المعهود لهم وانما المتحقق

هنالك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم فيه احلال البعض المعقود
على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المراة او
الهبة خالصة لك لا تتجاوز المسلمين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا يجوز ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى
قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال
المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه
ما لم يفرض عليه صلى الله عليه وسلم تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم

وما ملكت ايمانهم عطف على ازواجهم
ومعنى ان لم يفرض عليهم فرضنا ما فرضنا على
ذلك الوجه بخصائك بعض الخصائص

لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله
عليه السلام لا لما دل ابتغاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا
رحيما لما يعسر التحرز عنه ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها
او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة
فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان كان يطلق او يمسك فاذا امسك
ضاجع او يترك وقسم او لم يقسم وروي انه ارجا منهن سودة وجويرية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء
كما شاء وكان ممن اوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع
ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك
اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي اقرب
الى قرة اعينهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن بدون ذلك تفضلا منك وجدت ذلك
وان رجحت بعضهن علموه انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ بضم التاء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين
وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان
الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها
فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي لوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من
بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعدهن اي التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل
من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل بحذف احدى التائين بهن
اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى
لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهن وهي عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية
وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث
المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي
تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وياباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن
فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلو بدل يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل
احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي هو من وظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج
المستبدلة وهو حال من فاعل ان تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك
بهن وقد قدر تخفيفه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر
بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه صلى الله عليه وسلم حسنهن واختلف ان الاية محكمة او منسوخة قيل
بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وقالت ام سلمة مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع

وكان الله علي كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحفظوا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الي حرامه يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته علي الناس من حقوق نساء النبي صلي الله عليه وسلم
اثر بيان ما يجب مراعاته صلي الله عليه وسلم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالي الا ان يؤذن لكم
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات
اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا علي ان الوقوع موقع الظرف
مختص بالمصدر الصريح دون المأول لا يقال اتيك ان يصيح الديك وانما يقال صياح الديك وقوله تعالي الي
طعام متعلق بيؤذن بتضمين معني الدعاء والاشعار بانه لا ينبغي ان تدخلوا علي الطعام بغير دعوة وان تحقق
الاذن كما يشعر به قوله تعالي غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا
علي ان الاستثناء واقع علي الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون
جاريا علي غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر اني الطعام اي ادرك
ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة علي ان المراد بالاذن
الي الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون
طعام النبي صلي الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز
لاحد دخول بيوته صلي الله عليه وسلم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستانسين لحديث
اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف علي ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا
مستانسين الي اخره ان ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه
وعلي اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالي
والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا
اخراجهم فينبغي الي ان يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالي وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ
لا يستحي بحذف الياء الاولي والقاء حركتها الي ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته صلي الله
عليه وسلم متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضي الله
عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه صلي الله عليه وسلم
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلي الله عليه وسلم ذلك
فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب
اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم
ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذي به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الي ما ذكر من ايذائه صلي الله عليه وسلم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه
من معني البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا
لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالي لشان رسول الله صلي الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفي ولذلك
بالغ تعالي في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن علي السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله
كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان
علي المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء
والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين
ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالي واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق او لانه اكتفي بذكرهما عن ابناء الاخوة

وابنا الاخوات

وابنا الاخوات فان [illegible] عدم لزوم هذا الاحتجاب بينهن وبين ابناء [illegible] العمومة والخؤولة
لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة
النور واتقين الله في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان علي كل شيء شهيدا
لا تخفي عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته يصلون وقرئ وملائكته بالرفع عطفا علي محل
ان واسمها عند الكوفيين وحملا علي حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده علي رأي البصريين علي النبي قيل الصلاة
من الله تعالي الرحمة ومن الملائكة الاستغفار قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلاة الله تعالي عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم فينبغي
ان يراد بها في يصلون معني مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح
امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولي به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل علي محمد وسلم
ونحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والاية دليل علي وجوب الصلاة والسلام عليه صلي الله عليه وسلم
مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جري ذكره لقوله صلي الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله صلي الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار ويروي انه صلي الله عليه وسلم
قال وكل الله تعالي بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالي وملائكته
جوابا لذلك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالي وملائكته
لذلك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره صلي الله عليه وسلم كما قيل في اية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه صلي الله عليه وسلم ان يصلي عليه كلما جري ذكره الرفيع اما الصلاة عليه في الصلاة
بان يقال اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد كما صليت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد فليست بشرط
في جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد
وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلاة علي غير الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا
جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة
حقيقة التاذي في حقه تعالي وقيل في ايذائه تعالي هو قول اليهود والنصاري والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول
صلي الله عليه وسلم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل
طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه صلي الله عليه وسلم خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل
لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالي فان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم
من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم
في الاخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتاذون به من فعل او قول وتقييده
بقوله تعالي بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذي
الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما الاذي هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا
وبينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال
الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكنهم ربما

كان يتبع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه للكل كما ذكر ولما بينا في
من اراجيف ارجفين يا ايها النبي بعدما بين حال سوء المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يامر
بعض المتاذين منهم بما يدفع اذاهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة
على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن
اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى
عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات
اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن
من التفريط رحيما بعباده حيث راعى من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه
من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما لا يستتبعه مما لا خير
فيه والمرجفون في المدينة من المرجفين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف
المتعلقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها
متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الاجلاء ولنحرضنك على ذلك
ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم
ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين
نصب على الشتم والحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا
سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم
السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لابتنائها
على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها لان المشركين
يسألونه صلى الله عليه وسلم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك
خطاب مستقل له صلى الله عليه وسلم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة
المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا
او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم
او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال
الجملة لما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والاجلة واعد لهم
مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يخلصهم يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل لقوله
لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى على النار او يطبخ في القدر فتدوره الغليان من
جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين ونقلب
وتقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها
اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون
متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فلن نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم

اومن نفسها او هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم
السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في
حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة
على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيل بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا اي تصديرا لدعاء بالنداء
مكررا في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب
وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه
ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا
عظيما فاظهر الله براءته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون
ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط
تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان
عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون
وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله صلى الله عليه وسلم وقولوا في كل شأن من الشؤون
قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا
من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي
من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل
الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن طاعة الله ما يوجبها
من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم
بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على ان حقوقها مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم على تلقيها
بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها من العرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن وعن عدم استعدادهن
لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها
من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة مراعاتها وكانت
ذات شعور وادراك والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة
والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض
بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها
بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياه يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو
اما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض
وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب
غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا
والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان

ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه قوله بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان الامانة ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة من رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتنا بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقدير الوعد الكريم الذي هو ينبي عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما تعظيم لشان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا • وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل الطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتها واتين بما امرها به لقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امر به انه كان ظلوما جهولا • وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا • ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمل ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته • وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضهن عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب الفوز على طاعتهم • قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر •

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل جميع المخلوقات كما مر في اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فايضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر جميع اختصاصه به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الاخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر به بالمحمود عليه ليس للاكتفا بذكر كونه في الاخرة عن التعيين كما اكتفى بما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله

الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعم الدنيا والاخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط • وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشيا ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الى اخره تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفاين والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وما العيون ونحوها وما ينزل من السما كالملايكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها كالملايكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطا لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الى اخره ايراد للتاكيد والتشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفا هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كاينة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتدا والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الرا على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ذرة ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الامتناع الصرف لان الاستثنا يمنعه الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شي الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر انفا ومن في قوله تعالى من رجز قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علما الامة او من امن من علما اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهم رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القران هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى وقوله تعالى ويرى الى اخره مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولوا العلم

عند مجي الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار ليعلموا يومئذ انه الحق فيزدادوا حسرة وغما **ويهدي** عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويل كقوله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق هاديا **الى صراط العزيز الحميد** الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار من المبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال ٭ نجوت وارهنهم مالكا ٭ **وقال الذين كفروا** هم كفار قريش قال مخاطبا بعضهم لبعض **هل ندلكم على رجل** يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما نكروه بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى **ينبئكم** اي يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبيكم من الانبا **اذا مزقتم كل ممزق** اي اذا متم ومزقت اجسادكم كل ممزق وفرقت كل تفريق بحيث كنتم ترابا ورفاتا **انكم لفي خلق جديد** اي مستقرون فيه عدل اليه عن الجمل الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون اي تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا تعمل فيما قبلها وجديد فعيل فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعني مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع **افترى على الله كذبا** فيما قاله **ام به جنة** اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترتيب على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافترا اخص من الكذب **بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد** جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما نسبوا في حقه صلى الله عليه وسلم كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ما يترتب عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة لان علة ما اجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض** استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب ايات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه صلى الله عليه وسلم وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث والهمزة للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **ان نشا** الى اخره بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشا جريا على موجب جناياتهم **نخسف بهم الارض** كما خسفناها بقارون **او نسقط عليهم كسفا** اي قطعا **من السماء** كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين **ان في ذلك** اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر **لاية** واضحة **لكل عبد منيب** شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى **ولقد اتينا داود منا فضلا** اي اتيناه لحسن انابته وصحة توبته

فضلا عن سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومن للتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **يا جبال اوبي معه** من التاويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يمثل له ذلك ٭ وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام ٭ وقيل كان ينوح على ذنبه ترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا **والطير** بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان او جامد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب **والنا له الحديد** اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية **ان اعمل** امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية بالنسبة الى حذف منها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف ما لا يخفى **سابغات** واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت اولا صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسال الناس ما يقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال لعند ذلك ساله ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع ٭ وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقرا **وقدر في السرد** السرد نسج الدروع اي قصد في نسجها بحيث يتناسب حلقها ٭ وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان درعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى **واعملوا صالحا** عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله **اني بما تعملون بصير** تعليل للاوامر ولوجوب الامتثال بها **ولسليمان الريح** اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة **غدوها شهر ورواحها شهر** اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي مسيرة شهر كذلك والجملة اما مستانفة او حال من الريح ٭ وقرئ غدوتها وروحتها ٭ وعن الحسن رحمه الله كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح ٭ وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ٭ ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا بمنزلة بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه ٭ وغدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى **واسلنا له عين القطر** اي النحاس المذاب اسالة من معدنه كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى **ومن الجن من يعمل بين يديه** اما جملة من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدم **باذن ربه** بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى **ومن يزغ منهم عن امرنا** اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه **نذقه من عذاب السعير** اي عذاب النار في الاخرة

روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له**
ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى **من محاريب** الى آخره بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن
شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها **وتماثيل** وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه
فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد فيراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي
انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما **وجفان** جمع جفنة وهي الصحفة **كالجوابي** كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها
وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل **وقدور راسيات**
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود شكرا** حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول به
اي اعملوا شكرا **وقليل من عبادي الشكور** اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
وروي انه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان
من آل داود قائم يصلي **فلما قضينا عليه الموت** اي على سليمان **ما دلهم** اي الجن وآله **على موته الا دابة الارض**
اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت
ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا **تأكل منسأته** اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة واخراجها بين بين عند الوقف ومنساءة
على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه منساة العرب وفيه لغتان كما في قحة بالكسر وقرئ منساته
فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء اذا علمته بعد التباسه اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم **ان لو كانوا**
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام
حيث ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا كاملا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر ويحكى اي ظهرت الجن وان مع ما في
حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى آخره وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المبين
في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل
وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين
فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم
فبنوا عليه صرحا من قوارير فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا
من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن
ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام خر ميتا ففتحوا عليه
فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في كل يوم وليلة
مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة
سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبا** بيان لاخبار
بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين بها اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف
على انه اسم القبيلة وقرئ بقلبها الهمزة الفا ولعله اخراج لها بين بين **في مساكنهم** وقرئ بكسر الكاف كالمسجد
وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال **آية** دالة على خالق
احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء
ومعاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام **جنتان** بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف

اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال**
جماعة عن يمين وجماعة عن شمال كل واحد من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا
كان لرجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** حكاية لما قيل لهم على لسان
نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك **بلدة**
طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب
البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل
مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شيء **فاعرضوا** عن الشكر بعد اياته الآيات الداعية
لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم
فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السد الذي يحبس الماء وقيل
هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار
وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ
الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله على سدهم فنقبه فغرق بلادهم
وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم واتيناهم بدلهما **جنتين ذواتي اكل خمط** اي ثمر بشع فان
الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمر شجرة يقال لها
فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف
المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وتخفيف اكل **واثل وشيء من سدر قليل** معطوفان على
اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين
قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر
صنفان صنف يوكل ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا توكل اصلا ولا ينتفع بورقه
وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم **ذلك** اشارة الى المصدر قوله تعالى **جزيناهم** او الى ما ذكر من التبديل
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل
المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل
جزيناهم لا غيره **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم
بالرسل **وهل يجازى الا الكفور** اي وما يجازى هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل نجازي على البناء للمتكلم ورفع الكفور وهل يجازي على البناء للمفعول ايضا
وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفر وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى **وجعلنا**
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما
فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا
لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة
باحوالهم وباجزيتها اي وجعلنا مع ما اتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين
القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين **قرى ظاهرة** اي متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين

أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى يخفى عليهم وقدرنا فيها السير أي
جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في
أخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيراً لها في
الحضر والسفر سيروا فيها على إرادة القول أي وقلنا لهم سيروا فيها في تلك القرى ليالي وأياماً أي متى شئتم
من الليالي والأيام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت
مدة سفركم وامتدت ليالي وأياماً كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على
تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك فقالوا ربنا باعد
بين أسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وبشموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب
بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كانت جناتنا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا الله
تعالى أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز وقفاراً يركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء
فعجل الله لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعاً لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد
بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها
ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله
تعالى ويتحازنون عليه وظلموا أنفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها فجعلناهم
أحاديث أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم
كل ممزق أي فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص
بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقاً لا غاية وراءه
يضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل
قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثنا عشر أباً وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء
أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن أبي زيد الأنصاري أن عمراً رأى جرذاً يحفر
السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهناً وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد
إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل عليه السلام
وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى
أصقاع البلاد يطلبون له موضعاً يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت
منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولاً فأصابتهم الحمى فاضطروا إلى الخروج وقد رجع
إليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو
الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة المدينة وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت
خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي أمر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم أولاد إسماعيل
عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فروة بن مسيكة
العطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال صلى الله عليه وسلم هو رجل كان له عشرة أولاد ستة سكنوا اليمن
وهم مذحج وكندة والأزد والأشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام
وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيادي سبا شذر مذر فنزلت طوائف بالحجاز فمنهم
خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود
بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخرى بالشام وهم الذين
تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور

على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر
وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله أعلم إن في ذلك أي فيما ذكر من قصتهم
لآيات عظيمة لكل صبار شكور أي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم
وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي حقق عليهم ظنه أو وجده
صادقاً وقرئ بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق فظن ظنه ونحو تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه نوع من القول
وقرئ بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقاً ومع التخفيف بمعنى قال لهم الصدق حين غواهم
وبرفعهما والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات أو ببني آدم حين شاهد أباهم عليه السلام
قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف منه عزماً وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء وقال لأضلنهم ولأغوينهم فاتبعوه أي أهل سبأ أو الناس إلا فريقاً من المؤمنين إلا فريقاً هم
المؤمنون لم يتبعوه وعلى أن من بيانية تقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان أي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى إلا لنعلم من يؤمن
بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة أي وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا
بمن يؤمن ومن يؤمن بالآخرة متميزاً ممن هو منها في شك تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء أو إلا لنميز المؤمن من الشاك
أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ
أي محافظ عليه فإن فعيلاً ومفاعلاً صيغتان متآخيتان قل أي للمشركين إظهاراً لبطلان ما هم عليه وتبكيتاً
لهم ادعوا الذين زعمتم أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولان ثم حذف الأول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام
صفته أعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل إلى جعله ثانياً لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاماً ولذلك لا يفهم
لا يزعمون والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعاراً
بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السماوات ولا في
الأرض أي في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم عرفاً أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية
كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم أي لآلهتهم
فيهما من شرك أي شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً وما له أي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير
أمرهما ولا تنفع الشفاعة عنده أي لا توجد رأساً كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده إلا بإذنه وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى إلا
لمن أذن له استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له في الشفاعة
من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة المستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صواباً ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشافعين المستأهلين لها في حال
من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أي لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة وأما من عداهم من غير المستحقين لها
فلا ينفعهم أصلاً وإن فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم
فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حين حرموها من جهة
القادرين على الشفاعة بعض المحتاجين إليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرئ أذن له مبنياً للمفعول حتى إذا
فزع عن قلوبهم أي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل
وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل والتفزيع إزالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى
غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع الإذن لمن أذن له فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار
للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع كلياً حتى

اذ ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع للشفعا لانهم المباشرون للايتان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعا قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبريا ليس لاحد من اشراف الخلايق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البنا للفاعل هو الله وحده وقرئ فرغ بالرا المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شي وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرفيه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الرا واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر صلى الله عليه وسلم بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى وانهم لا ينكرونه كما ينطق عنه قوله تعالى قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتيه ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى مراتب الامكانيه لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعدما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشيا ويتطلع عليها او الضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المتعلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركا اي الحقتموهم اريد بامرهم بارادة الاصنام مع كونها بمراى منه عليه السلام اظهار خطاهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اي اروني بها لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شي في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشيا واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتا للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزا يعنون به المبشر به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستاخرون عنه ساعة عند مفاجاته ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد ريبا به مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على

البعث

البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الى اخره اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا اي يتحاورون واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مومنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا وجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صددنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغوا مكرا دايما لا يفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صددنا مكركم الاغوا في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه فالنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغوا مكر الليل والنهار اي مكرا دايما وقوله تعالى اذ تامروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدايم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على ما يوجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزا ما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جا به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المومنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال اهل مكة في حقه صلى الله عليه وسلم وكادوا به نحو ما كادوا به صلى الله عليه وسلم وقاسوا امور الاخرة الموهومة والمفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المومنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بنا على انتفا العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ان يبسط له ويقدر على من يشا ان يقدر عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلا ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق

التنوين او الالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقريره ما سبق اي وما جماعة اموالكم ولا اولادكم بالجماعة التي تقربكم
عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث او بالخصلة التي تقربكم عندنا وقرئ بالذي
اي بالشيء الذي الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المومن
الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورسخهم على الطاعة وقيل
من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الاموال الى اخره فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو مرتبتهم
وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم
ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء
الضعفه بالرفع بدله من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة امنون من جميع المكاره
وقرئ بفتح الراء وبسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها مساعين
سابقين فيها لانشائها او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه اخرى فلا تخشوا
الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا
وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا اي المستكبرين
والمستضعفين يوم ظرف لمضمر متاخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني الى اخره واقناطا
لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب
منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال
سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال
الملائكة كانه قيل فما تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم
والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم
بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون
الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة
فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال
للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم
وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم
على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه وتسمية عدم النفع والضر الى البعض
المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم
كان نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا
اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك
اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف
على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للقبله حينئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يحشرهم جميعا ثم نقول

للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يطيق به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات لبعض اخر من كفرانهم
اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم اياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا
يعنون الرسول صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه
من غير ان يكون هناك دين الاهي واضافة الاباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة
في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم الا افك اي كلام مصروف
عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة والاسلام
او القران على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر وتامل
ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الفاسد الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
وما اتيناهم من كتب يدرسونها وفيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد
الدال يفتعلون من التدريس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا
وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه بان ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لهم ثم
هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا
معشار ما اتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال وما بلغ اولئك
عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الى اخره بطريق التفصيل والتفسير
لقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الى اخره فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثله
قل انما اعظكم بواحدة اي ما ارشدكم واي وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله
على انه بدل منها وبيان لها او خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنتصبوا
للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان
ثم تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة
استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك
الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او
مويد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه صلى الله عليه وسلم ارجح العالمين عقلا واصدقهم
قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف
وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله من معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة
وقد يجوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا في اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه صلى الله عليه وسلم مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال راسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني
شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرابة
صلى الله عليه وسلم قرابتهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي
وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به

الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق **علام الغيوب**
صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب
صفة لربي او مقدر وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب **قل جاء الحق** اي الاسلام والتوحيد
وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك
لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد • اقفر من اهله عبيد • فليس يبدي ولا يعيد •
وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها **قل ان ضللت** عن الطريق الحق **فانما اضل على نفسي** فان وبال ضلالي
عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى **وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي** لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء **انه سميع قريب** يعلم قول كل
من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما **ولو ترى اذ فزعوا** عند الموت او البعث او يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا هائلا **فلا فوت** فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او بحصن **واخذوا من مكان قريب** من ظهر الارض
او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت
على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ بالعطف على محله فلا فوت هناك وهناك اخذ **وقالوا امنا به**
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم **وانى لهم التناوش** التناول السهل اي ومن
اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا **من مكان بعيد** فانه في حيز التكليف وهو منهم بمعزل بعيد وهو تمثيل لحالهم
في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من علوه تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من باب ناشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول
من بعد فوطهم ناشت اذا ابطات وتاخرت • ومنه قول من قال •
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور •
وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه **من قبل** من قبل ذلك في اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن
وفي العذاب المذكور من بت القول بنفيه **من مكان بعيد** من جهة بعيدة من حاله صلى الله عليه وسلم حيث
ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى السحر والكذب وان ابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب
ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على
ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون
تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان والدنيا **وحيل بينهم وبين ما يشتهون**
من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء **كما فعل باشياعهم من قبل** اي باشباههم من كفرة
الامم الدارجة **انهم كانوا في شك مريب** اي موقع في الريبة اي ذي ريبة مسند مجاز ويجوز ان يكون مريبا من
الاعيان والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم • عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا • والله اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما
منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو

قليل في المشتق **جاعل الملائكة** الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى **رسلا** منصوب به على الوجه
الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل
اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا بمعنى اللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني
لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه
المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم
وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة اي بينه تعالى وبين خلقه ايضا بحيث يتوصلون اليهم اثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل
تصييرا اما على كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين **اولي اجنحة** صفة لرسلا واولوا
اسم جمع كذوا كما ان اولا اسم جمع كذا ونظيرها في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع**
صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او
يسرعون بها والمعنى ان الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة لكل منهم ثلاثة وخلقا اخر لكل منهم
اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منهم يطيرون
فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ان يتراءى له في صورته
فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج عنه صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه السلام
في صورته فغشي عليه صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى
بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر
جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود
مثل الوصع وهو العصفور الصغير **يزيد في الخلق ما يشاء** استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة
ويؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذاتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء
ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص
بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر
فيهما وقوله تعالى **ان الله على كل شيء قدير** تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء
مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد ما يشاء ايجابا بينا **ما يفتح الله للناس من رحمة** عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس
الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اي
رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به **فلا ممسك لها** اي لا احد يقدر على امساكها
وما يمسك اي اي شيء يمسك **فلا مرسل له** اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضمير لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة
ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه **من بعده** اي من بعد
امساكه **وهو العزيز** الغالب على ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك **الحكيم** الذي يفعل كل ما يفعل
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي
عليها يدور امر التكوين وبعدما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون
لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمائه فقال **يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم** اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها
بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة
في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري

ان هل

قال الشيخ خالد اذا دخلت على مبتدا لا تخبر عنه بحرف جر

تقديره لكم ونحوه وقال الجلال المحلي خبر المبتدا يرزقكم

المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال **هل من خالق غير الله** اي خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدا محذوف
الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب
على الاستثناء وقوله تعالى **يرزقكم من السماء والارض** اي بالمطر والنبات كلام مبتدا على التقادير لا محل له من الاعراب
داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل ومجرورة به لان معناه نفي وجود
خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا ترى الى قوله تعالى
لا اله الا هو فانه استيناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث
كان هذا ناطقا بنفي الوجود وتعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفا في قوله تعالى **فانى تؤفكون** لترتيب انكار
عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه
تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى **وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك** تلوين وتوجيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليته صلى الله عليه وسلم لعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد
والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتاس
بتلك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفا بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير
الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير **والى الله ترجع
الامور** لا الى غيره فيجازي كلا منكم ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار
على ذكر اختصاص الرجع بالله تعالى مع ابهام الجزا ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع
بفتح التا من الرجوع والاول ادخل في التهويل **يا ايها الناس** رجوع الى خطابهم وتكرير الندا لتاكيد العظمة والتذكير
ان وعد الله المشار اليه مرجع الامور اليه تعالى من البعث والجزا **حق** ثابت لا محالة من غير خلف **فلا تغرنكم
الحياة الدنيا** بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم
عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في لا ارينك ههنا **ولا يغرنكم بالله** وعفوه وكرمه تعالى **الغرور**
اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قايلا اعملوا ما شيتم ان الله غفور يغفر
الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل
النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد
ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام **فاتخذوه عدوا** بمخالفتكم له في عقايدكم
وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى **انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير** تقرير لعداوته
وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم
ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاوهم في العذاب
المخلد من حيث لا يحتسبون **الذين كفروا لهم** بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم خطواته **عذاب
شديد** لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه **والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم** بسبب ما ذكر من الايمان
والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان **مغفرة** عظيمة **واجر كبير** لا غاية لهما **افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا** اثار تقرير لما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين
والفا للانكار وترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف
لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى **فان الله** تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشية الله تعالى فانه تعالى
يضل من يشا لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فرده اسفل سافلين **ويهدي من يشا**
اي يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلا عليين ولما تمهيد لما يعقبه من نهيه صلى الله عليه وسلم عن التحسر

ولا تحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل بان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي بعد ما علم
كما ذكر لا تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** دلالة بينة وانما
تمهيد لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان
استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك
فيه نقبل الهداية حتى يطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله
يضل من يشا الى اخره على انه من شا الله تعالى ان يضله الله ان يضله فمن يجيب من اضل الله وما لهم وقرئ فلا تذهب
نفسك وقوله تعالى **حسرات** مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه
صلى الله عليه وسلم على احوالهم وعلى كثرة قبايح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر عليهم صلة تذهب كما يقال
هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه
صلته وانما حال كون كلها صارت حسرات وقوله تعالى **ان الله عليم بما يصنعون** اي من القبايح تعليل
لما قبل على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة
والله الذي ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى **فتثير سحابا** حكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك
الخاصية ولذلك اسند اليها والدلالة على استمرار الاثارة **فسقناه الى بلد ميت** وقرئ بالتخفيف **فاحيينا
به الارض** اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب
فانه سبب السبب **بعد موتها** اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون
العظمة المنبي عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احيا الارض وبين البعث الذي
شبه به بقوله تعالى **كذلك النشور** في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اي مثل ذلك الاحيا الذي تشاهدونه احيا الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاتي من غير تفاوت بينهما
اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحيا يرسل الله تعالى من تحت العرش فتنبت به اجساد
الخلق **من كان يريد العزة** هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دونه
الهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين
اوليا من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى
عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب طلبها به تعالى وقوله تعالى **اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما او تقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به
كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي يطلب العزة
لا الى الملايكة الموكلين باعمال العباد وهو يعرض صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه المتكلم فان مدار
قبول العمل هو التوحيد ويويده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية
الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء والصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعاء والاستغفار وقراة القران وعنه صلى الله عليه وسلم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السما فحيا به وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله
الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فصعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملايكة الا استغفروا لقايلهن حتى يحيى

بين وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الي اخره والذين يمكرون السيئات بيان
لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واصلها بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات علي انها صفة
للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلي الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم
الراي في احدي الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكرهم عذاب شديد لا يقادر قدره
ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من
الشر والفساد عن ساير المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معني البعد للتنبيه علي ترامي امرهم في الطغيان
وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به صلي الله عليه وسلم هو يبور
اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم الله تعالي بعد ابادة مكرهم حيث اخرجهم من مكة
وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه صلي الله عليه وسلم بواحدة
منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر علي صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق ادم عليه السلام
خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا
اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه
الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد
من عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد علي طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن علي
معني لا ينقص من عمر بل علي كونه زايدا بل علي معني لا يجعل من الابتدا ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد
باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب في اللوح ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه
اشار صلي الله عليه وسلم الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره
وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا الي ان
ياتي علي اخره وقري ولا ينقص علي البنا للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه حير
العقول والافهام علي الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سايغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمومن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسايغ الذي يسهل انحداره
لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقري سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالي ومن كل
اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون اي من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد
في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعني كما انهما وان اشتركا في بعض الفوايد
لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الما ولما خالط احدهما ما افسده وغيره عن
كمال فطرته لا يساوي الكافر المومن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو
الخاصية العظمي لبقا احدهما علي فطرته الاصلية وحيازته لكمال اللايق دون الاخر وتفضيل للاجاج علي الكافر
من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية علي طريقة قوله تعالي ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللولو والمرجان وتري الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير
الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتاتي منه الروية دون المنتفعين بالبحرين فقط
مواخر شقاق للما بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالي بالنقلة فيها
واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون اي تشكروا علي ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالي يولج الليل في النهار ويولج

النهار

النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزا كل منهما الي الاخر وسخر الشمس والقمر عطف علي يولج
واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما
المتعدد والمتجدد اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالي كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية علي المدارات
اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا لاجل مسمي قدره الله تعالي لجريانهما وهو يوم القيامة
كما روي عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمي عن منتهي دورتهما
ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الي فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه
من معني البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه
الصنايع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة علي ان ابداعه تعالي لتلك البدايع فيما يوجب ثبوت
تلك الاخبار له ما لا يخفي ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في مقابلة قوله تعالي والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة علي تفرده تعالي بالالوهية والربوبية وقري يدعون بالياء التحتانية والقطمير
لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله
كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا علي الفرض والتقدير ما استجابوا
لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لما قيل انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا
ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور
دون ساير المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء
الي الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم
وشدة احتياجهم هم الفقرا وان افتقار ساير الخلايق بالنسبة الي فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال
تعالي وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني علي الاطلاق المنعم علي ساير الموجودات
المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا علي صفتكم بل مستمرون علي الطاعة او بعالم اخر
غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين علي الله بعزيز بمتعسر ولا متعذر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس اثمه وزر اخري اثم نفس اخري بل انما يحمل كل منهما وزرها واما في قوله تعالي
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم كلاهما
اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شي وان تدع مثقلة اي نفس اثقلتها الاوزار الي حملها لتحمل بعض اوزارها
لا يحمل منه شي لم تجب بحمل شي منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربي ذا قرابة من الداعي وقري
ذو قربي وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر
اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالي غايبين من عذابه او عن
الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غايب عنهم واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هولاء من قومك لا من عداهم من اهل التمرد والعناد
ومن تزكي اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتاثر من هذه الانذارات فانما يتزكي لنفسه مبادي
التزكي والي الله المصير لا الي احد غيره استقلالا فيجازيهم علي تزكيتهم احسن الجزا وما يستوي الاعمي
والبصير اي الكافر والمومن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات جمع افراد
النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا
علي المتقابلين لتذكير نفي الاستوا وتوسيطها بينهما والحرور فعول من الحر غلب علي السموم وقيل السموم ما يهب
نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحيا ولا الاموات تمثيل اخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول

ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين قيل تمثيل للعلما والجهلة ان الله
يسمع من يشا اي يسمعه ويوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل
المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه صلى الله عليه وسلم في ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك
الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظايفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك
اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق وان من
امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم
والاكتفا بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا انفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام
وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية
جاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب
المنير كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير
العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة
الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تهويل وتشديد لها الم تر استيناف مسوق لتقرير
ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد
والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به بذلك الما والالتفات لاظهار
كمال الاعتنا بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبي عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها
واوصافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هياتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها
وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرايق ويقال جدة الحمار للخطة السودا
وقري جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها
بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد ومنها ما هو على لون
واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن
حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة • والمومن العايذات الطير يمسحها •
وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف
اي ومنهم بعض مختلف الوانه على ما مر من قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع
مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان
اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما
اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفا علق بالرؤية
بطريق الاستفهام التقريري المنبي عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما
فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي
اكد بقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كاينا كذلك اي كاختلاف الثمار
والجبال وقري الوانها وقري والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقا الساكنين وقوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلما تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه
عز وجل من الناس بعد بيان طبقات اختلافهم اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف
المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها
اللايق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة
وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى له عز وجل

كما قال صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان
الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر
انعكس الامر وقري برفع الاسم الجليل ونصب العلما على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتايب عن عصيانه
ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله تعالى القران وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين
منهم وليس بذلك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما
لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما
لا سبيل اليه وكيف والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقران الناسخ لما بين يديه من الكتب والغرض
لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعهما لما ذكر من الفوايد المعظمة مما يورث الرغبة في
تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس الا حكمها
لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القران اما تلاوتها فبمعزل من المشروعية والاستتباع الاجر بالمرة فتدبر
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر
في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى
لن تبور اي لن تهلك ولن تكسد بالخسران اصلا صفة جي بها للدلالة على انها ليست كساير التجارات الداير
بين الربح والخسران لانه اشترى باق بفان والاخبار برجايهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول
مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله
تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزاين رحمته ما يشا وقيل بمضمر دل عليه
ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الى اخره وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور
شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليها وقيل
هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القران ومن
للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتدا هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله
بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة ما اوحي مثل هذا المعجز
الذي عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا
بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه
عنهم فاعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علما الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم
او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم وسطا ليكونوا شهدا على الناس وخصهم
بكرامة الانتما الى افضل رسله عليه الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته
لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير بالعمل به وهو
المرجا لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه
علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها
وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سياته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اما الذين سبقوا فاوليك

يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وجل لا ينال
الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير تنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها وعلى
الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر والسكوت عن
الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي
في ادراك شان السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء
للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار
من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من
لؤلؤ او من ذهب في صفا اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر في سورة الحج وقالوا الحمد لله اي
يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس
حزن الآفات والاعراض وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعايش وقيل حزن زوال النعمة
والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدنيا والدين وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة
التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا
فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني
مع استلزام نفي الاول وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل
وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون فيها والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر
المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور
للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن
تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم اولم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر
اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وعن علي رضي الله عنه هو العمر
الذي عذر الله تعالى فيه الى ابن آدم قال صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى
وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا
الى آخره لانه في معنى قد شرحنا الى آخره والمراد بالنذير صلى الله عليه وسلم وما معه من القرآن وقيل العقل وقيل
الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات
والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه
احوالهم انه عليم بذات الصدور وقيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون

كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفا
والمعنى انه تعالى جعلكم خلفا في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفا
ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية
وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم او بغضه الشديد
الذي ليس وراءه خزي وصغار والخسار خسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله تعالى من غير ان يكون له اصل ما
اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك
في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم
كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الى آخره وقرئ على بينات وفيه
ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء
للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما وما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة
مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي
تستوجبها جنايتهم امسكهما وكانت جديرة بان تهدّ هدّا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم من الامة
التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير اي نذير اشرف الرسل
عليهم الصلاة والسلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا
او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعل
اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ مكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون
الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب
غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم
العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي
مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد
على ما قبله من جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار
ديارهم الماضية الهالكة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا
في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول
اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى وما كان الله

ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استيصال الامم السابقه
وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل
لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنهما
ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له
من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب
على انه مفعول لفعل مضمر وعليه مدار قراءة يس بالنصب والرفع اي هذه ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم
لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل
هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كان من هذه الفواتح
مفردة مثل ص وق ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طس وياسين وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها
الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد به ذلك
قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره
والقرآن الحكيم بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم
اي المتضمن للحكمة والناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم
قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما صدر
في سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه صلى الله عليه وسلم
لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه في قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته صلى الله
عليه وسلم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء
استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى
على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور وعلى انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن
التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته صلى الله عليه وسلم اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي
والوصف اثر بيان انه صلى الله عليه وسلم من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر عنه
القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عنده عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته
الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة
حث على الايمان به ترغيبا وترهيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق
لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير فيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل

على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي ارسلناك لتنذر كما في قوله تعالى وقيل هو متعلق بما يدل عليه انك لمن المرسلين
اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم صفة لقوما اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة
على انها ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار والذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون
على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا كانذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا
لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذار آبائهم فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه
والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر
او بما يفيده انك لمن المرسلين تارة لتعليل انذاره صلى الله عليه وسلم او ارساله لغفلتهم المحوجة اليهما على ان
الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم لامتداد المدة والاخبار وقيل
لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون
من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم
في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد
بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لأغوينهم اجمعين لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو
المعني بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع
فيه الحكم بادخال جهنم على تبعية ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على الذين عبر عنهم
باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم
اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول
وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال
الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم ايضا وهم
بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا
عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا
واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا
كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة
والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم
وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رسول الله صلى الله عليه رأى
وسلم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو صلى الله عليه وسلم يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه
بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون
استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون
الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر
اي القرآن بالتأمل فيه والوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف
مقامه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم
قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم

فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفا لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر
والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشان عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطوا اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم
وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا
اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس
وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من الوجوه البر ومن السيئات كتاسيس قوانين
الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشر التي احدثوها وسنوها
لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البنا
للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كاينا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر
لجميع الاشياء مما كان ومما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا
امراة نوح وامراة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة كما في قوله تعالى
وضربنا لكم الامثال اجرا على الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل
اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان
لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة
هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون
بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله
اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي فقوينا يقال عزز المطر الارض
اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد
ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار
لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام
اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا
نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فشفي فامن حبيب على ايديهما وفشا
الخبر فامن على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك
فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا حتى بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست
رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك
فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين ينظر بهما فقال شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك
سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون
انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام فقال اني ادخلت
في سبعة اودية من النار وقال انا احذركم ما انتم فيه فامنوا قال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن
وامن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم

الكريم

الكريم وسياقه ثم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر
مومن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم
قتلوا في ذلك او قتلوا كدابا النجار الشهيد وكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك
بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا تعذرا من الاعتذار قالوا اي اهل انطاكية الذين
لم يومنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم
الا تكذبون في دعوى الرسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري
مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة
الانكار وما علينا من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بالآيات الشاهدة
بالصحة وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب به من جهتكم
الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا منكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق
شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين
او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة شر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم
وان لم يومنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم
هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شؤمكم
معكم لا من قبلنا وهو عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين
وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وبغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي ليس الامر
كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم
وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم
وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي غيره عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل
عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا
المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها
نحو قبول نصيحته اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم
في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في
الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد
تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبي عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد
ثم عاد الى المساق الاول فقال أاتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا ينفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك
الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه
بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردني بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني
مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شانه

نعم ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا مجير الا غيره ضلال بين لا يخفي علي احد ممن له تمييز في الجمله اني امنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكد لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتدا بهم كانه قال بربكم الذي تدعوننا الي الايمان به فاسمعون اي فاسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالي وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الي ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه علي بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهدا وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالي الي الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشري بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الي بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حاله ومآله كانه قيل كيف كان لقا ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالي فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب نشا من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك المراتب السنيه فقيل قال الي اخره وانما تمني علم قومه بحاله ليحملهم ذلك علي اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا علي سنن الاوليا في كظم الغيظ والترحم علي الاعدا او ليعلموا انهم كانوا علي خطا عظيم في امره وانه كان علي الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقري من المكرمين وما موصوله او مصدريه والبا صلة يعلمون او استفهاميه وردت علي الاصل والبا متعلقة بغفر اي باي شي غفر لي ربي يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة علي اذيتهم وما انزلنا علي قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السما لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايما الي تفخيم شان الرسول صلي الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السما لما انا قدرنا لكل شي شيا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصايصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصوله معطوفه علي جند اي ومما كنا منزلين علي من قبلهم من حجارة وريح شديدة وغيرهما ان كانت ايما كانت الاخذه والعقوبه الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقري الصيحة بالرفع علي ان كان تامه وقري الا زقية واحدة من زقا الطاير اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ۞ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

يا حسرة علي العباد فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضر فهي مما دل عليه قوله تعالي ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصايحهم سعادة الدارين احقا بان يتحسر ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف علي حالهم الملايكه والمومنون من الثقلين وقد يجوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالي بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه علي انفسهم ويويده قراءة يا حسرتا لان المعني يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادي محذوف وقري يا حسرة العباد بالاضافه علي الفاعل او المفعول ويا حسرة علي العباد باجرا الوصل مجري الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالي كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا تعمل فيها قبلها وان كانت خبريه لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون

بدل من كم اهلكنا علي المعني اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين انفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقري بالكسر علي الاستيناف وقري الم يروا من اهلكنا والبدل حينيذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الي الحشر بعد بيان عدم الرجوع الي الدنيا وان نافيه وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعني الا وجميع فعيل بمعني مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعني ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزا وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقري لما بالتخفيف علي ان ان مخففه من الثقيله واللام فارقه وما مزيدة للتاكيد والمعني ان كلهم مجموعون الي اخره واية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقري بالتشديد قوله تعالي اية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعني العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا والميته صفتها وقوله تعالي احييناها استيناف مبين لكيفية كونها اية وقيل اية مبتدا ولهم خبرها والارض الميته مبتدا موصوف واحييناها خبره والجمله مفسرة للاية وقيل الارض مبتدا واحييناها خبره والجمله خبر لاية وقيل الخبر لها هي الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينه والاول هو الاول لان مصب الفايده هو كون الارض اية لهم لا كون الاية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة علي ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال علي النوع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقري بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيده علي راي الاخفش لياكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي وجعلنا فيها جنات من نخيل وزينا مبادي اثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجرا الضمير مجري اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالي بطريق الالتفات الي الغيبة والاضافه لان الثمر بخلقه تعالي وقري بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمه وسكون وما عملته ايديهم عطف علي ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافيه والمعني ان الثمر بخلق الله تعالي لا بفعلهم ومحل الجمله النصب على الحاليه ويوكد الاول قراءة عملت بلا ها فان حذف العايد من الصله احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفا للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها استيناف مسوق لتنزيهه تعالي عما فعلوه من ترك شكره علي الاية المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصله من بدايع اثار قدرته واسرار حكمته وروايع نعمايه الموجبه للشكر وتخصيص العبادة به والتعجيب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والما اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه علي المصدريه ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقلا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الي التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال عن الجنس الي الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الي الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه الي الذات القدسيه فالمعني تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به والجمله علي هذا اخبار من الله تعالي ببراءته وتنزهه عن كل ما لا يليق به بما فعلوه وما تركوه وعلي الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمومنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به ما ينبت فيها من الاشيا المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالي ويخلق ما لا تعلمون

لما يبطنه ونوضحه على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه **وآية لهم الليل** جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى **نسلخ منه النهار** جملة مبنية لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس منه الشاة المسلوخة **فاذا هم مظلمون** اي داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض **والشمس تجري لمستقر لها** لحد معين تنتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة • قال •

• صبرى لها في الجو تدويم • او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا تطلع في كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** المحيط علمه بكل معلوم **والقمر قدرناه منازل** بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له **منازل** وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون • الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزباني • الاكليل • القلب • الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون القديم** كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون **لا الشمس ينبغي لها** اي يصح ويتسهل لها **ان تدرك القمر** في سرعة السير فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان او في الاثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها **ولا الليل سابق النهار** اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره **وكل** اي وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها **في فلك يسبحون** يسيرون بانبساط وسهولة **وآية لهم انا حملنا ذريتهم** اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع **في الفلك المشحون** اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل اباهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص عقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية **وخلقنا لهم من مثله** من مثل الفلك **ما يركبون** من الابل فانها سفائن البر او مما يماثله من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها مصنوعا للبشر ليس لمجرد كون صنيعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار **وان نشأ نغرقهم** الى اخره من تمام الاية فانهم معترفون لمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل

دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى بهم اي ان نشأ نغرقهم في مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به في خلال الاية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق **فلا صريخ لهم** اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى **الا رحمة منا ومتاعا** استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون بشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة الدنيا مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع **الى حين** اي الى زمان قدر فيه اجالهم • كما قيل •

• ولم اسلم لكي ابقى ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام •

واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الايات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الايات الافاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الايات او بغيره اتقوا **ما بين ايديكم وما خلفكم** من الافات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون او لا تحتسبون او من الوقائع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الاخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر **لعلكم ترحمون** اما حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته حيث اعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الايات القرآنية التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ الائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الايات الثلاث المعدودة انفا فالمراد باتيانها ما يعم بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال وعبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره **قال الذين كفروا** بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين آمنوا**

نفكا بهم وتهكما بما كانوا عليه من تعليق الامور بمشية الله تعالى **انطعم** حسبما تعظوننا به **من لو يشا الله اطعمه**
اي على زعمكم وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن
وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقرا المومنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام
يوهمون انه تعالى لما لم يشا اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فانه تعالى
يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنيا على اطعام الفقرا بتوفيقهم لذلك **ان انتم الا في ضلال مبين**
حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى قد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى وحكاية الجواب للمومنين
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بقيامها وتمني القرب في هذا اما
بطريق الاستهزا واما باعتبار قرب العهد بالوعد **ما ينظرون** جواب من جهته تعالى اي ما ينظرون **الا صيحة**
واحدة هي النفخة الاولى **تاخذهم** مفاجاة **وهم يخصمون** اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شي من مخائلها كقوله تعالى فتاخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور
علاماتها ولا تزعموا انها لا تاتيكم • واصل يخصمون يختصمون فسكنت التا وادغمت في الصاد ثم كسرت
الخا لالتقا الساكنين • وقرئ بكسر اليا للاتباع وبفتح الخا على القا حركة التا عليه • وقرئ على الاختلاس
وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين فان كان الثاني مدغما وان يكن الاول حرف مد • وقرئ يخصمون من خصمه
اذا جادله **فلا يستطيعون توصية** في شي من امورهم ان كانوا فيما بين اهلهم **ولا الى اهلهم يرجعون**
اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية
بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقيق وقوعها **فاذا هم من الاجداث**
اي القبور جمع جدث وقرئ بالفا **الى ربهم** مالك امورهم على الاطلاق **ينسلون** يسرعون بطريق الاجبار دون
الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين **قالوا** اي في ابتدا بعثهم من القبور **يا ويلنا** احضر فهذا
اوانك • وقري يا ويلتنا **من بعثنا من مرقدنا** وقري من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه • وقري من هبنا بمعنى اهبنا
وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم
يظنون انهم كانوا نياما • وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون
ذلك • وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل قالوا ذلك • وقيل
اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك • وقري من بعثنا
ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوف العايد او مصدرية وهو
جواب من قبل الملايكة والمومنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي
يهمهم هو السؤال عن البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل
اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسالوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون
ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة مرقدنا وما وعد الى اخره
خبر لمبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق **ان كانت** اي ما كانت النفخة
التي حكيت انفا **الا صيحة واحدة** حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور **فاذا هم جميع**
اي مجموع **لدينا محضرون** من غير لبث ما طرفة عين وفيه تهويل امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن
الاسباب مما لا يخفى **فاليوم لا تظلم نفس** من النفوس برة كانت او فاجرة **شيئا** من الظلم **ولا تجزون الا ما كنتم تعملون**

اي الا جزا ما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف لاقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم
والارتباط بينهما كانهما شي واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمومنين يرده انه تعالى
يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا
للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة
لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سو حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية
مزجرة لهؤلا الكفرة عما هم عليه ومداعاة الى الاقتدا بسيرة المومنين والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله
عما سواه من شوونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هنا
هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون
الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار والسماع وضرب الاوتار او التزاور
او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم
ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم
بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول
على اقتضا مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر ان وفاكهون خبر اخر لها اي انهم مستقرون في شغل اي شغل عظيم الشان
متنعمون بنعيم مقيم • فايزون بملك كبير • والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع
منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقري في شغل بسكون الغين
في شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات فكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على المستكن
في الظرف وقوله تعالى **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون** استينافا مسوق لبيان كيفية شغلهم
وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على انهم مبتدا
وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبره والجاران صفتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو الجاران بما
تعلقا به من الاستقرار واخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستانف على انه متعلق بمتكئون
وهو خبر لمبتدا محذوف • وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا موخر وقري متكئين بلا هم نصبا على من المستكن
في الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون مبتدا موخر • وقيل متكئين بلا هم نصبا على الحالية
من المستكن في خبرها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال اي هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع
ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين
بالثياب والستور قال ثعلب اريكة لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى **لهم فيها فاكهة** الى اخره
بيان لما يتمتعون به في الجنة من الماكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان
ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فاكهة
كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة اي وموصوفة عبر عنها عن مدعو
عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعا دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق
بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر
وايا ما كان فهو مبتدا ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفا بعطف ما يدعون على فاكهة
لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان
او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى
غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعا كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا اشوى وجمل لنفسه وقيل
بمعنى يتداعون كالارتما بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي قاله الزجاج

هو من الدعا اي ما يدعونه اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام اي ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في التعظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم او سالمة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبر الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين •

وامتازوا اليوم عطفا اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حالهم وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية اهل الجنة كأنه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من نار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المعنى فليمتازوا فبمعزل من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعدما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكت البالغة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الافهام اعتبارا بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة

الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى • وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهر آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا وان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي عن الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى

ولقد

ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم الشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار قريش مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل الخلق وجبلا بضمتين وبكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وقرئ بضمتين وتخفيف وبضمة وسكون والكل لغات وقرئ جبالا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس والله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان بمثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اي نمنعها عن الكلام الالتفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم وتحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم • وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي الا شاهدا من نفسي فيختم على فيه • ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل • وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم • وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلنا وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على انتصابه بنزع الجار او هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا باقبال ولا ادبار ولا رجوع وقد اشير اليه بقوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلنا

ولكنا لم نشأ هاجرينا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم **ومن نعمره** اي نطيل عمره **ننكسه في الخلق** اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحالة الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس **افلا يعقلون** اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ابقاعهما لعدم مشيئته تعالى لهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله **وما علمناه الشعر** رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه صلى الله عليه وسلم من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران على معنى ان القران ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهيه فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون **وما ينبغي له** وما يصح له الشعر وما يتاتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لا يتاتى له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله صلى الله عليه وسلم • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله صلى الله عليه وسلم

• هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

من قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقران وما ينبغي للقران ان يكون شعرا **ان هو** اي ما القران **الا ذكر** اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين **وقران مبين** اي كتاب سماوي بين كونه كذلك اي فارق بين الحق والباطل يقرا في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته العمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا **لينذر** اي القران او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار **من كان حيا** اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به **ويحق القول** اي تجب كلمة العذاب **على الكافرين** المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة **اولم يروا** الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينا متاخما للمعاينة **انا خلقنا لهم** اي لاجلهم وانتفاعهم **مما عملت ايدينا** اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به **انعاما** مفعول خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان تاخيره جميعا بتنبيه وتبيين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى **فهم لها مالكون** اي الايات اي خلقناها لاجلهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استمرار ما لكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون تقوية لعمله اي فهم لها مالكون بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قوله قال

• اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا •

والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى **وذللناها لهم** تاسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى **فمنها ركوبهم**

الي اخره فان الفاء فيه لتفريع الاحكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوب اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم **ومنها ياكلون** اي وبعض منها ياكلون لحمه **ولهم فيها** اي في الانعام بكلا قسميها **منافع** اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران **ومشارب** من اللبن جمع مشروب وهذا مجمل على ما فصل في سورة النحل **افلا يشكرون** اي ايشاهدون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون الله** اي متجاوزين الله الذي يشاهدون تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضيله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة **الهة** من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الاخرة وقوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** الى اخره استئناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر الهتهم على نصرهم **وهم** اي المشركون **لهم** اي لالهتهم **جند محضرون** يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى **فلا يحزنك قولهم** لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك بالنفي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب كما في قوله لا ارينك هيهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام الهة فان ذلك مما لا يخلو من التفوه بقولهم هؤلاء الهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاستعارة فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية اي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرون اقدم منه بما يعلنون مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فيتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة** كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة وهي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى اخره وهي عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وهنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فكان الانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى

لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على ان المعنى الاول بعد قبيح فالثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية وداخل في حيز الانكار والتعجب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشيا وامهنها فاجا خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدا فطرته شهادة مبينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه واخصمه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى هو قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من تمام شواهد البعث وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى فاجا خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عظيمة في شانه زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب وماذا قيل فقيل قال من يحيي العظام منكرا له اشد النكير موكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى العظام فانه امر عظيم في نفس الامر حقيق بغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشا بل هو اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني احياؤه تعالى بها فانه امر عظيم في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شي من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشا او هو اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبر المونث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم حياة بني عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون كالشعر ويقولون المراد باحيا العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والطراوة في بدن حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الطريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته تعالى كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة حفظها على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المفتتة المبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها فاوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كما نشابه بالمنشيات وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفا بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لكم لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان

الجمل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر الاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضر نظرا الى المعنى وهو المرخ وهي التي يقتدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استيناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية على ان من قدر على خلقهما فهو قادر على خلق الاناسي اقرب كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي شانه اذا اراد شيئا من الاشيا ان يقول له كن اي ان تعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شي اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الامر المطاع للمامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شي ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي تنزيه له عز وعلا عما وصفوه به وتعجيب بوجه لتنزهه تنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك ثم اقتصار الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل ومملكته كل شي وملك كل شي واليه ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه بهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرا عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع لقاريها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا اقسم الله عز وجل بطوايف الملائكة على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهوى فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغوا وعن استراق السمع كما سياتي وصفا وزجرا مصدران موكدان لما قبلهما وصفا بديعا او زجرا بليغا ولما ذكر في

في قوله تعالى **فالتاليات ذكرا** مفعول التاليات والتاليات ذكرا عظيم الشان من ايات الله تعالى وكتبه المنزله
على الانبيا عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر موكد لما قبله
فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفا للدلالة على ترتبها في الفضل اما يكون الفضل
للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوايف معينه فهو للدلالة على ترتبها في الفضل
اما يكون الفضل للعطف ترتيب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلما العمال الصافات نفسها في صفوف
الجماعات واقدامها في الصلاة الزاجرات بالمواعظ والنصايح التاليات ايات الله تعالى الدارسات شرايعه واحكامه
وقيل طوايف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوايف قوادهم الصافات لهم
فيها والزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات ايات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف
ذلك الكلام في العطف وفي دلالته على ترتيب الصافات في الفضل وترتب موصوفها فانها فيه كالذي سلف واما الدلالة
على الترتب في الوجود كما في قوله •

• ياطف زبانة للحارث • الصابح فالغانم فالايب •

نغير ظاهر في شي من الطوايف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملايكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر
غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من
يتلوا كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرانيه وقري بادغام التا في الصاد والزاي والذال **ان الهكم لواحد**
جواب للقسم والجمله تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه
من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى **رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق** فان وجودها
وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلايل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي مالك السموات والارض
وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية
ظهور اثار الربوبيه فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثماية وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها
تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتا
ومغرباهما **انا زينا السما الدنيا** اي القربى منكم **بزينة** عجيبة بديعة **الكواكب** بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم
اي بما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة اي زينة وقري بالاضافة على انها
بيانيه لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت
هي به وهو ضوها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضو الكواكب والمراد هو التزيين في راي العين
فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلاليه في سطح سما الدنيا بصور بديعة واشكال
فايقة ولا يقدح في ذلك ارتكاب الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر من السيارات الستة المتوسطة ان ثبت ذلك **وحفظا**
منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا **من كل شيطان مارد**
وتزيينها بالكواكب لقوله تعالى انا زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى **لا يسمعون
الى الملا الاعلى** كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حال الحفظ لسماعهم مع التنبيه على كيفية الحفظ
وما يعتريهم في اثنا ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سوال مقدر لعدم استقامة
المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذف من قولك جيتك ان تكرمني فبقي
ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قوله نرق • الا ايها الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من ذينك
الحرفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن انكر المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واما

يسمعون بالتسمعون والملا الاعلى الملايكه • وعن ابن عباس هم الكتبه وعنه اشراف الملايكه عليهم السلام اي لا يتطلبون
السماع والاصغا اليهم وقري يسمعون بالتخفيف **ويقذفون** يرمون **من كل جانب** من جميع جوانب السما اذا قصدوا
الصعود اليها **دحورا** علة للقذف او للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر موكد له لانهما متقاربان واحد
وقري دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا هيا للغاية في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع **ولهم عذاب
واصب** اي ولهم في الاخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دايم غير منقطع كقوله تعالى
واعتدنا لهم عذاب السعير **الا من خطف الخطفة** استثنا من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملايكه مسارقه كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقري بكسر الخا والطا المشدده وبفتح الخا
وبكسر الطا وتشديدها واصلهما اختطف **فاتبعه شهاب** اي تبعه ولحقه وقري فاتبعه والشهاب
ما يري منقضا من السما **ثاقب** مضي في الغاية كانه يثقب الجو بضويه ويرجم به الشياطين اذا صعدوا
لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم قالوا وانما يعودون مع سلامة منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب
السفينه **فاستفتهم** فاستخبر مشركي مكة **اهم اشد خلقا** اي اقوي خلقه وامتن بنيه واصعب خلقا
واشق ايجادا **ام من خلقنا** من الملايكة والسما والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
ومن تغليب العقلا عليه غيرهم ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه بعد ذلك لا سيما قراة من قرا ام من عددنا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينه وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان
المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوا وقري لازم ولاتب
بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلايق العظيمه وانكارهم للبعث **ويسخرون** من تعجيبك وتقريرك
للبعث وقري بضم التا على انه بلغ كمال قدرتي وكثر مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهولاء بجهلهم يسخرون منها
وعجبت من ان ينكروا مع هذه افاعيله ويسخروا من نحوه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى
الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشي وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد
بل عجبت **واذا ذكروا** اي ودابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشي من المواعظ **لا يذكرون** لا يتعظون واذا ذكر
لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم **واذا راوا اية** اي معجزة تدل
على صدق القايل به **يستسخرون** يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض منها
وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الاية الباهرة **الا سحر مبين** ظاهر سحريته **ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما**
اي كان بعض اجزاينا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزا البادية في اذا ما دل
عليه مبعوثون في قوله تعالى **ائنا لمبعوثون** اي نبعث لا نفسه لانه دون حظوها لو تغز واحد منها لكفى
في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة
في اينا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا الانكار لتاكيد
كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضايها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور
فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقري بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية
فقط **او اباونا الاولون** رفع على الابتدا وخبره محذوف عند سيبويه اي واباونا الاولون ايضا مبعوثون
وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي
في قوله تعالى ما اشركنا ولا اباونا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بنا على انهم اقدم فبعثهم ابعد
على زعمهم وقري او اباونا **قل** تبكيتا لهم **نعم** والخطاب في قوله تعالى **وانتم داخرون** لهم ولابايهم
بطريق التغليب والجمله حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلا وقري
نعم بكسر العين وهي لغة فيه **فانما هي زجرة واحدة** هي اما ضمير منهم يفسره خبره او ضمير البعثه

والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي الخ والزجرة
الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية **فاذا هم قيام** قائمون من مراقدهم احيا
ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم **وقالوا** اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
والتقرر **يا ويلنا** اي هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى **هذا يوم الدين** تعليل لدعائهم الويل بطريق
الاستيناف اي اليوم الذي نجازي فيه بالاعمال باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون
ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى **هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون** كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل
القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى **احشروا الذين ظلموا** خطاب من الله عز وجل للملائكة
او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم **وازواجهم** اي اشباههم
ونظراوهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل
قرناوهم من الشياطين وقيل نساوهم اللاتي على دينهم **وما كانوا يعبدون من دون الله** من الاصنام ونحوها
زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة
وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جي به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص
فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم **وقفوهم** اي احبسوهم
في الموقف كان الملائكة يسارعون الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى **انهم
مسئولون** ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسالوا
لكن لا عن عقايدهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل **ما لكم لا تناصرون**
بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السوال الى ذلك الوقت
لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجا منها بالكلية فالتوبيخ والتقريع
حينئذ اشد وقعا وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام **بل هم اليوم مستسلمون**
منقادون خاضعون لظهور عجزهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر **واقبل
بعضهم على بعض** هم الاتباع والروسا او الكفرة والقرنا **يتساءلون** يسال بعضهم بعضا سوال التوبيخ بطريق
الخصومة والجدال **قالوا** استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية تساولهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل
قالوا اي الاتباع للروسا او الكل للقرنا **انكم كنتم تاتوننا عن اليمين** عن اقوى الوجوه وايمنها او عن
الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين
واقواهما وانفعهما وكذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو
الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق **قالوا** استيناف كما سبق اي قال الروسا
او القرنا **بل لم تكونوا مومنين** اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تومنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه
واثرتم الكفر عليه **وما كان لنا عليكم من سلطان** من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم **بل كنتم قوما
طاغين** مختارين للطغيان مصرين عليه **فحق علينا** اي لزمنا وثبت علينا **قول ربنا** وهو قوله تعالى
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين **انا لذائقون** اي العذاب الذي ورد به الوعيد **فاغويناكم**
فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجية فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الرشد على الغي **انا كنا غاوين** فلا
عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية **فانهم** اي الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية **انا كذلك** اي مثل ذلك الفعل البديع
الذي تقتضيه الحكمة التشريعية **نفعل بالمجرمين** المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل

بقوله تعالى **انهم كانوا اذا قيل لهم** بطريق الدعوة والتلقين **لا اله الا الله يستكبرون** عن القبول **ويقولون
ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين** رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جا
به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من
ساحته الرفيعة وحضرته المنيعة **انكم** بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والاستكبار
لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا • وقرئ لذائقون العذاب على الاصل **وما تجزون الا ما كنتم تعملون**
اي الا جزا ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها **الا عباد الله المخلصين** استثنا منقطع
من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جي به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم
لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثنا من ضمير يجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون
عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثنا متصلا بتعميم
الخطاب في يجزون لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله
المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به
من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد المشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى
لهم اما خبر له وقوله **رزق** مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم والجملة
الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثنا بيانا اجماليا تفصيليا وقيل هي خبر الاستثنا المنقطع على انه
متاول بالمبتدا وقوله تعالى **معلوم** اي معلوم الخصايص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرايحة
ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى **فواكه**
اما بدل من رزق او مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اي ما يوكل
لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل
وقيل لان الفواكه من اتباع ساير الاطعمة بذكرها مغن عن ذكرها **وهم مكرمون** عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك
اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسوال كما هو شان ارزاق الدنيا
وقرئ مكرمون بالتشديد **في جنات النعيم** اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون
وقوله تعالى **يطاف عليهم** اما استيناف مبني على سوال نشا من حكاية تكامل نعمتهم او حال من الضمير في متقابلين
او في احد الجارين وفيه جواز كونه صفة لمكرمون **بكاس** باناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال

• وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها •

من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كاينة من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر
للعيون او الخارج من العيون من عان الما اذا نبع وصف به الخمر وهو للما لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الما
قال تعالى وانهار من خمر **بيضا لذة للشاربين** صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس
اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال •

• ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدى من خشية الحدثان •

يريد به النوم **لا فيها غول** اي غايلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول **ولا هم عنها
ينزفون** يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج
دمه كله وافراد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس براسه
والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون

بكسر الزاي اي لا تزف الشارب اذا انفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من انزف ضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين
كانهن بيض مكنون يشبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان
ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على
الشراب كما هو عادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا والتعبير عنه بصيغة الماضي
للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاورتهم اني كان لي في الدنيا
قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث اءنك لمن المصدقين
اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اءنا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج الى شيء فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك
قال تصدقت به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال ءانك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتاكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث
قال اي ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل النار لاريكم ذلك
القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه
اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع
بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون
الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا
فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دأب الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ
مطلعون بكسر النون اراد مطلعوني فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله • الفاعلون الخير والامرونه •
وشبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني
بالاغواء وقرئ لتغوين وان فيه معنى التعجب وانها هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام
فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا
العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام
مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اباح الله تعالى لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى وما التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما يدخلون الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت
على صورة كبش املح وذبح ونودي يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت يعلمونه فيقولون ذلك
تحدثا بنعمة الله عز وجل واغتباطا بها ونحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة
للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم
وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا
فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة
بفنون الالام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل

فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي
حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم
نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق زفرة مرة كريهة
الرائحة تكون في تهامة سميت بها الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء
في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش
في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال
ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق
في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا
منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة اي من طلعها والتانيث مكتسب
من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب
ثم ان لهم عليها اي على الشجرة التي ملؤا منها البطون بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ
عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق وصديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم
وقد قرئ كذلك لالى الجحيم اي الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم
خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم
ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه
قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الاباء في الدين من
غير ان يكون لهم ولا لابائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن
صلاحية الدليل فهم على اثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل
والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على اثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد
ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا
فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة
وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة
لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة
اثارهم وحيث كان المعنى انهم هلكوا اهلاكا فظيعا استثني عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم
لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لسوء عاقبة
بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وال فرعون وقوم لوط وقوم الياس
ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشير اليه بالاستثناء كقوم يونس عليه السلام
وتوجيه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا اللام في قوله تعالى فلنعم
المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعدما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه
والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم او من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه

ماتت كان معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة رضي الله عنه الناس
كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام
ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام
على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له
على الدوام امة بعد امة وقيل هو مقول لقول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار
والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء
ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك
من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك للاشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت له جزاء عليه السلام
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة
بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين
تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين
اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت
فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن
شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح
وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب بما ذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم من آفات
القلوب او من العلائق بما في الشيعة من معنى المشايعة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به
متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون
أئفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم
المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم وبذلك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني
تريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها
بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما
ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عليه السلام
حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا
في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او في احكامها
ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معيدهم ليتركوه
فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو
الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى فيتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام
وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله
الميل بحيلة فقال الا تأكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه لكم عندها لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون
اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم
او لفعل مضمر هو حال من فاعله او فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم
ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته
وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله ۞ اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين ۞

اي

اي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي المامورون باحضاره عليه السلام
بعدما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فاتوا به
يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف ويزفون من وزف
يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزف بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اي بعدما اتوا
به عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى
ما هؤلاء ينطقون أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال
من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها
بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي
والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله تعالى
عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على
عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه
وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة
التأجج واللام عوض عن المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء فارادوا به
كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او حيث اتجرد وقوله تعالى
سيهدين اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي
من الصالحين اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق
خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه
عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه
عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء
عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة
بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة على مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا
بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له
فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر
لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابراهيم
عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل رأى ليلة
التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم
ام من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذا هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد
السعي معه قيل له أوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسماعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان
البشارة باسحاق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده

اسماعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله حفر بير زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما
حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش
معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحاق ثمه ولان البشارة باسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله
بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوسف بن يعقوب
بن اسحاق بن ابراهيم والزوايد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح اليا
فيهما فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت
قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم ليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ما ترى
بضم التا وكسر الرا وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تومر اي تومر به فحذف الجار اولا على القاعدة
المطردة ثم حذف العايد الى الموصول بعد انقلابه موصولا باتصاله في الفعل او حذفا دفعة او اذ نعل امرك
على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تومر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر
متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شا الله من الصابرين على الذبح اي على قضا الله
تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له تعالى سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد
وقرئ بهن جميعا واصله من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم
له منقولان منه ومعناه اخلص نفسه لله تعالى وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى
وعن قتادة رضي الله عنه في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه لله وتله للجبين صرعه على شقه فوضع جبينه
على الارض وهكذا احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين
امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي
انه امر السكين على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء
وجواب لما محذوف ايذانا بعدم التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما
وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك
على العالمين احرازا لثواب عظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تومر ولم يحصل
ان هذا لهو البلاء المبين اي الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره والمحنة البينة الصعوبة اذ لا شي اصعب
منها وفديناه بذبح بما يذبح به فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله نبيا
بن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه الكبش
الذي قربه هابيل فتقبل وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه
من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عند الجمر فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان
حين تعرض بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم وانما
قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي والامر به على التجوز في الفدا والاسناد وتركنا عليه في الاخرين سلام
على ابراهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقا ذكره الجميل
فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفا بما مر آنفا انه من عبادنا
المومنين الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين اي مقضيا

بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود
ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل
عاملا فيهما اي بشرناه بوجود اسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله
فادخلوها خالدين فانهم مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحاق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه اي على ابراهيم
في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام وافضنا عليهم
بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه
بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال فان الظالم من اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع
الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم هو ملكة الفرعون وتسلطهم
عليهم بالوان القسم والعذاب كما يشعر به قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم
كربا وكشفه ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة
لا غاية وراءها بعدما كان قومهما فاسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب
وهذه التنجيه واذا كانت بحسب الوجود متقاربة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم
عبارة عن التخليص عن المكروه بدي بهانه بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغلبة
عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على
حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهديناهما
بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام وتركنا
عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون اي ابقينا فيما بين الامم الاخرين هذا الذكر الجميل والثنا الجزيل
انا كذلك الجزا الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزا قاصرا عنه انهما من عبادنا المومنين
سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين بن سبط هارون اخي موسى عليهم السلام بعث
بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايلس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه
الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به
وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبيا فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلال
والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن
الخالقين اي تتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي الى الانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم
ورب ابائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتدا والتعرض لذكر ربوبيته
تعالى لابائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى وللاشعار ببطلان اراء ابائهم ايضا فكذبوه فانهم
بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفا بالقراين على ان الاحضار المطلق مخصوص
بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثنا من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين
هو لغة في الياس كسينا في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمرسلين والمجنبين وفيه ان العلم
اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين مر تفسيره وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين

في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اي تشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به وركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم شانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي عطا انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنه لك سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل هي الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه ارسل الى امة جمة وكان توسيطها لتذكير وقت هربه عليه السلام الى الفلك وما بعده تنبيها للتذكير شتيه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعليقهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعدما تبين الحال وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انها مائة الف او يزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اي بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه وتعالى لهم ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم

اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم هاهنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤيد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهي نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم الربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجرام ورذائل الطباع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل خلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل هم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة وهو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الى آخره تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بداهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون ومن ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم بما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تامل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شانهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي والله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم

تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال فانهم يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤبدا
وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن
وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله تعالى فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن
وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه
الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها
ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركا في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله **سبحان الله عما يصفون**
حكاية لتنزيه الملائكة اياه سبحانه وتعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت
وقوله تعالى **الا عباد الله المخلصين** شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه
بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة
ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف
وقوله تعالى **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكره ببيان عجزهم
عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن
الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم لقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب
لهم ولمعبوديهم تغليبا وعليه متعلق بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها والمعنى فانكم ومعبودكم
ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم **الا من هو صال الجحيم** منهم اي داخلها بقوله تعالى
بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادهم واضلالهم
فهم لا جرم برآء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه وقرئ صال بضم اللام على انه
محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى **وما منا الا له مقام معلوم** تبيين لجلية امرهم
وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين
منه واظهار لقصور شأنهم وتقاعدهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل
مقصور عليه لا يستطيع ان يتجاوزه ولا ينزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي
فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي
ويسبح وعنه صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع
الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة **وانا لنحن**
الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة **وانا لنحن المسبحون** المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق
بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي
تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الايات الكريمة واعرابها وجوه اخر والله الموفق **وان كانوا**
ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول
لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل **لكنا عباد الله المخلصين** اي لاخلصنا
العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى
فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار
وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به **فسوف يعلمون** اي عاقبة كفرهم وغائلته **ولقد سبقت**
كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله
لقد سبقت عندنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى **انهم لهم المنصورون وان جندنا** وهم اتباع

المرسلين **لهم الغالبون** على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم
واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات
لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا **فتول عنهم** فاعرض عنهم واصبر **حتى حين** الى مدة يسيرة وهي مدة الكف
عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح **وابصرهم** على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر
بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه **فسوف يبصرون** ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد
دون التبعيد **افبعذابنا يستعجلون** روي انه لما نزلت فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل **فاذا نزل بساحتهم**
اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم
بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور
وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب **فساء صباح المنذرين** فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت الغارة منهم في الصباح سموها
صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم
المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين **وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره صلى الله
عليه وسلم حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول
عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه
المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة ومما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز
الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم اولا والى العزة ثانيا كانه
قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصف المشركون به من الاشياء التي منها ترك
نصرك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى **وسلام على المرسلين** تشريف لهم عليهم السلام بعد
تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى
والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته
السلبية وايذان باستتباعها الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية
والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من فنون النعم الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده
صلى الله عليه وسلم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم
على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم
على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده بختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى
تسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن
آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين.

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح
ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرا
لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرا صاد
بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها
التصدي الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلتها الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن
نواهيه وتخلق باخلاقه ثم انه جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد
كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدا محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرا او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى
والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان
اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد
لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة
او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرايع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبيا عليهم السلام واخبار الامم
الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدي والامر
والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او
بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس
الجملة المذكورة قبل القسم فان التنويه بالتسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن
والذكر او هذه السورة الكريمة عظيمة الشان والقرآن الى اخره على طريقة قولهم هذا حاتم والله لما كان كل واحد
من هذه الاجوبة منبيا عن انتفا الريب عن مضمونه بالكلية انبا بينا كان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق
اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك
لا يذعنون له وقيل لا ريب فيه الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا
الى اخره وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم
من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن
تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة
وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة
والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص اي تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت
عليها تا التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب ولم يبرز الا احد
معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليه التا وخصت بنفي الاحيان وحين مناص
منصوب اي على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر او ولا ادري حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول
اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص
كاين لهم وقرئ بالكسر كما في قوله

طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله حين قال

لولاك هذا العام لم احجج • او لان اوان شبه باذ كما في قوله

نهيتك عن طلابك ام عمرو • بعافية وانت اذ صحيح

فان زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع
المضاف اليه من مناص اذ قيل حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بينهما من الاتحاد ثم بني الحين

لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريه بالتاء كالافعال
وما قيل من ان التا مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من
ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا
عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع الظاهر
فيه موضع المضمر غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الالهة
الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف
ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون
وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل
مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشيا الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة
ومدخلا في حدوث شيء من الاشيا حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا موثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ
ككرام وكرام • روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا
ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفها وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال
صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم
ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه صلى الله عليه وسلم في الدين وعزيمته
على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي
قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اي فاثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون
في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع
في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا وكثروا وقرئ امشوا بغير ان
على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الدعا
الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته صلى الله عليه
وسلم امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه
المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم من استنزاله عن رايه بواسطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا
تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا
الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر • وقيل ان هذا الامر
لشيء من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه • وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم ليس يتمنى او يريده كل احد
فتامل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الاخرة
اي الملة النصرانية التي هي اخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور
حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كاينا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك فان حديث
البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه انزل

عليه الذكر اي القران من بيننا ونحن روسا الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
ثم مرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطله
دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من
القران او من الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المودية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم
ما يبتون به قولهم بل يذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب
اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع
والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القران ولذلك شكوا فيه ام عندهم
خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته تعالى يتصرفون فيها حسب ما يشاوون حتى
يصيبوا بها ما يشاوا او يصرفوها عن من شاوا ويتحكموا فيها بمقتضى ارائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشا من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشا لمن يشا وفي اضافة اسم الرب المنبي عن التربية والتبليغ الى
الكمال الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلويه والسفليه حتى يتكلموا في الامور
الربانيه ويتحكموا في التدبيرات الالهيه التي يستاثر بها رب العزة والكبريا وقوله تعالى فليرتقوا في
الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى
العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم ما لا غاية
وراه والسبب في الاصل هو الوصله وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفليه وقيل ابوابها
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيا ما
وقيل للتعظيم على الهزو وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم
وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى اخره استيناف مقرر لمضمونه ما قبله
ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هولا جند ما من جنودهم بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو
الاوتاد معناه ذو الملك الثابت من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنه
واستقامة الامر • قال الاسود بن يعفر •

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •

او ذو الجموع الكثيره سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البنا • وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي
المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت • وقيل كان يشده بين اربعة اوتاد ويرسل عليه العقارب
والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اي اصحاب
الغيضه من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوايف المذكوره كما ان
ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم حملوا الجند المهزوم منهم وقوله تعالى
ان كل الا كذب الرسل استينافا جي به تقريرا لتكذيبهم وبيان لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من
احاد اولئك الاحزاب وما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل
على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع واياما كان فالاستثنا مفرغ من اعم العام
في خبر المبتدا اي ما كل احد منهم محكوم عليه بحكم الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا
عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوايف المذكوره على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم

حزب على حياله تحزب عليهم بقوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم
باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت
توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدا وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العايد
اي ان كل منهم الى اخره والجمله استيناف مقرر لما قبله موكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على
انهم حملة الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد الى
اخره اي وقوله وقوم لوط الى اخره فيما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هولا شروع في بيان عقاب
كفار مكة اثر بيان عقاب اخزابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم وعن قريب فان ذلك
مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهولا تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله
اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف
والانتظار سوا كان حقيقة او استهزا انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتايجها بعد وقد بين عقاب الاحزاب
والاستيصالهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم او منتظر وانما الذي في مرصد الانتظار كفار مكة حيث لم يكونوا
من عظايم الجرايم وكبار الجرايرا اثر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيا من
غوايلها اي وما ينتظر هولا الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوايف المهلكة في الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة
هي النفخة الثانيه لا بمعنى ان عقابهم نفسها فانها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها
بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الاخرة لما ان تعذيبهم
بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهيه المبنيه على الحكم الباهرة
كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما كان حيا عنده فوتها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها
ولا العذاب المطلق موخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
وقري بضم الفا وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم
تاخير عقابهم الى الاخرة اي قالوا بطريق الاستهزا والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا توخره الى يوم
الحساب الذي مبداه الصيحة المذكوره والقط القطعة من الشي من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجايزة قط لانها
قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد
المومنين الجنة فقالوا على سبيل الهزية عجل لنا نصيبنا منها وتصدير ندائهم بالدعا المذكور للاشعار بالامعان في الاستهزا
كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطله واذكر لهم عبدنا داود
اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه السلام مع علو شانه
واختصاصه بعظايم النعم والكرامات لما الم بصغيره نزل عن منزلته ونحته الملايكه بالسل والتعريض حتى تفطن
فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكايه الدايم وغمه الصايب ونومه الدايم فما الظن بهولا الكفرة الاذلين
من كل ذليل والمرتكبين لاكبر الكباير المصرين على عظم المصايب المعاصي او تذكر قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل
فيما كلفت من مصادرتهم وتحمل اذيتهم لبلا يلقاك من المعاتبه ذا الايد اي ذي القوة يقال فلان ايد وذو ايد
واد بمعنى وايا د كل شي ما يتقوى به انه اواب رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على المراد
به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه
استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقه بالتسخير وايثاره على اللام لما اشير
اليه في سورة الانبيا من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيهما اليه عليه السلام
كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعيه له عليه السلام والاقتدا به في عبادة الله تعالى وقيل
متعلقه بما بعدها وهو اولى بالنسبة الى ما في سورة الانبيا يسبحن اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له ويخلق الله تعالى

بينهما الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح
حالا بعد حال او استينافا مبين لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا
بهذه الاية والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس
كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتدا
والخبرية كل له اواب استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال
والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه
يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع اما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير لله تعالى اي من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه الف مسلم وقيل ادعى رجل
على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فقال ان الله تعالى
لم ياخذني بهذا الذنب ولكن قتلت اباه غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله داود عليه فقتله
فهابوه وعظمت هيبته في القلوب واتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام
وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اي فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب
على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه
ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم استفهام معناه التعجيب
والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه لانه من الانبا البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم
في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا
سوره ونزلوا اليه والسور الحايط المرتفع ونظيره تسنمه اذ علا سنامه وتذراه اذ علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف
اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه
على حذف مضاف اي قصته نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روي انه بعث اليه ملكين
في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس
فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من
فوق على خلاف العادة والحرس حوله وغيرهم يوم الحكومة والقضا قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه
اربعة اجزا يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه لا تخف
خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحبهما خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض
فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ
ولا تشطط ولا تشاطط وكلها بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط اي وسط طريق
الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج الحق العدل ان هذا اخي استيناف لبيان ما فيه الخصومة
اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتعريض ابلغ في التوبيخ وقيل تسع وتسعون

بفتح التا ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بكسر الصا فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما
تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبة اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على
رده وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه
وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه
بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم
وان كثيرا من الخلطا اي الشركا الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح اليا على تقدير النون الخفيفة
وحذفها وبحذف اليا اكتفا بالكسر بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجيب من قلتهم
والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى
في مجلس الحكم وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السما حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى
ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول
اخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل
قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار
النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة
ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فاذا قال
معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطا والمنع فمورد القصر في الحقيقة
ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير فقيل
ابتليناه بامراة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ
في التوبيخ لان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه
للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بالتحاكم
لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على ان اوريا بصدد الخصام
فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداه او خر
للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة
ان داود عليه السلام راى امراة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فساله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جايزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث كان يسال بعضهم
بعضا ان ينزل عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك
من غير نكير خلا انه صلى الله عليه وسلم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي
له ان يتعاطى ما يتعاطاه احاد امته ويسال رجلا ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسايه
بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها
داود عليه السلام فاثره عليه السلام اهلها وكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا
واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه
الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليا خذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة
فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا

وهو صاحب بعث البلقا اذ ابعث وريا وقدمه على التابوت وكان من تقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله تعالى على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته هذا ونحوه مما لا يليق من آحاد المسلمين فضلا عن الانبياء فانه مصنوع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولا يشرب ماء الا ثلثاه دمعه وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن يقال له ايشا ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته لما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكمة البالغة حيث خلقنا من بين ما يحويه ما خلقنا نفوسا واودعناها من فنون القوى الظاهرة والباطنة ما تستنبط به منافعها واستدفاع مضارها ونصب للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحنا القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على تلك المقادير من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل جليل ودقيق وازحنا عللها بالكلية وعرضناها للتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكون العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول

موضع

موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المرتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوسع حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرار باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما لا تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلنا اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا وانه منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخالص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لذلك لما فاته فاستردها فعقرها تقربا الى الله تعالى وبقي منها مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يتعدى بعلى لانه

بمعني اثرت لكن لما انيب مناب اثرت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل اثرت حب الخير عن ذكر ربي ووضعه
موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال
صلي الله عليه وسلم الخير معقود في نواصي الخيل الي يوم القيامة وقري اني حتي توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالي
احببت باعتبار متعلق بقوله احببت باعتبار استمرار ذلك حتي توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها
بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتي توارت بحجاب الليل
اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان ومرمي غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره
توهم انه متصل بالمضمر هو جواب لمضمر اخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها عليه فتامل والفا في
قوله تعالي فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال
اي فردوها عليه فاخذ يمسح بالسيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم
مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذلك وقري بالساق
اكتفا بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا علي كرسيه جسدا ثم اناب اظهر
ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة علي سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله تعالي ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جات بشق رجل فقال صلي الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين علي
قتله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحاب فما شعر به الا ان القي علي كرسيه ميتا فتنبه بخطابه حيث لم يتوكل علي الله
عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمي جرادة من احسن الناس واصطفاها
لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقي دمعها جزعا علي ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها
وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده
الي فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الي الله تعالي باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة
او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها الخاتم يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ
الخاتم فتختم به وجلس علي كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شي الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته
فاتي الامينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور علي البيوت يتكفف واذا قال
انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الي السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث علي ذلك
اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظما بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه
وجاب صخر لصخرة فجعله فيها وسد عليه باخري ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلي هذا فالجسد
عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله
لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له
رب اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي
مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشا في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعي من ربه معجزة جامعة لحكمهما
او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من
الفضل والمال علي ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان يعطي احد مثله فتكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف
ان يعطي احد مثله فلا يحافظ علي حدود الله تعالي وتقديم الاستغفار علي الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين
جريا علي سنن الانبيا عليهم السلام وكون ذلك ادخل في الاجابة وقري بفتح اليا انك انت الوهاب
تعليل للدعا بالمغفرة والهبة لا بما لا اخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح

اي

اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الي ما كان عليه قبل الفتنة وقري الرياح تجري بامره بيان
لتسخيرها له رخا اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع او طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد حيث اصاب
اي حيث قصد واراد حكي الاصمعي عن العرب اصاب الصواب واخطا الجواب والشياطين عطف علي الريح كل بنا وغواص
بدل من الشياطين واخرين مقرنين في الاصفاد عطف علي كل بنا داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل
الشياطين الي عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البنا والغوص ونحو ذلك والي مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطا لانه مرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا
صفده قيده واصفده اعطاه علي عكس وعد واوعد وقوله تعالي هذا اي الي اخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام
مبنية لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر وهو معطوف علي
سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام وقلنا له اي قائلين له هذا الذي اعطيناكه
من الملك العظيم والبسطة والتسلط علي ما لم نسلط عليه غيرك عطاونا الخاص بك فامنن او امسك
فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر او غير محاسب علي منه وامساكه او صلة له وما
بينهما لتفويض التصرف فيه اليك علي الاطلاق او من العطا هذا عطاونا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له
وما بينهما اعتراض علي التقديرين وقيل الاشارة الي تسخير الشياطين فالمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له
عندنا لزلفي في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن ماب هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام
بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه
ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الي العراق فبلغ خبره كيخسرو
فهرب الي خراسان فلم يلبث حتي هلك ثم سار سليمان عليه السلام الي مرو ثم الي بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين
ثم عطف الي ان وافي بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الي الشام ثم امر ببنا بيت المقدس فلما فرغ منه سار الي تهامة وكان
من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالي وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالي اعلم واذكر عبدنا
ايوب عطف علي اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود
عليهما السلام وايوب هو ابن عيص بن اسحاق اذ نادي ربه بدل اشتمال من عبدنا وعطف بيان له اني اي باني مسني الشيطان
بفتح يا مسني باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقري بفتح النون وبفتحتين وضمتين للتثقيل وعذاب اي الم وهو
ضر يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدايد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه
به بعبارته والا لقيل انه مسه الي اخره والاسناد الي الشيطان اما لان الله تعالي مسه بذلك لما فعله وسوسته كما قيل
انه اعجب بكثرة ماله او استغاث به مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان
صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الي اتباعه حتي رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلا والقنوط من الرحمة ويغريه علي الكراهة والجزع فالتجا
الي الله تعالي في ان يكفيه ذلك بكشف البلا او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعايه عليه السلام
بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفي هاهنا عن ذكره بما في سورة الانبيا كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر
هاهنا وقوله تعالي اركض برجلك الي اخره اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف علي نادي اي فقلنا له اركض
برجلك اي اضرب بها الارض وقوله تعالي هذا مغتسل بارد وشراب فانه ايضا حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر
ونبوع الما او مقول لقول مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضرب بها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به
وتشرب منه فيبرا ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينا حارة للاغتسال وباردة للشرب وياباه ظاهر النظم الكريم
وقوله تعالي ووهبنا له اهله معطوف علي مقدر مترتب علي مقدر اخر يقتضيه القول انفا كانه قيل فاغتسل وشرب
فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبيا ووهبنا له اهله اما باحيايهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم

بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجاوا كما لجا ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا له خذ بيدك الى اخره والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى كان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امراته رحمة بنت افرائيم بن يوسف الصديق وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الرخصة لحسن خدمتها اياه ورضاه منها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفا على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يلهني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها يباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مبادئها وفيه تعريض بالجهلة والبطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايدي بطرح اليا والاكتفا بالكسر وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبي عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الاخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية فانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم اخر اصلا او تذكيرهم للاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبيا عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثنا الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل عليه حرف التعريف قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القرائتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه وقيل فر اليه مائة نبي من انبيا بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الايات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القران او باب منه مشتمل على انبا الانبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبيا وقوله تعالى وان للمتقين

لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الاجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب اخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا او نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو راي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقريا مرفوعتين على الابتدا والخبر وعلى انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استينافا لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعا الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرون الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للجزا للوصول الى الجزا وقرئ باليا ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد هو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو قوله تعالى هذا فليذوقوه وهو مبتدا خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدا محذوف اي هو جهنم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين واخر من شكله اي ومذوق اخر وعذاب اخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو الى الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لاخر لانه لا يجوز ان يكون صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لروسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشي بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعا على الفوج او صفة للفوج او حال منه او مقول لقول مقدر اي مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي هنا كلام الروسا اي لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعا عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الروسا في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كلام الروسا بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم وتوجيه خطابهم للروسا في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الى اخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوا مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الروسا والتحاكم الى الخزنة في قضايهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمايهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يودي اليه من العقايد الزايغة والاعمال السيئة وترتيبها في اعيننا

واعرابنا عليها لانا باشرناها من تلقا انفسنا **فبئس القرار** اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤسا عليهم **قالوا** اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى **ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار** لقولهم ربنا هؤلا اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي **وقالوا** اي الطاغون **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار** يعنون فقرا المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم **اتخذناهم سخريا** بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتانيبا لها في الاستسخار منهم **ام زاغت عنهم الابصار** متصلة باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدرا بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها وعلى انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل زاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدرا والتحقير وقري اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها ويجوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراة وقري سخريا بضم السين **ان ذلك** اي الذي حكي من احوالهم **لحق** لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى **تخاصم اهل النار** خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقري بالنصب على انه بدل من ذلك ومما قيل من انه صفة له فقد قيل ان اسما الاشارة لا توصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين **انما انا منذر** من جهته تعالى انذركم عذابه **وما من اله** في الوجود **الا الله الواحد** الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا **القهار** لكل شي سواه **رب السموات والارض وما بينهما** من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها **العزيز** الذي لا يغلب في امر من الامور **الغفار** المبالغ في المغفرة يغفر ما يشا لمن يشا وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه **قل** تكريرا الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتنا به امرا وايتمارا **هو** اي ما انباتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القران وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم **نبا عظيم** وارد من جهته تعالى وقوله تعالى **انتم عنه معرضون** استيناف ناع عليهم سو صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبا وقوله تعالى **ما كان لي من علم بالملا الاعلى** الى آخره استيناف مسوق لتحقيق انه نبا عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبا من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملا الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى **اذ يختصمون** متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه صلى الله عليه وسلم بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملا الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى **ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين** اعتراض وسط بين اجمال الاختصام وتفصيله لتقرير ثبوت علمه صلى الله عليه

وسلم

وسلم وتعيين السبب الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان مبنيا على ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته صلى الله عليه وسلم لشي من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه صلى الله عليه وسلم بقصة الملا الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملا الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لاني انما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه صلى الله عليه وسلم كذلك من دواعي الوحي وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار فان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتامل والله المرشد وقري انما بالكسر بالحكاية وقوله تعالى **اذ قال ربك للملائكة** شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بان وحي هذا النبا اليه تربية وتاييد له صلى الله عليه وسلم والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى آخره دون حال المامور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر **اني خالق** اي فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه **بشرا** قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية **من طين** لم يتعرض لشي من اوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفا بما ذكر في مواضع اخر **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزا بدنه بتعديل طبايعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجرا الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلا بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع وفيه دليل على ان المامور به ليس مجرد الانحنا كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتكريما **فسجد الملائكة كلهم** اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد **اجمعون** اي بطريق المعية بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا وان سجودهم هذا مترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شي غير ما يفصح عنه الفا الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وسورة الاعراف **الا ابليس** استثنا واحدا منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى **استكبر** على الاول استيناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثنا فان تركه يحتمل ان يكون للتامل والتروي وفيه يتحقق للامر والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر **وكان من الكافرين** اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي** اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتنا

بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الي تاكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل
مذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالي قال انا خير منه ادعا منه
بشيء مستلزم لمنعه من السجود علي زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وقوله تعالي خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه
من فضله عليه السلام ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة
الفاعل كما انبا عنه قوله تعالي لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالي ونفخت فيه من روحي
وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة
في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفا لترتيب الامر علي ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر
الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملايكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السما
كما قيل فان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل
اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالي خلقته فاسود بعد ما كان ابيض
وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالي فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود
من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطانا يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة
وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالي وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملايكة والثقلين
ايضا من جهته تعالي وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الي يوم الدين الي يوم الجزا والعقوبة
وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزا لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا الي ذلك اليوم
لكن لا علي انها تنقطع يوميذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل علي انه سيلقي يوميذ من الوان العذاب وافانين العقاب
ما ينسي عنده اللعنة ويصير كالزايل الا تري الي قوله تعالي فاذن موذن بينهم ان لعنة الله علي الظالمين وقوله تعالي
ويلعن بعضكم بعضا قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفا متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اجعلني
رجيما فامهلني ولا تمتني الي يوم يبعثون اي ادم وذريته للجزا بعد فنايهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوايهم
وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين علي وجه يشعر بكون السايل تبعا لهم في ذلك دليل واضح علي انه
اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشا لانظار خاص به وقع اجابة لدعايه وان استنظاره كان طلبا
لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتاخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الي الدنيا
اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما يقتضيه كلمة التكوين الي يوم الوقت المعلوم الذي قدره
تعالي وعينه لفنا الخلايق وهو وقت النفخة الاولي لا الي وقت البعث الذي هو المسول فالفا ليست لربط نفس
الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال • فان ترحم فانت لذاك اهل •
فانه لا امكان لجعل الفا فيه لربط ما له تعالي من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار
بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفا في الاستنظار
فالانظار تعويلا علي ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون
له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما يحكي عن اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة
فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضي احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضي الحال والبالغ الي
رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج
الي معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالي وتوفيقه والله اعلم قال فبعزتك

البا

الباء للقسم والفا لترتيب مضمون الجملة علي الانظار ولا ينافيه قوله تعالي فبما اغويتني فان اغواه تعالي اياه من اثار قدرته تعالي وعزته
وحكم من احكام قهره وسلطنته فما للاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخري بالاخري
ناقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية ادم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله لطاعته
وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين علي صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالي قال اي الله عز وجل فالحق
والحق اقول برفع الاول علي انه مبتدا محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدا او نصب الثاني علي انه مفعول لما بعده قدم عليه
للقصر اي لا اقول الا الحق والفا لترتيب ما بعدها علي ما قبلها اي فالحق قسمي لاملان جهنم علي ان الحق اما اسمه تعالي
او نقيض الباطل عظمه الله تعالي باقسامه او فانا الحق او فقول الحق وقوله تعالي لاملان الي اخره جواب لقسم محذوف
اي والله لاملان الي اخره وقوله تعالي والحق اقول علي تقدير اعتراض مقرر علي الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلي
الوجه الثالث لمضمون الجملة القسمية وعلي الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين
علي ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين علي ان الاول مقسم به
قد اضمر حرف قسمه كقولك والله لافعلن والحق اقول علي حكاية لفظ المقسم علي تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد
والتشديد وقرئ بجر الاول علي اضمار حرف القسم ونصب الثاني علي المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك
في الغواية والضلال منهم من ذرية ادم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملانها من المتبوعين والاتباع
اجمعين لقوله تعالي لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالي ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشياطين اتضح ان مدار عدم المشية في
قوله تعالي ولو شينا لاتينا كل نفس اتباع الكفرة للشياطين لا سوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شايبة
الجبر فتدبر والله اعلم قل ما اسالكم عليه من اجر اي علي القران او علي تبليغ ما يوحي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين
اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتي انتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين
للثقلين كافة ولتعلمن نباه اي ما انبا به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين
بعد الموت ويوم القيامة وعند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت
وفيه من التهديد ما لا يخفي عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالي لداود
عليه السلام عشر حسنات وعصم ان يصر علي ذنب كبيرا وصغيرا وقال ابو امامة عصمه الله تعالي من كل ذنب كبيرا وصغيرا

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر لمبتدا محذوف هو اسم
اشارة اشير اليه به الي السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها علي شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل
هو ضمير عايد الي الذكر في قوله تعالي ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالي من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر او حال
من التنزيل وعاملها معني الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول له معني عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والاوجه
الاول او في بمقتضي المقام الذي هو بيان السورة او القران تنزيل الكتاب من الله تعالي لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالي
لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب علي اضمار فعل نحو اقرا او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة
للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وما بنيا جميع ما فيه
علي اساس الحكم الباهرة والايات القاهرة وقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان المنزل اليه
وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله تعالي والمراد بالكتاب هو القران واظهاره علي تقدير كونه
هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتنا بشانه والبا اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بسبب
الحق واقتضايه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه

ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لاريب موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى **فاعبد الله مخلصا له الدين**
لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم بالحق اي فاعبده تعالى محضا له في الدين من شوايب الشرك
والريا حسبما تبين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدا خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص
المستفاد من اللام والجملة استيناف وقع تعليلا باخلاصه لعبادة وقوله عز وعلا **الا لله الدين الخالص** استيناف
مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى وجواب لامتثال به على القراة موكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو
الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السراير والضماير وقوله تعالى
والذين اتخذوا من دونه اوليا الى اخره تحقيق لحقيه ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان
بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتدا خبره ما يابي
من الجملة المصدرة بان والاوليا من الملايكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى **ما نعبدهم الا ليقربونا**
الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينه لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثنا مفرغ
من اعم العلل وزلفى مصدر موكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها
بعبادة غيره قايلين ما نعبدهم لشي من الاشيا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا **ان الله يحكم بينهم** اي وبين خصمايهم
الذين هم المخلصون للرحمن وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين
اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة

فما كان بين الخير لو جا سالما • ابو حجر الا ليال قلايل

اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا **فيما هم فيه يختلفون** من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد
والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة وادخال المشركين النار فالضمير للفريقين
هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم وانما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العايد اليه
على اضمار المشركين من غير ذكر نعوه بالاعلاء لدلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اوليا قايلين
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجوا
العبدة شفاعتهم وقد يلعنونهم فبعدا لا عضا عما هم فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من
طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفعل وانما ذلك ما بين فريقي الموحدين
والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر من
الموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزيه وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم
اتباعا للبا **ان الله لا يهدي** اي لا يوفق للاهتدا الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب **من هو كاذب**
كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتدا لتغييرهما
ولتغييرهما الفطرة الاصليه بالتمرد في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى
لو اراد الله ان يتخذ ولدا الى اخره استينافا مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملايكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا
اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا **لاصطفى** اي لاتخذ **مما يخلق** اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه **ما يشا**
ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب اسناد جميع ما عداه اليه ومن البين
ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفا موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها
لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيا ليس هو من اتخاذ الولد في شي
اصلا بل انما هو اصطفا عبد ولاريب ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاه فهو ممتنع فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع

ولم يصح

ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عندها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه
وقوله **سبحانه** تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك
تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا ابعد او اسبحه تسبيحا لايقابه على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد
او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى **هو الله الواحد القهار** استينا فمبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لساير صفات الكمال النافيه لسمات النقصان
والوحدة الذاتيه الموجبه لامتناع المماثلة والمشاركة بينه وبين غيره على الاطلاق مما تنزهه تعالى عما قالوه قضا متقنا
وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضه للفنا ليقوم ولده مقامه عند فنايه ومن هو
مستحيل الفنا قهار لكل الكاينات كيف يتصور ان يتخذ من الاشيا الفانيه ما يقوم مقامه وقوله تعالى **خلق السموات**
والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده سبحانه وتعالى بما ذكر من الصفات الجليله اي خلقهما وما
بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى **يكور الليل على النهار ويكور**
النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك
السموات اي يغشى كل منهما الاخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس ويغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافه
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد **وسخر الشمس والقمر**
جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى **كل يجري لاجل مسمى** بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته
او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة **الا هو العزيز** الغالب القادر على كل شي من الاشيا التي من جملتها عقاب
العصاه **الغفار** المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع البديعه من اثار الرحمة
وتصدير بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتنا بمضمونها **خلقكم من نفس واحدة** بيان لبعض اخر من افعاله الدالة
على ما ذكره وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله للدلالة لما فيه من تعاجيب اثار القدرة واسرار
الحكمة واصالته في المعرفه فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس ادم عليه السلام وقوله تعالى
ثم جعل منها زوجها اي على معنى واحدة او من نفس وجدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت
ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا ايتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة خارجة
عن قياس الاولى كما يشعر التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة
وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق منه حوا ففيه ثلاث ايات مرتبه خلق ادم عليه السلام بلا اب وام
وخلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلايق الفايت للحصر فيهما وقوله تعالى **وانزل لكم** بيان لبعض اخر من افعاله
الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السما حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث
لكم باحداث باسباب نازله من السما كالامطار واشعة الكواكب **من الانعام ثمانية ازواج** ذكرا وانثى هي
الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقهما في الجنه ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى ما اخر فان كونه لانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة
المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى **يخلقكم في بطون امهاتكم** استينافا مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره
المختلفه الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى **خلقا من بعد خلق**
مصدر موكد اي يخلقكم فيها خلقا كاينا من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما
من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة **في ظلمات ثلاث**
متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمه او ظلمة الصلب والبطن والرحم **ذلكم** اشارة اليه
تعالى باعتبار احواله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبريا ومحله الرفع
على الابتدا اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله **الله** وقوله تعالى **ربكم** خبر اخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار

وفيما بعدها تتمة الحكم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والاخرة وليس لغيره شركة في ذلك
بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وقوله تعالى لا اله الا هو والفا في قوله تعالى فاني تصرفون لترتيب ما بعدها على
ما ذكر في شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن شؤونه تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفا الصارف عنها
بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون
نعمايه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم
وشكركم غير متاثر من انتفايهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم
رحمة عليهم لا لتضرره تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم وسعادة
الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونه عبادة له تعالى وقرئ باسكان
الها ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا
من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال
الظاهرة وهو تعليل للتنبيه واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان
يدعوه في حالة الرخا لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده لقوله تعالى
ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي
جعله خايل ما له من قولهم فلان خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعل يخول
اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعوا اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل
التخويل اي نسي ربه الذي كان يدعوا ويتضرع اليه اما بنا على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى
وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه
من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركا في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو
التوحيد وقرئ ليضل بفتح اليا اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور
واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان
الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون
فهم غير قاصدين بالتقاطه العداوة اضلالا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله تمتع بكفرك
قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل
لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذا ثبت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك
ان تومر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الى آخره من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة
قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومآلا
ام من هو قايم بمواجب الطاعات ودايم على اداء وظايف العبادات في ساعات الليل حالتي السرا والضرا لا عند مس
الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقايما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه
ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او
استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر
عذاب الآخرة ويرجوا رحمة ربه فينجوا بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبي عنه التعرض لعنوان الربوبية
المنبية عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجوا خيرها فقط واما منقطعة
وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجي الى الاعتراف لما بينهما من التباين البين كانه
قيل بل أمن هو قانت الى آخره افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم

والعمل

والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقايق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون اي ما ذكر او شيئا
فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلا معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج
الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون
لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المامور به وارد
من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم
كما في قول من قال

عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار • ماذا تحيون من نؤي واحجار

اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة الا اصحاب العقول الخالصة عن شوايب الخلل وهؤلا بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر
بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى
والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم
الى ضمير الجلالة ومزيد اعتنا بشان المامور به فان نقل عين امره رسول الله امر الله سبحانه وتعالى ادخل في ايجاب الامتثال
به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر اي لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان
بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي
قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال
الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سيل عن الاحسان بقوله
صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة
وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية وارض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبيا
والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الى آخره ترغيب في التقوى المامور
بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه
من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المجاهدة ومتاعبها اي انما يوفى الذين
صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي
من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر
عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل
الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلا بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين اي من كل ما ينافيه من الشرك والريا وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه
من الاخلاص في طاعة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المومنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما
كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اي وامرت بذلك لاجل ان اكون
مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده
بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين
ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون
اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي
بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي
والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر صلى الله عليه وسلم

اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار
بخوفه بامتثاله بالامر على ابلغ وجه وآكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله
تعالى فاعبدوا ما شئتم ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة من شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما
لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة
ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما
يوم القيامة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا
اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا
لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم
لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين يتمتعون بهم لو امنوا واياما كان فليس المراد
مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا
اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة
بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال
هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الى اخره نوع بيان
لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال من ظلل والاظهر
انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق
بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للاخرين بل لهم ايضا عند ترديهم
في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه موعظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف
والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام
على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان ان يعبدوها
بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا
اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين
يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب
والانابة باعيانهم وضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين
كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة باعتبار اتصافهم بما ذكر
من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
وخبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم
اولوا الالباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم
وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ
من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت
ومتبعوا خطواته كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه على انها
شرطية دخل عليها الهمزة للانكار والفاء لعطفها على جملة مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي
بمضمونهما معا اي انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء تاكيدا للانكار
والنفي بمضمونها وتذكيرا لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه

علي

على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار فان اجتهاده صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم
من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الى اخره جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة
وتعيين ما حذف منها وتدبر الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان
سعي في انقاذهم من الكفار ويجوز ان يكون بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب افانت تخلصه
منه ثم شدد التنكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث
كان المراد بمن في النار الذين في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون ووصفوا
بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية
والمعنى ان لهم جنات درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي
بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاتقان والاحكام تجري من
تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف
الى اخره فانه وعد اي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استيناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عنها
زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الاية او للاستشهاد
على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام
حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع
فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد حال كونها نابعة فيها فان الينبوع
يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض الجار اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة
او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا
من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كان لم تغن بالامس ولتكون هذه الحالة
من الآثار القوية عطف بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول
الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام
كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يحكمون على ان من قدر على انزال الماء
من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها
على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك
بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما وحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل
تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه لشؤونه تعالى وشؤون آثاره حسبما بين لا وجوده وقوله تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر
للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام
فانشراحه مستدع لانشراح القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا النور القلب
انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كما مر في قوله عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف
لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة

الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الايات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله لسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم وآياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد عن الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذريته الله نزل احسن الحديث هو القران الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى اذ فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم لاحسن الحديث ورفع محله على الاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجي الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه • وقيل لانه تثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها • كما يقال • رايت رجلا حسنا شمائل • اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان اثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ولا على معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى • ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او ومن يخذله فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجا اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشي قط افمن يتقي بوجهه الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيامة لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو امن لا يعتريه مكروه فلا يحتاج الى الاتقا

بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاني زيد رجلا او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل اراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد المثل من الامثال القرانية بعد بيان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هاهنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها كما مر في سورة يونس واخرى مثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعا كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سالما خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والاخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستويان حالا وصفة لانهما وصفا تماما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين لقوله تعالى اكثر اموالا واولادا او للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الى اخره ومثل رجل وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستوا بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستوا على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيقعون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم اي مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الايات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد • وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب لقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى اخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان

لا غير اي اظلم من كل ظالم افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اي بالامر
الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير تامل فيه
ولا تدبر اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق
من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون
في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس
المتناول للرسل والمومنين لهم ويويده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل
هو صفة لمحذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون
المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغايب وقرئ وصدق بالتخفيف اي صدق به فاداه اليهم كما نزل من غير تغيير
وقيل صار صادقا به اي بسببه لان ما جاء به القران معجزة دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرئ وصدق
به على البناء للمفعول لهم ما يشاءون عند ربهم بيان لما لهم في الاخرة من حسن الماب بعد بيان ما لهم في الدنيا
من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاءونه من جلب المنافع ودفع المضار في الاخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه
من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول
كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم
اسوا الذي عملوا الى اخره متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاءون لكن باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت
لهم فيما مضى بل بما سيثبت فيما سياتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله وعد الله فانه مصدر موكد لما قبله
من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم
جميع ما يشاءونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوا الذي عملوا دفعا لمضارهم
ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز
كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل
عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما
مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان خلا ان الزيادة المعتبرة
فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستقصار
حسناتهم وان جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات
الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوا بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق
الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوا لتكفير السيء لكن لما لم يمكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك
واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم
على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده
كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد
اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا ويويده قراءة من قرا عباده
وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرا بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة الماضي اما
من الكفاية لافادة المبالغة فيهما واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك الهتنا وتصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا
او ليصيبنك منهم خبل وجنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها الهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله

حتى

حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له صلى الله عليه وسلم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما
ومن يهدي الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته
كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل ووضوح السبيل قل تبكيتا لهم افرايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي
هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي وان
ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب
ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه صلى الله عليه وسلم للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان
ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه صلى الله عليه
وسلم لما سالهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه ملكه ومملوكه
تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار للعين
من المعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف
للاختصار والمبالغة في الوعيد وللاشعار بان حالته لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك
توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه
دليل لغلبته صلى الله عليه وسلم وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم
وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق
حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل
بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما
وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك
التي قضى عليها الموت اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا
كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو
الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك انما لا امتداد فيه
ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي
التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحده قريب مما ذكر
ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخرى لايات عجيبة دالة على كمال
قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية
كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها
فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء اجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله
من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلون
عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي انكار للوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من
اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر جميعا غير ما قدر اولا وعلى اي
تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم
وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع
له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقودان ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير لها وتاكيد

اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه **ثم اليه ترجعون**
يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد **واذا ذكر الله وحده** دون الهتهم
اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القران
وحده ولوا على ادبارهم نفورا **واذا ذكر الذين من دونه** فرادى او مع ذكر الله تعالى **اذا هم يستبشرون**
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان
الاستبشار هو ان يمتلي القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وغما ينقبض منه اديم
الوجه والعامل في اذا الاولى اشمازت وفي الثانية ما هو العامل في اذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجاوا وقت الاستبشار **قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة** اي التجئ اليه
تعالى بالدعا لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشيا بجملتها
والعالم بالاحوال باسرها **انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له
كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى **ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا**
الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان اثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته
اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخاير **ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة** اي لجعلوا
كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم
من الخلاص **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم
وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **وبدا لهم
سيات ما كسبوا** اي سيات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحايفهم **وحاق بهم ما كانوا به يستهزون**
اي احاط بهم جزاوه **فاذا مس الانسان ضر دعانا** اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفا لترتيب ما بعدها
من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما موكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله
تعالى وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمازوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره **ثم اذا خولناه
نعمة منا** اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزا **قال انما اوتيته على علم** اي على علم
مني بوجوه كسبه او بانى ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيا من النعمة **بل هي فتنة** اي محنة وابتلاء له ايشكر او يكفر وهو رد لما قاله وتغيير
السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتا المبني على الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث
الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرى بالتذكير **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الامر كذلك وفيه دلالة
على ان المراد بالانسان هو الجنس **قد قالها الذين من قبلهم** لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرى
بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به **فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون** من متاع الدنيا ويجمعون منه **فاصابهم سيات ما كسبوا** جزا سيئة اعمالهم او جزا ما كسبوا
وتسميتها سيات لانها في مقابلة سياتهم **والذين ظلموا من هولا** المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا
في الظلم والعتو **سيصيبهم سيات ما كسبوا** من الكفر والمعاصي كما اصاب اوليك والسين للتاكيد
وقد اصابهم اي اصابهم حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر **وما هم بمعجزين** اي فايتين **اولم يعلموا**
اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا **ان الله يبسط الرزق لمن يشا** ان يبسط له **ويقدر** الذي ذكر
لمن يشا ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا **ان في
ذلك** الذي ذكر **لايات** داله على ان الحوادث كافة من الله عز وجل **لقوم يومنون** اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد وتخصيصهم

بالمؤمنين

بالمومنين على ما هو كائنا سواءهم من مغفرته عرفا القران الكريم **لا تقنطوا من رحمة الله** لا تيأسوا من مغفرته وتفضله
ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشا ولو بعد حين بتعذيبه في الجملة وبغير حسبما يشا وتقييده بالتوبة خلاف
الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ظاهر الاطلاق فيما عدا الشرك
ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى **انه هو الغفور الرحيم** على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص من المقتضين للترحم وتخصيص ضرر
الاسراف لانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب
ووضع الاسم الجليل موضع المضمر لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي
من اسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد
في كلام العرب مثل اكرم الفضلا اكرم الكاملين عن مسلم فكيف بما هو بمنزلة كلام واحد لا يخل بذلك الامر بالتوبة
والاخلاص في قوله تعالى **وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون** اذ ليس
المدعى ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد
بالعذاب **واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم** اي القران او المامور به دون المنهي عنه او العزايم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة **من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون** بمجيه لتداركوا وتتاهبوا له **ان تقول نفس** اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله
تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر
يا حسرتى بالالف بدلا من يا الاضافة وقرى يا حسرتاه بها السكت وقفا وقرى يا حسرتاي بالجمع بين العوضين
وقرى يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوانك احضري **على ما فرطت** اي على تفريطي وتقصيري **في جنب الله**
اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال

امّا تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرا وعين ترقرق •

وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله عز وجل على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب
وقرى في ذكر الله **وان كنت لمن الساخرين** اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت
وانا ساخر **او تقول لو ان الله هداني** بالارشاد الى الحق **لكنت من المتقين** من الشرك والمعاصي **او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة** رجعة الى الدنيا **فاكون من المحسنين** في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها
لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى **بلى قد جاتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين** رد من الله تعالى عليه لتضمن قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله
عنه لما ان تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسباب الفعل اليه كما عرفت وتذكير
الخطاب باعتبار المعنى وقرى بالتانيث **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله** بان وصفوه تعالى بما لا يليق بشانه
كاتخاذ الولد **وجوههم مسودة** بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها
بالضمير عن الواو او على ان الروية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية **اليس في جهنم مثوى** اي مقام **للمتكبرين**
عن الايمان والطاعة وتقرير لما قبله من رويتهم لذلك **وينجي الله الذين اتقوا** الشرك والمعاصي اي من جهنم
وقري ينجي من الانجا **بمفازتهم** مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والبا متعلقة بمحذوف هو حال من
الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم
بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى **لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون** اما حال اخرى من الموصول او من ضمير
مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه

والبا للملابسة او بقوله تعالى لا يمسهم اما تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة
بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم
كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس
والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة المكاسب
لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيف شا له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها
ولا يتمكن من التصرف فيهما غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال
والاستبداد لان الخزاين لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته
اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله
عليه وسلم عن المقاليد فقال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
والمعنى على هذا ان لله تعالى هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خزاين السموات والارض من تكلم بها اصابه
والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله خالق لجميع الاشيا يتصرف
فيها كيف ما يشا بالاحيا والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية
المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران
وراه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك
وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تامروني لانه بمعنى تعبدونني
وتقولون لي اعبد على انه اصله تامرونني ان اعبد فحذفت ان ورفع ما بعدها كما في قوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تامرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة
الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه بحيث ينهى عنه من لا يكاد
يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان
للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت
كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه
من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن
من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره
ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة
وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على
غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى
ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا
كقولهم شابت له الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية
بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان
المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغايرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم

او عما يشركونه من الشركا ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا
امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكايل واسرافيل فانهم لا يموتون الا بعده وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى تحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قايمون من
قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في
الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له
النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف الاسم الجليل ووضع
الكتاب الحساب والجزا من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال فاكتفى باسم
الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحايف وجيء بالنبيين والشهدا للامم وعليهم من الملايكة
والمومنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم
وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى اخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها
بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة
والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاوها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم
رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم
هذا وهو وقت دخولكم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان
الرسل وتبليغ الكتاب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى
لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القايل لتهويل
المقول فبيس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره اولا اي فبيس
مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بنا على
تكبرهم وكفرهم وقد تقدم تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز
وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين
حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينيذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا
جاوها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والالام طبتم طهرتم من دنس
المعاصي وطبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا
فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما
يرثه نتبوا من الجنة حيث نشا اي يتبوا كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها
مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملايكة حافين محدقين
من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتدا الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى على الالتذاذ به
ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به
وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذايذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملايكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم

وقيل الحمد لله رب العالمين اي علي ما قضي بالحق وانزل كلا منزلته التي هي حقه والقايلون هم المومنون ممن
قضي بينهم او الملايكه وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم • عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع
الله تعالى رجاه يوم القيامه واعطاه ثواب الخايفين • وعن عايشه رضي الله عنها انه صلي الله عليه وسلم
كان يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر •

بسم الله الرحمن الرحيم • حم بتفخيم الالف وتسكين الميم
وقري بامالة الالف واخراجهما بين بين وبفتح الميم لالتقا الساكنين او بنصبها باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف
للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها علي زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب
كالذي سلف في الم السجده وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض
لنعتي العزه والعلم ما ذكرهناك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر
لتحقيق ما فيها من الترغيب والحث علي ما هو المقصود والاضافه فيها حقيقيه علي انه لم يرد بها زمان مخصوص
واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامنا للالتباس وابدال وجعله وحده
بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبه
او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقا الذنب وذلك لمن لم يتوب
فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبه وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق
وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمه • وقيل سبقها رحمة لها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي
علي طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الي غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع
والعاصي ما يجادل في ايات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطله لادحاض الحق كقوله تعالى
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شايبة شبهة
منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها • وكشف معضلاتها • واستنباط حقايقها الكليه
وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام • ومزالق الاقدام • وابطال شبه اهل الزيغ والضلال ففي اعظم الطاعات
ولذلك قال صلي الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفا في قوله تعالى
فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتها علي ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي
لا شي امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والاخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم
من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا علي الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح
مثل عاد وثمود واحزابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتيه برسولهم وقري برسولها لياخذوه
ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الفتل بمعني الاسر وجادلوا بالباطل الذي
لا اصل له ولا حقيقة اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هولا فاخذتهم بسبب ذلك
اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان اثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذنهم ولا
ايضا لاتحادهم في الطريقه واشتراكهم في الجريره كما ينبي عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك
اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاوه بالتعذيب علي اوليك الامم المكذبه المتحزبه علي رسلهم المجادله بالباطل
لادحاض الحق به وجب ايضا علي الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبي عنه اضافة
اسم الرب الي ضميره صلي الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي

من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدايه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم
المهلكه وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم يستحقوا اشد العقوبات
واقطعها الذي هو عذاب النار وملازموها ايضا لكونهم كفارا معاندين متحزبين علي الرسول صلي الله عليه وسلم
كداب من قبلهم من الامم المهلكه فهم لساير فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع
علي انه بدل من كلمة ربك والمعني مثل ذلك الوجوب وجب علي الكفرة المهلكه كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الاخرة ومحل الكاف علي التقديرين
النصب علي انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلا طبقات الملايكه عليهم السلام
واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش
جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع علي الابتدا خبره يسبحون بحمد ربهم والجمله استيناف
مسوق لتسلية رسول الله صلي الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملايكه مثابرون علي ولاية من معه من المومنين
ونصرتهم واستدعا ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده
علي نعمايه التي لا تتناهي ويومنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغني عن ذكره راسا فضيلة
الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعايهم للمومنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون
للذين امنوا فان المشاركه في الايمان اقوي المناسبات واتمها وادعي الدواعي الي النصح والشفقه وفي نظم
استغفارهم لهم في سلك وظايفهم المفروضه عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنايهم
به واشعار بوقوعه عند الله سبحانه وتعالى في موضع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلي
ورووسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلي الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم
ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملايكه فان خلقا من الملايكه يقال له اسرافيل له زاوية من زوايا العرش
علي كاهله وقدماه في الارض السفلي وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضال من عظمة الله حتي يصير كانه
الوضع • وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملايكه ان يغدوا ويروحوا بالسلام علي حملة العرش تفضيلا لهم علي
سايرهم • وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضرا وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين
الف عام • وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملايكه يطوفون به مهللين ومكبرين ومن وراهم سبعون الف
صف قيام قد وضعوا ايديهم علي الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ربنا علي ارادة القول
اي يقولون ربنا علي انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك
فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة
بالذات هاهنا والفا في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبه واتباع
سبيل الحق لترتيب الدعا علي ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم منه وهو
تصريح بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم عطف علي قهم وتوسيط الندا بينهما للمبالغة في الجو جنات
عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقري جنة عدن ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم
اي صلاحا مصححا لدخول الجنه في الجمله وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف علي الضمير الاول اي وادخلها
معهم هولا ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او علي الثاني لكن لا علي الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقي
حينيذ للعطف وجه بل بنا علي الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا علي درجة من ذرياتهم
قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنه فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول
اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنه وسبق الوعد بالادخال والالحاق ولا يستدعي حصول الموعود
بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه قول من قال فايدة الاستغفار زيادة الكرامه والثواب والاول هو

الاولي لان الدعا بالادخال فيه صريح والثاني ضمني وقري صلح بالضم وذريتهم بالافراد **انك انت العزيز** اي الغالب
الذي لا يمتنع عليه مقدور **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد
والجملة تعليل لما قبلها **وقهم السيئات** اي العقوبات لان جزا السيئة اوجزا السيئات علي حذف المضاف وهو تعميم
بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا لمعني قوله **ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته** ومن
تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا له السبب بعدما سالوا المسبب **وذلك** اشارة الي الرحمة
المفهومة من رحمته او اليها والي الوقاية وما فيه من معني البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه
هو الفوز العظيم الذي لا يطمع وراه الطامع **ان الذين كفروا** شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم
النار بعدما بين فيما سبق انهم اصحاب النار **ينادون** اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم
الامارة بالسو التي وقعوا فيها وقعوا بسبب اتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاجلا لقوله تعالي
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي بغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك
علي رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك **لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم** اي لمقت الله انفسكم الامارة
بالسو او مقته اياكم في الدنيا **اذ تدعون** من جهة الانبيا **الي الايمان** فتابون قبوله **فتكفرون** اتباعا لانفسكم
الامارة ومسارعة الي هواها او اقتدا باخلايكم المضلين واستحبابا لارايهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من
مقت بعضكم بعضا اليوم واذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظرف من الاتساع وقيل لمصدر
اخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لما ذكروا لاول هو الاصح وقيل كلا المقتين في الاخرة واذ تدعون
تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعني لمقت الله اياكم الان اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون
الي الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضل المجرمين الاداعي اليه **قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين** صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياتين او موتتين واحياتين
علي انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوايد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحيا ينبيان عن
الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا فمتنا واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين علي طريقة قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف

اي لم تدع ولم تبق الا مسحت الي اخره قيل اراد بالاماتة الاولي خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضا
اجالهم علي ان الاماتة جعل الشي عادم الحياة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قوله سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل او يجعله كذلك بعد الحياة وبالاحيائين الاحيا الاول واحيا البعث وقيل اراد بالاماتة الاولي
ما بعد الحياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب
بحالهم واما حديث لزوم الزيادة علي النص ضرورة تحقيق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم
بها لزوالها وانقضائها وانقطاع اثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه
في الدنيا كما ينطق به قولهم **فاعترفنا بذنوبنا** وهو التزام العمل بموجبا ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الي
ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الي الدنيا كما فصح جوابه كما قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
وهو الذي ارادوه بقولهم **فهل الي خروج من سبيل** مع نوع استبعاد واستشعار بياس منه لا انهم قالوه
بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس
الا الاحيا بعد الموت واما الاحيا الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف
به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولي مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال
الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب
ترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالي **ذلكم** جواب لكم باستحالة

حسول

حسول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل **بانه**
اي بسبب ان الشان **اذا دعي الله** في الدنيا اي عبد **وحده** اي منفردا **كفرتم** اي بتوحيده **وان يشرك به تؤمنوا**
اي بالاشراك به وتسارعوا اليه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولي وان وصيغة المضارع في الثانية
ما لا يخفي من الدلالة علي كمال سو حالهم وحيث كان حالكم كذلك **فالحكم لله** الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما
تقتضيه الحكمة **العلي الكبير** الذي ليس كمثله شي في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته ولا سبيل لكم الي الخروج
ابدا **هو الذي يريكم اياته** الدالة علي شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها علي ذلك
وتعلموا بموجبها فتوحدوه تعالي وتخصوه بالعبادة **وينزل** بالتشديد وقري من الانزال **لكم من السما رزقا**
اي بسبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات الدالة علي كمال قدرته تعالي لتفرده بعنوان كونه
من اثار رحمته وجلايل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة علي تجدد الارادة والتنزيل
واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور علي المفعول لما مر غير مرة **وما يتذكر** بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها
الا من ينيب الي الله تعالي ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته
الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالي ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ **فادعوا الله مخلصين
له الدين** اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب
انابتكم اليه تعالي وايمانكم به **ولو كره الكافرون** ذلك وغاظهم اخلاصكم **رفيع الدرجات** نحو بديع السموات
علي انه صفة مشبهة اضيفت الي فاعلها بعد النقل الي فعل بالضم كما هو المشهور وتغييره بالرفع ليكون من اضافة
اسم الفاعل الي المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملايكته **ذو العرش** اي معارجهم ومصاعدهم
الي العرش اي مالكه وهما خبران اخران لقوله تعالي هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالي وعظم سلطانه
الموجب لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملايكته
الي العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون
علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع علي الكناية
كالاستوا علي العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالي **يلقي الروح من امره** فانه خبر اخر لما ذكر مبني عن انزال
الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالي **من امره**
بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشيا او مبتديا من امره او صفة لها
علي راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكاين بامره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء في
ما في قوله تعالي مما خطاياهم اي يلقي الوحي بسبب امره **علي من يشا من عباده** وهو الذي اصطفاه لرسالته
وتبليغ احكامه اليهم **لينذر** اي الله تعالي او الملقي عليه او الروح وقري لينذر علي ان الفاعل هو الرسول عليه
الصلاة والسلام او الروح لينذر الناس العذاب **يوم التلاق** وهو يوم القيامة لانه تتلاقي فيه الارواح والاجساد
واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة
وقري لينذر علي البنا للمفعول ورفع اليوم **يوم هم بارزون** بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شي من جبل او اكمة او بنا لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جا
في الحديث تحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرايرهم **لا يخفي
علي الله منهم شي** استيناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهم في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر
ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفي عليه تعالي شي ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجليلة والخفية السابقة
واللاحقة **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** حكاية لما يقع حينيذ من السوال والجواب بتقدير قول معطوف علي ما قبله

من الجملة المنفيه المستانفه او مستانفا يقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه يقول فماذا يكون
حينئذ فقيل يقال الي اخره اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السايل
بعينه لما روي انه يجمع الله الخلايق يوم القيامة في صعيد واحد في ارض بيضا كانها سبيكة فضه لم يعص الله تعالي
فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال
من تقطع اسباب التصرفات المجازيه واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهيه اليوم تجزي كل نفس
بما كسبت الي اخره اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالي و نتيجته التي هي الحكم السوي والقضا
بالحق او حكاية لما سيقوله تعالي يوميذ عقيب السؤال والجواب اي تجزي كل نفس من النفوس البره و الفاجره بما كسبت
من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله
تعالي شان عن شان فيحاسب الخلايق قاطبه في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالي اذا اخذ في حسابهم
لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالي اليوم تجزي الي اخره فان ذلك اليوم بعينه
يوم التلاقي ويوم البروز مما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيا فيكون تعليلا للانذار وانذرهم
يوم الازفة اي القيامة سميت بها لازوفها وهو الصواب عيان فيه اشعار بضيق الوقت وقيل الخطة الازفه
وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالي فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالي
كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدي الحناجر بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم
فلا تعود فيستريحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين علي الغم حال من اصحاب القلوب علي المعني اذ الاصل قلوبهم
او من ضميرها في الظرف وجمع السلامه باعتبار ان الكظم من احوال العقلا كقوله تعالي فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع
اي لا شفيع شفع علي معني نفي الشفاعة والطاعة معا علي طريقة قوله • علي لاحب لا يهتدي بمناره •
والضماير ان عادت الي الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل يعلم
خاينة الاعين النظرة الخاينه كالنظرة الثانيه الي غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين علي انها مصدر
كالعاقبه وما تخفي الصدور من الضماير والاسرار والجمله خبر اخر مثل يلقي الروح للدلالة علي انه ما من خفي الا وهو
متعلق العلم والجزا والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم علي الاطلاق فلا يقضي بشي الا وهو حق وعدل
والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالي لا يقضون بشي تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي
وقري تدعون علي الخطاب التفاتا او علي اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالي بخاينة الاعين
وقضايه بالحق ووعيد لهم علي ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي ماّل حال من قبلهم من الامم المكذبه لرسلهم كعاد
وثمود واضرابهم كانوا اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جي بضمير الفصل مع ان حقه التوسط
بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفه في امتناع دخول اللام عليه وقري اشد منكم بالكاف واثارا في الارض
مثل القلاع الحصينه والمداين المدينه وقيل المعني واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله
بذنوبهم اخذ وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ
بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهره فكفروا فاخذهم
الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يوبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسي
باياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهره وهو ما عين الايات والعطف لتغاير العنوانين
واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الايات لانافتها افراد جبرايل وميكايل مع دخولهما
في الملايكه عليهم السلام الي فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات

وفيما

وفيما ادعاه من رسالة رب الارض والسموات فلما جاهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر علي يده من المعجزات الظاهرة
قالوا اقتلوا ابنا الذين امنوا معه واستحيوا نساهم كما قال فرعون سنقتل ابناهم ونستحيي نساهم اعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسي عليه السلام واحس بانه قد وقع
ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك لا عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنه بذهاب ملكهم علي يديه وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيا
وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضا المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر
والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجمله اعتراض جي به في تضاعيف ما حكي
عنهم من الاباطيل للمسارعة الي بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمره وقال
فرعون ذروني اقتل موسي كان ملاه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه وانه
اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحره وبقولهم اذا قتلته ادخلت علي الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت
عن معارضته بالحجه وعدلت الي المقارعة بالسيف والظاهر من دها اللعين ونكارته انه قد استيقن انه نبي وان ما
جا به ايات باهره وما هو بسحر ولكن كان يخاف انه هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها علي قومه
وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهايل وقوله
وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعايه ولكنه اخوف ما يخافه اني اخاف اذ لم اقتله ان يبدل
دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه وان يظهر في
الارض الفساد ما يفسد دينكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر علي تبديل دينكم بالكليه وقري بالواو الجامعه
وقري بفتح اليا والها ورفع الفساد وقري يظهر بتشديد الها من تظهر بمعني تظاهر اي تتابع وتعاون
وقال موسي اي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تاكيدا له واظهارا لمزيد الاعتنا بمضمونه وفرط الرغبة
فيه وخص اسم الرب المنبي عن الحفظ والتربيه لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم علي موافقته في
العياذ به تعالي والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره
بوصف يعمه وغيره من الجبابرة والاشعار بعلة القساوة والجراة علي الله تعالي وقري عدت بالادغام
وقال رجل مؤمن من ال فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسي سرا وقيل كان اسراييليا وعربها موحدا
يكتم ايمانه اي من فرعون وملايه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله
اي وحده من غير رويه وتامل في امره وقد جاكم بالبينات والحال انه قد جاكم بالمعجزات الظاهره والايات
الباهره التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم
عن رتبة المكابره ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
ويتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الي قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم
يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسو وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا و يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم
كانه خوفهم بما اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد •
• تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها •
مردود لما ان مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج اخر ذو وجهين احدهما
انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالي الي البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك لخذله
الله تعالي واهلكه فلا حاجة بكم الي قتله ولعله اراد به المعني الثاني وهو عاكف علي المعني الاول لتلين شكيمتهم

وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاح يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا
من باس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم
يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم
فيما يسوءهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما
يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه قال فرعون بعدما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى
من قتله وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر
ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين
للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد
كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي امن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض
له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله
وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة
لانه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار
حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض لقوله تعالى يوم يفر المرء من
اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا
فبينما هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد
اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل انفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
فالجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد وقيل سبطه
يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما
جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث تعالى رسولا مع الشك في رسالته وقرئ ان لن يبعث الله على ان بعضهم
يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه
شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول
الاول وبيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق
بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين
امنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال
المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه
امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه
منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
اي الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها
فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع

عال

عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى فيها ما يدل على ارسال الله تعالى
اياه او ان يرى فساد قوله بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه وصعوده اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه
من الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا
لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة
زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات
والشبهات ويؤيده قراءة قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا
على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي امن اي مؤمن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم
اتبعوني فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما
يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها
اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون
ما يودي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال وان الاخرة هي دار القرار لخلودها ودوام
ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الاخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات
تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل
ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم
على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم
الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعل بعضهم من قبيل ما لي اراك
حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته تعالى في العبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم
والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع
صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة ومما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما
تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق وجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا
او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك
الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع
كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه بفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله
اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا
توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون
اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبه

المومن لما انه هرب الى جبل فاتبعه طايفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا سوء العذاب
الغرق والقتل النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفه مسوقه لبيان كيفية سوء العذاب او النار
خبر مبتدا محذوف كان قايلا يقول ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء
العذاب ويعرضون حال منهما او من الاول ولا يشترط الحياة ان يكون الحايق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان
الفرعون لم يجهم تعذيبه بالنار لئلا يكون ابتلاؤهم بها قبل من قبل رجوع ما هم عليه بل يكفي في ذلك ان يكون
فيما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم
على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاساري على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي ابن مسعود ان
ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما
بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملايكة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد
من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول
الضعفا منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذي تبع
اي اتباع على اضمار المضاف اي تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا الى آخره او بمغنون على تضمينه
معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الى آخره او نصب على المصدر به كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع عنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه
عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في
الظرف المتقدم كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضا قضا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلتهم وعيت بهم
علالهم لخزنة جهنم اي للقوم بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع ولبيان
محلهم فيها بان تكون ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملايكة الموكلين بعذاب اهلها
اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام
على انه ظرف لا معيار شي من العذاب واقتصارهم في الاستدعا على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب
في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في
حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم
تنتهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الداله على سوء عاقبة ما كنتم عليه
من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعا وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها
فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير
والفا في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال ٭ فقد جئنا خراسانا ٭
اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعا لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعا
بعدم الاذن فيه مع غرابة عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفا ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان
وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعا اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار
خيبتهم حسبما صرحوا في قولهم وما دعا الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر

رسلنا والذين امنوا الى آخره كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي
من فروع حكم تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر ان ننصر رسلنا واتباعهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة من الاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم
من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيامة
عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والاخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ
لا تنفع بالتا ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى
ما يهتدي به من المعجزات والصحف واورثنا بني اسرايل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى
هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر
على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الى قوله الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين
فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح
ملتبسا بحمده تعالى وقيل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكه ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك
بالعشي والابكار وقيل هما صلاتان صلاة العصر وصلاة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله ويجحدون
بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في
امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكه وقوله تعالى
ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتقطع عن التفكر وارادة الرياسة والتقدم على
الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما وان لهم شيئا يتوهم
ان يصلح مدادا للجدال فيه في الجمله وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك
الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والنبوه وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست بصاحبنا المذكور في
التوراه بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله
اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم
وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون
فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى
والبصير اي الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا
بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسي للتاكيد
النفي لطول الكلام بالصله ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامه والعاطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا
ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او للكفار
ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها بوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني

استجب لكم اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلا وان فسر الدعا بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعا فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليودي الى ضعف الحركات وهدو الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصيص ان اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فاني تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يوفك كل من جحد باياته تعالى اي اية كانت لا لافكا اخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفا في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضا والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذايذ ذلكم الذي بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقرا اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه انا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قايلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات او من الايات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الايات التنزيلية مفسرة للايات التكوينية الافاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق ادم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي من مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيا فشيا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحيا او الذي يفعل الاحيا والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شي من الاشيا اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والفا الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتايج ما قبلها من اختصاص الاحيا والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة

وارابهم

وارابهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القران وبسائر الكتب والشرايع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله الى اخره بيان لابتنا جدالهم على معنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية فارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى حال المكابرين المجادلين في ايات الله الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القران او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب السماوية او مطلق الوحي والشرايع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نيته التاخير او قيل مبتدا حذف خبره لدلالة الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العايد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح اليا على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال واضمارا للبا ويؤيده القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيا اي بل تبين لنا انا لم نكن انا لم نكن نعبد شيا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيا يعتد به كقولك حسبته شيا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شي ينفعهم في الاخرة او يضلهم الهتهم بضلالهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كاين لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبي عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا العرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبيا عليهم السلام ماية واربعة وعشرين الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرايل واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اي ما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جا امر الله بالعذاب في الدنيا

والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان
استعير للزمان المبطلون اي المستمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيه المعاندون المقترحون دخولا
الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها
ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه الكلام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي
تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين
منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة
الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها
واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك
تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهوادج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين
الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب
والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا ان كلا منهما مختص ببعض معين منها
بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما
كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم اياته دلايله الدالة على كمال قدرته
ووفور رحمته فاي ايات الله اي فاي اية من تلك الايات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث
لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الايات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشايع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسماء
غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة
الى اخره استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية
والقصور والمصانع وقيل هي اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم تغن عنهم او اي
شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالايات الواضحة
فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقايد الزايغة والشبه الداحضة
وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره
رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم
المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله تعالى عليه وحاق بهم بالكافرين ما كانوا به يستهزءون جزاء
جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية
عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة
كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم
الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قوله وعظته فلم
يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها
على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا
لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءهم الى اخره وهو انهم كفروا واصروا مجموع الكلام بمنزلة

ان يقال

ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان
الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف انفا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه
واستغفر له والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر مبتدا
محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدا خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر مبتدا محذوف فان جعل مسرودا
على نمط التعديد فقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية او خبر اخر وتنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على وجوه الاول بدل منه او خبر اخر
او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة
الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت اياته ميزت بحسب النظم والمعنى
وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ
فصلت اي فرقت بين الحق والباطل وفصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من
البلد فصولا قرانا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من اياته لقوم يعلمون اي معانيه
لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرانا
اي كاينا لقوم الى اخره او بتنزيل على انه من الرحمن الرحيم ليست بصفة او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان
لقرانا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من اياته وقرئا بالرفع على انه صفة
لكتاب او خبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل
حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان
والعمل بما في القران قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم
واصل الثقل وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة
على ان الحجاب مبتدئ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا
وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم
للرسل عليهم السلام فاعمل اي على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك
والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب
عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان
كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد
بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه صلى الله عليه وسلم
للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول
والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل
وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي وانا بشر نبوتي واذا
صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما
قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه

مما كنتم عليه من سوء العقيده والعمل وقوله تعالي وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر بيان ترغيبهم
في التوحيد ووصفهم بقوله تعالي الذين لا يوتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل
من اوصاف المشركين وقرن الكفر بالاخرة حيث قيل وهم بالاخرة هم كافرون وهو عطف علي لا يوتون داخل
في حيز الصله واختلافهما بالفعليه والاسميه لما ان عدم ايتايها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه فسر لا يوتون الزكاه بيقولون لا اله الا الله زكاة الانفس والمعني لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو
ماخوذ من قوله تعالي ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون علي الطاعه ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا ينقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب
لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل اينكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم فان اللام انما لتاكيد الانكار
وتقديم الهمزة لاقتضايها الصدارة لا لانكار التاكيد واما الاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلا
وقوعه فيحتاج الي التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شانه تعالي
واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين
علي ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات
وابداع نيرانها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف علي تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ
وجميع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا اي والحال
انه لا يكون له ند واحد ذلك اشارة الي الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصله وما فيه من معني البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين
وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها
دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون احسن مخلوقاته ندا له وقوله تعالي وجعل فيها رواسي اي عطف
علي عطف داخل في حكم الصله والجعل ابداعي وتحديث لزوم الفصل بينهما بالجملتين الخارجتين عن حيز الصلة
مرفوع بان الاولي متحدة بقوله تعالي يكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانيه اعتراضيه مقررة لمضمون الكلام
بمنزلة التاكيد بالفصل بهما كلا فصل علي ان فيه فايدة التنبيه علي ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته
للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف علي مقدر اي خلقها وجعل
الي اخره وقيل هو كلام مستانف واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالي من فوقها
متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كاينة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها
ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع
الحيوانات التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اي حكم فيها اقواتها
في اربعة ايام تصريحا بالحد لكم سوا مصدر موكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سوا اي استوا كما ينبي عنه
القراة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او فيها وقري بالرفع اي هي سوا للسايلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسايلين عن مدة خلق الارض وما فيها اي مقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السايلين اي
الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالي ثم استوي الي السما شروع في بيان كيفية
التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنايه
تعالي بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم علي الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان
اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي علي غيره وهي دخان امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزا المتصعدة
التي ركبت منها او دخان مرتفع من الما كما ياتي والمخصص لاستوايه بالسما مع ان الخطاب بالمترتب عليه متوجه

اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالي فقال لها وللارض اكتفا بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض
التي قدر وجودها ووجود ما فيها ايتيا اي كونا واحدثا علي وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن
تعلق ارادته تعالي بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر كما في قوله تعالي
طوعا او كرها تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالي فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما
وهما مصدران وقع موقع الحال اي طايعتين او كارهتين وقوله تعالي قالتا اتينا طايعين اي منقادين
تمثيل لكمال تاثرهما بالذات علي القدرة الربانيه وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا
علي مقتضي الحكمة فان الطوع مبني عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طايعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب
والجواب كقوله تعالي ساجدين وقوله تعالي فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السما المجمل المعبر
عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب علي تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة
والضمير اما للسما علي المعني او مبهم وسبع سموات حال علي الاول وتمييز علي الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين
وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص
عليه في مواقع من التنزيل واوحي في كل سما امرها عطف علي قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملايكة
والنيران وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالي كما قال قتادة والسدي والوحي عبارة عن التكوين فالامر مقيد بما قيد
به المعطوف عليه من الوقت واوحي الي كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق
عن القيد المذكور واياما كان فعلي ما قرر من التفصيل لا دلالة في الاية الكريمه علي الترتيب بين ايجاد الارض
وايجاد السما وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما علي تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال
الثلاثه علي معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقره من قوله تعالي هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوي الي السما فسواهن سبع سموات يدلان علي تقدمه خلق الارض وما فيها علي خلق السما وما فيها وعليه اطباق
اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض علي الما ثم انه تعالي احدث في الما
اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي علي وجه الما فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة
ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلي فخلق منه السموات وروي انه تعالي خلق جرم الارض يوم الاحد
ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعه
وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامه وقيل ان خلق جرم الارض
مقدم علي خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها موخر عنه لقوله تعالي والارض بعد ذلك دحاها ولما روي
عن الحسن رضي الله عنه من انه تعالي خلق الارض في بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد
الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض وذلك قوله تعالي كانتا رتقا
ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمهما مع السما في سلك الامر بالاتيان انشاهما واحداثهما بالانشا وجودهما
وجعلهما علي وجه خاص يليق بهما من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا علي ما ينبغي ان تاتيا عليه
ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سما مقببة سقفا لهم ومعني الاتيان الحصول والوقوع علي ذلك
الوجه كما ينبي عنه قرانه ايتيا من المواتاه وهي الموافقه وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد
خلق جرم الارض حتى يتاتي ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخره عن دحوها قطعا فالاظهر ان يبقي الخلق
الاولين ويحمل الامر بالاتيان علي تكوينهما متوافقين علي الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا
علي ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السما علي الوجه اللايق بها كاف
في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض علي الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالي والارض بعد
ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف علي شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الي ما ذكر من بنا السما ورفع سمكها

ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الي انفسهما ويحمل البعدية اما علي انه قاصر عن الاول في الدلالة علي القدرة القاهرة
كما قيل واما علي انه اذا دخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ماروي عن الحسن رضي الله عنه نصا في دحو الارض عن خلق الارض السما فان
بسط الارض معطوف علي اصعاد الدخان وخلق السما بالواو فلا دلالة في ذلك علي الترتيب قطعا وقد نقل
الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السما مقدم علي ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا يرد من حمل الامر
باتيانهما حينئذ ايضا علي ما ذكر من التوافق والمواتاة ثم لا يقدح في ذلك تقدم خلق السما علي خلق الارض
كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض علي خلق السما هذا كله علي تقدير كلمة ثم للتراخي الزماني واما علي تقدير كونها
للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الاية الكريمة علي الترتيب كما في الوجه الاول وعلي ذلك بني الكلام
في تفسير قوله تعالي هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الايه وانما لم يحمل الخلق هناك علي معني التقدير كما حمل
عليه ههنا لتوفية المقام لا متناع حقه **وزينا السما الدنيا بمصابيح** من الكواكب وانها كلها ترى متلالية
عليها كانها فيها والالتفات الي نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالي **وحفظا** مصدر موكد
بفعل معطوف علي زينا اي وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له علي المعني كانه قيل
وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك** الذي ذكر بتفاصيله **تقدير العزيز العليم** المالغ في القدرة والعلم
فان اعرضوا متصل بقوله تعالي قل ائنكم الي اخره اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظايم الامور
الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان **فقل انذرتكم** اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة
علي تحقق الانذار المبني عن تحقق المنذر **صاعقة** اي عذابا هايلا شديد الوقع كانه صاعقه **مثل صاعقة
عاد** وقري صعقة عاد **وثمود** وهي المرة من الصعق او الصعيق يقال صعقته الصاعقه صعقا فصعق
صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاتهم الرسل** حال من صاعقة عاد ولا امتداد لجعله ظرفا لانذركم
او صفة لصاعقة عاد اي الكاينة اذ جاتهم ففيه حذف الموصول مع صلته **من بين ايديهم ومن خلفهم**
متعلق بجاتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى
فيه علي الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا او من عذاب الاخرة وقيل المعنى
جاتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون علي تنزيل كلامهم ودعوتهم الي الحق منزلة مجي انفسهم فان هودا
وصالحا كانا داعيين لهم الي الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جا من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجي من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل قد جاوا وخاطبوهم بقوله تعالي **الا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا علي
ان مصدريه وان لا تعبدوا علي انها مفسرة **قالوا لو شا ربنا** اي ارسال الرسل لا انزال الملايكه كما قيل فانه
عبارة عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف **لانزل ملايكة** اي لارسلهم لكن لما كان
ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل **فانا بما ارسلتم به** اي علي زعمكم وفيه ضرب تهكم **كافرون** لما انكم بشر
مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانه والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر فكلمه وعلمت من ذلك علما ما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا او تضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا وان
كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شيت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به
ورسول الله صلي الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم الي قوله تعالي صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة علي فيه صلي الله عليه وسلم وناشده بالرحم
ورجع الي اهله ولم يخرج الي قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبه

ما حسبك

ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت فيه وناشدته بالرحم وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم
العذاب **فاما عاد فاستكبروا في الارض** شروع في حكاية ما يخص كل واحدة من الطايفتين من الجناية والعذاب
اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها علي اهلها واستعلوا او تولوا علي اهلها **بغير الحق**
اي بغير استحقاق للتعظم والولاية **وقالوا** مدلين بشدتهم وقوتهم **من اشد منا قوة** حيث كانوا ذوي
اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **اولم يروا**
اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان **ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة** اي قدرة فانه تعالي قادر بالذات مقتدر علي ما لا يتناهي قوي علي ما لا يقدر عليه غيره مفيض
للقوي والقدره علي كل قوي وقادر وايرادها في حيز الصله خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
الشدة والقوة وفيه ضرب من التهكم بهم **وكانوا باياتنا** المنزلة علي الرسل **يجحدون** اي ينكرونها وهم يعرفون
حقيتها وهو عطف علي فاستكبروا كقوله تعالي وقالوا وما بينهما اعتراض للرد علي كلمتهم الشنعا **فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا** اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفه
تصوت في هبوبها من الصرير **في ايام نحسات** جمع نحسه من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون
علي التخفيف او علي انه نعت علي فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال من الاربعا وما عذب قوم الا
في يوم الاربعا **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا** وقرئ لتذيقهم علي اسناد الاذاقة الي الريح
او الي الايام واضيف العذاب الي الخزي الذي هو الذل والاستكانة علي انه وصف له كما ينبي عنه قوله تعالي **ولعذاب
الاخرة اخزي** وهو في الحقيقه وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة **وهم لا ينصرون** بدفع العذاب
عنهم بوجه من الوجوه **واما ثمود فهديناهم** فدللناهم علي الحق بنصب الايات التكوينية وارسال الرسل
وانزال الايات الشرعيه وازحنا عللهم بالكليه وقد مر تحقيق معني الهدي في تفسير قوله تعالي هدي للمتقين
وقري ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثا **فاستحبوا العمي علي الهدي** اي اختاروا
الضلالة علي الهداية **فاخذتهم صاعقة العذاب الهون** داهية العذاب وقارعة العذاب والهون
الهوان وصف به العذاب مبالغة او بدل منه **بما كانوا يكسبون** من اختيار الضلالة **ونجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون** من تلك الصاعقه **ويوم يحشر اعدا الله** تعالي لذمهم والايذان بعلة ما يحيق
بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما سياتي من قوله تعالي في امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر علي بنا الفاعل ونصب اعدا الله وبنون العظمه وضم الشين وكسرها
الي النار اي الي موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الاتيه لا بعد تمام السوال والجواب وسوقهم الي
النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم علي شرف دخولها واما لان حسابهم يكون
علي شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر موخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالي
يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالي **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم علي اخرهم ليتلاحقوا وهو
عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالي **حتى اذا ما جاوها** اي جميعا غاية
ليحشروا او ليوزعون حتي اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور **شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالي او يظهر
عليها اثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب
بتخصيص السوال بها في قوله تعالي **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية
وقبحا واجلب للخزي والعقوبه بما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبه بتوسطهما وقيل المراد

بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا لها فسحقا لكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن
كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الذي انطق كل شيء واقدرنا على بيان الواقع
فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي
انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب والمعنى حينئذ
ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان
من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل
صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث
بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترتب عند المخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه
مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون
في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان يشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة
الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح
باعلامه تعالى لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت
مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله
يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة فتدبر
وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ
وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم
بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل السعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم عنها والالتفات الى
الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب
والقائهم في غيابة دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم
فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا
وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض
وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور
الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط
وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس
فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو قوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملأن
جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا في امم حال من ضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى
صحيح فان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودين من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل
قد خلت صفة لامم قد مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدابهم انهم كانوا
خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤسا المشركين

لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز
والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد فانه
لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي
فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيه دخولا اوليا عذابا شديدا
لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في نفسها اسوأ وقيل
انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله
خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف
الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها
دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي بعينها دار اقامتهم على ان في التجريد وهو ان ينتزع
من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها
والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون
منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جزاءكم
جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء الثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا
يجحدون باياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما
ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم
الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق
وقرئ ارنا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين
قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان حال سوء الكفرة فيهما
اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعلى ان
ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
من جهته يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت
بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث
والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه الا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه
ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم
على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من
الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من
الملائكة او استيناف وابشروا اي اسروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل
هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا الى آخره من
بشاراتكم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك
عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة
الملائكة عليهم السلام وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم
ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها

ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعا بمعني الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر
وما مبتدا وفيها حال من ضمير في الخبر وعدلا الاكتفا بعطف ما تدعون علي ما تشتهي للاشباع في البشارة والايذان
باستقلال كل منها نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الي ما يعطون من عظايم
الاجور كالنزول للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الي الله اي الي توحيده تعالي وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل نزلت في المودنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال
الحميده وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا
للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لانه اذا تكلم بغير ذلك وقري اني بنون واحده ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة جملة مستانفه سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال
الجاريه بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلي الله عليه وسلم في الصبر علي اذية المشركين
ومقابلة اسائتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنه والسيه في الاثار والاحكام ولا الثانيه
مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالي ادفع بالتي هي احسن الي اخره استينافا مبين لحسن عاقبة الحسنه اي ادفع
السيه حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الي من اسا
فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سوال من قال كيف احسن للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع
الحسنه وقوله تعالي فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع الماموربه
فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقي هذه الخصلة او السجيه
التي هي مقابلة الاساة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنه وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان موذيا
لرسول الله صلي الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ
بمعني وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانه بعث علي الشر وجعل نازغا علي طريقة جد جده او ارتد
واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن
فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك
الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته الدالة علي شوونه العظيمه
الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة
مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعه لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم
الانثي والاناث او لانهما عبارة عن الايات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان
بكمال سقوطهما عن رتبة المسجوديه بنظمهما في المخلوقيه في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم
الكل في سلك اياته تعالي ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصي مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه
وهو موضع السجود عند الشافعي وعندنا اخر الاخري لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملايكه يسبحون له بالليل والنهار اي دايما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يملون
وقري لا يسامون بكسر اليا ومن اياته انك تري الارض خاشعة يابسه متطامنه مستعار من الخشوع
بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الما اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا
دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقري ربات اي ارتفعت
ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتي بالبعث انه علي كل شي من الاشيا التي من جملتها الاحيا قدير
مبالغ في القدره ان الذين يلحدون في اياتنا يميلون عن الاستقامة وقري يلحدون بالطعن فيها وتحريفها
بحملها علي المحامل الباطله لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالي افمن يلقى في النار خير امن ياتي

امنا يوم القيامة تنبيه علي كيفية الجزا اعملوا ما شئتم من الاعمال المودية الي ما ذكر من الالقا في النار والاتيان
امنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالي ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم بدل من قوله تعالي ان الذين يلحدون الي اخره وخبران هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف
مثل معذبون او هالكون او ساير ما يقدر بعد قوله تعالي ولو حاله او الذكر القران وقوله تعالي وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم
النظير لا يتاتى معارضته جملة حاليه مفيده لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالي لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخري لكتاب وقوله تعالي
تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف او صفة اخري لكتاب مفيدة لفخامته الاضافيه كما ان الصفتين
السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتيه وقوله تعالي لا ياتيه الباطل الي اخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم
غير الصريح من الصفات علي الصريح لتاكيد كون الكفر بالقران وقوله تعالي ما يقال لك الي اخره تسلية له
صلي الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية المشركين الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القران
من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك
لذو مغفرة لانبيايه وذو عقاب اليم لاعدايهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدايهم وسيفعل
مثل ذلك بك وباعدايك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير
للذكر لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالي ااعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص
والاعجمي يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم به واليا للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى اكلام اعجمي ورسول او مرسل
اليه عربي علي ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب
به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقري اعجمي اي كلام منسوب الي امة العجم وقري اعجمي علي الاخبار بان القران
اعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز ان تراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها
عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالي علي اي وجه جاتهم وجدوا فيها متعنتا
يتعللون قل هو للذين امنوا هدي يهديهم الي الحق وشفا من شك وشبهه والذين لا يومنون مبتدا
خبره في اذانهم وقر علي ان التقدير هو اي القران في اذانهم وقر خبر للضمير المقدر وفي اذانهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالي وهو عليهم عمي وقيل خبر الموصول في اذانهم ووقر فاعل الظرف
وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجمله خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يومنون في اذانهم منه وقر
ومن جوز العطف علي عاملين عطف الموصول علي الموصول الاول اي هو للاولين هدي وشفا وللاخرين وقر
في اذانهم اوليك اشارة الي الموصول الثاني باعتبار اتصافه في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما
فيه من معني البعد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد
اي اوليك البعدا الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة التي يشاهدونها
ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نايية لا يكاد
يسمع من مثلها الاصوات ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان ان
الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك علي منهاج قوله تعالي ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي وبالله لقد اتيناه التوراة فاختلف فيها وهكذا حال قومك في شان ما اتيناك من القران
فمن مومن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبه وهي العدة بتاخير عذابهم والفصل
ما بينهم وبين المومنين من الخصومة الي يوم القيامة بنحو قوله تعالي بل الساعة موعدهم وقوله تعالي
ولكن يوخرهم الي اجل مسمي لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفه وانهم اي كفار
قومك لفي شك منه اي من القران مريب وتعميم الضمير للاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل

صالحا بان امن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه بعمله او نفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا علي
غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني علي تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله واثابة الغير
بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالي وقد مر ما في
المقام من التحقيق والتفصيل في سورة ال عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اذا سئل عنها يقال الله يعلم
او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعا الثمرة كجف الطلعة وقري من
ثمرات علي ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قري بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولي مزيدة للاستغراق
واحتمال ان تكون موصوفة معطوفة علي الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثي ولا تضع اي حملها وقوله
تعالي الا بعلمه استثنا مفرغ من اعم الاحوال وما يحدث شي من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا
لشي من الاشيا الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركاي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالي
اين شركاي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور
البيان عنه كما مر في قوله تعالي يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم
بالشركة او تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او وما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ
وقيل هو قول الشركا اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم اذناك اما لان التوبيخ اخر مجاب بهذا الجواب
او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم
اعلموه او لان معناه الانشا لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل
اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن
معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعا الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة
وقري من دعا بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيق فيوس قنوط فيه مبالغة من جهة البنا ومن جهة التكرير
ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضال وينكسر اي يبالغ في قطع الرجا من فضل الله تعالي
ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته تعالي لا يتاتي الا من الكافر وسيصرح به ولين
اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل
او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قايمة اي تقوم فيما سياتي ولين رجعت الي ربي علي تقدير
قيامها ان لي عنده للحسني اي للحالة الحسني من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه
له وان نعم الاخرة كذلك فلننبين الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها
الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالي والوزن يوميذ الحق وفي قوله تعالي انما بغيكم علي انفسكم
من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا علي الانسان
اعرض اي عن الشكر وناي بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في
قوله تعالي في جنب الله ويجوز ان يراد عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثني عطفه وتولي
بركنه واذا مسه الشر فذو دعا عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو
ابلغ من الطويل والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا في شان بعض
غير البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم اي اخبروني ان كان اي
القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا الدالة
علي حقيته وكونه من عند الله في الافاق هو ما اخبرهم النبي صلي الله عليه وسلم من الحوادث الاتية واثار
النوازل الماضية وما يسر الله تعالي له ولخلفايه من الفتوح والظهور علي افاق الدنيا والاستيلا علي بلاد

المشارق والمغارب علي وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس في
الافاق اي منازل اهل الامم الخالية واثارهم وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الافاق في اقطار السموات والارض
من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضوا والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي
انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضا العجيبة والتركيبات
الغريبة كقوله تعالي وفي انفسكم افلا تبصرون واعتبر بانه معني التبين مع ان اراءة تلك الايات قد حصلت بعد ذلك
فانه تعالي سيطلعهم علي تلك الايات زمانا وزمانا ويزيدهم وقوفا علي حقايقها يوما فيوما حتي يتبين لهم بذلك
انه الحق اي القران او الاسلام او التوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد لتوبيخهم علي ترددهم في شان القران
وعنادهم المحوج الي اراءة الايات وعدم اكتفايهم باخباره تعالي والهمزة للانكار والواو للعطف علي مقدر يقتضيه
المقام اي الم يغن ولم يكف ربك والبا مزيدة للتاكيد ولا يكاد الا مع كفي وقوله تعالي انه علي كل شي شهيد
بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الايات الموعودة المبينة لحقية القران ولم يكفهم في ذلك انه تعالي شهيد علي جميع
الاشيا وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله تعالي في الافاق وفي انفسهم سيرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذي هو علي كل شي شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه
وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا علي انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل
واما ما قيل من ان المعني اولم يكفك انه تعالي علي كل شي شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق ساير الاشيا
الموعودة فمع استدعايه لما لا يليق بجلالة منصبه صلي الله عليه وسلم من التردد فيما ذكره من تحقيق الموعود يرده قوله تعالي
الا انهم في مرية من لقا ربهم اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزا فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة
اليهم وقري مرية بالضم وهو لغة فيها الا انه بكل شي محيط عالم بجميع الاشيا جملها وتفاصيلها وظواهرها
وبواطنها فلا يخفي عليه خافية منهم وهو مجازيهم علي كفرهم لا محالة ○ عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة
اعطاه الله تعالي بكل حرف عشر حسنات ○ والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد ايتين
وقيل اسم واحد والفصل لتناسب ساير الحواميم وقري حم سق فعلي الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا وعسق خبره
وعلي الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالي كذلك يوحي اليك والي الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف
وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف ساير الكتب المنزلة علي الرسل المتقدمة في الدعوة الي التوحيد
والارشاد الي الحق وان ايحايها مثل ايحايها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه علي فخامة شانها والكاف في حيز النصب
علي انه مفعول ليوحي علي الاول وعلي انه نعت لمصدر مؤكد له علي الثاني وذلك علي الاول اشارة الي ما فيها وعلي الثاني الي
ايحايها وما فيه من معني البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
اوحي اليك عند ايحا ساير السور والي ساير الرسل عند ايحا كتبهم اليهم لا ايحا مغايرا له كما في قوله تعالي انا اوحينا اليك
كما اوحينا الي نوح الاية علي ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع علي حكاية الحال الماضية للايذان
باستمرار الوحي وان ايحا مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحايها من تفخيمها ما لا يخفي ولذا وصفه تعالي بوصفي
العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقري يوحي علي البنا للمفعول علي ان كذلك مبتدا
ويوحي خبره والمسند الي ضميره او مصدر يوحي مسند الي اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحي كانه قيل من يوحي فقيل الله
والعزيز الحكيم صفتان له او قوله تعالي له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلي الوجوه
السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقري بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالي

وقيل من دعا الولد كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مضارع فطر وهذا مضارع فطر وقرئ تنفطرن بالتا
لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدي التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها بالاول لما ان اعظم الايات
وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة
الشنعا الواقعة في الارض حتى اثرت في جهة الفوق فلان توثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها بمعنى
الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض
بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعا تاخير العقوبة
طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص المومنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور
الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والاية تدل على زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان
لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعذاب على تلك الكلمة الشنعا بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه
اوليا شركا واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم
او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا
ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحا البديع البين المفهم اوحينا اليك
قرانا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الاية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت
نذير والكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي بين لتنذر
ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلايق
قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال وتنذر يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل
ثانيهما بالبا وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر باليا على ان
فاعله ضمير القران لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف
فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا
منصوبين على الحالية منهم وتنذرهم يوم الجمع وهم متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب
ولو شا الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة فلم مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على
دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشا في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشا او يدخله فيها ويدخل
في عذابه من يشا ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين
لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشا جعل الكل امة
واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في الرحمة لا لما قيل
من المبالغة في الوعيد وقيل مومنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم
على الهدى وقوله تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شا الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه
شا مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المومنون في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشا
وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مومنين ياباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم
في رحمته اذ الكل حينيذ داخلون فيها فكان المناسب حينيذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه
والذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة متفقة
على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم بما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر
ولكن يدخل من يشا في رحمته اي شانه ذلك ان يرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم

الى الحق فيوفقهم الله تعالى للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون
فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الاخرة الى السعير ليس لهم من ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب
ام اتخذوا من دونه اوليا جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفا ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة
وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار
الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاوليا في شي لان ذلك فرع كون الاصنام اوليا وهو
اظهر الممتنعات بل اتخذوا متجاوزين الله تعالى اوليا من الاصنام وغيرها هيهات فالله هو الولي جواب شرط محذوف
كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اوليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شانه ذلك
وهو على كل شي قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شي وما اختلفتم فيه
من شي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم
فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربي مالكي عليه توكلت
في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث
كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثاني
صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شي من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا توثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه
الى المحكم من كتاب الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا الاجتهاد لعدم
جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او خبر لمبتدا محذوف او مبتدا
خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين
الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نسا وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير
مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا اي خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذروكم
يكثركم من الذر وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون
بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شي اي ليس مثله شي في شان من الشوون التي من جملتها هذا التدبير
البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عما يناسبه
كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع
البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزاينها يبسط الرزق لمن يشا
ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شي عليم مبالغ في الاحاطة
فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ايذان بان ما شرع لهم
صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما
اجمع عليه الرسل والخطاب لامته صلى الله عليه وسلم اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرايع
واولي العزايم من مشاهير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا موكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من
علو شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان موسى عليه السلام وتفرد
النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام
وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرايع والاحكام كما ينبي عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد
الامر والاعتنا بشان المامور به والمراد بايحايه صلى الله عليه وسلم اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة واما في قوله تعالى

وكذلك اوحينا الاية وما يليهما وغيرهما وقع في ساير المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عنه ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذي ذكر لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثارا لايجاء من التصريح برسالته صلى الله عليه وسلم القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لكمال الاعتنا بايحايه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم وصية نوح للمسارعة الى بيان كون الشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه صلى الله عليه وسلم ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزا وساير ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشا من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك مع انه مع اقتضايه الى خروجه عن حيز الايحا الى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبيا المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى امة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الازمنة باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم الذي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشا اي من يجتبيه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبي عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران من دلايل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم والعلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ومن اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيامة لقضي بينهم لاوقع القضا بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وان الذين اورثوا الكتاب الى اخره بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا القران من بعدهم اي من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القران مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كداب اهل الكتاب هذا وانما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبيا عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد على السنة الانبيا فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الابا اختلف الابنا فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان ساير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وتاجيل على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اوليك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه والتعرض لبيان تفرق

امهم

امهم عنه ربما يوهم الاخلال بالمقام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة كالذين امنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض لهم وقد مر بيان كيفية الايمان في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بينكم ولا امركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زايدة اي امرت ان اعدل والبا محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم اثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسياتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا واليه المصير فيه ظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجرة في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحايرة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب الناس ودخلوا والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اي من بعد ما استجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب واقروا بنبوته صلى الله عليه وسلم واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زالة زايلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن باطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او الة الوزن وما يدريك اي اي شي يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيها الكتاب الناطق بالحق قريب اي شي قريب او قريب مجيها وقيل القرب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى ان الساعة على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذي توزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزا وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام محمد واصحابه والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنايهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتدا بما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطاعة ما لا يكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشا ان يرزقه كيف ما يشا فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة الحرث في الاصل القا البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان

يريد ثواب الاخرة **نزد له في حرثه** نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعماية فما فوقها **ومن كان يريد** باعماله **حرث الدنيا**
وهو متاعها وطيباتها **نؤته منها** اي شيا منها حسبما قسمنا له ما لا يريده ويبتغيه **وما له في الاخرة من نصيب**
اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسرا **ام لهم شركاء** اي بل الهم شركا من الشياطين والهمزة
للتقرير والتقريع **شرعوا لهم** بالتسويل **من الدين ما لم ياذن به الله** كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاوهم
اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركا لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم
لقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من اضل لهم **ولولا كلمة الفصل** اي القضا السابق بتاخير الجزاء او العدة
بان الفصل يكون يوم القيامة **لقضي بينهم** اي بين الكافرين والمومنين او بين المشركين وشركايهم **وان الظالمين
لهم عذاب اليم** وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي
بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم عام في عذاب الاخرة **ترى الظالمين** يوم القيامة الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب
الى ان سو حالهم غير مختص برؤية راء دون راء **مشفقين** من السيات خايفين **مما كسبوا** من السيات **وهو واقع بهم**
اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض **والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات** مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها **لهم ما يشاؤن عند ربهم** اي
ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن **ذلك**
اشارة الى ما ذكر من حال المومنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه **هو الفضل الكبير** الذي
لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته **ذلك** الفضل الكبير هو **الذي يبشر الله عباده** اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العايد
الى الموصول كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده **الذين امنوا وعملوا الصالحات**
وقرئ يبشر من ابشر **قل لا اسالكم عليه اجرا** روي انه لما اجتمع المشركون فقال بعضهم لبعض ترون ان محمدا يسال عما
يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا **الا المودة في القربى** اي الا
ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة
في القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة
روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولا الذين وجب علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن
النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب
ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في
تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى **ومن يقترف حسنة** اي يكتسب حسنة **نزد له فيها**
اي في الحسنة **حسنا** بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وقرئ حسنى **ان الله غفور** لمن اذنب **شكور** لمن اطاع
بتوفية الثواب وقرئ يزد اي يزد الله والتفضل عليه بالزيادة **ام يقولون** بل ايقولون **افترى** محمد **على الله كذبا**
بدعوى النبوة وتلاوة القران على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله صلى الله عليه وسلم
ودعوى الى الافترا لا سيما الافترا على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى **فان يشا الله يختم على قلبك**
استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه صلى الله عليه وسلم لو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى
كون القران افترا عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشا صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشا عدم صدوره عنه
ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افترا عليه تعالى لشا عدم صدوره عنك واذا يشا ذلك يختم على قلبك
بحيث لا يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا
تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافترا عليه تعالى الا
من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافترا من مثله صلى الله عليه وسلم وانه في البعد مثل الشرك بالله تعالى والدخول في جملة
المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القران وينقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك

وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليه اذاهم **ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته** استيناف مقرر لنفي الافترا غير معطوف على يختم كما ينبي عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في يمح
لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضايه
لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افترا كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقران او بقضايه الذي لا مرد
له بنصرته عليهم **انه عليم بذات الصدور** فيجري عليها احكامها اللايقة بها من المحو والاثبات **وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده** التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه
ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته
قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير
المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته
ويعفو عن السيات صغيرها وكبيرها لمن يشا **ويعلم ما يفعلون** كاينا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه
مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتا **ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات** اي يستجيب لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعا
وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعا الحمد لله او يستجيبون لله تعالى بالطاعة اذا دعاهم اليها
وعن ابراهيم بن ادهم قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام **ويزيدهم
من فضله** على ما سالوا واستحقوا بموجب الوعد **والكافرون لهم عذاب شديد** بدل ما للمومنين من الثواب والفضل المزيد
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا ولعلا بعضهم على بعض بالاستيلا والاستعلا
كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية **ولكن ينزل بقدر** اي بتقدير
ما يشا ان ينزله مما تقتضيه مشيته **انه بعباده خبير بصير** محيط بخفايا امورهم وجلايلها فيقدر لكل واحد منهم
في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا
اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا تنجعوا **وهو الذي ينزل الغيث** اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع
منه وقرئ ينزل من الانزال **من بعد ما قنطوا** يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال
النعمة وقرئ بكسر النون **وينشر رحمته** اي بركات الغيث ومنافعه في كل شي من السهل والجبل والنبات والحيوان
او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا **وهو الولي** الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة **الحميد**
المستحق للحمد على ذلك لا غيره **ومن اياته خلق السموات والارض** على ما هما عليه من تعاجيب الصنايع فانها بذاتها
وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة **وما بث فيهما** عطف على السموات والخلق **من دابة** من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب
او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان
وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملايكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السما حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبي عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال فوق السما السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن
كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم **وهو على جمعهم** اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى **اذا يشا**
متعلق بما قبله لا بقوله تعالى **قدير** فان القيد بالمشية جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي
تدخل المضارع **وما اصابكم من مصيبة** اي مصيبة كانت **فبما كسبت ايديكم** اي فهي بسبب معاصيكم التي

اكتسبتموها او الفا لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها اذ الاية مختصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه بالثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشا يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيئته تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعضها وايقاع الايباق عليهن مع ان حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج اخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الى اخره كما في قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشا يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون فيه وتتنافسون فيه فمتاع الحياة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه ان ابا بكر تصدق بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين امنوا او مدح بالنصب او الرفع وبنا يغفرون للضمير خبر له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا او يجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقعه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال

اذا انت اكرمت الكريم ملكته ٭ وان انت اكرمت اللئيم تمردا ٭ وقال غيره

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ٭ مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الجميلة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في

الانتقام

الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير ين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدرونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من البغي والظلم بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قوله السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد الى الرجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتاتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعرض للعذاب الخالد يوم القيامة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم بدفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله تعالى اي لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به على ان من صلة مرد اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم ما لكم من ملجا يومئذ اي مفر تلتجئون اليه فان اعرضوا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس وقوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اي بلاء من مرض وفقر وخوف فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل عن الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فمن قضيته انه يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف ما يشا ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشا مما يعلمه ومما لا يعلمه يهب لمن يشا اناثا من الاولاد ويهب لمن يشا الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم على ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشا عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابائهن والمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين

ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه انه قسم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه مصلحة وحكمة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه والمراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما تكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليهم الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول وتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الارواح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليه الصلاة والسلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته صلى الله عليه وسلم له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة لغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو صراط الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين المنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم والمبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه

قرآنا

قرآنا عربيا جواب القسم لكن على ان يرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها مبنية عن اعتنائنا بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عند الله تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيه من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء اخر اولى منه بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انبا عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعدما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية مبنية عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للحق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤوا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار

الذي هو احيا الموتي وعن احيايهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهويل لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح
منهاج القياس والذي خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو
والحامض والابيض والاسود والذكر والانثي وقيل كلما سوي الله تعالي فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار
الي غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي ما تركبونه تغليبا للانعام علي الفلك فان الركوب
متعد بنفسه فاستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في والرمز الي مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود
عند قوله تعالي وقال اركبوا فيها لتستووا علي ظهوره اي لتستعلوا علي ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام
والجمع باعتبار المعني ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستحضرين
لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما روي عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا استوي علي الدابة قال الحمد لله علي كل حال سبحان
الذي سخر لنا هذا الي قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه
واصل وجده قرينه الصعبة لا يكون قرينة للضعيف وقري بالتشديد والمعني واحد وهذا من تمام ذكر نعمته
تعالي اذ بدونه اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الي ربنا
لمنقلبون اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمي
التي هي الانقلاب الي الله تعالي فيبني امور مسيره ذلك علي تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شي مما ياتي ويذر امرا
ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالي ولين سالتهم
اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء
ليزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقري جزوا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران
مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة ومعني الهمزة
من معني بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالي ولدا علي الاطلاق الي بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس
صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شانهم وقوله تعالي واصفاكم بالبنين اما عطف علي اتخذ داخل
في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه علي الخلاف المشهور والالتفات الي خطابهم
لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه احسن الصنفين واختار لكم افضلهما علي معني هبوا انكم اجترأتم
علي اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شي من العقل ونبذ من الحيا حتي
اجترأتم علي التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعا انه تعالي اثركم علي نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما
وادناهما وتنكير بنات وتعريف بنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا الي اخره استيناف مقرر لما قبله وقيل حال علي معني انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم
ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضا ذكر قبايحهم ان يعرض عنهم ويحكي لغيرهم تعجيبا منها اي
اذا اخبر احدهم بولادة ما جعل مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار
اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملو من الكرب والكابة والجملة حال وقري مسود ومسواد علي ان
في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له اومن ينشا في الحلية تكرير للانكار وتنبيه للتوبيخ
ومن منصوب بمضمر معطوف علي جعلوا او وجعلوا من شانه ان يربي في الزينة وهو عاجز عن ان يتولي لامره بنفسه
فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وانما بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده
والعطف للتغاير العنواني اي واتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام
اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير مبين غير قادر علي تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان
عقله وضعف رايه واضافة غير لا يمنع عمله فيما قبله لانه بمعني النفي وقري ينشا ويناشا

والفاعله ما لكل بمعني ونظيره غاله واغاله وغالاه وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان
لتضمن كفرهم المذكور لكفر اخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم علي الله تعالي انقصهم رايا
واخسهم صنعا وقري عبيد الرحمن وقري عند الرحمن علي تمثيل زلفاهم وقري انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم
اي احضروا خلق الله تعالي اياهم فشاهدوهم اناثا حتي يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
لهم وتهكم بهم وقري اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة واشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم
هذه في ديوان اعمالهم ويسالون عنها يوم القيامة وقري سيكتب بالياء والنون وقري شهاداتهم وهو
قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملايكه وقري يسالون من المسالة للمبالغة وقالوا لو شا الرحمن
ما عبدناهم بيان لفن اخر من كفرهم اي لو شا عدم عبادتنا للملايكه مشية ارتضا ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان
ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالي وانهم انما يفعلونه بمشيته تعالي لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيته
تعالي اياهم منهم مع اعترافهم بقبحه حتي ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبني كلامهم الباطل علي مقدمتين
احداهما ان عبادتهم لهم بمشيته تعالي والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالي ولقد اخطاوا في
الثانية حيث جهلوا ان المشية عبارة عن ترجيح بعض الممكنات علي بعض كاينا ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في
شي من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالي ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشية
الارتضا لا بمطلق المشية فان ذلك محقق بدما لا يحصي من الايات الكريمة من علم يستند الي سند ما
ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الي اصل الدعوي كانه لما ابطل وجوه
فسادها وحكي شبههم الزايغة نفي ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الي ابطال ان يكون لهم سند من جهة
النقل فقيل ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل ادعاهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به
اي بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا اباءنا علي امة وانا علي اثارهم
مهتدون اي لم ياتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوي تقليد ابايهم الجهلة مثلهم والامة
الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقري امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الام
اي القاصد وقوله تعالي علي اثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر من عجزهم
عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالي ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا
وجدنا اباءنا علي امة وانا علي اثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال علي ان التقليد فيما بينهم
ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة
هو الذي صرفهم عن النظر الي التقليد قل حكاية لما جري بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد ابايهم
اي قال كل نذير من اوليك المنذرين لاممهم اولو جيتكم اي تقتدون باباءكم ولو جيتكم باهدي بدين
اهدي مما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شي وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم
علي مسلك الانصاف وقري قل علي انه حكاية امر ماض اوحي حينيذ الي كل نذير علي انه خطاب للرسول صلي الله
عليه وسلم كما قيل لقوله تعالي قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل امة
لنذيرها انا بما ارسلتم به الي اخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالي يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وجعل حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع علي تغليبه علي ساير المنذرين عليهم السلام وتوجيه
كفرهم الي ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظاير قوله تعالي كذبت عاد المرسلين بمحل بعيد ترده بالكلية
قوله تعالي فانتقمنا منهم اي بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين
فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اي واذكر لهم وقت قول ابراهيم عليه السلام لابيه وقومه
المكبين علي التقليد كيف تبرا مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في

الاستدلال او ليقلدوه انلم تكن بدمن التقليد فانهم اشرف ابايهم وبرا مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد
والمتعدد والمذكر والمونث وقرئ بري وبرآ بضم الباكركيم وكرام واما اما مصدر برا وموصوله حذف عايدها اي
اني بريء من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثنا منقطع او متصل على انها تعم اولي العلم وغيرهم
وانهم كانوا يعبدون الله تعالى والاصنام او صفة على ان ما موصوفه اي اني برا من الهة تعبدونها غير الذي فطرني
فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهدين اليها وان الذي هداني اليه الى الان والاوجه ان السين للتاكد
دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي ما تكلم بها
عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه
ويعقوب الاية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعوا الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم
يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعا الموحدين بل متعت هولا
واباهم اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان
يرجع اليها من اشرك منهم بدعا الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت هولا المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل
مكة حتى جاءهم اي هولا الحق اي القران ورسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين التوحيد
بالايات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به في ذاته على قوله تعالى وجعلها كلمة
باقية في عقبه مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات
على التوحيد والايمان فجعل سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم
فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة
به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين اي من احد القريتين مكة والطايف على نهج
قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود
الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد بن عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم ينفوه هو
بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دونه من ذكر من عظمايهم مع اعترافهم بقرانيته
بل استدلالا على عدمها بمعنى ان لو كان قرانا لنزل الى احدهما بنا على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به
الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المويدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضايل الانسية واما المزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون
بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب معيشتهم في الحياة
الدنيا قسمة تقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم تفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وساير مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب
والبعد حسبما تقتضيه الحكمة من ضعيف وقوي وفقير وغني ومخدوم وخادم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهمهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا
ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم
بانفسهم في تدبير امر الدين وهذا بعده من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخيير لها من يصلح لها ويقوم
بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية
ثم قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدرها عند الله تعالى

والمعنى ان حقارة شانه لولا ان يرغب الناس لحبهم في الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعون عليه لاعطيناه
بحذافيرها من هو شر الخلايق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها
والسقف جمع تخفيف او سقفا اكتفا بجمع البيوت وسقف كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي وجعلنا لهم
معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي
ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر
بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة المفصلة الا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا
وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان هي مخففة واللام هي الفارقة
وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة حذف عايدها اي هو متاع كما في قوله تمام على الذي
احسن والاخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي
وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القران
واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كانت
في بصره افة وعشى يعشو اذا تعشى بلا افة كعرج وعرج يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط
والمعنى ومن يعرض عنه لفرط استغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات
نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل منهم لكل واحد
ممن يعشو ليصدونهم اي قرناهم وهم مدار جمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضماير السابقة
اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعوا اليه القران ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين
مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال
من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي فانهم ليصدونهم عن الطريق
الحق ويحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي
لقوله تعالى حتى اذا جانا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون
غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جا وما بعده لان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين
لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد
والحسبان الباطل حتى اذا جانا كل واحد مع قرينه يوم القيامة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك
في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما على الاخر فغلب المشرق وثني واضيف
البعد اليهما فبيس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم الى اخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ
من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم
اي لاجل ظلمكم انكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ ثبت
عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لييمة
اي تبين اني لم تلدني لييمة اي كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان
حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا اشتراكهم فيها لقعادكم في
تحمل اعبايها وقسمتهم في عنايها لان الكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لانا لا ننتفع بذلك الوجه
ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل المعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنايكم معذبين مثلكم حيث

كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وانهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فالهمم غدا باضعفا من النار
ونظايرهما لتشتغلوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعا قومه وهم لا يزدادون
الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاميا عما يسمعونه من بينات القران فنزل افانت
تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر
واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عما مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعوا له
منه لا توهم المقصود من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجا
فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المومنين فانا
منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والاخرة فما مزيده للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون
المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي واردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي
اوحي اليك من الايات والشرايع سوا عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الاخر وقرئ اوحي على البنا للفاعل
وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك وللامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسئلون يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا اي واسال
امهم وعلماء دينهم لقوله تعالى فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك وفايدة هذا المجاز التنبيه على ان
المسئول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله علماؤهم وامهم من تلقا انفسهم قال الفرا
انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا اسئلهم فكانه سئل الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جات في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبيا
على التوحيد والتنبيه على انه ليس مبدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا
الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام وعليه
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجاوا وقت ضحكهم منها اي استهزوا بها اول ما راوها
ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية من الايات الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز
بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الايات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من
غير ملاحظة قصور في شي منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها
واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر
وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون
للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الها ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب
بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان
والطاعة اننا لمهتدون اي لمومنون تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك
فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجاوا وقت نكث عهدهم بالاهتدا وقد مر تفصيله
في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم
مخافة ان يومنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه

مبتدا

مبتدا والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة
والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله
افترا عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من
نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وام اما منقطعة والهمزة للتقرير
كانه قال اثر ما عد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه الحال حال
من هذا الى اخره واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصرا وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب
منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اساورة
من ذهب اي فهلا القي عليه اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه
بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التا من يا اساوير وقد قرئ
كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور على البنا للفاعل وهو الله تعالى او جا معه الملايكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه
فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته اي فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما
فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق فلما اسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا
اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين اي عظة لهم او قصة عجيبة يسير سير الامثال لهم
فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولالهتنا ام لجميع الامم
فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى
يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملايكة فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم
ففرحوا به وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اي من اجل ذلك المثل يصدون
اي ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا
عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو عكف ويعكف وهو الانسب
بمعنى المفاجاة وقالوا االهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل
المموه بما يغتر به السفها اي ظاهر ان عيسى خير من الهتنا فحيث كان هو في النار فلا باس بان نكون نحن والهتنا معه
واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات
لم يكن لما قيل من انه صلى الله عليه وسلم سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية فان ذلك مما لا ينبغي ان يقال فانه يجب تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عنه من شائبة الايهام من اول
الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع
الاية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يجب
صلى الله عليه وسلم هذا الحكم بالهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير
العقلا لا لان اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه صلى الله عليه وسلم
للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه
الصلاة والسلام بانهم عبدة الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملايكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما
نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم ونهاكهم على
المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال

والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببينات تك بل هم قوم خصمون اي لشديد الخصومة مجبولون
على اللجاج ثم قيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى
لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملايكة فنزلت فضمير الهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لالهتهم على عيسى عليه السلام
لان المراد بهم الملايكة ومعنى ما ضربوه الى اخره ما قالوا هذا القول الا للجدل قيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله الاية
قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه ليستاهل ان كان بعيدا ان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر
ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام من هو محمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه صلى الله
عليه وسلم وبين الهتهم الاستهزاء به ويجوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكروا عن قولهم الملائكة بنات الله تعالى
ومن عبادتهم كانهم قالوا ما قلنا منكرا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملايكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه
اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السايرة على الوجه الاول
استيناف مسوق لتنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق
به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر الاية وفيه تنبيه على بطلان راي من رفعه عن رتبة
العبودية وتعريض بفساد راي من راى رايهم في شان الملايكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل
وباطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كساير العبيد فصارى امره انه ممن انعمنا عليه بالنبوة وخصصناه ببعض
الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم
صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملايكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف من حالهم
واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترايهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى
في الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس الا عبدا منعما عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام
بمعبوديته او كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى ولو نشاء الى اخره تحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس
ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملايكة ايضا من درجة
المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة
ملايكة كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السما يخلفون اي
يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون وتباشرون الافعال المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التقديس
والتمجيد والتسبيح فاينما من شانهم هذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية
وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه اي وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله من شرايطها
وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحيا الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة
من المعلوم من الامور الواقعة في الساعة وقرى لعلم اي علامة وقرى للعلم وقرى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر
كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة افيق وعليه ممصرتان
وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام
فيصلي خلفه على شريعة صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع ويقتل النصارى الا من
امن به وقيل الضمير للقران لما ان فيه اعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون اي واتبعوا هداي
او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مامورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القران على الضمير
فان له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة
حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرايع
الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو

ما يتعلق

ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظايف الانبياء عليهم السلام كما قال صلى الله
عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا اي التوحيد والتعبد بالشرايع
صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه صلى الله عليه وسلم او استيناف من جهته تعالى
مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس
الا الساعة ان تاتيهم الا اتيان الساعة بغتة اي الا فجاة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها
مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق
او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علايق الخلة
والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تعالى تبقى على حالها
بل تزداد بمشاهدة كل منهم اثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين
وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو امنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل منهم
فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلايق رؤسهم على الرجا ثم يتبعها الذين امنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوههم
او تزينون من الحبرة وهي حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم
بعد دخول الجنة حسبما اريد به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل
اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة
ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وتلذه وانتم
فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتدا وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل فيه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفه والموصول بصلته خبره وقيل هو صفة
الجنة كالوجه الاول والخبر فيتعلق اما بمحذوف لا باورثتموها كما في الاول لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع
والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على
الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار زايدة موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع
رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبي
عنه ايرادهم في مقابل المومنين بالايات في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلق به
لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه مبلسون اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون اي ايسون من النجاة وما ظلمناهم
بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا اخازن النار يا مالك وقرئ يا مال
على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا حتى
نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جوار وتمن للموت
من فرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل

وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله
تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد
او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله
صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء
والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي
لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون
كيدنا حقيقة لا هم اي فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة لقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين
كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره صلى الله عليه وسلم ام يحسبون
اي بل يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا
به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم
اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها
ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبون
قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادة ما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام
ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم
من كفرهم ببينات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده
وفيه من الدلالة على انتفا كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة
يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد
ان مكان لو المنبئة عن امتناع تقدم الشرطية اذ كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى
وقيل فانا اول الآنفين المستنكفين منه او من يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن
ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه
به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات بحيث كانت
تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش
فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم
فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبود به بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل
وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله والراجع الى الموصول
مبتدا قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا لمبتدا محذوف على ان الجملة بيان
للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيصه
باستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما اما على الدوام كالهوى او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم
بالساعة التي فيها تقوم القيامة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون
بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء والياء من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق
الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان

الافراد

الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص
بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اي سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية
بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله
بالجر اما عطف على انه عطف على الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى اخره فان القول والقيل والقال
كلها مصادر على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع
شانه صلى الله عليه وسلم وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب وبالعطف على سرهم
او بمحل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم
الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقطع عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون
حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل
في حيز قل • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف فكان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب •

بسم الله الرحمن الرحيم • حم والكتاب المبين الكلام فيه
كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة
القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما ثلاثا وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها
بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها ولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة
وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العباد واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد
في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه
لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله انا انزلناه الى اخره اعتراض وقيل جواب ثان
لغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور الحكمية او الملتبسة بالحكمة
الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا
يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم
من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق
ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام
وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصيصه بالوصف او من ضميره في حكيم
وقد جوز ان يراد به مقابل النهي وجعل مصدرا موكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان
الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل
جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة
الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان
بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه وتعليل ليفرق او لقوله
تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفرق فيها

كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان قسمة الارزاق وغيرها فالاوامر صادرة
منه تعالي من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقري رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالي
انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالي وانه لا يحق الالهية الا له وهذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك او بيان او نعت وقري بالرفع علي انه خبر اخر او استيناف علي اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اي ان
كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالي رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم
من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم موقنين باليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر الي قوله رب السموات الي اخره وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانفة لما قبلها
وكذا قوله تعالي ربكم ورب ابائكم الاولين اضمار مبتدا او بدل من رب السموات علي قراءة الرفع او بيان
او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الي رب السموات وقري بالجر بدلا من رب السموات علي قراءة الجر
بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالي غير موقنين في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان
بل مخلوطا بهمز ولعب والفا في قوله تعالي فارتقب لترتيب الارتقاب والامر به علي ما قبلها فان كونهم في شك
مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السما بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجايع يري بينه
وبين السما كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهوا لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان
العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا عليهم
فقال اللهم اشدد وطاتك علي مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتي اكلوا الجيفة والعظام
وكان الرجل يري بين السما والارض الدخان وكان يحدث الرجل الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك
قوله تعالي يغشي الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قايلين ذلك فمشي اليه صلي الله عليه وسلم
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالي والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا وذلك قوله تعالي
ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار
الفرا والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السما قبل يوم القيامة فيدخل في اسماع الكفرة حتي يكون راس الواحد
كالراس الحنيذ ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن
رسول الله صلي الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسي بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الي
المحشر قال حذيفة وما الدخان فتلا الاية قال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن
فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران تخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي
يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالي اني لهم الذكري الي اخره رد لكلامهم واستدعايهم
الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبي عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من
اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين
اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر والاتعاظ بما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان
مبين لهم مناهج الحق باظهار ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة باهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك
الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظايم الموجبة للاقبال اليه ولم يقنعوا بالتولي وقالوا
في حقه معلم مجنون اي قالوا في حقه تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخري مجنون او يقول بعضهم كذا
واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا
واذا شبع طغا وقوله تعالي انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون جواب من جهته تعالي عن قولهم
ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اي انا نكشف
العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الي ما كنتم عليه من العتو والاصرار علي الكفر وتنسون

هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين الدلالة علي تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالي بدعا النبي صلي
الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الي ما كانوا عليه فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا
جا الدخان تضرر المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فيكشف
الله تعالي عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبري اي يوم
القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالي انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة من ذلك اي يوم
ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتي الي اخره وقري نبطش اي نحمل الملايكة علي ان يبطشوا بهم البطشة الكبري
وهو التناول بالعنف والصولة اي يجعل البطشة الكبري باطشة بهم وقري نبطش بضم الطا وهي لغة ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسي عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم
وقري بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم علي الله تعالي او علي المومنين او في نفسه لان الله تعالي
لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم الي او بان
ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل انه مفسرة لان مجي الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل
مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي الخ وقوله تعالي اني لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المامور
به اي رسول غير ظنين قد ائتمنه الله تعالي علي وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا علي الله اي
لا تتكبروا عليه تعالي بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالي اني اتيكم اي من جهته
تعالي بسلطان مبين تعليل للنهي اي اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الي انكارها واتيكم علي صيغة الفاعل والمضارع
وفي ايراد الادا مع الامين والسلطان مع العلا من الجزالة ما لا يخفي واني عذت بربي وربكم اي التجات اليه وتوكلت
عليه ان ترجمون من ان ترجموني او تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا علي الله توعدوه بالقتل
وقري بادغام الذال في التا وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضي العقل ولم تومنوا لي فخلوني كفافا
لا علي ولا لي ولا تتعرضوا بشر ولا اذي فليس ذلك جزا من يدعوكم الي ما فيه صلاحكم وحمله علي معني فاقطعوا اسباب
الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يومن يا باه المقام فدعا ربه بعدما تموا علي تكذيبه عليه السلام ان هولا
اي بان هولا قوم مجرمون وهو تعريض بالدعا عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعا وقري بالكسر علي اضمار
القول قيل كان دعاوه اللهم عجل لنا ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر
بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفا اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول
فاسر بعبادي اي بني اسرايل فقد دبر الله تعالي ان تتقدموا وقري بكسر الهمزة من سري انكم متبعون اي يتبعكم فرعون
وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا علي هيئته بعدما جاوزته
ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقري انهم بالفتح اي لانهم
كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقري فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الي مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع علي الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا علي تركوا وعلي الاولين
علي الفعل المقدر فما بكت عليهم السما والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم
بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السما والارض ومنه ما روي ان المومن ليبكي عليه
مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه واثاره في الارض وقيل تقديره اهل السما والارض وما كانوا
منظرين لما جا وقت هلاكهم منظرين ممهلين الي وقت اخر او الي الاخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل
بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استبعاد فرعون اياهم وقتل ابنايهم واستحيا نسايهم

على الخسف والضم من فرعون بدل من العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كاينا
من فرعون وقري من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى
انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين
اما خبر ثان لكان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فايقا لهم بليغا
في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقا بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون
في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبيا فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم
من الايات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون ان
هؤلا يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماديهم في الاصرار على الضلال
والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الا اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل
لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة
التي يعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي يعقبها كما تزعمون
وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشر من الرسل عليهم الصلاة والسلام
والمومنون ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون
اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليتشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات
اهم خير ردا لقولهم وتهديدا لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع
هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مومنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم
الله تعالى دونه وكان يكتب في كتابه بسم الله ملك بر وبحر اي بحار كثيره وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم
عطف على قوم تبع فالمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان اوليك
اقوى من هولا وقوله تعالى اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل
لاهلاكهم ليعلم ان اوليك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشده فلان يهلك هولا وهم شركاهم
في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين
الجنسين وقرئ ما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما
الا بالحق استثنا مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشي من الاشيا او ما خلقناهما
لسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزا ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق عن المبطل او فصل
الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزايهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف
لما دل عليه الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيا اي شيا من الاغنا ولا هم
ينصرون الضمير لمولى الاولى باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه
ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثنا انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد
ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير
الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي

الزيت تغلي في البطون وقرئ بالتا على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول
والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشي وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التا وهي لغة فيه
الى سوا الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق روسهم الحميم
فقيل يصب من فوق روسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزا به وتقريعا له على
ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون
تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام
في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو
موضع اقامة امين يامن صاحبه الافات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان
بطريق استعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جي
به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال
من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين في المجالس
ليستانس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة
اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العينا وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نسا
الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص
شي منها بمكان ولا زمان امنين من كل ما يتوهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحياة
ابدا فالاستثنا منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون
فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة فيما الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية
فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطا وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز
العظيم الذي لا فوز وراه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب فانما يسرناه بلسانك لعلهم
يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب الكريم بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا
بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له • والله سبحانه وتعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة
المومن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان
ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل
الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله
اي المولف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الى اخره وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا
للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما ما جعله
خبرا له بتقدير المضاف وابقا التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع اعرابه مع افادة فايدة يعتد بها
بمعزل عن السداد وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفة وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمومنين وهو على الوجوه المتقدمة

كلام مستانف مسوق للتنبيه على الايات التكوينيه الافاقيه والانفسيه ومحل الايات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات وهو الاوفق بقوله تعالى وفي خلقكم اي نطفه من علقه اي متقلبه في اطوار مختلفه الى تمام الخلق وما يبث من دابة ايات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجمله معطوفه على ما قبلها الجملة المصدره بان وقيل ايات عطف على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون اي من شانهم ان يوقنوا بالاشيا على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تفاوتهما او تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السما عطف على اختلاف من رزق اي من مطر هو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه اية من جهتي القدرة والرحمه فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعرايها عن اثار الحياة وانتفا القوة النميه عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود واما للايذان بان في كل مستقله حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة واما لان كون التصريف اية ليس بمجرد كونه مبدا لانشا المطر وله ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجمله معطوفه على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والجار والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في ايات في المواقع الثلاثه للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الرقة والجلاله تلك ايات الله مبتدا وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال بجعلها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او مفعولها اي نتلوها محقين او ملتبسه بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القران حسبما نطق به قوله تعالى احسن الحديث فهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يومنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتا وبل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا ثم يصر اي يقيم على كفره وضلاله من اصرار الحمار على العانه مستكبرا عن الايمان بما سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامه ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب • كما في قول من قال

يرى غمرات الموت ثم يزورها •

كان لم يسمعها اي كانه لم يسمعها خفف وحذف ضمير الشان والجمله حال من ضمير يصر اي يصير شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيئا اي اذا بلغه من اياتنا شي وعلم انه من اياتنا لا انه علم كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغرة اتخذها اي الايات كلها هزوا اي يستهزئ بها لا بما سمعه فقط وقيل الضمير للشي والتانيث لانه في معنى الاية اوليك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضماير باعتبار كل واحد

واحد لهم بسبب جناياتهم المذكوره عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزايهم بايات الله سبحانه وتعالى من ورايهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون اليها اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن الاقبال على الدنيا قال الورا اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيا من عذاب الله تعالى ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغنا الاصنام اظهر واجلى من عدم اغنا الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القران هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بايات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثه للتفخيم ورفعه اما على الابتدا واما على الفاعليه الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيره ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبه على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات والارض وتوكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما في السموات اي جميعا كاينا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشيا كاينة منه مخلوقة له او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلايل نعمه تعالى ودقايقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه لان فان جوابه للاعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقايعه تعالى باعدايه من قولهم ايام العرب لوقايعها وقيل لا يومنون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المومنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم في غزوة بني المصطلق نزلوا على بير يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر رضي الله عنه قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المومنون والتنكير لمدحهم والثنا عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما اي قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضا عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سياتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثه والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزا لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه في الكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزي قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب اي التوراه والحكم اي الحكمة النظريه والعمليه والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبيا ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذايذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نوت من عداهم من فلق البحر

واظلال الغمام ونظايرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلايل ظاهرة في امر الدين فاتبعها
باجرا الاحكام في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشي منها ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون اي ارا ومعجزات
قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من
تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته
وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة بالمواخذة والجزا فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على
شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اي من امر الدين فاتبعها باجرا احكامها في نفسك وفي غيرك
من غير اخلال بشي منها ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون اي ارا الجهلة واعتقاداتهم الزايغة التابعة للشهوات
وهم روسا قريش كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم ارجع الى دين ابايك انهم لن يغنوا عنك من الله شيا
مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اوليا بعض لا توالهم ولا تتبع اهواهم الا من كان ظالما مثلهم
والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا
اي القران او اتباع الشريعة بصاير للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعاير الشرايع بمنزلة البصاير في القلوب
وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين
اجترحوا السيئات استيناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حالي الظالمين والمتقين
وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن بطريق
انكار الوقوع ونفيه كما في قوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار لا بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
اي نصيرهم في الحكم والاعتبار مثلهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة
وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لا
لاشتماله على ان السوا بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم كلاهما لا يستوون في شي منها فان هولا في عز الايمان والطاعة
وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واوليك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله
والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين
والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما
ظرفا زمان كمقدم الحاج وسوا حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة
وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سوا بالرفع على انه خبر ومحياهم
مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار
والتشديد والتوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عنده انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه
على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بيس شيا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل
يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد
ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه
خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها خلقا ملتبسا بالحق ولتجزى الى اخره او على
علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك كما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان تنزهه غاية ساحة لطفه تعالى
فيما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال

من

من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اي انظر فرايته فان ذلك مما يقتضي منه التعجب وقرئ الهة
سواه لان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ الهه شي واضله الله وخذله
على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر
بالمواعظ ولا يتفكر بالايات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار وقرئ بفتح الغين
وضمها فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الردى
افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي
اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا
الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت
بانفسنا ونحيى ببقا اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يحتمل انهم يريدون به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان
وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقا العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا
دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح
بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا
واسناد الحياة والموت الى الدهر من علم ما يستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى
امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شي يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم
واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي هو من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت
به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسك لهم شي من الاشيا الا ان قالوا
ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل
الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع
وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيا من الاشيا الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم
ابتدا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى
يوم القيامة للجزا لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قادر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع
للجزا لا محالة والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها حتما والاتيان بابائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية
امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المامور
به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر
لا لان فيه شايبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي
فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحيا والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم
المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا
من الجثو وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة
اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم
تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الى اخره من تمام ما يقال لهم حينئذ وحيث كان كل امة كتاب
مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدا وكتابنا خبره وقوله تعالى
ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر اخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله
انا كنا نستنسخ الى اخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشي منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملايكة

ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته أي في جنته تفصيل لما يفعل بالأمم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك
الذي ذكر من الإدخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه وأما الذين كفروا أفلم تكن
آياتي تتلى عليكم أي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف
عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الإيمان بها وكنتم قوما مجرمين أي قوما عادتهم الإجرام
وإذا قيل إن وعد الله حق أي ما وعده من الأمور الآتية أو وعده بذلك حق أي واقع لا محالة أو مطابق للواقع
والساعة التي هي أشهر ما وعده لا ريب فيها أي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم إن وقراءة
الرفع للعطف على محل إن واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة أي أي شيء هي استغرابا لها إن نظن
إلا ظنا أي ما نفعل إلا ظنا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي وقيل ما نعتقد إلا ظنا لا علما وقيل
ما نحن إلا نظن ظنا وقيل ما نظن إلا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه فإن
مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعلهم كانوا غير القائلين ما هي إلا حياتنا الدنيا وبدا لهم
أي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاؤها
فإن جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا أي كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة اللقاء
إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين أي ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم
منها ذلكم العذاب بأنكم بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزوا أي مهزوا بها ولم ترفعوا بها رأسا وغرتكم
الحياة الدنيا فحسبتم أن لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها أي من النار وقرئ يخرجون من الخروج
والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة
النار ولا هم يستعتبون أي يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه لفوات أوانه فلله الحمد خاصة رب السموات
ورب الأرض رب العالمين فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربوبيته تعالى
لكل منهما بطريق الأصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح بإضمار هو وله الكبرياء في السموات والأرض
لظهور آثارها وأحكامها فيهما وإظهارها في موقع الإضمار للتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب
الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى
عورته وسكن روعته يوم الحساب والله سبحانه وتعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والأرض بما فيهما من حيث الجزئية فيهما
ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي إلا خلقا ملتبسا
بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الأحوال من فاعل خلقنا أو من مفعوله أي ما خلقناها
في حال من الأحوال إلا حال ملابستنا الحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى
وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جليلة ما لا يخفى وأجل مسمى عطف على الحق بتقدير
مضاف أي وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه أمور الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما أنذروا
معرضون فإن ما أنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والأهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز

كون

كون ما أنذروه والجملة حالية أي ما خلقنا الخلق إلا بالحق وبتقدير الأجل الذي يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين
به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا أرأيتم أخبروني وقرئ أرأيتكم ما تدعون ما تعبدون
من دون الله من الأصنام أروني تأكيد لأرأيتم ماذا خلقوا من الأرض بيان للإبهام في ماذا أم لهم شرك
أي شركة مع الله تعالى في السموات أي في خلقها أو ملكها أو تدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق
للعبودية فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وإن
كان من الأحياء العقلاء فما ظنك بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب إلى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان
بسند نقلي أي ائتوني بكتاب إلهي كائن من قبل هذا الكتاب أي القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال
على صحة دينكم أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة
إن كنتم صادقين في دعواكم فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي وسلطان نقلي وحيث لم يقم عليها
شيء منهما وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ إثارة بكسر الهمزة أي مناظرة فإنها
تثير المعاني وأثرة أي شيء أوثرتم به وخصصتم به من علم مطوي عن غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء
أما المكسورة فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة فهي المرة من أثر الحديث أي رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة
التي هي اسم ما يخطب به ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إنكار ونفي لأن يكون أحد يساوي
المشركين في الضلال وإن كان سبك التركيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل
من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة
والاستجابة إلى يوم القيامة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الأول لمفعول يدعو والثاني
لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء
لإجرائهم إياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها
كقوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيي الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل
ما يعبد من دون الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم ويستثنى إرجاع الضمائر وإسناد العداوة والكفر إليهم
على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنه وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات أو مبينات قال الذين كفروا للحق أي لأجله وفي شأنه وهو
عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع
ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم أي في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل
هذا سحر مبين أي ظاهر كونه سحرا أم يقولون افتراه إضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية
ما هو أشنع منها وما في أم من الهمزة للإنكار التوبيخي المتضمن للتعجب أي بل أيقولون افترى القرآن قل إن افتريته
على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا إذ لا ريب في أنه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف أجترئ على أن
أفتري عليه تعالى كذبا فأعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه من القدح
في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد
لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم
وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل
البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على أنه صفة كقيم ودين أو جمع مقدر أي
ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الأولى أيضا على أنه مصدر يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم آيات عجيبة ويسألونه
عن المغيبات عنادا أو مكابرة فأمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا

عليه حتى اتيتكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلاة والسلام
ما كانوا ياتون الا بما اتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون قومهم الا بما اوحي اليهم **وما ادري ما يفعل بي**
ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رحمه الله
ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال
هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر
الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس عليه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل
بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا
فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخل وشجر قد رفعت الي ورايتها يعني في
منامي وقد جوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير المنفي المنسحب
اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى **ان اتبع الا ما يوحى الي** على معنى قصر افعاله صلى الله
عليه وسلم على اتباع الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين
ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى **وما انا الا نذير** انذركم عقاب الله تعالى حسبما
يوحى الي **مبين** بين الانذار بالمعجزات الباهرة **قل ارايتم ان كان** اي ما يوحى الي من القرآن **من عند الله** لا سحرا
ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى **وكفرتم به** حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة
الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه
في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم
فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة
وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة **على مثله**
اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها
عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية
لما ذكر وقيل المثل صلة وانما في قوله تعالى **فآمن** للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي
الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم
فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ما ينزع الى ابيه او امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه
وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي
قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله
فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف
يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي
على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام
وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام

فانها نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية **واستكبرتم**
عطف على وشهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به
من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال
قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم **وقال الذين كفروا** حكاية لبعض
آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة **للذين آمنوا** اي لاجلهم **لو كان**
اي ما جاء به صلى الله عليه وسلم من القرآن والدين **خيرا ما سبقونا اليه** فان معالي الامور لا ينالها ايدي
الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية
كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزعموا انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات
روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها
ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
وقيل قالت اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام ويأباه ان السورة مكية لا ان يدعى ان الآية نزلت
بالمدينة **واذ لم يهتدوا به** ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا
ما قالوا **فسيقولون** غير مكتفين بنفي خيريته **هذا افك قديم** كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر
عنادهم وليس بذاك **ومن قبله** اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى **كتاب موسى** قبل والجملة حالية او مستانفة
واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقررا لحقيته قطعا **اماما**
ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى
لمن آمن به وعمل بموجبه **وهذا** اي الذي يقولون في حقه ما يقولون **كتاب** عظيم الشان **مصدق** اي لكتاب موسى
الذي هو اماما ورحمة ولما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك **لسانا عربيا** حال من ضمير كتاب
مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق
ذا لسان عربي **لينذر الذين ظلموا** متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول صلى الله عليه وسلم
ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب **وبشرى للمحسنين** في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع
على انه خبر مبتدا مضمر اي وهو بشرى وقيل انه عطف على مصدق **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**
اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة
على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد **فلا خوف عليهم** من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون**
من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن كما توهمه كون الخبر مضارعا وقد مر
بيانه مرارا **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين **اصحاب الجنة خالدين فيها** حال من
المستكن في اصحاب وقوله تعالى **جزاء** منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله
تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم **بما كانوا يعملون** من الحسنات العلمية والعملية **ووصينا**
الانسان بوالديه حسنا وقرئ احسانا اي بان يحسن بهما احسانا اي فعلا ذا حسن وكانه
في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحها اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه
ايضا حسنا **حملته امه كرها ووضعته كرها** اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر **وحمله وفصاله** اي مدة حمله وفصاله
وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفطام كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به
كما اراد بالامد المدة من قال • كل حي مستكمل مدة العمر • مود اذا انتهى امده •

ثلاثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما
انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل
مدة الرضاع لانضباطها وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله
وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين سنة وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني
اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها
وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح
ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله • يجرح في عراقيبها نصلي • قال ابن عباس رضي الله عنهما دعا ابا بكر
رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه
ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام
ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن
ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك
اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله
تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على اقامته مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين
في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم
بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان
اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين
وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل
هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من
انها نزلت في عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم
القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها من قال ذلك اتعدانني
ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد
وهما يستغيثان الله يسالانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء
عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله حق اي البعث اضافه
الى الله تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطابه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي امن بان وعد الله حق
فيقول تكذيبا لهما ما هذا اي الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب
من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى
لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية
الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين
المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها
بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين
وزيادة عقاب الاخرين والجملة حال مؤكدة للتوفية واستئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم

اعمالهم ولا يظلمون حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب
مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام
التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم
بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق
لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون عن طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون
بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره
اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين جبال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل
جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب
العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله الا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد
وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد
انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومه مثل ذلك فاذكرهم وانما جعلناها حالا من فاعل انذر على انه عليه السلام
انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله
والذين يبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقرير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى الجانبين
من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا اي تصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما
تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم
بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه
عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان
نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما
تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب قبل نزول وقته والفاء في قوله تعالى فلما
راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه به
فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا تعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجها نحوها والاضافة
لفظية ولذلك وقع صفة للنكرة كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا وكذلك وقع صفة للنكرة بل هو اي قال هود وقد
قرئ كذلك قل بل هو ردا عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدا
محذوف فيها عذاب اليم صفة ريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها
وقرئ تدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك والعائد الى الموصوف اي هو الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا
لبيان ان لكل ممكن فنا مقتضيا منوطا بامر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم كذلك اي
مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل
الفسطاط والظعينة فترفعهما في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت
ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب ان راوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم
تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم
فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم

في البحر وروي ان هودا عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررنا عادا واقدرناهم فيما ان مكناكم فيه ما موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شي ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وساير مبادي التصرفات كما في قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها ها في مهما وجعلها شرطية او زايدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الايات التكوينية المنصوبة في صحايف العالم ولا افيدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شي اي شيا من الاغنا ومن مزيدة للتاكيد اذ كانوا يجحدون بايات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذي يستعجلونه بطريق الاستهزا ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات كررناها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني الهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم الهة حال كونها متقربا الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلا شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقري قربانا بضم الرا بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم اخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغايب عن المنصور وذلك اي ضياع الهتهم عنهم وامتناع نصرهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة ونتيجة شركهم وقري افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقري افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينيذ الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هو ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقري افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اي جعلهم افكين وقري افكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترايهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه على الله تعالى وقري وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض مما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقري صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة والنفر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القران وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصيصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كاينا من الجن مقدرا استماعهم القران فلما حضروه اي القران عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من تلاوته له على الالتفات وقري على البنا للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه صلى الله عليه وسلم ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السما ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر

او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم في جوف الليل او في صلاة الفجر فاستمعوا القرانه وذلك عند منصرفه من الطايف وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا ليجمعهم له فقال صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته صلى الله عليه وسلم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيا فقلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اوليك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه ارادوا به التوراة يهدي الى الحق من العقايد الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرايع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا او لا والاظهر انهم في حكم بني ادم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفا باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدايرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اوليا بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاوليا باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى الاحاد كما في قوله تعالى اوليك بذلك الاعتبار اي اوليك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتدا من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبي عنه القراة بغير با ووجه دخولها في القراة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شي قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينيذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللايق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزايهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة

بهم والتوبيخ لهم على النفاق فقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة
امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والعزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم
ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولوا العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا
على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله
كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا
ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله
تعالى بلاغ خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ
بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة
وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك نون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بكل رملة في الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا
عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عنه من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم
اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا
وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها وجعلها
ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه احكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون منها اعمال البر كصلة الارحام
وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل
ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واظهار دينه
على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ والذين
امنوا وعملوا الصالحات قيل ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وامنوا
بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين
سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقيقة
وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله
تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم
اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك
اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان
كما قال مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد
الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له لتضمن سببيتهما له لكونه مبدا ومنشا لهما حتما فلا تدافع بين
الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له
اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله

واما

واما جعله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد اخص منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر
بعد الاشعار بسببيتهما فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون
التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموضعين كذلك
اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة
مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله
تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح
احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر
فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب
منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره
وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو
الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى
التخيير بين القتل والاسر والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله عنه وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك
يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق
وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح
والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله تعالى لاحد الامور
الاربعة او للمجموع فالمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل
بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء
والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها اثامها
اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلوا بعضكم ببعض
فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم
على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا
اي جاهدوا وقاتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم
من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب او سبيل
هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم
بحيث يعلم كل احد منزلته ويهتدي اليه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين
يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من
عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد وبدونه يا ايها الذين امنوا
ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها
او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط
ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعل الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم لقوله تعالى واضل
اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب
انهم كرهوا ما انزل الله من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة
بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره واهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين امثالها اي وللكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلة العواقب المتعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد لما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع المضمر كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثالها عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تاكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكاين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك منهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية بينهما بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان باولويتها جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

لعمري لكلب كان اكثر ناصرا ۞ وايسر جرما منك ضرج بالدم

وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء للترتيب ذكرا بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حال فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والاخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان على مستقر على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القران الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة انفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى اخره وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الى اخره من ماء غير اسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير

طعمه

طعمه بان صار قارصا ولا حاذرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي لذة محضة ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك وهم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال انفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة ولذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام واتاهم تقواهم اي اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة كجربة وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد به مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع الذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم لذكراهم واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجي عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الى اخره والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا وانها

مراحل لابد من قطعها لاقصاله ومثواكم في العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا
الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين
امنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة يامر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها بوجه اخر سوى وجوب القتال
عن قتادة رضي الله عنه كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد
الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر
لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من
اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان
يليهم المكروه او يؤول اليهم امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع
طاعة وقول معروف كلام مستانف اي امرهم طاعة الى اخره اي طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم
ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجاز
كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا
وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه تعالى
فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك
الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم فيه السنتهم
وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الى اخره بطريق الالتفات
لتاكيد التوبيخ وتشديده اي فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص
على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون بشانكم
الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امراء ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل
ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع
الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون
محذورا باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد
فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة لما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ
تولّيتم اي تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من القطع بحذف احدى التاءين
فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق ضمير الخطاب بعسى لغة اهل الحجاز
واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا
بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدا خبره
الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامّهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم
لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة في الانفس والافاق افلا يتدبرون القرآن اي الا يلاحظونه
ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها
فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ
بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها او لتفظيع شانها
بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان
المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة

لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم
اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح
الاعمال والاحوال فانهم قد كفروا به صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى بالايات الباهرة والمعجزات
القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به صلى الله عليه وسلم بعد ما وجدوا نعته صلى الله
عليه وسلم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت
خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السؤال لاستمراره القلب بمعنى سول لهم الامر
حينئذ اوقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم
ومد لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى
ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة
الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الاتي وهو مبتدا
خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به صلى الله عليه وسلم بعد ما
وجدوا نعته صلى الله عليه وسلم في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سرا
كان القول لهم وللمنافقين والمشركين على راي القائل بل من حين بعثته صلى الله عليه وسلم للذين كرهوا
ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا
وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله
تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم
احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم فارادوا بالبعض الذي
اشاروا الى عدم طاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا
يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما
كانوا يقولون لهم سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم
اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للايعاد في الدنيا والتعذيب في الاخرة
والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف
هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم وقيل مرفوع
على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الى اخرهم وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع
قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او مفعوله وهو تصوير لتوفيهم
على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره
ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه
اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود
فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال
الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة
وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار ما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان
مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد
اي بل احسب الذين في قلوبهم مرض حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالارادة

فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فأصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة وأما اللام في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم أعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو أخباركم بالتجربة عن أعمالكم فنظهر حسنها وقبيحها وقرئ وليبلونكم بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو إن الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته صلى الله عليه وسلم في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الأشياء أو شيئا من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع شأنه وسيحبط أعمالهم أي مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها إلى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وإن صح نزوله في أصحاب القليب فلا تهنوا أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى السلم أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خورا فإن ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا كقولهم ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فإن صيغة افتعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد القولين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى وأنتم الأعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فإن كونهم الأعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم أعمالكم أي ولن يضيعها من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم أي ثواب إيمانكم بحيث يحل أداها بمعاشكم وإنما اقتصر على تيسيرها وتهوين العشر تؤدونها إلى فقرائكم إن يسألكموها أي أموالكم فيحفكم أي يجهدكم بطلب الكل فإن الإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه أي استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم أي أحقادكم وضمير يخرج لله ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لأنه سبب الأضغان ها أنتم هؤلاء أي أنتم هؤلاء المخاطبون وهؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر أو صلة لهؤلاء لأنه بمعنى الذين أي ها أنتم الذين تدعون وفيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والإنفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل أي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى

لتضمنه معنى الإمساك والتعدي والله الغني دونكم من عداه وأنتم الفقراء فيما يأمركم به فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى وإن تتولوا عطف على إن تؤمنوا أي وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة. والله سبحانه وتعالى أعلم. [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فإنه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لإسناد أفعال العباد إليه تعالى خلقا وإيجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن أنس بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الربانية لتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أتيح له صلى الله عليه وسلم في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو فتح الحديبية فإنه وإن لم يكن فيه حراب شديد بل جرى ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حين سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون. وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصبه في غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له صلى الله عليه وسلم من الفتوح. وقيل ما فتح له صلى الله عليه وسلم من الإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أعظم منه وأبين وهو رأس الفتوح كافة إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة وأيا ما كان فحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير هو نفس الفتح الصادر عنه سبحانه وتعالى لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث إنه مترتب على سعيه صلى الله عليه وسلم في إعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنبا بالنظر إلى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل

الفتح لكي حصل بعد ذلك من انفتاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم
الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تاكيده بقوله تعالى
نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او
عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمانينة اي
انزلها في قلوب المومنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم وانزل فيها السكون الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرائع
ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها
كيف ما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم
والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات
والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة الله تعالى في ذلك
ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سياتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير
مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال
والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق هممهم من جلب نفع ودفع ضر
وعند الله حال من فوزا لانه صفة في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كاينا عند الله اي في علمه وقضايه والجملة
اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم
المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر
السوء وهو ان لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم دايرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمومنين فهو
حايق بهم ودايرة عليهم وقرى دايرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه من كل شي واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم
عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفا المفيدة لسببية
ما قبلهما لما بعدهما للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض
وسات مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فايدته
التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبي عنه التعرض لوصف العزة
انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا
على المعصية لتومنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة
عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرى الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرى
تعزروه بضم التا وتخفيف الزاي المكسورة وقرى بفتح التا وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزايين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان
يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة نواهيه واوامره وقوله تعالى
يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع
الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرى انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه
فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرى بكسر الكاف
ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرى

بكسرها اي ومن اوفى بعهده فسيوتيه بنون العظمة اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب
غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب
واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت واحرم صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم
قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم بانهم سيعتلون ويقولون
شغلتنا اموالنا واهلونا اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع شغلتنا بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك عن اختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم بدل من سيقولون او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك
باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لكم من مشيته تعالى وقضايه على شي من النفع ان اراد بكم ضرا
اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج بحفظهما ودفع الضر عنهما وقرى ضرا بالضم
او اراد بكم نفعا اي ما يضركم ومن يقدر على شي من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم بحفظ اموالكم واهليكم واي حاجة الى
التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع
لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا
فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا
بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الى اخره بدل من كان الله
الى اخره مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا بان
يستاصلهم المشركون المرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من
المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع
كالليالي وقرى الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه فاشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرى
زين على البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى والى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير
لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء واما ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته
صلى الله عليه وسلم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله
تعالى مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع باير كعايذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم
وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ومن لم يومن بالله
ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يومن بهما
كداب هولا المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم
يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشا يغفر لمن يشا ان يغفر له ويعذب من يشا
ان يعذبه من غير دخل لاحد في شي منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه
وسلم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشا ولا يشا الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته
ممن يومن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى
اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر
لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنايم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم
قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنايم التي خصها باهل الحديبية وانه صلى الله عليه
وسلم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن

شهد الحديبيه نغنمها وغنم امو الاكثيرة نخصها بهم حسب ما امره الله عز وجل وقري كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد
ما ذكر من وعده تعالي غنايم خيبر لاهل الحديبيه خاصه لا قوله تعالي غنايم خيبر لا قوله تعالي لن تخرجوا معي ابدا فان غزوة
فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا في نفي في معني النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الرجوع
من الحديبيه فسيقولون للمومنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا
ان نشارككم في الغنايم وقري تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالي بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا
اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا وقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل
المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون
الي قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفه قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم او المشركون لقوله تعالي تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير
كما ينفصح عنه قراة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل علي امامة ابي بكر
رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيجي
دوام نفي الاتباع كما في غزوة خيبر كما قال محي السنه وقيل هم فارس والروم ومعني يسلمون ينقادون فان الروم نصارى
وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبيه يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس علي الاعمي
حرج ولا علي الاعرج حرج ولا علي المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف
يدور علي الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوايف المعذورة مزيد اعتنا بامرهم وتوسيعا لدايرة الرخصة
ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقري ندخله بنون
العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقري بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المومنين
وهم الذين ذكر شانهم وهذه البيعة تسمي بيعة الرضوان وقوله تعالي اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب
برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديبيه بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الي اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث
عثمان بن عفان فاخبرهم انه صلى الله عليه وسلم لم يات لحرب وانما جا زايرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه
وقالوا ان شيت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس
عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الي البيعة فبايعوه
تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة علي ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي علي الموت دونه وان لا يفروا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسماية وعشرين وقيل الفا
واربعماية وقيل الفا وثلاث ماية وقوله تعالي فعلم ما في قلوبهم عطف علي يبايعونك لما عرفت من انه بمعني
بايعوك لا علي رضي فان رضاه تعالي عنهم مترتب علي علمه تعالي بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم
له صلى الله عليه وسلم فانزل السكينة عليهم عطف علي رضي اي فانزل عليهم الطمانينه والامن وسكون
النفس بالربط علي قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبيه كما مر تفصيله
وقري واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اي مغانم خيبر والالتفات الي الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان
وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضي الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفي
علي المومنين الي يوم القيامة تاخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنايم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفايهم من بني اسد وغطفان حيث جاوا لنصرتهم فقذف الله
في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمومنين امارة يعرفون بها صدق الرسول

صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند الرجوع من الحديبيه ما ذكر من الغنايم وفتح دخول المسجد الحرام واللام متعلقه
اما بمحذوف موخر اي ولتكون لهم اية فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخري محذوفة من احد
الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغنموها ولتكون الي اخره والواو علي الاول اعتراضيه وعلي الثاني عاطفه
ويهديكم بتلك الايه صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالي والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون
واخري عطف علي هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخري لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين
ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالي قد احاط الله بها
صفة اخري لاخري مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الي قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الي قدرتهم
اي قدر الله عليها واستولي واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخري منصوب بمضمر
يفسره قد احاط الله بها اي وقضي الله اخري ولا ريب في ان الاخبار بقضا الله تعالي اياها بعد اندراجها في
جملة المغانم الموعودة بقوله تعالي وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فايدة وانما الفايدة
في بيان تعجيلها وكان الله علي كل شي قديرا لان قدرته تعالي ذاتيه لا تختص بشي دون شي ولو قاتلكم
الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفا خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم
ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله سنة انبيايه سنة قديمة فيما مضي من
الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية الي الحديبيه
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد علي جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكه ثم عاد وقيل كان
يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة علي ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم
اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقري بالما بصيرا فيجازيكم بذلك ويجازيهم هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا علي الضمير المنصوب في صدوركم وقري بالجر عطفا
علي المسجد بحذف المضاف اي وعن نحر الهدي وبالرفع علي وصد الهدي وقوله تعالي معكوفا حال من الهدي اي محبوسا
وقوله تعالي ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي
يحل نحره وبه استدل ابو حنيفه رضي الله عنه ان المحصر محل هديه الحرم وروي ان خيامه صلى الله عليه وسلم
كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي
هو مني ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة
لرجال ونسا وقوله تعالي ان تطاوهم ان توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار وسو قالتهم والاثم في التقصير بالبحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه
بغير علم متعلق بان تطاوهم اي غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالي ليدخل الله
في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنكم ليدخل بذلك الكف المودي الي
الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسمها من يشا وهم المومنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية
التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخرويه فهم وان كانوا محرومين منها بالمرة
لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها علي الوجه الاتم ادخالهم في الرحمة
الاخرويه وقد جوز ان يكون من يشا عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويابا قوله تعالي لو تزيلوا الي اخره
فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه اقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل
حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقري لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتلتهم

ونبي ذا رهيه الجمله مستانفه مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بصد هم او احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع للموصول موضع ضمير هم لذمهم في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعني الالقا فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفه والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان له اي جعلوها ثابته واضحه في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الجاهليه او الحمية الناشئة من الجاهليه وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما تدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الى اخره وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينه الثبات والوقار ٭ يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبيه بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان يخلي قريش مكة من عامه القابل ثلاثة ايام ففعلوا ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المومنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفا بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اى المستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقه وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر موكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغه التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة به ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسما الله تعالى ونقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الى اخره وقوله تعالى ان شا الله تعليق بالعدة المشيه لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلون لموت او غيبة او غير ذلك او حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله صلى الله عليه وسلم لاصحابه امنين حال من فاعل لتدخلن والتعرض والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرين وقيل محلقين حال من ضمير امنين فتكون متداخله لا تخافون حال موكدة من فاعل لتدخلن او امنين او محلقين او مقصرين او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقه ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام امنين الى اخره فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون اية للمومنين

وانما

وانما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فباباه فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراه الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به وبسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفه بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدله بتبديل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وبه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته صلى الله عليه وسلم باظهار المعجزات محمد خبر مبتدا محذوف رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا رسول الله خبره والجمله مبينه للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدا خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشدا جمع شديد ورحما جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرافه كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقرئ اشدا ورحما بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وعلى الاول خبر اخر او استيناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا او رضا اما خبر اخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشا من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثه وهي السيما بالمد وهو مبتدا خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التاثير الذي يوثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد الجبهة على الارض ليحدث فيها تلك السمه وذلك محض ريا ونفاق والكلام فيما اذا حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما احدث كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم

ديار علي والحسين وجعفر ٭ وحمزة والسجاد ذي الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليله وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره وقوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطاه الى اخره تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله مثلهم في التوراة وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فازره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي المعاونة وقرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعدما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سوقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره

وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما
فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار اذا سمعوا ما اعد الله للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه
المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم
بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم
على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي
يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام
لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني
وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرا لا تقدموا
بحذف احدى التائين بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما
نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عز وجل وقيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى
النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون
من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي
صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه
والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه صلى الله
عليه وسلم بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم
لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته صلى الله عليه وسلم وتعهدوا
في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهاب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة
وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه
بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه
اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم
بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم علة للنهي اي لا تجهروا
خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والنهي كالاحتراز والاصل المنوط
فان الجهر حيث كان مظنة لاداء الى الحبوط كان تعليله على طريقة التمثيل كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا
وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي
اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع
الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب او مجادلة

مقامهم وارتهاب عليهم ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان
جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الآية فقد ثابت
وتفقده صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية فاني رجل جهير
الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته
صلى الله عليه وسلم فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل
تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية
من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى
ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل
باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها
او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب عنها الشهوات
لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم
الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشات من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة
لوجوب اختلاف المبدا والمنتهى بحسب الجهة ثم وقيل بيان وراءك من وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم
وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة
من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها
حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له صلى الله عليه وسلم فناداه
بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكون ناداه من وراء الحجرة
التي كان صلى الله عليه وسلم فيها ولكنها جمعت اجلالا له صلى الله عليه وسلم وقيل ان الذي ناداه عيينة
بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم
وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه
وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها
على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى
تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه صلى الله عليه وسلم فانها مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج
لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال
لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة
واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق
وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به [illegible] فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

تدارتدوا ومنعوا الزكاة فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبيين على فسق المخبر اشارة الى قبول
خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذرا ان تصيبوا قوما
بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه
حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الى آخره وهي انكم تريدون
ان يتبع صلى الله عليه وسلم رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه صلى الله عليه وسلم لم يطع رأيهم واما
صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته صلى الله عليه وسلم لهم لان عنتهم
انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من طاعته
في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته
صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك لان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى
ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور
الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الابهام
واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره
فينبغي ان يكون ذلك بحسب الزمان فاذا اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقع الكثير الذي
يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار
سواء كان الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها
في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل تحققت الطاعة الواقعة في الكل وتجدد
بحسب تجدد الزمان فالحق هو الثاني فان امتناع العنت حينئذ ليس مناطه استمرار الطاعة المذكورة ضرورة
انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين
المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بل وقعت تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة في وقت من الاوقات
وقع العنت حتما فاعلم ان الحق بالاعتبار واولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار
الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني وعلى اعتبار
الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس
او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن اذ ليس في نفي استمرار
الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه بمعزل لا يخفى
وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا
لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم
حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
ولذلك اجتنبتم عما لا يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة
والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر
عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان
والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي الراشدون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات

الى الغيبة كما في قوله تعالى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي انعاما
تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم
مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت
اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه
او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم
الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة
الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي اعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم
بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى
امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف
مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله
تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر موضع المضمر مضافا الى
المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح
فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح
لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي وموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين
والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر
نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار
الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري
بين بعض وبعض ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين
ليس مما يظهر من الصور والاشكال والاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور
الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي
ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم
بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز
الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به
عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان
واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة
الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي
محمد عليهم الصلاة والسلام والدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه
فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان في موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي

قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات
وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم
تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه
منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى
الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء
من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
اي ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر
عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات
من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة
بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل وميتا واخراج تماثلهما مخرج
امرين غني عن الاخبار وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى
فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه اي جبلتم على
كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في
قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت
ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان
اسامة على طعامه صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لا ما تناولنا فقال
صلى الله عليه وسلم انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل
واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق
بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل
واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون
العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه
لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل
ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من
الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى
وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم
لا انسبكم لانه مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم
على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم
خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا
الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو
التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل ذلك والا لما مننتم كما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن

قولوا

قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وايثار ما عليه
النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ
بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم
حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بانهم قد
آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم شيئا من اجورها
من لاته يليته ليتا اذا نقصه وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان اي شيئا من الانتقاص ان الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم
وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في
قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات
البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف
الجميلة هم الصادقون الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاءوا وحلفوا انهم مؤمنون
صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم تذييل
مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل لهم
وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب مولها ثوابا
ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم
اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم
لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى كونه ايمانا وسماه اسلاما كانه قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام
وليس بجدير بان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات
والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ
بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف
على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه
والذي فصل في مطلع سورة ص بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك
او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به
الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة
للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر
ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك
من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن
انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار
مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم

قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك
بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية
تشنيعهم وقوله تعالى

بما يعم البعث واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا
اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما
للايذان بان تعجبهم من البعث لانه على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على
ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا أئذا متنا وكنا ترابا
تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي أحين
نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا
متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او عن العادة
او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد
علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطفه حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص
الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها
بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق
اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة
بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم
وقيل الحق القران او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث
يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وكاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم
بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على
نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض
مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف
للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى
علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا
تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء
ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا
وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات كثيرة
اي اشجار ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما
وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها
في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية
مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل
فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع
او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل
او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله
تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد
ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكرة والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا
مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق فاحيينا به اي بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا

بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فعادت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا
لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة
من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور
لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات
وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس
وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الى اخره استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم
السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة
الفرقان في التفصيل وثمود وعاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره
عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم في
سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام
المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم
كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب الكل وهذا
تقدير برسالة تبع واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على
التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال
المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل أقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا
عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر يقتضيه يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه
والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس
الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا
لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي
العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان
منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب
حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما
وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه
باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه صلى الله
عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله
تعالى ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا
وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن اجل الطوي رماني

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه

من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنهما لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم البعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله وحقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة وخطاب الكل بذلك لانه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث •

• يا نفس انك باللذات مسرور • فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصولة فعتيد صفتها وان جعلت موصوفة فهو بدل منها او خبر بعد خبر او لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال •

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر • وان تدعاني احم عرضا ممنعا •

وعلى ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة القيا بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب به قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي عن معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الى آخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما

راي الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ولما راي المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير
الخبر وقيل هو اشارة الي الثواب وقيل هو مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض من البدل والمبدل منه
واما معمول لقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت او مقولا لهم مقولا في حقهم هذا ما توعدون لكل
اواب اي رجاع الي الله تعالي بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ
ذنوبه حتي يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالي وقيل لما استودعه الله تعالي من حقوقه من
خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من
لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معني من وقوله تعالي
بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب عنه او غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه
راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالي لا يصدهم عن خشيته تعالي وانهم عاملون بموجب قوله تعالي
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الي الله تعالي
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام
من جهة الله تعالي وملائكته ذلك اشارة الي الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود
اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال
من الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي
الكرامات التي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر وقيل ان السحابة تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول
نحن المزيد الذي قال تعالي ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اي
قوة كعاد وامثالهم فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودربوا وتصرفوا في اقطارها او جالوا في اكناف الارض كل مجال
حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة علي ان شدة بطشهم اقدرتهم علي
التنقيب وقيل هذه عاطفة في المعني كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الي اخره وقرئ بالتخفيف هل من محيص
اي هل لهم من محيص من امر الله تعالي والجملة اما علي اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين
هل من محيص او علي اجراء التنقيب لما فيه من معني التتبع والتفتيش مجري القول او هو كلام مستانف وارد
لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل
رأوا لهم محيصا حتي يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة علي صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب
وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتي نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما
ذكر من السورة لذكري لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور
ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من
غير تذكير او القي السمع اي الي ما يتلي عليه من الوحي الناطق بما جري عليهم فان من فعله يقف علي جلية الامر فينزجر عما
يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون منع الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما
يلوح به قوله تعالي وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات
للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات
في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا تفي به القوي والقدر من لغوب من اعياء ولا تعب في الجملة وهذا
رد علي جهلة اليهود في زعمهم انه تعالي بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقي
علي العرش سبحانه وتعالي عما يقولون علوا كبيرا فاصبر علي ما يقولون اي ما يقول المشركون في شان البعث من
الاباطيل المبنية علي الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر علي بعثهم والانتقام منهم اي

ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالي عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره
التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالي بما يوجب التشبيه حامدا له تعالي علي ما انعم به عليك من
اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة
ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت
الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع
صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلي بادبار السجود النوافل
بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحي اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي
اي اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان
الله تعالي يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث
يصل نداؤه الي الكل علي سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع
من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الي اخره وهي النفخة
الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالي ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون
الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك
احد والينا المصير للجزاء في الاخرة لا الي غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدي التاءين
وقرئ بتشديد الشين وتشقق علي البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع
وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالي نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث
وتكذيب الايات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم علي الايمان او تفعل
ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه اقوالهم وتستدعيه
اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله تعالي عليه تارات
الموت وسكراته والله سبحانه وتعالي اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب
وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ
وقرا علي تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب
الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا
ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله
تعالي بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها
كما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطة له وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور
المقسم بها علي ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة علي كمال القدرة والا
فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الي الجو حتي تنعقد سحابا فتجري به باسطة له
الي ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالي انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم وفي تخصيص
الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الي شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضي
الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر علي البعث الموعود وما مصدرية او موصولة ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا
والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال

سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن
حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق
وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك كالبرق
والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه صلى الله عليه
وسلم تارة شاعر وتارة ساحر وفي شان القران الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير الاولين وفي هذا
الجواب تاكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك اذ قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو
تناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات
وتباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القران او الرسول صلى الله عليه
وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون
الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك عن ذلك القول وقرئ من افك
اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون
ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين الذين هم في غمرة
من الجهل والضلالة ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن
لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون
جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون خبرا لمبتدا محذوف اي هو يوم هم والفتح
لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا
الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق
الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ
كنهها ولا يقادر قدرها اخذين ما اتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على ان كل ما اتاهم حسن مرضي
يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة اتين بها على ما ينبغي فلذلك
نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسره بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا
يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما
مزيدة في الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة او مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل
هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل
قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع
قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم باقتراف الجرائم وفي
بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم
فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل
والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين اي دلائل واضحة
على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها
والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بانواع النبات

وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها
ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير
تدل دلالته على انفراده من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون
بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء
وقيل انه مستانف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول فلما ذكر
من امر الايات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون
ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على
الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة وان بما حيزها ان جعلت زائدة ومحل الرفع على انه صفة ويؤيده
القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور
والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرائيل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك اخر معهما عليهم
السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا في
حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى وعند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما
قال اي ابراهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى يكون تحيته عليه
السلام احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه
السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه
الناس ولعله انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لانه خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل
والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يقصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم
على خفية من ضيفانه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا
والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة
المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسب
ما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم
جاءوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه
فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو
اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امراته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في
زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت
كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها
جبينها كما يفعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك اي مثل ذلك القول الكريم
قال ربك قالوا وانما نحن معبرون نخبرك عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو العليم الحكيم فيكون
قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر ايضا
حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هنالك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة

هود قال أي إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر فما خطبكم أي شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة
أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم أي بعدما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها
سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من أسمت الماشية أي
أرسلتها أو معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور
وقوله تعالى فأخرجنا إلى آخره حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الإجمال بعد حكاية
ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع أخر
كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك إلى آخره من كان فيها أي في قرى قوم لوط وإضمارها
بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت أي غير أهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه
وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها أي في القرية آية أي علامة دالة على ما أصابهم من
العذاب قيل هي تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء منتن للذين يخافون العذاب الأليم أي من شأنهم أن يخافوه
لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فإنهم لا يعتدون به ولا يعدونه
وفي موسى عطف على قوله تعالى وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا
إذ أرسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أي كائنة وقت إرسالنا وقيل بتركنا إلى فرعون بسلطان مبين
هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه أي فأعرض عن الإيمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه
وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر
أي هو ساحر أو مجنون كأنه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه
أو بغيرهما فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية
قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في
فأخذناه وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن
خيرا ما من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي النكباء أو الدبور أو الجنوب ما تذر من شيء أتت عليه أي جرت عليه إلا
جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم ونبات أو غير ذلك وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
هو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة
واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن أمر ربهم أي فاستكبروا عن الامتثال به فأخذتهم الصاعقة
قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله
عليه السلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم
الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون إليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام
كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم وقوم نوح أي وأهلكنا
قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه أو اذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف
على مفعول فأخذناه من قبل أي من قبل هؤلاء المهلكين إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه
من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وإنا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع
القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق والأرض فرشناها مهدناها وبسطناها
لتستقروا عليها فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء أي من الأجناس خلقنا زوجين أي نوعين ذكرا وأنثى وقيل
متقابلين السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون أي فعلنا ذلك كله كي
تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله
تعالى ففروا إلى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء إما لترتيب الأمر على ما حكي

من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه قيل قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا
إلى الله تعالى الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه وإما للعطف على جملة مقدرة مترتبة
على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا إلى الله تعالى إلى آخره وقوله تعالى إني لكم منه نذير مبين
تعليل للأمر بالفرار إليه وعليهم أن يمتثلوا به أي إني لكم من جهته تعالى ومظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر
به وفي أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه صلى الله عليه
وسلم ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المرهوب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى
ولا تجعلوا مع الله إلها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى
إني لكم أي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فإن تعلق كلمة من بالإنذار مع كون صلته على إنما هو بتضمينه معنى الإبعاد ويقال فر
منه أي هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا إلها آخر وفيه تأكيد لما قبله من
الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وإيجاب الفرار عنه كذلك أي الأمر
مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا وقوله تعالى ما أتى الذين من قبلهم إلى آخره تفسير له
أي ما أتاهم من رسول من رسل الله إلا قالوا في حقه ساحر أو مجنون ولا سبيل إلى انتصاب الكاف بأتى لامتناع
عمل ما بعدها النافية فيما قبلها أتواصوا به إنكار وتعجيب من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنعاء التي لا تكاد
تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أي أوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى
بل هم قوم طاغون إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك وإثبات لكونه أمرا أقبح من التواصي
وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى طبائعهم
فتول عنهم فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء فما أنت بملوم على التولي بعدما بذلت المجهود
وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود وذكر أي فعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة فذكرهم وقد حذف
الضمير لظهور الأمر فإن الذكرى تنفع المؤمنين أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها
تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله
فإن كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه صلى الله عليه وسلم إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ
ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها
ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض
على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى
وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله
لإفضائه إلى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى كالية يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير
منفي من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في
تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة
الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن
تفوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما في
قوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى إلا ليؤمروا بالعبادة كما في
قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وقال
مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا
مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم

التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل انصبا نظرايهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجي به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم فيما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفا لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفا الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الاتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا • والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم • والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وجل سبحانه وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين والصراح وهو في السما الرابعة وعمرانه كثرة غاشية من الملايكة والسقف المرفوع اي السما لا تخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جوابا للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدا للظرف او مرتفع منه على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لانها امور عظام تنبئ عن كمال الهوله وفظاعته وقوله تعالى يوم تمور السما مورا والمور الاضطراب والتردد في المجي والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور دورانا كما تدور الرحى وتتكفا باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاوها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى

اعناقهم

اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعا فيكون دعا حالا بمعنى المدعوين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدايدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سوا عليكم اي من الامران في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستقرار فان الجزا حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سوا في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو او ظرف متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على في جنات او على حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيا او طعاما وشرابا هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل البا زايدة وما فاعل هنيا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاوه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور والبا مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الى آخره كلام مستانف مسوق لبيان حال طايفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعناهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآبا واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الدال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذرياتهم اي في الدرجة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما التناهم وما نقصنا الآبا بهذا من عملهم من ثواب عملهم من شي بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقا والجلسا منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المومنين فقوله تعالى واتبعناهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآبا الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبايهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشي من الايمان لا يوهلهم لدرجة الآبا الحقنا بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دايم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآبا شي فالجملة

تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا
يشتهون من فنون النعما والوان الالا يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساوهم بكمال رغبة واشتياق
كما ينبي عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كاسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون
في اثنا الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تاثيم ولا يفعلون ما يأثم به فاعله اي ينسب الى الاثم
او فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام ويفعلون افعال
الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم
وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم اي مخزون
لانه لا يخزن الا الثمين القيمه قال قتادة هذا الخادم فكيف بالمخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه
وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون اي يسال كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا انه يسال
بعض منهم معين بعضا اخر معينا قالوا اي المسؤلون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا قبل في الدنيا
في اهلنا مشفقين ارقا القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله
علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اي نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا
عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل عليك
من الايات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه
بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يوفكون ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون فهو ما يقلق النفوس تخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل
فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي انما يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من
المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اي عقولهم
بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل
فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هولا في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد ولا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون
ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اي اختلقه
من تلقا نفسه بل لا يومنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا
وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العجم والعرب فلياتوا
بحديث مثله مثل القران في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين
فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عم في البشرية والعربية مع ما لهم
من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام
ولا ريب في ان القدرة على الشي من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شي اي ام احدثوا
وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شي من عبادة وجزا ام هم الخالقون
لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم
وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك
اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاوا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة

اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها كيف ما شاوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على
ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطا ام لهم سلم منصوب الى السما يستمعون فيه صاعدين الى كلام
الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها
اطماعهم الفارغة فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون
تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى اسرار الملكوت والتطلع
على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسالهم اجرا رجوع الى
خطابه صلى الله عليه وسلم واعراض عنهم اي بل اتسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام
غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب
فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا وهو كيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر
وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود
عليهم وباله لا من ارادوا الكيد به فهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه
وان يروا كسفا قطعة من السما ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم
اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب
متراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم
الذي فيه يصعقون على البنا للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح اليا
والعين وهو يوم تصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا
حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغنا بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض
لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه
وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل
وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما ياباه الاضافة المنبية عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة
الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهولا الظلمة
عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اي قبل وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله
تريك القذى من دونها وهي دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون
شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم
فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلوك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتنا
بالحفظ وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اي مكان
تقوم قال سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله عنه
معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة
اشق على النفس وابعد عن الريا كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من اخر الليل اي غيبتها
بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشا وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها
اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يومنه من عذابه

وان ينعمه في جنته ۞ والله سبحانه وتعالى اعلم ۞ سورة النجم [illegible] اثنتان وستون آية ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها
او جنس النجم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن غروب اذا غاب وصعد واما النجم من نجوم القرآن وبهويه
نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر
وفي الاقسام بذلك على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعية وحسن
الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي
يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اي ما ضل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى اي
وما اعتقد باطلا اي هو في غاية الهدى والرشد ليس مما يتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على
الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه
صلى الله عليه وسلم ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق
ما ضل عنها محمد صلى الله عليه وسلم وما غوى والخطاب لقريش وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان صاحبيته لهم
للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه صلى الله عليه وسلم
بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية
لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه
في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من
كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليه السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل
واما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاضه المرجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على
سقوطه على الارض او على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن
هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق
به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار
التجددي علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق ويكفيه
دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء
ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده اسرع من رجعة الطرف ذو مرة
اي حصافة في عقله ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى بما اوحى بيان لكيفية
التعليم اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ
الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء
وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى
ثم دنا اي اراد الدنو من النبي عليهما الصلاة والسلام فتدلى اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي
صلى الله عليه وسلم يقال دلت الشجرة الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان
اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدارهما فان القاب كالقيب والقاد والقيد المقدار وقيل
فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد

تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فأوحى اي جبريل الى عبده عبد الله تعالى فاضماره
قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة
او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم
حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى اي ما رآه ببصره من صورة جبريل
عليهما السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب
اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما رآه معاينة او بعد
ما ذكر من احواله المنافية للمراء تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من
المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي تغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا ۞ وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده ولقد رآه نزلة اخرى اي وبالله
لقد رأى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها ۞ وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة
المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار
التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها
في منتهى الجنة قيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها ۞ وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء
وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه
كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او
اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وان الى ربك
المنتهى عندها جنة المأوى اي الجنة التي تأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حال وقيل الاحسن
ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف
زمان لرأى لا لما بعده من جملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية
والستر ومنه الغواشي وبمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل حين اي يأتيني والاول هو الاليق بالمقام
وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها
ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان وكلمة صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة ۞ وقيل يغشاها سبحات انوار الله تعالى
حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك ۞ وقيل يغشاها
جراد من الذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك رضي الله عنهم ۞ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ۞ ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى ۞ وعن النبي صلى الله
عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى
ما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى اي اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية
العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الآيات
التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز
ان تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات ربه وان تكون من مزيدة افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة
وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان

يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج • وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته
والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف
حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة
وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء المناسك تمنى عندها أي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء
كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى صفة لذمها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد
جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم إنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها إن الملائكة
والأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم تبكيتا وتوبيخا أفرأيتم إلى آخره والهمزة للإنكار
والفاء لترتيبه أي ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي القلبية و
مفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته عز وجل في ملكه
وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم
هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى • وقيل أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء
لله تعالى مع ما تقدم من عظمته • وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي
السابقة • وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم • وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة
وقيل أظننتم أن هذه إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى
ألكم الذكر وله الأنثى شهادة بينة فإنها توبيخ مبني على التوبيخ الأول حيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم
على جانبه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس
تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه ظاهر أنه ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة
عين ولا أثر وإنما ما قيل من أن هذه النسبة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد إلى الأول لأن الأصل
أخبروني أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أي تلك الأصنام فوضع موضعها الأنثى لمراعاة الفواصل
وتحقيق مناط التوبيخ مع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضي اقتصار
التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه
وتعالى تلك إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية إذا قسمة ضيزى أي جائرة حيث جعلتم له تعالى
ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعل بالكسر لم
يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى إما على أنه مصدر
وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى إن هي الضمير للأصنام أي ما الأصنام باعتبار الألوهية
التي تدعونها إلا أسماء محضة ليس تحتها مما ينبئ عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلا وقوله تعالى سميتموها
صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا
قيست إلى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وإن قيست إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا المعنى
الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في
قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية • وقيل هي
للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها
والإعزاز والتقرب إليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة
للأصنام وليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هي في سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع
الأصنام على وجه برهاني فإن انتفاء الوصف بطريق الأولوية أي ما هي إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها

انتم

أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة ما أنزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به إن يتبعون التفات
إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية
والعمل بموجبها إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الأنفس أي تشتهيه أنفسهم الأمارة
بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياما كان ففيه تأكيد لبطلان
اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بإرسال
الرسول صلى الله عليه وسلم وإنزال الكتاب أقبح أم للإنسان ما تمنى أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من
بيان أن ما عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعا أصلا والهمزة للإنكار
والنفي أي ليس للإنسان كل ما يتمناه حتما فلله الآخرة والأولى فإن اختصاص علم أمور الآخرة والأولى جميعا
مقتض لأن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إقناط
لهم مما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية
وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد
الملك باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئا من الإغناء في وقت من الأوقات
إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له ويرضى ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد
والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل وعن الشفاعة بألف معزل فإذا
كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام إن الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما
فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن صفات النقصان على
الإطلاق تسمية الأنثى أي يسمون كل واحد منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى وفي تعليقها
بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والغلظة من الفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ
عليها إلا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون أي يسمونهم والحال أنه
لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرئ بها أي بالملائكة أو بالتسمية إن يتبعون في ذلك إلا الظن الفاسد وإن
الظن أي جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار لا يغني من الحق شيئا من الإغناء فإن الحق الذي هو
عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به في
العمليات وما يؤدي إليها فأعرض عن من تولى عن ذكرنا أي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به
إلى وصفهم بما في حيز صلته من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أي فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم
اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الأولين والآخرين المذكور لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغي فإن ذلك
مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد إلا الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا
نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى
همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة إلى خلافها إلا عنادا وإصرارا على الباطل ذلك أي ما أداهم إلى ما
فيه من التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يتجاوزونه إلى غيره حتى يجديهم الدعوة
والإرشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك
المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى إن ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى تعليل للأمر بالإعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة
التقرير وللإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلا وبمن اهتدى من
من شأنه الاهتداء في الجملة أي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال أبدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير
فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفيه تعليل الأمر بإعراضه صلى الله عليه وسلم عن الاعتناء

بامورهم باقتضاء العلم باحوال المرضيين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء عقيبه وعيدا ووعدا كما يبينه صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الى اخره متعلق بما دل عليه ثم الى اخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى فيحفظهما ليجزي الذين اساؤا السوء بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بضل واهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه به من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان له او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشاكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم التي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع النبي صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللت فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب اذا اعطاه بعض ماله فارتد فاعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الى اخره اي اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به

او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله تعالى بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوة الضحك والبكاء وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اي تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اي الاحياء بعد الموت وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر انشا وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال وارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له صلى الله عليه وسلم به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا الاولى هم قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ ثمود بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى ما يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التفظيع والتهويل ما لا غاية وراءه فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدد تعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة في الاصل لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوا اي دعوا وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المتعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم ومن عظاته وعبر

للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القران والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القران الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفيه تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من دون الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اي القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغنا على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال

رمى الحدثان نسوة ال سعد • بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على نفي البكا والسمود معا على الوجوه الاول قيد للمنفي والانكار متوجه الى نفي البكا ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفا في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القران بالانكار والاستهزا ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم • اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطا عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظايره وقرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى مستمر الاطراد او الاستحكام اي وان يروا اية من ايات الله تعالى يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دايم ياتي به محمد صلى الله عليه وسلم على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كساير انواع السحر او قوي محكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وفيه لا يتسبب بعلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سياتي لرده وقرئ وان يروا على البنا للمفعول من الاراة وكذبوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الاية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به اماناتهم الفارغة من عدم استقرار امره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه وكل امر من الامور مستقر اي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة

الى

الى التصريح به • وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي قربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي القران وقوله تعالى من الانباء اي انبا القرون الخالية او انبا الاخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم كاينا من الانبا ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتا الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي للاغنا او انكار له والفا لترتيب عدم الاغنا او استمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما منصوبة اي فاي غنا تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم يوم يدعو الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعا فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط اليا للاكتفا بالكسرة تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتدا والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشا من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الاحوال كانه قيل فما يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانبا الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى اخره وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن اخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد ما يئس من ايمانهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير قضا لحق المقام فالتقى الماء اي ماء السما وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقا الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كاينا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمراينا

اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها لان كل نبي نعمة من الله
تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره لما في
الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على
خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر
معتبر بتلك الآية الحقيقية بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد
يسرنا القرآن الى آخره جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية
في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم
وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعد والوعيد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي
للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة
نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له
عليه السلام روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي
ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد
بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا فكيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت
في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته
وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
وتركتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان
الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا او جثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في
قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس
فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني
على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر
اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل
لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا أبشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا
اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه
على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء
وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي
ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل قيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في
ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول أألقي الذكر
اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذاب
حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام
وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة
عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع أصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد
التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة

ومواصل معروضا لا خير فيه قيل المراد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى انا مرسلو الناقة فتنة لهم فانه استئناف سوق
لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر
ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب
العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فقتلها او التعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة
عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر
اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو
آخر الليل وقيل هما السدسان الاخيران منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا
الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا
اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة
فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة
الملائكة او هو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه
بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته
تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون
النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول
ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد
جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه
قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر لا يعجزه
شيء أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة ومكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى ان اصابهم
ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا
واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل
ألكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على
ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت
والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم
اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء
لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك
والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس
او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وجل

بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلايعه والساعة ادهى وامر
اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع
اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والاخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في
ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الاخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الى اخره منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في
ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال
لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته
والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين
اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى
كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة
الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر متعظ بذلك
وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال
مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى اخره مما يستدعي
بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترغيب والترهيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين
من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل
وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين
عند مليك مقتدر لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر والله اعلم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر
لتذكر الناس واتعاظهم ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام من
فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بموجب شكرها وبدأ
بتعليم القرآن فقيل بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها
مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد ترنو اليه
احداق الامم الا وهو منشأه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى
اسم الرحمن للايذان بانه من اثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره
ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على
ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان
من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار
مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان
بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات
ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق
يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران للرحمن

جردا

جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره
تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء
الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما
ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد
لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل
اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على
الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما يستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم
به امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان
القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به
مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما يتعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم
ان لا تطغوا في الميزان على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان
الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر اولا
بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ
الميزان تشديدا للتوصية وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا
في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي الخلق قيل المراد به
كل ذي روح وقيل كل ما ظهر على الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الى اخره استئناف
مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر
وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب
كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه
مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب وهو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف
هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع
بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان
هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان فعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف
او فيعال من روح قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان مما له روح قاله القرطبي فباي الاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار
والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الالاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم
بالالاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه النعم الدينية او باصلهم
باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تعالى في العبادة من دواعي
اشراكهم له تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الالاء المذكورة على وجوب الايمان
والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الالاء تكذبان

معرضين بكما بتلك الآلاء مع ان كلا منهما ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل المضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان وافاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على الخبرية مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء وقوله تعالى مرج الى آخره وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اي لا يتجاوزان احدهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر الموجود وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره ونسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وحذف الياء كقول من قال

لها ثنايا اربع حسان * واربع فكلها ثمان

المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر جمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك وايا ما كان ففي وصفه تعالى بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باشياء حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع

آخرين

آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سيفرغ اليكم ايه الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة والتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار السموات والارض فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ لهب هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف ونعمة واي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولئن بقيت لارحلن بغزوة * تحوي الغنائم او يموت كريم

كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب لو محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شأنها فيومئذ اي يوم تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة افراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنب انس ولا جن فباي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعهما فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله تعالى على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ويقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم

الملائكة تارة بالنواصي وتارة بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن حكاية سؤال نشا من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل الى آخره او حال من اصحاب النواصي والاقدام كان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من جذوع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان وليس فيهما شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع وقرئ جنى بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حيث يعد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات

الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصيصها بالاضافة فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات او حال منهن كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه وبالمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفا على الاخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما يدلى على الاسرة من عالي الثياب وقيل هو من رف الطائر اذا بسط جناحيه وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل الاطراف البسط وفضول الفسطاط ورفارف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر اسم البلد فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة عليهم اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال ۝ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ۝ ذي الجلال والاكرام وصف به الرب تعالى تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم ۝ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله سبحانه وتعالى عليه ۝

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن وقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها او في حقها كذب اصلا بل

كونها وتردد في شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقيا الى الدركات ورفع السعدا الى الدرجات ومن زلزلة الاشيا وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السما كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اذا زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بنا وجبل متعلق بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامم الحاضرة او للامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اي اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون مع صنف اخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما اصحاب الميمنة خبر على ان ما الاستفهامية مبتدأ خبر ثان ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شي هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعدا ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقيا مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وايا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمته والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا ما ظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل وانتظامها والذي يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وكذا قوله تعالى والسابقون فان المعنى المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة واخرها اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة

بين القسمين منبئة عن ترامي احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبرها على ما رواه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونه مبتدأ وكذا الحال في فما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم اولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن ادم الى نبينا عليهم الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبيا العظام وقليل من الاخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله صلى الله عليه وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا يمنع اكثرية تابعي هذه من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة كل من الفريقين في نفسهما لا ينافي اكثرية احدهما من الاخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والاخرين ههنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر اخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حال من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات يثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رضي الله عنه وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بانية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي انية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون ولا ينزفون كقوله يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الاخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشأن انهم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا

وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثنى وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فان القران لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين ما شاؤا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كانه قيل حال السابقين في ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين اكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقري فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى اخره كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفراش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا وابدعناهن من غير ولادة بداء واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتوهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقري عربا بسكون الراء مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشانا او بجعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف ختمت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة في اخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفاصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقري لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا تمحضت للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعدان واللام والهمزة لا تعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت واذا كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه

اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى اوآباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين من جملتهم انتم واباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلق بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملاوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعدما استقر لهم القرار واطمانت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فانه ما لا يحققه العمل الا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الاوجه كما ستحيط به خبرا افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها اانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رضي الله عنه اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى ما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الى اخره اما حال من فاعل قدرنا

أو علة للتقدير على معنى لئلا وما بينهما اعتراض **ولقد علمتم النشأة الأولى** أي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
أو فطرة آدم عليه السلام من التراب **فلولا تذكرون** فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها
أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي
وفي الخبر عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار
الغرور **أفرأيتم ما تحرثون** أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه **أأنتم تزرعونه** تنبتونه وتردونه نباتاً يرف
أم نحن الزارعون أي المنبتون لا أنتم والكلام في أم كما مر آنفاً **لو نشاء لجعلناه حطاماً** هشيماً متكسراً متفتتاً بعد
بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازته **فظلتم** بسبب ذلك **تفكهون** تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه
على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصي فتتحدثون
والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون أي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم
على الأصل **إنا لمغرمون** أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على
الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين أو تقولون إنا لمغرمون
بل نحن محرومون حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولا مجدودون **أفرأيتم الماء الذي**
تشربون عذباً فراتاً وتخصيصه بهذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به **أأنتم**
أنزلتموه من المزن أي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب **أم نحن المنزلون** له
بقدرتنا **لو نشاء جعلناه أجاجاً** ملحاً زعاقاً لا يمكن شربه وحذف اللام منها هنا مع إثباتها في الشرطية الأولى
للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان متناسقتان
مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة
للشكر فقوله تعالى **فلولا تشكرون** تحضيض على شكر الكل **أفرأيتم النار التي تورون** أي تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد **أأنتم أنشأتم شجرتها** التي منها الزناد وهي المرخ والعفار **أم نحن المنشئون** لها بقدرتنا والتعبير
عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة
الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما
أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر وكذلك قوله تعالى **نحن جعلناها تذكرة**
استئناف مبين لمنافعها أي جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا
ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجاً لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدونها بنو آدم
جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشيء الرطب **ومتاعاً**
ومنفعة **للمقوين** الذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين أو النازلين بقرب
منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت مزاودهم وبطونهم من الطعام وهو بعيد
لعدم اختصاصها بهم وتبديلهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي
كالفاء في قوله تعالى **فسبح باسم ربك العظيم** لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه
الموجبة للتسبيح تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها
أو تعجباً من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أي فأحدث
التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب **فلا أقسم** أي فأقسم ولا
مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ
فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم
فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم به **بمواقع النجوم** أي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في

غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى
وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال
حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى **وإنه لقسم لو تعلمون**
عظيم اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه
لقسم بين المقسم وجوابه الذي هو قوله تعالى **إنه لقرآن كريم** أي كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة
في صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف والصفة وجواب
لو إما متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه **في كتاب مكنون** أي مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح **لا يمسه إلا المطهرون** إما صفة أخرى لكتاب
فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد هم المطهرون
من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله
صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه وقيل
لا يطلبه إلا المطهرون وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون
أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم **تنزيل من رب العالمين** صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به
حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلاً **أفبهذا الحديث** الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو
القرآن الكريم **أنتم مدهنون** أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به **وتجعلون**
رزقكم أي شكر رزقكم **أنكم تكذبون** أي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون
أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى
من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء والأول هو الأوفق لسياق النظم الكريم وسباقه
فإن قوله تعالى **فلولا إذا بلغت الحلقوم** إلخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما ينطق به قوله تعالى
نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم
ومن حيث شرابهم وسائر أسباب معايشهم كما يقف عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أي فهلا
إذا بلغت النفس أي الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت إلى الخروج **وأنتم حينئذ** أي الحاضرون حول
صاحبها **تنظرون** إلى ما هو فيه من الغمرات **ونحن أقرب إليه** علماً وقدرة وتصرفاً **منكم** حيث لا تعرفون
من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على
دفع أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت **ولكن لا تبصرون**
لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى **فلولا إن كنتم غير مدينين** أي غير مربوبين من دان السلطان
رعيته إذا ساسهم واستعبدهم نظراً إلى قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض يستدعي عدم
المحضض عليه حتماً وقوله تعالى **ترجعونها** أي النفس إلى مقرها هو العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية
مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا
إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم **إن كنتم صادقين** في اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته
تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى لموجب مذهبهم وقوله تعالى **فأما إن كان من المقربين**
إلى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان الذي بين حاله من السابقين
من الأزواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم **فروح** أي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها
سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة **وريحان** ورزق **وجنة نعيم** أي ذات تنعم **وأما إن كان من أصحاب**
اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكرهم فيما سبق بوصف آخر ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر الفريقين الآخرين

وقوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية
لإنشاء السلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف وأما إن كان
من المكذبين الضالين وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك وإشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل أي فله نزل كائن
من حميم يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة
لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها إن هذا أي الذي ذكر في السورة الكريمة
لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك
العظيم لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقيته ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما
يوجب التنزيه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا ● سورة الحديد مدنية وهي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ● سبح لله ما في السموات والأرض
التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد
فيهما وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضا فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا
فيهما أو جزءا منهما كما مر في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح
الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه
وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله
تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه فاللام إما مزيدة للتأكيد
كما في نصحت له وشكرت له أو للتعليل أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح
ماضيا وفي البعض مضارعا للإيذان بتحققه في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذي لا ينازعه ولا يمانعه شيء الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك
السموات والأرض أي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر
التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض أحكام الملك وجعله حالا
من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة
قدير مبالغ في القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها والآخر الباقي
بعد فنائها حقيقة أو نظرا إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر
عن مبقيها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو
الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في
جميع الأوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والباطن والخفي هو
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش مثال لبعض أحكام ملكهما وقد
مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه
في سورة سبأ وهو معكم أينما كنتم تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا
وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن إحاطته بأعمالهم وتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور

عليه

عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والأرض تكرير للتأكيد
وتمهيد لقوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور أي إليه وحده لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء
للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
مر تفسيره مرارا وهو عليم بذات الصدور أي مبالغ في العلم بذات الصدور أي بمكنوناتها اللازمة لها وبيان
لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه أي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم
من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الإنفاق فإن من علم أنها لله عز وجل وإنما هو بمنزلة
الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء عمن كان قبلكم فيما كان
بأيديهم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به
فالذين آمنوا منكم وأنفقوا حسبما أمروا به لهم بسبب ذلك أجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى
حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق وكرر الإسناد وفخم الأجر بالتنكير ووصفه بالكبير
وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسبما أمروا به بإنكار
أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
أي أي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب
والمسبب جميعا كما في قوله تعالى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما
نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فإن كلا من عدم
الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفي سببه وقد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسري إلى المسبب
أيضا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فإن أمر
العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفي سببه فانتفى نفسه أيضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع
عدم ما يوجبه أي وأي عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد أخذ ميثاقكم
حال من مفعول يدعوكم وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالإيمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من
النظر وقرئ وقد أخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا موجب لا موجب
وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات ليخرجكم أي الله
تعالى أو العبد بها من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرؤوف رحيم
حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى
وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الإنفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار
أن يكون لهم في ذلك أيضا عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق
فيه لتشديد التوبيخ أي وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وإنما
أنتم خلفاؤه في صرفه إلى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والأرض حال
من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الإنفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الإنفاق
أشد في القبح وأدخل في الإنكار فإن بيان بقاء جميع ما في السموات والأرض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى
من أصحابها أحد أقوى في إيجاب الإنفاق عليهم من بيان أنها لله في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل
وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى وإظهار الاسم الجليل في
موقع الإضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل

بيان لتفاوت درجات المنافقين للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات
وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير
من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر
الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل
ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا
ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الناس والقتال وكلا اي وكل واحد
من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وكل بالرفع على الابتداء اي وكل
وعده الله تعالى الى اخره والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية
في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من امن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف
منه على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق
بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء
ان يعوضه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب
على جواب الاستفهام واعتبار المعنى كانه قيل ايقرضه الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا
وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون
وان لم يضاعف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه
وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله
تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى
اي نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى بايمانهم
وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله يطفى
تارة ويلمع اخرى يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر
بقول هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه
وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب
تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي
بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم من جهة المؤمنين او
من جهة الملائكة قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور
بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسرين فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور
وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين
بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة
وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف

مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم
لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام
حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور
بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار
لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول
القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب
والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من وقت نزول القران اي الم يجئ
وقت ان تخشع قلوبهم لذكر الله تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه
من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ لما يان وفيه دلالة
على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين
فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير
وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم
واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال
اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة
او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع
والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات التي من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا
بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ
كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا رسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف
على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء
الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المتصدقين
بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المتصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان
الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن المصدقين على ان المدار التخصيص مزيد استحقاقهن
لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يا النساء تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول
محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا الله والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن
طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار
والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعفه الله

تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين امنوا بالله ورسله كافة
وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدا وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا وهو مبتدا ثان وقوله تعالى هم مبتدا ثالث خبره الصديقون
والشهداء وهو مع خبره خبر للاول وهم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة
الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى
وهم المبالغون في الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية
ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت
الكمال على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية
والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية
الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل
هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين تمام ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين
بل بين تمام ما للاول من الاصل والاوصاف وبين ما للاخيرين بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل
واحد والمعنى لهم الاجر والثواب والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل
الشهداء مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الى اخره والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الاخرة
شرح حال الحياة الدنيا التي اطمانت بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء
فضلا عن الاطمينان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار
اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رايته
ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته
كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف
وقيل الضمير على الحالية من الضمير في تلعب وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير مضاف اي مثل
الحياة الدنيا كمثل الى اخره وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة
شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر
العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا ومغفرة
عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمان بها
ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن الاخرة فاذا دعتك الى طلب
رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار
الى مغفرة عظيمة كاينة من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة
لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان
وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا
من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي
لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع والثمار ولا في انفسكم كمرض
وافة الا في كتاب الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبراها اي نخلق الانفس او المصائب

والارض

والارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اي اخبرنا بذلك
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر
يفوت ما قدر فواته وياتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو ات وقرئ بما اتاكم
من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح
بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح
المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا ويامر غيره او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني
لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي الحجج والمعجزات وانزلنا
معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام
نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل انه يراد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان
والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله
تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه باس
شديد لان الات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد التها
والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه
ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال
السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله
من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل
ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا
للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في اعلاء دينه واظهار كلمته الى نصرتهم
بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته في كل ما يريده ولقد
ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الى اخره وتكرير القسم لاظهار
مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم
بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرته ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي ثم
ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام
والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية
واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رافة وقرئ رافة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في
شان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر

اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها دما لا العطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم اي ووفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة
بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من
خشي وقرئ بضم الرا كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة
ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا
ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى
ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل
وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثنا منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغا
رضوان الله فذمهم جميعا بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه
لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثنا متصل من اعم العلل
اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشي من الاشيا الا ليبتغوا رضوان الله ويستحقوا بها الثواب
ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعوها كلهم بل بعضهم فاتينا الذين امنوا
منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها
بعد البعثة لغو محض وهو من كاد لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك
بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به
مما لا يساعده المقام يا ايها الذين امنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي الخلافة ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بل على
انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة
والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ
التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا
مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في اليا ان في قوله تعالى الا يقدرون
على شي من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على
انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون
من نيله من حيث لم ياتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على
ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان
لغير اهل الكتاب والمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من امن من
اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في
الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم
مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة يا لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون اليا وفتح
اللام كاسم المراة وبكسرها مع سكون اليا وقرئ ان لا يقدروا على ان ان هي الناصبة وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

على شي من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية
عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل بيد الله الى اخره عطفا على ان لا يعلم ◦ عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله والصديقين ◦

بسم الله الرحمن الرحيم ◦ قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها
في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ
تحاورك وتجادلك اي تسايلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله
اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها
اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال ثم قال لها ما اظنك الا حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية
ما اراك الا قد حرمت عليه في المراركلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلما قال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وكلمة قد اشعار
بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح
به ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها عندما استفتته ما عندي في امرك شي فانها كانت ترفع راسها
الى السما وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد
علمه تعالى بقولها كما هو المعني بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع
للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين
والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى
ومدافعته صلى الله عليه وسلم اياها بجواب منبئ على التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي
الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي
مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي
من جملتها رفع راسها الى السما وساير اثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل
الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم
شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستيناف والظهار
ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في سورة الاحزاب والحق به الفقها
تحريم جز منها وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة
دون ساير الامم وقرئ يظاهرون من ظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم
خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وباما تهم
ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من
المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شي من
الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول
عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى
انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة
فيغفر لما سلف منه على الاطلاق وبالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون

لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي
والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى
ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى يتعاقبان كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان
ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحى الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه اي فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة
كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفا للسببية ومن فوايدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير
بتكرر الظهار وقيل لما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر
في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود والاستمتاع فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة
وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه
ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون
به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا
الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم
عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير
اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد
اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطا
فمن لم يستطع اي الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر
او صاع من شعير ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من
البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد لتعظيمه ومحله اما الرفع على الابتدا
او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع وحاصل لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرايعه التي شرعها
لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها
كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ
على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما
فان كلا من المتعاديين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان
لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي
اخزوا وقيل اخذوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى
كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم
الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم
والحال انا انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل
على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به
فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق
به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد
غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في
تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم
وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشا مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها
كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى

ونسوه

ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور او قيل لم انباهم بذلك فقيل احصاه الله
ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير
والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الى آخره استئناف مقرر لما قبله
من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي
اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير
مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم
وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس
اين ما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت بقرب الامكنة قربا
وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبيهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله
بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا
عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع
للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وذكره
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه صلى الله عليه وسلم لزيادة تشنيعهم واستعظام جنايتهم
وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون
السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير
اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وقرئ فلا تناجوا بحذف احدى التاءين وتناجوا بالبر والتقوى
اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون
وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي
التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين
آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان
او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فان الله تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا
اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى
في المجلس متعلق بقيل وقرئ في المجالس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا
يتضامون تنافسا في القرب منه صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس

القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة
وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضاموا فيه فافسحوا
يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل
انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا
فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثر العلم والعمل
فان العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح
ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يتمثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا
اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف
في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا
وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته صلى الله
عليه وسلم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ
روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا
يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ على الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة
بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم
التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر جمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله
عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام
مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة اي اذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله
خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي ألم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم اي اليهود
كما انبأ عنه قوله تعالى لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة
مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في
حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون
حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب
يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته
فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن ابي المنافق وكان ازرق فقال له صلى الله
عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه
فحلفوا بالله تعالى ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء
ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم
الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية دون

دون دمائهم واموالهم والاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي
عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها
بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة
وعن سببها ايضا كما تعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من
لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم
وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى
شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة باموالنا وانفسنا واولادنا اولئك الموصوفون
بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها
ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ
على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء
من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويجرون
بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية ما وراءها غاية حيث تجاسروا على الكذب
بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم
الشيطان اي استولى عليهم من حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق
اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب
الشيطان عبر عنهم بالموصول للتشنيع بما في حيز الصلة على انه يزاده من حاد الله ورسوله محاده لهما والاشعار
بعلة الحكم الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك بما فعلوا
من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين
على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد
وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل
لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراهما او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه
عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد
فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين على الايمان بالله واليوم الآخر وبين
موادة اعداء الله تعالى ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمنع
ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما
قبله باعتبار لفظها آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر
الجميع بالمرة والكلام حجة على المفصل كما مر في التفصيل من ان اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب
الناس اليهم واشدهم لحمة وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب الله في قلوبهم
الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان الجزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا
ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن
او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الى آخره بيان
لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابد الآبدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة

وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم
به عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد
كما مر في مثلها والله اعلم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وتذكير الموصول هاهنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال
كل من الفريقين بالتسبيح * روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون
عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا
ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم فامر صلى الله
عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا
من المدينة فاستمهلوه صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم
لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى
عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل
بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله
ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة
على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من
المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم
من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك وعليه قول من قال
[illegible] * كانه في الجلد توليع البهق
رؤبة بن العجاج
كما هو المشهور وكانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ وفيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة
وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام او لحشرهم اولا او لحشرهم في اخر حشرهم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء
قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياهم
من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا
من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا
ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال
وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم
ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور
لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل
شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ
فآتاهم العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون
بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين

وليتقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا
لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير
للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا
يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة
ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل
توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موضعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج
من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة
عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة
لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم اي بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا
ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على مشاقته
تعالى لتضمنها لمشاقته صلى الله عليه وسلم وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس
الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني
كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله
كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة
وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على
لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان يتعرضوا لها بشيء وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او
على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذلك قطعها او تركها بامر الله تعالى
وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في تركها وقطعها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم
كيف احبوا ويتصرفون فيها حيث ما شاؤا من الترك والقطع يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل
به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان
كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى
وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل
والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا
بان يكون له صلى الله عليه وسلم وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس
لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما
اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب اي ما يركب
من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانه يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها
وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم بها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك
لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيها راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها
صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا
خاصا وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب
ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء تارة على الوجوه المعهودة

والاخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته
عليه الصلاة والسلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع
اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاب لهم ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل السدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله تعالى الى عمارة
الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس كالغنيمة فانه صلى الله عليه
وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه
ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما يدول للانسان اي يدور من الغنى والجد
والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك وبالضم من الملك بالكسر او بالضم في المال وبالفتح في النصرة
اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون اي كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم
كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة لما يغترف فالمعنى
كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول
فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة
بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء
او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه
فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته صلى الله عليه وسلم ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف
امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى
فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقراء بفيء بني النضير فتعسف ظاهر
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل
فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الاخرة
وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم
ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة
فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات
الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤوا الدار
والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص
الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل
الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا
وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض
عنه اللام وقيل سمي المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني
الاول من قبل تبوء المهاجرين على الاخير وقيل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن
اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين
لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر
اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم
حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم

في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة
اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك
بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في
هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم
من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوؤوا الدار
الى آخره مستانف غير معطوف على الفقراء او المهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار
للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير
تبوؤوا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللوم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها
مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن
كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤوا من بعدهم
هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الى آخره جملة
مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان
ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي
هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في
قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤوف رحيم اي مبالغ في الرافة
والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال
الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الى آخره استئناف
لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوانهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام
في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا اي موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي
والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شانكم احدا
يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان ولا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال
مترتب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه
كما ينطق عليه قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاونتكم على عدوكم على ان دعوتهم على خذلانهم
مما لا يمكن صدوره من رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت
لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا خروجهم
معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم
المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الى آخره تكذيب لهم في كل واحد
من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر
كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن

ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله
ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة
اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد
مما يظهرونه لكم من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله فيخشوه
حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالهم جميعا اي مجتمعين متفقين
في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يظهروا لكم
ويبارزونكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار
باسهم بينهم شديد استيناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم
بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا
مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا
حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحد فيقعون في تيه الضلال
وتشتت قلوبهم حسبما تشتت وتفرق قواهم وانما قيل ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن
قواهم وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود
والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه
بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الى اخره ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والاخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم
بل كحال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه
خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال الاخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخذلانهم ثانيا
وقد حمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه خصوصية
ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم
ومثل المنافقين في اغوائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه
على الكفر اغراء الامر للمامور على المامور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء منك ان اريد بالانسان
الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين
وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه
قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الاية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها
انهما في النار وقرئ بالعكس والاول اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ثان وفي النار لغو
وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم
القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه لغد لا يعرف كنهه
لغايته واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة
في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم
كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله
اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم
بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يخلصوها عما يضرها او اراهم
يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي

اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا
الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستوا
من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستوا بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره
بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى
والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في
الاية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستوا
في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى
اصحاب الجنة هم الفايزون فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستوا بين الفريقين اي هم الفايزون بكل مطلوب
الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القران العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال
لرايته مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها
وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القران وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به
قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه
عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم
به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتنا
بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف
الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على
ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله
عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى
في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت وقيل
المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على
المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو
العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

في الشعار المكية والمنتسب (?) ... بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام
بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا

امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسماء دون الفعل او استئناف وقد
كفروا بما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا
لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سبب الكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل
كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج
وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم بالمودة او الاخبار
بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار
وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم
ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب
ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم
وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوكم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم
الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيامة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم
استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد اي يومئذ يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم
من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه
وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله
بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها
وقوله تعالى في ابراهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من
المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم فلا نعتد بشأنكم ولا بآلهتكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك
فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى
استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا
لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم لنطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الايتساء
به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه
عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما
عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وقد قيل تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه الكافر
مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي لاستغفاره عليه السلام لموالاته عن كونه مؤتسى به لم يرتب عليه وكلاهما
بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام
لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره
عليه السلام بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله عن موعدة وعدها اياه مما لا مساغ له ويوجبه الاستثناء

الى

الى العدة بالاستغفار الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي لا بانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص هذه العدة
بالذكر دون ما وقع في سورة مريم لقوله تعالى سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوبة وقوله تعالى وما
املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل ربي لورودها على طريق
التوجيه وقوله تعالى لاستغفرن لك مورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال
الخير لكونه اظهار للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير الى آخره من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم
الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى قالوه بعد المهاجرة وقصر التجائهم الى الله تعالى
في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ربنا ما فرط منا من الذنوب انك
انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار وهذا ما جعل الآتي تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى
وامر لهم بان يتوكلوا وينيبوا اليه ويستعيذوا من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن
معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء
بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم
المشركين مودة بان يوفقهم للدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد
في معاداة آبائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم
حين اباح لهم فتح مكة فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة
فيقدر على تقليب القلوب وتيسير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين
ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم
بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تقضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين
اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا
فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها
وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم اهل مكة وظاهروا على
اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم
فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في
الايمان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت
من زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن
لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله

ويبلغه طاقتكم بعد الابتلا والتحري من الاستدلال بالعلايم والدلايل والاستشهادات بالامارات والمخايل وهو
الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجري العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار
اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم
والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان حال النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا
ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جا منكم رددناه فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر
المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت علينا ان ترد علينا من اتاك
منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النسا فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلفت فاعطي زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام
حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتا المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي
ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب
اي لا يكون بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امراة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة
تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقري ولا تمسكوا
بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا واسالوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله تقول تما
يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على
المبالغة والله عليم حكيم شروع في التقنينه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى
المومنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركات وابى المشركون ان يودوا شيا من مهور
الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم
الى الكفار اي احد من ازواجكم وقري كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من
مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
من اداء هولا مهور نسا اوليك تارة واداء اوليك مهور نسا هولا اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه
زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة
وقري فاعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وبفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نسا
المومنين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى
وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مومنون فان الايمان يقتضي
التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة
نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النسا على ان لا يشركن بالله شيا
اي شيا من الاشيا او شيا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به واد البنات
وقري ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط
المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني به عن البهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله
فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما تامرهن به من معروف وتنهاهن
عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر به للتنبيه على انه لا يجوز

طاعة

طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالمنكر تخصيصهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن
فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين
وشعاير الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر بمجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن
اليها واستغفر لهن الله زيادة لما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمن الثواب من قبله صلى الله عليه وسلم في مقابلة
الوفا بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة سيغفر لهن ويرحمهن اذا
وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته صلى الله عليه وسلم لهن يومئذ فروي انه صلى الله عليه
وسلم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه اسفل منه فجعل صلى الله عليه وسلم يشترط
عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه
يده ثم غمسن ايديهن وروي انه صلى الله عليه وسلم بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر
ما قالت عايشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسا قط الا بما امر الله تعالى
وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن
كلاما وكان المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا
جاءك المومنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هو عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقرا المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم
فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المويد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين
ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاهم بعذابها الاليم والمراد
وصفهم بكمال الياس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احيا والاظهار في موضع
الاضمار للاشعار بعلة ياسهم والله سبحانه وتعالى اعلم بحالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا
سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعاء يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم الكلام فيه كالكلام الذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وانما قيل في المنازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم
على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التام ترتيب الايات الكريمة
بين على ترتيبها للنزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل
وطعنت ولم يطعن ونحو ذلك وقيل كان رجل اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر
فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداوهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم ولم مركبة
من اللام الجارة وما الاستفهامية وقد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها كما في عم وبم ونظايرهما ومعناه لاي
شي تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجه الى قولهم
تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه

معروفا ولو قيل لم تفعلون ما تقولون لفهم منه ان ترك الموعود كبر مقتا ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان
تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على
ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا يشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة
عن الوعد بالقتال لا عما يقوله المتبجح والمتحمل وادعاه المنافق فان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم
لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بالفتح ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على
الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن
في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله
تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى
لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا امره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الى قوله فاذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون واصروا على ذلك واذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي
بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الاذية
ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا
بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات الباهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم
لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا
اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق
والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين
على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون
خاصة والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون
في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق نظرا الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية
من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه
فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله عز وجل جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله
وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها
واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله تعالى
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي
الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام
مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه
صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني
من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة
قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ

هذا

هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام
الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق
هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي
يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام
مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون
الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله
متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون رغما
لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث
جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ
وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله
وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف
وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر
جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا
وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى
البعد لما مر تفسيره غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل
العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر
المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تمتثلون
ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة
بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى تحبونها اي ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة
اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة
باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر
مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر عطف على محذوف مثل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على
تؤمنون فانه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم ايها الرسول بما وعدتهم عليه
ذلك عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا
بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله
اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى
اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار
المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما
قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة
من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم
فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين

تعالى* روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه* والله تعالى اعلم*

بسم الله الرحمن الرحيم* يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين رسولا اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة على حدة ولا يبعد فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته صلى الله عليه وسلم وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم البالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال —
ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الى آخره على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين التكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه

حتى تمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي دار الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبارا بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى فنون العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منه موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال صلى الله عليه وسلم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم ملاقيكم من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الفصل معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى واجعلوا يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين فذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة وذروا البيع فاتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح والامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون اي كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه الناس يستبقوا اليه فما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اما لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض باللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما

قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك انفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم
والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق فانه هو الرزاق . روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم . اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك
قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم
قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض
مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب
من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله
يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم
من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا
بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخاذ
الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فمنعوا
عنهم كما سيحكي عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه
على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى
فصدوا حينئذ واستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون
من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم انهم اسوأ الناس عملا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب
انهم امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من
شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان
ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وبروزتها منظرهم لصباحة وجوهم
وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ومن معه
يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء
للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستانف لا محل له
شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى
الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشباء كبدن جمع بدنة وقيل هو
جمع خشبا وهي الخشبة التي نخر جوفها او فسد شبه بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدر
ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل
كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون
في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة

وجعلها

وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم ترتيب للامر
بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين
ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر
والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم اي عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف
الاستفهام ثقة بدلالة ام وقرئ استغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم
تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاستغفار والاعتذار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم
على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة
الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موضع الاضمار لبيان غلوهم
في الفسق اي الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم
او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته كان لم ينفضوا مزاودهم
ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله
صلى الله عليه وسلم ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله وتحت قدرته ولكن المنافقين لا يفقهون وكذلك يقولون
من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاها
ابن سعيد اجير عمر نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي فاقتتلا فصرخ جهجاه للمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها
رجال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الى الاخرة والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم
به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة بالقوة ولمن اعزه من رسوله
وللمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله
ابن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا فقال لئن لم تقر لله ولرسوله
بالعزة لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابنه جزاك الله عن رسول الله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما
في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الى اخره ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك
هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما
رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي
احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل
قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم
عطفا على محله وقرئ بالرفع على اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها
اذا جاء اجلها اي اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى اخره والله خبير بما تعملون
فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو ات وقرئ بالياء التحتانية

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين بري من النفاق والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو
المبدي لكل شيء وهو القايم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعا من جنابه وحمد
غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يديه وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سوا هو الذي
خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم
مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته
كان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من ساير النعم فما
فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه اغلب فيما بينهم والاكثر والفا في مقام
التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله ومنكم مؤمن مقدر ايمانه وموافق لما يدعوه اليه مما
لا يلايم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم
وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية
وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها
جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصايص مبدعاته وجعلكم انموذج
جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرايركم
باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال
الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به
مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم
بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي انه محيط بجميع المضمرات المستكنة في
صدور الناس بحيث لا يفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم
وتاكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها
من الاتقان والاختصاص ببعض الانحا الم ياتكم ايها الكفرة نبا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم
المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم
عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هايل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه
كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه
في الاخرة ذلك بانه بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة فقالوا عطف على
كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس
البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع
الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه
عن ايمانهم وطاعتهم والله غني عن العالمين حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا الزعم ادعا العلم يتعدى الى مفعولين ما سد مسدهما اي قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما هو
بلى اي يبعثون وقوله وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجازون باعمالكم جملة قسمية داخلة

تحت

تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة من اثبات البعث وبيان تحقيق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقيق
البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من الجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى
فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله
عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القران فانه بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة
لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فيجازيكم عليه والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ومعاقبكم
يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل
ما فيه من الجزاء والحساب ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعدا منازل الاشقيا
لو كانوا سعدا وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد شكرا وما
من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان
بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا
يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرئ بالنون ندخله ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه لانطوايه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان
لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصايب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها
بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع
وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به
ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البنا للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه
نفسه وقرئ يهدا قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشيا التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم
ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد وللايذان بالفرق بين
الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن طاعة الرسول وقوله تعالى فانما
على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك
بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه صلى الله عليه وسلم وللاشعار
بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته صلى الله عليه وسلم محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو
جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة
معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة
في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق
عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم
في امور الدنيا والدين فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين
او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو
واما من مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا
او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفايها وتمهيد عذرها فان الله
غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المسلمين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم

واولادهم وقالوا انطلقون وتضيعونا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في
الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون عشيرتكم
واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لن نصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على
ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم
من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي
في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا
اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه الكريم خيرا لانفسكم اي ايتوا خيرا
لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه
الاوامر وبيان لكون الاوامر المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا
لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل
امورهم ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب
والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن
دفع الله عنه موت الفجاة • والله سبحانه وتعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص الندا
به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه صلى الله عليه وسلم واظهار جلالة منصبه
وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه صلى الله عليه وسلم وتغليبه عليهم
لا لان نداه كندا جميعهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب الحقيق به لشمول الكل قطعا
والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اي
مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا
احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم
في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب
الاتقا لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن
لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج
في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما
الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء منهن قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون
على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج
ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد
حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشي منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار
بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضربها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه قوله تعالى

لاتدري

لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا
ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة
عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص
التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب
للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا له صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد
حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك
الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا
اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن قاربن آخر عدتهن فامسكوهن
فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان
يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند المراجعة والفرقة قطعا للتنازع
وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة واقيموا
الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة
او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره
وقوله تعالى ومن يتق الله الى آخره جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حقوق الله تعالى
بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له
بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها عن مسكنها واحتاط
في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق
ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه
ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله
فيندرج ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا مخلصا من غموم
الدنيا والآخرة وعنه فانى مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف
بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة
فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في
بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله
فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ
خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية او مبتدأ وقرئ بالغا امره على
انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب
التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه تعالى لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره
تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه
بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي
لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال
اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما
هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة

البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن اي في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من المعسر والموسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا ما اتاها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا واجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد ٥ فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى اي عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القران كما سيعرب عنه ابداله قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى لقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه منه رسولا للبيان او هو القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او تذكير على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم ايات الله مبينات نعت لرسولا وايات الله القران ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى بقوله تعالى قد بينا لكم الايات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات متعلقة بانزل او يتلو وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المومنين بعد انزاله ليحصل لهم الرسول ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من

علم

علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يومن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الايات البينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد الضمير قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله للمومنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة ما بين السما والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السما يتنزل الامر بينهن اي يجري قضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي وضح ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رائحة المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو ما عقد بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هاهنا والله مولاكم سيدكم ومتولي امركم

وهو العليم بما يصلحكم فشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمه
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي حديث تحريم ماريه او العسل او امر الخلافة فلما نبات به
اي اخبرت حفصه عايشه بالحديث وافشته اليها وقرئ انبات به واظهره الله عليه اي اطلع الله النبي صلي الله عليه
علي افشا حفصه عرف اي النبي صلي الله عليه وسلم حفصه بعضه بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة
روي انه صلي الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي فقالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص
الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث ماريه فلما نباها به اي اخبر النبي صلي الله
عليه وسلم حفصه بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا اي افشاها الحديث قال نباني العليم الخبير الذي لا يخفي
عليه خافيه ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشه علي الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء
للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالفة
رسول الله صلي الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد راغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدي
التاين وقرئ علي الاصل وبتشديد الظا وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوه من الافراط في الغيرة وافشا سره فان الله
هو مولاه وجبريل وصالح المومنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه
ومن صلح من المومنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وروي
ان ذلك مرفوعا الي النبي صلي الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسطه بين جبريل والملايكة
عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له صلى الله عليه وسلم
يؤيده بالتاييدات الالهيه وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهره ولان مظاهرتهما
له صلي الله عليه وسلم اشد تاثيرا في قلوبهما وتوجيها لامرهما فكان حقيقا بالتقدم بخلاف ما اذا اريد به
جنس الصالحين من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل لامرهما فكانا حقيقا بالتقديم وصالح المومنين
ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة علي من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امراتين علي من هو لا ظهراوه وما ينبي
عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضله نصرتهم علي نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى لهم ومظاهرتهم
افضل من ساير وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الي مظاهرة صالح المومنين خاصة
ويكون بيان لعلية مظاهرة الملايكة تداركا لما يوهمه الترتيب المذكور من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذلك
ذكر مظاهرة صالح المومنين وساير الملايكة بعد ذلك ظهير له صلي الله عليه وسلم ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم
بعد منزلتها وجبرا لفضلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسي ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه صلي الله
عليه وسلم بدلكن ازواجا خيرا منكن علي تعميم التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل علي انه صلي الله
عليه وسلم لم يطلق حفصة وان في النسا خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما
لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات علي الطاعة تايبات من الذنوب عابدات متعبدات اي متذللات
لامر الرسول صلي الله عليه وسلم سايحات صايمات سمي الصايم سايحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات
وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان يا خذوهم بما تواخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا
علي قوا فتكون انفسكم عبارة عن انفس الكل تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهليكم وانفسكم نارا وقودها
الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المومنين باتقا هذه النار المعدة للكافرين
كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملايكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا علي الافعال الشديدة

لا يعصون الله ما امرهم في امره علي انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به علي نزع الخافض اي لا يمتنعون من
قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يومرون اي ويودون ما يومرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك
عند ادخال الملايكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي
بعد ما امرتم عنها اشد النهي وامرتكم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين امنوا توبوا
الي الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك علي الاسناد المجازي وهو وصف التايبين
وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها علي طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها نادمين عليها
مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين علي انهم لا يعودون في قبيح علي القبايح موطنين انفسهم علي ذلك
بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشيا علي الماضي من الذنوب
الندامه وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم علي ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن
شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفوا
خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة
تنصح الناس اي تدعوهم الي مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها
وقرئ توبا نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا
ان توبوا النصح انفسكم علي انه مفعول له عسي ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ورود صيغة الاطماع للجري علي سنن الكبريا والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان
العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجا وان بالغ في اقامة وظايف العبادة يوم لا يخزي الله النبي
ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف علي النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق
واستحماد للمومنين علي انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعي بين ايديهم
وبايمانهم اي علي الصراط وهو علي الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الي اخره وعلي الثاني
خبر اخر للموصول اي يقولون اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك علي كل شي قدير
وقيل يدعون تقربا الي الله تعالى مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الي الجنه يمرون مثل البرق علي الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا
واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ
عليهم واستعمل الخشونة علي الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة وماواهم جهنم ترون فيها عذابا غليظا
وبيس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن
ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخري مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هولا الكفرة حالا ومثلا
علي ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرات نوح وامرات لوط اي حالهما مفعوله
الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هولا فقوله تعالى كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الي الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنين
من تحصيل خيري الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة
مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي صلي الله عليه وسلم اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية
لحال هولا الكفرة في خيانتهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان
والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الي اخره بيان لما ادي اليه خيانتهما اي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج

من الله اي من عذاب الله تعالى شيئا اي شيئا من الاغنا وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار
مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا وضرب الله مثلا
للذين امنوا امرات فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المومنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت
الدنيا تحت اعداء الله وهي في اعلا غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب
الله مثلا للمومنين حالها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلا درجات المقربين
وروي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه
الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران
عطف على امرات فرعون تسلية للارامل اي وضرب الله مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا
والاخرة والاصطفا على نسا العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها
اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة وبما اوحي
الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل
وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر
عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا اربع اسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم • وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد
على ساير الطعام • وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اعطاه الله توبة نصوحا •

بسم الله الرحمن الرحيم • تبارك الذي بيده الملك البركة والنما
والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الالبق
بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته
الى الله تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما ينسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض
منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة اضمار تلك الخيرات وازديادها شيئا
فشيئا وانا منها بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها على نهاية
التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه سبحانه وتعالى واسنادها الى
الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلا الكامل اي
تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي تقتضيه قدرته التصرف الكلي في كل الامور
وهو على كل شي قدير من الاشيا مبالغ في القدرة يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلايل الامور
ودقايقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة شروع في تفصيل بعض احكام الملك واثار القدرة وبيان
ابتنايها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول داخل معه في حكم
الشهادة بتعاليه تعالى والقدر والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد رايحته شي الا مات وخلق الحياة في
صورة فرس بلقا لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل التصويري وقيل هو عدم
الحياة فمعنى خلقه حينئذ قدره او ازالة الحياة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحياة ما قبله

وما بعده

وما بعده لما ادير بهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاءهما لملاحظتهما لاحسان العمل
مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام
متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم وعلى ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم
ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت صفات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل
الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا
ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع
صنع الله تعالى والتدبر في اياته المنصوبة في الانفس والافاق • وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر
في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان كل احد لا يقدر ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض
وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا
مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه
بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلا شامل لهم
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والقصد
الاصلي من الابتلا هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال
الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى المدارج
معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته
من اسا العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه
انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنا وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى
الذين يومنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه وتعالى ومع الموصول
الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الما ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت
النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر موكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم
والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استيناف
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت
اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الاخر وقرئ من تفوت
ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب حيث اخبر اولا بانه
لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور
الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين
في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت
ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا
بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصديره بالجملة

بالقسم لابراز كمال الاعتنا بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت اي كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في فهمه الابصار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين اي وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الاخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الزفير في الصدر والشهيق في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انها لغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا واين هو من شهيقهم الناشي من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر اخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي على كل فوج من الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبيا بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد من شيء من الاشيا فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها ان انتم الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذير وتغليبه على ارساله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبي عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه يلوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع المنذرين على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال العريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحدى الوجوه الثلاثة على التقدير الاول لم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على انه مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عن ضلالهم تسمية لهم باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين لو كنا نسمع شيئا بانهم لم يكونوا قبضين بسمع او نعقل كلاما ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين

لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد وناصبه الفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قوله وقال قتيبة قال الشاعر وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ۝ من المال الا مسحتا او مجلف ۝ اي لم تدع ولم تبق الا مسحت الى اخره وعن هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو في قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم حتى لا يعلم رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى ولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية له وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه ويجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشيا التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى ان لا يكون عالما من خلق لا يتأتى بدون العلم بما خلق حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ ان لا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين وروده فضل تمكن وقوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على جعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ارق عصابة وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والآية أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه وتعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان

ان يخسف بكم الارض بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها
ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار من ان يخسف فاذا هي
تمور اي تضطرب ذهابا ومجيا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمينان ام امنتم من في السما
اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه اخر اي بل امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا
اي حجارة من السما كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا
لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البته كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم
للمنذور به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار
مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف
كان نكير اي انكاري عليهم بانزال ... كانه على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم
فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم
يروا اعقلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا
بسطتها صففن قوادمهن صفا ويقبضن اجنحتها وبعضها اذا ضربن بهن جنوبهن حينا فحينا للاستظهار
به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في
الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شي بان براهن على اشكال وخصائص
وهياهن للجري في الهوى والجملة مستانفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شي بصير يعلم كيفية ابداع
المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم
بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن
او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بالمقام بما سياتي من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس الواقع المانع وتحققه وههنا
الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم
على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبية عن تعاجيب اثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر
والالتفات الى التشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهام منه وهي مبتدا
وهذا خبره والموصول مع صلته صفة كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واشار بهذا التحقير المشار
اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت
لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في
زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كاينا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كاين من
عذاب الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم الى اخره مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب لمثاله
وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي
ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوايب بحفظ الهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان الهتهم تحفظهم من
باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شي يعتمدون به في الجملة والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضا حالهم للاعراض عنهم وبيان قبايحهم لغيرهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم
في الكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي الله عز وجل
رزقه بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على
مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا لذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا
في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شرود عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى

الى اخره مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفا لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم
في مهاوي الغرور وركوبهم متن عتو العتو وعقد اهتدايهم في مسالك المحاجة الحجة بتوهم فيهما رشد في الجملة فان
تقدم الجملة عليها صورة انما هو لاقتضايها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان
مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الى اخره والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار
ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام والمعنى امن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر
طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قايما سالما من الخبط والعثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزا لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى
ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي
البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي
انشاكم انشا بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا ايات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها
والابصار لتنظروا بها الى الايات التكوينية الشاهدة بشوون الله عز وجل والافيدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه
وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها
فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا
تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وكثركم لا غيره واليه تحشرون
للجزا لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود
كما ينبي عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين حيث كانوا
مشاركين له صلى الله عليه وسلم في الوعد وتلاوة الايات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما
تخبرونه من مجي الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره
كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من
وظايف الانذار والفا في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم
الموعود فراوه فلما راوه الى اخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده لان المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله
بالفا وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول راوا اما بتقدير
المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة وظرف
اي راوه في مكان ذي زلفة سيت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكابة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون
اي تطلبون في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه يفتعلون من الدعا وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث
ولا حشر وقري تدعون هذا وروي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اي اخبروني ان اهلكني الله
اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك بما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين بالهلاك ومن معي
من المومنين او رحمنا بتاخير اجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون احدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم اي لا يجيركم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجا به
قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه
وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كاينا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البته
من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقري فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارايتم اخبروني ان اصبح ماوكم غورا
اي غايرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا يناله الدلي وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم بما معين جار او طاهر
سهل الماخذ والله سبحانه وتعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين
ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا للتحاشي كما سبق
في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط
التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موضعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر
لمبتدا محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وايا ما كان فان اريد به
قلم اللوح والكرام الكاتبين واستحقاقه للاعظام للاقسام به ظاهر فان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي
الناس كذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى انه الة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه
وقرئ بادغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه
كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على انها موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل
الى الالة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى
النفي كانه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض بوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم
والايذان بانه تعالى يتم نعمته ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا
ينسبونه صلى الله عليه وسلم اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه صلى الله عليه وسلم في غايات
الغايات القاصية ونهايات النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الراي وان لك بمقابلة مقاساتك
الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى
عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم
لا يدرك شانه احد من الخلق ولذلك يحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون فالجملتان معطوفتان
على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل
وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم وصيرورتك مهيبا عظيما
في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون
والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون افبفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله
من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد منهم وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى
المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق
بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين
بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه
ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم
على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل

للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون
اي فهم يدهنون حينئذ اي فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا
لو تدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سياتي من بيان حرصهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله
تحت التمني وايا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما
في جانبه صلى الله عليه وسلم فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها
فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وفي بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا فان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان
لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا
ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون
لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة
عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الراي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال
للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اي بخيل والمناع
للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف
غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك اي بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمة
الهنية من الجلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه
قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس منهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو
الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع
من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب
الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على
ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ ان كان على معنى الان كان
ذا مال كذب بها او اتطيعه ان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا
يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم اي على اكرم مواضعه
لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم
القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ
منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل
الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع
لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله
تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله
وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان
يشاء الله بمعنى واحد وقيل لا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم فالجملة مستانفة فطاف عليها
اي على الجنة طائف من ربك بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته وهم نائمون غافلون عما
جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول
وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل

الصريم الرماد **فتنادوا** اي نادى بعضهم بعضا **مصبحين** داخلين في الصباح **ان اغدوا** اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة **على حرثكم** بساتينكم وضيعتكم وتعديته بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء **ان كنتم صارمين** قاصدين للصرم **فانطلقوا وهم يتخافتون** اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش **ان لا يدخلنها** اي الجنة **اليوم عليكم مسكين** ان مفسرة للتخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا **وغدوا على حرد قادرين** اي على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحالة لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين على بدل كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة **فلما راوها قالوا** في بديهة رؤيتهم **انا لضالون** طريق جنتنا وما هي بها **بل نحن محرومون** قالوه بعدما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا **قال اوسطهم** اي رايا او سنا **الم اقل لكم لولا تسبحون** لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى **قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين** وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه **فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون** اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار الى ذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره **قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين** متجاوزين حدود الله **عسى ربنا ان يبدلنا** وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة **خيرا منها انا الى ربنا راغبون** راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل ابو قتادة عن اهل الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن رضي الله عنه قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري **كذلك العذاب** جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا **ولعذاب الآخرة اكبر** اعظم واشد **لو كانوا يعلمون** انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه **ان للمتقين** اي من الكفر والمعاصي **عند ربهم** اي في الآخرة او في جوار القدس **جنات النعيم** جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى **افنجعل المسلمين كالمجرمين** تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها وانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين

ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده **ما لكم كيف تحكمون** تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل **ام لكم كتاب** نازل من السماء **فيه تدرسون** اي تقرؤون **ان لكم فيه لما تخيرون** اي ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو لقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره **ام لكم ايمان علينا** اي عهود مؤكدة بالايمان **بالغة** متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين **الى يوم القيامة** متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين **ان لكم لما تحكمون** جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان اي ام اقسمنا لكم **سلهم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم **ايهم بذلك** الحكم الخارج عن العقول **زعيم** اي قائم يتصدى لتصحيحه **ام لهم شركاء** يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم **فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين** في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة **يوم يكشف عن ساق** اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ● وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف دخل في الكشف وناصب الظرف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف **ويدعون الى السجود** توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا على تفريطهم فيه **فلا يستطيعون** لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدونه فلا يتاتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة **خاشعة ابصارهم** حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها **ترهقهم** تلحقهم وتغشاهم **ذلة** شديدة **وقد كانوا يدعون الى السجود** في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف **وهم سالمون** متمكنون منه اقوى تمكن فلا يجيبون اليه ويأبونه ولما ترك ذكره ثقة بظهوره **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** اي كله اي فاني اكفيكه امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب والمطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى **سنستدرجهم** استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في تكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم في العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة **من حيث لا يعلمون** انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم **واملي لهم** وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم **ان كيدي متين** لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا

لكونه في صورة الكيد ام تسالهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مما ليه مثقلون
مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب
الحوت اي يونس عليه السلام اذ نادي في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير
نادي وعليها يدور النهي لاجل النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادي واذ منصوب بمضاف محذوف
اي لا يكن حالك كحاله وقت ندايه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلي ببلائه لولا
ان تداركه نعمة من ربه وقري رحمة وهي توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل بالضمير
وقري تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد
جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الاولي والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون المنهي
عنه امر محذور مستتبع للغاية وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحي وارسله الي مائة الف او يزيدون وقيل استنباه انه صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله
من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا على المنهزمين من المومنين وقيل هو حين اراد ان يدعوا على ثقيف وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقري ليزلقونك بفتح اليا من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان
هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك
ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دوا الاصابة
بالعين ان يقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القران على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك
وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره صلى الله عليه وسلم ونهاية
جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام
الطبايع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه صلى الله عليه
وسلم رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل
يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك
والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو
مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقايقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه
لذكر لك ولقومك وسوف تسالون وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا
للعالمين لا ريب فيه ومن فضايلها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب
الذين حسن اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة والحالة الثابتة الوقوع
الواجبة المجي لا محالة او التي يحق فيها الامور المحققة من الحساب والثواب والعقاب او التي يحق فيها الامور
تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من

اولي العلم وانما كان حذف الموصول للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها
على الابتدا خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره فيهما والجملة خبر المبتدا والاصل ما هي اي اي
شي هي في حالها وصفتها فان ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا لهولها هذا
اذا ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظايرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية
خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان
ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي اي شي اعلمك
ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دايرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى
هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم
فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتدا وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة
من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محله النصب على اسقاط الخافض لان ادري يتعدى الي المفعول الثاني
بالبا كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني
والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسما بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة
على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له صلى الله عليه
وسلم اثر تقرير انه ما ادراه رسول الله صلى الله عليه وسلم باحوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه
نار حامية ونظايره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنه وههنا ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها لذلك المبين ههنا
هو الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث تحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت
بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة وكذا
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة شديدة البرد تحرق ببردها عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى
سخرها عليهم الي اخره استيناف جي به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته
القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة
اذا تابعت بالكي او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز
ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله حالا اي يحسمهم حسوما ويؤيده
القراة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعا الي غروب الاربعا الاخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتا واسماوها
الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن فترى القوم
ان كنت حاضرا حينيذ فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز
نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقا
على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقري ومن قبله اي
ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قري ومن معه والموتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطا
او بالفعلة او الافعال ذات الخطا التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى
كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فاخذهم امر الله عز وجل اخذة رابية اي زايدة
في الشدة كما زادت قبايحهم في القبح من ربا المال اذا زاد انا لما طغى الما بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر

والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيامة **حملناكم** اي
في اصلاب ابائكم **في الجارية** في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الما الي انقضا
ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الي السفينة كما يعرب عنه كلمة في وانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو
حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الما وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه
علي ان مدار نجاتهم محض عظمته تعالي انما السفينة امر صوري **لنجعلها** اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن
انجا المومنين واغراق الكافرين **لكم تذكرة** عبرة ودلالة علي كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة
رحمته **وتعيها** اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشي في نفسك والايعا ان تحفظ في غير نفسك من وعي
وقري تعيها بسكون العين تشبيها له بكبد **اذن واعية** اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب ان تحفظه
بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة علي قلتها وان من هذا شانه مع
قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقري اذن بالتخفيف **فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة**
شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان اعظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد
الفعل الي المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقري نفخة واحدة بالنصب علي اسناد الفعل الي الجار والمجرور
والمراد النفخة الاولي التي عندها خراب العالم **وحملت الارض والجبال** اي قلعت ورفعت من اماكنهما
بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة **فدكتا دكة واحدة** اي فضربت الجملتان
اثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتي تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منثورا وقيل فبسطتا
بسطة واحدة وصارتا قاعا صفصفا لا تري فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير
اندك وناقة دكا ومنه الدكان **فيومئذ** فحينئذ **وقعت الواقعة** اي قامت القيامة **وانشقت السما**
لنزول الملائكة **فهي** في السما **يومئذ واهية** ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة **والملك** اي الخلق المعروف
بالملك **علي ارجائها** اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السما التي هي مساكنهم فيلجاون الي اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم علي الارجا او فوق الثمانية **يومئذ ثمانية** من الملائكة
عن النبي صلي الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالي باربعة اخرين فيكونوا
ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة العرش فوق روسهم وهم مطرقون مسبحون
وقيل بعضهم علي صورة الانسان وبعضهم علي صورة الاسد وبعضهم علي صورة الثور وبعضهم علي صورة
النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الي ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر
ابن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد علي عفوك بعد قدرتك واربع يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد علي حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالي ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق اخر
وقيل هو تمثيل لعظمته تعالي بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم علي الناس للقضا العام لكونها
اقصي ما يتصور من العظمة والجلال والا فشونه تعالي اجل من كل ما يحيط به نطاق العبارة والاشارة
يومئذ تعرضون اي تسالون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم
روي ان في القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر
الكتب فياخذ الفايز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما للزمان المتسع يقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل **لا تخفي منكم خافية**
حال من مفعول تعرضون اي تعرضون غير خاف عليه تعالي سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشا

الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ علي الناس كقوله تعالي يوم تبلي السرائر وقري يخفي بالياء التحتانية **فاما
من اوتي كتابه بيمينه** تفصيل لاحكام العرض **فيقول هاوم اقروا كتابيه** ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات ابرزها
ها يا رجل وها يا امراة وهاوما يا رجلان وهاوم يا رجال وهاون يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقروا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاوم لقيل اقروه اذ الاولي اضماره حيث امكن والها فيه وفي حسابيه
وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها في الامام **اني ظننت اني
ملاق حسابيه** اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من
الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا **فهو في عيشة راضية** ذات رضي علي النسبة بالصيغة
كلابن والدارع في النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوايب دايمة
مقرونة بالتعظيم **في جنة عالية** مرتفعة المكان لانها في السما والدرجات والابنية والاشجار **قطوفها**
جمع قطف وهو ما يجتني بسرعة والقطف بالفتح مصدر **دانية** يتناولها القاعد **كلوا واشربوا** باضمار القول
والجمع باعتبار المعني **هنيئا** اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا **بما اسلفتم** بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالي يا اوليائي طالما نظرت اليكم
في الدنيا وقد قلصت شفاهكم من الاشربة وغارت عيونكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا
الاية **واما من اوتي كتابه بشماله** لما يري ما فيه من قبايح الاعمال **فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه** لما شاهد من سو العاقبة **يا ليتها** يا ليت الموتة التي متها **كانت القاضية** اي القاطعة
لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القا فتمني لها الموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي يا ليت
هذه الحالة كانت التي قضت علي لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحياة الدنيا
كانت الموتة ولم اخلق حيا **ما اغني عني ماليه** ما لي من المال والاتباع علي ان ما نافية والمفعول محذوف
او استفهامية للانكار اي اي شي اغني عني ما كان لي من اليسار **هلك عني سلطانيه** اي ملكي وتسلطي علي الناس
او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي علي القوي والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات **خذوه** حكاية
لما يقوله الله تعالي يومئذ لخزنة النار **فغلوه** اي شدوه بالاغلال **ثم الجحيم صلوه** اي لا تصلوه الا الجحيم
وهي النار العظمي ليكون الجزا علي وفق المعصية حيث كان يتعظم علي الناس **ثم في سلسلة ذرعها** اي طولها
سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوه علي جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم
السلسلة كتقديم الدلالة علي الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية
وما بينهما وبين السلك والتسلسل في الشدة **انه كان لا يومن بالله العظيم** تعليل بطريق الاستيناف للتنبيه
ووصفه تعالي بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الي نفسه استحق اعظم العقوبات **ولا يحض
علي طعام المسكين** ولا يحث علي بذل طعامه او علي اطعامه فضلا علي ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه
علي ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة علي ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة
قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقايد الكفر واشنع الرذايل البخل وقسوة القلب **فليس له اليوم
هاهنا حميم** اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه **ولا طعام
الا من غسلين** اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل **لا ياكله الا الخاطئون** اصحاب الخطايا
من خطي الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقري
الخاطيون بابدال الهمزة يا وقري بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الي الباطل ويتعدون
حدود الله **فلا اقسم** اي فاقسم علي ان لا مزيدة للتاكيد وانها جملة علي معني نفي الاقسام لظهور الامر واستغنايه
عن التحقيق ويرده تعيين المقسم به بقوله تعالي **بما تبصرون وما لا تبصرون** كما مر في سورة الواقعة

العاملين

اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات • وقيل بالدنيا والاخرة • وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق
والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القران لقول رسول مبلغه عن الله تعالى فان الرسول
لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون
تارة قليلا ما تومنون ايمانا قليلا تومنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا يومنون ولا يتذكرون قيل ذكر الايمان
مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما ان عدم مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته
للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني
اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي
بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك
بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه • وقيل اليمين بمعنى القوة قال
بعضهم • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •
فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القران
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين
عند مشاهدتهم لثواب المومنين وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم
اي فسبح بذكره العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عنه وشكرا على ما اوحي اليك والله سبحانه اعلم • عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا • والله سبحانه وتعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه
وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما
او ائتنا بعذاب اليم • وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السما • وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما
بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول
محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من
ساعته • وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش
والمعنى ما مر او من السيلان • ويويده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على
تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الاخرة
فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة منه مختصة بالصفة او بالفعل او من الضمير في الكافرين
على تقدير كونه صفة لعذاب او استئناف ليس له دافع من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى
ذي المعارج ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي وهي عبارة عن السموات المرتبة بعضها
فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم
حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه اي عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى
وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى

انها

انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه
الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك • وقيل في يوم متعلق بواقع • وقيل سال على تقدير كونه من السيلان
فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات
والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المومن فلا لما روي ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخف على المومن
حتى انه يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السوال
كان عن استهزا وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره صلى الله عليه وسلم او كان عن تضجر واستبطا للنصر او سال
سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع
او يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة ولذلك يسالون به
ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان القرب والبعد معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة
تعليل للامر بالصبر يوم تكون السما كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل
عليه واقع او بمضمر موخر اي يوم تكون السما كالمهل الى اخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او
بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسوالهم
المعهود على طريقة قوله تعالى يسالونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود
بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر وابو جهل او الفهري والسوال بمعناه والبا بمعنى عن كما في قوله تعالى
فسئل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الى اخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسوول عنه لا محالة وقوله
تعالى يوم تكون الى اخره متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السما كالمهل وهو ما اذيب
على مهل من الفلزات • وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف
الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو شبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلا كل منهم بما يشغله عن ذلك
وقرئ على البنا للفاعل اي لا يطلب من حميم حميمه او لا يسال منه على حاله يبصرونهم اي يبصر الاحما الاحما
فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التسال الا اشتغالهم عنهم بحال انفسهم • وقيل ما يغني عنه من مشاهدة
الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرون والجملة
استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي
العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني • وقيل
هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير
يود افتداوه ببنيه الى اخره والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البنا للاضافة
الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي
فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق
ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتدا وثم لاستبعاد الانجا
يعني يتمنى لو كان هولاء جميعا تحت يده وبذلهم في فدا نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الوداد
وتصريح بامتناع انجا الافتدا وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او مبهم ترجم عنه الخبر الذي
قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال موكدة
والشوى الاطراف او جميع شواه وهي جلد الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل

من الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره **تدعو** اي تحضر وتحشر وقيل تدعو وتقول الي الي يا كافر يا منافق
وقيل تدعو الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل زبانيتها
من ادبر اي عن الحق **وتولى** اعرض عن الطاعة **وجمع فاوعى** اي جمع المال فجعله في وعا وكنزه ولم يؤد زكاته
وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتاميلا **ان الانسان خلق هلوعا** الهلع سرعة الجزع
عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير **اذا مسه الشر** اي الفقر او المرض ونحوهما
جزوعا مبالغا في الجزع مكثرا منه **واذا مسه الخير** اي السعة والصحة **منوعا** مبالغا في المنع والامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية
لمنوعا **الا المصلين** استثنا للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين على القبايح الماضية لاباية
نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزا والخوف من العقوبة وكسر
الشهوة وايثار الاجل على العاجل على خلاف القبايح المذكورة الناشية من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر
عليه **الذين هم على صلاتهم دايمون** لا يشغلهم عنها شاغل **والذين في اموالهم حق معلوم** اي نصيب
معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة
للسايل الذي يساله **والمحروم** اي الذي لا يساله فيظن انه غني فيحرم **والذين يصدقون بيوم الدين** اي باعمالهم
حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية حيث يستدل بذلك على تصديقهم
بيوم الجزا **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** خايفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا
لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
وقوله تعالى **ان عذاب ربهم غير مامون** اعتراض مؤذن بانه تعالى لا ينبغي لاحد ان يامن من عذابه تعالى وان
بالغ في الطاعة **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين** قد
سلف تفسيره في سورة المومنون **فمن ابتغى** اي طلب لنفسه **وراء ذلك** وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات **فاوليك
هم العادون** المتعدون لحدود الله تعالى **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** لا يخلون
بشي من حقوقهما **والذين هم بشهاداتهم قايمون** اي يقيمونها بالعدل احيا للحقوق الناس وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس **والذين هم على صلاتهم
يحافظون** اي يراعون شرايطها ويكملون فرايضها وسننها ومستحباتها وادابها وتكريرها ذكر الصلاة ووصفهم
بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال

• الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتايب في المزدحم •

ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد
له موصوف مستقل ولا يجعل شي منها تتمة للاخر **اوليك** اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره **في جنات** اي
مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى **مكرمون** خبر اخر وهو الخبر وفي جنات متعلق
به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي كاينين مكرمين في جنات **فمال الذين كفروا
قبلك مهطعين** مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك **عن اليمين وعن الشمال
عزين** اي فرقا شتى جمع عزة واصلها من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون
يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزون بكلامه صلى الله عليه وسلم
ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم **ايطمع كل امرئ منهم**

ان يدخل

ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان **كلا** ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ **انا خلقناهم مما يعلمون** قيل هو تعليل للردع
اي انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى • ازمعت من ال ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى ان تزارا •
وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوا منازل الكاملين فمن اين لهم ان
يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انهم مخلوقون من نطفة معناه
انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم
وقيل انهم مخلوقون من نطفة مذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم يستكملها بالايمان والطاعة ولم يتخلق
بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا
لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزا واستهزايهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما نزل عليه من الوحي وادعايهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما اخرين فان قدرته تعالى على
ما يعلمون من النشاة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفا الفصيحة في قوله تعالى
فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق
والمغارب **انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم** اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم
بخلق اخرين ليسوا على صفتهم **وما نحن بمسبوقين** بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم
البالغة اقتضت تاخير عقوبة هولاء **فذرهم** فخلهم وشانهم **يخوضوا** في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم
ويلعبوا في دنياهم **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة
الاولى كما توهم فان قوله تعالى **يوم يخرجون من الاجداث** بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البنا للمفعول
من الاخراج **سراعا** حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين **كانهم الى نصب** وهو كل ما نصب فعبد من دون الله
تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا **يوفضون** يسرعون **خاشعة ابصارهم**
وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره فيها **ترهقهم ذلة** تغشاهم ذلة شديدة
ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهايلة **اليوم الذي كانوا يوعدون** في الدنيا • روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة سال سايل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم • **انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك**
اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت
صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك
لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشا في الدلالة على المصدر
استويا في صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر
والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار • وقيل معناه المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي
بان ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل
من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفرا والجر عند الخليل والكسايي كما هو المعروف وقيل
وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول **من قبل ان ياتيهم عذاب اليم** عاجل او اجل لئلا يبقى لهم عذر اصلا
قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام
فقيل قال لهم **يا قوم اني لكم نذير مبين** منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى **ان اعبدوا الله واتقوه** •

والطيعوت متعلق بتذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام
يجب ما قبله ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم
على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح
في ان لهم اجلا اخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على
الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى
لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه
ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت
له حتما وحمله على الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال
اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القال
والقيل في تلك المدة الطويلة بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير
فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعا لسببيته لها كما في
قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم
في اذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا
ان تغشاهم ثيابهم او تغشاهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا
اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي
وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه
فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد ولتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم
على المصدر لانه احد نوعي الدعا او اريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر اي دعوتهم دعا جهارا اي مجاهرا
به او مصدر في موقع الحال او مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان
غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا انا كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا
بعدما علفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب لهم المنافع ولذلك وعدهم
بما اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم
القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم ان امنوا ان يرزقهم الله تعالى
الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة
او السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية
ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى على ان الرجا بمعنى الاعتقاد
ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه
الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي
فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم
غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال
انكم بحالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية
ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا اخر فان التقصير في توقير من
هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجا

بمعنى

بمعنى الاجل اي ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تاملون فيها
تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه
الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله وعظمته مع مشاهدتهم
لاثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس
في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله ولله بيان
للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير
صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة موجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم
لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لكم لا ترجون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال
وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر
فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل لما انه في السماء الدنيا انها محاطة لسائر
السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحد منها شفافة لا تحجب ما وراءها فترى الكل كانها سماء واحدة
ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل
ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الافاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج
ما يحتاجون الى ابصاره وليس للقمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا
اي انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما
مصدر موكد لانبتكم بحذف الزوائد وسمي مصدرا ولما ترتب عليه من فضله اي انبتكم فنبتم نباتا
ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية
الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم
فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله
جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسط لكم بين الجعل
ومفعوليه مع ان حقه التاخير كما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق
الى المؤخر فان النفس عند ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع يبقى مترقبة
له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق
الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال
من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية
مناجاته تعالى رب انهم عصوني اي تموا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة
والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين
ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الاخرة فصاروا اسوة لهم
في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال
والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد ومكروا مكرا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر
الاولى باعتبار لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير
وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم له على اذيته عليه السلام وقالوا لا تذرن

الهتكم اي لا تتركوا عبادتها الى الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تذرن عبادتها ولا خصوصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم و اعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عندهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح وقيل من اولاد ادم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اي الرؤسا كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة منه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم والمراد بالضلال الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها زائدة جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب اخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم الهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الى اخره اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والاحوال الى اخر حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار وقد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما سيصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعدما جربهم واستقرى احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما ادم وحوى وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه عليه السلام بخروجه الا بعدما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم بارائة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن

معهم صبي حين غرقوا ما روي من فضائلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ اُحي اصله وُحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة ابدانها وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في سورة الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احدى عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الوهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد واستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد له تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفيههم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم على تقليدهم لسفيههم اي انا كنا نظن ان لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ ان لن تقوّل بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم رهقا اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الكفرة الى اخره فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق كقوله تعالى ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ

السما او خبرها والملمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها
ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها
وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السما مقاعد للسمع
خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا له ولاجله
اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الان في مقعد من المقاعد يجد له شهابا
رصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس
قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد
البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق ايضا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى
باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة من في السما ام اراد بهم
ربهم رشدا اي خيرا وفي نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الاداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى
واذا مرضت فهو يشفين ونظايره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي
معاملتهم مع غيرهم المايلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو
مقتضى النفوس البشرية ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في
صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن
كما يعرب عنه قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرايق اي مذاهب او مثل طرايق في اختلاف
الاحوال او كانت طرايقنا طرايق قددا كنا طرايق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله تعالى
وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرايق اي مذاهب او مثل طرايق في اختلاف
الاحوال او كانت طرايقنا طرايق قددا اي مختلفة متفرقة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا
الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا
اي طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يومن
بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزا ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزا بخس ولا
رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاوهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى
ان يجتنب المظالم وقرى فلا يخف والاول اولى لتحقيق نجاة المومن واختصاصها به وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون الجايرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس
وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان
الشان لو استقام الانس والجن وكلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا
اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده
بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى ولو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى
وطاعته ولم يستكبر عن السجود لادم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا
رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه لو استقام الجن على طريقتهم الاولى القديمة
ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه ندخله عذابا صعدا اي شاقا
صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع
واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي فلا تعبدوا فيها
مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والمعنى لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة

اولانه

اولانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد
نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضا السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى
اي واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي
لقيامه وعبادته للتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه
لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم تعجبا
مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتدا اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم ما لم يروا مثله وسمعوا
ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام صلى الله عليه وسلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون
يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرى لبدا جمع لبدة
وهي بمعنى اللبد ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر عن قتادة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا ربي اي اعبد ربي ولا اشرك به
في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتي وقرى قال على انه حكاية
لقوله صلى الله عليه وسلم للمتراكمين والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا
ولا رشدا ضرا من كلا المتعاملين ما ذكر في الاخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن
اجد من دونه ملتحدا ملتجا ومعدلا وهذا بيان لعجزه صلى الله عليه وسلم عن شوون نفسه بعد بيان عجزه
صلى الله عليه وسلم عن شوون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثنا من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
ونفع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به
وقيل الا مركب من ان الشرطية ولا النافية ومعناه الا ان ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله
عليه ورسالاته عطف على بلاغا من الله صفته الاصلية اي لا املك لكم الا تبليغا كاينا منه تعالى
ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والكلام فيه فان له نار جهنم وقرى بفتح
الهمزة على حذفه او فجزاوه ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية
وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره صلى الله عليه
وسلم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الاخرة
فسيعلمون حينيذ من اضعف ناصرا واقل عددا او حملها يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى
قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم
ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كاين لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون
عالم الغيب بالرفع هو بدل من ربي او بيان له وياباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه اذ يكون النظم
حينيذ لم يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف
اي هو عالم الغيب والجملة استيناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفا لترتيب عدم الاظهار على تفرده
اي يعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا
لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على
صحتها واما لكونها من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم
واجزيتها المترتبة عليها في الاخرة وما يتوقف هو عليه من احوال الاخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث
وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظايف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي
من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر على غيبه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة الشرعية التي عليها

يدوّد قلت الرسالة وليس فيما يدل على نفي كرامات الاوليا المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف للرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاوليا ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى **فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثنا وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملايكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلق برسالته وقوله تعالى **ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم** متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه او المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد به اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزا وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنايه تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزا عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما للمرتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم ان قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى **واحاط بما لديهم** اي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جي به لتحقيق استغنايه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه لترتيب علمه تعالى بالذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا **واحصى كل شيء** قد كان وما سيكون **عددا** اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شي وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصى وايا ما كان ففايدته بيان ان علمه تعالى بالاشيا ليس على وجه كلي اجمالي بل هو على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصا قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان الاصل في الاحصا ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والماية والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا فاما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الى اخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى اخره فبمعزل من السداد وما روي في فضايل هذه السورة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها المزمل** اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا التفت بها فادغم التا في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفه مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة وقد جرى فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التخصيص بالخطاب للملاطفة والتانيس كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه

حين

حين عاصب فاطمة رضي الله عنهما فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله والتعرض للوصف حينيذ للاشعار بعليته للقيام او للامر فان تحمله صلى الله عليه وسلم لاعبا النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل** اي قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة والمعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها **الا قليلا** استثنى من الليل وقوله تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرايه عن الفايدة خلاف الظاهر **او انقص منه** اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى **قليلا** اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف **او زد عليه** اي زد القيام على النصف المقارن له والمعنى تخييره صلى الله عليه وسلم بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتبار الذي يبنى عليه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتداد بتساوي النوعين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى للتخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل والله اعلم بما في كتابه الجليل **ورتل القران** في اثنا ما ذكر من القيام اي اقراه على تؤدة وتبيين حروفه **ترتيلا** بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك** اي سنوحي اليك وايثار الالقا عليه لقوله تعالى **قولا ثقيلا** وهو القران العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه صلى الله عليه وسلم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيتفصد عنه وان جبينه ليتفصد عرقا **ان ناشية الليل** اي النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشا من مكانه اذا نهض وان قيام الليل على ان الناشية مصدر من نشا كالعافية وان العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشا اذا ابتدا **هي اشد وطا** اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتنا بالقيام وقرئ وطا اي اشد مواطاة يواطي قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطي فيها قلب القايم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص **واقوم قيلا** واشد مقالا واثبت قراة لحضور القلب وهدو الاصوات **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي لقيام الليل بعد بيان ما في قيامه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزايه **واذكر**

اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودرس
علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته حيث لم يبق ذلك الا بتجريد
نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوايق الصادرة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلايق عما سواه تبتيلا
مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره
لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقرئ وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في
قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر
على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم ولا تداريهم ولا تكافيهم
وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان في كفايتهم
اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل
وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة
ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع مع الزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يقادر
قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب
وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف
وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى
مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا
عليكم يشهد يوم القيامة بما صدر منكم من الكفر والمعاصي كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى
عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخوله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه ومحل
الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى
شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهم ما حاق باوليك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ
من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخم فكيف تتقون اي كيف
تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة
ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع شيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاهوال اذا تفاقمت
على المرء ضعفت قواه واسرعت فيه الشيب وقد يجوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذلك
السماء منفطر اي منشق وقرئ منفطر متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر
عنه بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار لفاق قوله تعالى به مثلها
في فطرة العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو
مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت
قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة
من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على
تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه
قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط
الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر

من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا
على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي القراءة بعينها قالوا من قرا مائة
آية من القرآن في ليلة لم ... وقيل من قرا مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية
علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون
في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عم ابتغاء الفضل لتحصيل
العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص
فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلاة اي المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة
وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنية واقرضوا
الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او الزكاة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء
وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين
فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك تمتنع حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله
في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة ورزقه اليسر فيهما

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس
فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي
فاذا هو قاعد فوق عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع
الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه
متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد التدثر
بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي على الاصل قم اي
من مضجعك او قم قيام عزم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك لقوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر
واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط
فكانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره اي للدلالة على ان المقصود الاولى من الانذار القيام
ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع من جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه
وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلاة واولى واجب في غيرها وذلك لصيانتها وحفظها
عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو
اول ما امر به صلى الله عليه وسلم من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال
ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الثياب الذيل والازرار اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق

والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الاثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر
ولا تمنن تستكثر ولا تعطه مستكثرا اي ذاهبا لما تعطيه وطالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو
ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستكثر يثاب
من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق
واحسن الاداب او للتنزيه وقرئ تستكثر بالسكون اعتبار الحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن
لا تستكثر على انه من المن الذي هو في قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن لا يعطي مستكثره ويعتد به وقرئ
بالنصب مع ابقاء عملها كقول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا • وقرئ باثباتها ويجوز في القراءة
الرفع ان تحذف ويبطل عملها كما روي احضر الوغا بالرفع **ولربك** اي لوجهه تعالى او لامره سبحانه **فاصبر**
فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو فاعول
من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين
ايديهم يوم هايل يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على
الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل ظرف فهو صفة العسر
او حال من المستكن فيه وقوله تعالى **غير يسير** تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المومنين واختلف في
المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية وهي التي يختص عسرها بالكافرين كما ان النفخة الاولى
حكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار في
الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة
روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى **ذرني ومن خلقت وحيدا** حال اما من
الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
او من العايد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه وصرفه لمعن الغرض الذي يؤمونه من مدحه
الى جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء من مد النهر ومن نهر اخر قيل كان له الضرع
والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان
له في الطايف بستان لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتا وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وكان له الف دينار
وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة
يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا
في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر
كلهم رجال الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام
وعمارة **ومهدت له تمهيدا** وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش **ثم يطمع ان ازيد**
على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار ومعاندة للنعم وقيل كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت
الجنة الا لي **كلا** ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخايب وقوله تعالى **انه كان لاياتنا
عنيدا** تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته
مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان

من

من ماله حتى هلك **سارهقه صعودا** ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو
مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق عن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما
وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر** تعليل للوعيد
واستحقاقه له والبيان لعناده لاياته تعالى فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله
فقتل كيف قدر تعجب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثنا عليه
بطريق الاستهزا به او حكاية لما كرر من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم
لقوله ومعنى قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره فانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو
عليه حاسدوه بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى عليه
فقالت قريش صبا والله الوليد قريش كلها فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه
بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن
وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا
في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
وما الذي يقوله الا سحر يوثر عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه
ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي
الزماني **ثم نظر** اي في القران مرة بعد مرة **ثم عبس** قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول
وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه • وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه
وبسر اتباع لعبس **ثم ادبر** عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **واستكبر** من اتباعه
فقال ان هذا الا سحر يوثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه
بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى **ان هذا الا قول البشر** تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف
ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا **وما ادراك ما سقر** اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى
مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي
اي شيء هي في وصفها لما مر مرارا ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة
وقوله تعالى **لا تبقي ولا تذر** بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر
وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد
او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كلما يطرح فيها هالك لا محاله **لواحة للبشر** مغيرة لاعالي الجلد
مسودة له قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس وقيل لقوله تعالى ثم
لترونها عين اليقين • وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي ملكا
او صنفا او صفا او نفسا من الملايكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا
من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد • وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن **وما جعلنا
اصحاب النار** اي المدبرين لامرها القايمين بتعذيب اهلها **الا ملايكة** ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا
لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باسا
عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار
ويرمي الجبل عليهم • وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا

بحول منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي وما
جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي هو سبب
لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد
المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر فبذلك يتحقق افتتانهم
باستقلالهم واستبعادهم لهذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم حسبما ذكر وعليه يدور
ما سياتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلال النفس البشرية في النظر
والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة
وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وكل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة
لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد وان الساعات اربعة وعشرون منها خمس مصروفة
للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق
القران لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما راوا
من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيدا لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن
من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين
حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان
وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم
على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما
سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا
العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه
من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى
الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم
على الفعل لافادة القصر فصار لا تعظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره
الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة
تلك الايات الى جانب الهدى لا اضلالا ولا هداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها
الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا
عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكرة والقمر والليل اذ ادبر
وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا
خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع
في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكثيرة والدواهي
الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظير لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه
الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر ثان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر

بدل

بدل من البشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لمن شاء ذلك بفضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر
مبتدا فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها
والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب
اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل هم
الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا على يمين ادم عليه السلام يوم الميثاق
وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهي خبر لمبتدا محذوف والجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال
من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال بعضهم
بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة
التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد
من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها
الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم
عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل
يتساءلون اي يسالونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا
اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار
نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة
وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء
اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد
مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين
بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق به
قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا
والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القران بغير سبب
على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار
الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم
معرضين عن القران مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل جماعة الرماة الذين يتصيدونها
شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه
من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر
يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تطوى
وتنشر وتقرا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تؤتي كل واحد منا بكتب
من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع عن ارادتهم تلك الجراة بل لا يخافون
الاخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القران تذكرة
واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم
من ظاهر قوله تعالى وما يذكرون اذ لا تاثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله

استثنا مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا ان يشا الله او حال
الا ان يشا الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشية الله تعالى وقرئ تذكرون على الخطاب [illegible] وقرئ بهما
مشددا **هو اهل التقوى** اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع **واهل المغفرة** اي حقيق بان يغفر لمن
امن به واطاعه ومما جا في فضايل هذه السورة من الاحاديث ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا
سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

بسم الله الرحمن الرحيم **لا اقسم بيوم القيامة** ادخال لا
النافية على فعل القسم شايع وفايدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هي للنفي
لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به
حق اعظامه فانه تعالى حقيق باكثر من ذلك واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه
في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر
كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الاحزاب والزخرف
ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس التقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى وفيه طرف من
البراعة التي في القسم السابق اما بالنفس المطمئنة اللايمة للنفس الامارة بالسو وقيل بالجنس لما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم
ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان كان
عن النفس المومنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة وقيل بنفس ادم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها
التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى **ايحسب الانسان الن نجمع عظامه** وهو
ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف اي ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها
رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار قالوا ان عدي
ابن ابي ربيعة ختن الاخنس ابن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السو قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ويجمع الله هذه العظام **بلى** اي نجمعها حال كوننا **قادرين على ان نسوي
بنانه** اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي
اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون **بل يريد الانسان ليفجر امامه**
عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه **يسال ايان يوم
القيامة** اي متى يكون استبعادا او استهزاء **فاذا برق البصر** اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وقرئ بفتح الرا وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج **وخسف
القمر** اي ذهب ضوؤه وقرئ على البنا للمفعول **وجمع الشمس والقمر** بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب
الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور **اين المفر** اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع
الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع **كلا** ردع عن طلب المفر وتمنيه **لا وزر** مستعار من الجبل وقيل

كل

كلما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك **الى ربك يومئذ المستقر** اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه
استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشا الجنة ويدخل من يشا النار **ينبأ الانسان يومئذ**
اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال **بما قدم** اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب
بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته
وبما اخر فخلفه او وقفه او وصى به اوما ودعه واخره **واخر** اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني
بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما ينبئ عنه
كلمة على وما سياتي من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم
اياتنا مبصرة او عين بصيرة والتا للمبالغة ومعنى بل للترقي اي ينبا الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل
احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى **ولو القى معاذيره** اي ولو جا بكل معذرة يمكن
ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبا اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل
شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبو باعماله ولو اعتذر الى اخره والمعاذير جمع المعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر
وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل
عليه السلام القراة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا ان ينفلت منه فامر صلى الله عليه وسلم
بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل **لا تحرك به**
اي بالقران **لسانك** عند القا الوحي **لتعجل به** اي لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك **ان علينا جمعه**
في صدرك بحيث لا يذهب عليك شي من معانيه **وقرانه** اي اثبات قراته في لسانك **فاذا قراناه** اي اتممنا قراته عليك
بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التاني **فاتبع قرانه** فكن مقفيا له ولا تراسله
ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه **كلا** ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة
وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى **بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة** على تعميم الخطاب للكل اي بل
انتم يا بني ادم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شي ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقيل كلا
ردع للانسان على الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويويده قراة الفعلين على
صيغة الغيبة **وجوه يومئذ ناضرة** اي وجوه كثيرة وهي وجوه المومنين المخلصين يوم اذ تقوم الملايكة متهللة
تشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه ناضرة ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة وقوله تعالى **الى ربها
ناظرة** خبر ثان للمبتدا او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدا لان المقام مقام
تفصيل الاولى ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة
الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها
ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة
وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى **ووجوه يومئذ باسرة** شديدة العبوس
وهي شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة **تظن** تتوقع اربابها **ان يفعل بها فاقرة** داهية عظيمة تقصم فقار
الظهر **كلا** ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده
ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة **اذا بلغت التراقي** اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال **وقيل من راق** اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو كلام
ملك الموت اي ايكم يرقى بروحه ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب من الرقي **وظن انه الفراق** وايقن المحتضر
انه ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها **والتفت الساق بالساق** والتفت ساقه بساقه والتوت عليها

عند حلول الاجل الموت • وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة • وقيل هما ساقاه حين يلفان في اكفانه
الى ربك يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله
عليه وسلم والقران الذي انزل عليه ولا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما
للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق
المواخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر
افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه
اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك
وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من ال يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى
اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى ان يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى
وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الى اخره استيناف وارد لابطال
الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة
اي بقدرة الله تعالى لقوله ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة فسوى فعدل وكمل
نشاته فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان
الذي انشا هذا الانشا البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى • وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيامة شهدت له
انا وجبريل يوم القيامة انه كان مومنا بيوم القيامة •

بسم الله الرحمن الرحيم • هل اتى استفهام وتقريب فان كل بمعنى قد
والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر اي طايفة محدودة كاينة من الزمن الممتد لم يكن شيا
مذكورا بل كان شيا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان
اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العايد الموصوف اي لم يكن فيه شيا مذكورا والمراد بالانسان الجنس
والاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او ادم عليه السلام وهو المروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي • قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به
اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح ثم من صلصال فاقام اربعون سنة وهو ملقى بين مكة والطايف • وفي
رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين ثم من حما مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام
اربعين سنة فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح • وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه صلى الله عليه وسلم
وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج من مشجت الشي اذا خلطته وصفا النطفة به لما ان المراد بها
مجموع الماين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظة وخواص متباينة فان ما الرجل ابيض غليظ
فيه قوة العقد وما المراة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم
وقوة فهو من ما الرجل وما كان من دم ولحم وشعر فمن المراة • وقال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل
مفرد كاعشار وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى
نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاه بالتكليف فيما سياتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة
الاستعارة كما روي عن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الى اخره فجعلناه سميعا بصيرا

من استماع الايات التنزيلية ومشاهدات الايات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلا فلذلك عطف على الخلق
المقيد به بالفا ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الدلايل اما شاكرا
واما كفورا حالا من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا
او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا
وبعضهم كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرى اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا
فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اخبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعات
الفواصل والاشعار بان الانسان قل ما يخلو من كفران وانما المواخذة عليه الكفر المفرط انا اعتدنا
للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا
بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت وجوههم الاية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المومنين احسن على ان
وصفهم تفصيلا ومما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم وقرى سلاسل للتناسب ان الابرار شروع في
بيان حسن حال الشاكرين واتى ادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة المسببة والابرار
جمع بر وبار كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من برخالقه اي يطيعه • وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من
يودي حق الله تعالى ويوفي بالنذر • عن الحسن البر من لا يوذي الذر يشربون من كاس هي الزجاجة اذا كانت
فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتداييه وعلى الثاني تبعيضيه او بيانيه كان مزاجها اي ما يمزج
به كافورا اي ما كافور وهو اسم عين في الجنة ماوها في بياض الكافور ورايحته وبرده والجملة صفة كاس
وقوله تعالى عينا بدل من كافور وعن قتادة يمزج لهم الكافور ويختم لهم بالمسك • وقيل يخلق فيها رايحة
الكافور وبياضه وبرده • فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف
اي يشربون خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها
الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل من يشربون معنى يلتذ • وقيل البا بمعنى من وقيل زايدة ويعضده قراة ابن ابي عبلة
يشربها عباد الله • وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها
حيث ما شاوا من منازلهم اجرا سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا
وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل
لما ينبي عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه
على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في
الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام
على حبه اي كاينين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب
الاطعام بان يكون ذلك بتطييب النفس او كاينين على حب الله تعالى او اطعاما كاينا على حبه تعالى والانسب لما سياتي
من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم كان يوتى بالاسير فيدفعه الى
بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مومنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع
الحال من فاعل يطعمون اي قايلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع
المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضوان الله عليها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال
الرسول ما ذا قالوا فاذا ذكر دعاهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا وهو في الشدة الضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك

تفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل للارادة الجزاء والشكور اي نخاف عقاب الله تعالى
ان ردنا منهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم
بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات
ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون
به عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس
معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا
مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شي فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاث اصوع
من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سايل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موايد
الجنة فاثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الما واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم
يتيم فاثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم
فاقبلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال صلى الله عليه وسلم
ما يسوءني ما ارى بكم وقام وانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك
فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله بها في اهل بيتك فاقراه السورة متكئين فيها على الارائك
حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هوا
معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضي بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر
ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية
عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقرى دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال
ان ظلالها دانية عليهم وقالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه
لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت
ثمارها لمتناولها وتسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة
قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها على تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية
معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة
كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفا الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة
صفة لاكواب وقرئ قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا
صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة
لشهواتهم فجات حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجات على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول
عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول
اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشي ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه
الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج اطيب ما يستطيبه العرب والذ ما يستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج
كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها معينا حينئذ بدل من كاسا وينصب على الاختصاص
فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل
ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل فيها نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف

عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء
الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول
ملفوظ ولا مقدر ولا منوي على معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث
ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل تسلم عليه الملايكة
ويستاذنون عليه عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا موخر والجملة صفة
اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة
والفتح على انه مستفعل جعل لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى
اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف بحسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى
يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال باضمار قد على هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع اخر يفوق النوعين السابقين
كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية
والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل
الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون
الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك
القران تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غير كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك
بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم اثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه
ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعون
اليه فان ترتيب الوصف للنهي عن الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر
وقيل الاثم عتبة فانه كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة
في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او ادم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان
الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة
وينهمكون في اناتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون او يتبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا
لا يعبؤون به ووصفه بالثقل لتشبيه هوله بثقل شي فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر
ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم
بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى
يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الايات القريبة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه
بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير كافية
في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا يقدرون على تحصيله في وقت
من الاوقات الى وقت مشيته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما هو التاثير والخلق لمشيئة
الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما شاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته تعالى
مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا
ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة على حكمته

عليهم

اي يدخل من يشا ان يدخله وهو الذي يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يودي الى دخول
الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما
اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشا في رحمته ويعذب الظالمين
ويكون اعد لهم تفسيرا للمضمر وقرئ بالرفع على الابتدا ما جا في فضايل هذه السورة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قري سورة هل اتى على الانسان كان جزاوه على الله جنة وحريرا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوايف من الملايكة ارسلهن
باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوايف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو
عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرايع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبيا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرايع ونشر
النفوس والفرق على الالقا للايذان بكونهما غاية للالقا حقيقة للاعتنا بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف
المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوايف الموصوف بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جي بها
على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقا والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسم
برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى فيجعله كسفا
اي السحاب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن ساير الاوصاف بالشكل واللون وساير الخواص او فرقوا
بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اوعذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم
عند مشاهدتهم لاثار رحمته تعالى في الغيث يشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها
الى الانوا واسند الالقا الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او ذهب او اقسام
بايات مرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن بساير الكتب بالنسخ ونشرن اثار الهدى في مشارق
الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض المنكر وانتصابه
على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارساله ملايكة العذاب معروف للانبيا عليهم السلام والمومنين او بمعنى
المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساة ومن انذر اذا
خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلة وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب للقسم اي ان الذي
توعدونه من مجي القيامة كاين لا محاله فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السما فرجت
صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف وبست الجبال بسا
وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشي اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشدده واذا
الرسل اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيه وحضوره اذ لا يتعين لهم
قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول
هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقه بالرسل
والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهذا اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلايق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدا ادراك خبره اي اي شي جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير
يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط
الفايدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هايلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع

من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهايل وويل في الاصل مصدر منصوب
ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته
الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلك بمعنى اهلكه
ثم نتبعهم الاخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الاخرين من نظرايهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ستتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالاخرين المتاخرين
هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهما السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل
بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بايات الله تعالى وانبيائه
وليس تكريرا لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين
اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم من الوقت
الذي قدره الله تعالى للولادة تسعة او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرنا ذلك وقرئ مشددا او فقدرنا
على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ
للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من
كفت الشي اذا جمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احيا كثيرة على ظهرها وامواتا
غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصابر وصبار او كفت وهو الوعا
اجري على الارض باعتبار اقطارها وقيل تنكير احيا وامواتا لان احيا الانس وامواتهم بعض الاحيا
والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احيا وامواتا وجعلنا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المونث في غير العقلا مطرد كاجذع واجذاع
واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها
انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ انطلقوا
للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل
دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه
لاضطرارهم اليه تطوعا اذكرها ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم
تراه يتفرق ذوايب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم
حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال
والوهم او لان المودي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية
السبعية التي هي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر
وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من اللهب
اي غير مغن لهم عن حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل
هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو
شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر نحو قصرة كانه جمالات هو جمع جمال
والتا لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجماله وقيل اسم جمع كالحجاره صفر فان الشرار لما فيه من النارية
يكون اصفر وقيل اسود لان جمع جمالا وجماله وقرئ جمالات جمع جماله وقد قرئ بها وهي كالحبل العظيم من
حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشي لان السوال والجواب والحساب قد انقضت
قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم

او لا ينطقون بشي ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان
يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق
والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان
لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتقدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب
ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع
التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين
اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب
المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم
ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك
باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم
وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله
واخشعوا وتواضعوا لقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روي
انه نزل لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه
وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فباي حديث بعده
اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين
ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

الجزء الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما فحذفت الالف منه اما فرقا
بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان
بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شي عظيم الشان يتساءلون
اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته
ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء
ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم
او طبيب وقيل كانوا يسالون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم
وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث
يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على
دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل
عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك
تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه والمعنى عن اي شي يسال هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

وربما

وربما عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعلقه بمتعدد مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى
فباي الاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبا العظيم بيان لشان المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه
اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على
انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل
عن اي شي يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال
هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلقة بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه
والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم
والنبا الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظم
تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية
للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته
يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط
كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم
بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين
ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الاخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله كلا سيعلمون فانه صريح
في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما
بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله
هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان
الافتعال والتفاعل صيغتان متاخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك
يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على ان يعتبر مخالفة بعضهم لبعض لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن
استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الاخر اذ لا حقية في شي منهما يستحق من يخالفه المؤاخذة بل
لمخالفته صلى الله عليه وسلم فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون
وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام
من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه الاية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما
يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف
والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى
ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة وفي التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني
ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء
على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم
فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا الى اخره استئناف مسوق لتحقيق النبا المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته
اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هاهنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القران او نبوة
محمد النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة

في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا اي تشبيها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا اي ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الى آخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال جعلنا ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لازاحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا للتيقظ المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له ونحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار في وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سماوات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا تاخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشا والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشا التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الى آخره وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انبا عن ملابسة مفعوله بشي آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شي من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالي من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبنا وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحائب وترك بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات بالرياح سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه صلحت ان تجعل مبدا للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه

لان غالبه غذا الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير ابن ابي سلمى

كان عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقي جنة سحقا

وعلى الارض ذات النخل قال الفرا الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكروم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشا هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة على الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تاخيره يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن النفخ فانه في زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بالاخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفا في قوله تعالى فتاتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم او زمرا او جماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة

الخنازير فاهل السحت واما المنكبون علي وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم
فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما الذين خالفت اقوالهم فعالهم واما الذين قطعت
ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون جيرانهم واما المصلبون علي جذوع من نار فالسعاة بالناس الي
السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالي
في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السما** عطف علي ينفخ وصيغة
الماضي للدلالة علي التحقيق وقري فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالي **فكانت ابوابا** اي كثرت
ابوابها المفتحة لنزول الملايكة نزولا غير معتاد حتي صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالي
وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيونا متفجرة وهو المراد بقوله تعالي ويوم تشقق السما بالغمام ونزل
الملايكة تنزيلا وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالي هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملايكة • وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شي
وسيرت الجبال اي في الجو علي هيئتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالي وتري الجبال
تحسبها جامدة وهي الاية اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي
تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحا لا تكاد تتبين حركتها
وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال •

• بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج •

وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزا وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالي
وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله الارض بغيرها ثم يسير الجبال علي تلك الهيأة الهايلة عند حشر
الخلايق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهوي وذلك قوله تعالي **فكانت سرابا**
اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالي وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا اي غبارا
منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولي ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة
الثانية كما نطق به قوله تعالي ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا تري فيها عوجا ولا امتا يوميذ يتبعون الداعي وقوله تعالي يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالي لا يكون الا
بعد النفخة الثانية **ان جهنم كانت مرصادا** شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم
اثر بيان هوله وتوجيه بيان تعذيبهم ببيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد
فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت
في حكم الله تعالي وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها **للطاغين** متعلق
بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كاينا للطاغين وقوله تعالي **مآبا** بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة
واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا
علي انها مرصاد للفريقين مآبا للكافرين خاصة ولا يخفي بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطايفة
كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملايكة الذين هم يستقبلونهم عندها
لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين **لابثين فيها** حال مقدرة من المستكن في الطاغين وقري لبثين
وقوله تعالي **احقابا** ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضي حقب تبعه حقب اخر الي غير نهاية فان
الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل علي تناهي تلك الاحقاب ولو
اريد بالحقب ثمانون الف سنة او سبعون الف سنة **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا** جملة مبتدأة

اجزعنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح تنفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميما وغساقا • وقيل البرد النوم • وقري غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم **جزاء**
اي جوزوا بذلك جزاء **وفاقا** ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا علي انه فعال من
وفقه كذا اي لاقه **انهم كانوا لا يرجون حسابا** تعليل لاستحقاقهم الجزا المذكور اي كانوا لا يخافون
ان يحاسبوا باعمالهم **وكذبوا باياتنا كذابا** اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين علي الكفر وفنون
المعاصي وفعال من باب فعل شايع فيما بين الفصحا وقري بالتخفيف وهو مصدر كذب قال الشاعر فيه

• فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابه •

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بفعل كذبوا لتضمنه معني كذبوا
فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرا كذابا وهو جمع كاذب وانتصابه علي الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين
وقد يكون الكذاب بمعني الواحد البليغ بالكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا تكذيبا كذابا مفرطا كذبه
وكل شيء من الاشيا التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره **احصيناه** اي حفظناه وضبطناه
وقري بالرفع علي الابتدا **كتابا** مصدر موكد لاحصيناه وان الكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال
بمعني مكتوبا في اللوح او في مصحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالي **فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا**
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وفي الالتفات المنبي عن التشديد في التهديد وايراده من المقيدة
لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة علي تبالغ الغضب ما لا يخفي وقد روي عن
النبي صلي الله عليه وسلم ان هذه الاية اشد ما في القران علي اهل النار **ان للمتقين مفازا** شروع في بيان
محاسن احوال المومنين اثر بيان احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وساير قبايح اعمال الكفرة فوزا
وظفرا بمباغيهم وموضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولياو او موضع نجاة وقوله تعالي **حدايق واعنابا**
اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا **وكواعب** اي نسا فلكت ثديهن وهن النواهد
اترابا اي لدات **وكاسا دهاقا** اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملاه **لا يسمعون فيها** اي في الجنة وقيل في
الكاس **لغوا ولا كذابا** اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقري كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه
ولا يكاذبه **جزاء من ربك** مصدر موكد منصوب بمعني ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازي المتقين
بمفاز جزا كاينا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التبليغ الي الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة
الي ضميره صلي الله عليه وسلم مزيد تشريف له صلي الله عليه وسلم **عطاء** اي تفضلا واحسانا منه تعالي
اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزا **حسابا** صفة لعطا بمعني كافيا علي انه بمعني الحسب كالدال بمعني الدرك
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالي **الرحمن** صفة له وقيل صفة للاول واياما
كان ففي ذكر ربوبيته تعالي ورحمته الواسعة اشعار ابهذا الجزا المذكور وقوله تعالي **لا يملكون منه**
خطابا استيناف مقرر لما افاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبريا واستقلاله تعالي بما ذكر
من الجزا والعطا من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقري برفعهما فقيل علي انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني
نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر اخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون
حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا
بمعناه علي راي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا علي المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون
استينافا علي حاله فيفيد ما ذكر من الاشعار بمدار الجزا والعطا كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب
مدحا تابع لما قبله معني وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالي الذين يومنون بالغيب من سورة
البقرة وقري بجر الاول فقط للبدلية ورفع الثاني علي الابتدا والخبر ما بعده او علي انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده

استئناف وخبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا من الملائكة لهم رؤس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح الاية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي • وقيل هم اشراف الملائكة • وقيل هم حفظة على الملائكة • وقيل هو جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صفا واحدا او متعددا والملائكة صفا وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى **لا يتكلمون** وقوله تعالى **الا من اذن له الرحمن وقال صوابا** بدل من ضمير لا يتكلمون العايد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبريا ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلايق واقربهم لديه تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملك غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن يسلكه مع تجويزه ان يكون يوما ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الى اخره منصوب على اصل الاستثنا والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى **ذلك** اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال **اليوم الحق** اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفا في قوله تعالى **فمن شا اتخذ الى ربه مآبا** فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا وانتفا الغرابة في تعلقها بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شا ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا **انا انذرناكم** اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القران **عذابا قريبا** هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان راوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وياباه قوله تعالى **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعايد محذوف اي ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر ويابى قوله تعالى

ويقول

ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع المضمر لزيادة الذم • وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث • وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجما من القرنا ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله • وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن ما جا في فضايلها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة • والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل بطوايف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البير اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله حيث قال الشاعر • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتايب في المزدحم • للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفا في الاخيرين للدلالة على ترتيبها بغير مهلة كما في قوله قال • يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب • وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوايد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم يغرقها في جسده ثم ينزعها حتى اذا كادت تخرج يردها في جسده فهذا عملها بالكفار • وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوايف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به عليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملايمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى **يوم ترجف الراجفة** منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة التي تتحرك حركة شديدة

وتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولي وقد قيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف
الارض والجبال وقوله تعالى **تتبعها الرادفة** اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية تابعة لها
لا قبل ذلك فانها عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفخات وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث
لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقي عند وقوع الاولي
حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الي الاول ظاهر وقيل يوم ترجف
منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذكر لهم يوم النفختين لانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى **قلوب يومئذ واجفة** اي يوم
ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدا ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة القلوب مسوغة لوقوعه مبتدا
وقوله تعالى **ابصارها** اي ابصار اصحابها **خاشعة** جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد مر ان حق الصفة
ان تكون معلومة الانتساب الي الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد
العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الرجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة
فاذ جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما على ان
الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وتقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهون
فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا تخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة
معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهويل للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام
الوصف المختص سواء كان حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل والمعنى منسحب عليه او على التكثير كما في
شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يومئذ تقع النفخات
واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها
كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى **يقولون اانا لمردودون في الحافرة** حكاية لما يقوله المنكرون
للبعث المكذبون بالايات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما
يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه اانا لمردودون
بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولي يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي
جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة
الي الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله
تعالى **ااذا كنا عظاما نخرة** تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الي حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل
عليه مردودون اي ااذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر او
اسقاط حرف وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير **قالوا**
حكاية لكفر اخر متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس
بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره الي ما انكروه من الردة في الحافرة ليس بطريق مشترك
بغاية بعدها من الوقوع **تلك اذا كرة خاسرة** اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن اذا
خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة
التي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا يسعه لا تستصعبوها
فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها
كانها عينها وقيل هي راجع الي الرادفة وقوله تعالى **فاذا هم بالساهرة** حينئذ بيان لترتيب الكرة على الزجرة
مفاجاة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب

الكرة

الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
كاريع الما وفي ضدها نائمة وقيل ان ساكنها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم جهنم وقال الراغب هي وجه الارض
وقيل هي ارض القيامة وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط
خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب
الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال النووي الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه
جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحرا على شفير جهنم وقوله تعالى **هل اتاك حديث موسى**
كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان
اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك اي اعتبر هذا اول ما اتاه صلى الله عليه وسلم من حديثه عليه الصلاة والسلام
في استماع حديثه كانه قيل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في
الاقتصاص اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى **اذ ناداه ربه بالوادي المقدس** ظرف للحديث لا للاتيان
لاختلاف وقتيهما **طوى** بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان
دون البقعة وقيل هو كثني مصدر لنادي او المقدس ناداه مرتين او المقدس مرة بعد اخرى **اذهب الي فرعون**
على ارادة القول وقيل هو تفسير للندا اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله
ان اذهب لان في الندا معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به **فقل** بعد ما اتيته **هل
لك** رغبة وتوجه **الي ان تزكى** بحذف احدي التائين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ
تزكى بالتشديد **واهديك الي ربك** وارشدك الي معرفته عز وجل فتعرفه **فتخشى** والخشية لا تكون الا بعد
معرفته عز وجل قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله
تعالى اتي منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى والفاء في قوله تعالى **فاراه الاية الكبرى** فصيحة تفصح عن جمل مطوية تعويلا على تفصيلها
في السورة الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى
من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الي ان قال
ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها
عرفها وادعا سحريتها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الي الظاهر كما
ان نسبتها الي نون العظمة في قوله ولقد اريناه اياتنا كلها بالنظر الي الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا
حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول
مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في
تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على
مجموع معجزاته فان ما عداهما من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة
على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القضية وامر السحرة مترتب بعد
فكذب موسي وسمي معجزته سحرا **وعصي** الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان
واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا
وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر
فقط **ثم ادبر** اي تولي عن الطاعة وانصرف عن المجلس **يسعي** اي يجتهد في معارضة الاية او ادبر بعد ما اقبل
اي انشا السعي ثم وضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه

روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعل يقول يا موسى مرني بما شئت
ويقول فرعون انشدك الله الذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وبناوه ان ذلك قيل الاحتراز على التكذيب
والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى **فحشر** اي فجمع السحرة لقوله فارسل في المداين
حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والانفار وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع
الناس **فنادى** في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي **فقال انا ربكم الاعلى** قيل قام فيهم خطيبا
فقال تلك العظيمة **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى** النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم التعذيب
الذي ينكل من راه وسمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله
كانه قيل نكل الله نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي
اخذه الله اخذ نكال الى اخره وهو مفعول له اي اخذه لاجل نكال الى اخره وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه
بنكال الاخرة والاولى اضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع
تكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان العقوبة الدنيوية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي
ما يودي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان
بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة السبب الى المسبب **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصة فرعون
وما فعل وما فعل به **لعبرة** عظيمة **لمن يخشى** اي لمن من شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى
انتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت
بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله عز وجل فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم
اشد اي اشد واصعب في تقديركم **ام السما** اي ام خلق السما على عظمتها وانطوايها على تعاجيب البدايع
التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها لقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى
او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى **بناها** الى اخره بيان وتفصيل
لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السما وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافصاح عن التنبيه
على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى **رفع سمكها** بيان للبنا اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسماية عام **فسواها** فعدلها مستوية ملسا
ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق
العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه **واغطش ليلها** اي جعله مظلما يقال اغطش الليل واغطشه الله
كما يقال اظلم واظلمه وقد مر ذلك في قوله تعالى فاذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الله كما يقال
اظلم **واخرج ضحاها** اي ابرز نهارها وعبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في
مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور
بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز
ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة **والارض بعد ذلك دحاها** اي مهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها
وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها **اخرج منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى انهارا **ومرعاها** اي رعيها
وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير
لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشارب
حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور وبدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى

او جاوكم حصرت صدورهم **والجبال** منصوب بمضمر يفسره **ارساها** اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها
وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسول المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس
من مقتضيات ذواتها بل هو بارسايه عز وجل ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلا عن اثباتها للارض وقري
والارض والجبال بالرفع على الابتدا ولعل تقديم اخراج الما والمرعى ذكرا مع تقدم الارسا عليه وجودا
وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتنا بامر الماكل والمشرب مع ما فيه لدفع توهم رجوع ضميري
الما والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السما وما فيها لما روي
عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان الاية ان حمل على ما فيه من الخلق وما عطف
عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة الاعلى تقديرها وما في سورة البقرة من قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات يدلان على تقديم
خلق الارض وما فيها على الما ثم انه تعالى احدث في الما اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد
فبقي على وجه الما فخلق منه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين فاما الدخان
فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها
وخلق ما فيها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة
وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما
قيل تاويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بنا السما ورفع سمكها وتسويتها وغيرها
لا الى نفسها ويحمل تقديم الدحو عليها على التعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود
وفايدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة الباهرة بالنسبة الى احوال السما
واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس
بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احكامه وليس اجمل وليس لما روي عن الحسن رحمه الله نصا في تاخر
دحو الارض عن خلق السما فان دحو الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السما بالواو التي هي بمعزل
عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير ما ذكر في ايات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من
الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقديم تقدير
الارض وما فيها على ايجاد السما كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وما في سورة
البقرة على التراخي في الرتبة وقد سبق تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى **متاعا لكم**
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم **ولانعامكم** لان فايدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الما
والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة
الرعي لتناول الماكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر موكد لفعله المضمر اي متعكم
بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى
فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على ساير الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة
والنفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلايق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا
لكم الى اخره والفا للدلالة لترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبي عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر**

الانسان ما سعى قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية **وبرزت الجحيم** عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد **لمن يرى** اي كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى **فاما من طغى** الى اخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الى اخره والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظايم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فاما وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان **واثر الحياة الدنيا** الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به منها ولم يستعد للحياة الاخرة الابدية بالايمان والطاعة **فان الجحيم** التي ذكر شانها **هي الماوى** اي هي ماواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدا قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان **واما من خاف مقام ربه** اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى **ونهى النفس عن الهوى** عن انها بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها **فان الجنة هي الماوى** له لا غيرها وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الى اخره اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وكذا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى مغن عن العايد وقوله تعالى فاما من طغى الى اخره تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين **يسالونك عن الساعة ايان مرساها** متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى **فيم انت من ذكراها** انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها اي في اي شيء لا ذلك فرع علمك به واني لك ذلك وهو مما استاثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها شاهد دليل يكفيهم على العلم بوقوعها من قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى **الى ربك منتهاها** اي على هذا الوجه اليه تعالى يرجع اليه منتهى علمها اي كنهها بعلمها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فهما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسالونك عنها **انما انت منذر من يخشاها** على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها

مما يوهم

مما يوهم بظاهره ان لي له صلى الله عليه وسلم ان يذكرها بوجه من الوجوه نازع ذلك بيانا ان المنفي عنه صلى الله عليه وسلم ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسالونه عنها والمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسالونك عما ليس من وظايفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منذر بمجي الساعة كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين اي كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى **كانهم يوم يرونها** اما تقرير وتاكيد لما ينبي عنه الانذار من سرعة مجي المنذر به لا سيما على الوجه الثاني كما قيل كانهم يوم يرونها **لم يلبثوا** بعد الانذار بها **الا عشية** يوم واحد **او ضحاها** فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم لانهم كانوا يسالون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين لها وان كان على نهج الاستهزاء بها اي لا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد لاستبطايهم والجملة على الحال حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول المنذر كما ان قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول في نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان المشبه هنا في الاحوال الظاهرة من الزي والهيأة وفيما نحن فيه من الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من الاعراب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم **عبس وتولى ان جاءه الاعمى** روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله صلى الله عليه وسلم بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرايين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى **وما يدريك** لذلك فان المشافهة بالعتاب ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى **لعله يزكى** وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه صلى الله

عليه وسلم للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قوله
لعلك تستند على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر
اصلا كما في قوله تعالى **او يذكر** عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى **فتنفعه الذكرى**
بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي
التام وقيل الضمير في لعله للكافر والمعنى انك طمعت في ان تزكى وتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق
ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك لعل ذلك مرجو الوقوع **اما من استغنى** اي عن الايمان وعما عندك من
العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القران **فانت له تصدى** اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام
بارشاده واصلاحه وفيه مزيد تنفير له صلى الله عليه وسلم عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس
من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
الى التصدي له داع الى الحرص والتهالك الى اسلامه **وما عليك الا يزكى** وليس عليك باس في ان لا يتزكى
بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار
اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا **واما من جاءك يسعى** اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام
الرشد وخصال الخير **وهو يخشى** اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة
وان لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك **فانت عنه تلهى** تتشاغل
يقال لهى عنه والتهى وتلهى اي تتلهى وفي تقديم ضميره صلى الله عليه وسلم على الفعلين
تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته صلى الله عليه وسلم اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني
ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه صلى الله عليه وسلم بمضمونهما روي
انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني **كلا** ردع له صلى الله عليه وسلم
عن التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وعما يوجبهما من القران الكريم مبالغة في
الاهتمام بامره مع انه لا طمع في اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى **انها تذكرة**
اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القران العظيم الذي
استغنى عنه من تصدى له وتحقيقه ان شانه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها
اتعظ بها كما في قوله تعالى **فمن شاء ذكره** اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا
حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقران وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل الاول للسورة
او للايات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة
والايات وان كان ذلك كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى
عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز
رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطا واساء الادب وخبط خبطا تقضي عنه العجب فتامل وكن على الحق المبين
وقوله تعالى **في صحف** متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب والحث على حفظها
اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان **مكرمة** عند الله عز وجل **مرفوعة** اي في السماء السابعة
او مرفوعة المقدار والذكر **مطهرة** منزهة عن مساس ايدي الشياطين **بايدي سفرة** اي كتبة من الملائكة
عليهم السلام ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة
يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام
بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرايع والاحكام
لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القرا لقرائتهم الاسفار وعلى اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا

هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا يكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة
قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي
ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة **كرام** عند الله عز وجل او متعطفين
على المؤمنين يكلؤنهم ويستغفرون لهم **بررة** اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه
اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه **قتل الانسان** دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى **ما اكفره**
تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القران العظيم
الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله
من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة
بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى **من اي شيء خلقه** شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل
ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع
اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدا خلقه ثم بيانه بقوله تعالى **من نطفة خلقه** تحقير له اي من اي
شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه **فقدره** فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى **ثم السبيل يسره** منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم
سهل مخرجه من البطن بان فتح له فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك
فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه **ثم اماته فاقبره** اي جعله ذا قبر يواري
فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض تغذيا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت
اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية
والنعيم المقيم **ثم اذا شاء انشره** اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة
وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها **كلا** ردع للانسان عما هو عليه
وقوله تعالى **لما يقض ما امره** بيان لسبب الردع اي لم يقض من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية
مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن
مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الايات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق
كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من التقصير لا يخلو
عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى
فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه
هو المستغني وهو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند
الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للايذان بان اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب
الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان
مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا
فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** شروع في تعداد
النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور
امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى **انا صببنا الماء صبا** اي الغيث بدل اشتمال من طعامه
لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة
اي كيف صببنا الماء اي صببناه صبا عجيبا **ثم شققنا الارض** اي بالنبات **شقا** بديعا

بديعا لايقا بما يشبهها من النبات صغيرا وكبيرا وشكلا وهياة وحمل شقها على ما بالكرات يجعل
اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه ايذانا بكلمة ثم والفا في قوله تعالى
فانبتنا فيها حبا فان الشق بمعنى المذكور لا يترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات
الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق
الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبه على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفايضة
من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبي تاكيد الفعليين بالمصدرين
فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على
حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو
نبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كانها
لتكرر قطعها وتكرره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب
وحدايق غلبا اي عظاما وصف به الحدايق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار
غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من ابه اذا امه اي قصده لانه يوم وينتجع
او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيي للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتا وعن الصديق رضي الله عنه
انه سيل عن الاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن
عمر رضي الله عنه انه قرا هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت في يده وقال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب
وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان
بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر
موكد لفعله المضمر بحذف الزوايد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك
فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى
التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم
والفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة
زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلايق اي يصيخون
لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها
وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه
وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل
منها اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الانسان الى اخره اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال
عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيا
او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فياباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استيناف
وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هايل يكفيه في الاهتمام به
واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه يفر قابيل من اخيه
هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام
من ابنه ولوط عليه السلام من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه
واقربايه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي
يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه

اذا فقدوه كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمال المذكورين وانقسامهم الى الاشقيا
والسعدا بعد ذكر وقوعهم في داهية دهيا فوجوه مبتدا وان كانت نكرة لكونها للتنويع ومسفرة خبره ويومئذ
متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي
الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
ضاحكة مستبشرة بما تشاهده من النعيم المقيم والبهجة الدايمه ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة
ترهقها تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمه اوليك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اوليك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الكفرة الفجرة
الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة عبس جا يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر ص

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها
على ان المراد بذلك اما رفعها واما لفها لفا عن فرحا فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى
يوم نطوي السما واما لف ضوئها المنبسط في الافاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم
استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طحنه فكدره اذا القاه
على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش ومدار الجميع على الارادة
وارتفاع الشمس على انه فاعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتدا واذا النجوم انكدرت اي انقضت
وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط وعنه ايضا رضي الله عنه ان النجوم
قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور بايدي ملايكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض
تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما
قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة
لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانيه واذا العشار جمع عشرا وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو
اسمها الى ان تضع لتمام السنه وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها
بانفسهم وقيل العشار السحايب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم
امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص
قال قتادة يحشر كل شي حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم
واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي احميت واهبت بتفجير
بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب
اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت
اي قرنت باجسادها اي قرنت كل نفس بشكلها بكتابها او بعملها اذ نفوس المومنين بالحور ونفوس الكفرة
بالشياطين واذا الموودة اي المدفونة حية وكانت العرب تيد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار
بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى بلغت ست سنين ذهب بها
الصحرا وقد حفر لها حفيرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت
على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته سيلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال
اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوادها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى

اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سالت اي خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها باي ذنب قتلت على الخطاب وللحكاية لكلامها حين سالت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضوان الله عليهم انه سيل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال عليه افضل الصلاة والسلام شغل الناس يا ام سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل • وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السما كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشي المستور به وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني ادم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين لقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه الاية اثنتي عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعضها للقصاص وست في الاخرة اي بعد النفخة الثانية كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلايق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف لانه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحايفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يوتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهد على صور احسن مما كانت تشاهدها على ما عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد قطعا ولو جي بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما لا يستقل بالحساب الكبريا الذي اشير بعض بدايع شونه المنبية عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وبقول من قال • قد اترك القرن مصفرا انامله •

ونقول

وبقول من قال ليث يثني من عدد قرنا به • رب فارس لي عندي وعند المقانب • قاصدا بذلك التمادي في تكثير قرنا به واظهاره براءته من التسبيد وانه ممن على كثير عائبته فضلا عن يزيد فمن لوايح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما ترك وفي الثالث كثير الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصاره في مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه من ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه من المبالغة يعني ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما تفعله وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع ان القايل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس الكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهذا ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنسها رجوعها وكنوسها اختفاوها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر • وقيل هي في جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل عليه فانه من الاضداد ولذلك سعسع قال الفرا اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حيث قال فيه •

حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها وعسعسا •

والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القران الناطق بما ذكر من الدواهي الهايلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى قيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة ورفعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على ساير الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضايلهما والموازنة بينهما ولقد راه اي وبالله لقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القران والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شي كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو اي ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول لمن شاء اي لمن شاء

منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وانما له من العالمين باعادة الجار لانهم المنتفعون بالتذكير
وما يشاؤن اي الاستقامة مشية متتبعه لها في وقت من الاوقات الا ان يشا الله تعالى اي الا وقت
ان يشا الله تعالى تلك المشية المستتبعة للاقامة فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشية الله تعالى لها
رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين ما جا في فضايل هذه السورة ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما انفطرت اي انشقت لنزول
الملايكه كقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السما فكانت
ابوابا والكلام في ارتفاع السما كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة
واذا البحار فجرت فتح بعضها فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار
بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الما بعد امتلا البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل
انمياه البحار لان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب
ما فوقها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله
تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما علمت
من ان المراد بها زمان واحد مبداه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلايق لا ازمنة متعدده حسب تعدد
كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما تقدم
واخر ما سلف من عمل خير او شر من سنة حسنه او سيئة يعمل بها بعده قال ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس
ايضا ما تقدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموالة لنفسه وقيل ما قدم
من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي اي شي خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواصل
الطامة وما يكون حينيذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض بعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما
يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شيت فان ربك كريم قد تفضل
عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطله بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال
على الايمان في الطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات
الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية
مبنية لكرم منبهة على ان من قدر على بدا قدر على اعادة والتسوية جعل الاعضا سوية سليمة معدة لمنافعها
وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقه غير ملايمة لها وقرئ فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا لتناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شا ركبك اي ركبك في
اي صورة شاها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر
والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة
ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترون على
اعظم من ذلك حيث تكذبون بالمعاد والبعث راسا وبدين الاسلام الذين هما من جملة احكامه فلا تصدقون

بها ولا بجوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه عليكم وارشادي كرم بل تكذبون
الى اخره وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشر ثم قيل انكم تتبينون بهذا البيان بل تكذبون
بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق
ما يكذبون به من الجزا والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون
ما تفعلون من الافعال قليلا او كثيرا اي يضبطونه نقيرا او قطميرا ليجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين
بالثنا عليهم تفخيم لامر الجزا وانه عند الله عز وجل من جلايل الامور حيث يستعمل فيه هولا الكرام وقوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استيناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب
والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة للجحيم
او استيناف مبني على سوال نشا من تهويلها كانه قيل ما حالهم فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزا
الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغايبين طرفة فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا
من ان الجملة المنفية الاسمية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات
بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غايبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم
حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وقوله تعالى
وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل
امره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دايرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه
فهو اعلم من ذلك واعظم اي اي شي جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس
كما هو راي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة
هنا هو لا اليوم الدين اي اي شي عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف
وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار
يوم الدين في موضع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله
بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادراكهم
مشعر بالوعد الكريم بالادراك قال ابن عباس كل ما في القران من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه
من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركة الفتح لاضافته الى غير
متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس شيا من الاشيا الى اخره او منصوب باضمار
اذكر كانه بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الى اخره
فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وكيت بذلك فانه عار عن افادة ما لم يفده ما قيل كما ان ابداله
من يوم الدين على قراة الرفع لذلك بل الحق حينيذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة نزلت من السما حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر
وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وايا ما كان فهو
مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعا والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شي حقير
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل
وقيل قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما

وبخاد بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال
خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت
فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة
الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون** الى اخره صفة كاشفة للمطففين
شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعا بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بالكيل
ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال
مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في جزء الشرط الذي كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب
فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه
تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك
للدلالة على اكتيالهم لما لهم على الناس من طريق الشهادة ونحوه مع ان التشابيع فيما بينهم يقتضي ان يكون
معنى الاستيفاء اخذ اموالهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فاذ
يكون مدارا لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا
يجري نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم مما لا كان او مما لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا
حال ما عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال
اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقولك استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة
بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة خصوصيته اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه
به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان
الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور
قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبره وان الضمير البارز في قوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه **يخسرون** اي ينقصون يقال
خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل
تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال
في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن في صورة
وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطا
لا في خصوصية الماخوذ والمعطى **الا يظن اولئك انهم مبعوثون** استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف
والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي
هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان
بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك
الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون **ليوم عظيم** لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على
مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخرا للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال
هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى **يوم يقوم الناس لرب العالمين** اي لحكمه وقضائه منصوب
باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل جر مبنيا بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين

من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى **كلا** ردع لما كانوا عليه من التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى **ان كتاب الفجار لفي سجين** الى اخره تعليل للردع او وجوب الارتداع
بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع وهو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال
الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب
الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم موحش وهو مسكن ابليس وذريته
فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون
فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى **وما ادراك ما سجين** تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية
احد وقوله تعالى **كتاب مرقوم** اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان
والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى **ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين**
اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم **وما يكذب به الا كل معتد اثيم**
اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها
اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك **قال** من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا تحيد عنه **اساطير
الاولين** اي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث
وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا تتلى على الاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك
القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك
العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالة الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها
ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال
صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا الما قالوا
والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام
اللام في الراء **كلا** ردع وزجر عن الكسب الرائن **انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** فلا يكادون يرونه بخلاف
المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة
محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة
فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة **ثم يقال** لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية
هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه **كلا** ردع عما كانوا عليه بعد ردع وتكرير زجر وقوله تعالى
ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء
حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون
فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي
الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تعظيما له وتكريما والكلام
في قوله تعالى **وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم** كما مر في نظيره وقوله تعالى **يشهده المقربون** صفة اخرى
لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون لما فيه يوم القيامة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن احوالهم
اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار **على الارائك** اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الاريكة
على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة **ينظرون** اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة
والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما يحجب الحجال ابصارهم
عن الادراك **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن
له حظ من الخطاب للايذان بان لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء **يسقون**

من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه وكوبه بالمسك دون الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التا وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالي في الشي النفيس واصله من النفيس قال الواحدي نفست الشي انفسه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوي واصله من الشي النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يظن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق اي ما يمزج به تسنيم على ان من بيانيه او تبعيضيه او من تسنيم على انها ابتدائيه والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة او لانها تاتيهم من فوق وروي انها تجري في الهوا مسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة والبا مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخره حكاية لبعض قبايح مشركي قريش جي بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين امنوا يضحكون اي يستهزون بفقرايهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقرا المومنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين امنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعات الفواصل واذا مروا بهم اي بفقرا المومنين يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فاكهين متلذذين بذكرهم بالسو والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا راوهم اي اينما كانوا قالوا ان هولا لضالون اي نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم بطريق التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجتروا عليه من القول من وظايف الرسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هولا لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعايهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن الا بالعبارة فاليوم الذين امنوا اي المعهودون من الفقرا من الكفار اي من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلا مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارايك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سو الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المومنون منهم ويأباه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المومنين منهم جزا لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في التا

وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام عن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المامور المطواع اذا ورد عليه امر الامر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الاتية بمنزلة قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها في الانبا عن كون ما نسب الى السما والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا او حقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين ساير المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتاتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شي منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقا والتخلي وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السما وقوعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها فقد مر سره فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقا مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى اخره قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الى اخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايما الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو قوله يا ايها الانسان الى اخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اي عشيرته المومنين او فريق المومنين مبتهجا بحاله قايلا هاوم اقرأوا كتابيه وقيل اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه ورا ظهره اي يوتاه بشماله من ورا ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله ورا ظهره فيوتي كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من ورا ظهره فسوف يدعوا ثبورا اي يتمنى الثبور ويدعوه يا ثبوراه تعالى فانه اوانك واني له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى ونصليه جهنم وقرئ ويصلى كقوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله مسرورا فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مترفا بطرا مستكبرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم امر ولا يخطر ببالهم امور الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحا والاتقيا والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن

انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا انه ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا
تحقيق وتعليل له اي بلى يحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزا بصيرا بحيث لا يخفى
منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه ومجازاته عليها حتما • وقيل نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاسد
واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب او البياض الذي يليها سمي به لرقته
ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وما ضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه
فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة
اربعة عشر لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة
والفظاعة • وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبي عن الاعتلا والمعنى لتركبن احوالا
بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها
وقرئ ليركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ
بكسر البا على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا
اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في ليركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا على حسب القراءة والفا في
قوله تعالى فما لهم لا يومنون لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيامة
واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فاي شي لهم حال كونهم مومنين
اي اي شي يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون
جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها فاي مانع لهم عن سجودهم وخضوعهم واستكانتهم
عند قراءة القران • وقيل قرا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المومنين
وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال ما سجدت الا بعد ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وعن الحسن رضي الله عنه صليت خلف ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن
هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق
موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في
صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضا او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السو ويدخرون لانفسهم من
انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المومنين كافة ومتصل
ان اريد به من امن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم
استئناف مقرر لما افاده الاستثنا من انتفا العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه ورا ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم والسما ذات البروج هي البروج الاثنا عشر
شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
ابواب السما فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اي يوم القيامة وشاهد ومشهود
اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد

ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة • وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم • وقيل يوم التروية
ويوم عرفة ويوم الجمعة • وقيل الحجر الاسود والحجيج • وقيل الايام والليالي وبنو ادم • وعن الحسن ما من يوم الا وينادي
اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني • وقيل الحفظة وبنو ادم • وقيل الانبيا
ومحمد صلى الله عليه وسلم قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل
كما في قول من قال • حلفت لها بالله حلفة فاجر • لناموا فما ان من حديث ولا صال •
وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشيا
انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المومنين على ما هم عليه من الايمان
وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى ياتسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقونه من قومهم ويعلموا ان هؤلا عند الله عز وجل بمنزلة اولئك الملعونين المعذبين فهم
احقا بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض ونحوهما بنا ومعنى الخق
والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر
وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فقيل كانت الدابة
اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادوا وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فساله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقده بالمنشار واتي بالغلام فذهب به
الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما
من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس
امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم
يرجع منهم طرحه فيها حتى جات امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت • وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل • وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران
فلما اصبح ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم
بعد ذلك فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر
بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير
فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول
الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها
بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى
اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود كما في قوله • بات على النار الندى والمحلق •
وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم
شهود يشهدون بما فعلوا بالمومنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه
النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المومنين في النار وهم قعود حولها
علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المومنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي

وعلى ذلك حمل قوله تعالى ولهم عذاب الحريق **وما نقموا منهم** اي ما انكروا منهم وما عابوا **الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد** استثنا مفصح عن برائتهم عما يعاب وينكر بالكليه على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى **الذي له ملك السموات والارض** للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى **والله على كل شي شهيد** وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشيا التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزا كل منهما حتما **ان الذين فتنوا المومنين والمومنات** اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا **ثم لم يتوبوا** اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى **فلهم عذاب جهنم** جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعليه وهو الاحسن لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا اصر في نسخة باذ وان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم **ولهم عذاب الحريق** وهي نار اخرى بسبب فتنتهم للمومنين **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات** على الاطلاق من المفتونين وغيرهم **لهم** بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح **جنات تجري من تحتها الانهار** ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتيه باعتبار جزيها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا **ذلك** اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير بتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة معترضة لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا للذات فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الى اخره من حيازتهم لها فان حصولها مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فيه ثمان معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع في الابتدا خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان **الفوز الكبير** الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغايب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر واطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله **ان بطش ربك لشديد** استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبي عنه التعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام لقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد **انه هو يبدي ويعيد** اي هو يبدي الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شي منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدي البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة **وهو الغفور** لمن تاب وامن **الودود** المحب لمن اطاع **ذو العرش** مبالغة وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقري ذي العرش على انه صفة ربك **المجيد** العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود وتام القدرة كامل الحكمة وقري بالجر على انه صفة ربك او للعرش ومجده وعظمته **فعال لما يريد** بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى او افعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى **هل اتاك حديث الجنود** استينافا مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة والعصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود **فرعون وثمود** بدل من الجنود لانه المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك شوون الله عز وجل

واندرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى **بل الذين كفروا في تكذيب** اضراب من مماثلتهم لهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستغرقون في تكذيب شديد للقران الكريم او قيل لبيت جنايتهم بمجرد عدم التذكرة والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقران الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثه بل يكون ما نطق به قرانا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة **والله من ورائهم محيط** تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط **بل هو قران مجيد** رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهيه في النظم والمعنى وقري مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد **في لوح محفوظ** اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقري محفوظ بالرفع على انه صفة قران وقري في لوح وهو الهوا اي ما فوق السما السابعة التي فيه اللوح • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات •

بسم الله الرحمن الرحيم والسما والطارق • الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جا ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقه وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في كل التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال فيه

• طرق الخيال ولا كليلة مدلج • سدكا بارحلنا ولم يتعرج •

والمراد به ها هنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى **وما ادراك ما الطارق** تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدا حسبما بين في نظايره اي واي شي اعلمك ما الطارق وقوله تعالى **النجم الثاقب** خبر مبتدا محذوف والجمله استيناف وقع جوابا عن استفهام نشا عما قبله كانه قيل ما هو النجم المضي في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود وقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السما السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعه وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلايق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال قدره ومحله ما لا يخفى وقوله تعالى **ان كل نفس لما عليها حافظ** جواب للقسم وما بينهما اعتراض جي به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد الجملة المقسم عليها وان نافيه ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شي رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الاية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقري لما مخففه على ان ان مخففه من الثقيله واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقه وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفا في قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق** للتنبيه على انه لما بين ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها

من قوة وفعل مستوجب على الانسان اذ يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل هو اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى **خلق من ماء دافق** استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى **يخرج من بين الصلب والترائب** اي صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضا معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهي في الصلب وهي نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصتا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب **انه** الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء كما ذكر **على رجعه** اي اعادته بعد موته **لقادر** لبين القدرة **يوم تبلى السرائر** اي يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه **فما له** اي للانسان **من قوة** في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ينصره **والسماء ذات الرجع** اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفول ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا **والارض ذات الصدع** هو ما تتصدع عنه الارض من النبات ومصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقيقة القران الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون **انه** اي القران الذي من جملته ما تلي من الايات الناطقة بمبدا حال الانسان ومعاده **لقول فصل** اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل **وما هو بالهزل** ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله محض جد لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة **انهم** اي اهل مكة **يكيدون** في ابطال امره واطفاء نوره **كيدا** حسبما تفي به قدرتهم **واكيد كيدا** اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون **فمهل الكافرين** اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك اي لا تستعجل به والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه اكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى **امهلهم** بدل من مهل وقوله تعالى **رويدا** اما مصدر موكد بمعنى الفاعل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان اخران كونه اسم فعل نحو رويدا زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السما عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ **سبح اسم ربك الاعلى** اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه

الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بغيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى **والذي قدر** اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اي قدر اجناس الاشيا وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا او يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها فترجع باصرة باذن الله تعالى ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا راه التمساح يفتح له فمه فيدخله الطائر فياكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه الفم هذا وانما قرن هدايته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير **والذي اخرج المرعى** اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف **فجعله** بعد ذلك **غثاء احوى** اي دريئا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى **سنقرئك فلا تنسى** بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته صلى الله عليه وسلم لتلقي الوحي وحفظ القران الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله عليه وسلم لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء الوحي اليك حينئذ وما سيوحى اليك بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع تضاعيف ما تقروه من الايات البينات

من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالغيبات

وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى واضلونا السبيلا وقوله تعالى **الا ما شاء الله** استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقروه شيئا من الاشيا الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ بالكلية اذ هو المنفي راسا الا ما قد يشيء ثم يذكر **انه يعلم الجهر وما يخفى** تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم **ونيسرك لليسرى** عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به صلى الله عليه وسلم مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه صلى الله عليه وسلم من اليسرى

والتصرف فيها بحيث صارت ملكة راسخة له كانه صلى الله عليه وسلم جبل عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية ويندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه صلى الله عليه وسلم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى **فذكر ان نفعت الذكرى** اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما انه صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر صلى الله عليه وسلم بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير الذكرى فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى **سيذكر من يخشى** اي سيذكر بتذكيرك من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هنا محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي **ويتجنبها** اي الذكرى **الاشقى** من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى** اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم **ثم لا يموت فيها** فيستريح **ولا يحيى** حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلي **قد افلح** اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه **من تزكى** اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى وتذكر تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها **وذكر اسم ربه** بقلبه ولسانه **فصلى** اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلاة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبر يوم العيد فصلى اي صلاته **بل تؤثرون الحياة الدنيا** اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الاية والكل فالمراد بايثارها هو اعم مما ذكر مما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى **والاخرة خير وابقى** حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره **ان هذا** اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح

من تزكى الى قوله تعالى وابقى في السورة جميعا **لفي الصحف الاولى** اي ثابت فيها معناه **صحف ابراهيم وموسى** بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم التوراة والانجيل والزبور والفرقان. ما جاء في فضائل هذه السورة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم • **هل اتاك حديث الغاشية** قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام اريد به التعجيب بما في خبره والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الى اخره وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى من فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى **وجوه يومئذ خاشعة** الى قوله مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس لم يكن اتاه صلى الله عليه وسلم حديثها فاخبره جبريل عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الى اخره فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى **عاملة ناصبة** خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة وقوله تعالى **تصلى** اي تدخل **نارا حامية** اي متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقدم عبرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المتكلم قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع فيه مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها **تسقى من عين انية** اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم ان **ليس لهم طعام الا من ضريع** بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طالبين للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين **لا يسمن ولا يغني من جوع** اي ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند تناولهما بل جوعهما عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال

شئ كيف يعلوها ويخرج ما فيهما من اللهب واما ان يكون شوق الى قطعوهما او التذاذ به عند الاكلات عبارة عن العين
او استفادة قوة فيهيات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عن اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شئ مايع بارد
يطفوا من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعني بما روي انه تعالى يسلط عليهم
الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع واذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم
ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني عن جوع ما وتاخير نفي الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به
الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى نفي ذكر الاسمان ضرورة عليه استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف
العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع لرواية حديث اهل الجنة بعد حكاية
سوء اهل النار عما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي قبله لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم
حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار عما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في
اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم يعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن
كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهد
ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او عالية المقدار لا يسمع اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء
ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح
والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه
مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر
على انها بدل اشتمال من الابل اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل
فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن
سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هياتها اللائقة بتاتي ما يصدر عنها من
الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع
والعطش حتى ان اظماءها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها الى كل ما يتيسر من شوك
وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون
والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف ما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء
التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث
لا يناله الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت
نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت
سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا
وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر
والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار
والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر
لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا
يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم

بمسيطر

بمسيطر تقرير وتحقيق بمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار
وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء وهي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم
سطره الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر
الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق الاكبر
وما بينهما اعتراض ويعضده انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب
الاكبر اي الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيما بعده باعتبار معنى
من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايّابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعّال من اوب كقتال
من قتل ثم قيل ايوابا كديوان في دوّان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم
في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كونهما اليه
تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية
على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب
ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم
بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام
والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسري
اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة
ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاصل
هل في ذلك قسم الى آخره تحقيق لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال
عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها او للتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى
الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف
اي هل فيما ذكر من الاشياء المقسم به قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقة بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق
ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام
لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من
التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه ينهى ويعقل وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء
يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله
عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الى آخره استشهادا بعلمه صلى الله عليه وسلم بما يدل عليه من تعذيب
عاد واضرابهم المشاركين لقومه صلى الله عليه وسلم في الطغيان اي الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم
فسيعذب هؤلاء على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم
في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم
فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم

هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنوا هاشم هاشما. وقد قيل لاوايلهم عاد الاولي ولاواخرهم عاد الاخرة
قال عماد الدين ما ورد في القران خبر عاد الاولي الا في سورة الاحقاف وقوله تعالي **ارم** عطف بيان اما للايذان
بانهم عاد الاولي بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم علي ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها
ويؤيده القراة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقري ارم باسكان الرا تخفيفا كما
قري بورقكم **ذات العماد** صفة لارم اي ذات القدود الطوال علي تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم
رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البنا الرفيع او
ذات الاساطين علي ان ارم اسم بلدتهم وقري ارم ذات العماد باضافة ارم الي ذات العماد والارم العلم اي
بعاد اهل اعلام ذات العماد علي انها اسم بلدتهم. وقري ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالي رميما بدلا من
فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة. وروي انه كان له ابنان شديد وشداد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلف الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال
ابني مثلها فبني ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
وحليتها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناوها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها علي مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالي عليهم صيحة من السما فهلكوا. وعن عبد الله
ابن قلابة انه خرج في طلب ابل له ثم التفت فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمه وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الي كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير
علي حاجبه خال وعلي عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الي ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخري لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان الرجل
منهم طوله اربعمائة ذراع وكان ياتي بالصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها علي الحي فيهلكهم. او لم يخلق مثل مدينة
شداد في جميع بلاد الدنيا وقري لم يخلق علي اسناده الي الله تعالي **وثمود** عطف علي عاد وهي قبيلة مشهورة
سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عامر ابن ارم ابن سام ابن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة
يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد **الذين جابوا الصخر بالواد** اي قطعوا
صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالي وتنحتون من الجبال بيوتا وقيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذي الاوتاد**
وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد **الذين طغوا**
في البلاد اما مجرور علي انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع علي الذم اي طغا كل طايفة منهم في
بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالي **فاكثروا فيها الفساد** اي بالكفر وساير المعاصي **فصب عليهم**
اي انزل انزالا شديدا علي كل طايفة من اوليك الطوايف عقب ما فعلت من الطغيان والفساد **ربك سوط**
عذاب اي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في ساير
السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الي ان ذلك بالنسبة الي ما اعد له في الاخرة بمنزلة السوط عند السيف
والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شي مايع او جار مجراه
في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة وتسميته الي السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار
تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك علي المضروب بالشي المصبوب. وقيل السوط خلط الشي بعضه ببعض فالمعني
ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر لهم بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة
حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكثير تعلقه بالمعذب كما في المعني الاول فان كل واحد من هذه المعاني
مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالي **ان ربك لبالمرصاد** تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلي الله عليه وسلم

فعلى هذا الآية الكريمة
وليس على ان الحاكي
نزولها في حاج

سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبي عنه التعرض بعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميره صلي الله عليه وسلم
وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض المرصاد المكان يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالا لتقات من وقته
وهذا تمثيل لارصاده تعالي بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالي **فاما الانسان** الي اخره متصل بما قبله
كانه قيل انه تعالي بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه
ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذايذها **اذا ما ابتلاه ربه** اي عامله معاملة من يبتليه
بالغنا واليسار والفاء في قوله تعالي **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام بالتنعيم عين الابتلاء **فيقول**
ربي اكرمني اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل به
عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان والفا لما في اما من معني الشرط والظرف المتوسط
علي نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان
من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي **واما اذا ما ابتلاه** اي واما هو
اذا ما ابتلاه **فقدر عليه رزقه** حيث ما تقتضيه مشيئته المبنية علي الحكم البالغة **فيقول ربي اهانني**
ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس في الاهانة في شي بل التقدير قد يودي الي كرامة
الدارين والتوسعة قد تفضي الي خسرانهما وقري فقدر بالتشديد وقري اكرمني واهانني باثبات اليا واكرمن
واهانن بسكون النون في الوقف **كلا** ردع للانسان عن مقالته المحكيه وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين
قال ابن عباس المعني لم ابتله بالغني لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضا والقدر وحمل
الردع والتكذيب الي قوله الاخير بعيد وقوله تعالي **بل لا يكرمون اليتيم** انتقال من بيان سوء اقواله الي
بيان سوء افعاله والالتفات للخطاب للايذان باقتضا ملاحظة جناياته السابقة لمشافهته بالتوبيخ
تشديدا للتقريع وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معني الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد
شرا مما ذكر وادل علي تهالككم علي المال حيث يكرمكم الله تعالي بكثرة المال فلا تودون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم
بالمبرة به وقري لا يكرمون **ولا تحاضون** بحذف احدي التاءين من تتحاضون اي لا يحث بعضكم بعضا **علي**
طعام المسكين اي علي اطعامه وقري تحاضون بالتاء واليا **وتاكلون التراث** اي الميراث واصله وراث **اكلا**
لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النسا والبنات ويأكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه
المورث من حلال وحرام عالمين بذلك **وتحبون المال حبا جما** كثيرا مع حرص وشره وقري يحبون بالياء **كلا** ردع
لهم عن ذلك وقوله تعالي **اذا دكت الارض دكا دكا** استيناف جي به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض
دكا متتابعا حتي انكسر وذهب كل ما علي وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك
حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعني سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق علي وجهها شي حتي صارت كالصخرة الملسا
واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية **وجاء ربك** اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما
ظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالي وقضاؤه علي حذف المضاف للتهويل
والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه تنزل يومئذ ملايكة كل سما فيصطفون صفا بعد صف محدقين
بالجن والانس **وجيء يومئذ بجهنم** كقوله تعالي وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل
تقاد جهنم بالف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتي تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير
رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا **يومئذ** بدل من اذا دكت والعامل فيه قوله تعالي **يتذكر الانسان**
اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة اثاره واحكامه او بمعاينة عينه علي ان الاعمال تتجسم في النشاة
الاخرة فتبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالي **واني**
له الذكري اعتراض جي به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرايه عن الجدوي لوقوعه في غير اوانه وانه خبر مقدم والذكري

ولا تحاضون

مبتدأ او له متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه لانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه واما ما قيل من ان المحجوب قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من فعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى برد اليقين بحيث لا يخالطها ريب وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند الموت وقيل عند البعث ارجعي الى ربك او الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي اي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان مخلوق مغمورا في مقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله صلى الله عليه وسلم به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقيق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته صلى الله عليه وسلم بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له صلى الله عليه وسلم مكة

وفتحها عليه

وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله واحلت له فاحل صلى الله عليه وسلم ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولن تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لبيوتنا وقبورنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى وما ولد اسماعيل والنبي صلى الله عليه وسلم حسب ما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسماعيل ومسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة لترشيح مضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالة الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصل كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزول قدماه اي ايظن ان لن يقدر على الانتقام منه احد هذا القوي المبادر المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشان المحذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق فانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة مسلكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على انه بدل من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمين والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي اصحاب الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحا بالفتح والمد امتداد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها اي تبعها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلاها في طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها الافاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نائبة الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا كما في قولك اقسم بالله حقق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشاها وابدعها مستعدة لكمالها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس ادم عليه السلام والتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي فهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اي نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تاويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالح عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراته على الله او اهلكوا بالتكذيب اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطا وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيفت تصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به فقال لهم رسول الله لثمود اي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي وعيده في قوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم ويجوز ان يكون ضمير لهم للاشقين والا بالاية ذكر سقياها فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير حذفه للرضا الكل بفعله ۝ وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم ۝ وقال الفراء عقرها اثنان والعرب يقولون هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتعرض بذلك مع دلالة الفاء عليه للايذان بعاقبة الذنب ليعتبر كل مذنب فسواها اي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغيرهم وكبيرهم او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقا وذلك لانه تعالى

لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو فيها للحال او للاستيناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانه تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر ۝ والله سبحانه وتعالى اعلم ۝

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي حين الشمس لقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما ادم وحوى وقرئ والذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى اخره تفصيل لتلك المساعي المتشعبة وتبيين لاحكامها اي فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى وصدقا التي هي عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى اي زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصديرهما بالتسمين بالاعطا والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغنا وتفسير الاول بالاعطا الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر ياباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي لا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هاهنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا الاخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كما نشا فنفعل فيهما ما نشا من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والاخرة فلا يضرنا ترككم الاهتدا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقا الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونها ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد باتيانما يؤتي مجازاتها

وقوله تعالى **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى** استثناف منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع
اما عن الفاعليه او على الابتدا او من مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يوتي ماله الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى لمكافاة نعمة والايات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يوذيهم
المشركون فاعتقهم فلذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روي عطا والضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال لا يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني
الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ
رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف وقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون
ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له فنزلت وقوله تعالى **ولسوف يرضى** جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف
يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا
للمفعول من الارضا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار
قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والتي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى
وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا **والليل**
جنس الليل **اذا سجى** اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة
ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة
المعراج وقوله تعالى **ما ودعك ربك** جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك **وما قلى**
وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغنا عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية
مع ان فيه مراعاة الفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثنا كما مر في
سورة الكهف او لزجره سايلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له
صلى الله عليه وسلم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلي انه تعالى مواصله بالوحي
والكرامة في الدنيا بشره عليه صلى الله عليه وسلم بان ما سيوتيه في الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل
وللاخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوايب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار
وما اوتي صلى الله عليه وسلم من شرف النبوة وان كان لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه يخلو في الدنيا
من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عندما اعد له صلى الله عليه وسلم في الاخرة من السبق
والتقدم على كافة الانبيا والمرسلين يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهدا على ساير
الامم ورفع درجات المومنين واعلا مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها
العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاخرة عاقبة امره صلى الله عليه وسلم
اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال متزايدا قوة ومتصاعدا رفعة وقوله تعالى **ولسوف يعطيك ربك فترضى**
عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر
واعلا الدين بالفتوح الواقعة في عصره صلى الله عليه وسلم وفي ايام الخلفا الراشدين وغيرهم من الملوك
الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها
الا الله عز وجل وقد انبا ابن عباس عن شمة منها حيث قال له صلى الله عليه وسلم في الجنة الف قصر من لولو

ابيض وترابه المسك واللام للابتدا دخلت على الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك الى اخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطا
كاين لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم فاعلة التلازم بينها وبين نون التوكيد قد استثنى النحاة
منها صورتين احديهما ان يفصل بينها بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون والاية قوله واسلبك
والثانيه ان تفصل بينهما بحرف التنفيس كهذه الاية كقوله تعالى لاني استحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه
اللام هي التي في قولك ان زيدا لقايم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه
قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللاخرة الى اخره وقوله تعالى **الم يجدك يتيما فاوى**
تعديد لما افاض عليه صلى الله عليه وسلم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعما العظام ليستشهد
بالحاضر الموجود على المرتب الموعود فيطمين قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي
على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الى اخره والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة
ويتيما حال من مفعوله روي انه صلى الله عليه وسلم اذا باه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر
وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه وقرئ فاواه وهو من اواه بمعنى اواه
اذا رحمه وقوله **ووجدك ضالا** عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي
بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرايع التي لا تهتدي اليها العقول
كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل
ضل مرة اخرى فطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا
ينادي من السما يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر التمر
فسار عبد المطلب وورقة ابن نوفل فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق
وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجات به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق
الشام حين خرج به ابو طالب وروي ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة مظلمة فعدل به عن الطريق فجا جبرايل عليه السلام
فنفخ فيه نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة **فهدى** فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف
ما يوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك **ووجدك عايلا** اي فقيرا
وقرئ عديما **فاغنى** فاغناك بمال خديجة او بما حصل من ربح التجارة او بما افا عليك من الغنايم قال صلى الله عليه
وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك فاغنى قلبك **فاما اليتيم فلا تقهر** فلا تغلبه على ماله وقال
مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر بالكاف اي فلا تعبس في وجهه **واما السايل فلا تنهر** فلا تزجره ولا تغلظ له
القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوايل يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي
السايل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهلكم بشي وقيل المراد بالسايل هاهنا الذي
يسال عن الدين **واما بنعمة ربك فحدث** بشكرها واشاعتها واظهار اثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله
تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت
يتيما ضالا وعايلا فاواك وهداك واغناك فمهما يكن من شي فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى اقتد بالله واحسن
كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فاوه وترحم على السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث
بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته صلى الله عليه وسلم للضلال
وتعليمه الشرايع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له
بعدد كل سايل ويتيم والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلاً لأحوال
النفس مخزناً لسرائرها من العلوم والإدراكات والملكات والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها
بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الأنسية أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع
بين ملكتي الاستفادة والإفادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية
وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل أريد به ما روي أن جبريل أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما
ذكر أو أنموذج جسماني لما يظهر له صلى الله عليه وسلم من الكمال الروحاني وإنما التعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام
الإنكاري عن انتفائه للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور
مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه صلى الله عليه وسلم ومصالحه مسارعة
إلى إدخال المسرة في قلبه صلى الله عليه وسلم وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا
إلخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى
تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف
النظم الكريم أي حططنا عنك عبئك الثقيل الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض
والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعي إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله صلى الله عليه وسلم مما كان يثقل
عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام
المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ
وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عليك وقرئ ورفعنا لك ذكرك يعني النبوة وأحكامها
أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعة الله تعالى
وصلى عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم والكلام في العطف
وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فإن مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة تعزير لما قبله ووعد كريم
بتيسير كل عسير له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة
بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمة مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن
للعسر إن مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقوله
إن للصائم فرحتين فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين
فإن المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني
فرد مغاير لما أريد بالأول فإذا فرغت أي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب
شكراً لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء
وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وإلى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر
على إسعافه لا غيره وقرئ فرغب أي فرغب الناس إلى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح
فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون
خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له
وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة
من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو داود أنه أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم
تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه فإن فاكهة الجنة بلا عجم
فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما التين يزيل نكهة الفم
ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه
بدهنه الكثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته المباركة المشهورة في التنزيل
ومر معاذ بن جبل بشجرة زيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك
الأنبياء قبلي وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور زيتا وطور تينا لأنهما منشأ التين
والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل
ومنابت التين والزيتون وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال
محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيلياء وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي
بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى
والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت
وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل
الذي ناجى موسى عليه ربه وسينين وسيناء علم للموضع ولذلك أضيف إليهما وسينون كبيرون في جواز الإعراب
بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الإعرابية وهذا البلد الأمين أي الآمن من أمن الرجل
أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخل إليها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز
أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذي
أمن ووجه الإقسام بهذه البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين
لقد خلقنا الإنسان أي جنس الإنسان في أحسن تقويم أي كائناً في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة
ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء
عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه
فقد عرف ربه وقال النفس الإنسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير
والتصرف وتستعمله كيف ما شاءت فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل الجسمانية بعثته إلى القلب من الروح
الحيواني البدني هو أعدل الأرواح وأصفاها وأقربها منها جا وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات الفا
روحانياً وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الأرواح إلى الدماغ الذي هو منبت الأعصاب التي فيها
القوى المحركة للإنسان فعند ذلك يتحرك من الأعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة
فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه بهذا على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن
يترقى إلى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلاً في العالم أو خارجاً
منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل عليهم ولهم بما ذكر
من الأرواح والقوى المرتبة في العالم الإنساني الذي هو نسخة الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه

اسفل سافلين اي جعلناهم من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل جريا نه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاه لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع عن طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لشدة التوبيخ والتبكيت اي ما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل فالمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان يكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكافر وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب. عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين. وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرا متلبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه اشير التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالخلق الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعل هذا هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة

لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته بذلك اولا ليستشهد عليه عليه الصلاة والسلام على تمكينه له تعالى من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرا اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الى اخره فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينه صلى الله عليه وسلم من العذر بقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرا وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه الذي هو الاكرم الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى اخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر ان راه استغنى مفعول له اي ليطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعله من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقتضي منه العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فراه صلى الله عليه وسلم في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتاكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما في قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة ومن حيث صدق فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي الامر بالتقوى تكدسا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني ليساء مسد الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارايت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى

فيما يومر به من عبادة الاوثان كما تعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن **الم يعلم بان الله يرى** اي يطلع على احواله فيما يديه بها حتى اجترا على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بالشرطيه مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظما في سلك الشرط الاول لعطفهما على كان للايذان باستقلالهما للوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر فرضي ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدايرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت في الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى وكان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احوال من هداه وضلاله ويجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امرا بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى فكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاه الى الله تعالى امرا بالتقوى وقيل هو امية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع للناهي وزجر له وقد اللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر **لنسفعا بالناصية** لناخذن بناصيته الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وقوة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفا بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطية** بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي وهو لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطي **فليدع ناديه** اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملايكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الملايكة عيانا **كلا** ردع بعد ردع وزجر بعد زجر **لا تطعه** اي دم على ما انت عليه من معاصاته **واسجد** وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به **واقترب** وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم • **انا انزلناه في ليلة القدر** تنويه بشان القران الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبي عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى **وما ادراك ما ليلة القدر** لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دايرة دراية الخلق لا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** فانه بيان اجمالي لشانها اثر تنويه

صلى الله عليه وسلم اليه درايتها فان ذلك انما يعرب عن الوعد بادرايها فخامتها وتقرير كيفية اعرابها لجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السما الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتدا انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انا انزلناه في فضل ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه خشيت ان ينزل في قران وقول عايشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل في قران والانسب ان يجعل الضمير حينيذ للسورة التي هي جزء من القران لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتاره واكثر الاقاويل انها السابعة والعشرون ولعل السر في اخفايها تعريض من يريدها للثواب باحيا الليالي الكثيرة رجا لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضايها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على ساير الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرايل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من الف شهر مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق ان يسموا عابدين من اوليك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار العباد كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لساير الامم وقيل لما كان ملك سليمان عليه السلام خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى **تنزل الملايكة والروح فيها** استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبا ما قيل في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملايكة لا يراهم الملايكة الا تلك الليلة اي تنزل الملايكة والروح في تلك الليلة من كل سما الى الارض او الى السما الدنيا **باذن ربهم** متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله متلبسين باذن ربهم اي بامره **من كل امر** اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة او معا بلغوا له تعالى يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امري اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه **سلام هي** اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلا او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المومنين **حتى مطلع الفجر** اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم بعد خروج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بنا على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم • **لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيايهم **والمشركين** اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول **منفكين** اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في اخر الزمان ويقولون لاعدايهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم

مقيد والانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الي كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه **حتى تاتيهم البينة** التي قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير باتيانها عن صيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى **رسول** بدل من البينة عبر عنه صلى الله عليه وسلم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكون ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى **من الله** متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كاين منه تعالى وقوله تعالى **يتلوا** صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار **صحفا مطهرة** اي منزهة عن الباطل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه صلى الله عليه وسلم من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى **فيها كتب قيمة** صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان تكون الصفة والحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** الى اخره كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبي عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى الجنس للطايفتين وحيث كان حال المشركين باعتبار انفكاكهم على الراي المذكور في حكم حال اهل الكتاب لم يتعرض لهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا باستقلال كل فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور في حكم ليس بطريق الاتفاق على راي اخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى **الا من بعد ما جاءتهم البينة** استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم البينة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى **وما امروا الا ليعبدوا الله** جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله **مخلصين له الدين** اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين **حنفاء** مايلين عن جميع العقايد الزايغة عن الاسلام **ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة** ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي من جملتها **وذلك** اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته **دين القيمة** اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تاويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله تعالى كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينيذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى اخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوا سببا لثباتهم عليه وتعديد انفكاكهم عنه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار ومن حيث بان هذا انما يتيسر بعد الثبات والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد بهم تفرقهم

فرقا فمنهم من امن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القايل فتامل **ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم** بيان لحال الفريقين في الاخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الان اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي الا انها ظهرت في هذه النشاة بصورة عرضية وستخلعها في النشاة الاخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف **خالدين فيها** حال من المستكن واشتراك الفريقين في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دايرة العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان **اوليك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبايح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اوليك البعداء المذكورون **هم شر البرية** شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سياتي في حق المومنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او اشرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمزة على الاصل **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات** بيان لمحاسن حال المومنين اثر بيان حال الكفرة جريا على السنة القرانية من شفع الترغيب بالترهيب **اوليك** المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة **هم خير البرية** وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد **جزاؤهم** بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات **عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار** ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود **خالدين فيها ابدا** متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابدية من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى **رضي الله عنهم** استيناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم **ورضوا عنه** حيث بلغوا من المقاصد اقاصيها وملكوا من المآرب نواصيها واتيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **ذلك** اي ما ذكر من الجزاء والرضوان **لمن خشي ربه** فان الخشية التي هي من خصايص العلماء من شؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية لاسعاد الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مسا ومقيلا ° ه

بسم الله الرحمن الرحيم ° **اذا زلزلت الارض** اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا **زلزالها** اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله تعالى **واخرجت الارض اثقالها** اي ما في جوفها من الاموات والدفاين جمع ثقل وهو متاع البيت

واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايما الي تبدل الارض غير الارض ولان اخراج الاثقال حال
بعض اجزايها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة
ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر
الهايل وقد سيرت الجبال في الجو وصارت هبا وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول
المومن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالي تحدث اخبارها
عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال
حيث ينطقها الله تعالي فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انها تشهد علي كل احد
بما عمل علي ظهرها وقري تنبي اخبارها وقري تنبي اخبارها بان ربك اوحي لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحا ربك
لها وامره اياها بالتحديث يستعمل باليا وبدونها واوحي لها بمعني اوحي اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر
يصدر الناس من قبورهم الي موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه امنين
وسود الوجوه فزعين كما مر قوله تعالي فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الي الجنة
وذات الشمال الي النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا وقري ليروا بالفتح وقوله تعالي
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفسير ليروا وقري يره والذرة النملة
الصغيرة وقيل ما يري من شعاع الشمس من الهبا وايا ما كان فمعني رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزايها
فمن الاولي مخصصة بالسعدا والثانية بالاشقيا كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المومن المجتنب
عن الكباير معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالي وقدمنا الي ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزا ولا عدمه بل يفوض كل منهما الي سائر الدلايل
الناطقة بعفو صغاير المومن المجتنب عن الكباير واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته
بجميع معاصيه فالمعني ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالي اياه
اما المومن فيغفر له سياته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقب بسياته • عن النبي صلي الله
عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كمن قرا القران كله • والله اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي
تعدو اي تعدو العدو وقوله تعالي ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح وهو صوت
انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال علي انه مصدر بمعني
الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايرا اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاوري اي فالتي توري النار
من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا علي الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسند الاغارة التي هي مباغتة العدو
للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد
في الغارات يعدون ليلا لا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالي
فاثرن به عطف علي الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعني واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن
بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايرا
الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقري فاثرن بالتشديد
بمعني فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معني الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او بالنقع ملتبسات
بالنقع جمعا من جموع الاعدا والفاآت للدلالة علي ترتيب ما بعد كل منها علي ما قبلها كما في قوله • يا لهف زيابة للحارث

الصالح فالغانم فالايب فان توسيط الجمع مترتب علي الاغارة الاثارة المترتبة علي الاغارة المترتبة علي الايرا المترتب
علي العدو وقوله تعالي ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان
افراده روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث الي اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري
وكان احد النقبا فابطا عليه صلي الله عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة
اخبارا للنبي صلي الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها علي القوم ونعيا علي المرجفين في حقهم
ما هم عليه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل
وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هولا في حق اصحابها ما ارجفوا انهم مغالبون في الكفران
وانه علي ذلك اي وان الانسان علي كنوده لشهيد يشهد علي نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه
لحب الخير اي المال كما في قوله تعالي ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيع له مجد في طلبه وتحصيله متهالك
عليه يقال هو شديد عليه لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيعا له ضابطا وقيل لشديد اي لبخيل اي لاجل
حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايما الي
ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الي النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم
ويحوزون من الغنايم نصيبا وقوله تعالي افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور تهديد ووعيد والهمزة للعطف علي
مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبايح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور
من الموتي وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلا وقري بحثر وبحث علي بنائهم للفاعل وحصل
اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقري حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار
الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين
كني عنهم بعد الاحيا الثاني بضمير العقلا بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بنا علي تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره
بعد الاحيا الاول حيث التفت الي الخطاب في قوله تعالي وجعل لكم السمع والابصار الاية بعد قوله تعالي ثم سواه
ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم
وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور
لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزا متصلا به كما ينبي عنه تقييده بذلك اليوم والا
لمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالي بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة
الفواصل واللام غير مانعة من ذلك • وقرا ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير • عن النبي صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا •

بسم الله الرحمن الرحيم • القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد
بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولي ومنتهاها فصل القضا بين الخلايق
كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام
من العلوية والسفلية من حال الي حال السما بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار
والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدا خبره قوله تعالي ما القارعة علي ان ما الاستفهامية خبر والقارعة
مبتدا لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مدار الافادة التهويل والتفخيم
هاهنا هو كلمة ما القارعة اي شي عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا
للتهويل وقوله تعالي وما ادراك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق

على معنى انه عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتدا
وادراك الخبر ولا سبيل الى العكس هاهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادري
يتعدى الى المفعول الثاني بالبا كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية المتعلقة
له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول
اي فاي شي اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبيا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان
مضارعا كما هو راي الكوفيين اي هو يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة
والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة
وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفة اذكر يوم يكون الناس الى اخره فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه
ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اي يقرع يوم يكون الى اخره وقيل تقديره ستاتيكم القارعة
يوم يكون الى اخره وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق
اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين
من اثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل عز وجل الارض غير الارض وتغيير الجبال عن هيئاتها
على ما ذكر من الهيئات الهائلة التي يشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن
تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام
وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل حتى قوله تعالى فاما من
ثقلت موازينه الى اخره بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال
الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى كما قاله الفرا او جمع
ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحايف الاعمال
فينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضا السوي والحكم العادل وبه
قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير
الاجسام فكيف على ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة
بصورة عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه يوتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
اي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضا او مرضية واما من خفت موازينه
بان لم يكن لها حسنة يعتد بها او ترجحت سياته على حسناته فامه اي فماواه هاوية هي من اسما النار
سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوون فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم الباب الاسفل
فيها وعبر عن الماوى بالام لان اهلها ياوون اليها كما ياوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى
فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه
نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير
الهاوية والها للسكت واوصل القاري حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في
المصحف وقد اختير اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى
[illegible]
موازينه يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة
والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام
فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم
والمعنى انكم تكاثرتم بالاحيا حتى زرتم المقابر اي حتى استوعبتم المقابر عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر
بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر
فلان وهذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان
متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة
عن الموت وقري الهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم
همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سو مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم
عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم
ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب
قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها
تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة
والثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى
مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان
الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفا اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع
اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها
على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا
واعطي من الاجر كانما قرا الف اية والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم سبحانه وتعالى
بصلاة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة
على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران
في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس بالباقي النفيس واستبدلوا
الباقيات الصالحات بالغاديات الرايحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم
وقوله تعالى وتواصوا بالحق الى اخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي
لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه
ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى
الطاعات التي يشق عليها اداوها على ما يبلوا الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه

تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتنا به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضي به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل تلقي ما ورد عنه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر • والله تعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل** مبتدا خبره **لكل همزة لمزة** وساغ الابتدا به مع كونه نكرة لانه دعا عليهم بالهلكة اي شدة الشر والهمزة بالكسر والهمز واللمز الطعن للهمز شاع في الكسر مع اعراض الناس وان نطعن فيهم وبنا فعله على ان ذلك للدلالة منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعبة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزئ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد ابن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم **الذي جمع مالا** بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم الموافق لقوله تعالى **وعدده** وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر • وقيل وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان • وقيل هو فعل ماض بفك الادغام **يحسب ان ماله اخلده** اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار • وقيل عشرة الاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع **كلا** ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى **لينبذن** جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه الافعال المذكورة **في الحطمة** اي في النار التي من شانها ان تحطم وتكسر كلما يلقى فيها كما هو شان ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى **وما ادراك ما الحطمة** لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي يتناولها عقول الخلق وقوله تعالى **نار الله** خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اي هي نار الله **الموقدة** بامر الله عز وجل سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفه بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه **التي تطلع على الافئدة** اي اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشد تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال الخبيثة السيئة **انها عليهم مؤصدة** اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته **في عمد ممددة** اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اي هم في عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقا اي الكائنة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق • اللهم بفضلك وكرمك يا كريم يا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين اجرنا منها يا خير مستجار • وقرئ عمد بضمتين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم • والله سبحانه وتعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم بانكار عدمها وكيف متعلقة بفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الى اخره لتهويل الحادثة والايذان بان وقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بنيه وشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها روي ان ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى صنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحجاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها بالليل فاغضبه ذلك • وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثني عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه الفيل محمود وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات يهرول فارسل الله تعالى طيرا سودا • وقيل خضرا • وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله واعضاؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شانها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان وسيما جسيما وقيل لابرهة هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساط • وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم من قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذ لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة واخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعوا فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لغريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير وكان ما كان • وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الرا للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى **الم يجعل كيدهم في تضليل** الى اخره بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق وكذلك عطف على الجملة الاستفهامية بما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير **وارسل عليهم طيرا ابابيل** اي خرائق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها • وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع وتانيثه باعتبار المعنى **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال **فجعلهم كعصف ماكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حاله • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والخسف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **لايلاف قريش** متعلق بقوله فليعبدوا والفا لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعم الجليلة

وقيل بمضمر تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة
بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل
احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن
وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز
فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف
قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير
القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو
الكسب لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول
ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتا الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق
الايلاف عن المفعول اولا وابداله هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم
رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد
به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وامنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف
التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد
به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي
يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام
ان لم تعرفه او ان اردت تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض
لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه على ما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر
والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسال من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان
نحر جزورا فسال يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو
رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله
وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك
مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى فويل الى اخره اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان
ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلايل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلين غير مبالين بها الذين هم يراءون اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء
عليهم ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما
ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والريا الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام
وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب الدعا عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين
موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الدين غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا ٥

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انا انطيناك الكوثر اي الخير
المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة
وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه
الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السما وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارديه فقرا المهاجرين الدنسو
الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره
لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علما امته او القران الحاوي لخيري الدنيا والاخرة
والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام
ما ذكر من العطية التي لم يعطها احدا من العالمين مستوجبة للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلاة لربك الذي افاض
عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها
فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا
لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي
جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبي وابي الاحوص ان شانئك
اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك
واثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل واياما كان
فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر
حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين
قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا
فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم
فقرا عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم
عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه اذ لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا
كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام
وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الصفة
كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل انها مصدرية اي لا اعبد عبادتكم

ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد
لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى **ولا انتم عابدون ما اعبد** ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى
لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى **ولي دين**
تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثم المعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه
الى الحصول لي كما ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به اماتيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد
مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه على الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه على المحال الذي هو عبادتي لالهتكم واستلامي
اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبني قولهم نعبد الهتك سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين
في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى
الحق والنجاة فاذا لم تقبلوني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتامل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اي اعانته
واظهاره اياك على عدوك او الفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح
الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى واما جعل مجيئه بمنزلة مجي ساير الفتوح وعلق به امره صلى الله عليه وسلم
بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجي للايذان بانهما متوجهان نحوه صلى الله عليه وسلم وانهما على جناح
الوصول اليه عليه الصلاة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل ايام التشريق
بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد
وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين
والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا اخ كريم
وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا
له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن **ورايت الناس** اي ابصرتهم
او علمتهم **يدخلون في دين الله** اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس
وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى **افواجا** حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيرة
كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين
وروي انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان
احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير
قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البنا للمفعول **فسبح بحمد ربك** فقل سبحان الله حامدا له
اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على احد حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على
الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله صلى الله عليه وسلم امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب
لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره سبحانه حامدا له زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك
او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة
حامدا له على ان صدق وعده وفائت على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام **واستغفره**
هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عايشة

انه صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس
فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فلم ير صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ضاحكا وقيل ابن عباس
هو الذي قال ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل
امر الدين لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فقال
ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك
بانفسنا واموالنا وابائنا واولادنا وعنه صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي
فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار
لامته **انه كان توابا** اي منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تايب مستغفر متوقعا للقبول
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة والله سبحانه اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبت اي هلكت **يدا ابي لهب** هو عبد العزى بن عبد المطلب
وايثار التبا على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه صلى الله عليه وسلم به **وتب** اي وهلك
كله وقيل المراد بالاولى هلاك جملته لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول
من قال جزاني جزاه الله شر جزايه جزا الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل الاول
اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعا عليه
بالهلاك وقيل الاول دعا والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه
القبيح وقرئ ابي لهب بسكون الها **ما اغنى عنه ماله وما كسب** اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما
نافية او اي شي اغنى عنه على انها استفهامية له بمعنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب من الارباح
والنتايج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده
في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شي لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه
نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام
بين العير الكثيرة وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلكت
نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون
فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القران **سيصلى** بفتح
اليا وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد
هذا العذاب العاجل في الاخرة **نارا ذات لهب** اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا
نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقران ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون
مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم من هذا ان ابا لهب
دخوله لفسقه ومعاصيه لا لكفره والاضطرار الى الجواب المشهور لان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه
المستمر **وامراته** عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان

وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه
وسلم يطاه كما يطا الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم
اي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية
اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل
الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامراته مبتدا
وقوله حمالة الحطب نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم
ومبتدا موخر والجملة حالية • وقيل الظرف خبر لامراته وحبل مرتفع به على الفاعلية • وقيل هو حال من امراته
على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل
من اي ليف كان وقيل من لحا شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد
من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها
ببعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل
تاتي كل يوم باباله من حسك فتطرحها في طريق فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح
فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة • (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم • قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه
موضعه مع عدم ذكره للايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه
يعود كل ضمير كما ينبي عنه اسمه الذي هو لفظ اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتدا خبره الجملة
بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة للتنبيه من اول
الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول
الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد كهمزة ما لا يراد النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى
فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنايم لاحد سود الرووس غيركم
فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف
فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احد لا يبني عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان ولا يقال
رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى وهو لما سئل عنه اي الذي سالت عنه هو الله اذ روي
ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت والضمير مبتدا والله خبره واحد بدل
منه او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ
قل هو الله الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدا وخبر والصمد فعل بمعنى مصمود اليه بمعنى ذا قصده او هو
السيد المصمود اليه في الحوايج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته • وقيل الصمد الدايم
الباقي الذي لم يزل ولا يزال • وقيل الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وفي تعريفه تعليمهم بصمديته بخلاف احديته
وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها
كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه
عن شايبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية

لاستغنايه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقايها وساير احوالها تحقيقا للحق وارشادا
لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال
زعم المفترين في حق الملايكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شي ليمكن ان
يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه ويخلفه
لاستحالة الحاجة والفنا عليه سبحانه وتعالى ولم يولد اي لم يصدر عن شي لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا
ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود
ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضيته بانه لم يولد الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون
كمال تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافيه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا
قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا
لا صلة ويكون كفوا حالا من احد ليس بذاك ولعل تاخير اسم كان لمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجملة
غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفا مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفا هذا ولانطوا
السورة مع تقارب قطريها على اثبات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي
انها تعدل ثلث القران فان مقاصده منحصرة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدها بكله
اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون
السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلايل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه
السورة الكريمة وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت
يا رسول الله قال الجنة • والله تعالى اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • قل اعوذ برب الفلق الفلق فلق الصبح
كالفرق لانه يفلق عنه الليل من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون
والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف
الى الفلق المنبي عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العايذ
مما يعوذ منه وانجايه منه وتقوية لرجايه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتنا
بقرع باب الالتجا اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ
ما يخاف كما قيل فلا اذ لا ريب للعايذ في قدرته تعالى على ذلك حتى لا يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق
اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كاينا من كان من ذوات الطبايع والاختيار وهو كما ترى شامل
لجميع ما يتوهم الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة
ثم جعل عمومها مدار الاضافة الى الرب الى الفلق فقد ناى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه
بعالم الخلق الموسوس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون
والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص
لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة والدعا الى الاعاذة
اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلا يقال غسقت العين
اذا امتلات دمعا • وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين انصباب دمعها واضافة
الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزايه وتقييد

بقوله تعالى **اذا وقب** اي دخل ظلامه في كل شي لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل
الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر وقال تعوذي بالله من شره
فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه
المحاق في اخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت
قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض
والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه **ومن شر النفاثات في العقد** اي ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ
النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفهما اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن
فيه وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فاعطاه اليهود فسحروه صلى الله عليه وسلم
فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فبعث صلى الله
عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكان نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة
البئر وهي الصخرة التي توضع في اصل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة
مغروزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة
ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخرة عند تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم
كانما نشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث قال صلى الله عليه وسلم اما انا فقد عافاني الله
واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم به
قط الا ان يكون شيا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل
مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا ظهر في نفسه
من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك
لان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المعوذتين
فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى
ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم
بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى **اله الناس** فانه لبيان ان ملكه
تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم
كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك
ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة
فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالربوبية والملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي

مزيد الرحمة والرافة وامره تعالى بذلك التعوذ دليل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان
المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمزا الى انجائهم من ملكة
الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة
مجرد الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ
منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة
من شر الوسواس هو اسم من الوسوسة وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به
الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه
الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع والنصب
على الذم **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس
والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا
للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس
الناسي ويجعل سقوط اليا كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد
الفريقين مبتلي بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه توفيق عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى
عن الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوقه وشكره ٥

وهذه صورة ما وجد بخط المؤلف

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد
باري البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل
مخوف الوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون والتجي الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز
واسئلك من خزائن برك المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا
والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها
والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية
وبوارق الاثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب
نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد العبور على سرائر الانس
ويتهيأ للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى
واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واشرف اماني يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا
واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا والحمد لله وحده

كتب المؤلف عفى الله عنه وتقبل منه في اخر نسخة الاصل اتفق الفراغ عن تسويد هاتيك
الاوراق بتوفيق الله الملك الخلاق عز سلطانه ليلة الجمعة
الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلثة وسبعين
وتسعمائة حامدا لله رب العالمين ومصليا
على سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم
عليه تسليما كثيرا
الى يوم الدين
امين

حسبي [illegible] وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابا عنه
١٢٧٥ وكفى عبده